حاضر العالم الإسلامي

وقضاياه المعاصرة

العاقل من يستعرض ماضيه ويتطلع إلى غده

د. جميل عبد الله محمد المصري
أستاذ مشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين

الجزء الأول

طبعة معدلة ومنقحة ومزيدة

دار أم القرى

عمان: الفندق. شارع الكتاب. خلف مكتبة أمانة العاصمة
ص.ب ٢١١١٩٥ ☎ ٦٥١٨٥٨

حُقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى – طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م

دار أم القرى

عمان. الأردن. شارع الكتاب. خلف مكتبة أمانة العاصمة. ص.ب ٢١١١٩٥ ☎ ٦٥١٨٥٨

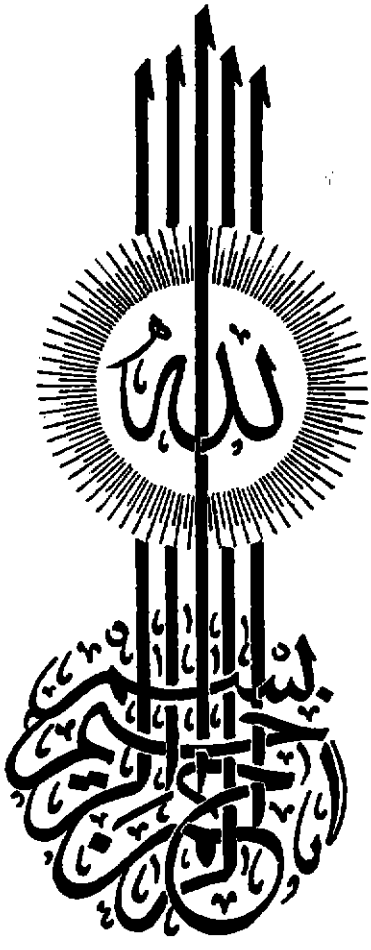
بسم الله الرحمن الرحيم

تونس
الجزائر
ليبيا
مصر
موريتانيا
مالي
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
إثيوبيا
الصومال
أوغندا
كينيا
تنزانيا
أنغولا
زامبيا
زمبابوي
إيران
العراق
تركيا
سوريا
السعودية
الكويت
الأردن
لبنان
ليبيا
ساحل العاج
غانا
توغو
بنين
الكاميرون
الغابون
الكونغو
زائير
رواندا
بوروندي
تنزانيا
موزمبيق
ناميبيا
بوتسوانا
جنوب إفريقيا
ليسوتو
سوازيلاند
مدغشقر

مقدمـــــة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونؤمن به ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى صحابته الأولين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين ... وبعد :

إن مادة حاضر العالم الإسلامي من أعظم المواد خطرا ، لاتساعها وشمولها ، ولتشابك مشكلات العالم الإسلامي وقضاياه ، واختلاطها ببعضها من جهة وبالمشكلات العالمية وقضاياه من جهة أخرى ، فضلا عن كون هذه المشكلات مرتبطة بجذور ممتدة إلى عصور طويلة ذات ارتباط بجذور المشاكل الغربية الأوربية المعقدة. ويضاف إلى ذلك قرب الحوادث المتناولة ، وتعقيداتها ، يجعلان مجهود العرض الذي نقوم به صعبا جدا.

ونحن في زمن تقاربت فيه المسافات واتصلت المجتمعات وتشابكت المصالح لسهولة المواصلات وتوافر وسائل الإعلام من : صحافة ، ومذياع ، وتلفاز ، وخيالة ، واتصالات سلكية ولاسلكية ، وأقمار صناعية. فيحس المسلم بغربة وضياع وتمزق بين : عقيدة يعتنقها ، ويؤمن بها ، وبين واقع مغاير لهذه العقيدة. تتجاذبه العقيدة والواقع ، فيقف على مفترق طرق ، إما أن ينحرف مع الواقع ويتخلى عن عقيدته فيتيه مع التائهين ، أو يختار العزلة والغربة عن واقعه ، فيصبح خطرا على نفسه ، وعلى أمته ، ودينه ، ومجتمعه ، أو أن يدع الأمور تجري على اعنتها مكتفيا بنفسه متخذا موقفا سلبيا تجاه قضايا أمته وقضايا الإنسانية عامة ، بل وينظر إليها نظرة الكراهية والحقد.

ونحن لانريد للداعية المسلم أن يكون أحد هؤلاء ، فللداعية شروط ينبغي توافرها منها ثقافته ، ومنها علمه ، ومنها لباقته ، ومنها نهجه ، وأهمها إيمانه بدعوته وقضيته التي يدافع عنها ويسعى إلى نشرها ، فنريد من الداعية أن يكون مسلما واعيا ويخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، ويؤثر ، يدعو إلى دينه بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وأن يكون قدوة حسنة بتطبيقه مباديء الإسلام على نفسه أولا ، وأن يكون الطبيب البارع المتمكن من طبه العالم بأمراض الناس وادوائها ، الشفيق على الإنسانية ... لاتضيره صفعة مريض أو شتيمته أو كراهية رائحته ، يقف على أبواب جهنم يمنع الناس أن يكبوا أنفسهم فيها ، نعم ، نريده كذلك

في وقت تكالبت فيه عناصر الشر والفتنة على العالم الإسلامي وعلى الإسلام ، في هجمة شرسة ، مصداقا لقوله ﷺ : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟. قال : بل أنتم يؤمئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن.

فقال قائل : ومالوهن ؟

قال : حب الدنيا وكراهية الموت »(١).

فمادة حاضر العالم الإسلامي تهدف إلى : الإسهام في تكوين الداعية المسلم بأن يتعرف على عالمه الإسلامي الكبير ، وقضايا المسلمين وأدوائها ، وعلى ثروات العالم الإسلامي وكيفية استغلالها ، وحمايتها من الأطماع ، واستثمارها وتسخيرها فيما أمر الله من نفع الناس ، وعلى التحديات التي تواجه الحياة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وكيفية تذليلها. والتعرف على اخوانه في أقطار الأرض ، ومشاركتهم في قضاياهم ، فإن من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم. والتعرف على كيفية تخليص الأمة من التبعية والجهل ، والفاقة ، والمرض ، إذ انه كلما اشتد الوعي ماتت الهزيمة واندحرت سبلها ، وتكسرت الفرقة.

وبعبارة أخرى تسهم مادة حاضر العالم الإسلامي في معرفة مواطن قوة العالم الإسلامي ، للعمل على المحافظة عليها ، وتنميتها ، والسير فيها ، ومعرفة مواطن الضعف للعمل على تنحيتها ، والتغلب عليها ، وازالتها. فيتزود الداعية بثقافة واسعة ، واعية ، تمكنه من السير في الدعوة بثبات ، ووعي ، وإيجابية ، والدعاة الواعون هم مصدر قوة الأمة ، وبهم تتم نهضتها.

والحق أن أول من قام بدراسات في حاضر العالم الإسلامي هم المستشرقون ، طلائع الاستعمار مع المبشرين ، فقد درسوا العالم الإسلامي دراسات مستفيضة ، وعرفوا واقعه ، وأوضاعه ، وعوامل القوة لديه ، وعوامل الضعف ، وكتبوا إلى دولهم ، حيث عرضت دراساتهم على خبراء في علم الاجتماع ، والنفس ، والسياسة ، والاقتصاد ، وعلى المخابرات ، وأساتذة الجامعات ، فتم على ضوء ذلك

---

(١) رواه الإمام أحمد عن ثوبان ،وهو عند أبي داود أيضا عن ثوبان ـ كتاب الملاحم ـ الباب الخامس : تداعي الأمم على الإسلام ـ ج٢ ص ٤٤٦. وانظر فقه أبي داود رحمه الله في تخصيص التداعي بالإسلام.

وضع دراسات ، وتوصيات ، تبين طرق التعامل مع أقطار العالم الإسلامي ، بقصد الهيمنة عليه ، وجره إلى التبعية السياسية والاقتصادية ، والفكرية ، بإبراز السلبيات ، والعمل على تخفيف بل إزالة الإيجابيات. وهذا الاهتمام هو عكس مانهدف إليه من دراستنا لهذه المادة الحيوية.

واعترف أنه لايكمن لباحث واحد أن يفي هذه المادة حقها من البحث ، ولكني بذلت جهدي في سد فراغ وجدته عند الدعاة ، مستمدا العون من الله سبحانه وتعالى ، عسى أن يجد فيه الدعاة إلى الله ، وطلبة العلم ، مايسعفهم ومايعينهم في عملهم الجدي المثمر إن شاء الله.

فقمت باعطاء لمحات عامة وواضحة (ماأمكن) عن مسلسل الحوادث الهامة ، بعد جولات كثيرة مضنية ، أخذت مني وقتا طويلا وجهدا كبيرا ، في كتب التاريخ ، والجغرافيا ، والاجتماع ، والفلسفة ، والاقتصاد ، والسياسة ، وفي الدوريات والمجلات والصحف والنشرات. وحاولت أن لاأترك الفرصة لهواي. فقد أرجعت كل أمر إلى أصله ، تمكن الباحث أو القارىء أن يعود إليه بسهولة ويسر.

فإن وفقت وذلك ماأرجوه ، فهو الفضل من الله ، وإن قصرت فحسبي أنني بذلت جهدي ، ولايكلف الله نفسا إلا وسعها.

هذا وقد وردتني طلبات كثيرة وبإلحاح، تدعو إلى إعادة طباعة هذا الكتاب (بعد أن تفضلت الجامعة الإسلامية بطبعه ثلاث مرات على الطبعة الأولى) وبعد أن نفذت الطبعة الثانية المعدلة، وذلك لتعم الفائدة. فأقدم هذه الطبعة الثانية للكتاب بعد أن حرصت على تنقيحه، وتصحيح أخطائه، وزيادة ما توفر لدي من معلومات جديدة، وحذف ما تبين لي عدم جدواه. إذ أن المتغيرات في هذه المادة كثيرة، وسريعة، مع العلم أن الثوابت أكثر، وأجلى وهي التي نحرص على إجلائها، والتعرف عليها.

والله الهادي إلى سواء السبيل

طيبة الطيبة
د. جميل عبد الله المصري
محرم ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م

الباب الأول

العالم الإسلامي وأهميته

الفصل الأول : الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي

الفصل الثاني : أهمية العالم الإسلامي

الفصل الأول

الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي

جعل الإسلام من المسلمين أمة خاصة من دون الناس ، أمة متميزة ليست كغيرها من الأمم ، ذات شخصية مختلفة تمام الاختلاف عن الشخصية التي عرفها العالم قبلها من خلال مفهوم التفسيرات المنحرفة إلى العنصرية أو التعدد أو عزل الأخلاق عن الشريعة أو العقيدة عن الأخلاق ، وذلك أن نظرة الإسلام المتكاملة للكون والحياة والمجتمع أثرت تأثيرا بعيدا في مفاهيم الحضارة والنظم والمناهج قال تعالى :

﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون** ﴾(١).

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بأنها خير الأمم : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾(٢).

فوضع سبحانه وتعالى بذلك مواصفات هذه الأمة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله. فظل الفكر الإسلامي انطلاقا من طبيعته ومضمونه القائم على التوحيد الخالص يواجه النظريات ويدلي برأيه فيها ولا يتوقف عن النظر المنصف ولا يتقبل كل شيء ، وهو بسماحه وانفتاحه على الثقافات والفكر العالمي قادر على عملية الأخذ والعطاء على قاعدته ودون أن يخرج عن مقوماته ، وقد حفظ الإسلام من الانهيار والتفكك بقاء القرآن الكريم بعيدا عن كل الأخطار سليما لم يمسه سوء مصداقا لقوله سبحانه :

﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾(٣) ، وبقيت السنة النبوية هادية للمسلمين بعد أن أسلمنا إياها أسلافنا نقية تنير للمسلمين الدرب. وكذلك العلماء الذين يهتدون بالقرآن والسنة الذين لم يخل منهم زمن.

وقد تحدد وضع الناس في أمة الإسلام على النحو التالي :

---

(١) سورة الأنبياء الآية٩٢.

(٢) سورة آل عمران الآية١١٠.

(٣) سورة الحجر الآية٩.

١ـ إن هذه الأمة تجمع شمل كل المسلمين بلا استثناء ممن عاش داخل العالم الإسلامي أو خارجه.

٢ـ إن هذه الأمة موجودة بالفعل سواء تجمعت أوصالها في دولة واحدة أو في مجموعة من الدول.

٣ـ إن هذه الأمة تفتح صدرها لمن لم يكن مسلما ويعيش مرتبطا في المكان ومشاركا في مسؤليات الحياة مع الأغلبية الإسلامية.

وعلى هذا كان وصف الأمة الإسلامية بأمة الوسط :

قال تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾(٤).

والوسط هو الخيرية في كل شيء والاعتدال في كل شيء ، وعدم الإفراط والتفريط والغلو والتقصير ، وعدم الاقتصار على ناحية والتقصير في ناحية مما فيه خير دين ودنيا.

الروابط التي تجمع أفراد الأمة الإسلامية :

وحد الإسلام بين المسلمين على اختلاف عناصرهم وأجناسهم وبيئاتهم ولغاتهم وألوانهم وأوطانهم ، وأقام هذه الوحدة على أسس بينة وقواعد راسخة لا يتسرب إليها الضعف ولا يتسلل إلى بنيتها التفسخ والانحلال.

قال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضا»(٥)

وقد وكل إلى المسلمين رسالة واضحة مشرقة قوية لا يعرف العالم ولن يعرف رسالة أعدل منها ولا أفضل ولا أيمن للبشرية ، هذه الرسالة : الدعوة إلى الله وحده وماينبني على التوحيد من واجبات. فقامت الرابطة بين أبناء الأمة الإسلامية على **أساس العقيدة** الإسلامية أساس الدين الإسلامي الذي هو فطرة الإنسان ففيه :

١ـ **توحيد الإله** : الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد. فإقرار المسلم بالإله الواحد يعني إفراد العبودية لله وحده ، وتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، واخراجهم من ظلمات الجهل إلى عدل السماء.

---

(٤) سورة البقرة الآية١٤٣.

(٥) البخاري - صلاة٨٨ ، مظالم (٥). مسلم (بر٦٥). الترمذي بر١٨/. النسائي زكاة٦٧.

٢ـ **التوجه نحو كعبة واحدة في الصلاة** : فحيثما يكون المسلم يتوجه إلى البيت الحرام في مكة ، مما يحقق وحدة الهدف ، ويعود المسلمين الاتجاه الخالص الذي لاتشتته أهداف جانبية ولاتتنازعه غايات دنيوية تزول ، وتنتفي الفوارق والطبقية.

٣ـ **وحدة الكتاب ـ القرآن الكريم** : الذي يقوم عليه التشريع وتؤخذ منه الأحكام في مختلف شئون الحياة التعبدية والسياسية والإقتصادية والاجتماعية والتربوية والعسكرية ، مما يحقق وحدة الفكر ووحدة الثقافة ووحدة الاتجاه ، وهي من الأسس الهامة التي لا تقوم لأمة بغيرها قائمة.

٤ـ **وحدة الحج إلى بيت الله الحرام** : والحج مؤتمر إسلامي سنوي عام يوحد بين المسلمين مما دفع بعض المستشرقين إلى أن يقول :(٦)

« إن الوحدة الإسلامية إنما هي قائمة على ركنين أساسا ولا ثالث لهما ، الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، والخلافة. وقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب وَهْمٌ في هذا الموضوع ، فهم مابرحوا يخالون الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يتشارك المسلمون ميولا وعواطف تشاركا مؤديا إلى اعتزاز الوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها ، على أن هذا لمن الوهم الصرف ، فالأمر حقا على الضد منه ... فالمقاصد والأغراض السياسية التي ينالها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل إنما هي معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح. بل يكفي أن نقول : إنما الحج هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام ... وفي هذا المؤتمر العظيم كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وأبطالها كمحمد بن عبد الوهاب ومحمد بن السنوسي وجمال الدين الأفغاني تشعر بجلالة الواجب الإسلامي المقدس وتتقد من خطورة المشهد وروع المحفل غيرة على الإسلام والمسلمين ».

فهو يغذي روح الوحدة الإسلامية العامة ، التي تترفع على العصبيات والقوميات ، ومن يحج تشعّ فيه حماسة دينية لمثل الإسلام العليا ، كما أنه وسيلة النقل وتبادل العلوم ، والأفكار ، بين المسلمين ، ويفتح عقل المسلم على أساليب أعداء الإسلام ويفضحهم.

٥ـ **وحدة اللغة** : وهي اللغة العربية التي اختارها الله سبحانه لتكون لغة القرآن الكريم وحث نبيه الناس على تعلمها والتكلم بها لمعرفة أحكام الإسلام وتفهم

---

(٦) لوثروب ستودارد في كتابه ـ حاضر العالم الإسلامي ـ ج١ص٢٨٩. وانظر رأي جب في كتابه وجهة الإسلام ص٦٩ ، ورأي ك.ك.برج في كتابه عن أندونيسيا ص١٦١.

تشريعاته ، فاللغة العربية ليست للعرب وإنما هي للمسلمين جميعا ، وهي وسيلة التفاهم بين المسلمين ووسيلة التعاون والوعاء الذي يحفظ الإسلام منهجا وينقل تراثه. قال ﷺ : « وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، إنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي »(٧) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا العربية فإنها من دينكم ، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم » فمعرفة العربية واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولايفهمان إلا بالعربية. ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب(٨) ».

وقد حفظ القرآن هذه اللغة وصانها الإسلام ونشرتها دعوة التوحيد بين الأمم في أقطار المعمورة، ولولا المؤامرات والهجمات الشرسة التي قادها المستعمرون والشعوبيون على هذه اللغة لما وجد مع العربية في أقطار شبه القارة الهندية، وأندونيسيا، وماليزيا، وأفريقيا، لغة أخرى تضارعها انتشاراً.

- ٦ ـ **التاريخ المشترك لأمة الإسلام**: الذي ينتج عنه وحدة الآمال والآلام، ويجعل من المسلمين أمة واحدة يحس كل فرد منهم بإحساس الآخر في السراء والضراء، فكل مسلم يتجه إلى الآخر في مشاركته الوجدانية في مواقع بدر، والفتح، وتبوك، واليرموك، والقادسية، وحطين، وعين جالوت، وبلاط الشهداء، ونكبة المسلمين في الأندلس، وفي فلسطين، ووضع المسلمين في الاتحاد السوفيتي السابق، وأريتريا، والفلبين، وفطاني، وأفغانستان، والهند، وكشمير، وأثيوبيا، وغيرها. ولا نعرف بلاداً افتخرت بمن فتحها، واعتزت به، وجعلته ميلاداً لتاريخها طوعاً، غير بلاد الإسلام فمصر اعتزت بعمرو بن العاص، والشام اعتزت بأبي عبيدة وخالد وغيرهما، والعراق اعتز بسعد بن أبي وقاص، وشمال أفريقيا اعتز بعقبة بن نافع وحسان بن النعمان، وباكستان اعتزت بمحمد بن القاسم . . . وهكذا.

٧ـ وحدة النبوة والرسالة : قال تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾(٩).

ومن ذلك تنتج وحدة القيم والتقاليد والعادات بين أبناء المسلمين في مختلف

---

(٧) اقتضاء الصراط لابن تيمية ص ١٦٩ ، والحديث ضعيف ، لكن معناه ليس ببعيد ، بل هو صحيح من بعض الوجوه كما ذكر ابن تيمية وبينه.

(٨) اقتضاء الصراط ص ٢٠٧.

(٩) سورة البقرة الآية ٢٨٥.

أقطارهم ، فأنّى توجهت في أرجاء هذا العالم الإسلامي تجد بين المسلمين قيم صلة الرحم ، وحق الجار ، والحشمة ، والوقار ، ونبذ المنكرات ، وأكل الطيبات ، واعراف الأسرة ، وآداب المعاملات واحدة ، حتى أنك لاتجد غربة أو تنافرا حين يضمك جمع من المسلمين الواعين على الإسلام ولو كانوا من أقطار شتى ، لأن الإسلام وحد قيمهم وتقاليدهم وفق أحكام القرآن الكريم ومفاهيم السنة الشريفة. قال تعالى :

﴿ وألف بين قلوبهم ، لوأنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم ﴾(١٠).

وقال ﷺ :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »(١١)

هذا و لم يهمل الإسلام غير المسلمين في المجتمع الإسلامي فدعاهم أهل الذمة ، لهم ماللمسلمين وعليهم ما عليهم ، وقد حدد علاقات المسلمين بهم على أسمى ما عرفت البشرية من علاقات تجاوزت حد الإنصاف إلى آفاق البر والرحمة « يقاتل دونهم ويحميهم ويعينهم »(١٢).

وفي ضوء مفهوم الأمة نجد أن الإسلام يقيم من أهله أمة كاملة على أوفق وأكمل ما يكون نظام الأمم.

ومفهوم الأمة الإسلامية أكثر شمولا من مفهوم **العالم الإسلامي** فهو يتسع حتى يشمل المسلمين جميعا في جميع أركان العالم وأقطاره. فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية لا تقتصر على شعب معين أو بلاد معينة ، فكل أرض تصلح للإسلام ولدعوته ولمبادئه مهما كانت طبيعتها ومهما كان جنس سكانها ولونهم ولغتهم. قال تعالى :

﴿ ومأأرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾(١٣).

وأما مايطلق عليه **العالم الإسلامي** اليوم :

فهو تلك الرقعة من الأرض التي تكاد تكون متصلة ، دونما حواجز ، أو

---

(١٠) سورة الأنفال الآية ٦٣.

(١١) متفق عليه. (البخاري ـ أدب ٢٧ ، مسلم بر ٦٦/٦٧).

(١٢) انظر الأم للإمام الشافعي ج٤ ص ١٨٦ وص ٢٢٠.

(١٣) سورة سبأ الآية ٢٨.

قواصل ، في العالم القديم (آسيا وافريقيا وأوربا) ، من إيريان الغربية شرقا في أندونيسيا ، إلى جزر الرأس الأخضر ، مقابل السنغال ، في المحيط الأطلسي غربا ، ومن جبال الآرال وسيبيريا شمالا ، إلى موزمبيق جنوبا ، فهو على ذلك مفهوم جغرافي يشمل البلدان التي تسكنها أكثرية مسلمة أو كانت تخضع للمسلمين سابقا أو كانت ذات أغلبية مسلمة(١٤).

ومفهوم العالم الإسلامي أكثر اتساعاً من مفهوم الدول الإسلامية المعاصر:

وإليك بيان بأسماء بلدان العالم الإسلامي ومساحة كل بلد وعدد سكانه بما فيهم غير المسلمين حسب التقديرات التي تمكنت من الحصول عليها(١٥).

---

(١٤) نظر الإسلام للأرض أي أرض نظرة عالمية ، قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة النور : ٥٥]. وقسم الإسلام الأرض إلى قسمين :

أ- دار الإسلام : وهي الديار التي تسودها شريعة الإسلام وتقام فيها حدوده ، وإن كان جل أهلها من غير المسلمين.

ب- دار الحرب : وهي الأرض التي تسود فيها شرائع غير شريعة الله ، وإن كان جل أهلها من المسلمين.

والواقع أنه ليس في الدنيا اليوم أرض يحكم فيها الإسلام إلا القليل. وبذلك نضطر إلى اللجوء إلى المفهوم الجغرافي - العالم الإسلامي. وعلى كل فإن صفة دار الإسلام لاتنتفي عن أي قطر ، أظلته راية الإسلام. وإن سلب ، أو بغي ، أو حكم بالبدع ، إذ على المسلمين العمل لإعادته إلى دار الإسلام.

(١٥) ومعلومات هذه الجداول جمعتها من :

أ- البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية في العالم المعاصر.

ب- الأطلس العام.

ج- العالم الإسلامي وأنشطة رابطته (مع خريطة للعالم الإسلامي ١٥ من ذي القعدة ١٤٠٢هـ. بإدارة المساحة العسكرية - وزارة الدفاع والطيران - المملكة العربية السعودية - الرياض).

د- المسلمون في العالم لعبد الرحمن زكي.

هـ- سكان العالم الإسلامي - محمود شاكر.

و- Journal Institute of Minority Affairs

ز- The Europe year book 1982,1983

أولا : البلدان الإسلامية في افريقية :

م	اسم البلد	المساحة بالكم٢	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	مصر	١ ٠٠١ ٤٤٩	٤٨ ٠٠٠ ٠٠٠(١٦)	٪٩٤
٢	السودان	٢ ٥٠٥ ٨١٣	٢١ ٠٠٠ ٠٠٠	٪٧٩
٣	ليبيا	١ ٧٥٩ ٥٤٠	٢ ٦٢٠ ٠٠٠	٪١٠٠
٤	تونس	١٦٤ ١٥٠	٦ ٥٠٠ ٠٠٠	٪٩٦
٥	الجزائر	٢ ٣٨١ ٧٤١	١٨ ٥٠٠ ٠٠٠	٪٩٩
٦	المغرب	٤٤٦ ٥٥٠	١٩ ٠٠٠ ٠٠٠	٪٩٩
٧	موريتانيا	١ ٠٣٠ ٧٠٠	١ ٧٥٠ ٠٠٠	٪١٠٠
٨	الصومال	٦٤٠٠٠٠	٣ ٥٠٠ ٠٠٠	٪١٠٠
٩	جيبوتي	٢٢ ٠٠٠	٢٠٠ ٠٠٠	٪١٠٠
١٠	السنغال	٢٠١ ٠٠٠	٥ ٠٨٥ ٠٠٠	٪٩٥
١١	جامبيا	١١ ٢٩٥	٦٠٠ ٠٠٠	٪٨٥
١٢	غينيا	٢٤٥ ٨٥٧	٤ ٧٠٠ ٠٠٠	٪٩٥
١٣	غينيا بيساو	٣٦ ١٢٥	٥٠٠ ٠٠٠	٪٧٠
١٤	مالي	١ ٢٤٠ ٧١٠	٦ ٣٠٨ ٠٠٠	٪٩٠
١٥	بوركينافاسو	٢٧٤ ٢٠٠	٦ ٩٠٨ ٠٠٠	٪٦٤
١٦	ساحل العاج	٣٢٢ ٤٦٣	٧ ٠٠٠ ٠٠٠	٪٦٠
١٧	توجو	٥٦ ٠٠٠	٢ ٤٧٢ ٠٠٠	٪٦٠
١٨	داهومي (بنين)	١١٢ ٦١٢	٢ ٨٠٠ ٠٠٠	٪٦٠
١٩	نيجيريا	٩٢٣ ٧٦٨	٦٦ ٦٠٠ ٠٠٠	٪٦٥
٢٠	الكاميرون المتحدة	٤٧٥ ٤٤٢	٨ ٥٠٣ ٠٠٠	٪٦٠
٢١	النيجر	١ ٢٦٧ ٠٠٠	٤ ٩٠٠ ٠٠٠	٪٩٤
٢٢	تشاد	١ ٢٨٤ ٠٠٠	٤ ٢٠٠ ٠٠٠	٪٨٥
٢٣	الصحراء المغربية	٢٧١ ٣٦٠	١٠٠ ٠٠٠	٪١٠٠

(١٦) هذا حسب إحصاء عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

م	اسم البلد	المساحة بالكم٢	عدد السكان	نسبة المسلمين
٢٤	أثيوبيا واريتريا	١ ٢٢١ ٩٠٠	٣١ ١٠٠ ٠٠٠ (١٧)	٦٥٪
٢٥	تنزانيا (١٨)	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٣٪
٢٦	جزر القمر	٢ ٢٣٧	٣٥٠ ٠٠٠	٨٠٪
٢٧	غانا	٢٣٨ ٥٣٧	١١ ٤٥٠ ٠٠٠	٥٠٪
٢٨	سيراليون	٧١ ٧٤٠	٣ ٤٧٤ ٠٠٠	٦٥٪
٢٩	موزمبيق	٨٠١ ٥٩٠	١٢ ١٣٥ ٠٠٠	٥٠٪

ثانيا : البلدان الإسلامية في آسيا :

م	اسم البلد	المساحة بالكم٢	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	المملكة العربية السعودية	٢ ١٤٩ ٦٩٠	٩ ٥٢٠ ٠٠٠	١٠٠٪
٢	الجمهورية اليمنية	٤٨٢٦٨٣	١٠٠٠٠٠٠٠	١٠٠٪
٣				١٠٠٪
٤	عمان	٢٧٢ ٠٠٠	١ ١٠٠ ٠٠٠	١٠٠٪
٥	الإمارات العربية	٨٣ ٦٠٠	٦٥٠ ٠٠٠	١٠٠٪
٦	قطر	١١ ٣٠٠	٢٠٠ ٠٠٠	١٠٠٪
٧	البحرين	٠٠٥٩٨	٣٠٠ ٠٠٠	١٠٠٪
٨	الكويت	١٧ ٨١٨	١ ١٠٠ ٠٠٠	١٠٠٪
٩	العراق	٤٣٤ ٧٢٤	١١ ٥١٠ ٠٠٠	٩٥٪

(١٧) فيها أرتيريا وعدد سكانها ثلاثة ملايين ٨٠٪ مسلمون ، وأوجادين وسكانها ٦,٢٥٠ مليون نسمة ٨٠٪ مسلمون ، وأما أثيوبيا ففيها ٢١٠٧٢٨,٣٠٠ منهم مسلمون ٣٨٪.

(١٨) جاء في كتاب (development and Religion in Tanzania) الصادر عن اتحاد الكنائس العالمي أن نسبة المسلمين في تنزانيا ٣٠٪ ، والنصارى ٣٢٪ ، وديانات أخرى محلية ٣٧٪ ، و١٪ ديانات دخيلة أخرى. وذلك في محاولات لتقليل نسبة المسلمين. وهذا شأن المبشرين (الغربيين) في جميع بلاد الإسلام.

م	اسم البلد	المساحة بالكم	عدد السكان	نسبة المسلمين
١٠	الأردن	٩٧ ٧٤٠	٣ ١٢٠ ٠٠٠	٩٤٪
١١	فلسطين المحتلة			
	(الضفة الغربية)	٢٧ ٠٩٠	٣٠٠ ٠٠٠ ٤(١٩)	١١٪
	(قطاع غزة)		١ ٥٠٠ ٠٠٠	٨٥٪
١٢	لبنان	١٠ ٤٠٠	٣ ٥٠٠ ٠٠٠	٦٠٪(٢٠)
١٣	سوريا	١٨٥ ١٨٠	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٨٨٪
١٤	تركيا	٧٧٩ ٤٥٢	٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٩٨٪
١٥	إيران	١ ٦٤٨ ٠٠٠	٣٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٩٦٪
١٦	أفغانستان	٦٤٧ ٥٠٠	١٩ ٢٨٠ ٠٠٠	٩٩٪
١٧	باكستان	٨٠٣ ٩٤٣	٧٠ ٤٠٠ ٠٠٠	٩٥٪
١٨	كشمير	٢١٧ ٩٣٥	٩ ٠٠٠ ٠٠٠	٩٥٪
١٩	بنغلاديش	١٤٢ ٧٧٦	٩٠ ٢٦٠ ٠٠٠	٩٥٪
٢٠	جزر المالديف	٥١ ٧٨٠	١٤٠ ٠٠٠	١٠٠٪
٢١	ماليزيا	٣٢٩ ٧٤٧	١١ ٩٢٠ ٠٠٠	٥٧٪
٢٢	براوناي	٥ ٧٧٠	٢٠٠ ٠٠٠	٧٦٪
٢٣	أندونيسيا	٢ ٠٢٧ ٠٨٧	١٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٩٤٪
٢٤	اوزبكستان	٤٤٧ ٠٠٠	١٣ ٦٩٥ ٠٠٠	٨٨٪
٢٥	أذربيجان	٨٦ ٠٠٠	٥ ٧٠٠ ٠٠٠	٩٠٪
٢٦	طاجيكستان	٦٣ ٧٠٠	٣ ٣٨٥ ٠٠٠	٨٥٪
٢٧	تركمانستان	٤٨٨ ١٠٠	٢ ٤٩٥ ٠٠٠	٦٦٪
٢٨	قازاخستان	٢ ٧١٧ ٣٠٠	١٤ ١٧٠ ٠٠٠	٦٦٪
٢٩	قيرغيزيا	١٩٨ ٥٠٠	٣ ٢٩٥ ٠٠٠	٦٠٪
٣٠	داغستان	٥٠ ٣٠٠	١ ٥٠٠ ٠٠٠	٨٠٪
٣١	قفقاسيا	٣١٤ ٣٠٠	١٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٧٥٪
٣٢	تركستان الشرقية			
	(سينكيانغ)	١ ٧١٠ ٧٤٥	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٧٠٪

(١٩) منهم ٩ر٢ مليون يهودي استطونها كغزاة. في حين يعيش حوالي ٤ ملايين مسلم من أهلها مشردين خارج فلسطين. انظر كتاب : إسرائيل دولة المهجرين لناصر موسى زيد الكيلاني.

(٢٠) The Gospel and Islam P268

م	اسم البلد	المساحة بالكلم٢	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
٣٣	كانسو	٣٦٧ ٠٠٠	١٣ ٠٠٠ ٠٠٠ (٢١)	
٣٤	نينج هسيا	٦٦ ٥٠٠	٢ ٠٠٠ ٠٠٠ (٢١)	
٣٥	يونان	٤٣٧ ٠٠٠	٧ ٠٠٠ ٠٠٠ (٢١)	

ثالثا : المسلمون في أوربا :

م	اسم البلد	المساحة بالكم٢	عدد السكان	نسبة المسلمين
١	ألبانيا	٢٨ ٧٤٨	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٧٩٪
٢	تركيا أوربا	٢٣ ٧٦٤	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٩٥٪
٣	تترستان	٦٨ ٠٠٠	٣ ٥٠٠ ٠٠٠	٦٥٪
٤	بشكيريا	١٤٣ ٦٠٠	٤ ٠٠٠ ٠٠٠ (٢٢)	٦٠٪
٥	الجوفاش (تشوفاشيا)	١٨ ٣٠٠	١ ٥٠٠ ٠٠٠	٦٠٪
٦	موردوف	٢٥ ٠٠٠	١ ٢٥٠ ٠٠٠	٥٥٪
٧	إدمورت	٤٢ ٠٠٠	١ ٠٠٠ ٠٠٠	٥٩٪
٨	ماري	٢٣ ٨٠٠	٧٥٠ ٠٠٠	٧٩٪
٩	القرم	٢٦ ١٥٠	٥ ٠٠٠ ٠٠٠ (٢٣)	
١٠	أورنبرج		٢٠٠٠ ٠٠٠	٥٠٪
١١	شمال القوقاز		٣ ٤٣٧ ٠٠٠ (٢٤)	٦٩٫٨٪

(٢١) هذا عدد المسلمين فقط ، ويزيد العدد كثيرا عن هذا التقدير إذ يخفي المسلمون هناك أنفسهم نتيجة الضغط الشيوعي في الصين على المسلمين.

(٢٢) والمعلومات عنهم قليلة جدا في ظل الحكم الشيوعي الروسي.

(٢٣) هذا عدد المسلمين وتعرض معظمهم للإبادة والتهجير في ظل الحكم الروسي الشيوعي.

(٢٤) وتشمل : تشاشان انجوشيا ، وكباردبا بلكاريا ، وكرتشاي الشركسية والأديجا وأوستينا الشمالية.

ومن هذا يتضح أن مساحة العالم الإسلامي حوالي ٤٠ مليون كيلومتر مربع ، ويعيش فيه أكثر من ٨٥٠ مليون نسمة ، باستثناء الأقاليم التي انحسر عنها المدُّ الإسلامي ، في الأندلس ، وصقلية ، والبلقان ، والهند . ورغم جميع المعوقات فمازال الإسلام في توسع دائم ، وخصوصا ، في منطقتين هامتين من مناطق العالم : هما : قلب أفريقيا وجنوبها ، وجنوب شرق آسيا[٢٥] ، بالإضافة إلى أنه يشق طريقه إلى العالم الجديد -أمريكا الشمالية والجنوبية ، وأستراليا- والإسلام هو دين المستقبل ، وقارة أفريقية بشكل خاص هي قارة المستقبل بالنسبة للإسلام ، ولا يخلو قطر من أقطار العالم من مسلمين . وهناك أقطار تضم أقليات إسلامية كبيرة .

وهذه الأقطار التي تضم أقليات إسلامية :

أولا : في آسيا :

م	اسم البلد	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	الهند	٦٨٧ ٠٠٠ ٠٠٠	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٥٪
٢	قبرص	٧٥٠ ٠٠٠	١٧٥ ٠٠٠	٢٧٪
٣	أرمينيا	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٧٦ ٠٠٠	١١٪
٤	جورجيا (بلادالكرج)	٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٨٥٥ ٠٠٠	١٥٪
٥	(سيريلانكا) سيلان	١٤ ٨٥٠ ٠٠٠	١ ٤٨٥ ٠٠٠	١٠٪
٦	بورما	٣٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	١٠٪(٢٦)
٧	تايلاند	٤٧ ١٧٣ ٠٠٠	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٥٪(٢٧)

(٢٥) فقد فشلت جهود المبشرين رغم امكانياتهم الهائلة وتكثيف جهودهم في آسيا وأفريقيا ، انظر : المسلمون ص ١ ، ص ٤ (العدد ٣٥/السبت ٢١ محرم ١٤٠٦هـ/٥ أكتوبر ١٩٨٥).

(٢٦) وفيها إقليم أراكان الإسلامي.

(٢٧) وفيها إقليم فطاني الإسلامي الذي يبلغ عدد سكانه أكثر من ثلاثة ملايين يجاهدون ضد الهجمة الصليبية البوذية.

٨	الفيلـــــين	٤٨ ٤٠٠ ٠٠٠	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٢٪(٢٨)
٩	الصين الشعبية	٩٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٧٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٨٪(٢٩)
١٠	سنغافـــــورة	٢ ٣٦٢ ٧٠٠	٣٥٠ ٠٠٠	١٥٪
١١	كمبوديـــــا (كمبوتشيـــا)	٥ ٧٤٦ ١٤١	٧٠٠ ٠٠٠	١٣٪(٣٠)
١٢	التـــــبت	٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٠٠ ٠٠٠	١٠٪

ثانيا : في أفريقية :

م	القطر	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	كينيـــــا	١٥ ٣٢٧ ٠٠٠	٥ ٣٦٤ ٤٠٠	٣٥٪
٢	ليبريـــــا	١ ٧٨٠ ٠٠٠	٥٩٦ ٣٠٠	٣٣٪
٣	اوغنـــــدا	١٣ ٦٨٩ ٢٠٠	٤ ١٠٦ ٧٦٠	٣٠٪
٤	ملاجـــــاش	٨ ٧٤٢ ٠٠٠	٢ ١٨٥ ٥٠٠	٢٥٪
٥	موريشيـــــوس	٩٢٦ ٥٠٠	١٨٥ ٣٠٠	٢٠٪
٦	مـــــالاوي	٦ ١٢٣ ٠٠٠	١ ٨٣٦ ٩٠٠	٣٠٪
٧	زامبيـــــا	٥ ٦٧٩ ٨٠٠	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١٥٪
٨	زمبابـــــوي	٧ ٦٠٠ ٠٠٠	١ ٦٥٠ ٠٠٠	٢٠٪
٩	جمهورية أفريقية الوسطـــــى	٢ ٢٢١ ٠٠٠	٦٦٦ ٣٨٠	٣٠٪
١٠	الكنغو(برازفيـــل)	١ ٥٥٠ ٨٠٠	٣٢٢ ٥٠٠	٢٠٫٨٪

(٢٨) وفيها إقليم مورو الإسلامي الذي يجاهد لنيل حريته أمام الهجمة الصليبية الفلبينية.
(٢٩) باستثناء الأقاليم الإسلامية كانسو ويونان وتركستان ونينغ هسيا الخاضعة للصين.
(٣٠) انخفض هذا العدد في ظل الحكم الشيوعي إلى ٢٠٠ ألفا فقط.

م	القطر	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١١	زائـــــــير	٢٧ ٨٦٩ ٠٠٠	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٪١٠
١٢	بوروندي	٤ ١١١ ٣٠٠	١ ٠٢٧ ٨٠٠	٪٢٥
١٣	الجابون	١ ٠٢٧ ٥٠٠	٤٦٢ ٣٠٠	٪٤٥
١٤	غينيا الاستوائية	٣٠٠ ٠٠٠	٤٠ ٠٠٠	٪١٣,٣
١٥	انجـــــولا	٦ ٣٠٠ ٠٠٠	١ ٦٠٠ ٠٠٠	٪٢٥

ثالثا : في أوربا(٣١) :

م	القطر	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	فرنسا(٣٢)	١و١٠٠و٠٠٠	٪٢
٢	بريطانيا(٣٣)	١و١٢٠و٠٠٠	٪٢
٣	يوغسلافيا (السابقة)	٤و٥٠٠و٠٠٠	٪٢٠,١
٤	بلغاريا	١و٥٠٠و٠٠٠	٪١٦,٨
٥	بلجيكا	١٠٠و٠٠٠	٪١
٦	المانيا الغربية	١و٢٢٠و٠٠٠	٪٢
٧	ايطاليا	٥٩٠و٠٠٠	٪١
٨	هولندة	٤٠٠و٠٠٠	٪١
٩	شمال غرب أوربا(٣٤)	٦٥و٥٠٠	٪٠,٢٩

(٣١) انظر المسلمون العدد ١٤/١٨٦ محرم ١٤٠٩هـ /٢٦ أغسطس ١٩٨٨م.

(٣٢) فقد نشرت جريدة لوموند الباريسية في عددها الصادر ١٩٨٥/٤/٢م مقالا بعنوان في فرنسا ألوف المساجد ، وألف العمال المسلمون الأتراك في بوردو وضواحيها في أوائل مارس عام ١٩٨٥م جمعية إسلامية ، واستأجروا مكانا اتخذوه مسجدا لصلاتهم ، ويعلمون فيه أبناءهم القرآن الكريم ، والدين الإسلامي. (أخبار العالم الإسلامي الاثنين ٦ المحرم ١٤٠٦هـ)

(٣٣) وأما في بريطانيا فيوجد عدد كبير من المدارس الإسلامية ويطالب المسلمون باستقلال مدارسهم الإسلامية هناك. (المسلمون العدد ٣٧ ص ٥)

وفي أسبانيا انطلق صوت (الله أكبر) مرة أخرى بعد ٥٠٠ عام من خروج المسلمين من الأندلس. فتقرر بناء مسجد في مدريد بعد زيارة الملك فهد بن عبد العزيز لمدريد في فبراير عام ١٩٨٥م ، ويكون تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي. (المسلمون العدد ٤٣ص ١).

(٣٤) الدانمرك والنرويج والسويد وفنلندا.

١٠	اليونان	٢٢٠٫٠٠٠	٢٫٥٪
١١	رومانيا	٢٥٠٫٠٠٠	١٪
١٢	مالطة	٤٥٫٠٠٠	١١٪

رابعا : في العالم الجديد :

م	القطر	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	أمريكا الشمالية(٣٥)	٣٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠	٥٫٠٠٠٫٠٠٠	١٫٥٪
٢	أمريكا الجنوبية(٣٦)	٢٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠	٥٠٠٫٠٠٠	٠٫٥٪
٣	اوقيانوسيا(استراليا)(٣٧)	١٤٠٧٢٠٠٠٠٠	٢٨٠٫٠٠٠	٠٫٥٪

(٣٥) ويبلغ عدد المسلمين على أقل تقدير في الولايات المتحدة وحدها أربعة ملايين مسلم. وتبلغ عدد مدارسهم الإسلامية عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م أربعين مدرسة تعمل بنظام الدوام الكامل. (الشرق الأوسط العدد ٢٤٦٥/الأربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/٢٨/٨/١٩٨٥م.

في حين ذكر لويس فرخان زعيم المسلمين هناك أن عددهم تجاوز ٣٠ مليون نسمة ، وطالب بتكوين أمة خاصة بالمسلمين السود في أمريكا لحمايتهم من الاضطهاد. (المسلمون العدد ٥ السبت ١٨ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ/٥ مارس آذار ١٩٨٥م) ، وقد أخذت تظهر للمسلمين آثار هامة إقتصادية وسياسية ، وأخذ اليهود يخشون هذا التأثير فوصف عمدة نيويورك اليهودي (ادوارد كوتش) زعيم المسلمين لويس فرخان بالنازية أعداء اليهود (المسلمون العدد ٤١ ص ٢).

وفي كندا بلغ عدد المسلمين ١٥٠ ألفا معظمهم من الجاليات من البلدان الإسلامية (المسلمون العدد ١٧٥ ص ١١)

(٣٦) عقد المؤتمر الأول لمستقبل الدعوة الإسلامية في أمريكا الجنوبية - برازيليا - عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م برعاية رابطة العالم الإسلامي ، حيث بحث المشكلات التي تعترض جهود الدعوة والدعاة في المنطقة ، ودرس مستقبلها لوضع الأسس الثابتة لنشاطها وانتشارها وإيجاد سبل التنسيق والتعاون بين الجمعيات والمراكز والمؤسسات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة ، وبناء قنوات الاتصال بين مسلمي أمريكا الجنوبية ومسلمي العالم. (أخبار العالم الإسلامي الاثنين ١٦ محرم ١٤٠٦هـ/٣٠ سبتمبر ١٩٨٥م) ، المسلمون العدد ٣٨ ص ٦-٧ ، المسلمون العدد ٣٧)

وبذلك يزيد عدد الأقليات الإسلامية على ٢٥٠ مليون نسمة ، فيصل عدد المسلمين إلى أكثر من مليار نسمة في العالم بأجمعه[١].

---

(٣٧) دخلها الإسلام عام ١٨٥٠م على يد الأفغان الذين استقدموا مع الإبل المستخدمة في النقل والكشوف الجغرافية ، فأسسوا العديد من المصليات عبر طرق القوافل التي سلكوها ، كما بلغ عدد المساجد عشرة. ثم دخلها الإسلام من رافد آخر عن طريق هجرة المسلمين من أقطار عديدة مثل (غينيا الجديدة ، أندونيسيا ، باكستان ، الهند ، تركيا ، لبنان ، قبرص ، ألبانيا ، ويوغسلافيا) إلى استراليا. وقد بدأت هذه الهجرة عام ١٣٣٤هـ. فازداد عدد المسلمين.

ويبذل جهد كبير للعناية بالمسلمين هناك منذ أن قدم الملك خالد بن عبد العزيز مليون دولار مساعدة منه للمسلمين باستراليا لبناء المدارس. كما قدمت دول الخليج مساعدات مادية وثقافية جيدة ، (جريدة المدينة ـ الأحد ـ رجب ١٤٠١هـ) كما أسهمت المملكة العربية السعودية في إنشاء ٤٥ مركزا إسلاميا عام ١٤٠٦هـ. والحكومة الاسترالية لا تعوق الدعوة الإسلامية ، ولكن اليهود وهم يسيطرون كليا على دور الصحف وجميع وسائل الإعلام ورأس المال ، يقفون في وجه الدعوة. (المسلمون العدد ١٤٢/ ١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/٢٣ نوفمبر ١٩٨٥م).

(٣٨) وتواجه الأقليات الإسلامية أربع دوائر للخطر هي : الصليبية : التي تمارس لونين من الغزو العسكري والفكري ، كما يحدث في الفلبين وأوغندا ، ودول الهند الصينية والافريقية.

والصهيونية : وهي سرطان الأمة الإسلامية ، وتحاول جاهدة تحجيم الوضع الإسلامي أيا كان حجمه في مختلف أجزاء العالم.

والشيوعية : التي تحارب الإسلام بعنف وتعمل على إبادته كما في الاتحاد السوفيتي ، والصين الشعبية ، ودول شرق أوربا ، والدول الأخرى التي اتخذت الماركسية واللينينية منهجا لها.

وأخيرا الهندوكية والبوذية : التي تمارس أعمالها بتشجيع من الدوائر الثلاث السابقة على مسلمي الهند وبورما ودول جنوب شرق آسيا.

وقد بدأ الاهتمام الرسمي بالأقليات الإسلامية عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م حين رفع المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس صوته احتجاجا على اضطهاد المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، ثم نداء التضامن الذي وجهه الملك فيصل بن عبد العزيز عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. وبدأت تأخذ مكانتها في المؤتمرات الإسلامية الدولية ـ مؤتمر العالم الإسلامي ـ ومؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية ، وجهود رابطة العالم الإسلامي ، ومعهد شئون الأقليات المسلمة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة وإذاعة نداء الإسلام في مكة. (الأقليات الإسلامية في آسيا واستراليا ـ سيد عبد المجيد ص ٩)

الفصل الثاني

أهمية العالم الإسلامي[1]

يتمتع العالم الإسلامي بمميزات متعددة أكسبته أهمية كبيرة ، كما جعلته موطن الصراع بين القوى العالمية المختلفة ، ومن هذه المميزات:

أولا : موقعه الاستراتيجي : ـ العسكري الحساس ـ:

فهو يشغل قلب العالم القديم (آسيا ، وافريقيا ، واوربا) ويمتد على مسافة تقدر بنحو ٢٠ ألف كم من الشرق إلى الغرب ، (من ايريانا في أندونيسيا إلى جزر الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي). كما يبلغ امتداده من الشمال إلى الجنوب أكثر من سبعة آلاف كيلو مترا ، من جبال الآرال شمالا إلى موزمبيق جنوبا. فيشرف بذلك على الأذرع المائية من البحار والمحيطات ويتحكم في منافذها الهامة.

فالبحار الهامة التي يشرف عليها العالم الإسلامي هي :

١ـ البحر الأبيض المتوسط : وهو من أهم بحار العالم من حيث القيمة التاريخية والتجارية ، وتشغل أرض الإسلام ساحله الجنوبي وساحله الشرقي وبعض سواحله الشمالية ـ إلبانيا وآسيا الصغرى ـ وكان في العصور الوسطى بحيرة إسلامية ، وازدادت أهميته في العصور الحديثة بعد شق قناة السويس وبعد انتشار المواصلات الجوية ، حيث أصبح طريقا إجباريا للطيران التجاري الجديد.

---

(١) رجعت في هذا الفصل إلى الكتب التالية بالإضافة إلى التي ذكرت في الحواشي :

أ ـ البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر. د.محمد السيد غلاب. وآخرون.

ب ـ اقتصاديات العالم الإسلامي. محمود شاكر.

ج ـ جغرافية الشعوب الإسلامية. د.يسري عبد الرازق الجوهري.

د ـ جغرافية العالم الإسلامي. د.صلاح الدين على الشامي وزميله.

هـ ـ جغرافية العالم الإسلامي. محمود طه أبو العلا.

و ـ العالم الإسلامي المعاصر. جمال حمدان.

ز ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية. محمود شاكر.

ح ـ المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية. محمود شاكر.

٢ـ **البحر الأحمر** : وهو بحر إسلامي ، يمتلك المسلمون سواحله كلها ، وقد ازدادت أهميته بعد اتصاله بالبحر الأبيض المتوسط بقناة السويس. فأصبح أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم ، باعتباره حامل البترول ومعبر التجارة الأساسية ومجال تدفق القوة العسكرية مابين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلسي وبين المحيط الهندي والمحيط الهادي(٢).

ويبلغ طوله ٣٣٨٤كم ومتوسط عرضه ٢٤٠كم ، ويقترب عند بدايته في الجنوب حيث مضيق باب المندب فلا يتجاوز الفاصل المائي ٣٣كم مما يسهل العبور بين جنوب غرب آسيا وشرق افريقيا(٣).

٣ـ **بحر العرب** : الذي يمتد من مضيق باب المندب إلى الهند ، ويمتلك المسلمون سواحله جميعها.

٤ـ **الخليج العربي** : وهو بحيرة إسلامية. تشرف عليه سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية وإيران والعراق.

٥ـ **البحر الأسود** : وهو كذلك بحيرة إسلامية قبل أن يمتد الروس إلى بقاعه وسواحله الشمالية. بموجب معاهدة كوجك قينارجي عام ١٧٧٤م ، حيث أصبح لهم منفذ مباشر عليه. وحصلوا على حق المرور بسفنهم في المضائق(٤).

٦ـ **بحر البنغال** : وتقع عليه بنغلاديش ، وإقليم أراكان الإسلامي في بورما.

٧ـ **بحر الصين الجنوبي** : ويطل عليه العالم الإسلامي من جهة ماليزيا الشرقية ، وبروني ، وبورنيو الاندونيسية ، ومورو في جنوب الفلبين.

وأما المحيطات الهامة فهي :

١ـ **المحيط الأطلسي** : ويمتلك المسلمون معظم سواحل إفريقيا الغربية المطلة على هذا المحيط من طنجة شمالا حتى خليج غينيا جنوباً.

٢ـ **المحيط الهندي** : ويمتلك المسلمون قسطا كبيرا من ساحل افريقيا الشرقية (الصومال وتنزانيا) المطلة على هذا المحيط ، كما يمتلكون شواطيء آسيا الجنوبية من باب المندب ، إلى كراتشي (بحر العرب) ، وشواطيء ماليزيا ، واندونيسيا.

٣ـ **المحيط الهادي** : ويطل عليه العالم الإسلامي من خلال بعض جزر اندونيسيا والفلبين.

---

(٢) صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي. ص ٧٦.

(٣) الجغرافية التاريخية لحوض البحر الأحمر ص ٩. أمين عبد الله.

(٤) النعيمي ص ٦١.

وأما أهم المنافذ المائية التي يتحكم فيها العالم الإسلامي فهي :

١ـ **مضيق جبل طارق** : ويتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط.

٢ـ **مضيق بنزرت** : الذي يحكم اتصال حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي بحوضه الشرقي.

٣ـ **مضيق الدردنيل والبوسفور** : وبينهما بحر مرمرة ، ويحكمان اتصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود.

٤ـ **قناة السويس** : وهي من أهم المنافذ المائية الاصطناعية في العالم ، وتحكم اتصال البحر المتوسط بالبحر الأحمر.

٥ـ **مضيق باب المندب وخليج عدن** : ويحكمان اتصال البحر الأحمر ببحر العرب والمحيط الهندي.

ومضيق باب المندب (أو بوابة الدموع) لايزيد اتساعه عن (**٣٣كم**) تقسمه جزيرة (ميون) أو (بريم) إلى قسمين ، ضيق من جهة الشرق (**٣كم فقط**) والباقي من جهة الغرب(٥).

٦ـ **مضيق هرمز وخليج عمان** : ويحكمان اتصال الخليج العربي بالمحيط الهندي.

٧ـ **مضيق ملقا وسنغافورة** : ويحكمان اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي والمحيط الهادي.

كل ذلك اكسب العالم الإسلامي أهمية استراتيجية وعسكرية لها خطورتها في ميزان القوى العالمية ، وهذا يفسر لنا الاضطرابات والخلافات الحادة بين الدول ذات النفوذ على العالم الإسلامي ، فهي تعمل على ابقائه مضطربا وتعمل على إثارة المشاكل حتى يبقى ممزقا يسهل التحكم فيه ، وبذلك نفسر الأسباب التي جعلت الدول الكبرى تثير النزاعات بين أقطار المغرب العربي ، ومشكلة تشاد ، وجنوب السودان ، وقضايا المسلمين في اثيوبيا واريتريا والصومال ، والنزاع بين اليمن الشمالي والجنوبي، والحرب العراقية الإيرانية وامتداد آثارها ثم الحرب الخليجية وأزمة لبنان، وزرع اليهود في فلسطين، والنزاع بين أندونيسيا وماليزيا، وانفصال بنغلاديش عن باكستان، وغزو أفغانستان. إذ كان يحاول المعسكران

---

(٥) صراع القوى العظمى ص ٨٠.

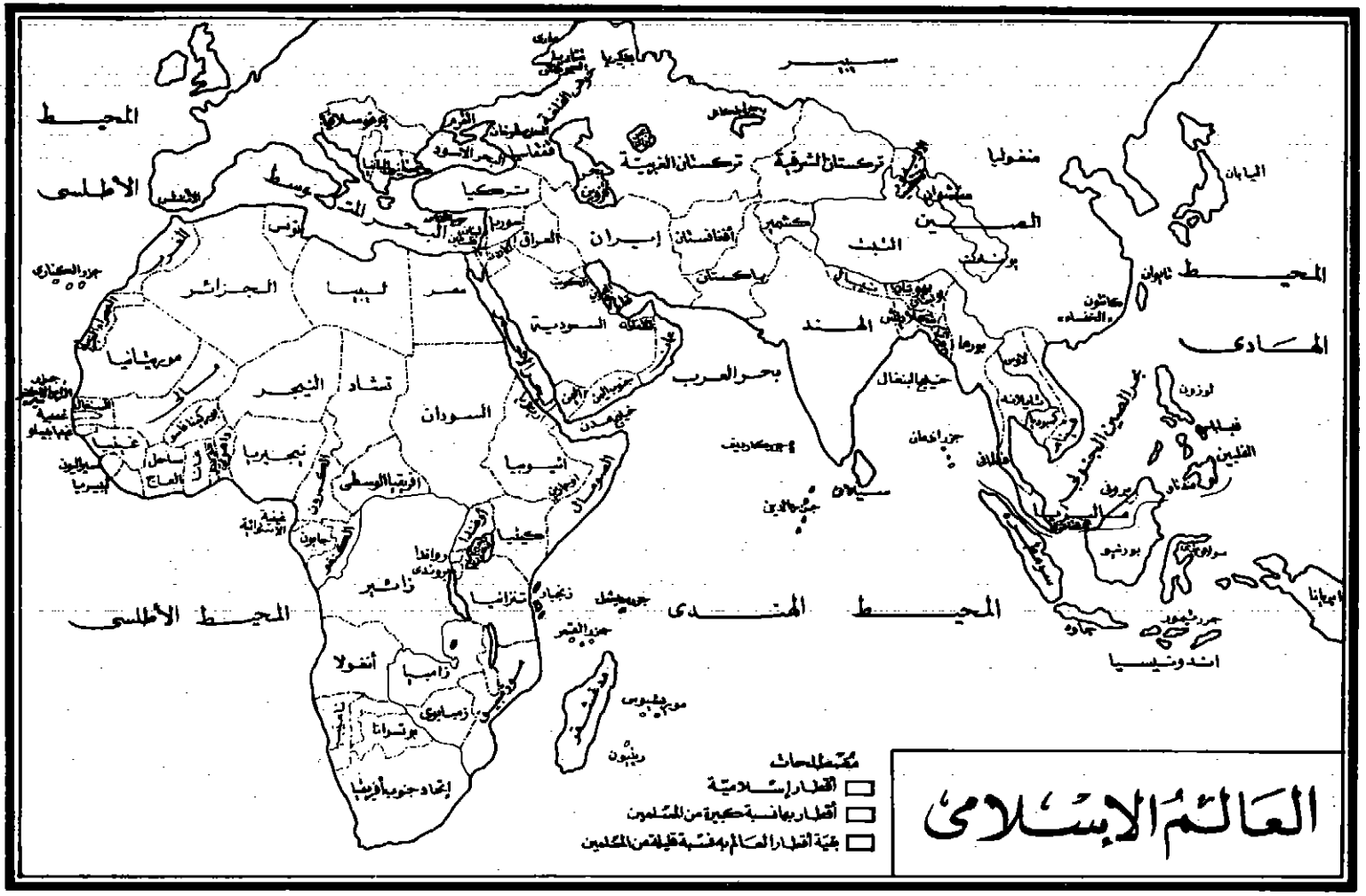
العالم الإسلامي
مفتاح الخريطة
أقطار إسلامية
أقطار بها نسبة كبيرة من المسلمين
بقية أقطار العالم بها نسبة قليلة من المسلمين
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
المحيط الهادي
البحر الأبيض المتوسط
البحر الأحمر
بحر العرب
الخليج العربي
تركيا
إيران
العراق
سوريا
لبنان
الأردن
السعودية
مصر
ليبيا
الجزائر
تونس
المغرب
موريتانيا
مالي
النيجر
تشاد
السودان
نيجيريا
غانا
ساحل العاج
غينيا
سيراليون
ليبيريا
إثيوبيا
الصومال
كينيا
أوغندا
رواندا
بوروندي
زائير
تنزانيا
أنغولا
زامبيا
زمبابوي
موزمبيق
مدغشقر
جزر القمر
موريشيوس
ريونيون
جنوب إفريقيا
ناميبيا
بوتسوانا
أفغانستان
باكستان
الهند
بنغلادش
بورما
سريلانكا
جزر المالديف
تايلاند
ماليزيا
سنغافورة
إندونيسيا
بروناي
الفلبين
الصين
منغوليا
تركستان الشرقية
تركستان الغربية
كشمير
التبت
اليابان
كوريا الشمالية
كوريا الجنوبية
تايوان
هونغ كونغ
فيتنام
لاوس
كمبوديا
جزر الكناري
جزر الأزور
جزر الأنتيل
جزر الفلبين
جزر الهند الشرقية
جزر اليابان

الشيوعي والغربي على منع الوحدة والتعاون بين أجزاء العالم الإسلامي بأي ثمن، وهذا ما كان يتفق عليه المعسكران وإبقاء المنطقة منطقة صراع على النفوذ، وقودها أهلها وإمكانياتها الهائلة التي تذهب هدراً ولمصلحة الغرب ومصانعه!!.

ثانيا : وفرة الثروات في العالم الإسلامي وتنوعها :

يمتاز العالم الإسلامي بأهميته الاقتصادية بما حباه الله من ثروات متنوعة زراعية ومعدنية وحيوانية وهذه فكرة موجزة عن هذه الثروات :

١ـ الثروات الزراعية :

يحوي العالم الإسلامي أراضي زراعية واسعة ، وتجري فيه كثير من الأنهار الهامة منها : نهر النيل والنيجر والملوية والسوس في افريقيا ، ودجلة والفرات والسند والغنج وسرداريا (سيحون) وامودايا (جيحون) والعاصي والليطاني والأردن في آسيا. بالإضافة إلى مياه العالم الإسلامي الجوفية الكثيرة.

ولاتساع العالم الإسلامي يتنوع مناخه ، الأمر الذي يؤدي إلى تنوع الثروات الزراعية ، والذي يؤدي بدوره إلى التكامل الزراعي الذي لايتوفر لأي عالم غير عالم الإسلام. وهذا بدوره يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي.

ومن الممكن إجمال الأقاليم المناخية الإسلامية فيما يلي:

أـ المناخ الاستوائي : حار ماطر طوال العام ، غاباته كثيفة ، ويسود في الملايو وأكثر الجزر الأندونيسية وجنوب السودان.

بـ المناخ الموسمي : حار ماطر صيفا ، وغاباته كثيفة ، ويسود في بنغلاديش ، واليمن ، وعمان ، ونيجيريا ، وساحل خليج غينية ، وهضبة الحبشة.

جـ المناخ السوداني : حار ، أمطاره صيفية وأقل من أمطار المناخ الموسمي وتنمو فيه الأعشاب الطويلة ـ السفانا ـ التي تصلح كمراعي. يسود في السودان ، وتشاد ، والنيجر ، ومالي ، والسنغال.

دـ المناخ المعتدل الدافيء : (مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط) ويسود على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية ، والشرقية ، والشمالية.

هـ المناخ القاري : وهو إما صحراوي حار في الصحراء الافريقية الكبرى ، وشبه جزيرة العرب ، وجنوب إيران ، وجنوب باكستان ، وصحراء ثار في الهند. أو صحراوي بارد في هضبة إيران ، وهضبة الأناضول ، والتركستان.

ومن الغلات الزراعية الهامة في العالم الإسلامي :

١ـ الأرز : في ماليزيا ، وبنغلاديش ، وباكستان ، ومصر ، واندونيسيا.

٢ـ **القمح** : في إيران ، وافغانستان ، وتركيا ، وباكستان ، والشام ، ومصر ، والعراق ، وأقطار المغرب العربي. وقدمت المملكة العربية السعودية كثيرا من الدعم للمزارعين حتى أوشكت أن تصل إلى الاكتفاء الذاتي في انتاجه بل وتمد غيرها من الأقطار الإسلامية.

٣ـ **الخضروات والفواكه** : في اقليم البحر الأبيض المتوسط. والموز في الصومال ، وافريقية الغربية ، والحمضيات في تركيا ، وشمال افريقيا ، وبلاد الشام وخاصة فلسطين ، ونخيل التمر ، في المناطق الصحراوية.

٤ـ **القطن** : وينتج العالم الإسلامي أنواعه المختلفة:

طويل التيلة : في مصر والسودان.

ومتوسط التيلة : في تركيا ، وباكستان ، وأفغانستان ، وإيران.

وقصير التيلة : في المغرب العربي ، وباكستان.

ويزرع القطن في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي في إقليم تركستان في وادي سرداريا ، وأموداريا ، وفي أذربيجان ، وداغستان غربي بحر قزوين ، وتنتج هذه المنطقة لوحدها أكثر من إنتاج دول العالم الإسلامي مجتمعة.

ويصل انتاج العالم الإسلامي إلى ٤٠٪ من الانتاج العالمي للقطن. وتستغل بذور القطن في صناعة زيت القطن.

٥ـ **الحبوب الزيتية** : لصناعة الزيوت النباتية كالسمسم في مصر ، والسودان ، وإندونيسيا ، وتركيا ، والفول السوداني في السودان ، ونيجيريا.

٦ـ **الأشجار الزيتية** : كزيت النخيل ، وجوز الهند ، في اندونيسيا ، وماليزيا ، وبنغلاديش ، والزيتون في اقليم البحر الأبيض المتوسط.

٧ـ **قصب السكر** : في باكستان وإندونيسيا وبنغلاديش ومصر.

٨ـ **بنجر السكر** : في تركيا وسوريا وإيران وأفغانستان.

٩ـ **المطاط** : من محاصيل الأشجار الغابية في الاقليم المداري وتنتج نيجيريا ٧٢٪ من الانتاج العالمي. كما تنتجه كل من إندونيسيا والملايو.

١٠ـ **الغلات العلفية** : كالذرة ، والشعير ، والبرسيم ، والشوفان ، في كثير من البلدان الإسلامية التي تربي الأبقار.

٢ـ **الثروات الحيوانية** :

في العالم الإسلامي مراعي طبيعية واسعة :

أـ **السفانا** : وهي الحشائش التي تتخللها الأشجار وتوجد على نطاق ضيق

في بعض الأجزاء الغربية من باكستان ، والأجزاء الشرقية من جزيرة جاوة ، وبعض جزر اندونيسيا الشرقية ، والسودان ، ومالي ، وتشاد ، وشمال شرق نيجيريا.

ب ـ **الأستبس** : وهي السهوب ذات الحشائش الخالية من الأشجار وتوجد في مالي ، وموريتانيا ، والنيجر ، ووسط السودان ، والصومال ، والجزائر ، والمغرب ، والتركستان ، وهضبة الأناضول ، وبعض أجزاء هضبة إيران.

ج ـ **الكلأ الصحراوي** : وهي الأعشاب الشوكية والشجيرات القصيرة ، وتوجد في الصحراء الكبرى الافريقية ، والصومال ، وشبة جزيرة العرب ، وهضبة إيران ، وجنوب تركستان.

ولوجود مثل هذه المراعي تنتشر في العالم الإسلامي تربية الإبل ، والماعز ، في الصحراء العربية ، والخيول ، والأغنام ، والجمل ذو السنامين ، والياك (وهو حيوان يشبه البقر) في تركستان. والإبل ، والبقر ، والماعز ، والأغنام، في أفغانستان وإيران. والخيل، والبقر، والماعز، من نوع الأنجورا المشهور بشعره الجيد في تركيا. والإبل، والأغنام، والماعز في الصحراء الأفريقية.

وهناك تجربة ناجحة للمملكة العربية السعودية رائدة في استغلال الصحارى وتحويلها إلى جنات تربي فيها أنواع مختلفة من الحيوانات.

٣ـ الثروة المائية وصيد البحر :

يطل العالم الإسلامي بجبهات طويلة على مسطحات الماء لمجموعة من البحار التي تتوغل في جسم اليابس ، على شكل خلجان ، وأذرع كبيرة كما بينا ، كما أنه يحوي على أنهار كبيرة ، وبحيرات ، وبحار داخلية ، كبحر قزوين ، كل ذلك جعل العالم الإسلامي غنيا بالثروة المائية ، وصيد البحر ، ولكن استغلاله لهذه لثروات قليل في الوقت الحاضر.

ومن أهم هذه الثروات :

أ ـ **الأسماك** : وتستغلها اندونيسيا ، وباكستان ، وتركيا ، وماليزيا ، ومصر ، الممكلة العربية السعودية ، ومملكة المغرب(٦).

ذكرت دراسة علمية أجراها معهد علوم البحار والمصايد المصري بالأكاديمية المصرية للبحث العلمي والتكنولوجيا أن انتاج الدول العربية بالبحر المتوسط من الأسماك. وهي لبنان ، وسورية ، ومصر ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ـ بلغ ٤٠٪ من الانتاج الكلي للبحر المتوسط لعام ١٩٨٤م (جريدة الشرق الأوسط ص ٤ الأحد ١٨/١/١٩٨٥م)

ب- **الأسفنج** : ويصاد من أعماق تتراوح بين ٦ أقدام و١٥ قدما ،ويكثر صيده بالقرب من سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية ، وسواحل البحر الأحمر.

ج- **اللؤلؤ** : ويصاد من مياه الخليج العربي ، وبالقرب من سواحل باكستان ، وبعض مناطق البحر الأحمر. وكانت له شهرة تاريخية كبيرة ، وقد أخذت أهميته الإقتصادية تتدهور أخيرا تحت ضغط منافسة اللؤلؤ الصناعي الرخيص الثمن.

٤- الثروة المعدنية :

والعالم الإسلامي غني بمعادنه المستغلة والغير مستغلة والأحتياطية ، وسنذكر أهمها :

أ- **البترول والغاز الطبيعي** : وتحتل دول العالم الإسلامي المركز المتفوق والمرموق في مجال إنتاجه واحتياطيه الذي يقدر باكثر من ٧٥٪ من احتياطي العالم كله. وأهم المناطق الإسلامية لانتاجه :

١- منطقة الخليج العربي : المملكة العربية السعودية ، والعراق ، وإيران ، والكويت ، وقطر ، وعمان ، والإمارات العربية.

٢- منطقة جنوب شرق آسيا : وهي ماليزيا ، وأندونيسيا ، وسلطنة بروني.

٣- منطقة قفقاسيا بين بحر قزوين والبحر الأسود ، وتستغله روسيا.

٤- منطقة خليج السويس : مصر.

٥- منطقة شمال افريقيا : ليبيا ، والجزائر.

٦- منطقة غرب افريقيا : نيجيريا والكمرون وتوجو.

وكانت الشركات الأجنبية تتلاعب كما تشاء في إنتاجه وتسويقه ، إلى أن تكونت منظمة الدول المصدرة للبترول - الأوبك - عام ١٩٦٠م. فحافظت على المستوى المناسب للأسعار وجردت شركات الاستثمار من التلاعب بحقوق الدول المنتجة له إلى حدّ ما. وقد استخدم الملك فيصل بن عبد العزيز سلاح

البترول في حرب عام ١٩٧٣م[٧]. وكان ناجعاً ناجحاً.

وهذه الدول العشر الأوائل في احتياطي البترول الثابت وجوده حتى نهاية عام ١٩٨٥م بملايين الملايين[٨] :

١ -	المملكة العربية السعودية	١٦٩و١٩٠
٢ -	الكويت	٩٢و٤٦٤
٣ -	الاتحاد السوفيتي	٦١و٠٠٠
٤ -	المكسيك	٤٩و٣٠٠
٥ -	إيران	٤٧و٨٧٦
٦ -	العراق	٤٤و١١٠
٧ -	أبو ظبي	٣١و٠٠٠
٨ -	الولايات المتحدة	٢٨و٠٠٠
٩ -	فنزويلا	٢٥و٥٩١
١٠ -	ليبيا	٢١و٣٠٠

وهكذا يظهر بوضوح أهمية العالم الإسلامي في احتياطي البترول ، كما في انتاجه.

ب- الفوسفات : ويستعمل لصناعة الأسمدة ، وتنتجه كل من المغرب ، والجزائر ، وتونس ، والسنغال ، ومصر ، والأردن ، وسوريا.

ج - الكوبلت : من معادن السبائك الهامة، ويمنع الصلب من الصدأ، كما يتحمل درجة الحرارة العالية جداً، فتصنع منه الآلات في الطائرات النفاثة، والآلات التي تدخل في صناعة الأسلحة الذرية. والمملكة المغربية هي رابع دولة في العالم في إنتاجه.

---

(٧) أدرك العالم الغربي وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية أهمية استخدام سلاح البترول لمصلحة البلاد الإسلامية بعد أن شهدت نجاحه عام ١٣٧٣هـ/١٩٧٣م. فلجأت إلى عملية تخزين البترول لتوجد المنافسة بين أعضاء أوبك فتنهار. كما عمدت إلى ابتزاز إيراد البترول مقابل الأسلحة التي تمد بها الأطراف الإسلامية التي أثارت بينها النزاع كالحرب العراقية الإيرانية ثم الحرب الخليجية. وقد عمدت القوى العالمية على استمرار هذا الصراع ليبقى نزيفاً بشرياً ومالياً للعالم الإسلامي. وإفراغ المنطقة من قوتها المالية والعسكرية ليسهل إبقاء السيطرة عليها، ودورانها في فلك النفوذ الأجنبي!

وقد بلغ انتاج مجموعة أوبك قمته من البترول عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م فكان:

٣١٥و٧٣٩و٠٠٠ مليون برميل في اليوم ، ثم بدأ يتناقص بعد ذلك إلى أن بلغ عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ١٦و٥٨٠و٠٠٠ مليون برميل في اليوم. (الشرق الأوسط ١١ محرم ١٤٠٩هـ/٣٠/٨/١٩٨٨م عن: Oil and Gas Journal Various Issues

٨) أرامكو - حقائق وأرقام ، عام ١٩٨٥ ، ص ٢١ ، نشرة سنوية.

د- الكروم : وهو معدن يستعمل في صناعة السبائك المعدنية ، والعالم الإسلامي ينتج ٤٥٪ من انتاج العالم منه. وتنتجه كل من : تركيا ، وإيران ، وباكستان ، والسودان.

هـ- الحديد : في ماليزيا ، وتركيا ، وإيران ، وباكستان ، ومصر ، وغينيا ، وموريتانيا ، والمغرب ، والجزائر ، وتونس.

و- القصدير : وهو معدن تحتاجه الصناعات المعدنية الهامة فهو يشترك مع النحاس لتكوين البرونز ، ويستعمل في صناعة الصفيح ، والعلب التي تحفظ المأكولات ، وفي عمليات اللحام ، والسبائك البرونزية. وينتج العالم الإسلامي أكثر من نصف الانتاج العالمي من بلدان : ماليزيا ، واندونيسيا ، وأقطار المغرب العربي ، وإيران ، وتركيا ، ونيجيريا.

ز- المغنيز : ويدخل في صناعة السبائك ، والصلب ، وفي الصناعات الكيمائية. وأهم البلدان المنتجة له : مصر ، والمغرب ، وتركيا.

ح- الرصاص : في إيران ، وتركيا ، والمغرب ، والجزائر ، وتونس.

ط- أملاح الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والبروم والمغنيزيوم - الأملاح المعدنية - : وأشهر أماكن استغلال هذه الأملاح الهامة : البحر الميت ، حيث يقوم العدو الصهيوني باستغلالها في فلسطين.

ومن المعادن الهامة الأخرى في العالم الإسلامي : الكولمبايت وتنتج منه نيجيريا ٩٠٪ من الانتاج العالمي ، وهو يستغل بعد خلطه بمعادن أخرى في صناعة محركات الطائرات النفاثة. كما توجد معادن : الذهب ، والنحاس ، والتيتانوم ، والتنجستن ، والفحم الحجري ، واليورانيوم.

٦- الثروة الصناعية :

إن مابيناه من ثروات تتيح للعالم الإسلامي الفرصة في أن يصبح عالما صناعيا ، إذ تتوفر فيه مقومات الصناعة وهي :

أ- توفر المواد الخام : من مواد زراعية ، ومعدنية ، وحيوانية ، وغابية.

ب- توفر مصادر الطاقة - القوى المحركة - من بترول ، وغاز طبيعي ، ومساقط مياه التي تولد الكهرباء المائية ، والفحم الحجري ، والطاقة الشمسية.

ج- توفر رؤوس الأموال وخاصة في البلدان المنتجة للبترول.

د- توفر الأيدي العاملة وخاصة في اندونيسيا ، وبنغلاديش ، وباكستان ، ومصر ، وسوريا ، وتونس.

هـ توفر الأسواق الاستهلاكية : الداخلية لاتساع العالم الإسلامي وكثرة سكانه. والخارجية لسهولة المواصلات التي تصل العالم الإسلامي بغيره.

ثالثا : العالم الإسلامي مركز المواصلات العالمية :

البرية والبحرية والجوية والسلكية واللاسلكية، ويعود ذلك إلى:

أ- موقع العالم الإسلامي في قلب العالم القديم - آسيا وأفريقيا وأوروبا - وتوسطه بالنسبة للعالم القديم والجديد - أو أمريكا الشمالية ، والجنوبية ، واستراليا.

ب- إشرافه على البحار والمحيطات العالمية الهامة.

ج- توفر مواد الوقود ، والموانى الجوية والبحرية.

د- صفاء أجوائه معظم أيام السنة الذي اجتذب خطوط الطيران العالمية.

وقد زادت هذه الأهمية بشق قناة السويس التي سهلت اتصال الشرق بالغرب بحرا وقلصت المسافات إلى حد كبير.

وهكذا تتبين أهمية العالم الإسلامي. إذ أعلن مسئول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م : « العالم الإسلامي عملاق مقيد ، لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافا تاما ، وهو حائر قلق ، ضائق بتخلفه وانحطاطه ، وإن كان يعاني من الكسل والفوضى ، غير أنه راغب في مستقبل أحسن ، وحرية أوفر. وعلينا أن نبذل كل جهودنا حتى لاينهض ويحقق أمانيه !!. ذلك إن فشلنا في تعويق نهضته يعرضنا لأخطار جسيمة ، ويجعل مستقبلنا في مهب الريح..

إن صحوة العالم العربي ، ومايتبعه من قوى إسلامية كبيرة نذير بكارثة للغرب ، ونهاية لوظيفته الحقيقية في قيادة العالم »(٩).

---

(٩) فتحي لاشين - الاقتصاد الإسلامي ص ٣٢

الباب الثاني

عوامل ضعف العالم الإسلامي

الفصل الأول : العوامل الداخلية

الفصل الثاني : العوامل الخارجية

الفصل الثالث : نتائج التحديات الداخلية والخارجية

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها الأليم

غير الإسلام مجرى التاريخ كله. وقطع مابين الحضارات الوثنية مثل حضارة الفراعنة ، والرومان ، والفرس ، والهنود الوثنية ، وربط بين الحنيفية الابراهيمية ورسالة محمد ﷺ ، بعد أن كانت تلك الحضارات الوثنية قد طغت على الحنيفية الابراهيمية ، فأعاد الإسلام السلسلة - سلسلة النبوات وأوجد حضارة متصلة برسالات السماء ، من لدن آدم عليه السلام ، إلى محمد ﷺ ، فكان كما قال ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كرجل بنى بيتا فجمله وحسنه ، إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه ، فكان الناس يطوفون بالبيت ، ويعجبون ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم المرسلين »(١).

فكان العصر الوسيط ، والنهضة الأوربية ثمرتين من ثمار الإسلام. فكان من الطبيعي والحالة هذه أن يواجه الإسلام التحديات العاتية من أول ظهوره ، التحديات الوثنية ، واليهودية والنصرانية ، والمجوسية ، وأن تتعرض أمة الإسلام إلى كثير من التحديات الداخلية والخارجية أثناء مسيرة الإسلام ، وأثبت الإسلام قدرته على البقاء والاستمرار ، والتمدد ، فما دخل في أرض وخرج منها ، وما استطاعت الأزمات أن تقضي عليه ، أو تجعله ينهار ، وظل محتفظا بذاتيته الخاصة الواضحة ، عن غيره من النحل ، والأديان(٢).

نعم واجه الإسلام منذ ظهوره في مكة إلى أن قامت دولته في المدينة التحديات : تحدي وثنية قريش ، وتحدي أهل الكتاب من اليهود ، والنصارى ، داخل شبه الجزيرة ، وخارجها، وتغلب على هذه التحديات ، وامتد شرقا وغربا في عهد الخلفاء الراشدين ، وتعرض إلى محن داخلية إذ تمكن عبد الله بن سبأ اليهودي ومن هم على شاكلته من بذر التناقضات بين المسلمين ، ووسعوا هذه التناقضات ، فأدى ذلك إلى امتشاق الحسام ، واستمرت الأحداث زمن الأسرة الأموية ، واشتد التحدي من الداخل ، بين الإسلام وبين من تظاهر بالإسلام ، من أهل الكتاب ، ومن الفرس ، والمجوس. وكانت الأمة من الوعي على دينها ، ومن القوة في إيمانها ، والتمسك بعقيدتها ، بحيث فوتت على أصحاب الشر والفساد أهدافهم ، فسار الإسلام رغم ماأصاب المسلمين من جراح قدما ، إلى أن بدأت

(١) صحيح البخاري ج٣ ص ٣٠٠ كتاب المناقب. باب خاتم النبيين ﷺ/مسلم ج٤ ص ١٧٩٠. كتاب الفضائل. باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٢) التحديات ص ١٠١. أنور وجدي.

عقيدتهم تضعف ، وبدأ الزيغ يدخل نفوسهم ، فأصابهم التغير ، فقادهم إلى الضعف ـ مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾(٣). فكانت العوامل الداخلية أهم من العوامل الخارجية التي أثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيه المجيد إلى حاضره الأليم. فحينما كانت الأمة خاضعة خضوعا تاما لسلطان الإسلام ، حكمها ينبثق عن قانونه ، ومجتمعها يقوم على نظامه ، وأخلاقها مستلهمة من روحه ، عزت وتوحدت وأصابها الغنى ، وحينما أخذت هذه الأمة في الغربة عن الإسلام أصابها الفرقة والضعف والتخلف ، وسنتناول فيما يلي العوامل الداخلية ثم الخارجية ، تلك التي أسهمت في نقل المسلمين من ماضيهم المجيد إلى حاضرهم الأليم ونتائج ذلك في ثلاثة فصول :

---

(٣) سورة الرعد الآية ١١.

الفصل الأول

العوامل الداخلية

١ـ انشقاق المسلمين إلى فرق : فقد نجحت القوى الحاقدة على الإسلام ، المتسللة في صفوف المسلمين ، في شق المسلمين وصدعهم. فظهرت فرق الخوارج وفرق الشيعة وقد ناهضت كل منهما أهل السنة والجماعة ، فعمل ذلك على تبديد طاقة المسلمين المادية والعسكرية والفكرية بتوجيهها إلى داخلهم في صراعات دامية. كما ظهرت فرق أخرى كالمرجئة والجهمية ، والمعتزلة ، وغيرها ، أقلقت بال المسلمين وشغلتهم.

٢ـ اشتغال المسلمين بالفلسفة وعلم الكلام : اشتغل بعض المسلمين في العصر العباسي الأول (١٣٢ ــ ٢٣٢هـ) بترجمة العلوم اليونانية ، والهندية ، إلى اللغة العربية. ثم انحرف هذا الاتجاه إلى ترجمة الفلسفة الإلهية الاغريقية ، فدخلت الحياة الفكرية في العالم الإسلامي(٤).

فانشغلوا بما لاينفعهم في دنيا أو آخرة ، وبأمور جانبية ، وكان ابن المقفع ، وحنين بن إسحق ، وثابت بن قرة ، وأضرابهم من الذين حملوا لواء العمل في الترجمة قد استهدفوا غاية خطيرة هي العمل على تسلل مذاهبهم وأديانهم إلى المسلمين ، وكان القسم الأكبر من هؤلاء النقلة من السريان ، والأقل من اليهود ، فنقلوا مانقلوه وفق أهواء خاصة ، وأكثرهم لم تكن غايته البحث عن الحقيقة ، بل كان همهم الدعوة إلى شيعتهم ، وتزيين أهوائهم الدينية ، وإدخال ما ليس في الإسلام فيه. لذلك كانوا يغيرون ويبدلون في النصوص التي بين أيديهم خدمة لأغراضهم. وظهر علم الكلام متسلحا بالمنطق الذي كان الوسيلة لتنمية القدرات العقلية للفيلسوف حتى يتأهل للتلقي عن العقل الفعال.

وقد ذم بعض الفقهاء الكلام وأهله ، قال أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة وصاحبه : « من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب »(٥).

---

(٤) أرسل المأمون إلى حاكم صقلية النصراني يطلب منه أن يبادر بإرسال مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتب الفلسفة ، وتردد في إرسالها واستشار رجال دولته فأشار عليه المطران الأكبر بقوله : « أرسلها ، إليه فوالله مادخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها ».

(٥) شرح الطحاوية ص ٧٢.

وقال الإمام الشافعي : « حكمي في أهل الكلام أن يطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويضربوا بالجريد ، والنعال ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب ، والسنة ، وأقبل على علم الكلام ، وقد اطلعت من أهل الكلام على شيء مما ظننت مسلما بقوله ، ولأن يُبْتلى العبد بكل مانهي عنه ، ماخلا الشرك بالله ، خير له من أن يُبتلى بالكلام »(٦). وقال الإمام مالك : « أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل ، تركنا ماجاء به جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، لجدل هؤلاء ؟ »(٧).

قال ابن الحصار : « إنما ظهر التلفظ بها زمن المأمون بعد المائتين لما ترجمت كتب الأوائل وظهر فيها اختلافهم في قدم العالم وحدوثه ، واختلافهم في الجوهر وثبوته ، والعرض وماهيته ، فسارع المبتدعون ، ومَنْ في قلبه زيغ ، إلى حفظ الاصطلاحات ، وقصدوا بها الإغراب على أهل السنة ، وإدخال الشبه على الضعفاء من أهل الملة ، فلم يزل الأمر كذلك إلى أن ظهرت البدعة ، وصار للمبتدعة شيعة ، والتبس الأمر على السلطان ، حتى قال الأمير (المأمون) بخلق القرآن ، وجبر الناس عليه وضرب أحمد بن حنبل على ذلك ، فانتدب رجال من أهل السنة ... فخاضوا مع المبتدعة في اصطلاحاتهم ثم قاتلوهم وقتلوهم بسلاحهم »(٨).

وفي القرن الرابع الهجري اتخذت الفلسفة طابع التحدي لعقيدة الإسلام ، على يد ابن سينا (**٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ**) ، الذي يعتبر من أخطر فلاسفة المسلمين.

وقد نعته الذهبي بأنه :« رأس الفلاسفة الإسلاميين ، الذين مشوا خلف العقول ، وخالفوا الرسول »(٩) وتاب في آخر أيامه(١٠). وقد روى عنه تلميذه ابن أبي أصيبعة : « أنه يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء ، وكان يقرىء غيري من القانون نوبة ، فإذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف

---

(٦) نفسه ص ٢٢٩ ، ص ٧٢/سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ٢٩.

(٧) حلية الأولياء ج٦ ص ٣٢٤، سير أعلام النبلاء ج٩ ص ٩٩.

(٨) القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير الآية رقم ١٧٠ من سورة البقرة ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ﴾. ج٢ ص ٢١٣-٢١٤ طبعة بالأوفست. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

(٩) انظر سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ٥٣٥.

(١٠) انظر ابن خلكان. وفيات الأعيان ج٢ ص ١٦.

طبقاتهم ، وهيء مجلس الشراب بآلاته ، وكنا نشتغل به »(١١).

وكان والده قد استجاب للاسماعيلية العبيدية، وكان يحضر ابن سينا اجتماعاتهم في بيت والده(١٢). ومن أشهر نظرياته : نظرية المعرفة التي وضع فيها الفلاسفة على قدم المساواة مع الأنبياء ، ثم خصهم بميزة على الأنبياء ، حين قرر أن الفلاسفة استمروا في رسالتهم ، وارتقاء معارفهم ، في الوقت الذي ختمت النبوة بالرسول محمد ﷺ(١٣).

وبعد : فماذا استفاد المسلمون من ترجمة الفلسفة اليونانية ؟ استفادوا الخبرة لفن قتل الوقت ، وقتل العقل ، واستطابوا الإدمان على تعاطي هذه الكأس ، التي يقدمها السفسطائيون للإجهاز على الأمم القوية عندما تبلغ القوة مداها ، مقابل ما خسر المسلمون من الإيمان الفطري ، والاعتقاد النقي ، وتهاونوا في دينهم ، وفرطوا في لغتهم ، وانشغلوا في محاولات عقيمة ، وداروا في حلقة مفرغة ، ووقعوا في أغلاط اليونان ، لأنهم أخذوا دون تمحيص ، ودون أن يردوا ما أخذوا إلى القرآن والسنة ، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يردون القرآن إلى آراء اليونان ، كقول إخوان الصفا :

« إن إدريس هو (هرمس) المثلث بالحكمة ، صفت نفسه ، فصعدت إلى السماء ، وطافت مع بعض أجرامها ثلاثين عاما ، وشاهدت من العجائب مالا يشاهده إلا من يطوف ذلك الطواف ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم (في زعمهم) في قوله تعالى : ﴿ **ورفعناه مكانا عليا** ﴾»(١٤).

وهذا نوع من فهم القرآن لايجيزه القرآن ، ولا العقل ، ولعلنا لو بحثنا تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وماكان من المتكلمين من علماء المسلمين من خلافات لوجدنا أكثر هذه الخلافات ، إن لم يكن كلها ، راجعا إلى قضايا أخذها المسلمون عن اليونان من غير تمحيص(١٥) ، وساعدهم في ذلك الترف والحياة الباذخة والفراغ

---

(١١) طبقات الأطباء ص ٤٤٦.

(١٢) نفسه ص ٤٣٧ وسير أعلام النبلاء ج١٦ ص ٥٣١.

(١٣) انظر ابن سينا ـ إثبات النبوات. مقدمة ص ١٣.

(١٤) سورة مريم الآية ٥٧. رسائل إخوان الصفا ج١/١٣٨. والمثلث بالحكمة أي ثلاثي التعليم لأنه كان يصف الباريء تعالى بثلاث صفات ذاتية هي : الوجود ،والحكمة ، والحياة. ـ انظر مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٧ ـ

(١٥) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ثلاثة أجزاء). على سامي النشار.

وفتور حركة الجهاد. مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾(١٦).

فأدى كل ذلك إلى الترهل والاستغراق في متاع الأرض بالتدريج ، والفلسفة وليدة الترف الفكري.

ولو كان هناك الوعي الكامل ، لاقتصرت الترجمة على ترجمة العلوم البحتة ، كالهندسة ، والطب ، والفلك ، وغيرها من العلوم النافعة ، وبشرط أن تكون صياغة ترجمتها متفقة مع عقيدة الإسلام. ولكن الخطأ حصل بترجمة جميع العلوم ، ومنها الإلهيات عند ارسطو ، وأفلاطون ، وغيرهم. واستخدم أهل الكتاب في ذلك فتعكر صفو العقيدة لدى المسلمين ، بالفكر الاجنبي ، الذي أقحم على الحياة الإسلامية ، وبضروب الجدل التي زجى بها المتكلمون في أوقات فراغهم(١٧) ، فقال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية :

«هؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنة الذين ذمهم السلف والأئمة ، إنهم لم يقوموا بكمال الإيمان ولا بكمال الجهاد بل أخذوا يناظرون أقواما من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم ، بطريق لايتم إلا برد ماجاء به الرسول ﷺ ، وهذا لايقطع أولئك الكفار بالعقول ، فلا آمنوا بما جاء به الرسول حق الإيمان ، ولاجاهدوا الكفار حق الجهاد. وأخذوا يقولون : إنه لايمكن الإيمان بالرسول ، ولا جهاد الكفار ، والرد على أهل الإلحاد والبدع ، إلا بما سلكناه من المعقولات ، وإن ماعارض هذه المعقولات عن السمعيات يجب رده تكذيبا ، أو تأويلا أو تفويضا. لأنها أصل السمعيات ، وإذا حقق الأمر عليهم وجد الأمر بالعكس »(١٨).

وهكذا فشا بين المسلمين الجدل الكلامي ، والتمس كل فريق سندا لدعواه في المنطق الكلامي ، وأصبح الهدف افحام الخصوم وغلبة المناهضين وليس التوصل إلى الحق والتماس الصواب. ولذلك قال الذهبي عن علم المنطق : « نفعه قليل ، وضرره وبيل ، وماهو من علوم الإسلام ». كما بين خطر الفلسفة الإلهية ومخاطرها(١٩).

---

(١٦) سورة الرعد الآية ١١

(١٧) انظر الإسلام والطاقات المعطلة. ص ١١٢. محمد الغزالي.

(١٨) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ج١/٢٣٨. تحقيق محي الدين عبد الحميد وحامد الفقي.

(١٩) سير أعلام النبلاء ج١/٢٤ ، وانظر ص ٤٠.

٣ـ الانقسام السياسي لدولة الإسلام :

فقد أفلحت النعرات السياسية في تصعيد بعض التناقضات وتعميق روح الخلافات فأدت إلى الصدع بين الزعامات المسلمة ، وجاء وقت (القرن الرابع الهجري) كان في العالم الإسلامي ثلاثة خلفاء :الخليفة العباسي الشرعي في بغداد ، والخليفة الفاطمي العبيدي في مصر، والخليفة الأموي في الأندلس. وهذا أدى إلى اهتزاز ثقة المسلمين بالخليفة، ثم هانت عليهم الخلافة. وهذا طبعاً أدى إلى طمع العدو الخارجي في العالم الإسلامي،

وأدى إلى ضعف هذا العالم الإسلامي في مواجهة أعدائه ، فتوقف المد الإسلامي ثم أخذ بالانحسار ، ليعود إلى المد من جديد ، في عهد الدولة العثمانية حاملا معه بذور الضعف.

٤ـالشعوبية :

اكتسبت الشعوبية مفهوما خاصا فأطلقت على محتقري العرب والذين يصغرون شأنهم(٢٠). فهي والحالة هذه تعني التعصب ضد العرب ، وقد بدأها الذين تسللوا إلى الإسلام ، وهم يحقدون عليه ، من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، وقد رد بعض العرب بالتعصب للعرب ، فخالف المتعصب ضد العرب ، والمتعصب للعرب ، روح الإسلام ، لأنها حملت روح التفرقة بين العرب ، وغيرهم من المسلمين(٢١). واستغلت الحركة الشعوبية الأدب ، واللغة ، والشعر العربي ، والتأليف ، والمفاخرة ، والمفاضلة بين العجم والعرب(٢٢). فكانت الشعوبية نزيفا ، وضعفا في الأمة الإسلامية ، في وقت تزايدت فيه أخطار التحديات الخارجية على المسلمين ، وعلى العالم الإسلامي (مثل التحدي الصليبي والمغولي).

٥ـ الباطنية :

وكانت من أكبر عوامل الهدم من الداخل في عالم الإسلام ، فقد ضمت جميع العناصر المناهضة للإسلام ، من زرادشتية ، ومانوية ، ويهود ، ونصارى ، وكانت التناقضات فيها تبيض ، وتفرخ ، لأنها عاشت في الظلام ، وآمنت بالتقية ، بل وجعلتها أساس عقيدتها. وقالت الباطنية :

---

(٢٠) لسان العرب ج١/٤٨٢ ، القاموس المحيط ج١/٩١.

(٢١) ويؤيد هذا من معاني الشعب في اللغة : (بمعنى التفريق). انظر لسان العرب ج١/٤٧٩.

(٢٢) انظر أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري للمؤلف.

« إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة »(٢٣) وقرروا أن لظواهر القرآن الكريم ، والأحاديث بواطن تجري مع الظاهر مجرى اللب من القشر ، وأن تصوراتهم توهم الجهال صورا جلية ، وهي عند العقلاء رموز ، وإشارات ، إلى حقائق خفية ، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا ، والأسرار ، والبواطن ، والأغوار ، وقنع بظاهرها ، كان تحت الأغلال التي هي تكليفات الشرع ، ومن ارتقى إلى علم الباطن إنحط عنه التكليف ، واستراح من أعبائه(٢٤).

وبإسقاط التكاليف الشرعية ، وإنكار المسئولية الفردية ، والالتزام الأخلاقي ، والجزاء الأخروي ، فتح الباب واسعا أمام حرية الشهوات ، واللذات ، والدعوة الإباحية ، وعبادة الجسد ، وقد عمدوا إلى صرف ألفاظ الشرع عن معانيها الظاهرة إلى أمور باطنة ، بغير دليل من القرآن ، والسنة ، وتسقط منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، لأن الباطن لاضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر ، ويمكن تنزيله على وجوه شتى ، حسب مقتضى الأهواء ، والغايات ، وهدفهم الرئيسي هو هدم الشريعة ، بتأويل ظواهرها ، وتحريفها ، لتلائم مقاصدهم ، فهم يقولون : للشرائع باطن ، لايعرف إلا بالإمام ، أو من ينوب منابه ، ففسروا : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام** ﴾ بأن القلائد : هم الأئمة المستورون ، والبيت الحرام : هو الخليفة الفاطمي. ومعنى قوله تعالى ﴿ **إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق** ﴾. هو : الإقرار بالإمام الناطق ، الذي يفيض عنه العلم ، ويوصل من قبله إلى معرفة الله تعالى ، والملائكة هم دعاة الإمام ، الذين يأخذون له العهد على المستجيبين ، ويربونهم على عقيدة الباطنية الاسماعيلية ، التي تمنح شخص الإمام الحاكم الريادة العقائدية ، والسياسية المغلقة ، وتمنحه مرتبة إلهية(٢٥).

وكذلك ماورد في الحشر ، والنشر ، وغيرها ، فكلها عندهم رموز ، وأمثلة ، إلى بواطن ، فمعنى الغسل عندهم : بمعنى تجديد العهد عليه ، ومعنى الطهور : التبرؤ من كل مذهب خالف الباطنية ، ومعنى التيمم : أخذ العلم من المأذون ،

---

(٢٣) انظر إخوان الصفا ج٦/١. دار صادر. بيروت.

(٢٤) انظر تلبيس إبليس. لابن الجوزي.

(٢٥) القاضي النعمان المغربي. الرسالة المذهبية ص ٨٢.

ومعنى الصلاة : الدعاء إلى الإمام ، ومعنى الزكاة : بث العلم لمن يزكى ، ومعنى الحج : طلب العلم الذي تشد رحائل العلم إليه ، والجنابة : إفشاء السر ، والكعبة : النبي ، والباب علي ، والتلبية : إجابة الداعي ، والطواف بالبيت سبعا : الطواف بالإمام إلى تمام السبعة ، والنار : الجهل بعلوم الباطنية(٢٦).

ولجأت الباطنية إلى الفلسفة ، يستمدون منها أوهامهم ، فضمت فلاسفة ، ومفكرين ، مثل اخوان الصفاء ، وشعراء : مثل أبي العلاء المعري ، وعلماء : مثل أبي حيان التوحيدي ، وابن سينا ، ووالده ، وتمكنت من إفراز جناح عسكري في القرن الخامس الهجري ، بقيادة الحسن الصباح ، الذي اتخذ قلعة الموت سنة ٤٨٣هـ مركزا له ، يبث منها دعاته ، ليخدعوا الأحداث ، والبسطاء ، ويضمونهم ، (باسم الدين ونصرة آل البيت) ، واستعانوا في التأثير على الأتباع ، بالمخدر ، أو الحشيش ، الذي كانوا يقدمونه لهم ، فإذا أصابهم الدوار ، أمروهم بما يريدون ، ولذلك سموا بالحشاشين. وقد بقيت هذه الفرقة تثير الفتن ، وتنشر الرعب ، وتعاونت مع الصليبيين في الشام ضد المسلمين ، واغتالوا عددا من قادة الإسلام ، كما حاولوا اغتيال صلاح الدين ، أكثر من مرة. بالإضافة إلى أن الباطنية تبرأت من الصحابة رضوان الله عليهم ، وخاصة من أبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما ، وشوه الباطنيون صور شخصيات كثيرة ، من صدر الإسلام ودسوها في كتب التاريخ ، والأدب ، الأمر الذي مكن أعداء الإسلام فيما بعد من حملة التشويه المتعمدة التي لحقت برجالات القرن الأول الهجري خير القرون. نظرا لأنها موضع الفخر ، والاعتزاز الشديد ، عند المسلم. وجاء المستشرقون وتلاميذهم فتلقفوا آراء الباطنية في تلك الشخصيات باسم البحث العلمي ، والموضوعية.

كما وقفت الباطنية إلى جانب الصليبيين في حربهم ضد الإسلام والمسلمين وخاصة في دمشق عام ٥٢٣هـ ، وإلى جانب المغول كما حدث في تخريب بغداد عام ٦٥٦هـ.

وأما القرامطة من الباطنية فتاريخهم معروف في محاولاتهم القضاء على الإسلام والمسلمين ، وهجومهم على بيت الله الحرام واستحلال دماء المسلمين ونزع الحجر الأسود.

---

(٢٦) انظر فضائح الباطنية ص ٥٥-٥٩. الإمام الغزالي.

وبقيت الباطنية نزيفا داخليا لجهد العالم الإسلامي ، تأخذ كثيرا من جهد قادة المسلمين ، ومن أئمة المسلمين ، وعلمائهم ، الذين تصدوا لها بكل عنف.

٦ـ الصوفية :

نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا(٢٧) :

الأول : هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا ، والإنقطاع للعبادة. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك : فقال :

« مابال أقوام يفعلون كذا وكذا ، لكني أصوم ، وأفطر ، وأصلي ، وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »(متفق عليه).

وبعد وفاته ﷺ كثر الزهاد الذين غالوا في الزهادة في الدنيا ، ونعيمها...

وفي وسط تلك النفوس وجد التصوف مكانه إذ وجد أرضا خصبة ، ردا على حياة الترف الذي فشا بين المسلمين.

والثاني : هو ماسرى إلى المسلمين من فكرتين : الأولى : فكرة الإشراقيين من الفلاسفة ، وهم يرون أن المعرفة تقذف في النفس بالرياضة الروحية ، والتهذيب النفسي. والثانية : فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية ، وقد ابتدأت هذه الفكرة تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذبا إلى الإسلام في الصدر الأول ، عندما اختلط المسلمون بالنصارى ، وقد ظهرت في السبئية ، والكيسانية ، ثم القرامطة ، ثم في بعض الباطنية ، ثم ظهرت في لونها الأخير في بعض الصوفية(٢٨).

وهناك معين آخر أخذت منه فيما يظهر النزعات الصوفية ، وهو : كون النصوص والأحكام ـ أي نصوص القرآن والسنة ـ ظاهر وباطن ـ ويظهر أن المتصوفة استعاروا ذلك التفكير من الباطنية...

فالمغالاة في الزهد ، فتح لأفكار الحلول ، ثم وحدة الوجود ، فظهر التصوف في الإسلام ، الذي اشتد في القرن الرابع والخامس الهجري ، ثم بلغ أقصى مداه فيما بعد ذلك ، بعيدا كل البعد عن هدي القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، حتى بلغ أن المتصوفة يسمون من يتبع القرآن والسنة (أهل الشريعة) و (أهل الظاهر). ويسمون أنفسهم (أهل الحقيقة) و (أهل الباطن). فالتقت الصوفية مع الفلسفة ، والباطنية ، وحجبت كثيرا من المخدوعين عن فهم حقيقة العبادة في

(٢٧) ابن تيمية ـ للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٩٧ـ١٩٨.

(٢٨) انظر الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية ـ للمؤلف.

الإسلام ، وعمدت إلى تقديس المشايخ فقالوا : « من قال لشيخه لِمَ لَمْ يفلح». وانتجت التواكل بدلا من التوكل ، الذي أفسد كثيرا من عقيدة القضاء والقدر. وحولها من عقيدة إيجابية دافعة إلى عقيدة سلبية مخذلة ، وإلى الرضاء السلبي بالواقع وعدم محاولة التغيير.

ومن الجدير بالذكر أن الصوفية أخذت تنتشر في المجتمع الإسلامي زمن العباسيين ، ولكنها كانت ركنا منعزلا عن المجتمع ولكنها في عهد الدولة العثمانية ، صارت هي المجتمع ، وأصبحت بالنسبة للعامة هي المدخل إلى الدين ومجال ممارسته. فتسلطت مجموعة من الخرافات والأوهام ، تتعلق بالمشايخ الأحياء منهم والأموات ، وصار التدين هو الإيمان بالشيخ وبكراماته وبأحواله ، وقدرته على اشتفاف الغيب ، وعلى شفاء المرضى من غير دواء ، وقدرته على فك السحر ، واستخراج الشياطين من أجساد مَنْ تسلطت عليهم. كما أصبح التصوف هو التعلق بالأضرحة ، والأولياء ، ونذر النذور لهم ، والتقرب بالقرابين ، دون عمل حقيقي بمقتضى الدين.. فقد أصبح هذا في حس العامة هو الدين ، وليس هو ماأنزله الله في كتابه ، وسنة رسوله ﷺ.

وأدرك أئمة المسلمين ، وعلماؤهم ، أهداف الفلاسفة ، والباطنية ، والصوفية ، فكانت لهم جهودهم الموفقة في تفنيد بدعهم ، ورد كيدهم ، وإبراز الحق واضحا جليا من خلال مصادره الأصلية ، كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الأئمة الأربعة ، ثم الإمام ابن تيمية وابن القيم اللذان كانت لهما صولات وجولات مع أرباب البدع ، وأئمة الكلام ، وأساطين الفلاسفة ، فأوسعوا نظرياتهم وأقوالهم نقضا ، ونقدا ، من خلال الفهم الأصيل ، والاعتقاد المستقيم ، والمنهج القويم ، لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهما العروة الوثقى التي يجب على كل مسلم أن يتمسك بها مصداقا لقوله ﷺ :

« تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وسنتي ».

وفي العصور الحديثة هاجمهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ الدهلوي ، والشيخ أبو زهرة ، وغيرهم ، فكان العلماء المخلصون بالمرصاد لكل من يحاول العبث بدين الإسلام.

٧ـ الاسرائيليات(٢٩) :

وهي جميع العقائد غير الإسلامية ، لاسيما تلك التي دسها أهل الكتاب من اليهود ، والنصارى ، بواسطة من تظاهر منهم بالإسلام ، فتمكنوا من دس تفاصيل كثيرة باطلة ، وتوسعات عديدة ، تتعارض مع الإسلام القائم أصلا على التوحيد ، والمتصل اتصالا واضحا بالإيمان بالغيب ، والبعث ، والجزاء ، والمستمد من قواعد القرآن الكريم ، ومنهجه ، ومنطقه ، في مواجهة مختلف القضايا ، والأمور الخاصة ، فيما يتعلق بعالم الغيب ،وماوراء المحسوس ، وعلى عصمة الأنبياء والرسل.

ومن المعلوم أن مدارس للتفسير تكونت في زمن الصحابة ، والتابعين ، وتداولت تلك المدارس مجموعة من التفسير بالمأثور ، المنسوب بعضه إلى النبي ﷺ ، والمنسوب كثير منه إلى الصحابة ، وأكثره منسوب إلى التابعين كمجاهد ، وقتادة ، ومسروق ، والحسن البصري ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم ، وهم كثيرا مااختلط بتفسيرهم من الاسرائيليات ، وأدخل أعداء الإسلام في هذا الباب كثيرا من الأوهام المضللة ، فقد توسع التابعون في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت الروايات الاسرائيلية في التفسير لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام ، وميل نفوس القوم إلى سماع التفاصيل ، عما يشير إليه القرآن(٣٠). ثم جاء بعد هؤلاء التابعين من عظم شغفه بالاسرائيليات ، وأفرط في الأخذ منها ، إلى درجة جعلتهم لا يردون قولا ، ولا يحجمون أن يلصقوا بالقرآن الكريم كل مايروى لهم ، وإن كان بعيدا عن النص ، كالروايات في اسم الشجرة التي أكل منها آدم ، وأسماء أصحاب الكهف ، واسم كلبهم... واستمر هذا الشغف بالاسرائيليات ، والولع بنقل هذه الأخبار ، التي أصبح الكثير منها نوعا من

---

(٢٩) انظر ـ تفسير ابن كثير ج١/٤/طبعة الحلبي بمصر. حيث قسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام :

الأول : هو ماعلمنا صحته مما بأيدينا من الكتاب والسنة. والقرآن هو الكتاب المهيمن والشاهد على الكتب التي قبله ،فما وافقه فهو حق صدق ، وماخالفه فهو باطل وكذب. وهذا القسم عندنا غنية عنه ، ولكن يجوز ذكره ، وروايته والاستشهاد به ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم.

والثاني : ماعلمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، مثل ماذكروه من قصص الأنبياء ... وهذا القسم ورد عن النبي ﷺ النهي عن روايته ، والزجر عن أخذه عنهم ، وسؤالهم عنه.

والثالث : هو مسكوت عنه ، لا من هذا ، ولا من ذاك. فلا نؤمن به ، ولانكذبه ، لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه ، أو باطلا فنصدقه. والأولى عدم ذكره ولانضيع الوقت في الاشتغال به.

(٣٠) التفسير والمفسرون ج١/١٧٦. أحمد حسين الذهبي. ط لبنان.

الخرافة ، إلى أن جاء دور تدوين التفسير ، فَوُجِدَ من المفسرين من ضمنوا كتبهم بالقصص الاسرائيلي.

لقد نجح أهل الكتاب في دس الاسرائيليات ، وأبرز مافيها مادة الكهانة ، والتنبؤات ، التي كان لها أثر سيء على المسلمين في عصور الضعف ، والتخلف ، وتلك التفسيرات للآيات القرآنية ، والتوسع في أوصاف الملائكة ، والجنة ، والنار ،والحشر ، وتصويره تصويرا يخرج بها عن أصلها القرآني ، والغمز في صحة عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وقد ذهب أكثر الباحثين ، إلى أن أكثر الأحاديث الموضوعة من الاسرائيليات ، إنما وضعت عن تدبير ، وتخطيط ، وخصومة ، وكيد ، وأنها من عوامل الحرب الفكرية ، والعقائدية الضارية ، التي شنها اليهود ، وغلاة النحل المبتدعة ، على الإسلام ، والمسلمين ، بكافة الوسائل من التخفي ، والتسلل ، والتمويه ، بقصد تمزيق وحدة المسلمين ، وتلهيتهم عن دينهم القويم ، وتشتيتهم عن طريقهم المستقيم(٣١). وقد تنبه علماء المسلمين إلى مقاصدهم ، وإلى هذا الخطر منذ وقت مبكر ، فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، يحذر من الأخذ عن أهل الكتاب « يامعشر المسلمين : كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ ، أحدث الأخبار بالله ، تقرأونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ماكتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : هذا من عند الله، ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسائلتهم ، ولا والله مارأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل إليكم(٣٢) ».

وأثر عن الإمام أحمد بن حنبل قوله :

« ثلاثة لا أصل لهم : التفسير والملاحم والمغازي ». أي أنها ليست ذات أسانيد صحيحة متصلة(٣٣).

٨ـ **التعصب المذهبي** : شاعت منذ القرن الرابع الهجري بدعة التعصب

---

(٣١) الإسلام والدعوات الهدامة ص ٢٢٤. أنور وجدي.

(٣٢) صحيح البخاري/كتاب الشهادة ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرهما. حاشية السندي ج٢ ص٧٤.

(٣٣) هنالك عدة توجيهات لعبارة أحمد منها : أنه قصد كتبا مخصوصة ، ومنها ماذكرناه من الكتب لكنها ليست على إطلاقها فهناك روايات كثيرة مسندة صحيحة متصلة في التفسير والملاحم والمغازي.

المذهبي. فانتج ذلك مخالفة الكثير من النصوص الصحيحة ، وتقديم الرأي عليها ، ونشر الفتن والخلاف بين المسلمين ، والتحايل على الدين ، والجمود على التقليد ، وإغلاق باب الاجتهاد ، والاشتغال بالافتراضات الخيالية. الأمر الذي أدى إلى شيوع الجهل. على المدى الطويل.

وقد منع الاجتهاد بعد القرن الرابع الهجري ، ثم ساد اختيار كتب الفقه المتأخرة الخالية من الأدلة الشرعية ، فقلت دراسة الكتاب والسنة ، والرجوع إليها عند الخلاف. فانحرف الناس عن السنة ، وشاعت البدع ، ووصل الأمر أن أبا الحسن عبيد الله بن الحسن الكوفي رئيس الحنفية بالعراق في القرن الرابع الهجري الذي صنف المختصر ، وشرح الجامعين الصغير والكبير لمحمد بن الحسن قال : « كل آية تخالف ماعليه أصحابنا ، فهي مؤولة أو منسوخة ، وكل حديث فهو مؤول أو منسوخ »(٣٤).

فقدم أقوال أهل المذهب على الكتاب والسنة. فما الفرق بين قوله وأقوال الصوفية ، والباطنية ، والفلاسفة؟

وقد وصل الخلاف والخصام بين مقلدة المذاهب إلى درجة خطيرة ، فعادى بعضهم بعضا ، وصار يسعى بعضهم بالكيد ، والأذى للبعض الآخر ، فتسبب ذلك في الفتن الكثيرة ، والقتال فيما بينهم(٣٥). وقد حاول كثير من العلماء أن يقف في وجه تيار التعصب المذهبي ، فكان نجاحه ضئيلا. وقد قال العالم منذر ابن سعيد البلوطي خطيب الخليفة عبد الرحمن الناصر بالأندلس يشكو حال المذهبيين ، وموقفهم من الكتاب والسنة(٣٦)

عذيري من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلا هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب ... وقد كان لايخفى عليه السالك
فإن زدت قالوا سحنون قبله ... ومن لم يقل ماقاله فهو آفك
فإن قلت : قال الله ضجوا وأكثروا ... وقالوا جميعا أنت قرن مماحك

---

(٣٤) الخضري ـ الشيخ محمد ـ تاريخ التشريع الإسلامي ص٣٣٢ و ص٣٥٦.

(٣٥) انظر أمثلة من ذلك في: ابن كثير ـ البداية والنهاية ٣/١٨، ١٣/١٩، ٢١، ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ٨/١٠٦، ٩/٢١٥. ياقوت ـ معجم البلدان ١/٢٧٣.

(٣٦) انظر: محمد عبد عباسي ص٢٤٧.

وإن قلت : قال الرسول فقولهم ائت مالكا في ترك ذاك المسالك

وقد أدت هذه التحديات الداخلية ، مع مارافقها من تحديات أخرى ، وتحديات خارجية ، إلى شدة الضغط على العالم الإسلامي ، وقادت إلى الضعف ، والتفكك ، والإنحلال ، وتردى المسلمون إلى حالة من العجز في مجال الإختراع ، والإبداع ، وسادهم الجمود ، والتقليد ، والتواكل ، والانحراف ، عن النهج القويم ، والابتعاد عن الشريعة ، وشاب إيمان المسلمين كثير من الكدر ، فانهارت قواهم ، ووقع العالم الإسلامي لقمة سائغة في يد الاستعمار الأوربي الحديث ، وخر صريعا أمام الهجمات الشرسة ، التي قادتها الصليبية الحديثة ، مع الصهيونية ، والشيوعية.

الفصل الثاني

العوامل الخارجيـــة

١ ـ التحدي المغولي «التتري» :

المغول والتتار قبائل موطنهم الأصلي منغوليا (شمال صحراء غوبي) ، وكانت هذه القبائل تقضي أوقاتها في النزاعات القبلية ، وفي البحث عن منابت العشب ، ودانت بالوثنية ، التي تعرف باسم (الشامانية)(١). تقول بوجود قوتين : « قوة الخير والنور والدفء ، وقوة الشر والظلام والبرد ، ويسكن إله الخير في الشرق ، وإله الشر في الغرب. وتقوم ممارساتها على السحر وعلى الرشاقة الجسدية من رقص وغيره ، فاكتسبت كلمة شامان معنى «الساحر».

واستطاع تيموجين بن بسوكاي ، الذي ولد في منغوليا ، عام ٥٤٩هـ/١١٥٥م، أن يوحد هذه القبائل عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، ووضع لهم دستورا اجتماعيا ، حربيا ، مختصرا عرف باسم (الياسة الكبرى) أو (اليساق)(٢) بالغ الشدة والعنف ، للطاعة فيه أكبر نصيب ، فكانوا أعظم الأمم طاعة لسلاطينهم(٣) ، دون معرفة معاني الشفقة ، أو الرحمة(٤)، وبعد أن وحدهم، لقب نفسه (جنكيزخان) أي أعظم الملوك. واندفع بهم إلى الصين ، واستولى على بكين عام ٦١٢هـ، فاستولى بذلك على مزيد من الكنوز ، والنفائس ، وتعلم المغول استعمال البارود(٥) ، ثم قضى على دولة الخطا السوداء (قره خطي) التركية ، المتاخمة لبلاد الصين ٦١٥هـ(٦)، فأصبح يطرق أبواب العالم الإسلامي ، ويتحداه ، وكان هذا التحدي شريكا لبعض الوقت للغزو الصليبي على عالم الإسلام ، وقد حمل بهمجية ، وبربرية ، ووحشية على العالم الإسلامي ، وكانت حملاته وحملات أخلافه غاشمة، كمد البحر، أو الطوفان، الذي كاد يغرق، ويبدد ، أو يقوض الحضارة الإسلامية.

---

(١) انظر المغول في التاريخ.د. فؤاد الصياد. ج١/٣٢-٣٥. ، معالم تاريخ الإنسانية ص ٩٢٣.

(٢) انظر هذا الدستور/المقريزي ـ المواعظ والاعتبار ج٢/٢٢٠-٢٢١.

(٣) صبح الأعشي ـ القلقشندي ج٤/٢١٢.

(٤) انظر الكامل ج٩/٣٢٩-٣٣١.

(٥) المغول في التاريخ ص ٥٣.

(٦) نفسه ص ٥٧.

اصطدم جنكيزخان بالدولة الإسلامية الخوارزمية ـ وكانت قد ظهرت سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م بعد أن ضعفت دولة السلاجقة ، وكانت بمثابة السور الفولاذي المنيع ، الذي يحمي الجبهة الإسلامية من جهة المشرق(٧) ، تمتد من العراق العجمي غربا ، إلى نهر السند شرقا ، ومن شمال بحر قزوين ، وآرال شمالا ، إلى الخليج العربي، والمحيط الهندي جنوباً، شاملة: أذربيجان، والعراق العجمي، وفارس ، وكرمان ، وكمران ، وسجستان ، وخراسان ، وأفغانستان ، والبامير ، والصغد ، وماوراء النهر. وكان على رأس هذه الدولة حين بدأت تطرقها المطارق المغولية السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه.

هاجم جنكيزخان الدولة الخوارزمية سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وخاضت خوارزم حربا مدمرة مدة خمس سنوات ، إلى أن تمزقت أوصالها ، واكتسح المغول أراضيها ،وأقاموا المجازر في بخارى(٨) ، وسمرقند(٩) ، ومرو ، ثم بلخ ، ونيسابور ، والري ، وهمدان ، وغزنة ، فأبيد الملايين من السكان ، وتهدمت ألوف المساجد ، ودور العلم العامرة ، وتحولت حواضر الإسلام الزاهرة في تركستان ، وفارس ،

---

(٧) انظر النجوم الزاهرة. أبو المحاسن. ج٦/٢٧٧.

(٨) وصف ابن الأثير حالة الناس في بخارى يوم سقوط المدينة سنة ٦١٦هـ ومن وصفه :

« كان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان، وتفرقوا أيدي سبأ ، وتمزقوا كل ممزق ، واقتسموا النساء أيضا ، وأصبحت بخارى خاوية على عروشها ، كأن لم تغن بالأمس ، وارتكبوا من النساء العظيم ، والناس ينظرون ، ويكون ، ولايستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئا مما نزل بهم ، فمنهم من لم يرض بذلك، واختار الموت على ذلك ، فقاتل حتى قتل ... ومن استسلم أخذ أسيرا ، وألقوا النار على البلد ، والمدارس ، والمساجد ، وعذبوا الناس بأنواع العذاب من طلب المال ». (ابن الأثير. الكامل في التاريخ ج٩/٣٣٢)

وحدث أن أحد السكان فر ناجيا بجلده إلى خراسان فسئل عما فعله المغول بمدينته فقال كلمات موجزة بالفارسية :

« لقد أتوا فخربوا ، وأحرقوا ، وقتلوا ، ونهبوا ، ثم ذهبوا ».الصياد. المغول في التاريخ ج١ ص١١٨ عن الجويني ج١ ص٨٣.

(٩) ووصف ابن الأثير أيضا مأأحدثه التتار في مدينة سمرقند سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م حاضرة بلاد ماوراء النهر وأعظم المدن التجارية آنذاك بعد أن استولوا على قلعة المدينة وجمعوا الأسلحة :

« فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج جميعهم ومن تأخر قتلوه ، فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارى من القتل والنهب والسبي والفساد ، ودخلوا البلد فنهبوا مافيه وأحرقوا الجامع وافتضوا الأبكار وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي.(الكامل في التاريخ ج٩/٣٣٣)

إلى كتل من اللهب ، والخراب. وترك جنكيز الدولة الإسلامية الخوارزمية أشبه ماتكون بصحراء جرداء ، فأباد سكانها ، وخرب مدنها العامرة ، وأحرقها.

توفي جنكيزخان عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م فقام حفيده هولاكو بإتمام دوره في بلاد الإسلام ، فتحالف مع الصليبيين ، وكانت أمه نصرانية قال عنها ابن العبري : « أحسنت تربية الأولاد ، وضبط الأصحاب ، وكانت لبيبة مؤمنة ، تدين بالنصرانية ، وتعظم محل المطارنة والرهبان ، وتقتبس صلواتهم وبركتهم »(١٠) كما كانت زوجته نصرانية ، وأعلن الخاقان الأعظم أنه إنما أرسل هولاكو إلى غرب آسيا ليقضي على الخلافة العباسية ، ويعيد بيت المقدس ، بعد أن كان قد حررها صلاح الدين عام ٥٨٣هـ. فاعتبر هولاكو نفسه محررا للنصارى من المسلمين ، وأرسل إلى الصليبيين قبل أن يبدأ غزوه المسلمين يقول :

« إن لدينا أعدادا كبيرة من المسيحيين بين قبائلنا ، وقد جئنا بقوتنا ، وسلطاننا معلنين ضرورة تحرير جميع المسيحيين من العبودية ، ومن الضرائب ، التي فرضها عليهم المسلمون ، ومعلنين ضرورة معاملة المسيحيين معاملة تليق بهم ، فلا يعتدى عليهم ، ولا على تجارتهم أحد ، ونحن نصرح بأننا سنعيد بناء الكنائس التي خربها المسلمون(١١) ».

كما قام وزير المستعصم الخليفة العباسي وهو (ابن العلقمي محمد بن محمد) بمكاتبة هولاكو ، وجسره ، وقوى عزمه على قصد العراق ، وابن العلقمي هذا رافضي شيعي ، قام بإضعاف الخلافة العباسية بمكائده المختلفة ، وأضعف الجيش ، وقلل عدده ، وأشار على الخليفة بمداراة هولاكو(١٢). فاستطاع هولاكو بتشجيع من النصارى ، والشيعة ، الوصول إلى بغداد عاصمة دار الإسلام ، ودار السلام ، وبمساعدتهم تمكن من دخول بغداد بجحافله ، فخربوا المساجد وأتلفوا المكتبات ، بإحراق الكتب ، أو بإلقائها في نهر دجلة ، وقتلوا معظم سكان بغداد دون أن يستثنوا إمرأة ، أو طفلا ، ودون أن يعطفوا على مريض ، أو يقدروا عالما(١٣).

---

(١٠) مختصر تاريخ الدول ص ٢٤٨.فهو يتعصب لها ، رغم أنه كان يعيش في كنف المسلمين.

(١١) Lamb,The Flame of Islam pp 337

وقد ألف ميشيل السوري (ت عام ٦٩٥هـ/١١٥٩) كتابا هاجم فيه المسلمين ، واعتبر الغزو المغولي بمثابة انتصار للنصرانية. فاروق عمر (العباسيون الأوائل) ج٢ ص١٦١

(١٢) الذهبي - سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص١٨٠ ، ٣٦٣.

(١٣) أبو الفدا - المختصر - ج٣ ص٢٠٣.

وقد قدر المؤرخون القتلى بمليون وثمانمائة ألف ، وبمليون ، وبثمانمائة ألف (١٤) وقتل الخليفة المستعصم ، بتشجيع وتحريض من ابن العلقمي ،ونصير الدين الطوسي الاسماعيلي ، فابن العلقمي نصح هولاكو بقوله : « بل المصلحة قتله ، وإلا فما يتم لكم ملك العراق »(١٥) أما نصير الدين الطوسي الاسماعيلي ، فكان وزيرا ، ومشيرا لهولاكو ، استصحبه هولاكو ، فهون عليه تخريب بغداد وقتل الخليفة المستعصم(١٦). وجميع أفراد أسرته وأهل بيته.

وكان ابن العلقمي يطمع أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة باتخاذه عند هولاكو يدا ، وعمل بالفعل على تعطيل المدارس ، والمساجد ، والجماعات ، والجمعات ، والربط ببغداد ، واستمر بالمشاهد ، ومحالّ الرفض ، وكان يريد أن يبني مدرسة هائلة للرفض(١٧). ولكن هولاكو أهمله ، وأذله ، فذاق وبال أمره ، وتوفى مذموما مدحورا.

وهكذا أصبحت بغداد ـ دار السلام ـ بفعل التتار ، والنصارى ، والرافضة مأوى لجماعة من النصارى ، والزط ، والشيعة ، والوثنين ، فقد طلب هولاكو من بطريق النساطرة أن يجمع النصارى في إحدى الكنائس ، حتى يميزوا عن غيرهم ، فلا يتعرض لهم جند التتار.

وكان سقوط بغداد عاصمة الخلافة أشبه بزلزال رهيب ، هزّ بنيان بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها ، ونظم الشعراء من العرب ، والفرس ، المراثي التي تشيع الأسى في النفس وتثير الشجون(١٨).

تقدم هولاكو بعد ذلك إلى الشام ، وهاجم حلب ودخلها بعد حصار شديد وتركها شعلة من اللهب والدخان ، ودخل كتبغا دمشق ، فسقطت حاضرة الشام صريعة تحت أقدام المغول سنة ٦٥٧هـ، واشتركت معه فرق نصرانية أرمنية ، وافرنجية ، فسنحت للنصارى الفرصة للتشفي ، والانتقام من المسلمين ، فنظموا مواكب عامة ، حملوا فيها الصلبان ، وأنشدوا الأناشيد ، وأخذوا يذمون دين الإسلام وأهله ، وأجبروا المسلمين على أن يقفوا احتراما لمواكبهم ، ومن امتنع تعرض

(١٤) الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ـ ج٢٣ ص١٧٩ البداية والنهاية ج١٣ ص٢٠٢/السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ٤٧٢.

(١٥) الذهبي ـ سير ـ ج٢٣/١٨٠.

(١٦) البداية والنهاية ج١٣/٢٠١، ٢٦٧.

(١٧) البداية والنهاية ج١٣/٢٠١/الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ج٢٣/ ١٨٠.

(١٨) البداية ج١٣/٢١٩ ، الذهبي ـ دول الإسلام ج٢/١٢٥ ، المقريزي ـ السلوك =

للسب والإهانة ، وبلغ بهم التحدي أقصاه فدقوا النواقيس ، وتظاهروا بالخمر في رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات ، كما صبوه على أبواب المساجد ، ولم يستثنوا حتى الجامع الأموي ، فضجر المسلمون ورفعوا شكواهم إلى (ابل سيان) متسلم البلد وكان نصرانيا فلم يحفل بهم ، بل أهانهم ، وضرب بعضهم ، وأخذ يزور الكنائس ، ويعظم رجالها على اختلاف مذاهبهم(١٩).

وقيض الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام : المماليك في مصر ، بقيادة قطز ، والظاهر بيبرس ، وعلماء مثل العز بن عبد السلام (سلطان العلماء)، فتحركت في الأمة روح الجهاد ، واستثيرت طاقات الأمة ، ووجهت إلى الجهاد في مصر ، والشام ، وتحركت جيوش الإسلام من مصر عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م والتقت بجيوش المغول تؤيدهم وتؤازرهم بعض النجدات النصرانية من الآرمن والكرج - في عين جالوت - بين بيسان ، ونابلس ، على أرض فلسطين(٢٠) في ٢٥ رمضان ، وألقى قطز بخوذته على الأرض أثناء المعركة ، وصاح بصوت كالرعد :

« واإسلاماه ، اللهم انصر عبدك قطز على التتار(٢١) » فكتب الله النصر المبين للإسلام ، وانهزم المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم ، بعد أن كانت القلوب قد يئست من النصرة عليهم ، لاستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية ، ولأنهم ماقصدوا إقليما إلا فتحوه ، ولا عسكرا إلا هزموه(٢٢). فتكسرت حدة موجات التتار ، وتحول مدهم إلى جزر ، واسترجع المماليك منهم الشام بأكملها ، فكانت عين جالوت فاتحة سلسلة من الانتصارات توالت على المسلمين ، وحطمت أسطورة قوى المغول ، وعاد دين الإسلام غض الإهاب(٢٣). وأسلم (بركة خان) حاكم القبجاق وابن عم هولاكو ، فساعد المسلمين ضد ابن عمه(٢٤).

وبقي المسلمون يقاسون الأمرين من المغول ، في فارس ، والعراق ، واستمرت غاراتهم على الشام ، والمسلمون يردونهم ، كما حدث في وقعة حمص سنة

= ج١ق٢/٤٢٥/النجوم الزاهرة ج٧/٨٠.

(١٩) البداية والنهاية ج١٣/٢١٩.

(٢٠) ياقوت - معجم البلدان - ج٤/١٧٧.

(٢١) المقريزي - الخطط. ج٢/٣٨.

(٢٢) أبو الفدا - المختصر ج٣/٢١٤/النجوم الزاهرة ج٧/٩٠ - ٩١.

(٢٣) انظر القلقشندي - صبح الأعشى ج٧/٣٦٠-٣٦٢.

(٢٤) البداية والنهاية ج١٣/٢٤٩ ، المقريزي - السلوك ج١ق٢/٣٩٥.

٦٨٠هـ(٢٥). وقد هداهم الله للإسلام فضاع على الصليبيين أملهم في الانتصار على المسلمين ، كما ضاعت مجهوداتهم من قبل في الشام ، فقد أعلن أحمد بن هولاكو إسلامه عام ٦٨٠هـ(٢٦). ولكن حالة المسلمين لم تمكنها من أن تبعث في نفوس المغول النواحي الإيجابية ، التي تقود إلى الأصالة ، وإلى المساهمة في رفع شأن الإسلام كدين ، وشريعة ، والمساهمة في بناء صرح الحضارة الإسلامية ، وأعمال (قازان) الذي غزا الشام ، واجتاحها ، سنة ٦٩٩هـ إلى سنة ٧٠٢هـ ، وفعله القبائح(٢٧) ، دليل على ذلك. فاستمر العلماء يحرضون على جهادهم فكانت موقعة شقحب الفاصلة سنة ٧٠٢هـ، التي انهزم فيها التتار هزيمة منكرة. وكانت فتوى شيخ الإسلام (ابن تيمية) في حربهم ، وبين الشيخ مَنْ تعاون مع التتار وسبب تعاونهم ذلك(٢٨). واستمرت قسوة التتار كأعمال (تيمورلنك) ، إذ ملأ بلاد آسيا الوسطى والغربية قتلى ، وأشلاء ، وأكداس من الجماجم وخرائب ، وقد لحق بالشام من فتكه وتدميره الشيء الكثير(٢٩).

وهكذا أسهم الغزو المغولي في ضعف بلاد الإسلام وفي انهاكها ، وقد عبر السيوطي عن مأساة هذا الغزو بقوله : «هو حديث يأكل الأحاديث وخبر يطوي الأخبار ، وتاريخ ينسي التواريخ ، ونازلة تصغر كل نازلة ، وفادحة تطبق الأرض وتملأها مابين الطول والعرض»(٣٠).

وقال ابن الأثير في كامله ـ وهو لم يشهد خراب بغداد بل شهد خراب ماوراء النهر وخوارزم من بلاد الإسلام ـ : «حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل :إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها(٣١).

---

(٢٥) البداية والنهاية ج١٣/٢٩٥.

(٢٦) ابن عبد الظاهر ـ محيي الدين ـ تشريف الأنام والعصور في سيرة الملك المنصور/تحقيق مراد كامل ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٩م/ص ٢٤.

(٢٧) البداية والنهاية ج١٤/٦-٢٣/النجوم الزاهرة ج٨/١٤٢-١٤٦.

(٢٨) انظر ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية/للإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي/ دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان ص ١٢٠-١٤١.

(٢٩) صبح الأعشى ج٨/١٠٣-١٠٦.

(٣٠) تاريخ الخلفاء ص ٤٦٧.

(٣١) الكامل في التاريخ ج٩/٣٢٩.

٢ ـ الحروب الصليبيـــة :

مثل التحدي الصليبي ، التحدي الرئيسي في مواجهة الإسلام والمسلمين ، واستغلته اليهودية في صراعها مع الإسلام ، وقد حملت الدولة البيزنطية وزر مقارعة الإسلام فكريا ، وعسكريا ، من أول ظهوره ، إلى أن تهاوت وانهارت نهائيا تحت مطارق الإسلام عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م . فانتقل ذلك إلى الامبراطورية الروسية ، والنمساوية ، وفرنسا ، وانجلترا ، في الوقت الذي كان فيه الاسبانيون ، والبرتغاليون ، يتحركون بدافع الحقد على الإسلام والمسلمين ، ويدفعون المسلمين عن الأندلس. وكل أولئكم يحركهم البابا في روما ، وتنفخ فيه الكنيسة روح الحقد على المسلمين ، وتثيرها حربا لاهوادة فيها. وبقيت هذه الروح هي المسيطرة حتى بعد أن انشقت الكنيسة الكاثوليكية ، وقامت بحركة الاصلاحات الدينية.

تمكن الأتراك السلاجقة أن يحيوا روح الجهاد في الأمة ، فحملوا راية الجهاد ، بعد منتصف القرن الخامس الهجري ضد البيزنطيين واصطدم سلطانهم ألب ارسلان بقوة بيزنطية هائلة ، كان يقودها الامبراطور ديوجينس ، وقد تشتت شمل النصارى في معركة ملاذكرد ، (مانزكرت) عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م وكانت معركة من المواقع الحاسمة في التاريخ ، نتج عنها انتشار الإسلام في آسيا الصغرى ، وتركيزه ، وأصبحت من ذلك اليوم من ديار الإسلام. فاتجه أباطرة بيزنطة لتسوية الخلاف مع البابا ، واستنجدوا به لحمايتهم ، فوجدوا أذنا صاغية من البابا : (اوربان الثاني) الذي دعا للحروب الصليبية بإعلان (كليرمونت) عام ١٠٩٥م ، حين ألقى خطابا دعا فيه النصارى للحرب ضد المسلمين ، لاستخلاص بيت المقدس ،ووعد من يشترك فيها من النصارى ،بالغفران الكامل ، فتجاوب هتاف النصارى : « هكذا أراد الله » واتخذوا شعار الصليب ، وبدأوا بالتدفق على بلاد الإسلام، عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م، فاشتعلت حرب ضارية بدون هوادة طوال قرنين من الزمان.

بدأ التدفق الصليبي في الوقت الذي كان فيه المسلمون قد بدأوا بالتفتت والصراع ، بعد وفاة السلطان ملكشاه ، سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٢م ، فانقسمت الدولة السلجوقية بعد خمس سنوات فقط من وفاته، إلى ممالك متنافسة مثل: مملكة فارس، ومملكة حلب، ومملكة دمشق، وسلطنة سلاجقة الروم. وفي الوقت نفسه تعرضت بلاد الشام، إلى انقسام آخر، وظهرت وحدات سياسية عرفت باسم (الاتابكيات) مثل أتابكية دمشق ، والموصل ، وبعضها صغير

جدا لايتعدى أسوار مدينة ، أو قلعة واحدة(٣٢). وساد هذه السلطنات ، والاتابكيات ، النزاع والحروب.

وبالإضافة لذلك فقد دخلت هذه الدويلات مع الدولة الفاطمية العبيدية التي (تحالفت مع الحركة الباطنية الاسماعيلية) في صراع مرير ، استنفذ طاقاتها المادية والبشرية .

وفي هذا الجو تدفقت جموع الصليبيين يشترك فيها أمراء الإقطاع والفرسان ورجال الدين. فانتصروا في البداية ، وأطاحوا بملك سلاجقة الروم ، واستولوا على عاصمتهم نيقية ، سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م ، وكونوا في بلاد الشام ، وآسيا الصغرى ، إمارة الرها ، وإمارة أنطاكية ، وإمارة طرابلس ، ومملكة بيت المقدس اللاتينية ، عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م. وضرب الصليبيون مثالا للحقد على الإسلام ، والمسلمين ، فاتسم الغزو بروح التعصب ، والانتقام ، فقد سفكوا الدماء في الرها ، وانطاكية ، وطرابلس ، وبيت المقدس ، وسفكوا دماء سبعين ألف مسلم ، أو يزيد ، في ساحة المسجد الأقصى ، من المجاورين ، والعلماء ، والطلاب ، والعباد ، والزهاد ، وخاضت خيولهم بدم الضحايا من الرجال ، والنساء ، والأطفال(٣٣).

وأذكر هنا مارواه الراهب روبرت ، أحد الصليبيين المتعصبين ، وهو شاهد عيان لما حدث في بيت المقدس واصفا سلوك قومه :

« كان قومنا يجوبون الشوارع ، والميادين ، وسطوح البيوت ، ليرووا غليلهم من التقتيل ، وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها ، كانوا يذبحون الأولاد والشباب ، ويقطعونهم إربا ، إربا ، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد ، بغية السرعة. وكان قومنا يقبضون على كل شيء يجدونه ، فيبقرون بطون الموتى ، ليخرجوا منها قطعا ذهبية ، فياللشره ، وحب الذهب ، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث... »(٣٤).

وقال كاهن (أبوس) (ريموند داجميل) شامتا :

« حدث ماهو عجيب بين العرب ، عندما استولى قومنا على أسوار القدس ، وبروجها ، فقد قطعت رؤوس بعضهم ، فكان هذا أقل مايمكن أن يصيبهم ، وبقرت بطون بعضهم ، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار ،

---

(٣٢) انظر - ابن خلدون ج٥/٢١ ، وانظر البداية والنهاية ج١٢/١٥٦.

(٣٣) المراجع السابقة.

(٣٤) غوستاف لوبون - الحضارة العربية ص ٣٢٥ ، وانظر فيليب حتى - تاريخ العرب ص ١٩٤- ١٩٥

وحرق بعضهم في النار ، فكان ذلك بعد عذاب طويل ، وكان لايرى في شوارع القدس ، وميادينها ، سوى أكداس من رؤوس العرب ، وأيديهم ، وأرجلهم. فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم ، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض مانالوا ».

وقال واصفا مذبحة مسجد عمر :

« لقد أفرط قومنا في سفك الدماء ، في هيكل سليمان ، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك ، وكانت الأيدي ، والأذرع المبتورة ، تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها ، فإذا ماتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها... ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك ، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين ، واليهود ، وخوارج النصارى ، الذين كان عددهم نحو ستين ألفا ، فأفنوهم على بكرة أبيهم في ثمانية أيام ، ولم يستبقوا منهم امرأة ، ولاولدا ، ولاشيخا »(٣٥).

وعمل الصليبيون مثل ذلك في مدن المسلمين التي اجتاحوها. ففي (المعرة) قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين إلى الجوامع ، والمختبئين في السراديب ، فأهلكوا صبرا مايزيد على مائة ألف إنسان في أكثر الروايات. وكانت المعرة من أعظم مدن الشام بعدد السكان بعد أن فر إليها الناس بعد سقوط انطاكية وغيرها بيد الصليبيين »(٣٦).

ومن الجدير بالذكر أن الحروب الصليبية قد بدأت في الجزء الغربي من العالم الإسلامي قبل هذا التاريخ ، فسقطت صقلية فريسة سائغة لهجمات النورمان سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م(٣٧) ، ومحيت من خريطة البلدان الإسلامية ، فكانت الشهيدة الأولى ، التي ذهبت ضحية الإهمال والتخاذل ، وأما الأندلس فكانت سنة ٤٠٧هـ(٣٨) ، مبدأ التفرق والتمزق فكان عصر ملوك الطوائف ، فأخذت كفة النصارى ترجح ، وأصدر البابا (اوربان) مرسوما حرم فيه على رجال الدين ، والفرسان الأسبان ، المشاركة في صليبيات الشرق ، لأن محاربة المسلمين بأسبانيا لا تقل أهمية واعتبارا عن الحرب الصليبية الشرقية ، فنتج من ذلك أن هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوربا إلى الأندلس ، ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب

---

(٣٥) غوستاف لوبون ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٣٦) الإسلام والحضارة العربية ص ٣٩٦.

(٣٧) ابن الأثير - الكامل ج٨/١٥٧.

(٣٨) المطوي ص ١٨.

سبيلا ، وأيسر مشقة وعناء ، وأعلن البابا (باسكال الثاني) الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس ، وأصبح من المألوف أن يأذن البابا لملوك الأسبان في استعمال أموال الكنائس لمحاربة المسلمين ،وكانت البعثات الصليبية الواردة من أوربا الشمالية (انكليز ، والمان ، وهولنديون) لا ترى مانعا إذا تعطلت في سيرها أن تعين ملوك الأسبان في حرب المسلمين ، وأن يكتفي البعض منهم بتلك المساهمة. فتعرضت الأندلس المسلمة إلى عملية غزو واستيطان من قبل جميع نصارى أوربا.

وفي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٤٤م أصدر البابا (جريجوار التاسع) قرارا وعد فيه النصارى الذين يحاربون مع ملك البرتغال ، بغفران ذنوبهم ، كما لو كانوا في الحروب الصليبية في الأراضي المقدسة ، فكان البابا يثير حماس البرتغاليين ضد المسلمين(٣٩). ويتدفق معهم الصليبيون من مختلف أجزاء أوربا.

وتشاء حكمة الله تعالى أن ينهض في كل دور من أدوار التاريخ الإسلامي ، وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، رجال يقومون في هذه الأمة على طريقة الأنبياء ، في ميدان القيم ، والمعتقدات ، يجددون أمر الدين ، وينفخون روح الجهاد في الأمة. تبعا للقاعدة التي لا تتخلف : ﴿**إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم**﴾. فظهر في بلاد المغرب دولة (المرابطين) ، ثم (الموحدين) قارعتا الصليبيين في الأندلس. ومن الله تعالى على العالم الإسلامي في القرن السادس الهجري ، بعماد الدين زنكي ، أتابك الموصل ، الذي التف حوله المخلصون من المسلمين ، وجعلوا دولته دار هجرة ، تداعوا إليها من جميع الأقطار ، فأخذ منذ توليه سنة ٤٨٧هـ يعد الناس إعدادا إسلاميا ، ويطهر الدين من التيارات الفكرية المنحرفة ، كالباطنية ، وآثار الفلسفة اليونانية ، والممارسات الفاطمية العبيدية للعبادات والشعائر ، ويعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية بين الشام ، ومصر ، وشبه الجزيرة العربية ، وشمال العراق ، وبدأ بمقارعة الصليبيين ، وهزمهم في معارك كثيرة ، واستعاد الرها ، سنة ٥٣٩هـ ، وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة(٤٠) الفراتية.

---

(٣٩) المطوي ص ١٩١.

(٤٠) الكامل في التاريخ ج٩/٨.

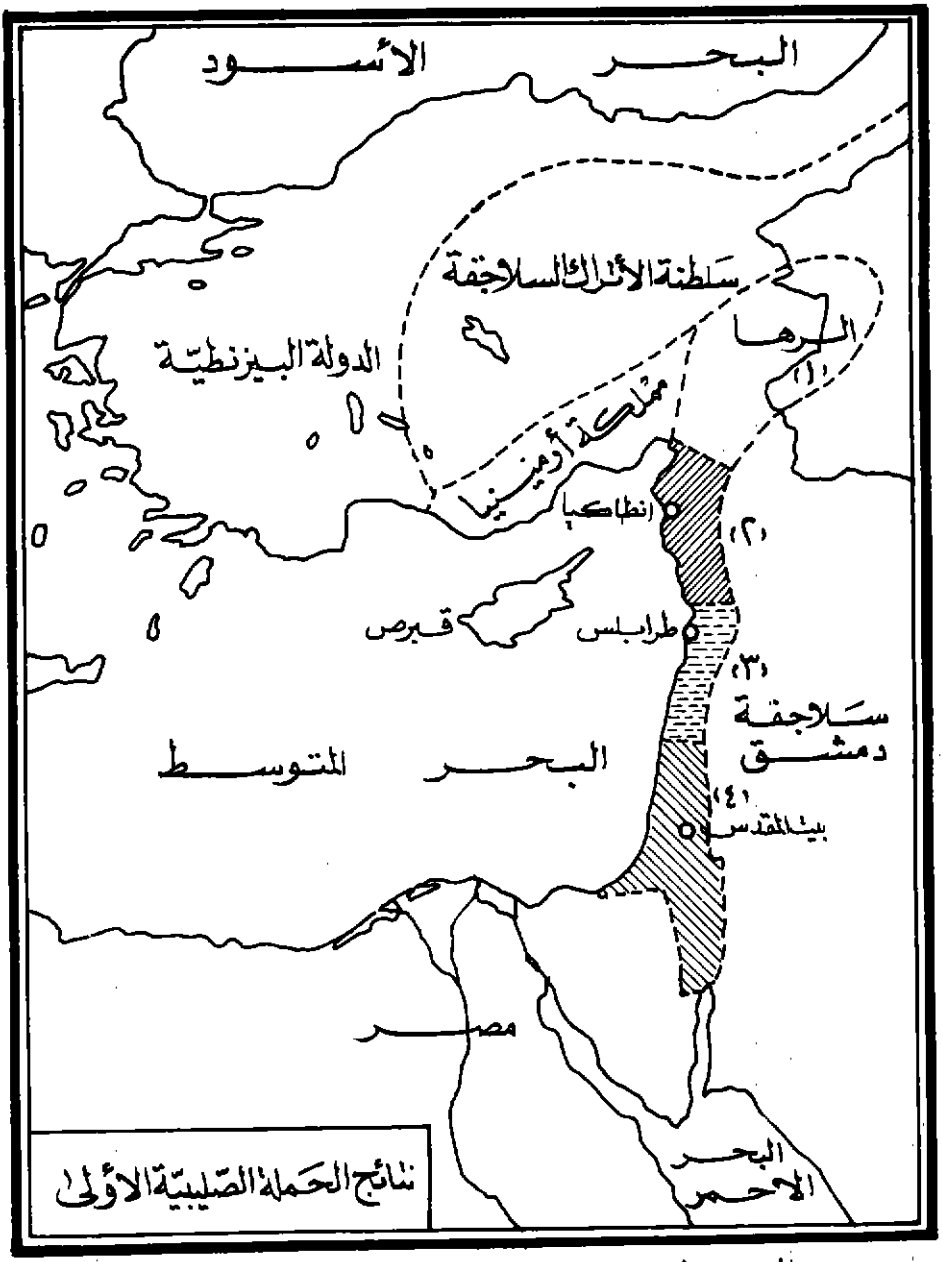

(١) الرها «إمارة»
(٢) انطاكيا «إمارة»
«٣» طرابلس «إمارة»
«٤» بيت المقدس «مملكة»

ولما استشهد سنة ٥٤١هـ(٤١) خلفه ابنه : الملك العادل نور الدين محمود زنكي (ت سنة ٥٦٩هـ)(٤٢)وفي نفس السنة تمكن عبد المؤمن بن علي من الموحدين أن يملك ما في جزيرة الأندلس من بلاد الإسلام (٤٣) يجابه الصليبيين هناك ، وتمكن نور الدين أن يهزم الصليبيين هزائم متوالية ، وأتم توحيد مصر ، والشام ، وشمال العراق ، والحجاز ، فوضع الصليبيين بين فكي كماشة. فقد دخلت قواته مصر ، بقيادة أسد الدين شيركوه ، سنة ٥٦٢هـ(٤٤) وتوفي أسد الدين سنة ٥٦٤هـ ، فوزر صلاح الدين ، ابن أخيه للخليفة الفاطمي العبيدي ، العاضد ، ولما مات العاضد سنة ٥٦٧هـ ، أقام الخطبة العباسية بمصر ، وألغى الدولة الفاطمية العبيدية ، وأصبحت مصر جزءاً من الدولة النورية تابعة للخلافة العباسية(٤٥) .

ولما توفي نور الدين ، رحمه الله ، سنة ٥٦٩هـ ، أتم مهمته ، الناصر صلاح الدين ، يوسف بن أيوب ، الذي هيأه الله سبحانه وتعالى لاستخلاص بيت المقدس ، فقد جمع فيه من خصال الحزم ، والعزم ، والإخلاص ، والحرص على الجهاد ، ونصر الإسلام ، ومكارم الأخلاق ، مالا يجتمع إلا في أفذاذ الرجال ، فكان معجزة من معجزات الإسلام التي تتكرر ، ودليلا على أن الإسلام لم ينته دوره ، ولم يفقد الحيوية ، والانتاج ، فقد استجمع طاقة الأمة ، وهزم الصليبيين في معركة حطين بفلسطين ، عام٥٨٣هـ/١١٨٧م(٤٦) ، وكسر شوكتهم ، واستعاد بيت المقدس ،وأحضر له المنبر ، الذي أعده نور الدين بن محمود للمسجد الأقصى ، فعاد الإسلام إلى تلك الديار غضا طريا(٤٧). وفي الوقت نفسه كان

---

(٤١) الكامل في التاريخ ج٩/١٣.

(٤٢) نفسه ج٩/١٢٤. في خلافة المستضيء بأمر الله ، الذي ولي الخلافة عام ٥٦٦هـ ووصفه المؤرخون أنه (أي نور الدين) كان : « ملكا صالحا ، ظاهر الدين ، بنى المساجد والمدارس والرباطات ، وفتح الأمصار ، وغزا الفرنج عدة غزوات » (المنتظم ج١/٢٤٨ ، الروضتين ج١/٢٢٧ ، أخبار الدول المنقطعة ص ٣٠٩ ، سير أعلام النبلاء ج٢٠/٥٣١-٥٣٩ ، البداية والنهاية ج١٢/٢٨٤) فكانت مجابهته للصليبيين على رأس أعماله المعدودة له رحمه الله.

(٤٣) الكامل ج٩/١٠.

(٤٤) الكامل ج٩/٩٥.

(٤٥) نفسه ج٩/١١١.

(٤٦) نفسه ج٩/١٧٨.

(٤٧) نفسه ج٩/١٨٥ ، وانظر العماد الأصفهاني / الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٣٩٧-٣٩٨ ، وابن شامة / كتاب الروضتين ق٢/٤٢١. وابن شداد - النوادر السلطانية.

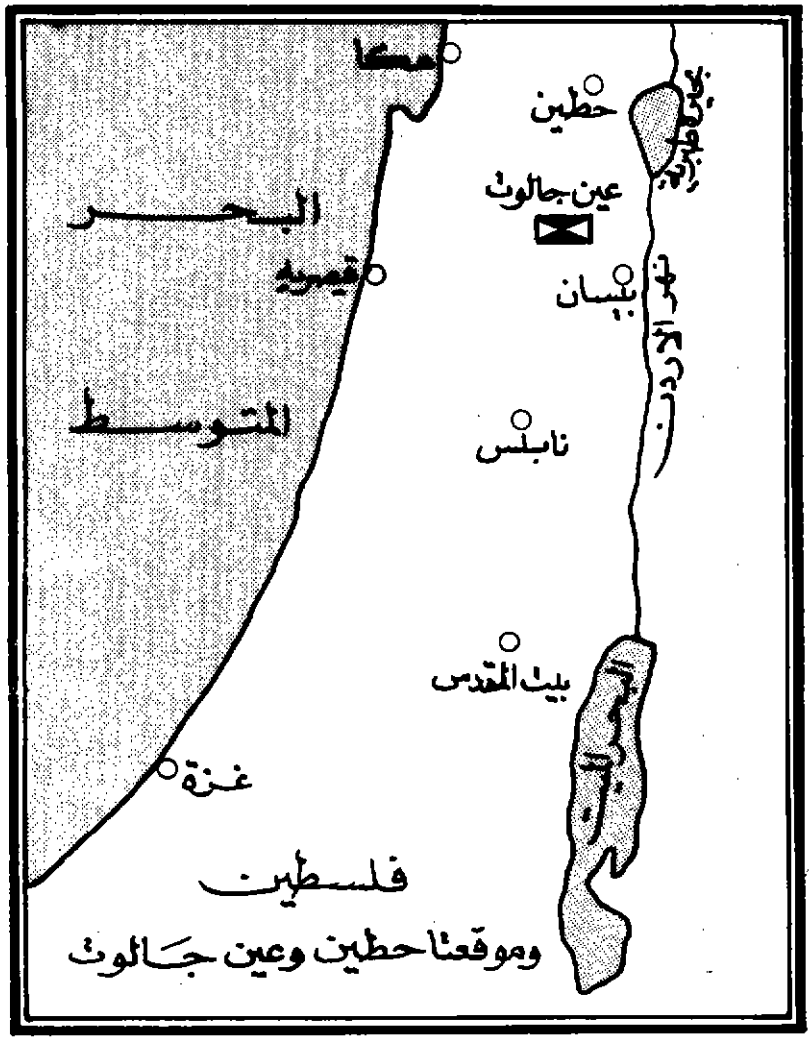

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي يخوض معركة الأرك ضد الصليبيين في الأندلس سنة ٥٩١هـ(٤٨). وقد تم دحر الصليبيين نهائيا واخراجهم من بلاد الشام على يد الأشرف خليل بن قلاوون من سلاطين المماليك عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م(٤٩).

(٤٨) البداية والنهاية ج١٣/١٠ الذي دعاها بالزلاقة والزلاقة قادها أمير المسلمين عام ٤٧٩هـ ، وهو يوسف بن تاشفين. انظر (بحث الزلاقة للمؤلف ـ مجلة الجامعة العدد٦٩، ٧٠) ، وانظر الكامل في التاريخ ج٩/٢٣٢-٢٣٣

(٤٩) البداية والنهاية ج١٣/٣٢٠.

استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في المشرق ، استنزاف جميع القوى البشرية ، والمادية ، في منطقة الشام ، ومصر ، واتسم الفكر الإسلامي في هذه الفترة بطابع المقاومة ، والتحدي ، ورد الفعل ، بالدعوة إلى الجهاد ، وابراز القدوة الحسنة ، ذلك كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكما فعل قبله سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، ومن نتائجها أيضا ، أن ألقيت مقاليد الأمور بيد العسكريين ، لبروز روح التحدي ، والجهاد هذه ، فجمدت أوضاع المسلمين الإقتصادية ، وتناقصت الثروة ، وضعفت الأيدي العاملة ، بالإضافة إلى الخراب ، والدمار ، الذي حل بالمسلمين في جميع أقطارهم ، وخاصة الشام ، ومصر ، وآسيا الصغرى ، وتونس ، والأندلس.

وقد عزلت الحملات الصليبية الأندلس ، عن قاعدته في المغرب الإسلامي ، وأخذت في تفتيت المسلمين ماديا ، ومعنويا ، بصورة بطيئة ، مع تجريدهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم. وبالرغم من ذلك بقيت الأندلس تقاوم ، واحتملت فوق قدرة احتمال البشر ، على امتداد قرون عديدة ، إلى أن سقطت غرناطة ، آخر معاقل المسلمين ، سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م بيد فرديناند وايزابيلا(٥٠). فاغتصبت أرض الأندلس الإسلامية ، واستوطنها الصليبيون الأوربيون ، وقد عانى المسلمون فيها معاناة عجيبة ، فلم يقبل منهم الصليبيون أحدا ، حتى الذين تنصروا من المسلمين الذين أطلقوا عليهم اسم (المورسك). وخوفا من أن يبقى منهم مَنْ يحتفظ بالإسلام ، سلطت النصرانية الصليبية على مدن أوربا محاكم التحقيق ، التي أحرقت الألوف من الناس علنا. وقضت على حضارة المسلمين في الأندلس ، وظهر من المتعصبين الكثيرون مثل (خمينز) الذي فرض النصرانية على أهل غرناطة بالعنف ، ولما طلب المتنصرون أن تكتب لهم تعاليم النصرانية بالعربية ، لغتهم ، رد عليهم : « إننا لانرمي حبات الدر النفيس للخنازير ». وهذا هو نفسه الذي أحرق المخطوطات العربية الرائعة التي بلغت على أقل تقدير ، ثمانين ألف مخطوطة ، في غرناطة وحدها(٥١). وكانت قد ضاعت أيضا صقلية وجنوب ايطاليا وجزر

---

(٥٠) انظر العسلي - الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ص ٢٢٩-٢٣١.

(٥١) السامرائي - د.قاسم - الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية ص ٣٦. وعن أحوال المورسك في الأندلس المسلمة المغتصبة. انظر د.لوي كارديك - الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون - تعريب وتقديم د.عبد الجليل التميمي من منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر ، تونس عام ١٩٨٣م.

البحر الأبيض المتوسط. واستوطنها الصليبيون الأوروبيون ، كما حدث في العالم الجديد إثر الاكتشافات الجغرافية. واستفاد الغرب الصليبي من الحروب الصليبية كثيرا(٥٢) :

سياسيا : ازدادت سلطة الملوك ، باشتراك عدد كبير من أمراء الاقطاع مع فرسانهم في الحروب الصليبية ، فخلا الجو للملوك ، فزادت سلطاتهم على رعاياهم ، فظهرت الممالك الأوربية الحديثة. مثل بريطانيا ، وفرنسا ، وبروسيا ، وروسيا.

إجتماعيا : اقتبس الأوربيون كثيرا من مظاهر الآداب الاجتماعية ، والأخلاق ، واللباس ، من المسلمين ، وعادوا لتطبيقها على أوربا ، كما اهتزت طبقة الاقطاعيين وأخذت تظهر طبقات أخرى ، مثل الطبقة الوسطى من التجار خاصة ، والتي دعيت بالطبقة البرجوازية.

إقتصاديا : فقد تسلم الأوروبيون زمام التجارة بأنفسهم ، وتعلموا بعض الصناعات ، وخاصة صناعة الحرير ، والزجاج ، والورق ، ونقلوا بعض أشجار الفاكهة إلى أوربا ، وتعلموا أساليب الزراعة.

علميا وثقافيا : فقد نشأت حركة واسعة في ترجمة العلوم ، والمعارف الإسلامية ، إلى اللاتينية ، بعد أن أطلع الأوروبيون على معلومات جغرافية ، وفلكية ، وتاريخية ، وزراعية ، مكنتهم من حب الاستطلاع. وباختصار فقد أحدثت الحروب الصليبية تغيرا في أوربا في مختلف نواحي الحياة ، ومجالاتها ، ونقلتها من عصر الإقطاع المظلم ، إلى عهد جديد أطلق عليه اسم : **عصر النهضة** - وحركة النهضة هذه حركة تغيير شاملة لجميع نواحي الحياة ، السياسية ، والاجتماعية ، والإقتصادية ، والثقافية في أوربا وامتدت من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر. وابتدأت في ايطاليا لصلتها الكبيرة بالعالم الإسلامي من بقية أوروبا ، عدا أسبانيا ، والبرتغال. ويمكن تلخيص أسباب اليقظة الأوروبية في(٥٣) :

١- الروح الدافعة التي بثها الإسلام ، وحضارته ، في أرجاء العالم ، فأخذت تسري في أوصاله ، مجددة حياته وقواه ، وقد تلقفتها أوربا عن المسلمين إبان

---

(٥٢) انظر د.سعيد عبد الفتاح عاشور / أوربا العصور الوسطى ج١/٤٧٥-٤٧٧.

(٥٣) انظر فتح الله ص ٢٦.

الحروب الصليبية في الشرق ، وعن طريق الأندلس ، وصقلية ،وجنوب ايطاليا ، والجامعات الإسلامية.

٢- التمرد على الكنيسة الجاهلة ، ونبذ سلطانها السياسي ، والديني ، بكل ما يمثله من خطايا، واخطار ، وحجر على التفكير ، وكبت للعلم ، واضطهاد للعلماء ، باسم دين الكنيسة ، وعصمتها.

نعم أفادت النهضة الأوروبية من الحضارة الإسلامية كما تقول المصادر الأوروبية نفسها(٥٤) ، ولكنها لم تسر على الخط الإسلامي بما أفادته ، بل صبغت ذلك كله بالصبغة اليونانية ، والرومانية ، والوثنية ، فكانت حركة النهضة ردة إلى الوثنية الأولى - يغشيها غشاء رقيق من النصرانية ، ظل هذا الغشاء يرقّ كثيرا شيئا فشيئا ، إلى أن تمزق نهائيا في أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين للميلاد.

فصارت أوربا لذلك أعجب مركب حضاري ، أخذ من الإسلام روحه الحضارية ، ومن اليونان ، والرومان مثله وقيم حياته الجديدة ، التي قامت على أنقاض مجتمع الكنيسة ، ودينها المهزوم ، وأخذت هذه تتعامل مع العالم الإسلامي حين تمت لها الجولة ، بروح هي خليط من هذه التناقضات ، فكانت ملحدة في كل شيء ، إلا مع المسلمين ، فهي صليبية ، تتحالف فيها الدولة العلمانية مع الكنيسة ، ويقوم فيها الرجل بدور الراهب ،والمبشر ، والعالم ، والمستشرق ، والجاسوس المحترف في آن واحد أحيانا(٥٥).

٣ - حركة الاستعمار الأوروبي :

درج المؤرخون الأوروبيون على تقسيم العصور التاريخية إلى :

١- **العصور القديمة** : وتبدأ من ظهور الإنسان إلى عام ٤٧٦م وهو العام الذي سقطت فيه الامبراطورية الرومانية الغربية بسقوط عاصمتها روما بيد (ادواكر) زعيم القوط من البرابرة.

٢- **العصور الوسطى** : وتبدأ في رأيهم من عام ٤٧٦م وتمتد إلى عام ١٤٥٣م وهو العام الذي سقطت فيه الامبراطورية الرومانية الشرقية (الامبراطورية البيزنطية) على يد السطان العثماني محمد الفاتح.

---

(٥٤) انظر غوستاف لوبون - دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي.

(٥٥) فتح الله ص ٢٧.

٣ـ **العصور الحديثة** : وتشمل الفترة الممتدة من عام ١٤٥٣م إلى الآن.

ويجب ملاحظة أن حوادث التاريخ متصلة الحلقات ومتداخلة ومن المستحيل فصل عصر عن عصر ،وفي فترات العصور الوسطى كانت أوربا قد تردت إلى الحضيض بل لقد عاشت في ظلام دعوه ظلام العصور الوسطى ، وفيما يلي إجمال لملامح تاريخ أوربا في هذه العصور الوسطى:

١ـ **سيادة نظام الإقطاع في أوربا** : لقد أدى اندفاع البرابرة من القبائل الجرمانية (القوط الشرقيين والغربيين والفرنجة والانجليز والسكسون والبيرغنديين) وانهيار الامبراطورية الرومانية الغربية إلى انعدام الأمن وانتشار الخوف والرعب والدمار والخراب ، فلجأ الضعفاء إلى الأقوياء يلتمسون الحماية ، وتنازلوا عن أرضهم وعن حرياتهم مقابل الحماية.

فنشأ مايسمى بنظام الإقطاع بقلاعه الحصينة وفرسانه. وهو نظام إقتصادي إجتماعي حربي ، يقوم أساسا على حيازة الأرض. وقد أصبح المجتمع الأوربي في ظل هذا النظام مجتمعا طبقيا على رأسه الأشراف أو النبلاء وهم السادة من مالكي الأرض ، يدعمهم الفرسان وهم من أبناء الأشراف ، وفي حضيض هذا المجتمع طبقة الأقنان وهم المزارعون ـ عبيد الأرض ـ يعيشون على الأرض ، وللأرض ، ينتقلون من مالك إلى مالك ، ومن سيد إلى سيد ، دون أن يكون لهم الخيار ، فكانت عبودية من أقسى أنواع العبودية ، في الوقت الذي كانت راية الإسلام تخفق بعزة وجلال تعيد للرقيق إنسانيته ، ويعامل المسلمون الرقيق بما أمرهم به الدين.

وكان المجتمع الإسلامي لا يؤمن بالطبقية وليست هناك حواجز بين المسلمين ، بل يشهد تاريخنا الإسلامي على أن كثيرا من العبيد ومن الطبقات الدنيا وصلوا إلى درجة الحكم أو درجة مرموقة من العلم يشار إليهم بالبنان(٥٦) . بحيث لم يكن يسمو فيه الإنسان إلا بمقدار مايتمتع به من طيب الخصال وبمقدار مايقدم لإسلامه ولمجتمعه. وكان المجتمع الإسلامي بريئا من الصراعات الطبقية شهد المساواة والأخوة.

٢ـ **سيادة نظام الكنيسة في أوربا** : دخل في روع النصارى أن بطرس تلميذ المسيح أسس كنيسة روما تجسيدا لمسيح دائم ، وأن بطرس هو رأس هذه

(٥٦) انظر الموالي ـ موقف الدولة الأموية منهم ـ للمؤلف.

الكنيسة ، فالكنيسة عالمية ورئيسها (أسقفها) خليفة بطرس رأس جميع الأساقفة كما أن كنيسة روما هي رأس الكنائس وأمها ، واعتقدوا أن السلطات الموعود بها القديس بطرس لاتقتصر على السلطة التعليمية بل يجب أن تمتد إلى مجال الولاية كله ، والله (كما أوحى لهم القسس) يقر في السماء مايقره بطرس أو يرفعه على الأرض من الواجبات ، وللبابا خليفته مثل ذلك الولاية الكاملة على الكنيسة كلها ، في أمور الإيمان والآداب وتنظيم الكنيسة وإدارتها ، واعتقدوا بعصمة البابا من الغلط حين يتكلم من منصة التعليم ، والأساقفة ينقلون تعاليمه، فتعاليمهم تحوي العصمة(٥٧) . فأصبح البابا والقسيس بذلك يحللون ويحرمون. وهذا ماعناه ﷺ عندما قال : « لعن الله اليهود والنصارى ـ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ووصل بهم الأمر أن احتجزوا ملكوت السماء لأنفسهم واحتكروه فلا يدخلون فيه إلا من رضي عنهم ورضوا عنه ، أما الآخرون فهم محرومون من الرضوان.

واتخذت الكنيسة سمة النظام الإقطاعي فتعاون الكهنوت والإقطاع لاقتسام الضرائب الباهظة التي كانت تثقل كاهل الأمم ، والحماية متبادلة والمصالح مشتركة بين حملة السوط من جانب (السادة) وحملة صكوك الغفران من جانب آخر!. وأصبحت طبقة الاكليروس ـ رجال الدين ـ من الطبقات المميزة في المجتمع الأوربي ، وامتلكت الكنيسة الأراضي الواسعة ، واحتكر البابا تفسير الإنجيل وفرض نظريات علمية خاطئة كبلت الفكر الأوربي ، واتخذ سلاح الحجر والحرمان ضد مخالفيه ومارس سلاحه الرهيب هذا على رجال الفكر والسياسة والدين ومن ثم أصبحت الكنيسة سيفا مسلطا على رجال الفكر والعلم وزيفت النظريات الجغرافية ، واجتهدت ألا تدع في العالم النصراني نابضا ضد الكنيسة وانبثت عيونها في طول البلاد وعرضها وأحصت على الناس الأنفاس. وبلغ من عاقبتهم محاكمها ثلاثمائة ألف أحرقت منهم اثنين وثلاثين ألفا أحياء كان منهم العالم الطبيعي (برونو) لقوله بتعدد العوالم وحكمت عليه بالقتل بأن لاتراق قطرة من دمه ، وكان ذلك يعني الحرق حيا ونفذ فيه الحكم. وكذلك حكمت على العالم الإيطالي (غاليليو) مخترع المنظار الفلكي بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس. هذا ماكان في أوربا في العصور الوسطى عداء بين الكنيسة

---

(٥٧) انظر الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية ـ للمؤلف.

والعلم ، فماذا كان في مجتمع الإسلام ؟.

الإسلام يخلو من الصفة الكهنوتية ، فلا رجال دين في الإسلام ، ولا بابا ، يحللون ويحرمون ، بل هناك علماء دين وكل مسلم مسؤول عن فهم دينه والحفاظ عليه : « أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك ». فلا طبقات دينية ولا رجال دين ، ولايستطيع كائن من كان أن يحلل شيئا أو يحرم شيئا إلا بنص من قرآن أوسنة ، وكل مسؤول عن نفسه ﴿ ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴾(٥٨) كما أنه لاخصومة بين الدين الإسلامي والعلم فقد احتضن الإسلام العلم وتحاكم إلى العقل وميز الحق بخصائصه ، وماعليك إلا أن تردد النظر في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة لترى الدليل تلو الدليل على أن الإسلام هو دين العقل والعلم والحق ، وأنه هو وحده من بين الأديان الذي عرف الفطرة وسماها باسمها ووصفها بأوصافها وشهد لنفسه أنه دين الفطرة ، بل أنه نفس الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وقد وصل المسلمون بتطبيق إسلامهم إلى أسمى الدرجات العلمية فجابوا البحار واشتغلوا بالتجارة وبالعلوم (من فقه ولغة وقرآن كريم وسنة مطهرة وفلك وجغرافيا وتاريخ ورياضيات وطب وهندسة) وبالصناعة. وكانت معامل الورق والمدارس والجامعات منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي من الصين إلى قرطبة في الأندلس وكان العلم مفتوحا للراغب فيه دون قيد أو شرط ولهذا نبغ كثير من الأدباء والعلماء من الطبقات الفقيرة وكانت رحلات العلماء تتم بحرية بين المشرق والمغرب.

٣- **النزاع بين البابوية والامبراطورية** : فرض قسطنطين النصرانية على الامبراطورية الرومانية في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م ، وفرض في هذا المؤتمر مع (٣١٨) أسقفا جماعة كهنونية تلقي على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين وأعلن أن تعاليم الدين لابد أن يتلقاها الناس من أفواه رجال الكهنوت ، فكان الفصل بين السلطة الدينية التي يمثلها الكهنوت وعلى رأسهم البابا ، والسلطة الزمنية التي يمثلها الامبراطور ، أو إن شئت فقل الفصل بين الدين والدولة، الدين من أفواه الكهنوت ، والدولة تطبق القوانين الرومانية الوثنية.

---

(٥٨) انظر فصل الحياة الاجتماعية من هذا الكتاب.

وانهارت الامبراطورية الغربية عام ٤٧٦م وبقي البابا فأصبح يتدخل في السلطة الزمنية ، وفي عام ٨٠٠م توج البابا «شارلمان» امبراطورا ، وتجددت الامبراطورية باسم جديد : «الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة»، وكان شارلمان قد حضر إلى روما لنجدة البابا ضد مخالفيه. واتخذ البابا قصة التتويج ذريعة واعتبر نفسه أعلى من السلطة الزمنية ، في حين اعتبر الامبراطور نفسه حاميا للسلطة الدينية فهو أعلى مستوى وأجدر بالطاعة. وظهر النزاع على تعيين الأساقفة وأصبح الصراع بين الدين والسياسة في دوامة عنيفة يتنازع البابا والامبراطور السلطة ، وكان الشعب هو ميدان الصراع وهو الضحية تارة يجذبه رجال الحكم والسياسة وتارة يخضعه رجال الدين واللاهوت وهو في حيرة من أمره ، وقد ظهر هذا التنافس على أشده في القرن الحادي عشر الميلادي وانتصرت فيه البابوية فيما يعرف بحادثة (إذلال كانوسا سنة ١٠٧٧م) ، فقد اضطر الامبراطور (هنري الرابع) أن يتقدم بخضوع وذلة نحو البلاط البابوي (البابا جريغوريوس السابع) في قلعة كانوسا شمال ايطاليا ، ولم يسمح له البابا بالمثول بين يديه إلا بعد شفاعة الرجال ، وبعد أن بقي أمام القلعة في برد الشتاء حافيا عاري الرأس لابسا الصوف ثلاثة أيام ، فغفر له البابا زلته. ولكن الحرب تجددت ، وكانت سجالا حتى ضعفت البابوية، وحل الأمر وسطا في «مؤتمر ورمز» سنة ١٢٢٢م بأن يقوم البابا بتعيين الأساقفة (رؤساء الكنائس) بحضور ممثلين عن الامبراطور. فهدأ الأمر إلى حين. فنشأ في أوربا (فكرة الحل الوسط) بالإضافة إلى اتساع الهوة بين الدولة والدين (فصل الدين عن الدولة). وكل ذلك قاد إلى فكرة فصل الدين عن الحياة نهائيا.

أين ذلك من الإسلام والمسلمين في ذلك العهد ؟ الإسلام لايفصل بين الدين والدولة وليس فيه سلطة دينية وسلطة دنيوية - إنه الإسلام والإسلام فقط ، فيه كل شيء من دين ودولة لا تنافر ولا فصل ، فهو عقيدة وشريعة ، نظام شامل يعالج شؤون الحياة جميعا فينظم علاقة الفرد بربه ، عن طريق العبادات ، وينظم علاقة الفرد بنفسه عن طريق الأخلاق. وينظم علاقة الفرد بالمجتمع عن طريق المعاملات ، وكلها علاقات مترابطة متآلفة متوازنة لايطغى أحدها على الآخر!

وبعد أن عرضنا حال أوربا المتخلفة في العصور الوسطى ، وحال المسلمين المتقدمة المتحضرة ، فماذا عن الصلات بين العالمين النصراني والإسلامي في تلك العصور ؟

لقد كانت هناك صلات بين العالمين غير صلات الحرب والقتال التي تكلمنا

عليها والتي سميت في وقت ما (بالحروب الصليبية) ومن وسائل الإتصالات :

أولا : المراكز الإسلامية من دار الإسلام في أوربا :

فقد كان المسلمون يسيطرون على معظم سواحل البحر الأبيض المتوسط ، أي جنوب أوربا ، فكانت بأيديهم شبه جزيرة «إيبريا» (إسبانياوالبرتغال) ، وصقلية وجنوب إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وكانت هذه المراكز مراكز اشعاع للحضارة الإسلامية تنشر ضوءها على جميع الأمم النصرانية في أوربا المظلمة. هذا وقد بدأت الحروب الصليبية في هذه الأماكن والمراكز واستطاع الأوروبيون دحر المسلمين وطردهم منها بعد أن استفادوا منهم.

ثانيا : ارتياد الطلبة الأوروبيين للجامعات الإسلامية :

كانت بلاد المسلمين تشهد نهضة علمية رائعة ، وانتشرت المدارس والجامعات جنبا إلى جنب مع المسجد ، فقد كان المسجد المدرسة الأولى للإسلام فكانت الحلقات والمناظرات في الكلام والأدب والشعر والفقه والحديث تقام فيه. وكانت المكتبات والكتب توضع في متناول كل محب للإستزادة من العلم ، دون قيد ولا شرط ، ومن مراكز الثقافة الإسلامية : بخارى ، وسمرقند ، وطشقند ، وبلخ ، ونيسابور ، والري (طهران) ، وشيراز ، وأصفهان ، وبغداد ، والموصل ، والبصرة ، والكوفة ، وحلب ، ودمشق ، والقاهرة ، والقيروان ، وجامع الزيتونة في تونس ، وفاس ، ومراكش ، وقرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ، وبالرمو ، وباري.

وأهم المراكز الثقافية التي كان يؤمها ويرتادها الأوروبيون للعلم :

قرطبة في الأندلس ، وبالرمو في صقلية ، وباري في جنوب ايطاليا.

ففي سنة ٣٦٠هـ أم جماعة من رهبان دير ماري غالن جامعات الأندلس لدرس العربية وتحصيل معارفها ، كما أقبل الرهبان البندكتيون يطلبون العلوم الإسلامية. ومن الذين أموا هذه المدارس البابا «سلفستر الثاني» وعدد كبير من أهل ايطاليا وفرنسا وجرمانيا وانكلترا ، وكانت جامعة قرطبة من أعظم جامعات الدنيا تقرأ فيها العلوم الطبيعية والفلكية والكيماوية.(٥٩)

ثالثا : الصلات التجارية بين الشرق والغرب :

لقد نمت التجارة وازدهرت في بلاد الإسلام في العصور الوسطى ، وكان

---

(٥٩) انظر الإسلام والحضارة العربية ج١/٢٤٢-٢٤٧ وانظر دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ـ د.عبد الرحمن بدوي نقلا عن صاحب صناجة الطرب في أخبار العرب ص ٤٣٣ وانظر عبد العزيز الشناوي وكتابه أوربا في مطلع العصور الحديثة

للمسلمين صلات تجارية مع معظم بلدان العالم ، وامتدت تجارتهم إلى الشرق حتى وصلت الفلبين والصين ، وإلى الغرب حتى وصلت بلاد الفرنجة ، وإلى الجنوب حتى وصلت نيجيريا والحبشة وموزمبيق ، وإلى الشمال حتى وصلت إلى بلاد الروس وسيبيريا وفنلندا ، وأصبحت المدن الإسلامية مراكز حافلة بمظاهر التبادل التجاري البري والبحري ومنها : بغداد ، والبصرة في العراق ، والفسطاط ، والاسكندرية في مصر ، وسيراف ، وأصفهان في فارس ، وطرابلس وصيدا وبيروت في الشام ، والمنصورة في الهند ، واستفاد أهل دار الإسلام من التجارة فضلا عن الغنى والثروة المالية خبرة بشؤون الحياة ومعرفة بأخلاق الناس ، فكان التجار دعاة للإسلام أينما حلوا(٦٠). وعلى الإجمال فقد كان المسلمون يتحكمون في الطرق التجارية وأهمها :

١- **طريق الخليج العربي** : وتبدأ من جزر الهند الشرقية - اندونيسيا - وماليزيا إلى بحر العرب إلى مضيق هرمز إلى الخليج الفربي - ومن ثم إلى شط العرب - وبغداد - والشام - وآسيا الصغرى وأوربا.

٢- **طريق البحر الأحمر** : وتبدأ من الهند وشرق افريقيا إلى المحيط الهندي - ومضيق باب المندب - والبحر الأحمر - وخليج السويس (بحر القلزم) - وغزة والاسكندرية - ثم إلى - أوربا.

٣- **طريق البر الغربي** :

وتبدأ من حيث تبدأ طريق البحر الأحمر - وتتجه برا عبر اليمن - الحجاز - الشام - أوربا.

٤- **طريق البر الصيني** - طريق الحرير -

ويبدأ من الصين إلى الهند عن طريق ممر خيبر - وخراسان - والعراق - والشام ومصر وبلاد المغرب وأوربا.

كان المسلمون يحملون في تجارتهم هذه : البهارات والبخور والتوابل والحجارة الكريمة والذهب وريش النعام والعاج من الهند وشرق افريقيا ، واللؤلؤ من البحرين ، والمر والبخور والحجارة الكريمة من اليمن ، وغير ذلك من مواد التجارة.

وكان البنادقة والجنويون واليهود هم الذين ينقلون التجارة إلى أوربا من موانيء

---

(٦٠) انظر إن شئت كتابات ابن حوقل ، والمقدسي ، وابن خرداذبه ،والمسعودي والإدريسي ،وابن رستة ، وابن بطوطة ، وابن جبير.

الشام ومصر وآسيا الصغرى. فأثرى هؤلاء إلى جانب المسلمين. وتأثرت أوربا بهذه الصلات المباشرة والغير مباشرة وخاصة ايطاليا. فلا عجب أن بدأت النهضة الأوربية في ايطاليا.

وبهذه الاتصالات انتقلت أوربا إلى عصر النهضة الأوربية وانقشعت عن الأوربيين غيوم الخرافات(٦١) والجهل الذي كان يسيطرعلى أجوائهم. وبقيت الروح الصليبية توجههم في علاقاتهم بالمسلمين.

أدرك الصليبيون أن مهاجمة العالم الإسلامي في قلبه ، ضرب من المحال ، فبدأوا بتغيير الاستراتيجية ، واتجهوا إلى أساليب أخرى. وكانوا قد تعلموا باتصالهم بالعالم الإسلامي : البوصلة ، والاسطرلاب ، وخرائط البحار ، وكروية الأرض ، وعرفوا عن أقاليم خط الاستواء ، فمكنهم ذلك من ارتياد البحار ، وتعلموا أسلوب التجربة ، فسارت مخترعاتهم قدما ، فاستطاع (جاليليو) العالم الايطالي اختراع المنظار الفلكي ، ونادى (كوبرنيكس) بفكرة دوران الأرض حول الشمس ، وتطور البارود ، الذي شل نظام الاقطاع نهائيا ، وقضى عليه. واخترع (يوحنا غوتنبرج) الألماني الطباعة بالحروف المتحركة ، كل ذلك مكنهم من معاودة الهجوم على المسلمين بأسلوب آخر ، هو أسلوب الاستعمار الذي مر بمرحلتين :

المرحلة الأولى : الاستعمار الأوروبي القديم :

كانت حركة الكشوف الجغرافية التي تم شطر كبير منها في القرن الخامس عشر الميلادي أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية ، وكان هدف الأوروبيين من هذه الحركة تحقيق أمرين :

أ- تطويق العالم الإسلامي لإضعافه تمهيدا لضربه في الداخل.

ب- البحث عن طريق تجاري لا يمر بديار المسلمين مع الهند.

وقد ساعد الأوروبيين في مهمتهم هذه ، الاسطرلاب ، والبوصلة ، والخرائط

---

(٦١) ومن هذه الخرافات أنهم كانوا يعتقدون أن الماء يغلي عند خط الاستواء ، وأن الأرض مسطحة فإذا وصل الإنسان حدها يهوي في ظلام دامس ، وأن المحيط الأطلسي - البحر المظلم - هو نهاية الأرض. ومابعد ظلام.

فعرفوا باتصالهم بالمسلمين عكس ذلك. فوجد عندهم حب الاستطلاع مع ماتعلموه من الآلات.

البحرية ، ومعرفة كروية الأرض(٦٢) ، فقد سعى البرتغاليون للحصول على علوم المسلمين الملاحية ، واستعانوا بالتجار اليهود ، في الأندلس ،الذين قاموا بدور الجواسيس ، في الحصول على معلومات المسلمين ، وتقديمها إلى أسيادهم البرتغاليين. وساعد اليهود على نجاحهم في عمليات التجسس ، معرفتهم باللغة العربية ، وقاموا برحلات بين المشرق والمغرب ، برا ، وبحرا ، لهذا الغرض ، وتظاهر بعضهم بالإسلام ، فتتابع وصول الجواسيس إلى مصر ، وسائر بلاد الإسلام ، ففي عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م قام جماعة من الجواسيس اليهود متخفين في زي تجار برتغاليين ، بالسفر إلى مصر سرا ، وكان على رأسهم (الفونسودي بايفا)(٦٣) ، ووقف الجواسيس على معلومات هامة ، عن كل مايتصل بتجارة التوابل ، وغيرها ، من البضائع الشرقية ، ثم أقلعوا على سفينة عربية ، من السويس إلى عدن ، ثم استقلوا سفينة أخرى متظاهرين بالإسلام ، وسافروا إلى الهند ، قبل وصول (فاسكودي غاما) إليها بنحو عشر سنوات ، وجمعوا ما راق لهم من معلومات ، ثم شدوا رحالهم إلى البرتغال ، عن طريق مصر ، وفي أثناء مرورهم بالقاهرة ، التقى هؤلاء ببعثة تجسس أخرى ، كانت تضم (أبراهام دي بيا) (ويوسف لاميجو)(٦٤) ، وهي على شاكلة البعثة الأولى ، تستهدف جمع المعلومات ، وانضمت البعثتان في بعثة واحدة سافرت إلى هرمز ،ثم زيلع ، ومنها إلى الحبشة ، ثم عادت إلى مصر ، وواصلت سفرها في رحلة العودة إلى البرتغال ، واستطاعت هذه البعثة الحصول على خرائط عربية ، عن المحيط الهندي ، ومعلومات تفصيلية ، عن التيارات البحرية ، والرياح الموسمية ، في هذا المحيط ، فضلا عن البيانات الخاصة بالتجارة الشرقية ، من حيث حجمها ، وفئاتها ، وماإلى ذلك. وقدمت البعثة كل ذلك إلى السلطات الحاكمة في لشبونة ، فكانت لهم

(٦٢) اهتم المسلمون بالجغرافيا وعلوم الملاحة لحاجتهم إليها لدينهم. فتحديد القبلة للصلاة ، وبيت الله الحرام للحج ، ومعرفة الأقاليم لتبليغ الدعوة ونشرها. وقد حث القرآن الكريم على طلب العلم ، والارتحال في سبيله ، والتبصر في آيات الله في الآفاق. فظهرت مؤلفات جغرافية تناولت : الجغرافية الكونية ، والطبيعية ، والبشرية ، والسكانية ، والبحار والمحيطات ، والمواصلات ، والجغرافيا العامة ، والرحلات ، والمدن ، والأمصار ، والجغرافيا الفلكية .. وظهر علماء في الجغرافيا كالبلخي ،والبكري ، والهمذاني ، واليعقوبي ، والمسعودي ، والقزويني ، وابن حوقل ، والادريسي ، والمقدسي ، والبيروني ، وابن جبير ، وابن بطوطة وغيرهم.

(٦٣) د. عبد العزيز الشناوي / أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٩٧.

(٦٤) د. عبد العزيز الشناوي / أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٩٨.

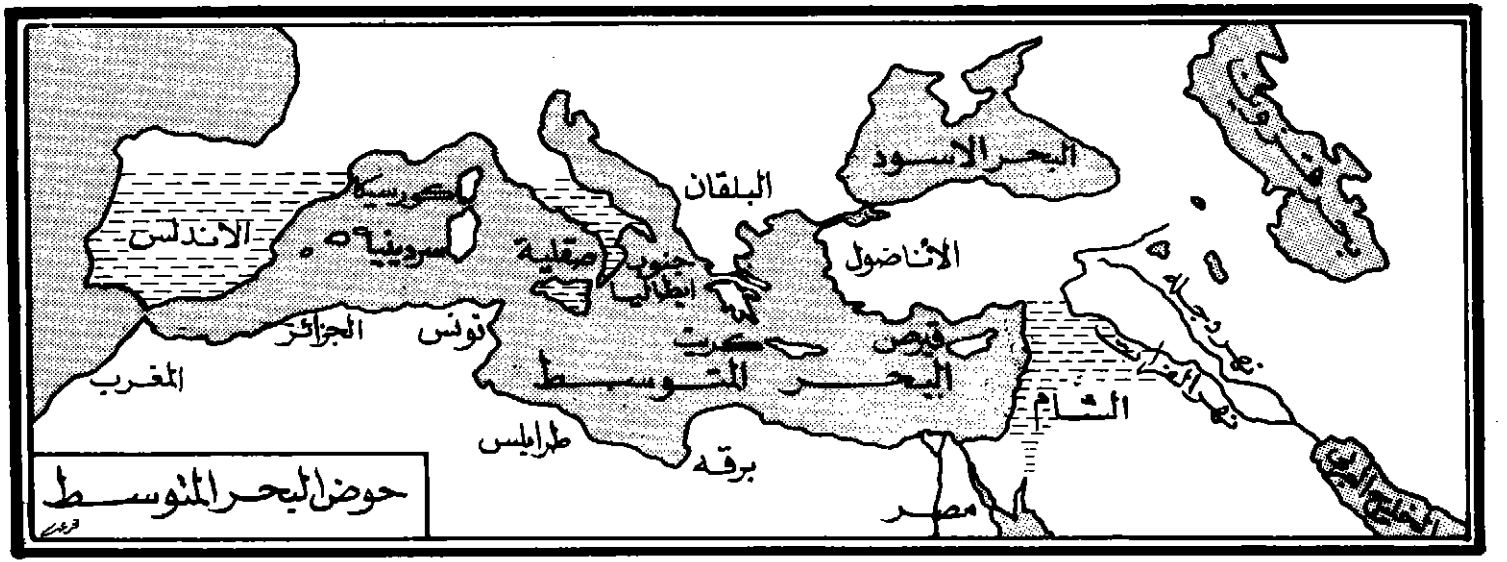

مراكز انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

نعم المعين ، في تقدير الموقف ، والمضي قدما في إيفاد البعوث الكشفية الجغرافية ، ابتغاء الوصول إلى الهند بحرا. فتمكن (بارثلميودياز) من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح (جنوب افريقيا) ، وأتم (فاسكودي غاما) ، بمساعدة العالم المسلم (أحمد ابن ماجد) الرحلة ، فوصل البرتغاليون إلى كاليكوت (فاليقوط) في الهند ، وأخذوا يقيمون المراكز ، والحصون ، والقلاع ، على السواحل الافريقية والآسيوية ، لبسط سيطرتهم العسكرية والتجارية ، على هذه المنطقة ، وهزموا أسطولا إسلاميا ، ضم سفنا من المسلمين في الهند ، ومن دولة المماليك في مصر والشام ، ومن الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبلقان **٩١٥هـ/١٥٠٩م** ، في معركة (ديو) شمالي بومبي بالهند[٦٥] وكان الشاه الصفوي إسماعيل الشيعي قد تعاون مع البرتغاليين في إيران : فتأكدت سيادة الصليبيين على البحار وانحسرت قوى المسلمين في المحيط الهندي . وكانت رحلة فاسكودي جاما صليبية واضحة ، تتخفى وراء العلم والاستكشاف . فقد قال عندما وصل كاليكوت (فاليقوط) بمساعدة أحمد بن ماجد : «الآن طوقنا رقبة الإسلام ، ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق»[٦٦] .

وتمكن (خريستوفر كولمبوس) الجنوي الأصل (٨٥٥-٩١٢هـ/١٤٥١-١٥٠٦م) - من الوصول إلى جزر البحر الكاريبي ، ظانا أنها جزر الهند لصالح أسبانيا ، وذلك لفكرة سيطرت عليه ، وهي : أنه إذا أبحر غربا من مضيق جبل طارق ، وعبر المحيط الأطلسي ، استطاع أن يصل إلى الشواطيء الشرقية لآسيا[٦٧]. وبالفعل وصل إلى جزر البحر الكاريبي ، سنة **٨٩٨هـ/١٤٩٢م** وعرف «أمريكو فسبوتشي» أنها أراض جديدة ، فسميت باسمه أمريكا عام **٩٠٧هـ/١٥٠١م**[٦٨].

لقد حملت الاكتشافات الجغرافية الروح الصليبية ، بما فيها من حقد ، وكراهية ، على الإسلام ، والمسلمين ، تمثل ذلك في آراء البابا (نيقولا الخامس) (٨٥١/٨٦٠هـ)(١٤٤٧/١٤٥٥م) - الذي وضع خطة تنفذ مع الكشوف الجغرافية ، لضرب المسلمين ضربة أخيرة ، والقضاء على الإسلام قضاء مبرما ، وأرسل في سنة (**٨٥٩هـ/١٤٥٤م**) إلى ملك البرتغال ، مرسوما بابويا تضمن ما يعرف باسم : (خطة الهند) تقوم على إعداد حملة صليبية نهائية ، تشنها أوربا

(٦٥) فجر غيث ص ١٤٤.
(٦٦) محمد قطب - واقعنا المعاصر ص ١٨٩.
(٦٧) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٠٤.
(٦٨) نفسه ص ١١٠.

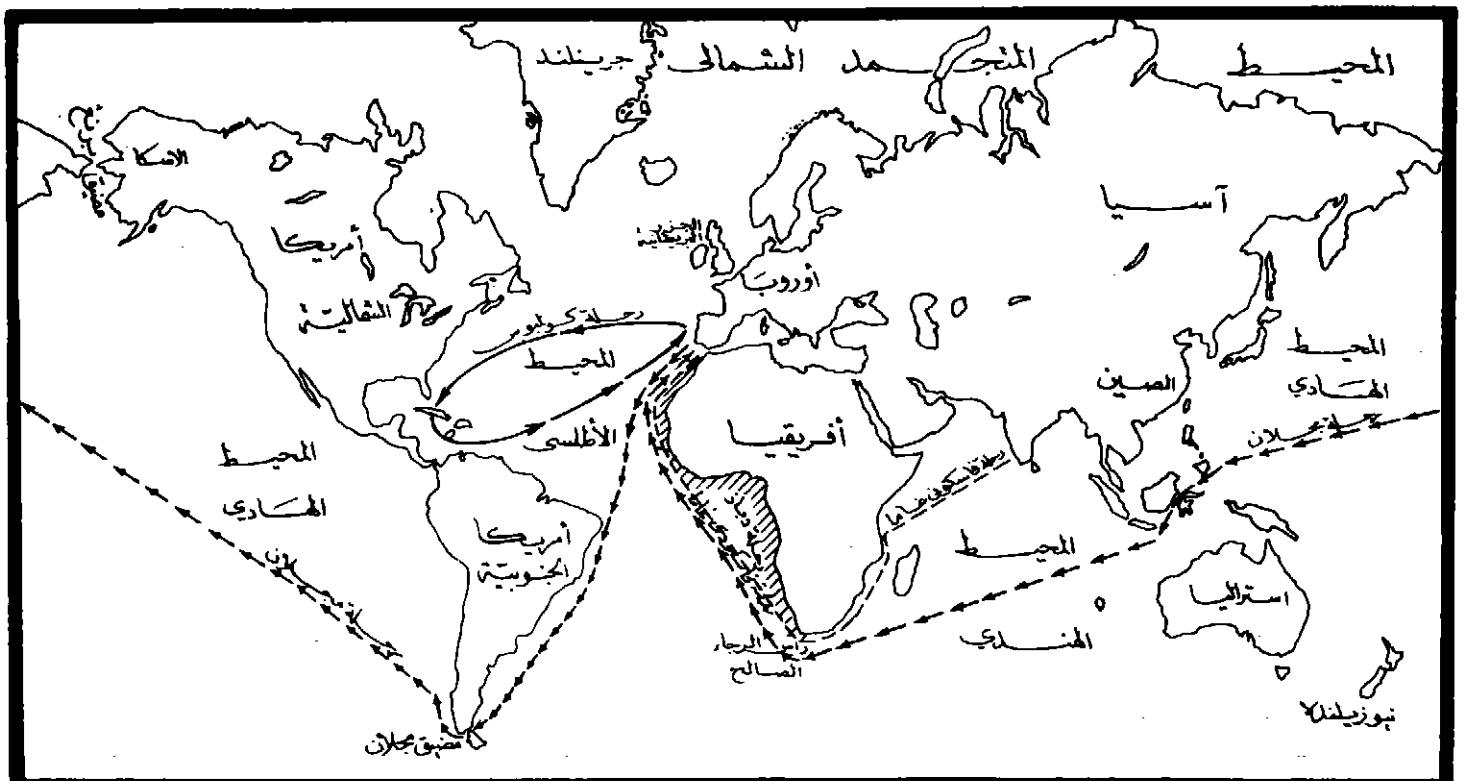

الأكتشافات الجغرافية الأوروبية وتغير طرق التجارة الى البحار الكبرى

الكاثوليكية ، للقضاء قضاء مبرما على الإسلام ، بعد أن تحقق كشوف البرتغاليين أهدافها ، ويتصلون بالملوك النصارى ، سواء في أفريقيا ، أو آسيا ، كي يسهم هؤلاء الملوك في تمويل الحملة الصليبية بالأموال ، والرجال ، والعتاد ، ويتم تطويق البلاد الإسلامية(٦٩).

وتمثلت هذه الروح الصليبية في (هنري الملاح) أمير البرتغال ، وفي القائد البرتغالي (البوكرك) الذي كان يعمل بهمة ، ونشاط ، للاستيلاء على جميع النقاط الاستراتيجية ، حتى يمهد للاستيلاء على مكة ، ومصر ، وبيت المقدس ، من المسلمين. وبالرغم من ضخامة هذه الآمال ، فإنها تدل على مغزى كبير ، وهو : أن قادة البرتغال ، كانت تحركهم الأفكار الصليبية ، واعتبروا أنفسهم مكلفين بالثأر للحملات الصليبية الفاشلة ، وحملوا لواء الأهداف ، التي عجز عن تحقيقها ملوك أوربا الصليبية السابقين(٧٠). وهذه الروح هي التي دعت القائد البوكرك أن يقول لرجاله قبل احتلاله ملقا عام ٩١٧هـ/١٥١١م :

« أجل خدمة لخضد شوكة الإسلام ، بحيث لايقوم له قائمة بعد اليوم بعملنا هذا ، وأنا على يقين ، أننا إذا انتزعنا الأفاويه ، والبهارات ، من يد العرب ،فإن الدمار سيحل بالقاهرة ، ومكة. وستتوقف تجارة البندقية مع العرب»(٧١).

وقال في يومياته :

« فكان هدفنا الوصول إلى الأراضي المقدسة للمسلمين ، واقتحام المسجد النبوي ، وأخذ رفاة النبي محمد ﷺ رهينة لنساوم عليه العرب ، من أجل استرداد القدس ، وكان هدفنا الثاني : احتلال جنوب مصر ، من أجل تغيير مجرى نهر النيل كي يصب في البحر الأحمر ، بدلا من مروره على القاهرة في طريقه إلى البحر المتوسط ، مما يضمن لنا خنق القلب الذي يقود الحرب ضدنا »(٧٢).

وأما فرديناند وايزابيلا ملكا اسبانيا فقد غلب عليهما العداء للإسلام ، والمسلمين ، وشنا حربا لا هوادة فيها على البقية الباقية من المسلمين في شبه جزيرة أيبريا ، إلى أن نجحا في القضاء على آخر معقل إسلامي هناك - غرناطة - (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) .وكانا يمنيان النفس ببعث عهد الحروب الصليبية ، وإنفاذ

---

(٦٩) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ٦١.

(٧٠) ضحى غيث ص ١٤٤.

(٧١) أنور الجندي - الإسلام والحضارة - ص ٦٥.

(٧٢) نهب صالح ص ١٢٧.

حملة ، لانتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين(٧٣). وأما كولمبوس الذي عمل لحسابهما ، فكان على طرازهما ، وطراز هنري الملاح ، تبرز فيه الناحية الصليبية ، فقد رسمت الصلبان على أشرعة السفن ، التي أقلته في رحلاته ، وكان يتوق لرفع الصليب عاليا في أراضي (خان الكبير) في الصين ، وتحويل ملايين الوثنين إلى النصرانية ، ولكنه شجع تجارة الرقيق ومارسها(٧٤).

وبعد : فماذا كانت نتيجة هذه الكشوف الجغرافية على بلاد الإسلام ؟

لقد تغيرت طريق التجارة عن بلاد الإسلام ، والبحر الأبيض المتوسط ، إلى المحيطات الكبرى ـ الأطلسي ، والهندي ، والهادي ـ فأدى ذلك إلى ضعف تجارة المسلمين ، ثم ضعف الصناعة ، والزراعة ، فقد هجر الناس المدن إلى الأرياف ، وعاد الكثير منهم إلى البادية ، فكسدت البضاعة ، وخوت الأسواق ، وقل عدد سكان المدن ، فأصبحت قرى ، الأمر الذي أدى مع الزمن إلى عزلة المسلمين ، وإلى شيوع الجهل ، والتأخر ، والأمية.

وأما من الناحية العسكرية ، فقد طمع الصليبيون بعد أن أحاطوا بالعالم الإسلامي، بوصول «مجلان» إلى الفلبين شرقاً، ملتقياً النفوذ الإسباني بالبرتغالي في أقصى المشرق من العالم الإسلامي ، فحاولت إسبانيا ، وفرنسا ، والبرتغال من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الاتصال مع الحبشة الأرثوذكسية ، للقيام بغزو بحري إلى كل من عصب ، ومصوع ، وسواكن ، على أمل غزو الحجاز ، وهدم قبر الرسول ﷺ ، وبالفعل قامت البرتغال بحملة دخلت البحر الأحمر ، ووصلت إلى ينبع ، وتحطمت أثر عاصفة هوجاء ، وأمام هذا التحدي الصليبي ، عجز المماليك عن المواجه ، فتوجه السلطان سليم العثماني إلى الشام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) ، فضمها إلى الدولة العثمانية ،ثم ضم مصر عام (٩٢٢هـ/١٥١٧م)(٧٥) ، وامتدت الدولة العثمانية وانتصبت تردكيد الصليبيين، ولكن دون أن تستطيع استعادة سيطرة المسلمين على البحار، خلا البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، ولكنها استطاعت أن تمنع الصليبيين من مهاجمة قلب ديار الإسلام ، وشمال أفريقيا ، وتولت أمر الخلافة والدولة ، فكبحت جماح رغبة الصليبيين الشريرة ، وامتدت في أوربا ، مما دفع الصليبية إلى مواقف الدفاع ، لفترة طويلة أمام الدولة العثمانية.

---

(٧٣) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٠٥.

(٧٤) نفسه ص ١٠٩.

(٧٥) د. علي حسون ـ الدولة العثمانية ص ٤٨.

ونتج عن حركة الكشوف الجغرافية: اكتشاف العالم الجديد، واستيطانه، في حركة سميت: الاستعمار الأوربي القديم ـ واتبعت أوربا الغربية أسلوب إبادة السكان، أو تهجيرهم، أو الاختلاط بهم، بعد إذلالهم، وفصلهم عن ماضيهم نهائياً، كما حصل في الأمريكتين، وأستراليا. وأصبح العالم الجديد امتداداً لأوربا، ومتنفساً لها، وظهيراً، في مواجهة الإسلام.

كما حقق الصليبيون رغبتهم، وأهدافهم، في تطويق العالم الإسلامي، وتحويل طرق التجارة عن بلاد الإسلام، وتسلم زعامة البحار، وتدفق الذهب، والفضة، وغيرهما من المعادن النفيسة إلى أوربا، وأدخلت تحسينات على بناء السفن التجارية، من الحجم، والحمولة، والسرعة، ومتانة الأجسام، وطرأ تقدم كبير على عدد لايستهان به من العلوم الجغرافية، والفلكية، والتاريخية، فدخلت أوربا عصرا عرف في التاريخ الإقتصادي باسم: (**الثورة التجارية**)(٧٦). التي أدت بدورها إلى ظهور الطبقة البرجوازية في أوربا (الطبقة الوسطى). وبدأت تقود حربا شعواء ضد الكنيسة وتسلط البابا ورجال الدين في حركة دعيت (**حركة الإصلاح الديني ـ أو حركة الإنشقاق الديني**):

إذ زادت مساويء الكنيسة مع بداية حركة النهضة الأوروبية، واشتد عسف رجال الدين، وتحكمهم في عقول الأوروبيين. وكان البابا قد احتاج لنفقات كثيرة في تزيين (فرسكة) كنيسة القديس بطرس (الفاتيكان)، فابتكر وسيلة لجمع المال وهي: (**بيع صكوك الغفران**) التي حولت أمر الدين النصراني إلى مهزلة حقيقية.

فتحرك بعض المفكرين وشكوا في عصمة البابا والأساقفة.

فظهر **مارتن لوثر** في ألمانيا (**١٤٨٣-١٥٤٦م**) وانتقد صكوك الغفران. وحرمه البابا، فأسبغ عليه أمير سكسونيا حمايته، وأقام في قلعته، وترجم الإنجيل إلى الألمانية، ونشره، وأظهر مفاسد الكنيسة. فسمى أتباعه: **البروتستت** (المحتجون).

ومما يدل على تأثر لوثر بالفكر الإسلامي فكرته التي نشرها: (الاخلاص إلا بالإيمان). وقوله: «ليس للبابا وحده حق احتكار تفسير الإنجيل»

---

(٧٦) أوربا في مطلع العصر الحديث ص ١٢٥.

وظهر **كالفن** في فرنسا (**١٥٠٩-١٥٦٤م**) وسمي أتباعه : (الهيجونوت). كما انفصلت الكنيسة البريطانية ودُعيت (**الانجليكانية**). وكان قد قام (زونجلي) (**١٤٨٤-١٥٣١م**) بحركة ضد الكنيسة الكاثوليكية في الأراضي المنخفضة ، وانتهى أمرُه بمصرعه في معركة كابل عام **١٥٣١م** وقُطعت جثته ، ثم حُرق.

وعلى كلّ فقد أصبحت أوربا الصليبية في الغرب دينيا كما يلي :

١- **الكاثوليك** : وهم أتباع البابا في فرنسا ، واسبانيا ، والبرتغال ، وإيطاليا ، وألمانيا.

٢- **البروتستنت** : وهم الذين خرجوا على كنيسة روما ومنهم :

أ- **اللوثريون** : في ألمانيا ، واستكندنافيا (السويد ، والنرويج).

ب- **الكالفنيون (الهيجونوت)** : في فرنسا ، والأراضي المنخفضة (هولندا ، وبلجيكا ، ولكسمبورغ ، والدانمارك).

ج- **أتباع الكنيسة الانجليكانية** في بريطانيا.

وقد أعقب هذا الإنقسام صراع ديني مرير ، استعمل فيه البابا سلاحا رهيبا وهو : **ديوان التفتيش** (أو محاكم التفتيش أو التحقيق) منذ عام **١٤٧٨م** لمواجهة المنشقين.

وتمت مذابح دينية مرعبة من أشهرها مذبحة القديس (بارثلميو) عام **١٥٧١م** في فرنسا. حيث قضي فيها على الهيجنوت تماما في فرنسا. فهاجر البوير على أثر ذلك إلى جنوب افريقيا وأقاموا كيانا عنصريا لايزال يعيش هناك.

وانزوى الدين عند الأوروبيين إلى الكنيسة وإلى يوم الأحد ، وقد سايرت الكنيسة هذا الاتجاه تبعا للقاعدة التي سادت حياة أوربا : (**الغاية تبرر الوسيلة**).

وقد واجه المسلمون الأمرين في أوربا. فأزيلوا تماما من أوربا الكاثوليكية : اسبانيا والبرتغال وفرنسا وايطاليا والعالم الجديد(٧٧). وتعرضوا لأبشع عمليات الإبادة التي عرفها التاريخ.

المرحلة الثانية : الاستعمار الأوروبي الحديث (الامبريالزم) :

وقام على استغلال خيرات البلاد المستعمَرة (بفتح الميم) ، واستعباد سكانها ، والسيطرةعلى مقدراتها.

وقد نتج هذا الاستعمار عن حركة في أوربا تسمى : حركة **الثورة الصناعية**

---

(٧٧) انظر تفاصيل ذلك إن شئت : عبد العزيز الشناوي - أوربا في مطلع العصور الحديثة ، عاشور : أوربا العصور الوسطى. ول ديورنت - قصة الحضارة.

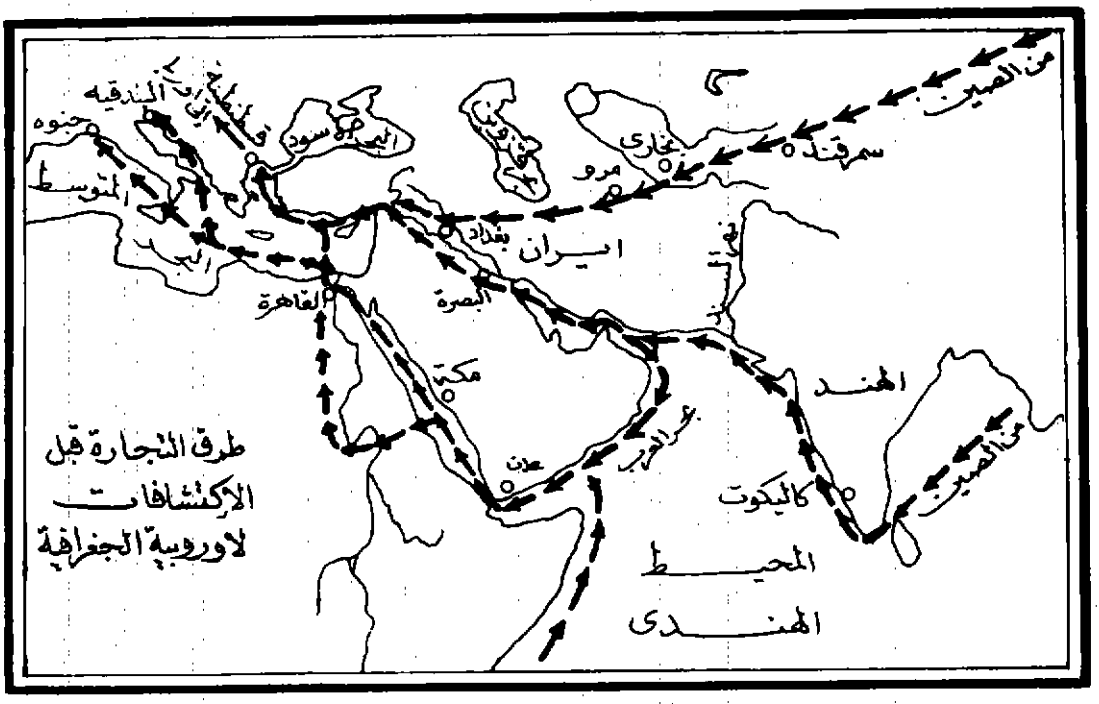

أو (الانقلاب الصناعي) : وهي عبارة عن سلسلة من التغييرات في أساليب الصناعة ، أصبح الإنسان بسببها يعتمد على الآلات في انتاج مصنوعاته.

وصارت هذه الآلات تدار بقوى غير بشرية ، سخرها الإنسان أو اخترعها كالبخار ، أو البترول ، أو الكهرباء ، وحديثا بالطاقة الذرية. وقد بدأت هذه الثورة في بريطانيا في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي ، واستمرت بعد ذلك وانتشرت في أوربا ، وأمريكا ، منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، وزاد الانتاج الصناعي زيادة هائلة ، بقليل من النفقات ، فاحتاج أصحاب المصانع إلى المواد الخام ، والقوى المحركة ، وإلى الأسواق لتصريف البضاعة ، فتم استغلال الفحم في أوربا ، واستخدم في استغلاله الأطفال والنساء ، كما استخدموا في المصانع ، فأدى ذلك إلى انحطاط الأخلاق وانتشر الفساد الخلقي ، كما انتشرت عادة شرب الخمر ، ولعب الميسر ، وغيرهما من المفاسد الخلقية ، واخترعت السكك الحديدية ، لنقل المواد الخام ، ولتصريف البضائع ، وظهرت طبقة تحتكر المصانع ، ازداد مالها زيادة فاحشة سميت **بالطبقة الرأسمالية** التي أصبح همها جمع المال وبأي وسيلة ، وبالتنافس الحر دون قيد من دين أو تقاليد ، الأمر الذي

أدى إلى بؤس العمال في أوربا - وظهرت طبقة العمال الكادحة من عمال المناجم والمصانع. وأمام هذه التعاسة التي وقع فيها المجتمع الأوروبي ظهرت أفكار بشرية للإصلاح ولتحسين أوضاع العمال والنساء والأطفال. وحصل العمال على بعض الحقوق مثل : زيادة الأجور ، وتحديد ساعات العمل ، والإجازات الأسبوعية والسنوية والمرضية ، والتعويض عند الضرر ، والتأمين عند الشيخوخة والمرض المزمن وماإلى ذلك .. كما ظهرت فكرة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في الأجر ، وستتطور الفكرة لتأخذ أبعادا خطيرة. كما ظهرت قوانين حماية الأطفال ! ونشأت في أوربا تبعا لذلك فكرتان متباعدتان متحدتان في المنشأ هما : الإشتراكية والديمقراطية ، وهما على طرفي نقيض ، تقوم علاقاتهما على التناقض والصراعات.

والرأسمالية دفعت الحكومات الأوربية دفعا لحركة الإستعمار، للحصول على المواد الخام ، وإيجاد الأسواق لتصريف بضائعها ، فتنافست الدول الأوربية في البحث عن مستعمرات ، فكان العالم الإسلامي هدفا من أهدافهم - تحركهم ضده الخلفية الصليبية. ولذلك فالاستعمار الأوربي حلقة جديدة ومرحلة متصلة بالحروب الصليبية القديمة ، وآية ذلك أن (اللورد اللنبي) القائد الانجليزي ، بعد أن دخلت قواته القدس سنة **١٣٣٧هـ/١٩١٨م** قال كلمته المشهورة الموحية بهذا المعنى : « الآن انتهت الحروب الصليبية ».

وقد مهدت طوابير المبشرين (المخربين) والمستشرقين لحركة الاستعمار واتخذ الاستعمار الحديث أشكالا متعددة ، ولبس لبوسا متنوعة منها: الاحتلال العسكري ، والاستعمار الإقتصادي عن طريق الشركات ، وربط العملات المحلية بعملات الدولة المستعمرة ، والقروض والمساعدات وإقامة المشاريع. والمعاهدات غير المتكافئة بين الدولة المستعمرة القوية والدولة المستعمرة الضعيفة فتكون المعاهدة بالطبع في صالح الدولة القوية. والحماية والانتداب والوصاية. وأما أهم أنواع الاستعمار الحديث والمعاصر وأدومها أثرا فهو الاستعمار الفكري الذي لايزال العالم الإسلامي يعاني منه ويعيش فيه.

وقد تنافست الدول الأوربية في استعمار العالم الإسلامي ، وعلى الأخص بريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا. ولقد اختارت فرنسا ، وبريطانيا لتوسعهما الاستعماري هذا ، ولفرض سلطتهما ، على المستعمرات نظام الحماية ، حتى لايثير احتجاج الدول الأخرى نتيجة لتغييرهما الأوضاع الدولية في بلاد الإسلام ، وحتى تموهان على أبناء البلاد بأنهما لاتريدان ضم بلادهم ، أو النزول بها إلى مستوى

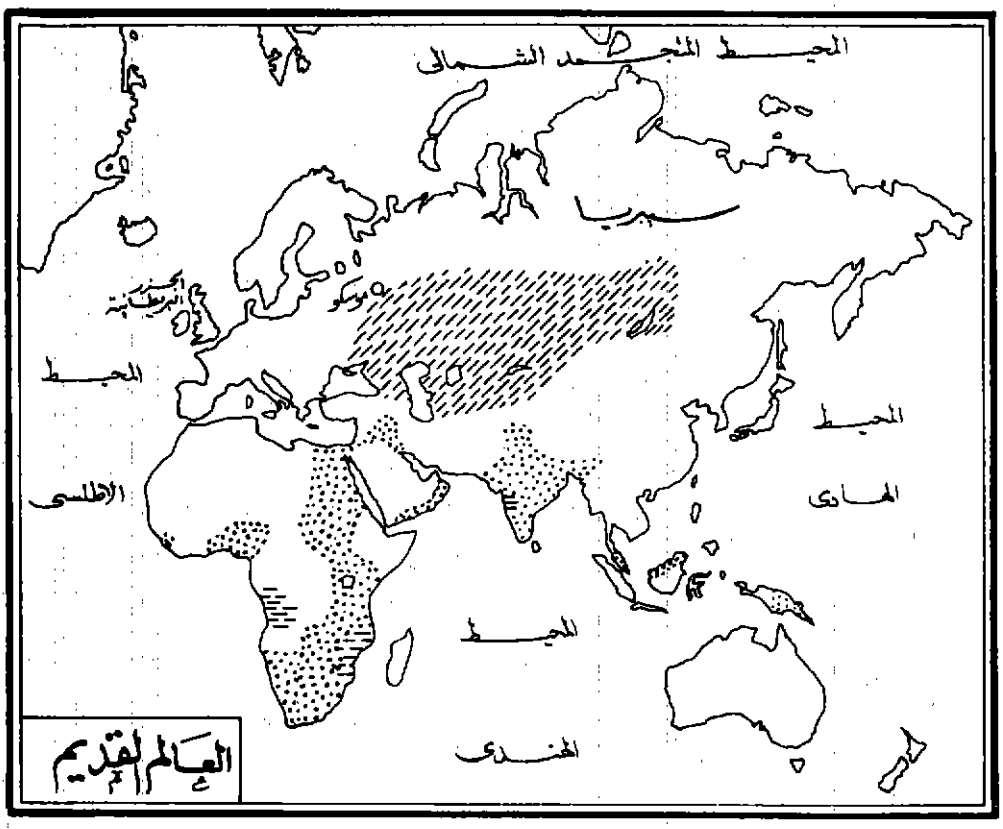

المستعمرات الانجليزية فى العالم الاسلامى المستعمرات الروسية فى العالم الاسلامى المستعمرات البرتغالية فى العالم الاسلامى

المستعمرات ، وحتى تحملان البلاد نفقات قوات الاحتلال ، ونفقات الإصلاحات ، التي تشيران بها عليها. وحتى تظهران أمام المعارضة في بلادهما بأنهما نزلا إلى عملية تضمن لهما المكاسب المادية ، والعسكرية ، والمعنوية ، دون أن تكلفهما الأموال ، والتضحيات ، فضمنتا بهذا النظام الحصول على كل امتيازات الدولة المستعمرة ، والسيطرة على الامكانيات المادية ، والبشرية ، والاستراتيجية ، وكأنهما تتعاونان مع السلطات الوطنية في ذلك.

ورغم أن معاهدات الحماية تظهر وكأنها قد عقدت بين طرفين متساويين ، إلا أن الضغط العسكري الذي يصحب هذا التوقيع ،وسيطرة الدولة المستعمرة ، وإشرافها على الشئون العسكرية ، والعلاقات الخارجية للقطر ، تظهر الأمر على حقيقته ، وتحتل فيه الدولة المستعمرة جميع الوظائف العليا ، وخاصة وظائف مديري المصالح ، مثل الاشغال ، والمعارف ، والصحة ، والمالية ، بل يصبح لهم

حق إصدار القرارات الوزارية ، الأمر الذي يؤدي إلى سرعة ، وقوة استغلال المستعمرين لامكانيات القطر ، نظرا لأن رعايا الدولة المتفوقة في البلاد يمنحون الحماية اللازمة للقيام بعملياتهم ، وعضدهم أمام أي منافسة يقوم بها أي مواطن لدولة أخرى ، وتظهر عمليات الاستغلال الاستعماري هذا في شكل شركات رأسمالية كبيرة ، تقوم باستغلال ، واستعمار مساحات واسعة من الأرض ، وبشكل يهدف الإستغلال الرأسمالي ، أكثر مما يهدف التوطين ، كما تمكنوا من استغلال الثروة المعدنية.

كذلك اتبعت بريطانيا وفرنسا أسلوب الوصاية والانتداب بعد الحرب العالمية الأولى لتكتسب الشرعية في تنفيذ مخططاتها في البلدان المستعمرة.

وأما روسيا فبقيت تستعمل الأسلوب القديم ـ الاستيطان في بلاد الإسلام مع بعض التغيير في الأسلوب.

وفيما يلي الدول الأوروبية التي سيطرت على العالم الإسلامي :

١ـ **بريطانيا** : واستعمرت ماليزيا ، وشبة جزيرة الهند ، وسواحل الخليج العربي ، والجنوب العربي ، ومصر ، والسودان ، وأوغنده ، وجزءا من الصومال ، واريتريا ، وتنزانيا ، ونيجيريا ، وقبرص ، وغانا. كما استعمرت بعد الحرب الأولى: العراق وشرقي الأردن وفلسطين. وغيرها.

٢ـ **فرنسا** : واستعمرت الهند الصينية ، ومالي ، وتشاد ، والنيجر ، والسنغال ، ومدغشقر (مالاغاش) ، وموريتانيا ، والمغرب ، والجزائر ، وتونس ، وغينيا ، وجيبوتي. وبعد الحرب الأولى استعمرت سوريا ، ولبنان ،وكيليكيا.

٣ـ **ايطاليا** : واستعمرت : ليبيا ، وجزءا من الصومال ، وأرتيريا.

٤ـ **روسيا** : واستعمرت : سيبيريا ، وتركستان الغربية ، والأراضي الإسلامية في آرال ، وحوض نهر الفلغة ، وشبه جزيرة القرم ، وبلاد القفقاس (القوقاز). وامتدت بنفوذها إلى شمالي إيران.

٥ـ **أسبانيا** : واستعمرت : الريف المراكشي ، واقليم افني ، والصحراء المغربية. وإقليم مورو الإسلامي في الفلبين.

٦ـ **هولندة** : واستعمرت : جزر الهند الشرقية (اندونيسيا).

٧ـ **البرتغال** : واستعمرت :موزمبيق.

٨ـ **بلجيكا** : واستعمرت : الكونغو في أواسط أفريقيا.

وفي الوقت الذي بدأ فيه الاستعمار الأوروبي يكيل الضربات على العالم

الإسلامي ، كانت كبرى دول الإسلام هي(٧٨) :

١ـ **الدولة العثمانية** : في الأناضول والعالم العربي والبلقان وهي دولة الخلافة.

٢ـ **الدولة الفارسية** : في إيران وهي شيعية.

٣ـ **الدولة المغولية** : في الهند.

وكان الصراع قائما بين الدولة العثمانية والفارسية والمغولية ، واستغلت ذلك بريطانيا إلى أقصى حد ، فأيدت الفرس في صراعها مع الدولة العثمانية ، ففتحت فارس أبوابها للنفوذ الأجنبي مبكرة ، واتخذت من ذلك ركيزة وقاعدة لحماية الهند (درة التاج البريطاني).

وأما الدولة المغولية فكانت دولة محلية لم تلعب دورا خارج شبه القارة الهندية ، فلم تعرف ألاعيب السياسة الاستعمارية ، فوقعت صريعة أمام المخططات الإنجليزية. ووقفت الدولة العثمانية وحدها تصارع هذه القوى العاتية إلى أن انهارت ، وضعفت تحت مطارقها ، وتمزقها في الداخل.

وظهر الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ـ١٩٤٥م) بأساليب جديدة بالابتعاد عن العنف ، والقوة السافرة، كلما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ولجأ إلى التلون حسب الملابسات الزمنية ، والأوضاع الاجتماعية ، للبلاد التي يزحف إليها ، معتمدا على الخديعة ، والدس ، والتآمر ، لتحقيق مآربه ، وتسلم زعامة الاستعمار في هذه الفترة **الولايات المتحدة الأمريكية** ، **والإتحاد السوفيتي** متبعا وسائل العمل غير المباشرة وذلك:

ـ عن طريق غزو الشعوب والسيطرة عليها من الداخل. فاستخدم الانقلابات العسكرية ، والدعوة إلى الاشتراكية. بل إن أمريكا عملت على إيجاد أنظمة حكم تعارضها معارضة معتدلة(٧٩).

ـ وعن طريق التكتلات الإقتصادية الاحتكارية.

ـ وعن طريق الحرب الباردة.

فلجأ إلى :

١ـ إقامة القواعد العسكرية في البلاد ، تحت ستار المعاهدات غير المتكافئة ، بحجة الدفاع عن السلام العالمي ، أو للحماية. ولاتلبث البلاد أن تجد نفسها مكبلة بتلك القواعد التي تنطلق منها قوى العدوان في أي وقت.

(٧٨) انظر أنور الجندي ـ العالم الإسلامي والاستعمار ص ٣٨٦.

(٧٩) برنارد لويس ـ الغرب والشرق ص ١٩٥.

٢ـ عقد الأحلاف وجر البلاد إليها، وعن طريقها تحرك البلاد الضعيفة الداخلة في نطاق هذه الأحلاف حسب هواها، وبما يحقق المصالح الاستعمارية فحسب.

٣ـ فرض السيطرة الإقتصادية عن طريق إدخال البلاد في نطاق عملة البلد المستعمر، وما يستلزمه ذلك من خلق جهاز مصرفي يحقق التبعية الإقتصادية للبلد المستعمر.

٤ـ تقديم المعونات المشروطة للبلاد لتبقى البلاد مكبلة بمحض إرادتها لما يريده الاستعمار الجديد من ضغط وإزهاق.

٥ـ عرض المساعدات الفنية غير البريئة، عن طريق استغلال الاستعمار الجديد لحاجة البلاد النامية إلى تلك المساعدات. فيبدأ بمديد المساعدة الفنية، حتى إذا ما اطمأنت البلاد المحتاجة إلى تلك المساعدة ورتبت حياتها على ذلك يفاجئها الاستعمار بطلباته، أو بوقف تلك المساعدات، أو يعرقلها، وعندئذ لا تجد الضحية من سبيل غير الاستسلام لهذا الاستعمار الجديد. وقد أجادت الولايات المتحدة هذه اللعبة لتصفية النفوذ البريطاني والفرنسي نهائياً بعد أن أنهكتهما الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) وكانتا بحاجة إلى المساعدة. فطلب (ترومان) عام ١٩٤٧م من الكونجرس الأمريكي الإذن بمساعدة اليونان وتركيا، حيث أن انجلترا لا تستطيع الاستمرار في مساعدتهما، بحجة الخطر الشيوعي، ثم توسعت المساعدات الأمريكية فشملت إيران[٨٠]، وكثيراً من أقطار العالم الإسلامي.

٦ـ إقامة الدولة اليهودية الصهيونية في فلسطين: وإمدادها بالرجال من روسيا، وبالأموال والأسلحة من أمريكا، لتبقى الذراع الطويلة التي تهدد العالم الإسلامي، فلا تجد الأقطار الإسلامية مناصاً من أن تلجأ إلى أحد المعسكرين، وهما وجهان لعملة واحدة[٨١].

هذا وقد انفردت أمريكا بالهيمنة على العالم منذ سنة ١٩٩١م وقادت الاستعمار المعاصر بعد انهيار النظام الشيوعي في روسيا. وينتظر العالم خلاصة بالإسلام بإذن الله.

٤ـ الحركة الصهيونية:

من جراء الثورة الصناعية في أوربا، انتقلت المصانع من البيوت، إلى المؤسسات الكبيرة، التي تحتاج إلى أموال هائلة، فاستغل ذلك اليهود الذين كانوا يملكون المال، فبرزت البيوتات المالية اليهودية الكبيرة، وفي مقدمتها بيت أسرة

(٨٠) برنارد لويس ـ الغرب والشرق ص ٢٠١.

(٨١) جريدة الشرق الأوسط ـ شجون عربية ـ علاقات موسكو وتل أبيب / ص٢ السبت ١٤٠٦/٢/١٩هـ/١٩٨٥/١١/٢م.

(روتشيلد)، وأصبح زعماء اليهود يؤثرون تأثيراً كبيراً في العلاقات الدولية، لأنها هي التي تحرك الصناعة، وتستغل الحكومات، في البحث عن مستعمرات فنشأت الفكرة الصهيونية في أحضان الاستعمار، وولدت في فراشه. وأصبحت تمثل بعداً جديداً للاستعمار، والغزو الغربي، المتطلع للسيطرة والنفوذ في العالم الإسلامي. وقد حاولت الصهيونية منذ قيامها كحركة منظمة، أن تضمن التحالف، والارتباط بالدول الاستعمارية في العالم (فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة)(٨٢).

والصهيونية حركة سياسية عنصرية دينية، قام بها أصحابها في مواجهة التحديات، والأخطار، التي واجهت اليهود في أوربا تحت ظل فكرة القوميات، فهي تهدف إلى جمع الملايين من اليهود في العالم في كيان يهودي قومي (في فلسطين) استنادا إلى مزاعم تاريخية ودينية تربطهم بها، واتخاذ فلسطين نقطة انطلاق لدولة كبيرة تمتد من الفرات إلى النيل(٨٣)، ومن ثم تكوين امبراطورية صهيونية عالمية تكون وريثة للحضارة الغربية.

واعتبرت الصهيونية اليهود قومية بدون وطن، وحملت أمم العالم مسئولية إيجاد هذا الوطن، واختارت فلسطين لذلك(٨٤). وقد أخذوا فكرتهم العنصرية من التلمود ثاني الكتب المقدسة عند اليهود بعد التوراة المحرفة، الذي يدعوهم إلى التعالي على غيرهم فهو يقول: « الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير ».

أيها اليهود: إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة ».

ويقول: « سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم، فالله لايغفر ذنبا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود، ورد الأشياء المفقودة من الأجانب ».

وهذه الأقوال دعوة صريحة إلى التعالي، والاستغلال، وامتصاص دماء الشعوب والأفراد(٨٥).

---

(٨٢) انظر خيري حماد. الصهيونية. ص ٧٩-٨٠.

(٨٣) ذكر ذلك الحاخام يهودا وزير الأديان الإسرائيلي في مؤتمر الكيرن كاييت بالقدس ١٩٥١م (خيري حماد ص ٧٣)

(٨٤) مع ملاحظة أن اليهودية دين وليست جنسا، وفي اليهودية أجناس كثيرة كاليهودي الخزري واليهودي الأسود واليهودي العربي والأوروبي.

(٨٥) خيري حماد. الصهيونية. ص ١٣.

وقد ذمهم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم لذلك :

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾(٨٦).

﴿ قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾(٨٧).

وقد ربطت الحركة الصهيونية الهدف السياسي العنصري بالدين اليهودي ربطا محكما ، بأن حولت العلاقة الروحية التي تربط اليهودي بفلسطين (كالتي تربط المسلمين بمكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وبيت المقدس ، وكالتي تربط النصارى ببيت لحم ، والناصرة ، وكالتي تربط السيخ بمعبدهم الكبير في لاهور ، والشيعة بكربلاء)(٨٨) ، حولت هذه الرابطة إلى هدف سياسي للاستيطان بفلسطين ، مدعية أن اليهود يمثلون جنسا مميزا يعود إلى بني إسرائيل ، وأعلنت فلسفة مستمدة من الأساطير ، تتمثل في العودة إلى فلسطين ، بموجب الحق الطبيعي ، والتاريخي ، الذي يعود إلى ماقبل ثلاثة وعشرين قرنا. وحاولت أن تجعل من بعض نصوص العهد القديم وسيلة لكسب النصارى إلى صفها. ووضعت مخططا واسعا في سبيل إكساب وجود اليهود في فلسطين حقا تاريخيا ، بالتزوير في كتابات التاريخ ، ووضع الموسوعات ، والكتب باللغات المختلفة(٨٩) ، وكذلك القصص المسرحية ، والسينمائية ، التي تحاول فرض نظرية جديدة ، قوامها القول بأن إسرائيل هو الشعب المختار الذي واجه الاضطهاد على مدى التاريخ(٩٠) ، وأن عظماء الفكر في العالم ، وكبار المكتشفين والباحثين في مختلف العلوم ، كانوا من اليهود ، وإعلاء شأن الجنس اليهودي ، والدعوة إلى السامية ، واعتبار كل من يقف في وجه حركتهم هو من أعداء السامية(٩١) ، فنجحت الصهيونية في دمج الفكر الديني والسياسي ، معتمدة على إثارة المشاعر الدينية ، بعد تحويرها

---

(٨٦) سورة المائدة الآية ١٨.

(٨٧) سورة آل عمران الآية ٧٥.

(٨٨) ظفر الإسلام خان ـ التلمود ص ٧٠.

(٨٩) تقول الموسوعة (دائرة المعارف البريطانية : « إن الصهيونية حركة يهودية قومية ، هدفها خلق دولة قومية لليهود في فلسطين ، إذ يعتبرون هذه البلاد وطنهم الأصلي ويسمونها أرض إسرائيل » خوري حماد ص ٨).

(٩٠) انظر : جارودي ـ الصهيونية ص ٣٧، ص ٤٥.

(٩١) تمكن اليهود من استصدار قانون بفرنسا سنة ١٨٨١م إلى عدم التشهير بأي شخص بسبب انتمائه إلى عرق معين أو أمة ما أو جنس أو دين ولذلك من السهل اتهام من يكشف حقائق الصهيونية باللاسامية ويتعرض للمحاكمة القضائية / انظر جارودي. الصهيونية. ص ٥ـ٦.

من ناحية ، وعلى الإفادة من التجارب السياسية العنصرية المتزمتة في العالم ، تحت شعارات (القومية). وكانت الحركة الماسونية التي سبقت الحركة اليهودية في سبيل تحقيق هدف عريض تسعى له اليهودية العالمية للسيطرة على العالم. وقد تكشفت هذه المخططات من خلال ماتسرب إلى العالم من نصوص التلمود ، وماكشفت عنه بروتوكولات حكماء صهيون ، ويوميات هرتزل ، وعديد من الكتابات التي سمحت الصهيونية بإذاعتها بعد الحرب العالمية الثانية ، وحاولت بها أن تكشف عن مخططاتها الخفية التي كانت سرية ، ومحاطة بقدر كبير من الكتمان ، وذلك في محاولة لتضخيم دورها في سياسة العالم ، مما يولد اليأس لدى أعدائها ، بعد أن نجحت في كثير من مخططاتها ، وتحكمت في مصائر كثير من دول العالم.

هذا وقد سميت الصهيونية بهذا الاسم نسبة إلى جبل صهيون (Zion) بالقدس

واستخدمت الصهيونية الاستعمار الأوروبي ، والشيوعية الروسية ، لتحقيق أهدافها. وتحركت في جسم الأمة الإسلامية بواسطة مؤسساتها الجهنمية الماسونية ، والنوادي الرياضية ، والأندية الثقافية مثل الروتاري ، والليونز وغيرهما ، والجمعيات المختلفة ، فأحدثت الفراغ الفكري ، الذي حاول أن يتغذى بالفكر الغربي الديمقراطي ، أو الاشتراكي. فأدى ذلك إلى ازدواج الشخصية المسلمة ، ولم تواجه التحدي الصهيوني كعادة الأمة الإسلامية في مواجهة التحديات. فاشتد الخطر الصهيوني. وسنتناول ذلك بتفصيل عند البحث في قضايا العالم الإسلامي المعاصرة فهي قد قامت في مهمتين :

أ- المزيد من الصلات بالغرب ، والمزيد من التأكيد على أهمية دورها في الديمقراطية الغربية ، وحماية المصالح الأساسية للحضارة الغربية ، في منطقة الشرق الأوسط.

ب- المزيد من ربط الصهيونية بالشيوعية. واستغلال الشيوعية لتنفيذ المخططات الصهيونية ، بارتباط الأحزاب الشيوعية في البلاد الإسلامية بالمخططات الصهيونية.

وقد هدفت الصهيونية بالتعاون مع الاستعمار إلى أهداف أساسية في العالم الإسلامي :

١- تمزيق وحدة العرب والمسلمين ، والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي ، بالفصل بين قارتي آسيا وأفريقيا ، فهدفت الصهيونية إلى وراثة النظام الرأسمالي ، والسيطرة على العالم الإسلامي.

٢- تتمة الغزو الثقافي للعالم الإسلامي ، بتدمير كل القيم ، والأنظمة ،

والأخلاقيات ، ونقل أسلوب الإلحاد ، والإباحية ، والتسلط.

وقد أفرزت الصهيونية فكرا خطيرا في عالم الإسلام وفي العالم أجمع هو **الفكر الماسوني**.

والماسونية جمعية يهودية ، تهدف إلى تدمير القيم ، والأديان ، وهي تتشكل في إدارات اجتماعية ، هدفها الأساسي تنفيذ ماجاء في التوراة المحرفة ، من إحياء الأوهام التي تسيطر على الزعامات اليهودية ، من إقامة مملكة إسرائيل الكبرى ، وفي الوقت نفسه ، تحقيق ماجاء في بروتوكولات حكماء صهيون ، التي حملت المخططات الصهيونية اليهودية العالمية.

والترجمة الحرفية للاسم تعني : (جمعية البنائين الأحرار) أي الذين لاتربطهم رابطة أو تلزمهم نقابة(٩٢). وهي تزعم أنها مؤسسةاجتماعية ، فلسفية ، تحب الخير للإنسانية ، وترجو لها الترقي ، والتقدم ، وتهدف إلى البحث عن الحقيقة ، وترمي إلى تحقيق الأخلاق الدنيوية ، وتطبيق أسس التعاون ، والتآزر ، وتتخذ من وسائل الرقي المادية ، والمعنوية أساسا للتعامل الاجتماعي ، والفكري للإنسانية. ورفعت شعارا براقا هو : الإخاء والحرية والمساواة التي خدعت كثيرا من المفكرين واستهوتهم.

وقد كشفت بعض محافلها عن الأهداف الحقيقية لها وهي(٩٣) :

١ـ المحافظة التامة على اليهودية.

٢ـ محاربة الأديان بصورة عامة.

٣ـ بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب.

وقد احتضنت بريطانيا هذا الاخطبوط الماسوني فكانت أسبق الدول بإنشاء محفل ماسوني أعظم ، ثم توالى بعد ذلك إنشاء المحافل الماسونية(٩٤) ، ودخلت بذلك البلاد الإسلامية لتزيد من تمزقها ومشاكلها(٩٥). وأنتجت الماسونية معاول هدامة في جسد المجتمع المسلم منها : البهائية ، والقاديانية ، ويهود الدونمة ، والروتاري ، والليونز ، والروحية الحديثة(٩٦).

---

(٩٢) الماسونية. محمد صفوت السقا وزميله ص ١١.

(٩٣) د. صابر طعيمة ـ الماسونية ذلك العالم المجهول ص ١٥٩.

(٩٤) انظر مجلة دار الهلال ـ القاهرة ـ العدد يونيو ١٩٧٧م ص ٣٣ـ٣٤.

(٩٥) انظر عن الماسونية في مصر / محمد صفوت السقا. الماسونية. ص ١٢٢.

(٩٦) انظر القوى الخفية لليهودية العالمية ـ الماسونية ـ لداود عبد العفّو سنقرط ـ ص ١١٧ ومابعد.

٥ـ الحركة الشيوعية :

ومن المصائب التي حلت بالعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري ظهوز الشيوعية ، كاتجاه عقائدي يناقض الإسلام بالكلية ، وككيان رسمي هدفه إبادة الوجود الإسلامي واستئصاله ليس من الاتحاد السوفيتي فحسب وإنما من العالم أجمع.

والشيوعية فلسفة مادية جدلية للتاريخ ونظام الحياة ، تقوم أساسا على المادة ، ومعاداة الأديان ، تنتسب إلى «كارل ماركس» الفيلسوف الألماني وحفيد الحاخام اليهودي «مردخاي ماركس». ركز مع الفيلسوف الانجليزي «إنجلز» على فكرة الصراع الطبقي في إحداث التغيرات الاجتماعية ، والتي أخذها عن فكرة (الديالكتيك) الجدلية من الفيلسوف الألماني «هيجل» بعد أن قلبها وجعل المادة أصلا لاالفكر. بل اعتبر الفكر نفسه مادة. كما أخذ كثيرا من أفكار «موشي هس» صاحب كتاب الدولة اليهودية الذي تأثر به «هيرتسل» صاحب فكرة الصهيونية الحديثة ومنظرها.

وفي عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م قام لينين مع قادة الحزب الشيوعي بثورة دموية ، سقط خلالها عرش القيصرية الروسية ، فتحقق بذلك قيام دولة للفكر الإلحادي اللاديني في واحدة من أكبر دول العالم ، لتكون منطلق الغزو التبشيري للعقيدة الماركسية المادية التي أعلن أصحابها : بأنه لامبرر بعد للهدنة مع الميراث الديني ، وأصحابه ، وإلا أدت هذه المهادنة إلى بعث ديني فيه خطر على التجربة الاشتراكية(٩٧).

وتحرك الفكر الماركسي اللينيني وليد الصهيونية(٩٨) في جسم الأمة الإسلامية فكريا ، وواكبته حرب دموية ، هدفها استئصال المسلمين وتصفية وجودهم البشري والفكري في البلاد الإسلامية التي حكمتها. فقد بدأت الاشتراكية في البلاد الإسلامية العربية على شكل (موضة) بواسطة بعض الكتاب النصارى منهم :

---

(٩٧) د. صلاح الدين المنجد ـ كتاب بلشفة الإسلام ص ٢٤.

(٩٨) قال الملك فيصل بن عبد العزيز من كلمة في فريق طلبة الكلية الحربية بواشنطن : « عندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ولكن في الحقيقة إن الشيوعية وليدة الصهيونية وهدفها الأساسي هو التخريب والتحطيم ». (جريدة البلاد السعودية. جدة/ عدد يوم الخميس ٢٦ صفر ١٣٩١هـ/٢١ ابريل ١٩٧١م. عن وكالة الأنباء السعودية).

وكان هذا عنوان كتاب أصدره أحمد عبد الغفور عطار (الشيوعية وليدة الصهيونية).

النصراني السوري شبلي شميل (١٨٦٠-١٩١٧) ، والكاتب النصراني المصري : سلامة موسى (١٨٨٧-١٩٥٩)(٩٩) دون أن يكون لهم تأثير على المجتمع.

وبعد ظروف إنهاء الخلافة العثمانية وفدت الشيوعية إلى العالم الإسلامي يحملها يهود إلى مصر سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م وسنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م حيث تعددت فيها المنظمات الشيوعية وكان أشهرها :

١- الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني ، واختصر إلى (حدتو) بزعامة اليهودي كوريل.

٢- منظمة أسكرا (الشرارة أو الشعلة) ورئيسها يهودي ماركسي يدعى (إيلي شوارتز) وغير الاسم إلى : نحو حزب شيوعي مصري ومختصره (نحشم).

٣- منظمة الفجر الجديد - التي سميت فيما بعد الديمقراطية الشعبية (د.ش) وأسسها : يوسف درويش ، وريمون دويك. واختصت هذه المنظمة باصطياد العمال ، والعاطلين ، والمنحرفين من الشبان والشابات.

٤- المنظمة الشيوعية المصرية (م.ش.م) وأسسها اليهوديان (أوديت) وزوجها (سلامون سدني).

وقد أثر الدعاة الشيوعيون في كثير من الطلبة ، والطالبات ، والعمال ، والمدرسين ، باسم الأماني الوطنية ، وتحرير مصر من الاستعمار ، ومناهضة الأحلاف العسكرية ، وسحروهم بالماركسية اللينينية ، وزعموا لهم أن الشيوعية نصير الشعوب المستعمرة المظلومة، وأنفقوا الأموال الكثيرة التي كانت تصلهم من موسكو بلا حساب(١٠٠).

وكذلك حمل الشيوعية إلى العراق يهود. واستطاعوا استمالة كثير من شباب العراق ، وشعرائه ، وأدبائه ، وكتابه ، وكان منهم بدر شاكر السياب الذي روى للأستاذ قدري قلعجي ما لديه من علم عن الشيوعية في العراق(١٠١)

وفي سوريا أسس الحزب الشيوعي يهودي يدعى (شامي) سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م وكان يتقن العربية(١٠٢).

واستطاعت الشيوعية أن تتسلل إلى الأقطار الإسلامية وأصبح في بعضها

---

(٩٩) برنارد لويس - العرب والشرق الأوسط ص ٩٥.

(١٠٠) الشيوعية وليدة الصهيونية. ص ٨٩.

(١٠١) في كتابه تجربة عربي في الحزب الشيوعي - ص ١٩،٢١-٢٢.

(١٠٢) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٩٢.

أحزاب شيوعية قوية كاندونيسيا ، وبنغلاديش ، والعراق ، وسوريا ، والبلدان الأفريقية.

- واستطاعت الصهيونية والشيوعية أن تشغل المسلمين بصراع وهمي مع الاستعمار ، وبصراع حقيقي ورهيب فيما بينهم ، مما أسموه التقدمية ، والرجعية ، والاقطاع ، والرأسمالية(١٠٣) ، وكانت الاشتراكية المخدر الذي أمات الشعور الإسلامي ، وألهاه عن الأخطار اليهودية وغيرها(١٠٤). فكانت بذلك تحديا خطيرا تحول من تحد خارجي إلى داخلي. والتحدي الداخلي أشد وأعنف من التحدي الخارجي. فما بالك إذا كان هذا التحدي الداخلي مدعوما بقوى خارجية هائلة الشيوعية والصهيونية؟!

- وكانت الشيوعية عاملا مساعدا لانتشار ونمو كثير من الاتجاهات الفلسفية المادية ، التي تلتقي معها في أسس النظرة إلى الكون ، والإنسان ، والحياة ، **والوجودية**. كانت أبرز هذه التيارات على الاطلاق ، وقد وضع فلسفتها (جون بول سارتر) ذو النسب اليهودي (١٣٢٣-١٤٠٠هـ)(١٩٠٥-١٩٨٠م)) وتقوم نظريته على إبطال مبررات الوجود ، وإبطال تفسيره والحكمة منه. ومن هنا تلتقي نظريته بالشيوعية من حيث إنكار وجود الله.

ودعوته جريئة للإباحية والتحرر من المعتقدات ، والأعراف ، والقيم ، والتقاليد ، مما تعتبر المبرر الرئيسي لنشاط الفئات الشاذة في العالم كالهيبيين والخنافس وأشياعهم.

يقول سارتر : « إن ماينبغي أن تكون عليه حياة الوجودي هو توديع مايسميه الجبناء وجدانا ، وضميرا ، والاستجابة إلى داعي الحيوانية ، وتلبية كل ماتدعو إليه شهواته ، ونبذ كل التقاليد ، والتعاليم الاجتماعية ، وتحطيم القيود ، التي ابتدعتها

---

(١٠٣) نفسه ص ٧٤.

(١٠٤) انظر الاشتراكية في التجارب العربية. بالمهيل ص ٣٤.

الأديان»(١٠٥) .ودخلت فكرة الوجودية إلى العالم الإسلامي ، وزار سارتر كثيرا من دوله ، ومعه عشيقته (سيمون دي بوفوار) المؤمنة بفلسفته(١٠٦).

---

(١٠٥) وليم جيمس. إرادة الاعتقاد ص ١٢١ترجمة د. محمود حسب الله.

(١٠٦) وسيمون هذه لا توارب ولا تلف في ذكر أفكارها فهي ترى أن الزواج الذي قررته الأديان شيء سخيف ، وإن من حق المرأة أن تعاشر من تحب وإذا كانت متزوجة فلا يسوغ إكراهها على الرضا بشخص واحد../ وقد نشرت مجلة الهلال في ١٩٦٦//١/١م مقالا ضد الزواج طافحا بأوسخ الأفكار / وهو عدد ممتاز من مجلة الهلال يتضمن (موسوعة الجيب الاشتراكية ، من الاشتراكية الخيالية إلى الواقع المعاصر ، وفيه عرض أفكار سيمون هذه. واستقدم سارتر وعشيقته إلى القاهرة ليتحدثا إلى المثقفين في الجمهورية العربية المتحدة وعرضت لهما الدعاية في الأهرام وأسرة تحريرها : حسنين هيكل ولطفي الخولي ولويس عوض. وعقدت الندوات والمحاضرات ألقيت وتحدث الراديو والتليفزيون ينشر المشاهد والمحاورات وفي جامعة القاهرة... انظر. محمد الغزالي. الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص ٣٦-٣٧.

الفصل الثالث

نتائج التحديات الخارجية والداخلية على العالم الإسلامي

كان من نتائج هذه التحديات مايلي :

أولا : الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية:

إن توالي هذه التحديات ، والوقوف في وجهها تصدها الأمة ممثلة في علمائها ، ومجدديها ، وقادتها المخلصين ، استنزف قواها ، وقادها أخيرا إلى الضعف ، وأخذ العالم الإسلامي يسير من ضعف إلى ضعف. وأخذ المسلمون يتخلون عن موقعهم الأساسي في قيادة البشرية ، وتوجيهها إلى وجهة الخير التي يكلفهم بها الإسلام ، وتخلوا عن التبعات التي أناطها بهم في كل اتجاه ، حين قعدوا عن الاجتهاد وركنوا إلى التبعية والتقليد.

وانقطعت صلتهم بماضيهم وأسلافهم في الجهاد وتضحياتهم ، فانحسر إرثهم الإسلامي في بطون الكتب ، يدورون حوله ، فأهدرت في الأمة روح الإبداع ، والابتكار ، وانقاد المسلمون إلى عصر من **الجمود** ، وهو نوع من الانطواء على الذات في مواجهة التحديات ، حفظ عليهم حضارتهم ، وكيانهم ، ولو في حالة توقف حضاري ، والتزم علماء الأمة ومفكروها دائرة الحواشي ، والمتون ، وعكفوا على نصوص السابقين ، وكتبهم ، ينزلونها أحيانا منازل العصمة والقداسة(١).

وفي الوقت الذي بدأ فيه العالم الإسلامي يتحرك من جموده ، وبيعث الإسلام في مختلف مجالات حياته ، وينفض عنه غبار الجمود ، والتقليد ، والجبرية ، والتواكل ، بقيام دعوات سلفية لإحياء الإسلام في قلب الأمة (كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، والحركة السنوسية في ليبيا ، والحركة المهدية في السودان ، والحركة الدهلوية في الهند ، والسلفية في المغرب ، وشركة إسلام والجمعية المحمدية في أندونيسيا، وحركة عثمان دنفديو في السودان الغربي) كان قد طغى سيل الحضارة الغربية المادية ، والتهم الاستعمار الغربي بلاد الإسلام ، واشتد التحدي ، فلم تنجح هذه الحركات في لم شعث المسلمين ، وكان نجاحها محدودا ، وفي بلاد معينة. فابتعد المسلمون عن تطبيق الشريعة بفعل هذا الاستعمار

---

(١) فتح الله ص ٢٤.

والصهيونية والشيوعية وأساليبها أكثر فأكثر(٢) ، واشتد الأمران : الوهن الداخلي ، والتآمر الخارجي ، على الكيد للشريعة الإسلامية وتشويه معالمها فكريا ، وصرف المسلمين عنها واقعيا.

وكان أول قطر بدأ فيه إلغاء الشريعة الإسلامية هو **الهند** ، فقد أخذ الانجليز يلغون القانون الإسلامي آنا بعد آن ، ويستبدلون به القوانين الوضعية ، حتى تم إلغاؤه في أواسط القرن التاسع عشر ، ولم يبق منه إلا مايسمى بقانون الأحوال الشخصية ، الذي يتعلق بمسائل النكاح والطلاق وغيرهما(٣).

وألغى الانجليز الحكم بالشريعة في **السودان** ، عام **١٣١٧هـ/١٨٩٩م** ، وقد أخذ أساسا من قانون العقوبات الذي وضعه الانجليز للهند سنة **١٢٧٧هـ/١٨٦٠م**.

وفي **العراق** استبدل الانجليز فور الاحتلال بقانون الجزاء العثماني قانونا جديدا ، أصدره قائد قوات الاحتلال ، سنة **١٣٣٧هـ/١٩١٨م** ، باسم (قانون العقوبات البغدادي). وفي **تونس** طبق القانون الوضعي عام **١٣٣٣هـ/١٩١٤م**. وصدر بعنوان (المجلة الجنائية) واقتبست نصوصه من القوانين الفرنسية ، والإيطالية.

وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا وفرنسا تدفعان **الدولة العثمانية** ـ دار الخلافة ـ إلى منزلق خطير جدا ، يأخذ اسم الإصلاح وشكله ، بينما ينطوي في داخله على أكبر المفاسد ، وقد أعان على ذلك جنود الغزو الفكري من أبناء الدولة نفسها ورعاياها ، فأصدرت الدولة العثمانية عقب مؤتمر باريس سنة **١٢٧٢هـ/١٨٥٦م** الذي أنهى حرب القرم(٤). قوانين عرفت باسم (التنظيمات الخيرية) ـ التجديدات ـ وتضمنت إنشاء مايسمى بالمحاكم المختلطة والمحاكم التجارية تابعة للدولة نفسها وتطبيق قوانين أجنبية باسم دولة الخلافة الإسلامية ذات السيطرة الواسعة على المسلمين.

وكان هذا هو حدث الأحداث في بداية انهيار التشريع الإسلامي من حيث التطبيق والتنفيذ. وحتى مجلة الأحكام الشرعية ـ الأحكام العدلية التي أصدرتها الدولة عام **١٢٩٥هـ/١٨٦٩م** وقننت فيها أحكام المعاملات من مذهب أبي حنيفة لتقابل مايسمى بالقانون المدني في الأنظمة الوضعية ـ حتى هذه المجلة لم تكن تطبق إلا على

---

(٢) انظر وصف لوثروب ستودوارد للعالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي. حاضر العالم الإسلامي ج١ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) فتح الله ص ١٠٤-١٠٥ عن أبي الأعلى المودودي / رسالة القانون الإسلامي وطرق تنفيذه ص ١٠-١١. وانظر التفاصيل :أصول قانون العقوبات ص ١٣،١٤.

(٤) انظر .د.علي حسون. الدولة العثمانية ص ١٥٨.

رعايا الدولة فقط وفي الأحوال التى لايكون فيها أحد طرفي النزاع أجنبيا ، ثم مع ذلك استمرت عرضة للتحريف والانتقاص(٥) إلى أن انحسرت دولة الخلافة ثم زالت.

وأما **مصر** : فقد تعرضت لحملة نابليون الفرنسية عام **١٧٩٨م** الذي حاول تنحية الشريعة الإسلامية. فصرخ أحد علماء الأزهر (وهو الشرقاوي) في وجهه قائلا : « لو كنت مسلما حقا كما تدعي ، لطبقت الشريعة الإسلامية في بلدك فرنسا ، بدلا من تنحية الشريعة هنا ، ووضع القوانين الوضعية ».

وبعد فشل حملة نابليون - اتجهت فرنسا لتدعيم محمد علي باشا والترحيب ببعثات الطلاب المصريين في بلادها ، وبعث العلماء والأطباء والقادة العسكريين إليه ، ليكونوا في الحقيقة رسل التغيير ، وحملة الحضارة الفرنسية. وكان في بداية هذا إدخال بعض القوانين التجارية والحربية إلى مصر نقلا عن قوانين فرنسا.

وظل النفوذ الفكري الفرنسي يتسلل إلى مصر حتى كان الخديوي إسماعيل الذي ربي في فرنسا ، وصاغته صالونات باريس ، وصداقاته المتعددة لرجالها ونسائها صياغة جديدة غريبة تماما عن الأمة ، فكان مبهورا بما رأى وسمع ، وكانت أمنيته التي صرح بها مرارا أن يجعل مصر قطعة من أوربا ، فأسرف في تشييد القصور ، وإقامة التماثيل والحدائق والمتنزهات والمسارح ودور الغناء بلا ضرورة ولا وعي ، فأغرق بلاده في الديون ، وأنشأ دار الأوبرا ، واستقدم لها المغنيين والمغنيات ، واستأجر أشهر موسيقي أوربا ليضعوا لها الألحان.

وكان إسماعيل هذا أول من تجرأ على هدم شريعة الإسلام هدما غير مسبوق في تاريخها ، فقد أنشأ أول مدرسة للحقوق على النمط الفرنسي ، فأصبحت مصدرا أساسيا لتخريج أجيال مقطوعة الصلة بشريعة الإسلام ، ثم طورت لتصبح كليات واسعة النطاق.

ويذكر محمد طلعت حرب - الإقتصادي المصري الشهير(٦) : أنّ إسماعيل لما أراد أن ينفصل بمصر عن الدولة العثمانية ، وعد ملوك أوربا إن أيّدوه أن يبدّل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية ، ويفصل السياسة عن الدين ، ويطلق الحرية للنساء ، بحيث يسرن في إثر المرأة الغربية ، وينقل إلى مصر

---

(٥) انظر فتح الله ص ٤٦-٤٧ ، د. محمود مصطفى. أصول قانون العقوبات في الدول العربية ص ٩-١٠ ، علي حسون ص ١٦١-١٦٢.

(٦) ويضيف فتح الله (ص ٥٢) أن هذه الواقعة التاريخية لم نجد من يكذبها وهي مأخوذة عن : تربية المرأة والحجاب الذي نشر عام ١٨٩٩م ردا على كتاب قاسم أمين. تحرير المرأة. للدكتور ماهر حسن فهمي ص ١٤٠. ط وزارة التعليم المصرية / ص ٦٥ من ط سلسلة أعلام العرب.

معالم المدنية الأوروبية.

وغرقت مصر في الديون. فتدخل الأجانب بحجة حماية أموالهم حتى كان في الوزارة المصرية وزيران انجليزي وفرنسي. فدخلت رياح الانقلاب التشريعي وانتهت باحتلال البلاد كلها ثم فرض شريعة الغرب عليها.

أما في **المغرب والجزائر** فقد فصل علال الفاسي خطوات محاولة القضاء على الشريعة الإسلامية فقال(٧) :

« كانت الشريعة الإسلامية هي المرجع الذي تؤول إليه كل القضايا ، والقاضي الشرعي هوالذي يتولى الحكم في المسائل المدنية والجنائية ، وفي نظام الأسرة كذلك.

ولكن الحماية الفرنسية بمجرد انتصابها حدت من اختصاصات المحاكم الشرعية ، وقوت محاكم الأحبار اليهودية ، وأسست المحاكم العرفية في القبائل البربرية ، ولكن المحاكم التي كانت تطبق قوانين منظمة هي المحاكم الخاصة بالأجانب. أما المغاربة فإنهم كانوا يخضعون للعرف في القبائل البربرية ، وللقانون المغربي حينما يرفعون للمحاكم الفرنسية ، وللشريعة الإسلامية غير المقننة في محاكم القضاء. هذا في جنوب المغرب ، أما في الشمال فقد احتفظت المحاكم الشرعية باختصاصاتها فيما يرجع للجنايات والجنح ، والشئون المدنية والأحوال الشخصية. وأسست محاكم أسبانية مغربية للأجانب ، وللقضايا التي فيها أجانب ...

وهكذا أصبحت الشريعة الإسلامية معطلة وملقاة ، لأن الاستعمار جعل من تسرب القانون الأجنبي سبيلا للقضاء على الكيان المغربي ، وعلى الفكر الإسلامي في المغرب ».

ثم قال في لجوء الحكومة الفرنسية إلى استصدار الظهائر البربرية كوسيلة للعمل على إلغاء الشريعة خاصة بين البربر(٨) :

« وهذه السياسة التي أطلقت عليها فرنسا اسم السياسة البربرية وقننتها منذ عام **١٨٥١م** في الجزائر حيث أخرجت القبائل من أحكام الشريعة الإسلامية زاعمة أن البربر الجزائريين هم الذين طلبوا بعث أعرافهم ، وتكوين أنظمة قضائية تقوم مقام القضاء الإسلامي.

وفي ٢٩ أغسطس عام ١٨٧٤م ألغت فرنسا تلك الجماعات العرقية التي أسستها ، وضمّت القبائل البربرية إلى اختصاص قضاة المصالح الفرنسية الذين

---

(٧) دفاع عن الشريعة ص ١٢٧-١٣١.

(٨) نفسه ص ١٥٩-١٦١.

يطبقون عليهم القوانين الفرنسية ، فيما عدا الاستثناءات المعروفة بقانون الأندية ، وفيما عدا الأحوال الشخصية ، فقد أبقتها على مقتضى العرف ، ولكن قاضي الصلح الفرنسي هو الذي يطبقه.

وفي ١٠ سبتمبر عام ١٨٨٦م ضمت فرنسا اختصاصات المحاكم الشرعية في القطر الجزائري كله إلى دائرة قاضي الصلح الفرنسي.

وهكذا جعلت فرنسا من سياسة الرجوع إلى الأعراف الجاهلية قنطرة لضم الجزائر إلى المحاكم الفرنسية وتطبيق قوانينها بعد إلغاء القانون الإسلامي الشرعي.

وبمجرد ما تم بسط الحماية الفرنسية على المغرب استصدرت الإقامة الفرنسية ظهير عام **١٩١٤م** في عنفوان الحرب العظمى الذي يقضي باحترام العوائد البربرية. وتظهر أهمية هذا الظهير بالنسبة لإلغاء المحاكم الشرعية من التعليق الذي كتبه المسيو رينو قال : « فظهير ١١ سبتمبر في نظر الفرنسيين سبيل إلى إخراج القبائل البربرية من الإسلام ، لأن الفرنسيين متيقنون أن قبول التحاكم لغير الشريعة الإسلامية تخل نهائي من الإسلام ... » وفي سبيل ذلك استصدرت الحماية عدة ظهائر وقرارات ، وقد توج ذلك كله بظهير ١٦ مايو عام ١٩٣٠م.

وهكذا كان النتيجة أن ألغي العمل بالشريعة الإسلامية في معظم بلاد الإسلام. وبقيت زاوية ضيقة لها هي زاوية الأحوال الشخصية التي حاول تلاميذ الغرب زحزحة الشريعة عنها إلى أن أزالوها عن كثير من البلدان الإسلامية.

ثانيا : سقوط الخلافة العثمانية وتفكك الأمة الإسلامية :

العثمانيون من شعب الغز التركي ، وأصلهم من بلاد التركستان ، نزحوا أمام اكتساح جنكيز خان لدولة خوارزم الإسلامية ، بزعامة سليمان الذي غرق أثناء عبوره نهر الفرات سنة ٦٢٨هـ. فتزعم القبيلة ابنه (أرطغرل) الذي ساعد علاء الدين السلجوقي في حرب البيزنطيين فأقطعه وقبيلته بقعة من الأرض في محاذاة بلاد الروم غربي دولة سلاجقة الروم.

ويعتبر عثمان بن أرطغرل هو المؤسس الأول للدولة العثمانية ، وبه سميت ، عندما استقل بإمارته سنة ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م ، نتيجة لانحلال دولة سلاجقة الروم ، وأخذت هذه الإمارة على عاتقها حماية العالم الإسلامي ، وتولت قيادة الجهاد ، وأصبحت المتنفس الوحيد للجهاد ، فجاءها كل راغب فيه ، واجتذبت المتحمسين لنصرة الإسلام من مجاهدين وعلماء ودعاة ، فتمكنت بذلك من رد الصليبيين

ونقلت الصراع من آسيا إلى أوربا(٩) بعد أن كان العالم الإسلامي على وشك الوقوع بين كماشة الصليبية، أحد فكيها: البرتغاليون في البحر من الجنوب الشرقي، وقواعدهم في شبه القارة الهندية، والفك الآخر: كان زحف الروس من الشمال.

وبهذه العاطفة الإسلامية المتأججة في نفوسهم ممتزجة بالروح العسكرية المتأصلة في كيانهم، حملوا راية الإسلام، وأقاموا أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ في قرونه المتأخرة، امتدت على ثلاث قارات هي: آسيا، وأوربا، وأفريقيا، فاستطاعوا إزالة الدولة البيزنطية من الوجود، واستولوا على البلقان، ودقوا أبواب فينا عاصمة الامبراطورية النمساوية على نهر الدانوب، ووصلوا جنوب روسيا، وساحل بحر الأدرياتيك، وهددوا روما نفسها مركز البابوية، فبسطت بذلك لواء الإسلام على مايعرف اليوم بدول أوربا الشرقية، واليونان، وجزر البحر المتوسط، وأجزاء من ايطاليا، والنمسا، كما خضعت لها الأرض الممتدة من شمال القفقاس شمالا، حتى الصحراء الأفريقية جنوبا، وحدود المغرب الأقصى غربا، ومدت جناحها الشرقي حتى بلاد فارس، وجبال كردستان، شاملة مساحة من الأرض قدرت بأكثر من عشرة ملايين ميل مربع. فكانت أقوى دولة في العالم آنذاك(١٠). وأبطلت عمل الكماشة الصليبية، وهددت أوربا، وألزمتها جانب الدفاع أمام الإسلام فترة طويلة من الزمن. وبقيت الحارس الأمين للعالم الإسلامي أربعة قرون، وأطلقت على دولتهم اسم (بلاد الإسلام)، وعلى حاكمها اسم (سلطان) وكان أعز ألقابه إليه: (الغازي) أي المجاهد. أما اللفظان العثماني والتركي فهما من المصطلحات الحديثة. كما أطلق على جيوشها: (جند الإسلام)، وعلى عالمها الديني: (شيخ الإسلام)(١١). وحكمت بالعدل بالعمل بالشرع الإسلامي. في القرون الثلاثة الأولى لتكوين هذه الدولة.

ويتساءل المؤرخون كيف تمكن الأتراك العثمانيون منذ البداية المبكرة أن يحرزوا الانتصارات على الدولة البيزنطية العريقة، وتأتي الإجابة على ألسنتهم. وفي مقدمتهم المؤرخ الشهير (ستافريانوس) الذي يؤكد « أن نصرهم لم يكن بالإمكان تحقيقه لولا عظمة الإسلام، وماغرسه في قلوبهم من حب عميق للقتال في سبيل الله، والرغبة الصادقة في نشر رسالة الإسلام، واستمد عثمان ومن خلفوه قوتهم من

---

(٩) العسلي. الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ص ٣٠٠.

(١٠) علي حسون. الدولة العثمانية ص ٩.

(١١) برنارد لويس ـ الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية ص ٤٦٨.

الفيض الدائم المتدفق من الغزاة أو المقاتلين في سبيل الله والدين ، والذين وفدوا من كل أنحاء الأناضول ليقاتلوا ضد أعداء الإسلام ».

لقد تكونت في كل أنحاء الأناضول جمعيات الإخوة الإسلامية ، تدعو للجهاد في سبيل الله ، وتتعاون من أجل إعداد المجاهدين لإعلاء كلمة الحق ، وكان شعارها الدائم (فضل أخاك على نفسك). وحين زار الرحالة المسلم الشهير (ابن بطوطة) آسيا الصغرى في عام **١٣٣٣م** وصف معيشتهم وتعاونهم وكرمهم وأعجب بسمو أخلاقهم ، وعندما افتتح محمد الفاتح القسطنطينية عام **١٤٥٣م** اتخذها عاصمة للإسلام ، وكتب إلى أمراء المسلمين ينبئهم بهذا الفتح العظيم ، فقال في رسالته إلى إينال شاه سلطان مصر المملوكي (**١٤٥٣-١٤٦٠م**) :

« إن من أحسن سنن أسلافنا أنهم مجاهدون في سبيل الله ، ولايخافون في الله لومة لائم ، ونحن على تلك السنة قائمون ، وعلى تلك النية دائمون ، ممتثلين بقوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ﴾. ومتمسكين بقوله عليه السلام : « من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار » فهممنا هذا العام .... إلى أداء فرض الغزاء في الإسلام مؤتمرين بأمره تعالى ﴿ قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ ، وجهزنا عساكر الغزاة والمجاهدين من البر والبحر لفتح مدينة ملئت فجورا وكفرا ، والتي بقيت وسط الممالك الإسلامية تباهي بكفرها فخرا... »(١٢).

ولقد قدم المسلمون من الأتراك للنصارى في أوربا أمثلة صادقة حية تمثل سماحة الإسلام ، وعظمة المسلمين ، فاعتزوا به ، وعزوا ، وصار منهم كبار القادة في جيش المسلمين ، وتولى كثيرون منهم أهم المناصب في الدولة(١٣) ، الأمر الذي أزعج أوربا ، وجعلها تعقد التحالفات الصليبية المتكررة لطرد العثمانيين ، ولكن الفشل كان لها بالمرصاد(١٤) ، فظهر في عالم السياسة الأوربية ماعرف باسم (المسألة الشرقية) التي كانت تعني حينذاك ضرورة تكاتف أوربا النصرانية لمواجهة خطر العثمانيين ، وإيقاف تيار فتوحهم الجارف. وقد وصفها بعض الكتاب من

---

(١٢) عمر عبد العزيز عمر ـ تاريخ المشرق العربي ص ٤٤.

(١٣) انظر : د. محمد كمال الدسوقي. الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ١٤ـ ١٥.

(١٤) كالتحالف الصليبي عام ١٣٦٤م وسنة ١٣٩٦م. معركة نيبوليس. وسنة ١٤٧٩م.انظر د. دسوقي ص ٢٣ ، ص ٢٦ ، ص ٤٨. وتحالف الأساطيل الأوروبية حيث هزمت الدولة العثمانية في معركة ليبانت بعد سلسلة من هزائم تعرضت لها من الأسطول العثماني عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م.

الشرق ومن الغرب ، بأنها مسألة النزاع بين النصرانية والإسلام ، أي مسألة حروب صليبية متقطعة بين الدولة العثمانية القائمة بأمر الإسلام وبين دول النصرانية(١٥).

وبعد أن أصاب الوهن المسلمين بما فيهم الدولة العثمانية تغير مفهوم المسألة الشرقية ، وأصبحت تعني ، ضرورة طرد العثمانيين من أوربا ، وتقسيم ممتلكاتهم في هذا الميدان الأوربي ، ثم تقسيم ممتلكاتهم جميعا ، وخرجت التسمية الأوربية للدولة العثمانية باسم (الرجل المريض) ، وكانت روسيا القيصرية لاتنقطع عن إثارة الفتن بين دول البلقان ، وتأليبهم على الحكم العثماني ، ومدهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين(١٦). وبلغ التعصب بأحد كتاب فرنسا أن اقترح حلا للمسألة الإسلامية ، القضاء على المسلمين ، ونبش قبر الرسول الكريم ﷺ ، ونقل عظامه إلى متحف اللوفر بباريس(١٧).

أما في بريطانيا ، فتظاهرت بأنها تقف مع وحدة أملاك السلطان ، وكانت تبتلع شيئا من أملاكه كلما حانت الفرصة ، ثم تنتظر مدة لتهضم ماابتلعته دون ضجة من بقية الدول الأوروبية(١٨).

لقد اتهم الكثيرون الدولة العثمانية بكل باطل ، وألصقوا بها صورة التخلف الدائم ، وتناقلت ذلك الأقلام الغربية الحاقدة على هذه الدولة ، وعلى الإسلام وربطوا في غمرة حقدهم بين ذلك التخلف وبين الإسلام ، ونسبوا له كل ماأصاب الدولة من ضعف ووهن ، وكل ماجاء بها من كوارث ومشاكل على مر العصور ، ونسوا أو تناسوا أن كل مايصيب الأمة الإسلامية من خير وعزة ، يصيبها دائما حين تتمسك بالقيم الإسلامية ، وأن كل مايحل بها من هوان ، يحل بها حين يضعف تمسكها بالدين الحنيف ، وأن الإسلام والتمسك به سر عظمة هذه الأمة.

وقد بقيت الدولة العثمانية عزيزة الجانب وهي تذود عن حمى الإسلام وأسدت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين على امتداد تاريخها ، ولكنها في الفترة الأخيرة من حياتها وقعت في أخطاء عديدة ، أخطرها على الإطلاق هو : تشجيع

---

(١٥) د. محمد محمد حسين. الاتجاهات الوطنية. ج١/٢٣ عن المسألة الشرقية ص ٥ لمصطفى كامل.

(١٦) تاريخ الدولة العلية ص ٣٤١.

(١٧) تاريخ الأستاذ الإمام ج١/٨٠١.

(١٨) انظر ـ المسألة الشرقية لدسوقي. ص ٢٨٠ ، ص ٣٠٤.

الصوفية ، وعدم اتخاذ الإسلام مصدرا أساسيا للتشريعات والقوانين والأنظمة التي تسير عليها الدولة - فكثر إصدار التشريعات والقوانين الوضعية فيما سمي بالتجديدات (كما ذكرنا) وذلك بسبب الضغوط الأوروبية ، فتنكبت الدولة الطريق في مواجهة العواصف الاستعمارية ، مما نتج عنه عدم استطاعتها المقاومة وانهارت في النهاية.

وفي هذا الجو الحرج ارتقى عبد الحميد الثاني سلطة الخلافة (**١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م**) ، في أسوأ ظروف التآمر على الدولة وعلى المسلمين ، فقد استولى أعداء المسلمين على أفريقيا شمالها وجنوبها وغربها وشرقها وتوغلوا في وسطها ، كما استولوا على معظم آسيا في القوقاز والتركستان وهندستان وجميع جنوب شرق آسيا ، وشواطيء شبه الجزيرة العربية عدن وحضرموت وعمان وإمارات الخليج ، ولم يبق خارجا عن سيطرة أعداء المسلمين إلا نجد والإحساء وعسير واليمن داخل شبه الجزيرة العربية ، والعراق والشام والحجاز وبلاد الأناضول وجزء من البلقان في شرق أوربا وطرابلس الغرب (التي سقطت عام **١٣٣٠هـ/١٩١١م بيد ايطاليا**) تحت سلطان الخلافة العثمانية. وعقدت أوربا مؤتمر برلين بإشراف (بسمارك) رئيس وزراء ألمانيا ، وأشركت فيه الدولة العثمانية ، وقد أهمل هذا آراء العثمانيين ، بل كانوا محتقرين خلال انعقاده ، وانتهت قراراته إلى إعادة رسم خريطة البلقان ، وكانت كلها موجهة ضد الدولة العثمانية ، وسعت كل دولة إلى نهب قطعة من الدولة العثمانية بأية وسيلة كانت ، فأخذت بريطانيا قبرص بحجة حماية الأملاك العثمانية الآسيوية ، ولفتت أنظار فرنسا إلى تونس ، وتطلعت هي إلى مصر ، وإلى شرق أفريقيا وقرنها. وبصفة عامة خسرت الدولة العثمانية في مؤتمر برلين ما لم تفقده في أي حرب سبقت(١٩).

في هذه الظروف نادى السلطان عبد الحميد بفكرة الجامعة الإسلامية في مختتم القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين ، في محاولة لحفظ الدولة العثمانية المتداعية من الانهيار ، وليصون عقدها من الانفراط ، وفي محاولة لتنمية الشعور بالرابطة الإسلامية ، وتغذية الإحساس بالخطر الذي يهدد شعوبها أمام غول الاستعمار المتربص بها(٢٠) ، فيدعوها إلى التجمع حول دولة الخلافة ، بوصفها

(١٩) انظر نوار (د. عبد العزيز سليمان) - الشعوب الإسلامية ص ٢٠٣.

(٢٠) الاتجاهات الوطنية ج١/٢٠.

أقوى البلدان الإسلامية وأقدرها على قيادة المعركة ضد العدو المشترك فكان نداؤه : « يامسلمي العالم اتحدوا ». وأنشأ مدرسة للدعاة ، سرعان ما انبث خريجوها في كل أطراف العالم الإسلامي. كما لجأ السلطان عبد الحميد إلى الاستفادة من التنافس القائم بين الدول الأوروبية ، فحاول جهده الإيقاع بينها. وطبعا كانت هذه السياسة على حساب بعض التنازلات منه. واهتم بالبلاد العربية وباللغة العربية. وكون حرسه الخاص من العرب وعين بعضهم في وظائف كبيرة ، واهتم بإنشاء خط سكة حديد الحجاز .

ومن الحق أن يقال إن حركة السلطان عبد الحميد ودعوته هزت دول العالم الغربي ، وخاصة انجلترا ، وفرنسا ، وروسيا ، وكلفتها جهدا كبيرا في سبيل مقاومتها ، ورميها بكل نقيصة ، واتهام السلطان عبد الحميد والتشكيك فيه ، وأخذت تضع الخطط لإسقاط الخلافة العثمانية وبأيدي مسلمين ، فلجأت إلى التآمر بالاشتراك مع الصهيونية والمحافل الماسونية للإطاحة به. وانطلقت الصحافة الأوروبية بذلك وتابعتها الصحافة العربية في مصر التي قاد حركتها خريجو الارساليات الأجنبية التبشيرية مثل : سليم سركيس ، وجورجي زيدان ، وفارس نمر ، ويعقوب صروف ، وفرح أنطون ، وغيرهم من الصحفيين النصارى الذين حملوا لواء التشهير بالسلطان عبد الحميد ، ومعارضته ، وإشاعة الاتهامات المختلفة حول شخصه ، وتصويره بصورة رديئة لحساب اليهودية العالمية ، وبعطف الدولة البريطانية الحاكمة في مصر وتشجيعها. وظهرت هذه الحملة بصورة خاصة في صفحات (الهلال) المجلة التي كان يشرف على تحريرها جرجي زيدان. وفي صفحات رواياته ومؤلفاته.

وكان كرومر المعتمد البريطاني في مصر سنة (١٣٠١-١٣٢٥هـ/١٨٨٣-١٩٠٧م) هو أول من ألب على الجامعة الإسلامية ، وحرص على أن يتحدث في تقاريره السنوية عن الجامعة الإسلامية ببغض شديد. وفي الوقت نفسه نشرت الأهرام (المصرية) تصريحات مثيرة لوزير فرنسي هو (هانوتو) هاجم فيها الجامعة الإسلامية. وكانت مهاجمة الجامعة الإسلامية تستتبع بالتالي مهاجمة الدولة العثمانية حتى تتفرق الوحدة التي تجمع من حولها الدول الإسلامية لتواجه النفوذ الاستعماري الزاحف ، الذي قد رسم مخططه على أساس التهام هذه الوحدات ، والحيلولة دون التقائها مرة أخرى في أي نوع

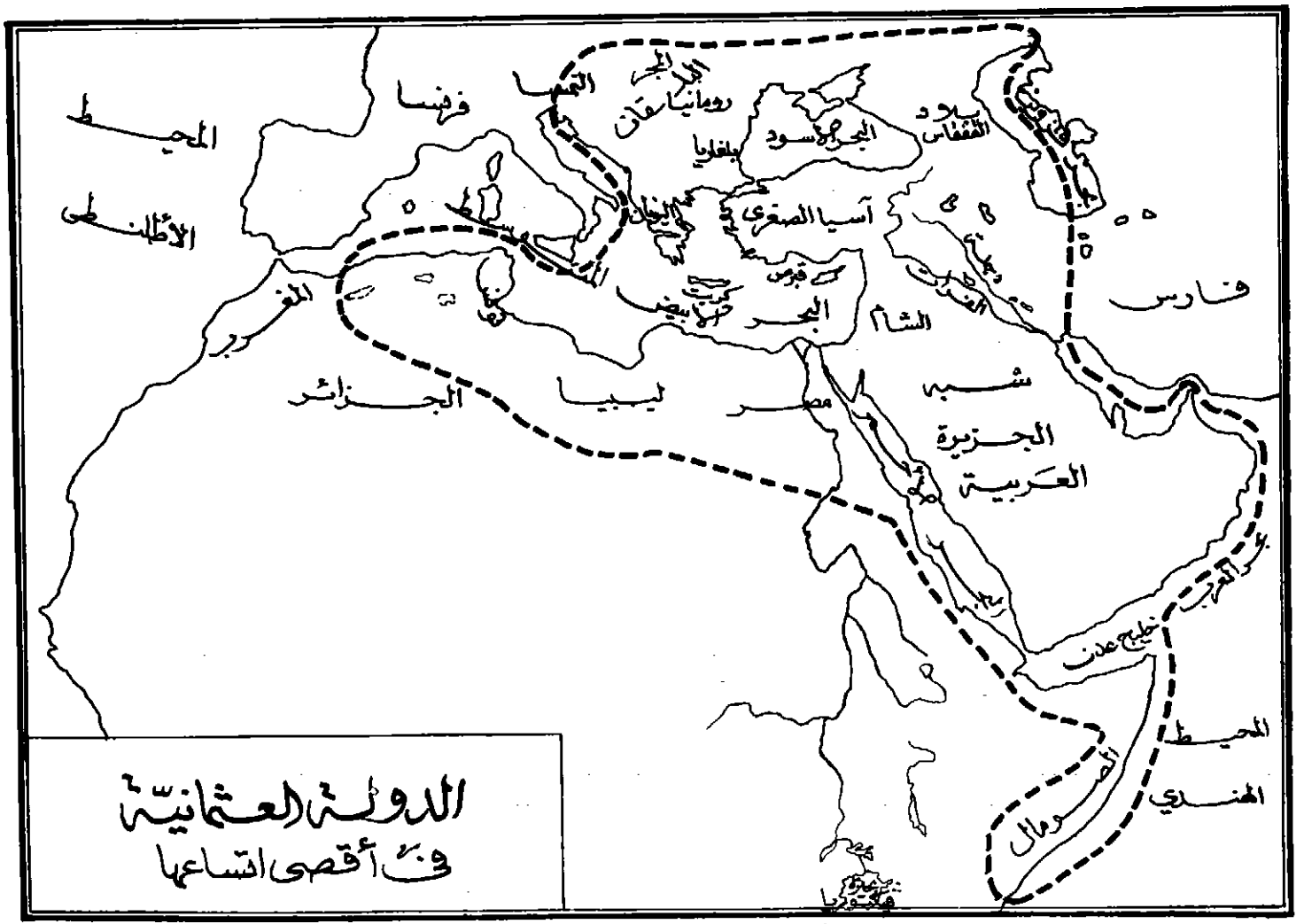

الدولة العثمانية
في أقصى اتساعها

من الوحدة ، ليستديم سيطرته عليها(٢١). فاتخذوا لذلك عدة أعمال أساسية(٢٢):

١ـ تعميق الدعوات الاقليمية والخاصة بالوطنية والأرض والأمة والعرق.

٢ـ تكوين جو فكري عام لمحاربة الوحدة الإسلامية وتصفيتها.

وكل هذا مقدمة لإلغاء الخلافة العثمانية نهائيا وبالتعاون مع الصهيونية.

وقبل أن نذكر كيف زالت الخلافة لابد لنا من ذكر الجوانب المشرقة في تاريخ الدولة العثمانية ومنها :

١ـ أن العثمانيين هم الذين أزالوا من خريطة العالم أعتى امبراطورية صليبية ، هي الامبراطورية البيزنطية ، وفتحوا عاصمتها القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ، التي استعصت على المسلمين مايربو على الثمانية قرون ، وجعلوها عاصمة دار الإسلام.

وكانت الدوافع الحقيقية وراء محاولة الفتح إسلامية جهادية حافزها بشارة النبي ﷺ وثناؤه على الفاتح وجيشه ، وغايتها إعلاء كلمة الله في الأرض ، والجهاد في سبيله(٢٣) ، كما تابعوا المد الإسلامي في أوربا حتى أصبح شرق أوربا كله ترفرف عليه رايات الإسلام ، ففتحوا بلغراد سنة ٩٢٧هـ ، وبودا عام ٩٣٢هـ ، وحاصروا فينا عاصمة النمسا في قلب أوربا ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م . وسنة ٩٣٨هـ زمن السلطان سليمان(٢٤) وسنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م(٢٥).

٢ـ حفظت الدولة العثمانية لشمال إفريقيا إسلامه وعروبته ، عندما وقفت ضد أطماع الصليبيين الأسبان ، الذين بدأوا يتجهون إلى استعمار الشمال الأفريقي ، بعد قضائهم على الدولة الإسلامية في الأندلس ، بسقوط غرناطة سنة ٩٨٧هـ فقد هاجر الكثير من المسلمين إلى شمال أفريقيا ، وقام الأسبان بملاحقتهم حتى وصلوا الشواطيء الإسلامية ، واحتلوا بعض موانيء المغرب الأقصى والجزائر ، وقبل الحفصيون في تونس الحماية الأسبانية بالضغط والقوة. فقام العثمانيون بإلحاق الجزائر بناء على طلب أهلها سنة ٩٣٥هـ ، ثم حرروا تونس سنة ٩٤١هـ(٢٦) ،

---

(٢١) أنور الجندي. العالم الإسلامي والاستعمار ص ١٧٨-١٧٩ /انظر حاضر العالم الإسلامي ج٤/٦٦-٨٦ لشكيب أرسلان.

(٢٢) نفسه ص ١٨٢.

(٢٣) ويعني قوله ﷺ : « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش » . رواه الإمام أحمد والحاكم عن بشر الغنوي كما في كنز العمال.

(٢٤) المسألة الشرقية ص ٥٧.

(٢٥) د. علي حسون ص ٩٦.

(٢٦) انظر علي حسون ص ٥٢ ، ٥٤.

وحرروا طرابلس الغرب من الأسبان سنة ٩٢٦هـ(٢٧) ، فكبحوا جماح الصليبيين هناك.

٣ـ جعل العثمانيون البحر الأحمر بحرا إسلاميا مغلقا بمعنى تحريم الملاحة في هذا البحر على السفن النصرانية ، وكان التبرير لهذا الإجراء هو أن البحر الأحمر تطل مياهه على الأماكن المقدسة الإسلامية ، فيجب ألا تدنس تلك المياه بوجود سفن نصرانية ، وكان سبب هذا الإجراء الوقائي هو تآمر البرتغاليين مع ملك الحبشة على غزو الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. واستولى البرتغاليون على عدن ومسقط عام ٩٢١هـ. فكان حافزا للدولة العثمانية على إلحاق المنطقة لانقاذها(٢٨).

٤ـ تحقق في ظل الدولة العثمانية الوحدة الإسلامية على مساحة كبيرة من العالم الإسلامي ، من العراق شرقا إلى مراكش غربا ، ونعمت تلك المنطقة بالهدوء والاستقرار نوعا ما. فقد ضم السلطان سليم الشام عام ٩٢٢هـ ومصر عام ٩٢٤هـ، ووصل تبريز عام ٩٢٠هـ، وفتح السلطان سليمان العراق سنة ٩٤٠هـ وحماه من تغلغل المذهب الشيعي الصفوي. وكانت الدولة الصفوية على علاقات طيبة مع ملوك الصليبية وفتحت أبوابها لنفوذهم. كما كانت الدولة العثمانية على علاقات طيبة بملوك المغرب الأقصى.

٥ـ حفظت الدولة العثمانية قلب العالم الإسلامي من الزحف الاستعماري الصليبي الأوروبي مابقيت قوية لمدة ثلاثة قرون ، وجه الصليبيون خلالها اهتمامهم إلى تطويق العالم الإسلامي بالزحف على أطرافه البعيدة عن مركز الخلافة. وخاضت حربا لاهوادة فيها مع الصليبيين البرتغال في مياه المحيط الهندي والهادي ، وفي بحر العرب ، والخليج العربي ، ورفعت معنويات المسلمين في جزر الهند الشرقية وجنوب آسيا والشرق الأقصى. واستمرت دعوة الإسلام تواصل انتشارها هناك.

٦ـ ولعل من أنصع تلك الصفحات المشرفة موقف السلطان عبد الحميد من المطامع الصهيونية في فلسطين ، حيث رفض رفضا قاطعا السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ضاربا بإغراءاتهم المادية عرض الحائط ، كما سنتحدث عنه في حينه.

هذا ولايخفى علينا الأصوات التي ترتفع بين حين وآخر ، فتصف الخلافة العثمانية بعديد من الصفات المستقاة من التصورات الغربية ، فهي دولة إستعمارية ،

(٢٧) نفسه ص ٥١.

(٢٨) نفسه ص ٤٦.

أخضعت الشعوب بالقسر والقوة ، وكبتت الحريات ، واستخدمت الأساليب الدكتاتورية في خنق أصوات المعارضة ، إلى غير ذلك من المساويء التي يعددها البعض ، انسياقا وراء كتاب الغرب ، أو التجاهل عن عمد للدور الأساسي الذي قامت به هذه الخلافة في صد أعداء الإسلام ، أو اتباعا لحملات التشويه المتعمدة التي قادتها الصحف المشبوهة.

وإذا ذكرنا المساويء : فإننا يجب أن نركز على الانحراف عن النهج الإسلامي ، مثل قتل الأقرباء خوفا من المنازعة على الحكم ، أو للتفرد بالسلطة ، أو إباحة شرب الخمور للانكشارية ، وتشجيع الصوفية ، فالواقع أن الدولة العثمانية كانت ذات عاطفة إسلامية قوية ، وإن لم تكن تستطيع إستيعاب المفاهيم الإسلامية بشكل سليم وصحيح في أحيان كثيرة ، وهذا هو الداء الحقيقي وكان العلاج يكمن في العودة إلى النهج الإسلامي لا في إبعاده نهائيا.

ولاننسى أن الدولة العثمانية قامت بخدمات للمسلمين والإسلام فاحتفظت بنظام الخلافة ، وأعادت للخليفة هيبته ، وبقيت الخلافة تحتل قوة إسلامية كبيرة تجد لها في مسلمي الهند ، وأندونيسيا ، وتركستان ، والصين ، وفي مختلف أنحاء العالم الإسلامي صدى وتأييدا كرمز لوحدة المسلمين. وكان هذا السبب الرئيسي في عداء العالم الأوروبي لها ، إذ خشيت أوربا أن تتكرر أحداث التاريخ فيعود المسلمون لمجدهم ، وعزهم ، في ظل الخلافة ، فلم يهدأ بالها حتى قضت على هذا النظام.

كانت الصهيونية وليدة الاستعمار قد لجأت بمساعدة الدول الاستعمارية للاتصال بالدولة العثمانية ، وبالسلطان عبد الحميد ، بعد أن نجحت في عقد مؤتمرها الأول في بال بسويسرا سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، برئاسة هرتزل اليهودي النمساوي. ففي عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م قام ثيودور هرتزل زعيم الحركة الصهيونية العالمية ،يرافقه (ايمانويل قره صو) زعيم الأقلية اليهودية التركية والحاخام (ليفي موستيه) بزيارة كانت الأولى من نوعها للسلطان عبد الحميد حاولوا أن يحصلوا على إذن يسمح فيه لليهود بالهجرة إلى فلسطين ، بصفتهم رعايا للدولة العثمانية ، كما حاولوا إغراءه بتسديد ديون الدولة العثمانية وقدرها خمسون مليونا من الجنيهات (وهي تعادل ١٥٠ مليون ليرة عثمانية .ذهبا)، وهبة مقدارها خمسة ملايين من

الجنيهات لخزينة السلطان الخاصة(٢٩) ،فرفض السلطان عبدالحميد بإباء ، وأعلن استحالة تحقيق هذا الهدف طالما هو على قيد الحياة. ومن أقواله لهرتزل لما تكرر طلبه :

« لو كنت أعلم أنك جئت اليوم تطلب في مارفضت إجابتك إليه من قبل لما سمحت لك بالدخول علي. واعلم ياهيرتسل أن فلسطين جزء من أرض الإسلام وأرض الإسلام لاتباع بالذهب والدراهم ، ولقد حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا ، ولن نفرط بشبر منها قبل أن نبذل كل دمائنا دفاعا عنها »(٣٠).

فكان من نتائج ذلك أن عمل اليهود ومن والاهم ، على إسقاط عبد الحميد ، وكان من أقوى الأسلحة التي قاومت بها الدول الأوروبية حركة الجامعة الإسلامية الدعوة الإقليمية ، وإعلاء شأن الجنسية ، والوطن ، والعرق ، والعمل على تشويه سمعة السلطان ، بوسائل الإعلام المختلفة ، واتهامه بالاستبداد ، والرجعية ، والتخلف ، والفساد.

ونجح الاستعمار والصهيونية ومن والاهم في إسقاط السلطان عبد الحميد والإغراء بين العنصرين الكبيرين في الدولة وهم : الأتراك والعرب.

فكان (جلادستون) ، زعيم حزب الأحرار بانجلترا ، يلقي الخطب الرنانة ويؤلف الرسائل المطولة ناسبا إلى تركيا اضطهاد النصارى مشيرا إلى السلطان عبد الحميد بقوله : « الشيطان وعدو المسيح »(٣١).

أما لورنس العرب فقد قال في إحدى المرات(٣٢) : « علينا أن ندفع بالغرب لانتزاع حقوقه من تركيا بالعنف ... لأننا بهذا نقضي على خطر الإسلام وندفع به (أي الإسلام) لإعلان الحرب على نفسه وبذلك نمزقه من القلب ، إذ ينهض في مثل هذا الصراع خليفة في تركيا ، وخليفة في العالم العربي ، ويخوض الخليفتان حربا دينية ، وبذلك يقضى على خطر الخلافة الإسلامية بصورة نهائية ... ».

وقادت جمعية الدونمة(٣٣) (وهم اليهود الذين أسلموا تقية وعاشوا في سالونيك

---

(٢٩) علي حسون ص ١٩٢ ، أسرار الانقلاب العثماني كتبه بالتركية مصطفى طوران ، ترجمة كامل خوجة ط٤ ص ١٦-١٧.

(٣٠) من مذكرات هرتزل / علي حسون ص ١٩٢. (٣١) الدولة العلية ص ٢٣٩.

(٣٢) د. علي حسون ص ٢٦٢. كان لورنس كالحاوي يضحك على العرب ، ويحرضهم ضد الأتراك. ووصف العرب بأقبح الصفات ، فوصفهم بأنهم لاعقيدة لهم ، وأنه يمكن أرجحتهم على فكرة كما لو كانوا على حبل ، وهم دون عقيدة يمكن قيادتهم إلى زوايا العالم الأربع ، ولكنهم إذا قابلوا في الطريق دجالا أو نبيا لايلبثون أن يصدقوا وحيه ويتبعوه ، إنهم كالماء في عدم الاستقرار (انظر ادوارد سعيد ص ٢٤٨). (٣٣) السلطان عبد الحميد - مذكراتي - ص ١٠٤.

في ظل الدولة العثمانية) الحركات ضد السلطان عبد الحميد. تحت أسماء مختلفة أهمها حركة تركيا الفتاة ، وحركة حزب الاتحاد والترقي ، التي اتخذت من مقار المحافل الماسونية مراكز لها للعمل ، وأنتجت حركة ضخمة سداها ولحمتها الحملة على السلطان عبد الحميد ، واتهامه بالإستبداد. وقد ساعدتها وآزرتها الطريقة البكتاشية الصوفية(٣٤) .

فقد تكونت جمعية سرية في كلية الطب العسكري في إستانبول ، وعرفت باسم جمعية الاتحاد والترقي ، تزعمها شاب إلباني اسمه إبراهيم تيمو وتأثرت هذه بحركة الكاربوناري الايطالية ، وبآراء القوميين الأتراك ، وفي مقدمتهم الشاعر الماسوني نامق كمال. المتأثرين بالمستشرقين الذين أدوا دورا خطيرا في انتباه الترك المبهورين بالغرب إلى فكرة القومية ، لتكوين البديل عن الإسلام هويتهم المميزة لهم(٣٥).

واكتسبت هذه الجمعية السرية كثيرا من الأنصار ، وانضم إليها أعضاء جمعية تركيا الفتاة. واتخذوا من جنيف مركزا لقيادة الجمعية ، وأنشأوا في باريس جريدة تمثل أراء الجمعية أسموها الميزان(٣٦).

ومع بداية القرن العشرين انتشرت جمعيات سرية كثيرة ، وخاصة في سالونيك ،باسم الوطن ، والحرية ، تتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي ، لمعارضة الحكومة العثمانية(٣٧). وتمكنت هذه الجمعيات أخيرا من الثورة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وإسقاط السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ،

---

(٣٤) والبكتاشية طريقة صوفية ، ذات طابع سري باطني شيعي ، لعبت دورا كبيرا في التاريخ السياسي العثماني. حلها السلطان محمود الثاني بعد مذبحة الانكشارية عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م ، وتعقبها وسجن شيوخها ، وخرب زواياها. وتعاونت مع جمعية الاتحاد والترقي ، ومع الماسونية في سبيل القضاء على الدولة العثمانية ، وكان أعضاء تركيا الفتاة بكتاشيين ، وماسونيين في آن واحد. (انظر حول البكتاشية ماكتبه المستشرق اليوغسلافي ـ محمد موفاكو ـ مجلة العربي العدد ٢٢٠ مارس ١٩٧٧م ، دائرة المعارف مجلد ٢ ص ١٧٧)

(٣٥) برنارد لويس ـ الغرب والشرق ص ١٢٦.

(٣٦) المسألة الشرقية. د. دسوقي ص ٣١٣.

(٣٧) نفسه ص ٣١٥.

وكان قره صو اليهودي واحدا من الذين اشتركوا في خلعه وقدم له قرار العزل(٣٨).

وبدأ اليهود يقطفون الثمار بعد زوال السلطان عبد الحميد ، فاشتروا معظم الصحف التركية ، وعينوا العديد من شخصياتهم في حكومة الاتحاديين ، مثل جاويدبك الذي أصبح وزيرا للمالية ، فاستطاع تأمين بعض القروض المالية ، مما سهل أمامه مهمة التعاون مع جمعية الاتجاه الإسرائيلية في فلسطين ، واستطاع إلغاء معظم القوانين التي وضعت للحيلولة دون تسرب اليهود إلى فلسطين(٣٩) زمن السلطان عبد الحميد. وبسيطرة جمعية الاتحاد والترقي غدت الحكومة العثمانية تركية في مضمونها ، قومية في عصبيتها ، بينما كانت من قبل عثمانية في مضمونها ،

---

(٣٨) ونقتطف هذه الفقرات من الرسالة التي وجهها السلطان عبد الحميد إلى شيخه بعد عزله يوضح فيها أسباب تنازله عن الخلافة :

« إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما ، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي باسم (جون ترك) وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة انجليزية ذهبا ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي :

إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فضلا عن ١٥٠ مليون ليرة انجليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية مايزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين ، لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي أيضا.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير -

هذا وحمدت المولى وأحمده لأنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين ، وقد كان بعد ذلك ماكان .. » نشر هذه الرسالة سعيد الأفغاني في مجلة العربي الكويتية في عددها الصادر في شهر شوال سنة ١٣٩٢هـ الموافق لكانون الأول سنة ١٩٧٢م ، ضمن مقال بعنوان : سبب خلع السلطان عبد الحميد.

(٣٩) مصطفى محمد ص ٧٢.

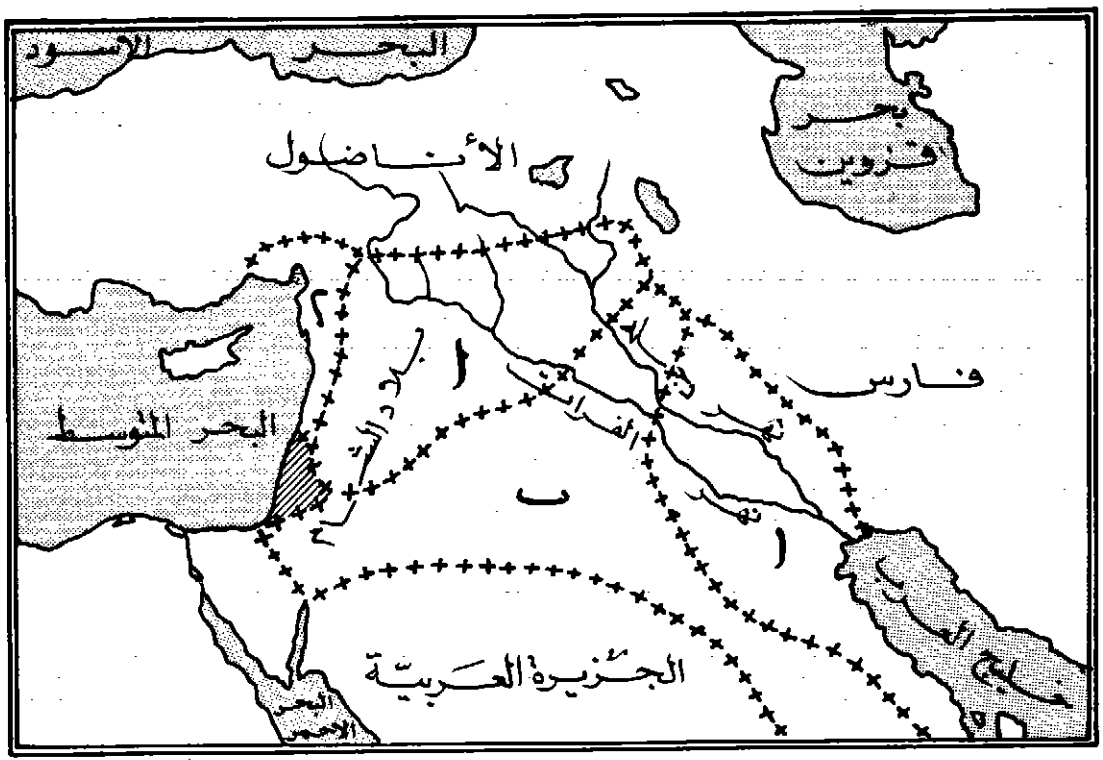

تقسيم بلاد الشام والعراق حسب اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ م

(١) لبريطانيا (٢) لفرنسا منطقة دولية

(أ) منطقة نفوذ فرنسية (ب) منطقة نفوذ بريطانية

وإسلامية في رابطتها(٤٠). فقد تأثرت هذه الجمعية بقوة الأفكار القومية **الطورانية** التي تدعو إلى تحرير جميع الأتراك. مدعين أن الشعوب الإسلامية في الأناضول وآسيا الوسطى تشكل أمة واحدة ، وهي الأفكار التي تطورت أخيرا بمجهودات الكاتب التركي الشهير ضياكوك آلب (البكتاشي وهو من أصل كردي وأطلق عليه أبو القومية التركية) فاتبعت سياسة التتريك وذلك بجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية الوحيدة ، بعد أن كانت تقف اللغة العربية إلى جانبها. فتأججت حركة الدعوة إلى القومية العربية ، في مواجهة حركة التتريك.

كون العرب حزب اللامركزية ، وتعني أن تأخذ الولايات غير التركية استقلالا ذاتيا ، وتبقى خاضعة خارجيا لاستانبول. كما كونوا جمعيات سرية ، مثل الجمعية القحطانية برئاسة عبد الكريم الخليل ، والضابط عزيز علي المصري ، والجمعية العربية الفتاة ، التي تشكلت في باريس عام **١٣٢٩هـ**، على منهج جمعية تركيا الفتاة ، ومن قبل طلاب يدرسون هناك تشبعوا بالأفكار الغربية ، وخاصة مباديء العصبية القومية ، واستعمل بعضهم المصطلحات الماسونية ، وكان قصدهم : استقلال العرب التام ، وقد نقلوا مقرهم من باريس إلى بيروت ، ثم إلى دمشق ، حيث ازداد عدد الأعضاء وخاصة من النصارى العرب.

وتكونت الجمعية الإصلاحية في بيروت عام **١٣٣١هـ** وتعاونت مع جمعية النهضة اللبنانية في المهجر ، فقدمتا رسالة مشتركة إلى حكومة فرنسا عام **١٣٣١هـ** التمستا فيها منها احتلال سوريا ولبنان ، بينما اتجه المصلحون العراقيون نحو الانجليز ، وأيد بعضهم إقامة إشراف بريطاني على برامج الإصلاح ، بل وحتى

---

(٤٠) أضاعت تركيا في فترة الأربع سنوات الأولى من حكمهم جميع ولايات الدولة الأوروبية عدا تراقيا الشرقية. فضمت النمسا ولاية البوسنة والهرسك عام ١٣٢٦هـ ، وانفصلت بلغاريا ، واحتلت ايطاليا ليبيا وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وأخذت اليونان جزيرة كريت.

إلى بسط الحماية البريطانية على البلاد(٤١) ولما بطش الاتحاديون بأعضاء الجمعيات العربية ، قامت العربية الفتاة ، بعقد مؤتمر عربي في باريس سنة **١٣٣٢هـ/١٩١٣م** ، وقد هيأ الفرنسيون المكان المناسب لعقد الاجتماع ، وقرر المؤتمرون(٤٣) :

---

(٤١) تاريخ الدولة العثمانية د. علي حسون ص ٢٤٩.

وليس من قبيل الصدف أن نجد الرواد الأوائل لهم الأفكار القومية والوطنية من النصارى في معظمهم ، واعتبرتهم وسائل الإعلام رواد النهضة فمنهم :

١ـ أحمد فارس الشدياق ١٨٠١ ـ ١٨٨٧م/١٢١٦ ـ ١٣٠٥هـ في كتابه الساق على الساق. وهو لبناني من أبوين نصرانيين ، أعلن إسلامه في تونس وأسمى نفسه أحمد.بعد أن أكرمه الباي واستقدمه. وأصبح له مكانا مرموقا في تونس والآستانة.

٢ـ بطرس البستاني : ١٨١٩ ـ ١٨٨٣م ، سوري ، تربى في الدير الماروني في عين ورقة ، وعمل في القنصليتين الانجليزية والأمريكية في بيروت ، ووطد علاقته بالمراسلين الأمريكيين الانجيليين ، فاعتنق مذهبهم ، وساعدهم على ترجمة التوراة إلى العربية ،واشتغل بالتدريس في معاهدهم ، وأسس المدرسة الوطنية عام ١٨٦٣م ،وركز على الدعوة إلى الوطنية ، واعتبر سوريا وطنا واحدا.

٣ـ ناصيف اليازجي ١٨٠٠ ـ ١٨٧١م لبناني.

وقد احتضنت مصر في ظل الاحتلال الانجليزي عددا منهم مثل :

١ـ سليم تقلا ١٨٢٩ ـ ١٨٩٢م ، الذي أسس جريدة الأهرام.

٢ـ يعقوب صروف ١٨٥٢ ـ ١٩٢٧م ، وفارس نمر ١٨٦٠ ـ ١٩٧٢م وقد هاجرا إلى مصر عام ١٨٨٣م ، وأصدرا مجلة المقتطف التي كانت تصدر في بيروت ، كما قاما بإصدار جريدة المقطم عام ١٨٨٩م التي استمرت في الصدور إلى وفاة فارس نمر عام ١٩٥٢م.

٣ـ جورجي زيدان ١٨٦١ ـ ١٩١٤م ، مؤسس الهلال ، الذي تلقى علومه في الكلية البروتستنتية السورية. ونهج في كتابة روايات الإسلام نهج الكاتب الانجليزي وولتر سكوت ، وشوه بها التاريخ الإسلامي.

٤ـ فرح أنطون ١٨٧٤ ـ ١٩٢٢م جاء إلى القاهرة من طرابلس الشام عام ١٨٩٧م وقضى بقية حياته بين مصر ونيويورك ، رئيسا لعدة مجلات عربية أشهرها مجلة : الجامعة. ودعا إلى وضع أسس علمانية يشترك فيها المسلمون والنصارى على قدم المساواة.

وقد أنشئت عام ١٨٧٥م أول جمعية سرية لها أهداف قومية في سوريا من بعض النصارى من حلقة البستاني. وتظاهرت بالتركيز على بعث التراث العربي ، والتغني بأمجاد العرب ، وذلك وسيلة لكسب تأييد العرب المسلمين للتيارات الانفصالية عن الأتراك.

كما أسس نجيب عازوري النصراني اللبناني عام ١٩٠٤م في باريس منظمة قومية باسم رابطة الوطن العربي ، وكانت ثقافته فرنسية ، وادعى أن غاية الرابطة تحرير بلاد الشام والعراق من سيطرة الأتراك. وأصدر عام ١٩٠٥م كتابه بالفرنسية (يقظة الأمة العربية) ، واعتبر الوطن العربي منه : البلاد العربية الآسيوية. وأما مصر وشمال أفريقية فهي خارجة عنها.

(٤٣) الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ٣٣٣.

١ـ ضرورة تنفيذ الإصلاح بسرعة.
٢ـ إشراك العرب بالإدارة المركزية.
٣ـ جعل اللغة العربية لغة رسمية في جميع الولايات العربية.
٤ـ جعل الخدمة العسكرية محلية بالنسبة للعرب إلا حين الضرورة.
٥ـ التعاطف مع مطالب الأرمن.

وواضح أن مطالبهم معتدلة ولاتدعو للانفصال عن الدولة ، وأكد الأعضاء بأن حركتهم لا دينية ، وتعادل عدد النصارى مع عدد المسلمين في المؤتمر ، وكان برئاسة عبد الحميد الزهراوي.

وقد علقت فرنسا آمالا كبيرة على المؤتمر ، وكان لها العديد من الأنصار في داخله ، ثم قامت بنشر مقرراته.

ولما وقعت الحرب العالمية الأولى(١٣٣٣-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م)، دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا) ، في حين تمكن الانجليز (بمراسلات الحسين مكماهون)(٤٤) من جر العرب إلى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) ، فسادت فكرة القومية العربية ووقع الصدام بين العرب والترك(٤٥). وسقطت تركيا بعد هزيمتها في الحرب ، واحتل الحلفاء واليونان أجزاء منها ، ووقعت الآستانة تحت سيطرة الانجليز ، وأصبح الخليفة كالأسير فيها.

إن خلع السلطان عبد الحميد وقيام جمعية الاتحاد والترقي في الحكم كانت خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم أثناء الحرب وبعد الحرب في مراحل نلخصها فيما يلي :

١ـ اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية بين الحلفاء ، تجلى ذلك في معاهدة **سايكس بيكو** سنة **١٣٣٤هـ/١٩١٦م** السرية ، في الوقت الذي وعدوا فيه العرب بالاستقلال. وأهم ماتضمنته هذه المعاهدة :

أـ أن يكون جنوب العراق لبريطانيا وأشير لها على الخريطة باللون الأحمر ، وساحل سوريا الشمالي (لبنان والساحل الشمالي من سوريا) لفرنسا. وأشير لها على الخريطة باللون الأزرق.

بـ تتكون دولتان عربيتان شمال العراق وأواسط بلاد الشام وجنوبها ، يكون

---

(٤٤) بلغ مجموع الرسائل المتبادلة بين شريف مكة و(آرثر هنري مكماهون) عشر رسائل منها خمس كتبها مكماهون ، وخمس كتبها الحسين.

(٤٥) انظر : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ٣٧٠، ٣٩٦-٤٠١.

النفوذ في الأولى التي تشمل شمال العراق وشرق الأردن لبريطانيا ، والنفوذ في الثانية التي تشمل أواسط سوريا والجزيرة الفراتية لفرنسا.

جـ تكون فلسطين دولية. ولايتقرر شكلها النهائي إلا بعد استشارة روسيا ، وشريف مكة.

دـ تكون الآستانة والمضائق (البوسفور والدردنيل) لروسيا.

هـ تكون الأماكن المقدسة (الحجاز) والجزيرة العربية ضمن حكومة إسلامية مستقلة.

٢ـ **وعد بلفور** الذي أصدرته بريطانيا للصهيونية في **١٩١٧/١١/٢م**(محرم ١٣٣٦هـ) بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود.

٣ـ تسليم تركيا لأبشع حركة **تغريب** وتدمير للقيم الإسلامية ، ونقلها من دولة ذات طابع إسلامي ، إلى دولة غربية الطابع ، فيمكن القول بأن الفترة التي بدأت في تركيا بخلع السلطان عبد الحميد وتولي **الاتحاديين** للحكم هي الفترة التي اجتمعت فيها إرادة الحاكمين والاستعمار على تصفية الدولة العثمانية ، وإبراز طابع الجامعة الطورانية ، وإبلاغ العلاقة بين الترك والعرب أشد مراحلها عنفا وقسوة ،مما مهد إلى زوال الدولة ، والتهام الغرب للأجزاء العربية ، ومنح اليهود وعد بلفور ، الذي يعطيهم الحق في إقامة دولة في فلسطين.

فقد قام الاتحاديون بتوجيه الدولة وجهة قومية لا دينية ، ولما احتل الانجليز استانبول (الآستانة) وأصبح الخليفة شبه أسير في أيديهم ، وأصبح المندوب السامي البريطاني والجنرال هارنجتون (القائد العام لقوات الحلفاء في استانبول) هما أصحاب السيادة الفعلية(٤٦) ، ظهر مصطفى كمال(٤٧) باشا بمظهر المنقذ لشرف الدولة من

---

(٤٦) علي حسون ص ٢٧٠.

(٤٧) ولد عام ١٢٩٩هـ / كان والده كما يقول (مصطفى كمال) : رجلا ضائع الفكر يقاوم علماء الدين ويؤيد الأفكار التي تتسرب من الغرب وتشبث بها. فنشأ ابنه على ذلك وتأثر بأفكار نامق كمال ذو الآراء غير الملتزمة ، وطالع العديد من الكتب عن الثورة الفرنسية وازداد اعجابه بنابليون. قام بتأليف جمعية سرية ـ الوطن في دمشق ـ ففشلت. فانضم إلى جماعة الاتحاد والترقي في سالونيك. اكتسب الكثير من طبائع الغرب وبهرت أنظاره وافتتن بحضارته ومعاييرها الفنية والاجتماعية. واهتم بحرية الجنس والعلاقات بين الرجل والمرأة. وفي عام ١٣٧٧هـ / عين قائدا لأحد الجيوش في فلسطين حيث قام بإنهاء القتال مع الانجليز فورا وبصورة تامة وسمح للعدو بالتقدم شمالا دون مقاومة وسحب قواته شمالا بعد حلب حسب مخطط متفق عليه.(انظر على حسون ص ٢٦٣-٢٦٥ والرجل الصنم).

الحلفاء واليونان الذين احتلوا إزمير بتمكين من بريطانيا سنة **١٣٣٨هـ** ، وتوغلوا في حقد صليبي دفين في الأناضول وكان الحلفاء قد عقدوا معاهدة سيفر عام **١٩٢٠م** ، جردت المعاهدة الدولة العثمانية من ممتلكاتها في أوربا سوى العاصمة وقطعة أرض صغيرة. ووضعت الممرات تحت إشراف دولي. كما فقدت الدولة كل ممتلكاتها العربية ، فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، ووضع العراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب الانجليزي ، وأعطيت إزمير وضواحيها لليونان وتقرر تأسيس دولة أرمنية في الأناضول الشرقي(٤٨).

فقام **مصطفى كمال** باستثارة روح الجهاد في الأتراك ، ورفع القرآن ، ورد اليونانيين على أعقابهم ، في موقعة سقاريا عام **١٩٢١م** ، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته ، وأخلت أمامه المواقع ، ولعلها كانت بداية الطعم لإظهار شخصية مصطفى كمال ، وجعلها تطفو على السطح تدريجيا(٤٩). فقد ابتهج العالم الإسلامي وأطلق عليه لقب الغازي الذي كان ينفرد به سلاطين آل عثمان الأول. ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء.

فأحمد شوقي قرنه بخالد بن الوليد في أول بيت من قصيدة مشهورة(٥٠):

الله أكبر كم في الفتح من عجب ياخالد الترك جدد خالد العرب

ثم يجعله في مصاف صلاح الدين الأيوبي حين يقول :

حذوت حرب الصلاحيين في زمن فيه القتال بلا شرع ولا أدب

بل وشبه انتصاره بانتصار بدر فيقول :

يوم كبدر فخيل الحق راقصة على الصعيد وخيل الله في السحب

تحيـة أيها الغـازي وتهنئـة بآية الفتح تبقى آية الحقب

فكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر ، باستسلام الخليفة القابع في الآستانة ، مستكينا لما يجري عليه من ذل ، كبر في نظرهم الأول ، بمقدار مايهون الثاني. وزاد في سخطهم على الخليفة ماتناقلته الصحف بإهداره دم مصطفى كمال واعتباره عاصيا متمردا. ولم يكن مصطفى كمال في نظرهم إلا بطلا مكافحا يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة ، الذي خيل إليهم أن الخليفة يمرغه في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة.

---

(٤٨) الشرق الأوسط الحديث ص ٢٢٢.

(٤٩) علي حسون ص ٢٤٥.

(٥٠) الاتجاهات الوطنية ج٢/٢٦-٢٧.

ولكنه لم يلبث غير قليل حتى ظهر على حقيقته ، صنيعة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى وخاصة انجلترا ، التي رأت أن الغاء الخلافة ليس بالأمر الهين ، وإن ذلك لايمكن أن يتم دون اصطناع بطل ، وإعطائه صورة عظيمة ، وإظهار هالة حوله ، وتصويره وكأن المعجزات تجري على يديه ، وعندها يمكن توجيه الطعنة على يديه ، بلا ألم عميق ، إذ الشعور قد تخدر من نشوة الانتصارات الزائفة. فالحلفاء أنفسهم هم الذين اصطنعوا القلاقل ، وطلبوا من السلطان إخمادها ، واقترحوا اسم مصطفى كمال لتلك المهمة ، ليصبح محط آمال الناس ، وموضع تقدير ضباط الجيش ، فتتصاعد مكانته وهيبته ، وتتدهور سمعة الخليفة ، وينحط مركز الخلافة في أعين الناس ، فالألاعيب الانجليزية لاتدرك بسهولة(٥١).

كان مصطفى كمال قد انتقل إلى أنقرة واتخذها مقرا له ، واستقبل هناك استقبال الفاتحين سنة **١٣٣٧**هـ. وكان يقول : « إن كل التدابير التي ستتخذ لايقصد منها غير الاحتفاظ بالسلطنة والخلافة وتحرير السلطان والبلاد من الرق الأجنبي»(٥٢).

وفي عام **١٣٤١**هـ/ **١٩٢٣**م أعلنت الجمعية الوطنية التركية قيام الجمهورية في تركيا ، وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها وفصل بذلك بين السلطة والخلافة ، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتا بالخلافة ـ فاختير عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة ، ـ بدلا من محمد السادس الذي غادر البلاد على بارجة بريطانية إلى مالطة ، ولم يمارس السلطان عبد المجيد أي سلطات للحكم. وفي عام **١٣٤٢**هـ/**١٩٢٤**م قدم مصطفى كمال أعظم هدية للغرب ، وهي إلغاء الخلافة ، التي كانت في اعتبار المسلمين جميعا عقدة الصلة ، والرابطة الوثيقة ، بحسبانها قوة خاصة لهم في مواجهة الغزو الغربي ، والصهيوني ثم الشيوعي. وأخرج السلطان عبد المجيد من البلاد ، وأعلن دستورا جديدا لتركيا ، وبدأ حكم كمال **أتاتورك** كرئيس للجمهورية التركية رسميا. فأثار بذلك موجة من الاستياء الشديد عمت العالم الإسلامي. فشوقي الذي مدحه سابقا بكى الخلافة ، وهاجم مصطفى كمال في عنف ، لايعدله إلا تحمسه له بالأمس ، فيقول(٥٣) :

بكت الصلاة وتلك فتنة عابث ... بالشرع عربيد القضاء وقاح
أفتى خزعبلة وقال ضلالة ... وأتى بكفر في البلاد بواح

(٥١) د. علي حسون ص ٢٧٧.

(٥٢) نفسه ص ٢٧٩.

(٥٣) من قصيدته في رثاء الخلافة / ديوان شوقي ج١/١١٤.

وعم الاستياء المسلمين في الهند ، الذين علقوا على تركيا أملا كبيرا في الخلاص من الاستعمار البريطاني لبلادهم. بل إن عددا من زعمائهم كان قد هاجر بالفعل إلى أنقرة. واستطاع الانجليز بدهائهم أن يفرزوا الأغاخان في الهند ليتزعم فكرة إبقاء الخلافة في تركيا ، وهو نفسه الذي حاول الانجليز أن يجعلوه منافسا للسلطان عبد الحميد في زعامة المسلمين من قبل فكان ذلك سببا في هجمات صحفية في تركيا على الخلافة(٥٤).

وفشلت المحاولات التي بذلت في سبيل إحياء الخلافة الإسلامية في أي بلد من البلدان الإسلامية الأخرى ، لأن الأحوال الملائمة لذلك لم تكن متوفرة في أي بلد إسلامي آخر. وحين عرضت الخلافة على الغازي ألبى أن يقبلها(٥٥) ، وقد تأكد أن مصطفى كمال كان ينفذ مخططا مرسوما له في المعاهدات التي عقدت مع الدول الغربية. فقد فرضت معاهدة لوزان سنة **١٣٤٠هـ/١٩٢٣م** على تركيا ، فقبلت شروط الصلح والمعروفة بشروط كرزون الأربع ، (وهو رئيس الوفد الانجليزي في مؤتمر لوزان) وهي(٥٦):

١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاما.

٣- إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد ومصادرة أموال

---

(٥٤) انظر نجيب صالح ص ٣١٣.

(٥٥) المسألة الشرقية ص ٢٤٩ / د. دسوقي كان الانجليز يعارضون في ظهور الخلافة الإسلامية في أي صورة من الصور.ولكنهم - كعادتهم - لم يكونوا يصرحون بهذه المعارضة حتى لايثيروا المسلمين ويدعوهم إلى التشبث بالخلافة ، فكانوا يعملون على تعقيد المساعي المبذولة في اعادتها بوسائل ملتوية خفية. والذي يقرأ كتاب Whither Islam ص١٦٩ مثلا يستطيع أن يدرك بين سطوره مهاتة الكاتب في الجهود المبذولة لإقامة الخلافة.(الاتجاهات ج٢/٥١).

(٥٦) ويعترف رضا نور في كتابه حياتي وذكرياتي ص ١١٨٨ بأن الحاخام (ناحوم) أو (ناعوم) أعلن في مؤتمر الصلح في لوزان علمانية تركيا ، بقوله : لقد أصبحت تركيا علمانية ، لقد انفض الدين عن الدولة ، وإذا تم الصلح فإننا سنقوم بوضع القوانين المدنية. ويواصل رضا نور قوله : وكانت هذه أهم نقاط الارتكاز التي اعتمدنا عليها في لوزان ، إن صفقة بيع وشراء الخلافة ، والتنازل عن الموصل قد تم بين لندن وأنقرة ، وماحضور وفد تركي إلى لوزان إلا للتمويه والتوقيع. واعترف رضا نور أن الدور الأساسي في موضوع الصلح كان قد أعطي لفره صو (حايم ناعوم) ، فقد كان الشخص الأول في المؤتمر عو عصمت اينونو ، والثاني عو رضا نور ،إلا أن الأمور كلها كانت بيد مستشار الوفد فره صو الذي كان يجلس خلف عصمت اينونو ورضا نور ويهمس لهما بما يريد فلا يترددان في الإعلان.

الخليفة ، وتتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

٤ـ اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم.

وقد نفذ مصطفى كمال المخطط كاملا وبدأت حكومته تبتعد تدريجيا عن الخطوط الإسلامية ، وتسلم تركيا لعمليات التغريب. فألغيت وزارة المحاكم الشرعية ، ووزارة الأوقاف ، عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م وعهد بشئونها إلى وزارة المعارف ، وفي عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م أغلقت المساجد. وقضت الحكومة في قسوة بالغة على كل تيار ديني. وواجهت كل نقد ديني لتدابيرها بالعنف فقد قام **الشيخ سعيد** بحركة بعد إلغاء الخلافة ، اتخذ لها راية خضراء ، وشعارا : لتحيا الخلافة ، ولتسقط الجمهورية ، وسيطرت حركته على معظم المناطق ، وأصبحت أنقرة نفسها على وشك السقوط ، فأعلن مصطفى كمال أن الحركة كردية ، وأنها تهدف إلى إقامة دولة كردية ، وجرد عليها حملة كبيرة عام **١٩٢٥م** فاستطاع بعد مذابح رهيبة لم يعرف التاريخ لها مثيلا أن يقضي على الحركة ، بعد استشهاد أكثر من نصف مليون مسلم ، سقطوا دفاعا عن الخلافة الإسلامية(٥٧) ، ونشر محاكم الاستقلال في الأقاليم حيث كانت ترسل المعارضين إلى المشنقة لأتفه الأسباب.

وفي عام (١٣٥٠ـ١٣٥١هـ/ ١٩٣١ـ١٩٣٢م) حددت الحكومة عدد المساجد و لم تسمح بغير مسجد واحد في كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها ٥٠٠ متر ، وأعلن أن الروح الإسلامية تعوق التقدم.

وتمادى مصطفى كمال في تهجمه على المساجد فخفض عدد الواعظين الذين تدفع لهم الدولة أجورهم إلى ثلاثمائة واعظ ، وأمرهم أن يفسحوا في خطبة الجمعة مجالا واسعا للتحدث عن الشئون الزراعية ، والصناعية ، وسياسة الدولة، وكيل المديح له. وأغلق أشهر جامعين في استانبول ، وحول أولهما وهو مسجد أيا صوفيا إلى متحف ، وحول ثانيهما وهو مسجد الفاتح إلى مستودع.

أما الشريعة الإسلامية فقد استبدلت ، وحل محلها قانون مدني أخذته حكومة تركيا عن القانون السويسري عام١٣٤٥هـ/١٩٢٦م .وغيّرت التقويم الهجري ، واستخدمت التقويم الجريغوري الغربي ، فأصبح عام ١٣٤٢هـ ملغيا في كل أنحاء تركيا ، وحلّ محله عام ١٩٢٦) ميلادية.

وفي دستور عام١٣٤٧هـ/١٩٢٨م أغفل النص على أن تركيا دولة إسلامية ،

(٥٧) مصطفى محمد ص ١٠٠ وانظر الذئب الأغبر ص ٢٠٦/ الرجل الصنم ص ٤٢٢ /بروكلمان ج٥/١٦.

وغير نص القسم الذي يقسمه رجال الدولة عند توليهم لمناصبهم ، فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب ، بدلا من أن يحلفوا بالله ، كما كان عليه الأمر من قبل(٥٨). وفي عام ١٩٣٥م غيرت الحكومة العطلة الرسمية فلم يعد الجمعة ، بل أصبحت العطلة الرسمية للدولة يوم الأحد ، وأصبحت عطلة نهاية الأسبوع تبدأ منذ ظهر يوم السبت وتستمر حتى صباح الاثنين. وحرم الاحتفال بعيد الفطر والأضحى ، وطبعت طوابع بريد تمثل صورة الذئب الأغبر إله الأتراك القدماء(٥٩).

وأهملت الحكومة التعليم الديني كلية في المدارس الخاصة ، ثم تم إلغاءه بل أن كلية الشريعة في جامعة استانبول بدأت تقلل من أعداد طلابها إلى أن أغلقت عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

وأمعنت حكومة مصطفى كمال في حركة التغريب فأصدرت قرارا بإلغاء لبس الطربوش ، وأمرت بلبس القبعة ، تشبها بالدول الأوروبية.

ومنذ عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م بدأت الحكومة تفرض إجباريا استخدام الأحرف اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلا من الأحرف العربية. وبدأت الصحف والكتب تصدر بالأحرف اللاتينية، وبدأ مصطفى كمال بنفسه هو ورجال الجمعية الوطنية يعلمون طريقة الكتابة بالحروف اللاتينية. وحذف من الكليات التعليم باللغة العربية واللغة الفارسية ، وحرم استعمال الحرف العربي لطبع المؤلفات التركية ، وأما الكتب التي سبق لمطابع استانبول أن طبعتها في العهود السالفة ، فقد صدرت إلى مصر ، وفارس ، والهند ، وهكذا قطعت حكومة تركيا مابين تركيا وماضيها الإسلامي من ناحية ، ومابينها وبين المسلمين في سائر البلدان العربية والإسلامية من ناحية أخرى(٦٠) ، فكان هذا القرار من أخطر القرارات ، لأنه أدى إلى تجهيل الأمة ، بفصل الجيل الجديد عن منهجه ، وثقافته وتراثه.

وتشبها بالغرب أصدرت حكومة مصطفى كمال قانونا عام١٣٥٣هـ/١٩٣٤م يقضي بأن يحمل كل فرد اسم أسرته ،وألا يتعامل رسميا إلا بذلك الإسم مما لم يكن معروفا قبل ذلك في تركيا. وبعد أن صدقت الجمعية الوطنية على القانون الخاص بألقاب الأسر خلعت على مصطفى كمال لقب (أتاتورك) ومعناه أبو

---

(٥٨) تركيا الحديثة ص ٢٠١ ، جميل بيهم - العرب والترك ص ١٧٨.عزة دروزة.

(٥٩) الذئب الأغبر ص ٢١٥.

(٦٠) انظر ماكتبه الأمير شكيب أرسلان عن أعمال مصطفى كمال في تركيا ج٣/٣٥١-٣٥٣.

الأتراك ، وأخذ أتاتورك ينفخ في الشعب التركي روحا جديدة للاعتزاز بقوميتهم بصفتهم أسلاف الأتراك الأولين ، واستغل ماتادى به بعض المؤرخين من أن لغة السومريين أصحاب الحضارة القديمة في بلاد مابين النهرين كانت ذات صلة باللغة التركية فقال : بأن الأتراك هم أصحاب أقدم حضارة في العالم ، ليعوضهم عما أفقدهم إياه من قيم ، بعد أن حارب كل نشاط إسلامي. وأطلق الحرية لنقد الدين والتحامل عليه وانتقاصه بمختلف الوسائل والأساليب(٦١).

وعملت حكومته على الاهتمام بكل ماهو أوربي ، فازدهرت الفنون وأقيمت التماثيل لأتاتورك في ميادين المدن الكبرى كلها ، وزاد الاهتمام بالرسم والموسيقى ، ووفد إلى تركيا عدد كبير من الفنانين أغلبهم من فرنسا والنمسا(٦٢).

وعملت حكومته على إلغاء حجاب المرأة وأمرت بالسفور ، وألغى قوامة الرجل على المرأة وأطلق العنان باسم الحرية والمساواة ، وشجع الحفلات الراقصة والمسارح المختلطة والرقص. وتزوج من لطيفة هانم ، ابنة أحد أغنياء أزمير الذين كانوا على صلة كبيرة مع اليهود من سكان أزمير ، وجرت مراسم الزواج على الطريقة الغربية ، كي يشجع على نبذ العادات الإسلامية ، واصطحبها وطاف بها أرجاء البلاد وهي بادية المفاتن تختلط مع الرجال وترتدي أحدث الأزياء العصرية(٦٣).

وأمر أخيرا بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية ، ففقد كل معانيه ومدلولاته ، وأمر أن يكون الأذان باللغة التركية ومنع الحج.

لقد تجلت سياسة أتاتورك في برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهوري) لعام **١٣٤٩**هـ مرة ، وعام **١٣٥٥**هـ مرة ثانية والتي نص عليها الدستور التركي ، وهي المباديء الستة التي رسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهي :

(القومية ، الجمهورية ، الشعبية ، العلمانية ، الثورة ، سلطة الدولة) فتم تغيير المناهج الدراسية ، وأعيد كتابة التاريخ من أجل ابراز الماضي التركي القومي ، وجرى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية والفارسية ، واستبدلت بكلمات أوروبية أو حثية قديمة. وجرى التخلي عن أهداف الجامعة الإسلامية والجامعة

---

(٦١) مثل ماكان يكتبه أحمد أغايف في جريدة (احشام) عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ، يندد بالقرآن الكريم ، ويسفه الإسلام.
(أرسلان ـ حاضر العالم الإسلامي ج١/٢١٢ ، الرجل الصنم ص ٣٤٥).

(٦٢) انظر دسوقي المسألة الشرقية ص ٤٢٨ ـ ٤٣٢.

(٦٣) علي حسون ص ٢٦٥. نجيب صالح ص ٣١٤- ٣١٧.

الطورانية ، والعثمانية ، في السياسة الدولية(٦٤) وأعلن أنه اتجه إلى أوروبا ، وانفصل عن العالم الإسلامي ، والعرب ، وآسيا ، وأمعنت حكومته في استدبار الإسلام ، حتى حاربت بقسوة أي محاولة ترمي إلى إحياء المباديء الإسلامية(٦٥).

وكانت خطوات الغازي هذه بعيدة الأثر في مصر ، وأفغانستان ، وإيران ، والهند الإسلامية ، وتركستان ، وفي كل مكان في العالم الإسلامي ، إذ أتاحت الفرصة لدعاة التغريب وخدام الثقافة الغربية الاستعمارية أن ينفذوا إلى مكان الصدارة ، وأن يضربوا المثل بتركيا في مجال التقدم والنهضة ، فقد هللت له صحف مصر ـ الأهرام والسياسة والمقطم ـ وكان (هذا التأييد معروف المصدر ، فقد كانت الصحف أجيرة لأكثر من نفوذ) وبررت تصرفات كمال أتاتورك ، ووافقت عما ابتدعه ، ونشرت له أقوال : « ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين ». وأنه ـ أي مصطفى أتاتورك : « ألقى القرآن ذات يوم في يده فقال : إن ارتقاء الشعوب لايصلح أن ينفذ بقوانين وقواعد سنت في العصور الغابرة »(٦٦).

وكان للإعلام اليهودي دور كبير في الترويج لهذه الردة ، مثلما كان له دوره البارز في تشجيع أتاتورك على البطش بأية معارضة إسلامية ، وكانت تزين له أن مايقوم به من مذابح وحشية ضد المسلمين ليست سوى معارك بطولية ، كما كانت منبرا لكل دعوات التشبه بالغرب الصليبي والمناداة بالحرية الفاجرة للمرأة التركية ، والترويج لفنون الانحلال الخلقي معتبرة أن شرب الخمر والمقامرة والزنا ليست إلا مظاهر للتمدن والتحضر(٦٧).

كل ذلك أسهم في حركة التغريب في مصر وإيران وأفغانستان. **فإيران** كانت قد فتحت أبوابها للمؤثرات الأجنبية(٦٨) منذ عهد الدولة **الصفوية** الشيعية (٩٠٦-١١٣٥هـ/ ١٥٠٠-١٧٢٢م)، فقد تعاونت مع البرتغال ثم الانجليز ، وشجع الصفويون بناء الكنائس ودخلها المبشرون والقسس.وفرضت المذهب الشيعي الاثني عشري على إيران ، واضطهدت أهل السنة ، ووقفت في وجه

(٦٤) علي حسون ص ٢٩٤.

(٦٥) الاتجاهات الوطنية ج٢//١٠.

(٦٦) وكان هذا تحديا سافرا لمشاعر المصريين الذين كانوا يعطفون على الخلافة ويتمسكون بها ، ويتمسكون بإسلامهم. (انظر الاتجاهات الوطنية ج٢/١٢-٢٤).

(٦٧) وقد امتدح برنارد لويس أتاتورك ، بالطبع ، وشبه انتصاره وزمرته بانتصار اليابان على روسيا (الغرب والشرق ص ١٧٠).

(٦٨) انظر د. عبد الله محمد الغريب ـ وجاء دور المجوس ص ٨٠-٩٥ عن إيران في ربع قرن للدكتور موسى الموسوي.

الدولة العثمانية وشغلتها فكانت أحد أسباب ضعفها.

ثم حكمت الأسرة **القاجارية** بعد الصفوية ، التي اتصفت بالعنف والتخريب ، والمذابح الدموية ، وبشكل خاص ضد أهل السنة.

كما كانت في عهدها حركات أغاخان والإسماعيلية ، والحركة البابية ، بتآمر من الانجليز والروس ، من أجل زيادة حدة الانقسامات ، فيزداد الضعف ، ويزداد تسلط الانجليز والروس على البلاد ، فشهدت البلاد الفوضى والخراب ، والنفوذين الانجليزي والروسي. وخاصة الانجليزي(٦٩).

وفي عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م ألغى **رضا بهلوي** أحكام الشريعة الإسلامية ، ووضع قانونا مدنيا ، وآخر للعقوبات ، بني على الأساس الفرنسي.

وفي عام١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م نصب رضا خان نفسه ملكا ، ولقب نفسه (بهلوي) ، وكان صديقا حميما لكمال أتاتورك ، وحرص على تقليده واقتفاء خطاه ، ففي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م ألغى الحجاب الشرعي وهاجمه ، وكانت زوجته أول من كشفت عن رأسها في احتفال رسمي ، وأمر الشرطة بمضايقة النساء اللواتي يرفضن الإقتداء بملكتهن ، وخرجن محجبات.

وفي عام١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م قلص مادة التعليم الديني في المدارس الحكومية ، ثم جعلها غير إلزامية في المدارس الابتدائية والثانوية. وفرض اللغة الفارسية بدلا من اللغة العربية.

وتوج صداقته لأتاتورك بزيارة قام بها عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م . وفي عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م .غير اسم الدولة فأصبحت إيران بعد أن كانت فارس.

وأما ابنه **محمد رضا** فكان على صلة وثيقة مع عميل المخابرات البريطانية مسيو (براون). واصطحبه معه إلى بلاده بعد أن أنهى دراسته الاعدادية في مدرسة روزه قرب جنيف.

وفي عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م اعترف شاه إيران بإسرائيل ، وأقام علاقات متينة معها. وهكذا خطت إيران خطواتها نحو التغريب.

وكان من نتائج خطوات أتاتورك أن وجد اليأس أيضا في قلوب مسلمي **الهند وأندونيسيا** ، وتسللت الأفكار الغربية إلى حركاتهم ، وأفرد الحكم الشيوعي بمسلمي الاتحاد السوفيتي فتمكن لينين من ضرب الإسلام والمسلمين هناك وضربت آمالهم في التحرر.

---

(٦٩) انظر نوار ـ الشعوب الإسلامية ص ٣٣٣-٣٦٩.

وأما **العرب** فقد استمر التآمر ضدهم بعد معاهدة سايكس - بيكو - ووعد بلفور ، فاقتسم الانجليز والفرنسيون بلادهم المتبقية ، بموجب معاهدة **سان ريمو** عام **١٣٣٩**هـ/ **١٩٢٠**م ، فأصبحت العراق وشرق الأردن وفلسطين بيد الانجليز ، مع التزام بريطانيا بسياسة تهويد فلسطين لتنفيذ وعد بلفور ، وأصبحت سوريا ولبنان بيد فرنسا ، حيث قامت فرنسا بتجزئة سوريا إلى لبنان ودولة الدروز والعلويين ولواء الاسكندرونة ودمشق وحلب ، وأثارت النعرات الطائفية والقبلية!

فتمزقت أوصال العرب في كيانات متعددة ، لكل منها نظامها الخاص وحدودها الخاصة ، وحال الاستعمار والصهيونية دون التقائها في وحدة واحدة.

فكان سقوط الخلافة العثمانية أكبر انتصار للصليبية واليهودية العالمية والشيوعية ،يقول وزير المستعمرات البريطانية :

« من دواعي فرحنا أن الخلافة زالت ، لقد ذهبت ، ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة »(٧٠).

وبذلك بدأت الأمة الإسلامية دورا جديدا من أدوار الجهاد ضد التحديات والبحث عن الذات(٧١) ، وشهد العالم الإسلامي تغيرات فكرية واجتماعية وسياسية وإقتصادية هامة ، سنتعرض لها في الباب القادم إن شاء الله.

وقبل ذلك نذكر تتابع التطور الذي حصل في **تركيا الجديدة** لنرى هل استفادت من تخليها عن الإسلام ونبذها له في حياتها القانونية والتطبيقية وتخليها عن المسلمين والتجائها إلى التغريب والغرب ؟

توفي أتاتورك عام **١٣٥٦**هـ بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين ، وبعد وفاته فاز **عصمت اينونو** برئاسة الجمهورية متابعا سياسته ، وقد التزمت تركيا الحياد في الحرب العالمية الثانية ، وعندما ظهر انهزام المحور بشكل حتمي دخلت الحرب في نهايتها إلى جانب الحلفاء ، ولكن الروس اقترحوا عليها بعد الحرب التخلي عن أراضي شرقي آسيا الصغرى ، وضم مساحة كبيرة من شمالي شرق الأناضول إلى جورجيا السوفيتية ، فتلفتت تركيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية فأقامت على أرضها القواعد العسكرية الأمريكية ، وجرى تقوية الجيش ، وارتفعت نسبة الانفاق العسكري ، وظهرت الأزمات الإقتصادية العنيفة

---

(٧٠) الغزالي - هموم داعية.

(٧١) انظر - جب - الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ١٥٠-١٥٥.

التي تزايد خطرها يوم بعد يوم ، وازداد التضخم المالي. واعترفت بإسرائيل عام ١٩٤٨م.

وفي الوقت نفسه تظاهر اينونو ببعض الاستجابة لمشاعر الناس الذين يحرصون على شعائر الإسلام فأعاد تعليم الدين في المدارس في غير ساعات الدراسة(٧٢).

وسمحت الدولة بتشكيل أحزاب علمانية جديدة فنشأ الحزب الديمقراطي عام ١٣٦٦هـ من انشقاق داخل صفوف حزب الشعب الجمهوري نفسه ، وفاز في الانتخابات بدغدغة عواطف الناس ، فقد أدرج في برنامجه الانتخابي أنه إذا تولى الحكم فسيعيد الآذان باللغة العربية ، وسيرفع الحظر عن الراغبين في الحج ، كما أنه سيعيد التعليم الديني إلى سيرته الأولى. هذا فضلا عن المحافظة على عربية القرآن. فكانت هذه أسباب نجاحه(٧٣)

وفي الوقت نفسه تبنى السياسة الأمريكية وأصبح رئيسه **جلال بايار** رئيسا للجمهورية عام ١٣٧٤هـ، كما أصبح **عدنان مندريس** رئيسا للوزراء ، وأصبح منصب رئيس الوزراء يفوق في الأهمية منصب رئيس الجمهورية. فأقام مندريس مدارس الأئمة والخطباء ، وتألفت من المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية وتهتم بالدراسات الإسلامية وتعليم اللغة العربية أساساً وأقيمت معاهد إسلامية عالية(٧٤).

فأخذت الماسونية واليهودية في العمل ، وبثت الدعاية ضد مندريس، وتزعم أحمد أمين بالمان الحملة ، وهو يهودي الأصل ، وصاحب جريدة (مليت وطن) ، وساعده أقطاب الدونمة(٧٥).

وبقيت الأزمات والكوارث الإقتصادية في ترد مستمر وتوجهت الانتقادات للحزب الحاكم ، فحل الحزب القومي (الذي ظهر عام ١٣٦٨هـ) بحجة معارضته المباديء الكمالية ، ولكنه تشكل باسم آخر هو الحزب القومي الجمهوري. وفرضت غرامات فادحة على الصحفيين الذين يحطون من قدر الحكومة ، وضيق على أساتذة الجامعات والقضاة والموظفين المدنيين بصورة عامة ، وفرضت قيود

---

(٧٢) دروزة - تركيا الحديثة ص ١١٧ ، وتحدث عن رحلته إليها عام ١٩٤٤م ، محمد جميل بيهم : العرب والترك ص ١٨١ ، وتحدث عن رحلته إليها عام ١٩٥٥م. وكلاهما أكد على حرص الناس على شعائر الإسلام.

(٧٣) جميل بيهم - العرب والترك ص ١٤٨.

(٧٤) مصطفى محمد - الحركة الإسلامية في تركيا ص ٢٣-٢٤.

(٧٥) التل - الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ص ١٠٠.

على الاجتماعات عام ١٣٧٦هـ .

ووجه الحزب الديمقراطي التهمة إلى كثير من الأبرياء بالاشتراك بما سمي : (مؤامرة الضباط التسعة) واتهمهم بالارتداد عن مباديء العلمانية والميل إلى جانب المنظمات الدينية الإسلامية.

وقد حصل بالفعل بعض التراجع عن بعض العداء ضد الإسلام بفعل الضغط الشعبي الإسلامي ، تمثل ذلك في(٧٦) :

إعادة الآذان إلى الأداء باللغة العربية ، وسمح بتلاوة القرآن الكريم بالإذاعة ، وامتد التدريس الديني إلى المدارس ، وسمح بافتتاح المدارس الشرعية ، وافتتحت كلية الدين الإسلامي في أنقرة ، وجرى بعض التراجع عن المباديء العلمانية ولكنهم أظهروا بوضوح عدم رغبتهم بالتالي في إشراك الدين بالسياسة ، واستمروا في إخماد الجماعات الإسلامية التي تنادي بالأحكام الإسلامية. وحرصوا على ماحرص عليه أتاتورك : أن تركيا جزء لايتجزأ من أوربا وأن ذلك مقدس لايجوز المساس به.

ولما خشي بعض الحاقدين على الإسلام من رفاق أتاتورك الكماليين العودة إلى الإسلام ، افتعلوا الاضطرابات وتدخل الجيش فقلب نظام الحكم سلميا عام ١٣٨٠هـ بقيادة **جمال جورسيل** ، قائد القوى البرية. وأجريت التصفيات بتهمة خرق الدستور- الكمالي(٧٧) ، ثم أصبح جمال جورسيل رئيسا للجمهورية. وظهر في خضم الاضطرابات عام **١٣٨١هـ** حزب العمال التركي وسيطر عليه الماركسيون.

وأصبحت المصادمات هي الصورة المألوفة يوميا للحياة التركية العادية. كما سادت روح التطاحن داخل حزب العدالة الحاكم ، فسقطت الحكومة عام ١٣٩٠هـ. وتشكلت حكومة جديدة برئاسة المهندس **سليمان ديميريل** زعيم حزب العدالة بأغلبية ضئيلة. تبعها عدة انقلابات متتالية وتدخلات من الجيش حيث أصبحت البلاد مسرحا للفوضى فازداد التأخر الإقتصادي وشقاء الإنسان التركي.

هذا وقد انحازت تركيا إلى جانب **حلف شمال الأطلسي** عام ١٣٧١هـ وحصلت على العضوية الكاملة فيما بعد. فحصلت على التزامات دول حلف

(٧٦) علي حسون ص ٢٩٩.

(٧٧) الأفعى اليهودية ص ١٠٠.

الأطلسي بالدفاع عنها[٧٨]. واضطرت إلى إبرام مجموعة من الاتفاقيات الثنائية بينها وبين الولايات المتحدة ، ونظمت هذه الاتفاقيات العلاقة بين القانونين التركي والأمريكي بحيث أن الأمريكي الذي يقترف جريمة في تركيا كان لايخضع إلى القانون الجنائي التركي. فعادت بذلك فكرة الامتيازات الأجنبية. ونتيجة لذلك قام الجنود الأمريكان بعدد من الجرائم في تركيا أدت إلى استياء الرأي العام التركي ضد الوجود الأمريكي. وبالتالي إلى انتشار الأفكار اليسارية. كما أدت هذه الاتفاقيات إلى انتشار معالم الفكر الغربي في تركيا عن طريق فيالق السلام التي أرسلتها الولايات المتحدة إليها ، والتي قامت بعملية الغزو الحضاري. وكانت لهذه الظاهرة آثار سلبية على التراث الإسلامي في تركيا. كما أن هذه الاتفاقيات جلبت لتركيا تقييدات خطيرة لسيادتها من حيث ترجمتها ، وتفسيرها في آن واحد ، إذ كانت هناك حوالي مائة قاعدة عسكرية أنشئت عن طريق هذه الاتفاقيات ودون معرفة المجلس الوطني الكبير[٧٩]. وقد استمر هذا الوضع مع أمريكا إلى أن عدلت هذه الاتفاقيات عام **١٩٦٩م** بمباديء جديدة[٨٠]. لاتختلف عن السابقة إلا في الشكل.

وكل ذلك أدى إلى انفاق تركيا مبالغ طائلة على قواتها العسكرية ، فتعرضت إلى أزمات إقتصادية خانقة. ولم يستطع مبدأ ترومان في مساعدات تركيا حل معضلات الاقتصاد التركي ، إذ كان نصيب تركيا ضئيلا بالنسبة إلى اليونان.

وحاولت تركيا الانتساب إلى السوق الأوروبية المشتركة عام **١٩٥٧م** ، وانتسبت عام **١٩٦٣م** على أن يكون ذلك على ثلاثة مراحل :

أـ التحضيرية : وفيها يلتزم السوق تقديم مساعدات لتركيا في شكل تعريفة تفضيلية وقرض مالي قدره ١٧٠ مليون دولار لمساعدة تطوير المشاريع الصناعية.

بـ الانتقالية : وفيها يتم التغيير التدريجي للإتحاد الجمركي.

جـ النهائية : وفيها يتحقق الإتحاد الجمركي في تركيا ، وتنسق السياسات الإقتصادية[٨١].

وهكذا انساقت تركيا في أحضان الغرب ، واستسلمت إليه عسكريا واقتصاديا ، وضاعت هويتها المميزة لها.

---

(٧٨) أحمد نوري النعيمي ـ تركيا وحلف شمال الأطلسي ص ٩. (٧٩) نفسه ص ١٤٧.

(٨٠) نفسه ص ١٥٧.

(٨١) نفسه ص ١٩٦-١٩٨.

وتظاهر عدنان مندريس بتأييد الغرب حينما أرسل الجنود إلى كوريا لمساعدة قوات الأمم المتحدة عام ١٣٧٠هـ، وعقدت تركيا اتفاق صداقة مع اليونان ويوغسلافيا سنة ١٣٧٣هـ تحول فيما بعد عام ١٣٧٤هـ إلى حلف بغداد، بتوقيع الميثاق العراقي التركي سنة ١٣٧٥هـ، وانضمت إليه باكستان وبريطانيا(٨٢)، ووقع اتفاق منفصل مع الولايات المتحدة. وقد فشل حلف بغداد بثورة العراق عام ١٩٥٨م. وبقيت العلاقات مع العرب فاترة. وخاصة مع سوريا التي خسرت لواء الاسكندرونة لصالح تركيا ١٩٣٩م.

الحركة الإسلامية أمام التحديات في تركيا(٨٣) :

قاد المسلمون ثورات مسلحة ضد الحكم العلماني التركي المعادي للإسلام وظهرت أهم الثورات في المنطقة الجنوبية الشرقية عام ١٣٤٤ هـ، ثم في منيمين عام ١٣٤٩هـ وقد قمعها الكماليون بشدة منقطعة النظير وذهب ضحيتها عدد كبير من العلماء، وأهملت المنطقة اقتصاديا وعلميا.

وقامت حركة النور بزعامة الشيخ **بديع الزمان سعيد النورسي** وتلامذته من بعده، وقد كتب العديد من الرسائل الإسلامية تحت عنوان (رسائل النور) في سبيل التوعية الإسلامية ومقاومة مباديء الكماليين والعلمانية، ولم تعمد حركته إلى حمل السلاح واقتصر جهادها على اللسان. وقد حاول أتاتورك استمالته وناقشه واستنكر دعوته الناس إلى الصلاة مدعيا أنها تثير الفرقة بين أعضاء المجلس فأجابه :

« إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإسلام إنما هي في الصلاة، وإن الذي لايصلي خائن وحكم الخائن مردود ».

فسجنه ثم نفاه بعد أن اتهمه بمؤامرة لقلب نظام الحكم، ولكن دعوته استمرت في الانتشار سرا بين صفوف الجامعيين ومعسكرات الجيش ودوائر الدولة، ومثل للمحاكمة مرة أخرى بتهمة اتهامه أتاتورك بالدجال، فوقف أمام المحكمة. ومما قال :

« إنني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية، على حين يحق للمارقين الإفتراء على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار، ثم يعد ذلك أمرا مقدسا لأنه حرية. أما نور القرآن الذي يأبى إلا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين

(٨٢) علي حسون ص ٣٠٤.

(٨٣) انظر علي حسون ص ٣٠٨-٣١١.

بدستوره ، فهو خطورة ينهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة... إسمعوا يامن بعتم دينكم بدنياكم وتنكستم في الكفر المطلق : إنني أقول بمنتهى ماأعطاني الله من قوة إفعلوا مايمكنكم فعله فغاية مانتمناه أن نجعل رؤوسنا فداء لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام ... »(٨٤).

فأعيد إلى منفاه وبقي حتى عام ١٣٦٧هـ حين بدأت الحكومة بالتراخي بخصوص النشاط الديني ، وأجازت، طباعة رسائل النور فانتشرت بسرعة ، فروع ذلك السلطات فألقي القبض عليه وأحيل للمحكمة الجزائية عام **١٣٦٨هـ** وحكم عليه بالسجن لمدة عشرين شهرا وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى وفاته في **٢٧** رمضان **١٣٧٩**هـ. وبقيت حركته مستمرة في تركيا(٨٥). ولكنها اتخذت صورة صوفية فيها الشيخ والمريد.

وقام أيضا حزب السلام الوطني ، الذي تزعمه السيد المهندس الميكانيكي **نجم الدين أربكان** عام **١٣٩٢**هـ. وهو ذو اتجاه إسلامي. وعن طريق اشتراكه في الحكم مع حزب العدالة ، حقق بعض المكاسب الإسلامية.

ولد البروفسور المهندس الميكانيكي نجم الدين بسينوب بأقصى شمال تركيا عام **١٩٢٦م**. ووالده محمد صبري بك.

توصل بكفاءته إلى أن أصبح رئيسا لاتحاد غرف التجارة والصناعة عام **١٩٦٨م** ، فثارت ثائرة الشيوعيين والماسونيين. واقرأ معي مانشرته صحيفة (أنت) الشيوعية بحقد تعليقا على هذا الحدث تحت عنوان (استنبول تحت رحمة الرأسماليين) :

« هناك صراع واضح في هذه الأيام في عالم التجارة والصناعة بين فئتين : فئة الرفاق الماسونيين الذين يعملون بحماية رئيس الوزراء سليمان ديميريل ، وفئة الإخوان المسلمين الذين يعملون برئاسة نجم الدين أربكان. فما هي حقيقة هذا

---

(٨٤) علي حسون ص ٣١٠.

(٨٥) ولد بديع الزمان عام ١٨٧٣م في ولاية بتلس من أبوين كرديين ، واتقن علوم اللغة والعلوم العقلية على اختلافها ، وعلم الأصول والفقه ، وعلوم القرآن. حرص على التواضع والتقشف ، وتعلم الرماية والمصارعة ، وركوب الخيل ، فكان شجاعا مقداما لايخاف ولايتردد ، ولقبه العلماء - بديع الزمان - كرس حياته لخدمة القرآن الكريم.أساء أتباعه بعده فهم عبارته : السياسة والشيطان سواء. فصار أكثرهم ضعيف الفهم في السياسة مما أوقعهم في حبائل السياسيين من حيث لايشعرون (انظر بالتفصيل مصطفى محمد ص ٢٥١-١٤٩).

الصراع ؟... »(٨٦).

أسس أربكان حزب النظام الوطني عام **١٩٧٠م** ، وأغلقته الحكومة عام **١٩٧١م** بعد ستة عشر شهرا فقط بحجة(٨٧) :

١- أن المباديء التي قام عليها الحزب ، وتصرفاته فيما بعد تخالف مباديء الدستور التركي.

٢- العمل على إلغاء العلمانية في البلاد ،وإقامة حكومة إسلامية.

٣- قلب جميع الأسس الإقتصادية ، والإجتماعية والحقوقية التي تقوم عليها البلاد.

٤- العمل ضد مباديء أتاتورك.

٥- القيام ببعض التظاهرات الدينية.

وتصاعدت أعمال العنف ، بعد عام **١٩٧١م** ، وزادت الاغتيالات التي بدأت باغتيال بعض الضباط الأمريكيين الذين يخدمون في القواعد العسكرية.. وانتهت باغتيال عدد لابأس به من ضباط الجيش التركي ، وزادت حوادث نسف المنشآت ، وسرقة البنوك بقوة السلاح ، وتردت حال الأمن ، فازدادت البلاد ضعفا على ضعف من الناحية الاقتصادية. ففرضت الأحكام العرفية ، وتدخل الجيش(٨٨).

وفي ظل هذه الأوضاع أنشأ نجم الدين حزب السلام الوطني عام **١٩٧٢م**.

وتمكن أن يحتل المركز الثالث في انتخابات عام **١٩٧٤م** ، فشكل مع حكومة الشعب الجمهورية الحكومية. وكان من نصيبه سبع وزارات. وقد نص الائتلاف على إطلاق الحريات العامة بما فيها الصحافة ، وإطلاق سراح المساجين السياسيين(٨٩).

والمكاسب التي حققها حزب السلامة التركي من اشتراكه بالحكم(٩٠) :

- فتح عدد كبير من مدارس الأئمة والخطباء.

- البدء - ولأول مرة - بتدريس مادة الأخلاق (وتعني الإسلام) كمادة إجبارية في المدارس.

---

(٨٦) مصطفى محمد ص ١٦٠ عن العدد ١٢٧ بتاريخ ١٩٦٩/٦/٣م.

(٨٧) نفسه ص ١٨٦.

(٨٨) نفسه ص ١٩٧.

(٨٩) مصطفى محمد ص ٢٠٣. (٩٠) نفسه ص ٢٠٦-٢٠٧.

- الدعوة إلى تصنيع مناطق الأناضول النائية .. وتبني الصناعات الثقيلة.
- السماح للأتراك بالسفر برا إلى الحج. وكان ذلك ممنوعا.
- العفو السياسي - فلأول مرة - يتناول العفو السياسي الإسلاميين الذين كانوا يموتون في السجن ، ولايحس بهم أحد.
- التدخل عسكريا في قبرص .. وإحراز نصر عسكري.
- طالب الحزب - لأول مرة - في البرلمان وبشكل علني إعادة النظر في الماسونية وخطورتها. وبالضرب على أيدي الماسونيين.

وبالنسبة للسوق الأوروبية المشتركة أعلن الحزب رأيه بصراحة وبين أن : لامصلحة لغير اليهود في هذه السوق ، وأن تركيا هي الخاسر الأكبر من هذه الصفقة ، ودعا بدلا من ذلك إلى التعاون مع المسلمين(٩١). والتقارب مع البلاد العربية المسلمة.

ففي الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ تشرين الثاني عام **١٩٧٤م** ساندت تركيا الأقطار العربية ، كما أنها صوتت بجانب قرار الأمم المتحدة الصادر في ١٠ تشرين الثاني عام **١٩٧٥م** حول اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال النظرية العرقية والتمييز العنصري. ولعبت تركيا دورا مهما في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في جدة عام **١٩٧٥** ، وصوتت إلى جانب اقتراح طرد الكيان الصهيوني من الأمم المتحدة في المؤتمر المذكور.

والأكثر من ذلك أن تركيا رغبت إقامة المؤتمر الإسلامي فيها ، فعقد المؤتمر الإسلامي في استانبول عام **١٩٧٦م**.

وأمام تزايد التيار الإسلامي في تركيا قام انقلاب قادة الجيش الثاني في **١٩٨٠/١/١م** بقيادة كنعان ايفرين ، وبتأييد من أمريكا وإسرائيل(٩٢) ، واعتقل اربكان عام **١٩٨١م**.

هذا ولاتزال الحركة الإسلامية في نمو متصاعد على الرغم من ضخامة الأعداء المحيطين بها ، وجسامة الأخطار التي تواجهها من اليمين واليسار على السواء. فتركيا كسائر ديار الإسلام لن تعرف هويتها وذاتها إلا بالإسلام. فهي حاليا ليست

(٩١) نفسه ص ٢١٥.

(٩٢) نفسه ص ٢٤١. النعيمي ص ٣٠٦/ محاضرة نجم الدين أربكان عن الحركة الإسلامية في تركيا - المدينة المنورة ١٩٨٧/٢/٢٥م. وقد استعمل فيها تعبير فكر الأمة كناية عن الشريعة الإسلامية / حيث يمنع استخدامها.

بالدولة الغربية التي حلم بها مصطفى كمال ، ولاهي بالدولة المسلمة ، فهي في ضياع وتشتت. وأعاد نجم الدين أربكان الحزب بتسمية جديدة هو : (حزب الرفاه). كما أخذت الباطنية النصيرية تنشط في تركيا في مواجهة الصحوة الإسلامية. باسم الحزب الشعبي الديمقراطي اليساري وبزعامة دنيز بايفال النصيري(٩٣).

كما أن تركيا تابعت الصلات ببلاد المسلمين في عهد كنعان ايفرين واوزال. وعادت مآذن مسجد (أياصوفيا) في استنبول تردد : (الله أكبر) .. بعد أن كان حوله أتاتورك إلى متحف ، واستمر أكثر من نصف قرن كذلك !!

ثالثا : تمزق العالم الإسلامي بين التكتلات والأحلاف الدولية المعاصرة

ظروف ضرورة التكتلات الدولية المعاصرة : يتميز الزمن المعاصر بتقارب المسافات بين دول العالم ، وشعوبه ، وباتصال المجتمعات ، وبتشابك المصالح ، وتعقدها. وذلك يعود إلى : سهولة المواصلات ، البرية ، والبحرية ، والجوية. وتوافر وسائل الإعلام من : صحافة ، ومذياع ، وتلفاز ، وخيالة ، وفيديو ،واتصالات سلكية ، ولاسلكية ، وأقمار صناعية. وسهولة تبادل النقد عن طريق البنوك ، والمصارف ، والحوالات ، والشيكات. كما يتميز بالحرب الباردة بين مايسمى بالمعسكر الاشتراكي الذي تتزعمه روسيا ، ومايسمى بالمعسكر الديمقراطي الغربي الذي تتزعمه أمريكا. وبأساليب الجاسوسية المبتكرة ، والتسابق في التسلح ، والتنافس في إنتاج الأسلحة الفتاكة المدمرة ، وتكديسها ، والتفنن في إدخال التعديلات عليها. وبالقلق الناتج عن البحث وراء الماديات ، والتسابق في اقتناء الكماليات التي تغرق الأسواق مع بريق الإعلانات والدعايات وتسهيل الحصول عليها بالتقسيط!! وبخفوت الفكر الديني ، والفراغ العقدي.

كل ذلك وغيره قاد العالم (دولا وشعوبا) إلى البحث عن التكتلات السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .. وإلى التنسيق بين مجموعات الدول التي تلتقي في مصالحها، لتحافظ على نفسها ، وتنمي مرافقها ، أو لتحافظ على هيمنتها على غيرها. فظهرت بذلك تكتلات مختلفة توصف بالعالمية ، والإقليمية ، والمحورية ،

---

(٩٣) انظر تفصيل ذلك : مجلة المجتمع الكويتية العدد ٨٨٨/ الثلاثاء ١٤ ربيع الأول ١٤٠٩هـ /٢٥ أكتوبر ١٩٨٨م ص ٢٤- ٢٥.

والقومية ، والقارية ،أسهم في صنع معظمها ، وخطط لها ، القوى المتنفذة في العالم ، ملبية الرغبة الملحة لدى بعض الدول ، ومن أجل المحافظة على نفوذها وهيمنتها على تلك الدول وحتى لا ينفلت حبل النفوذ من يدها. فاعتمدت معظم التكتلات على **المصلحة** دون العقيدة ، وتوزعت بينها ، الأمر الذي أضعف جهود البلاد الإسلامية ، وربطها بعهود ومواثيق مختلفة ، تتناقض في كثير من الأحيان مع عقيدتها الإسلامية ، وشريعتها. حيث ضعف صوت الإسلام ، وخفت ، في مواثيق هذه التكتلات ، وسارت الأمور لصالح الدول المتنفذة صاحبة القوة والسلطان ، وصاحبة التخطيط لمعظم هذه الأحلاف ، وأصبح العالم الثالث (والذي يعد الإسلام مرشحا لزعامته) نهبا مقسما ، موزعا على تلك الأحلاف ، والتكتلات الدولية.

وفيما يلي نبذة عن أهم هذه التكتلات والأحلاف الدولية حيث يظهر أثرها جليا على العالم الإسلامي في سياق عرضها :

أولا : هيئة الأمم المتحدة : U.N.

ظهر ضعف الدولة العثمانية المسلمة للعيان ، مع بداية القرن الرابع عشر الهجري ، وفقدت وزنها أمام الدول الأوروبية القومية المتغطرسة وخاصة روسيا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا ، والنمسا ، وإيطاليا. فاتجهت تلك الدول لاقتسام أملاك الدولة العثمانية فيما أسموه : المسألة الشرقية. وازداد الانتاج الصناعي لتلك الدول ، وسيطرت فيها الرأسمالية ، واشتدت حركة القوميات ، فأخذت تتسابق على المستعمرات للحصول على المواد الأولية الرخيصة الثمن ، والسوق الأعظم لاستهلاك المواد المصنعة. فأدى ذلك إلى اشتداد المنافسة بينها ، فتكونت نتيجة ذلك الأحلاف : إذ تقاربت بريطانيا وفرنسا وروسيا رغم مابينها من تنافس للوقوف في وجه ألمانيا الناشئة ، كما تقاربت ألمانيا والنمسا وإيطاليا رغم مابينها من عداء. فانقسمت أوربا إلى كتلتين متنافستين ، واشتد سباق التسلح ، ومع وجود الأزمات ـ وخاصة أزمة البلقان ـ اندلعت شرارة الحرب العالمية الأولى (**١٩١٤ ـ ١٩١٨م**) التي انتهت بانتصار الحلفاء وهم : بريطانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا (التي انضمت للحلفاء أثناء الحرب). والولايات المتحدة (التي عادت لعزلتها بعد انتهاء الحرب).

وقامت الدول المنتصرة بإنشاء عصبة الأمم ، وقد هيمنت عليها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، واتخذتها ستارا لاقتسام العالم. واعتبرتها هيئة دائمة ، تشد من أزرها

الحكومات القومية.

وتألفت **عصبة الأمم** من جمعية عمومية مؤلفة من مندوبين يمثلون الدول الأعضاء في العصبة ، تنعقد مرة كل عام لمدة شهرين في **جنيف** مقرها الدائم ، ومن مجلس كان يتكون أولا من تسعة مندوبين ، خمسة منهم ينوبون عن الدول الكبرى التي لها كراسي دائمة في مجلس العصبة ، وينعقد هذا المجلس أكثر من مرة في العام. وتعد سكرتارية العصبة (وهي هيئة دولية من الموظفين المدنيين) أعمال الجمعية والمجلس[1]. كما أنها تشرف على تنفيذ أعمالها.

وقد بلغ أكبر عدد لأعضاء العصبة (ستين دولة) ، وانضمت لها روسيا عام **١٩٣٤م** ، في حين انسحبت منها اليابان عام **١٩٣٣م** ورفضت الولايات المتحدة الانضمام إليها، وكان للصهيونية نشاط كبير في تكوينها لتحقق أهدافها باسم الشرعية الدولية عن طريق هذه العصبة.

وقد حمل ميثاق العصبة بذور فشلها. فقد كانت العصبة رابطة دول ذات سيادة ، ولم تكن اتحاد دول ، وكانت القرارات يلزمها الإجماع ، وهذا أضعف مواقفها ، كما أنها لم تكن تملك القوة الضرورية لفرض احترام مقرراتها. وعملت في الغالب كأداة للحفاظ على (الحالة الراهنة) أي أنها كانت تعمل لصالح بعض الدول وخاصة فرنسا وبريطانيا[2] ، ولم تتفق على شيء كاتفاقها ضد مصالح المسلمين.

فقد أقرت مبدأ الانتداب والوصاية ، كما اعترفت بوعد بلفور ، وأصدرت صك الانتداب على فلسطين الذي تضمن الاعتراف بوعد بلفور ، وتكليف بريطانيا بتنفيذه ، مع مشاركة الوكالة اليهودية ، فكانت شكلا من أشكال الاستعمار.

وقد فشلت العصبة فشلا ذريعا في محاولاتها منع استخدام القوة في فض المنازعات الدولية ، وفي الحد من التسلح بين الدول.

فعاد سباق التسلح ، كما عادت التكتلات والأحلاف الدولية ، فانقسمت أوربا ثانية إلى :

أ- الحلفاء : الإنجليز والفرنسيين.

ب- دول المحور : ألمانيا وإيطاليا ، وانضمت إليهما اليابان.

(١) فشر - تاريخ أوربا في العصر الحديث ص ٥٧١.

(٢) بيير رونوفن - تاريخ القرن العشرين ص ٣٦٧ ومابعد.

فجر ذلك إلى نشوب الحرب العالمية الثانية (**١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م**) وفي أثناء هذه الحرب ظهرت فكرة تطوير عصبة الأمم إلى اسم جديد هو : هيئة الأمم(٣). حيث ظهرت أفكار إنشائها عام **١٩٤١م** بميثاق الأطلسي بين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وتشرشل رئيس وزراء بريطانيا.

وتلا ذلك مشاورات كثيرة أثناء الحرب بين دول الحلفاء وبشكل خاص : الولايات المتحدة ، وروسيا ، وبريطانيا ، وعقدت مؤتمرات بشأن إنشاء هيئة الأمم أهمها :

أ- اجتماع البيت الأبيض عام **١٩٤٢م** الذي أسفر عن تصريح الأمم المتحدة من قبل ممثلي (٢٦) دولة. ذكر فيه ميثاق الأطلسي مع إضافة الحرية الدينية(٤).

ب- مؤتمر موسكو عام **١٩٤٣م** الذي ضم : الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي ، وبريطانيا ، ومثل هذه الدول : روزفلت ، وستالين ، وتشرشل. وقد اعترفوا بضرورة وضع تنظيم دولي في أول ساعة ممكنة يقوم على : مبدأ المساواة في حقوق السيادة بين جميع الدول المحبة للسلام ، وتعهدوا بفتح باب العضوية لجميع هذه الأمم صغيرها وكبيرها ، كي تعمل على كفالة السلام، والأمن الدوليين(٥).

ج- مؤتمر طهران عام **١٩٤٤م** وضم روزفلت ، وستالين ، وتشرشل(٦). وأكدوا فيه ماسبق.

د- مؤتمر (دمبرتن اوكس) : حيث اجتمع ممثلو بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة ، والصين في فندق (دمبرتن أوكس) بواشنطن عام **١٩٤٤م** ، وعملوا على وضع مشروعات تمهيدية لمنظمة دولية. ووضعوا خطوطها العريضة(٧).

هـ- مؤتمر يالطا عام **١٩٤٥م** بين روزفلت وتشرشل ، وقد بحث فيه أمر المنظمة(٨).

و- مؤتمر سان فرانسيسكو في مارس عام **١٩٤٥م** ، وقام بالدعوة إلى هذا المؤتمر كل من : روسيا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة ، والصين. وقد اشتركت

(٣) فشر - ص ٧٣٢.

(٤) دروزيل - التاريخ الدبلوماسي - ص ٣٤.

(٥) فشر ص ٧٣٢.

(٦) التاريخ الدبلوماسي ص ٤٥.

(٧) فشر ص ٧٣٢.

(٨) التاريخ الدبلوماسي ص ٨٠.

فيه فرنسا دون أن تكون داعية إليه باعتبار أنها لم تساهم في مؤتمر (دمبرتن أوكس) ولا في يالطا. وحضره مندوبون عن إحدى وخمسين دولة. حيث تم في ٢٦ يونيو من العام نفسه الموافقة على ميثاق الأمم المتحدة ، وأعلن عن قيام هيئة الأمم المتحدة في اليوم نفسه. واتخذت مقرها الدائم في **نيويورك (إمبايرستايت)**.

وقد تضمنت شرعة الأمم (١٩) فصلا في (١١١) مادة ، عرفت أولا مباديء المنظمة وأهدافها ، (الديباجة والفصل الأول) ، ثم وصفت مختلف الهيئات ، وكيفية سير أعمالها. وقد حددت **أهدافها** في :

١ـ حفظ السلام والأمن في العالم ، وذلك بمقاومة الأخطار التي تهدد السلام العالمي ، ومنع الحروب واستعمال القوة في حل المشكلات.

٢ـ تنظيم وتوثيق التعاون الدولي ، ومد يد المساعدة للدول المتخلفة في المجالات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والفنية.

٣ـ حل المشكلات الدولية والخلافات الإقليمية بالطرق السلمية عن طريق المفاوضة ، والتوفيق ، أو الوساطة ، أو التحكيم.

وتكونت هيئةالأمم المتحدة من الأجهزة الرئيسية التالية :

١ـ الجمعية العمومية :

وتكونت من جميع الدول الأعضاء ، التي بلغ عددها عام **١٩٨٧م** (١٥٩ دولة). ويمثل كل عضو فيها مندوبون لا يزيد عددهم على خمسة لهم جميعا صوت واحد. وتقوم الجمعية : بتوثيق العلاقات والتعاون الدولي ، وبحث المشكلات التي تؤثر في السلم ، والأمن العالمي. وتسوية الخلافات بين الدول ، والمحافظة على حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. وزيادة التضامن الدولي في ميادين الاقتصاد ، والاجتماع ، والثقافة ، والتربية ، والصحة. وإقرار ميزانية الأمم المتحدة ، وانتخاب أعضاء وموظفي الأجهزة الأخرى التابعة لهيئة الأمم.

وتصدر الجمعية قراراتها في المسائل الهامة بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين. وتكتفي في المسائل العادية بالأغلبية العددية.

ومما يجدر ذكره أن سلطات الجمعية استشارية محضة ، فهي تدرس ، وتناقش ، وتوصي ، وتفحص التقارير ، ولا تقرر أبدا(٩). فيما عدا الموافقة على عضوية دولة من الدول.

---

(٩) التاريخ الدبلوماسي ص ١١٣.

٢ـ مجلس الأمن :

ويتكون من خمسة أعضاء دائمين هم ممثلو : الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والصين (الوطنية سابقا ، والشعبية حاليا). ومن ستة أعضاء غير دائمين يكون انتخابهم لمدة سنتين. وقد زيد عدد الأعضاء الغير دائمين فأصبح خمسة عشر عضوا.

وتصدر القرارات في المسائل الهامة بالأغلبية العددية على أن يكون منها الأعضاء الدائمين الخمسة. كما يحق للأعضاء الدائمين استعمال **حق الفيتو** (النقض) لأي قرار يعرض على المجلس. وهذا أدى إلى تسلط الدول الكبرى في هذا المجلس. وضياع أي حق ما لم يوافق هواهم جميعا.

ويقوم مجلس الأمن : بالمحافظة على الأمن والسلام في العالم بالتعاون مع الجمعية العامة (طبعا بمفهوم الدول المهيمنة) ، واتخاذ قرارات بتوقيع عقوبات اقتصادية ، أو اجراءات لمنع وقوع العدوان ، أو لوقفه ، واتخاذ إجراء حربي ضد المعتدي في ظروف خاصة. وقد وافقت جميع الدول الأعضاء على أن تضع تحت تصرف المجلس أية قوات مسلحة ، وتقدم كل تسهيلات عسكرية يطلب منها أو يتفق عليها(١٠).

٣ـ الأمانة العامة : (السكرتاريا) :

وتتألف من أمين عام تعينه الجمعية العمومية للهيئة ، ومن عدد من الموظفين.

ويمثل الأمين العام حلقة الوصل بين الجمعية العمومية ومجلس الأمن ، وبين الدول الأعضاء ذات المصلحة ، وبين مجلس الأمن والجمعية العمومية. كما تنظم أمور اللجان الأخرى.

٤ـ المجلس الإقتصادي والإجتماعي :

ويتألف من ثمانية عشر عضوا ، تنتخبهم الجمعية العمومية ، ومهمته تقديم خدمات إقتصادية ، واجتماعية ، وصحية ، وثقافية للدول الأعضاء ، عن طريق وكالات متخصصة في هذه الميادين ، يتعاون بعضها مع الآخر عن طريق المجلس الإقتصادي والإجتماعي ، الذي يقوم بدور جهاز التنسيق. ومن أهم هذه الوكالات :

منظمة الأغذية والزراعة : F.A.O ، ومنظمة اليونسكو للثقافة والتعليم

---

(١٠) فشر ص ٧٣٣.

U.N.E.S.C.O ومقرها باريس. ومنظمة العمل الدولية L.L.O . ومنظمة الصحة العالمية W.H.O والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة اللاجئين الدولية U.N.R.W.A .

٥ـ محكمة العدل الدولية :

وتتألف من خمسة عشر قاضيا من كبار رجال القانون من مختلف الدول. ومركزها مدينة لاهاي في هولندة. ويعود تأسيسها إلى عام **١٩٢١م** للنظر في الخلافات بين الدول ، والمطالب التي تتقدم بها على ضوء المعاهدات والاتفاقيات الدولية القائمة.

٦ـ مجلس الوصاية :

وحل محل لجنة الانتدابات الدائمة القديمة. ويشرف على شئون المستعمرات السابقة لدول المحور (ألمانيا ، وإيطاليا ، واليابان). ويتألف من أعضاء الدول التي تتولى إدارة تلك البلدان.

وقد انضمت الدول الإسلامية المستقلة إلى منظمة هيئة الأمم منذ تأسيسها وتوقيع ميثاقها ، فضمت المملكة العربية السعودية ، وتركيا. وقبلت فيها أفغانستان عام **١٩٤٦م**. ثم انضمت إليهااليمن والأردن وألبانيا عام **١٩٤٧م** ، وأندونيسيا عام **١٩٤٨م**. كما ضمت هذه المنظمة الكيان الصهيوني في فلسطين باسم (دولة إسرائيل) التي اعترفت بها أمريكا والاتحاد السوفييتي من أول إعلانها عام **١٩٤٨م**(١١). كما انضمت إليها الدول العربية والإسلامية تباعا بعد استقلالها.

وقد عرضت القضية الفلسطينية على الهيئة مرارا ، ولاتزال ، كما عرضت عليها القضايا الإسلامية المختلفة ، والمتتبع للأحداث يجد أن هذه القضايا لاتحل في اجتماعات هيئة الأمم وقاعاتها ومناقشاتها. فهي لاتعدو أن تكون منبرا دوليا تعرض عليه مشكلات الأمم ، ومجلس الأمن مجمد بنظام الفيتو فهو غير قادر على اتخاذ قرارات في الحالات الخطيرة ، والجمعية العامة لاتستطيع أن تصدر إلا توصيات ، كما أنه من الممكن أن يطرح كل بلد مهما كان صغيرا توصيات الجمعية ، وأعمال اليهود في فلسطين ، وأعمال الحكومة العنصرية في جنوب أفريقيا ماثلة للعيان(١٢).

---

(١١) التاريخ الدبلوماسي ص ١١٧.

(١٢) نفسه ص ٤١٨.

ثانيا : مجموعة الدول ال ٧٧ :

ظهرت هذه المجموعة في إطار هيئة الأمم ، فقد دعت الأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر للتجارة والتنمية من أجل بحث إمكانية توسيع التبادل التجاري بين الدول النامية والدول المتقدمة صناعيا. والتعاون من أجل بناء مجتمع دولي متعاون. وفي نطاق هذا المؤتمر الذي أصبح يعقد بصورة دورية تجمعت سبع وسبعون دولة من الدول النامية في قارات : آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وعقدت أول مؤتمراتها عام **١٩٦٤م** في مدينة نيودلهي عاصمة الهند ، وعقدت مؤتمرها الثاني في مدينة الجزائر عام **١٩٦٧م**.

وانضم لهذه المجموعة عدد من الدول النامية الأخرى حتى بلغ مجموع أعضائها عام **١٩٧٤م** خمسا وتسعين دولة. وأثرها ضئيل. ومعظم دول العالم الإسلامي أعضاء في هذه المجموعة.

ثالثا : دول حلف الأطلسي N.A.T.O

وهذا الاسم نسبة إلى شمال المحيط الأطلسي.

كان هجوم هتلر الصاعق على الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية عام **١٩٤١م** ، قد دفع روسيا إلى الانخراط في المعسكر الديمقراطي الغربي ضد ألمانيا النازية. الأمر الذي دعا إلى إعادة النظر في الوضع السياسي بين لندن وواشنطن. فقابل الرئيس الأمريكي (روزفلت) ، رئيس وزراء بريطانيا (تشرشل) في **١٤** آب (أغسطس) عام **١٩٤١م** على ظهر الدارعة الإنجليزية (أمير ويلز) الراسية في جون ـ الأرض الجديدة ـ ووضعا صكا يعتبر أول معلم ، وضع لتشكيل تضامن شعوب الأطلسي. فقد اتفقت الدولتان على(١٣) :

ألاّ تحدثا أي تغيير أرضي مضاد لأماني الشعوب. ويحق لكل شعب اختيار شكل الحكم بحرية. ولجميع الشعوب الحق في الوصول إلى المواد الأولية. وترجوان التعاون الإقتصادي بين جميع الدول.

وأن السلام بعد تقويض النازية يجب أن يكفل الأمن الدولي ، وحرية البحار ، وأعلنا عن تخفيض عام للتسلح.

هذا وقد أسفرت الحرب العالمية الثانية (**١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م**) عن ظهور قوتين غربيتين : روسيا وأمريكا. تحاول كل منهما أن تحل محل أوربا الغربية في استعمار العالم ، والهيمنة عليه. فظهرت روسيا بمظهر الحامية للنظام الاشتراكي

(١٣) التاريخ الدبلوماسي ص ٣٣.

(الأيدولوجية الشيوعية) ، وظهرت أمريكا بمظهر الممثل للنظام الديمقراطي الغربي (الأيديولوجية الرأسمالية). وقد تمت القطيعة بين النظامين عام **١٩٤٧م** لتسير كل من أمريكا وروسيا في تكوين حلف تتزعمه لاقتسام العالم. باسم المعسكر الشرقي ، والمعسكر الغربي.

وأدت القطيعة بين روسيا وأمريكا إلى خوف الدول الأوروبية فبحثت عن أحلاف وتكتلات فكان **ميثاق بروكسل** (عاصمة بلجيكا) عام **١٩٤٨م** الذي ضم دول البينولوكس الثلاثة : هولندة ، وبلجيكا ، ولكسمبورج ، وذلك باقتراح من بريطانيا وفرنسا. وقد وافقت الحكومات الثلاثة على معاهدة لمدة خمسين سنة ، وتنص على معونة عسكرية آلية في حالة عدوان ضد أحد موقعيها في أوربا ، وعلى تبادل المشورة في حالة عدوان في قارة أخرى. أو في حالة تهديد ألمانيا لأي منها ، كما أكدت على منع وقوع الأقطار الأوروبية تحت النفوذ السوفييتي ، ونصت على إنشاء مجلس استشاري ينعقد بناء على طلب أحد الأعضاء. وتضمنت تقوية الروابط الثقافية والتبادل التجاري بين هذه الأقطار(١٤).

كما ظهرت الرغبة عندهم في التعاون مع الولايات المتحدة التي وضعت شرطا هو (التنظيم المسبق في أوربا لسياسة الدفاع ضد كل عدوان من حيث أتى)(١٥). فبدأ الكلام عن ميثاق أطلسي محتمل ، يضم اتحاد بروكسل والولايات المتحدة وكندا.

وفي الوقت نفسه كانت الدول الإسكندنافية : النرويج ، والسويد تفكر في تحقيق ميثاق خاص. وفي جنوب أوربا اقترح تسالداريس وزير خارجية اليونان على بيفن (رئيس وزراء بريطانيا) إشراك انجلترا ، وفرنسا ، وأسبانيا ، وايطاليا ، واليونان للدفاع عن البحر المتوسط(١٦) وهكذا تهيأ الأمر لميثاق الأطلسي بزعامة أمريكا. فنقح النص الكامل للميثاق في ٨ آذار (مارس) عام **١٩٤٨م** ، ووصل إلى باريس ثم إلى لندن حيث تناقش به مجلس الخمسة الاستشاري في لندن دون إدخال تعديل عليه ، وحضر المجلس وزراء الخارجية للدفاع الوطني والمالية الموقعين على معاهدة بروكسل. وفي **١٥** آذار دعا الخمسة والولايات المتحدة وكندا : النرويج والدانيمارك ، وأيسلندا ، والبرتغال إلى الاشتراك في الميثاق(١٧). وفي

(١٤) النعيمي ص ١٧ ، والتاريخ الدبلوماسي ص ٢١٥.

(١٥) التاريخ الدبلوماسي ص ٢١٦.

(١٦) التاريخ الدبلوماسي ص ٢١٨.

(١٧) نفسه ص ٢١٨.

نيسان (إبريل) عام **١٩٤٩م** تم توقيع الحلف في واشنطن من قبل اثنتي عشرة دولة هي : الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، وهولندا ، وبلجيكا ، ولكسمبورج ، والنرويج ، والدانيمارك ، والبرتغال ، وكندا ، وأيسلندا.

ثم انضمت لهذا الحلف تركيا واليونان عام **١٩٥٢م** ، وألمانيا الغربية عام **١٩٥٥م**(١٨).

وواضح من بيان الدول المشتركة في هذا الحلف أن العامل الاستراتيجي العسكري هو المعيار الحاسم في عضويته ، وليس العامل الإقليمي كما قد يوحي بذلك اسمه ، فالحلف كما نلاحظ يضم دولا تترامى في قارتين: من تركيا واليونان في المشرق ، وهما دولتان غير أطلسيتين،إلى أمريكا وكندا في الغرب مرورا بمعظم أوربا الغربية سواء أطلت على الأطلسي أم لا . وهذا الحلف لايضم دول أمريكا اللاتينية أو أفريقيا الأطلسية. فالقصد من الحلف كان إقامة حزام أمان واحد قبالة الإتحاد السوفييتي(١٩).

وادعى منشئوا هذا الحلف أن طابعه دفاعي ، وأنه موجه ضد خطر العدوان الشيوعي على أوربا الغربية. وأعربت دوله عن الثقة بأهداف هيئة الأمم ومبادئها ، ونصت مقدمته على رغبة المتعاقدين في السلام ، والتصميم على حماية النظام الديمقراطي ـ النموذج الغربي ـ بالقوة.

وتعد البنود العسكرية الأساسية من بين بنوده : ففي المادة الرابعة يميز بين التهديد والعدوان ، ففي حالة التهديد تتشارو الأطراف ، ويكفي لتعريف التهديد أن يصرح أحدهم أنه موجود.

وأما المادة الخامسة والتي تعتبر من أهم مواد هذا الحلف كلها فقد ذكرت أن أي عدوان مسلح يقع على دولة من دول حلف الأطلسي يعتبر عدوانا ضد كل الدول المتحالفة. ويتعين في هذه الحالة اتخاذ ماتراه ضروريا من الإجراءات القادر ة على مقاومة العدوان بما في ذلك بالطبع استخدام القوة. وتقوم دول الحلف بالإبلاغ عن العدوان والترتيبات التي اتخذت في مواجهته إلى مجلس أمن الأمم المتحدة. ليقوم بواجباته المنصوص عليها في الفصل السابع من الميثاق.

كما يخضع البند الثامن في المعاهدة جميع الاتفاقيات الأخرى الدولية وبالتالي كل

(١٨) الموسوعة ص ٦٦.

(١٩) محمد عبد العزيز شكري ـ الأحلاف والتكتلات ص ٤٥.

سياسة مشتركي الناتو الخارجية لأحكام هذه المعاهدة[٢٠].

ودخل الميثاق حيز التنفيذ في ٢٤ آب (أغسطس) عام ١٩٤٩م ، وأنشيء مجلس عسكري لتحقيق أغراضه ، وقيادة عامة للحلف. وتؤمن إدارة العمليات العسكرية (الوحدة الاستراتيجية الدائمة) وتتألف من ممثلين من الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا. وتحت أمرها خمس وحدات إقليمية للعمليات : كندا - أمريكا ، وشمال الأطلسي ، والشمال الأوروبي ، والغرب الأوروبي ، والجنوب الأوروبي للمتوسط الغربي.

وعين الجنرال دوايت إيزنهاور قائدا أعلى في أوربا عام ١٩٥٠م. كما خولت السلطة التنفيذية إلى مكتب دائم دعوه : (مكتب الثلاثة عقلاء) عام ١٩٥١م[٢١].

وتحول الحلف إلى أداة كبلت بواسطتها الدول الأخرى الداخلة فيه بقيود التبعية العسكرية للولايات المتحدة. كما حولت إلى رؤوس جسور لمرابطة القوات الأمريكية. وإقامة القواعد النووية ، وغيرها من القواعد العسكرية الأمريكية. وإلى مصادر للموارد البشرية والأسلحة الإضافية المطلوبة للاستراتيجية الأمريكية[٢٢]. فقد تحدث الجنرال الأمريكي (جرونتر) بعد إنشاء الحلف فقال : « يحلو لنا ذلك ، أم لا ، ولكن رداء قيادة العالم يقع على أكتافنا ، ونجاح هذا الحلف سيتوقف على مقدار مانستطيع تحقيق هذه القيادة »[٢٣].

وقد قام الاتحاد السوفييتي بحملات عنيفة على هذا الحلف وهاجمه بشدة بالصحافة والإذاعة[٢٤]. وذلك بهدف ضم الدول الأخرى إلى جانبه. الأمر الذي يدعونا إلى القول مطمئنين : أن اتفاقا سريا حصل بين مايسمى بالعملاقين لاقتسام العالم ، وكبت القوى التي يمكنها الوقوف أمام كل منهما وخاصة الإسلام. وقد تحولت أمريكا بموجب هذا الحلف إلى شرطي يفرض هيمنته على العالم ، ويتدخل في كل قضاياه صغيرها أوكبيرها. وأمام ذلك انسحبت فرنسا عام ١٩٦٦م رسميا

---

(٢٠) تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي ج٢/٢٠٢ ، وانظر عزيز شكري ص ٤٦.

(٢١) وكانوا عام ١٩٥١م هاريمان عن الولايات المتحدة ،وغيتسكيل عن بريطانيا ، وجان مولية عن فرنسا.

(٢٢) تاريخ السياسة الخارجية ج٢/٢٠٢.

(٢٣) نفسه ص ٢٠٤.

(٢٤) نفسه ص ٢٠٥.

من الجهاز العسكري تبعا لسياسة ديغول في أن يكون لأوربا وجود مستقل عن أمريكا ، والاتحاد السوفييتي ، فانتقل مركز الحلف من باريس إلى بروكسل. وألغيت الإدارة التنفيذية للجنة العسكرية وأوجدت جهازا جديدا أطلق عليه اسم (الهيئة العسكرية الدولية)(٢٥).

ومن حلف الأطلسي انبثقت : (منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية) E.C.D.O بقصد ربط دول أوربا الغربية بعجلة الاقتصاد الأمريكي. ومنافسة للسوق الأوروبية المشتركة. وضمت إلى جانب دول الحلف بعض الدول المحايدة مثل : النمسا ، والسويد ، وسويسرا ، وفنلندا ، ويوغوسلافيا.

والواقع أن الحلف أكد انقسام العالم إلى كتلتين متناهضتين ، وشدد رياح الحرب الباردة التي أوقعت الخوف في قلوب الدول الأخرى الصغيرة فدفعتها إلى الإنضمام لأحد الكتلتين. كما أن ذلك أدى إلى التسابق في التسلح. وانفاق الملايين على التسلح المدمر. كما استخدم في قمع الحركات التحررية في بلاد المسلمين خاصة على نحو ماجرى إبان الثورة الجزائرية. وعلى نحو ماجرى بعد ذلك في المستعمرات البرتغالية في أفريقيا. حيث استخدمت أسلحة الحلف وخبراته في اغتيال الآلاف من البشر الطامحين للتخلص من عبء الرجل الأبيض(٢٦).

رابعا : دول حلف وارسو THE WARSOW PACT :

نسبة إلى وارسو عاصمة بولندة (بولونيا).

كان الاتحاد السوفييتي قد سيطر أثناء الحرب العالمية الثانية ومابعدها مباشرة على أوربا الشرقية سيطرة كاملة. حيث شملت عام **١٩٤٨م** : ألمانيا الشرقية ، وبولندة ، وتشيكوسلوفاكيا، وهونغاريا ، ويوغوسلافيا ، وألبانيا ، وبلغاريا ، ورومانيا. وربطت روسيا هذه البلدان بها بمعاهدات ذات طابع سياسي وضعت أولياتها زمن الحرب(٢٧) ، أطلقت عليها اسم (علاقات الصداقة والمساعدة المتبادلة بين الاتحاد السوفييتي ودول الديمقراطية الشعبية)(٢٨). واعتمدت على قيام أنظمة شيوعية مخلصة لموسكو ، وركز على دكتاتورية البرولوتاريا (الطبقة العاملة)(٢٩) ،

(٢٥) النعيمي ص ٢٦.
(٢٦) عزيز شكري ص ٥٦.
(٢٧) التاريخ الدبلوماسي ص ٢٣٥.
(٢٨) تاريخ السياسة الخارجية ص ٧٠.
(٢٩) نفسه ص ٧٦.

واعتمدت في الحكم على القهر ، والتضييق ، وكبت الحريات على مختلف أشكالها وألوانها.

وبعد القطيعة بين روسيا وأمريكا عام **١٩٤٧م** أشرفت روسيا على عقد معاهدات بين الدول التي تسير في فلكها ، بعضها مع بعض(٣٠). كما عقدت مع الصين الشيوعية معاهدة للصداقة والتحالف والمساعدة المتبادلة عام **١٩٥٠م**(٣١) ، وأنشأت جمهورية ألمانيا الشرقية عام **١٩٤٩م**(٣٢). وأخذت تصدر الشعارات الاشتراكية إلى بلاد الإسلام ، باسم التقدمية ومحاربة الرجعية والاستعمار والرأسمالية ، فاستهوت كثيرا من الناس ، وخفت صوت الإسلام ، وضرب المسلمون ضربات موجعة تحت اسم هذه الشعارات في بلاد الإسلام التي في الاتحاد السوفييتي ، وفي يوغسلافيا ، وأوربا الشرقية ، والصين ، ومصر ، وأندونيسيا ، والهند الصينية. ثم في أقطار إسلامية أخرى.

ولما وقع ميثاق حلف الأطلسي حمل الاتحاد السوفييتي مع منظومته الاشتراكية عليه بشدة ونظم مؤتمرا في موسكو عام **١٩٥٤م** يبحث الأمن الأوروبي ودعا إليه البلاد الغربية : بريطانيا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة ، فرفضت. وعليه فقد اشتركت منظومة الاتحاد السوفييتي في هذا المؤتمر وحدها.

وأعلن التصريح الختامي لهذا المؤتمر « بأن الموقعين في حال تصديق المعاهدات التي تستأنف فيها ألمانيا الحياة العسكرية على استعداد لاتخاذ إجراءات مشتركة تتعلق بتنظيم قواها المسلحة وقيادتها(٣٣)».

ثم أخذ الاتحاد السوفييتي بفسخ معاهدات تحالفه مع بريطانيا وفرنسا.

وفي عام **١٩٥٦م** قام بعقد مؤتمر وارسو للكتلة التي دعاها (الشرقية) بزعامته. وأسفر هذا المؤتمر عن توقيع معاهدة حلف وارسو بين ثمانية بلاد من تلك التي تسير في فلكه ، وتأتمر بأمره. وهي بالإضافة إلى الاتحاد السوفييتي : بولنده (بولونيا) ، وتشيكوسلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية ، ورومانيا ، وبلغاريا ، وألبانيا ، وهونغاريا.

وبنود الميثاق نسخة عن ميثاق الأطلسي وتنص مادته الخامسة على : « تنظيم

---

(٣٠) نفسه ص ٧٢.

(٣١) نفسه ص ٧٤.

(٣٢) نفسه ص ٧٦.

(٣٣) التاريخ الدبلوماسي ص ٣٣٩.

قيادة عسكرية موحدة ، يعهد بها إلى الماريشال السوفييتي كومنيف »(٣٤).

وحلف وارسو لم يغير من واقع الكتلة العسكرية الشرقية ، ولكنه أعطاها معنى مؤثرا ، وكرس انقسام العالم إلى كتلتين ،وألقى الرعب في قلب من كان يحاول أن يقف في وجه الكتلتين. وقد هاجمته أمريكا بالدرجة نفسها التي هاجم بها الاتحاد السوفييتي حلف الناتو ، وذلك للعمل على جر الدول الأخرى إلى السير في مخططاته ، والارتماء في أحضان إحدى الكتلتين. كما أن هذا التنظيم العسكري أضفى مسحة من الشرعية على الوجود السوفييتي في شرق أوربا ، وجعل من الصعب على الدول الأعضاء فيه أن تنسحب منه ، لأن الانسحاب يقابل بمقاومة القوة المجتمعة لدى دول الحلف. كما حدث لمأساة تشيكوسلوفاكيا عام **١٩٦٨م**(٣٥). وانهار هذا الحلف مع انهيار الشيوعية.

خامسا : السوق الأوروبية المشتركة :

المجموعة الاقتصادية الأوروبية E.E.C :

كانت فرنسا قد فقدت دورها الاستعماري ، ونفوذها بعد الحرب العالمية الثانية أمام الكتلتين الشرقية ، والغربية ، فقامت بمشاريع للعمل على تكتل أوربا لإعادة دورها. فتكونت بجهودها (مجموعة الأسرة الأوروبية للفولاذ والفحم) عام **١٩٥١م** ، من دول : فرنسا ، وألمانيا الغربية ، وايطاليا ، وبلجيكا ، ولوكسمبورج ، وهولندة(٣٦). واتخذت لوكسمبورج مركزا لها.

وانبثقت من هذه الأسرة فكرة (الدمج الأوروبي). حيث تكونت (جمعية مختصة) ، تألفت من جمعية أسرة الفولاذ والفحم،ومن تسعة أعضاء. وكلفت عام **١٩٥٢م** بتحضير دستور سياسي أوروبي.وتبنت هذه الجمعية مشروع معاهدة يتضمن نظام الأسرة الأوروبية ذات الطابع(فوق القومي) يكون لها نظام:برلمان من مجلسين نواب وشيوخ ، ومجلس تنفيذي مسئول أمام البرلمان ، ومجلس وزراء وطنيين ومحكمة عدل ، ومجلس اقتصادي واجتماعي. ولكن المشروع اصطدم بتحفظات كثيرة فتراجعت عنه فرنسا عام **١٩٥٤م**(٣٧) وعادت إلى أسلوب التكتل الاقتصادي. فاجتمع مؤتمر الوزراء الستة في مسينا عام **١٩٥٥م** ، وأعقب هذا الاجتماع ثمانية

(٣٤) نفسه ص ٣٤٠.

(٣٥) محمد عزيز شكري ص ٧٤.

(٣٦) التاريخ الدبلوماسي ص ٢١١.

(٣٧) نفسه ص ٣٦٢.

اجتماعات أخرى أسفرت في النهاية عن وضع مشروع (**السوق الأوروبية المشتركة**) في الاجتماع الثامن بروما عام **١٩٥٧م**. ووقعت المعاهدة. ووافقت اللجنة على نقطة ركزت عليها فرنسا وهي : (إدخال ماوراء البحار في السوق المشتركة). وقد تولى أمرها سلطة عليا هي : **مجلس الوزراء** ، ويساعده لجنة أوروبية تتألف من خبراء تكلف بتحضير عمل الوزراء. وأصبحت السوق الأوروبية المشتركة ، والأسرة الأوروبية للفولاذ والفحم مؤلفة من (١٤٢) برلمانيا ، تعطي آراءها بأكثرية الثلثين في مراقبة اللجنة الأوروبية وتساعدها : اللجنة الاقتصادية والاجتماعية ، واللجنة النقدية ، وتوجد محكمة عدل ، وبنك أوروبي للتوظيف برأسمال قدره مليار دولار[٣٨]. وأعلنت المجموعة **أهدافها** في :

أ- ازالة التعرفة الجمركية بين الدول الأعضاء تدريجيا وعلى مراحل وضحتها وبينتها ، وسارت في تطبيقها.

ب- إقامة تجارة حرة فيما بين دول السوق ، وفتح الحدود تدريجيا لحركات العمال ، ورؤوس الأموال.

ج- وتخضع بلاد ماوراء البحار التي تقبل في هذه المجموعة للتجربة لمدة خمس سنوات.

ووقعت سبع دول أوروبية على ميثاقها هي : فرنسا ، وألمانيا الغربية ، وايطاليا ، وهولندة ، وبلجيكا ، ولوكسمبرج ، والدانيمارك. وانضمت لها ايرلندا عام **١٩٦٣م** ، وبريطانيا عام **١٩٦٧م** وكانت **بريطانيا** قد تزعمت منافسة هذا السوق في بداية الأمر وكونت : (**الرابطة الأوروبية للمبادلة الحرة**) بزعامتها عام **١٩٥٩م** ووصفت السوق الأوروبية (بالحصار القاري). وتكونت الرابطة من : بريطانيا والدانيمارك ، والنرويج ، والسويد ، والبرتغال ، والنمسا ، وسويسرة. ولكن الرابطة فشلت لعدم تجانسها ، وتباعدها الجغرافي[٣٩] ، ثم لاتجاه زعيمتها بريطانيا ، للسوق الأوروبية المشتركة.

هذا وقد حققت **السوق الأوروبية** النجاح على أكثر من صعيد ، وأصبحت واضحة الأثر في الحياة الأوروبية اليومية ، رغم ماكان بين دولها من تاريخ دموي حافل بالحروب ، والضغائن ، والإثارة منذ ماقبل حروب نابليون إلى الحرب العالمية

---

(٣٨) التاريخ الدبلوماسي ص ٣٦٥.

(٣٩) تاريخ عصرنا ص ٢١٤.

الأولى ثم الثانية(٤٠). فقد نجحت هذه الدول في تأمين أرضية مشتركة لتنسيق الأهداف والبرامج ، ودمج المصالح ، ومنع التعارض والتضارب والتنافس فيما بينها. فأدى ذلك إلى تحقيق نوع من التكامل الاقتصادي الأوروبي ، الذي أدى بدوره إلى نوع من التطور السياسي والعسكري بحيث أصبحت السياسات الدفاعية والخارجية ، والداخلية لمختلف دول السوق شبه موحدة(٤١). وتسير أوربا الغربية عن طريق السوق بخطوات عملية إلى تحقيق الوحدة بين أقطارها.

ونرى في الآونة الأخيرة (ويالللأسف) تهافت أكثر من دولة من دول الإسلام على طلب الانضمام إلى السوق الأوروبية بهدف الإفادة من عضويتها الآنية ، دون النظر إلى أبعاد ذلك على التأثيرات على عالم الإسلام ، واستغلاله لمصالح تلك الدول الصناعية. التي نجحت في التحكم في أسعار المواد الأولية التي في معظمها في بلاد الإسلام ، كما نجحت في رفع أسعار المواد المصنعة المصدرة إلى بلاد الإسلام ، فأثر ذلك كثيرا على أوضاع بلاد المسلمين وعلى نقدها.

سادسا : دول الكومنولث Common Wealth

ابتكرت **بريطانيا** نظام الكومنولث (رابطة الشعوب التي تتكلم الانجليزية) لتحافظ على نوع من السلطة على البقاع التي كانت تسيطر عليها. وبدأت تكوينه مع كندا عام **١٨٦٧م** بعد أن نجحت في صد الولايات المتحدة عنها(٤٢).

وبعد الحرب العالمية الأولى رسمت سياسة أسمتها : **(التفضيل الامبراطوري)** لتحقيق لون من ألوان الاكتفاء الذاتي الاقتصادي والسياسي بالتضامن مع مستعمرات **الدومنيون** ، ومستعمرات **التاج**. وبينت هذه السياسة في مؤتمر رؤساء وزارة الإمبراطورية الذي عقد في اوتاوة (كندا) عام **١٩٣٢م**. وكانت الأراضي الخاضعة للتاج البريطاني تنتمي لثلاثة أقسام وزارية كبيرة حتى عام **١٩٤٤م** هي :

أ- **وزارة الدومنيون** : وتشرف على كندا ، واستراليا ،وزيلندة الجديدة ، واتحاد جنوب افريقيا ، ودولة إيرلندة الحرة. وكان لجنوب أفريقيا وضع خاص إذ وضع لها نظام عام **١٩٢٦م** على أساس المساواة ، والاستقلال الذاتي ، والولاء للتاج البريطاني.

وأخيرا تحررت تلك الدول من كل رقابة بريطانية ، ولكنها بقيت تقيم مع

---

(٤٠) موسوعة إسلامية ص ٤٤.

(٤١) نفسه ص ٤٨.

(٤٢) تاريخ عصرنا ص ٩٤.

بريطانيا علاقات خاصة. فتحولت وزارة الدومنيون إلى : (وزارة الشئون الخارجية المكلفة بعلاقات مع الأسرة).

ب- **وزارة الشئون الهندية** (مع وزارة برمانيا الملحقة بها) وكانت تدير سياسة الهند ، ومسئولة أمام برلمان وستمنستر عن حكومة الهند ، وتتخذ القرارات مباشرة دون الرجوع إلى زعماء البلاد ، مع أن بريطانيا كانت وقد وعدت الهند بنظام الدومنيون منذ عام **١٩١٧م**.

ج- **وزارة المستعمرات** : وكانت تشرف على مستعمرات بريطانيا في أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا ، وجزر الهند الغربية ، والمحيط الهادي ، والبحر الأبيض المتوسط ولم يعرض على بساط البحث تحويل هذه المستعمرات إلى دومنيون.

فالكومنولث ضم البلاد التي تشرف عليها وزارة الدومنيون ، والتي أصبحت عام **١٩٤٤م** ذات سيادة كاملة.

وقد مر الكومنولث بعصره الذهبي بين عامي **١٩٢٧- ١٩٥٤م** ، وأطلق عام **١٩٤٧م** على وزارة الدومنيون اسم (وزارة العلاقات مع الكومنولث). وهي التي ورثت عام **١٩٦٦م** جميع علاقات المملكة المتحدة مع بلاد امبراطوريتها القديمة ، قبل أن تنصهر عام **١٩٦٨م** مع وزارة الخارجية(٤٣). فأصبح الكومنولث يدل على رابطة حرة مستقلة ومتساوية ضمت عام **١٩٦٨م** : المملكة المتحدة ، وكندا ، واستراليا ، وزيلندة الجديدة ، والهند ، وباكستان ، وسيلان ، وغانا ، وماليزيا ، ونيجيريا ، وسيراليون ، وقبرص ، ومالطة ، وتانزانيا ، وجامايكا، وترينداد ، وتوغو ، وأوغندة ، وكينيا ، ومالاوي ، وزامبيا ، وغامبيا ، وسنغافورة ، وغوايانا ، وليسوتو ، وبوتشوانا ، وباربادوس ، والمالديف ، وناورد ، وساموا الغربية ، وجزيرة موريشيوش ، وسوازيلاند. كما يدل على توابع المملكة المتحدة ، وبعض المستعمرات أو المحميات.

هذا وقد أضيف إلى حق الاشتراك في الكومنولث حق الخروج منه ، كما فعلت بورما (برمانيا) عام **١٩٤٨م** ، وايرلندة عام **١٩٤٩م**. وانضمت الهند وسيلان عام **١٩٤٩م** ، وباكستان عام **١٩٤٨م**(٤٤).

ولم يكن للكومنولث سلطة تنفيذية اتحادية ، ولاسلطة تشريعية فكانت بريطانيا

---

(٤٣) تاريخ عصرنا ص ٩٥.

(٤٤) نفسه ص ٩٥.

هي المهيمنة عليه. وشهد ضعفا شديدا بعد عام **١٩٦٨م** لأسباب نوجزها فيما يلي :

١ـ التنظيمات الجديدة التي شهدتها أوربا ومواثيقها العسكرية.

٢ـ نفوذ الولايات المتحدة وروسيا ودورهما في محاولات الحلول محل النفوذ البريطاني والفرنسي. والتكتلات الجديدة التي تزعمتها روسيا والولايات المتحدة.

٣ـ ظهور كتل أخرى بمساندة الولايات المتحدة وغيرها مثل : ميثاق دفاع بين : استراليا ، وزيلندة الجديدة ، والولايات المتحدة. ومنظمة معاهدة جنوب شرق آسيا التي ضمت : أندونيسيا ، وتايلاند ، والفلبين ، وماليزيا، وبروني ، وسنغافورة.

٤ـ سياسة التمييز العنصري في أفريقية الجنوبية ، وموقف بريطانيا الحرج في ذلك أمام دول الكومنولث.

٥ـ الاعتداء الثلاثي على مصر ـ عملية السويس ـ عام **١٩٥٦م** ، حيث اشتركت بريطانيا مع فرنسا ودولة اليهود في مهاجمة مصر. فسبب ذلك تصادمات عنيفة بين بريطانيا وأعضاء دول الكومنولث.

٦ـ وأخيرا اتجاه بريطانيا للقارة الأوروبية ، وتشابك مصالحها ، وتناقضها مع كثير من مصالح الكومنولث. وضعفها الاقتصادي الذي جعلها بحاجة ماسة إلى أمريكا. ففقدت زعامتها وقيادتها ، وبالتالي ضعفت أهمية الكومنولث وفقد فعاليته.

سابعا : جامعة الدول العربية

وهي منظمة إقليمية أنشئت عام **١٩٤٥م** من أجل مزيد من التعاون السياسي ، والاقتصادي ، والثقافي بين الدول العربية المستقلة. وأعضاؤها اثنان وعشرون دولة هي : المملكة العربية السعودية ، الكويت ، البحرين ، قطر ، عمان ، اليمن الشمالية ، اليمن الجنوبية ، الامارات العربية ، الأردن ، سوريا ، لبنان ، العراق ، مصر ، السودان ، الصومال ، جيبوتي ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا. بالإضافة إلى فلسطين. وكان مقرها القاهرة ، وانتقل إلى تونس عام **١٩٧٩م** بعد اعتراف مصر بالكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

كان عقد المسلمين قد انحل ، وتبعثر بعد الحرب العالمية الأولى (**١٩١٤ ـ ١٩١٨م**) وإلغاء الخلافة العثمانية رمز الوحدة الإسلامية ، وقسمت بلاد الإسلام ، ومنها العربية إلى مستعمرات حكمها الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون ، ولم يبق من يتمتع باستقلاله إلا : المملكة العربية السعودية ، واليمن الشمالية ، وأفغانستان.

وأخذت الاتجهات الوطنية والإقليمية تجد لها صدى بين شعوب العالم الإسلامي تحت شعارات : الاستقلال ، والحرية ، ومكافحة الاستعمار ، إلى جانب الاتجاهات الإسلامية التي لايمكن إغفالها.

وبدأ تقارب البلاد العربية على الصعيد الدبلوماسي بمعاهدة الإخاء والتحالف بين المملكة العربية السعودية والعراق عام **١٩٣٦م** ، وتنص المادة السابعة منها : « يتعاون الفريقان المتعاقدان الساميان على توحيد الثقافة الإسلامية والعربية ، والأساليب العسكرية في بلادهما ، بتبادل بعثات علمية وعسكرية ، للإطلاع على الأساليب المتبعة في المملكتين ، وتوحيد مايمكن منها ، والاستفادة من المعاهد السلمية والعسكرية والتدريب بها ..»(٤٥) وتركت المعاهدة الباب مفتوحا أمام الدول العربية ، فاشتركت فيها اليمن عام **١٩٣٧م**. كما عقدت معاهدة صداقة بين المملكة السعودية ومصر في عام **١٩٣٦م** في القاهرة. وأقامت هذه المعاهدة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين لأول مرة ، كما ألفت خطوة نحو تقارب البلاد العربية.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (**١٩٣٩ - ١٩٤٥م**) برزت مشاريع تدعو لوحدة بعض الأقطار العربية قبل مشروع الجامعة العربية ومنها:

أ- مشروع سوريا الكبرى الذي نادى به الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن.

ب- مشروع الهلال الخصيب : (وحدة بلاد الشام والعراق) الذي نادى به نوري السعيد رئيس وزراء العراق عام **١٩٤٢م**.

وكانت بريطانيا قد واجهت أحلك الظروف في الحرب العالمية الثانية ، ووقفت وحدها أمام دول المحور بعد استسلام فرنسا لهتلر ، وقبل دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانبها. كما كانت ألمانيا تحاول استثارة العرب ضدها بإطلاق الوعود. فخشيت بريطانيا انفلات الأمر من يدها ، كما خشيت أن يتجه العرب إلى الاتجاهات الإسلامية ، وهم بحكم وضعهم ولغتهم من الممكن أن يسلم لهم العالم الإسلامي بالزعامة. هذا بالإضافة إلى أن بريطانيا كانت ترغب في إقامة منطقة نفوذ اقتصادية في الشرق الأوسط كله ، فرغبت بالتالي في تمهيد الطريق أمام تقارب العرب فيما يشبه الحلف أو التضامن يسهل عليها التعامل معهم ، من مركز

---

(٤٥) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب - إصدار جريدة الأيام الدمشقية.

واحد ، كما كانت ترغب في انتزاع لبنان وسوريا من فرنسا ليخلو لها الجو(٤٦).

علاوة على أنها بتبنيها أماني العرب في الوحدة تحقق هدفا غاليا عند العرب طالما تمنوه وعملوا من أجله ، ويزيل ماعلق بنفوسهم من حقد على بريطانيا لموقفها من فلسطين وتهويدها ، وتبنيها للصهيونية. من أجل ذلك كله كان تصريح (إيدن) رئيس وزراء بريطانيا عام **١٩٤١م** في مجلس العموم البريطاني ، وجاء فيه :

« لهذه البلاد - بريطانيا(٤٧) - تقاليد طويلة من الصداقة مع العرب ، وهي صداقة قد أثبتتها الأعمال ، وليس الأقوال وحدها ، ولنا بين العرب عدد لايحصى ممن يرجون لنا الخير ، كما أن لهم هنا أصدقاء كثيرون ، وقد قلت منذ أيام في مجلس العموم أن حكومة جلالته تعطف كثيرا على أماني سوريا في الاستقلال ، وأود أن أكرر ذلك الآن ، ولكني سأذهب إلى أبعد من ذلك فأقول : « إن العالم العربي قد خطا خطوات عظيمة منذ التسوية التي تمت عقب الحرب الماضية. ويرجو كثير من مفكري العرب للشعوب العربية درجة من الوحدة أكثر من الدرجة التي يتمتعون بها في الحاضر ، وهم إذ يحاولون بلوغ هذه الوحدة ، يعتمدون على مساعدتنا. وهذا النداء الصادر عن أصدقائنا ، يجب ألا يبقى دون جواب. ويبدو لي أن من الطبيعي والعادل معا أن تقوى الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلاد العربية ، وكذا الروابط السياسية. وإن حكومة صاحب الجلالة من جانبها ستبذل مساعدتها التامة لكل خطوة يمليها اتفاق عام »(٤٨) .

وقد أعقب هذا التصريح جهود عربية لم تتعد نطاق الاستشارة أو المكاشفة والمداولة التي لم تتخذ أية صفة رسمية عملية(٤٩).

وجدد إيدن تصريحه عام **١٩٤٣م** « بعطف بريطانيا على أماني العرب في

---

(٤٦) طربين - الوحدة العربية ص ٢٠٠.

(٤٧) اتصفت السياسة الانجليزية بعمق التخطيط والبطء في التنفيذ ، والمرونة ، فهي سياسة ذكية تعرف كيف تستغل الأحداث لتحقق ماتريده ، وتحسن المراقبة ، والاستكشاف ، ثم تحسن الاستغلال والتوجيه ، فهي كما وصفها السياسي الفرنسي المشهور جول فري : « تعرف من أين تؤكل الكتف ». وسياستها هذه تركت أخاديد غائرة خطيرة في عالم الإسلام ، وقضاياه الصعبة الحل في : فلسطين ، وقطاني ، وأراكان ، وماليزيا ، والهند ، والخليج العربي ،والجنوب العربي ، وأريتريا ، والصومال ، والسودان ، ونيجيريا ، فما من قضية إسلامية إلا تجد بصمات السياسة الانجليزية عليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

(٤٨) التاريخ الدبلوماسي ص١٥١ ،١٥٢ ،الوحدة العربية ص١٩٨عن: The Times 30 May ١٤٩١.

(٤٩) الوحدة العربية ص ٢٢٦.

الاتحاد ، على أن تكون المبادرة من العرب أنفسهم ». وكانت ظروف التصريح الجديد تختلف عن ظروف سابقه : فدول المحور ابتدأت بالتراجع ، والحلفاء يتقلبون من نصر إلى نصر ، والصهيونية تكيد لفلسطين وتكشر عن أنيابها ، والفرنسيون يتشبثون بسوريا ولبنان ، والجو العربي لايخلو من سوء التفاهم(٥٠). فبادر النحاس باشا رئيس الوزراء المصري إلى الاتصال بزعماء العرب عام **١٩٤٤م** ، وتمت عدة لقاءات ومشاورات أسفرت عن مشروع وحدوي واسع في بروتوكول الاسكندرية (مؤتمر الاسكندرية) الذي جمع في **٧** تشرين الأول عام **١٩٤٤م** الدول العربية : مصر ، والمملكة العربية السعودية ، وسورية ، ولبنان ، والأردن ، واليمن ، والعراق.

ولكن المشروع الشبه اتحادي الذي أقره بروتوكول الاسكندرية اصطدم بالتحفظات فأسفر عن ميثاق من نوع المنتدى الدبلوماسي بروابط مرنة ، ورخوة ، وهو ميثاق جامعة الدول العربية(٥١). وقعت عليه الدول العربية في **٢٢** آذار عام **١٩٤٥م**. والواقع أن بعض التحفظات كان لابد منها عند بعض الدول ، وكمثال على ذلك :

من بين أهداف الجامعة العربية : «السعي لتوحيد الثقافة العربية وتوحيد التشريع بين الدول العربية». ولما كان أكثر البلاد العربية قد تمسك بالعلمانية ، فإن المملكة العربية السعودية بينت أن ظروفها ، ووجود البلاد المقدسة فيها ، يجعل لها وضعا خاصا ، فهي ستمتنع عن أي مبدأ في التعليم ، أو التشريع يخالف قواعد الدين الإسلامي وأصوله(٥٢). ولو أخلصت النيات لتبنت جميع الدول هذه النقطة واتجهوا إلى تحكيم الإسلام الذي هو القاسم المشترك بينهم.

وقد عبر عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة لمدة طويلة عن الميثاق بقوله : « يعتبر ميثاق الجامعة هو الحد الأدنى لما كان يمكن التوصل إليه آنذاك(٥٣) ».

والبت في أمورها معقد ، شاق طويل الأمد ، إذ يتم عرض المشروع ، ثم يناقش ، ويتخذ القرار ، ثم يصدق عليه من الدول الأعضاء كل على حدة ،

---

(٥٠) نفسه ص ٢٢٧.

(٥١) تاريخ عصرنا ص ٤٧٥.

(٥٢) نص الكتاب الذي قدمه الشيخ يوسف ياسين إلى دولة أحمد ماهر باشا رئيس اللجنة التحضيرية بتاريخ ١٩٤٥/١/٣م في مرفق رقم ٦ من محاضر اللجنة النوعية السياسية. ص ١٧-١٨.

(٥٣) ألمانيا والعالم العربي - ترجمة د. مصطفى ماهر ص ٣٦٢.

والقرارات غير ملزمة للأعضاء ولو كانت بالأغلبية. فالمادة السابعة : « مايقرره المجلس بالإجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة في الجامعة ، ومايقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله(٥٤) ».

وأما أهداف الجامعة كما بينها الميثاق فهي :

١ـ توثيق الصلات بين الدول العربية ، وتنسيق خططها ، تحقيقا للتعاون بينها ، وصيانة لاستقلالها وسيادتها.

٢ـ توثيق التعاون بين البلاد العربية في الشئون الاقتصادية ، والمالية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والصحية ، والعسكرية.

٣ـ تحقيق التعاون مع الهيئات الدولية التي تعمل لنشر السلام في العالم ، خاصة هيئة الأمم المتحدة وفروعها.

وأجهزة الجامعة هي :

١ـ مجلس الجامعة : ويتألف من ممثلي الدول العربية المشتركة ، وينعقد مرتين في العام بشكل عادي ، وينعقد بصفة استثنائية إذا دعت الحاجة إلى ذلك. ولكل دولة عضو صوت واحد ، وعدد من الممثلين.

٢ـ الأمانة العامة : وتتألف من أمين عام ، وأمناء مساعدين ، وعدد كبير من الموظفين. ويعين الأمين العام من قبل مجلس الجامعة بأكثرية ثلثي الأعضاء. ومهمته : دعوة مجلس الجامعة حين الحاجة ، والاشراف على اعداد مشروع الميزانية ، وتحديد نصيب كل دولة من نفقات الجامعة بعد موافقة مجلس الجامعة على ذلك.

٣ـ اللجان الخاصة : ومنها:

اللجنة السياسية ، واللجنة الاقتصادية والمالية ، واللجنة الاجتماعية ، واللجنة الثقافية ، واللجنة الصحية ، ولجنة التنسيق والجوازات.

هذا وقد قامت الجامعة بأنشطة رغم ضعف ميثاقها مثل :

١ـ لعبت دورا في معارك التخلص من الاستعمار في المغرب ، وتونس ، وليبيا ، والجزائر ، والجنوب العربي ،وذلك على مختلف الجبهات والمستويات سواء أكان ذلك بالعمل المنظم في الأمم المتحدة ، أو بالطرق الدبلوماسية بواسطة الأعضاء ، أو بالوسائل المادية ، أو عن طريق الدعاية.

٢ـ حصلت على شرعيتها العالمية ، فمنها وفد في الأمم المتحدة ، وهو عضو

(٥٤) نفسه ص ٣٦٨.

في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) حيث أدخلت اللغة العربية لغة عالمية. وهي عضو بمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة. وعضو بمنظمة الصحة العالمية. ومنظمات أخرى مماثلة.

٣- كلفتها الأمم المتحدة بالوساطة وفض النزاع في بعض القضايا مثل : الصراع بين العراق والكويت.

٤- لها تمثيل دبلوماسي لدى بعض الدول منها الهند ، واسبانيا(٥٥).

٥- قامت بمشاريع توحيد نظم التعليم ، وبرامجه ، والتقريب بين القوانين ، واجراءات تنفيذها. والتخطيط المشترك في شئون المواصلات وشبكة الطرق. وبتوحيد الغرف التجارية والصناعية والزراعية. وبتنسيق سياسة البترول ، والمواصلات الجوية والبحرية ووسائل الإعلام. وبتوجيهات بشأن السوق العربية المشتركة ، وانجازاتها في هذه المجالات ضعيفة.

وأبرز مساهمتها في الأمم المتحدة ، وفي الكتلة الآسيوية الأفريقية ، وفي مجموعة ال ٧٧. كما قامت بتنظيم عقد مؤتمرات القمة العربية حيث عقد حتى عام ١٩٨٨م خمسة عشر مؤتمراً. الأول في القاهرة عام ١٩٦٤م ، والرابع عشر بعمان عام ١٩٨٧م ، والأخير في الجزائر (وكان طارئاً) عام ١٩٨٨م ، ١٤٠٨هـ. ومؤتمر عام ١٩٩٠/ ١٤١١هـ ، ومؤتمر عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ولا تزال تؤدي دورها رغم أنها تعاني من الإفلاس.

ثامنا : دول عدم الانحياز The Non Alignment Group

وعدم الانحياز Positive Neutralism يقصد به عدم الانحياز إلى إحدى الكتلتين اللتين تتزعمهما روسيا والولايات المتحدة ، والوقوف إلى جانب الحق والعدل. وأطلق عليه اسم : (الحياد الإيجابي) ، بمعنى أنه : موقف سياسي تتخذه الدول ابتعادا عن المشاركة في صراع المعسكرين ، ورفضا للاستسلام لأي منهما في الميادين السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية.

وقد بدأت فكرة عدم الانحياز في كولومبو (عاصمة سيلان) عندما عقد مؤتمر عام **١٩٥٤م** ضم : الهند ، وباكستان ، وأندونيسيا ، وبرمانيا ، وسيلان. حيث بحث المؤتمر تقرير موقف مشترك أمام الدول الكبرى الاستعمارية ، ودراسة قضية الهند الصينية ، ومحاولة إنشاء جبهة آسيوية محايدة.

وأعقب مؤتمر كولومبو توقيع المعاهدة التي أقامت منظمة حلف جنوب شرق آسيا عام **١٩٥٤م** ، التي ضمت الدول : تايلاند ، وماليزيا ،

(٥٥) انظر ألمانيا والعالم العربي ص ٣٩٤-٣٩٥.

وسنغافورة ،وأندونيسيا ، وسلطنة بروني ، والفلبين. وبعد توقيع هذه المعاهدة اجتمع أعضاء مؤتمر كولومبو الخمس في (بوغور) بالقرب من جاكارتا بأندونيسيا في العام نفسه وقرروا دعوة الدول الأفريقية والآسيوية للاجتماع معهم في باندونغ عام **١٩٥٥م**. ووجهوا الدعوة إلى ٢٤ بلدا ،بالإضافة إلى دول مؤتمر كولمبو الخمس. وهذه البلاد هي :

أ- البلاد العربية المستقلة : مصر ، وليبيا ، والعراق ، والأردن ، ولبنان ، وسوريا ، والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، والسودان.

ب- البلاد الإسلامية المستقلة الأخرى في آسيا وهي :

تركيا ، وإيران ، وأفغانستان.

ج- من البلاد الأفريقية المستقلة :

الحبشة ، وساحل الذهب (غانا) ، وليبيريا ، واتحاد أفريقيا الوسطى (وهي البلد الوحيد الذي لم يحضر المؤتمر من الدول المدعوة إليه).

د- من البلاد الآسيوية المستقلة :

كامبوتشيا (كمبوديا) ، ولاوس ، والفيتنام ، وتايلاند ، والفلبين ، ونيبال ، والصين الشعبية ، واليابان.

وانعقد مؤتمر باندونغ بالفعل عام **١٩٥٥م** ، وسط مظاهر الدعاية والشعارات ، حيث ضم ممثلين عن ٦٥٪ من سكان الأرض. وبرز فيه أسماء كبار قادة ماسمي بالحياد الإيجابي : نهرو رئيس الهند ، وأحمد سوكارنو الرئيس الأندونيسي ، وبروز تيتو الرئيس اليوغسلافي ، وشوان لاي الزعيم الصيني ، وجمال عبد الناصر الرئيس المصري.

وكان جدول أعمال المؤتمر غامضا للغاية ، كما كانت القضية معرفة ماستكون عليه المناقشات. وبعد جو من الخطابة صوت على ميثاق من عشر نقاط ذات طابع عام جدا ، ومرن للغاية(٥٦) ولانجد فيها إشارة صريحة إلى سياسة الحياد الإيجابي (عدم الانحياز) هي :

١- احترام حقوق الإنسان.

٢- احترام أهداف ومباديء شرعة الأمم المتحدة.

٣- احترام سيادة الدول وسلامتها القومية.

٤- مساواة الشعوب والأمم.

(٥٦) التاريخ الدبلوماسي ص ٤٠٩.

٥- عدم التدخل في شئون الدول الداخلية.
٦- تسوية الخلافات بالطرق السلمية.
٧- إعلاء شأن المصالح المشتركة والتعاون.
٨- شجب الاستعمار بجميع مظاهره.
٩- شجب التمييز العنصري.
١٠- دعم حقوق الشعب العربي في فلسطين.

وعندما طالبت سيلان وتركيا والعراق شجب الاستعمار الروسي في أوروبا الشرقية ، قام نهرو بهجوم ، وطالب باشتراك البلاد الأفروآسيوية بقوة دولية ثالثة لتشجيع التعايش بين الشرق والغرب. واكتفى أخيرا بالاقتراح الغامض : شجب الاستعمار بجميع مظاهره ، وأما الحياد فلم يؤخذ به لأن أحد المباديء صيغ على الشكل التالي :

« احترام حقوق كل أمة بالدفاع عن نفسها فرديا وجماعيا ، طبقا لشرعة الأمم المتحدة(٥٧) » وفي هذا إقرار بحق الدول في الدخول في أحلاف عسكرية ثنائية أو جماعية.

ومن خلال هذه الدول تأسست عام **١٩٥٨م** منظمة التضامن الآسيوي الأفريقي ، واتخذت القاهرة مقرا لها.

وعقدت دول عدم الانحياز عددا من المؤتمرات بعد مؤتمر باندونغ كان عاشرها بزيمبابوي عام **١٩٨٦م**. وضمت دولا أخرى فبلغ عدد المنتمين إليها ١٠٦ دول ، ولكن الدول الغير منحازة فعلا لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، ولهذا ظلت أهداف هذه المنظمة ومبادؤها وشعاراتها نوعا من أضغاث الأحلام ، أو السراب.

بحيث أصبح لسان حال أقطابها اليوم :

« نحن نجتمع ،إذن نحن موجودون »(٥٨). و لم تؤثر على الأحلاف التي أقامتها الولايات المتحدة وروسيا بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، في آسيا أو في أفريقيا(٥٩).

تاسعا : منظمة الوحدة الأفريقية :

أخذت الدول الأفريقية التي استقلت تتنبه إلى أهمية المسائل الاقتصادية ، وإلى

---

(٥٧) نفسه ص ٤١٠.
(٥٨) الموسوعة ص ٥٩.
(٥٩) التاريخ الدبلوماسي ص ٤١٠.

ضرورة معالجتها ، فظهرت محاولات في هذا الميدان.

وبدأ التفكير بتكوين منظمة في مؤتمر باندونغ عام **١٩٥٥م** ، ثم في اجتماعات القاهرة عام **١٩٥٧م** ، وكونكري عام **١٩٦٠م**. فتكونت **مجموعة دول كازبلانكا** (الدار البيضاء) عام **١٩٦١م** من دول : المغرب ، وجبهة التحرير الجزائرية ، وغانا ، ومالي. **ومجموعة دول برازفيل** من اثنتي عشرة دولة ناطقة بالفرنسية في أفريقية ، حيث وقعت اتفاقا في (تناناريف) (عاصمة مالاجاش) عام **١٩٦١م** ، ودعي بميثاق : (**اتحاد أفريقية ـ مالاجاش**). وكذلك تم **اجتماع مونروفيا** حضرته دول أفريقية السوداء ، وأعقبه مؤتمر لاجوس (عاصمة نيجيريا) عام **١٩٦٢م** بهدف إقامة تعاون بين الشعوب الأفريقية السوداء(٦٠).

كل هذه الاتفاقيات والمؤتمرات كانت خطوات نحو انعقاد مؤتمر كبير في **أديس أبابا** (عاصمة أثيوبيا) عام **١٩٦٣م** بحضور ثلاثين وزير خارجية أفريقي من الدول المستقلة. حيث أنهى هذا المؤتمر ميثاق كازبلانكا ، وميثاق مونروفيا ، واقترح إنشاء منظمة الوحدة الأفريقية.

وفي العام نفسه عقدت بأديس أبابا أول قمة أفريقية ، وتم إعلان إنشاء منظمة الوحدة الأفريقيَة ، متعهدة بالتمسك بأهداف ومباديء الأمم المتحدة ، والاتجاهات الدولية السلمية. واتخذت أديس أبابا مركزا لها.

وتبع ذلك عدة مؤتمرات منها : المؤتمر الثاني في القاهرة عام **١٩٦٤م** ، والثالث في أكرا عام **١٩٦٥م**. وهكذا أخذت أديس أبابا تلعب دورا في السياسة الأفريقية لصالح أثيوبيا التي ظهرت من خلال هذه المنظمة بطلة الوحدة الأفريقية ، مما أثر كثيرا على قضايا المسلمين في قارة أفريقيا ، وخاصة في أريتريا وأوجادين ، والحبشة.

هذا وقد اهتمت قمة أديس أبابا عام **١٩٨٠م** بالمشكلات الاقتصادية الأفريقية ، دون أن تتوصل إلى نتائج عملية.

وتتلخص أغراض هذه المنظمة في :

ـ العمل على تعاون الشعوب الأفريقية في شتى الميادين السياسية ، والاقتصادية ، والفنية ، والاجتماعية.

ـ والسعي إلى تحرير بقية الأجزاء من الاستعمار ، ومجابهة الاستعمار الجديد.

---

(٦٠) العمري ـ الأفريقيون والعرب ص ٢١٠.

- وتسوية مشكلات القارة الأفريقية كمنازعات الحدود.
- ومكافحة التمييز العنصري في القارة الأفريقية.

وهي أغراض كما تلاحظ عامة وغير محددة. كقرارات مؤتمراتها.

وأما أجهزة المنظمة فهي :

١- الجمعية العمومية : وهي مجلس رؤساء الدول الذي يعقد اجتماعا سنويا.

٢- مجلس وزراء الخارجية : ويجتمع مرتين في العام.

٣- الأمانة العامة : ومقرها أديس أبابا.

٤- لجان متنوعة منها : لجنة الوساطة والتحكيم ، واللجان المتخصصة العليا الاقتصادية(٦١).

عاشرا : منظمة أوبك - الدول المصدرة للنفط O.P.E.C

وهي تنظيم رسمي لمجموعة من الدول المنتجة والمصدرة للبترول ، بهدف تنسيق ، وتوحيد ، وتطوير السياسات النفطية لهذه الدول بالصورة التي تكفل المحافظة على مصالحها بالتفاوض مع شركات البترول العالمية.

فقد رأت الدول المنتجة للنفط والمصدرة له أن الشركات الغربية التي تستخرج النفط من أراضيها تستغلها ، وتتحكم بأسعاره كما تشاء.

فقامت بإنشاء هذه المنظمة للحد من استغلال الشركات ، وتحديد أسعار النفط لخدمة هذه الدول الاقتصادية والتنموية.

وقد تأسست هذه المنظمة في بغداد عام **١٩٦٠م** من الدول الخمس التالية : الكويت ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وإيران ، وفنزويلا. وتركت المجال مفتوحا لانضمام أي دولة منتجة ومصدرة للبترول بشرط أن يوافق على انضمامها ثلاثة أرباع الدول كاملة العضوية من بينها الخمسة المؤسسة للمنظمة. فتوالى انضمام الدول الأعضاء ، فأصبح عددها ثلاثة عشرة دولة. وهي بالإضافة إلى الخمسة :

الجزائر ، والاكوادور ، والغابون ، وأندونيسيا ، وليبيا ، ونيجيريا ، وقطر ، والإمارات العربية.

وأنشأت المنظمة الصندوق الخاص بها. وكان مقرها في جنيف ، ثم نقل إلى فينا(٦٢).

---

(٦١) الموسوعة ص ٦٨-٦٩.

(٦٢) الموسوعة ص ٦٣.

ويمكن تلخيص أهدافها كما أعلنتها في :

١- تنسيق وتوحيد وتطوير السياسات البترولية للدول الأعضاء ، وتحديد السبل لحماية مصالحهم منفردين أو مجتمعين.

٢- المشاركة الفعالة في وضع السياسات التسعيرية التي تضمن تحقيق استقرار الأسعار في الأسواق العالمية وتجنب التقلبات الضارة في إيرادات البترول.

٣- المشاركة الفعالة في وضع السياسات الانتاجية التي تضمن مصالح الدول المنتجة والمستهلكة.

٤- تحقيق عائد عادل على الاستثمار في الموارد الناضبة.

كما عملت على امتلاك الدولة المنتجة للبترول لأسهم شركات البترول عن طريق مبدأ المشاركة الذي طرحته المملكة العربية السعودية بديلا لمبدأ التأميم. وهذا المبدأ يقوم على مساهمة الدولة المنتجة للبترول بجزء من الشركة البترولي ، وتمتد المشاركة لتشمل جميع مراحل الانتاج البترولي.

فأصبحت المملكة العربية السعودية تملك جميع الاسهم عام **١٩٨٠م** عن طريق هذا المبدأ(٦٣).

هذا وقد نجحت منظمة أوبك ، وأفادت الدول المشتركة ، وكانت بمثابة القذى في أعين الأوروبيين والروس والأمريكان ، فاستُهدفت منذ تأسيسها ، واشتد الكيد لها. وكانت أعمالها ، وقراراتها ، ومشاريعها عرضة للمؤامرات والمناورات والدسائس. واستخدم الغرب والشرق مع أعضائها شتى صنوف المغريات ، وأقسى أنواع التهديدات ، بقصد فصم عرى وحدتها(٦٤). وبذلت المملكة العربية السعودية وبعض الدول المشتركة الأخرى جهودا جبارة للإبقاء عليها ، رغم الظروف المرة التي مرت بها هذه المنظمة ، والتي اشتدت منذ عام **١٩٧٥م** إلى اليوم ، ورغم عمق تناقضات أعضائها.

وقد أنشأت بعض الأقطار العربية : **(أوابك)** منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول. بهدف تنسيق السياسة البترولية العربية. ووقع على اتفاقيتها كل من : المملكة العربية السعودية ، والكويت ، وليبيا. عام **١٩٦٨م** واتخذت الكويت مقرا لها. ثم ضمت بعد ذلك : الإمارات العربية ، والبحرين ، والجزائر ،

---

(٦٣) سيد فتحي أحمد الخولي - اقتصاديات البترول -.

(٦٤) الموسوعة ص ٥٩ وانظر هذا الكتاب ص ..

والمغرب ، وقطر ، ومصر ، وسوريا(٦٥).

ومن هذا العرض السريع للتكتلات الدولية يتضح تبعثر جهد المسلمين ، وخفوت صوت الإسلام ومنهاجه فيها ، ولما كان الإسلام يفرض وجوده ، ويجمع أفراده ، فقد تحركت الغيرة في بعض بلدانه ودوله وقادته فقامت جهود مشكورة في سبيل تجميع المسلمين وطاقاتهم. فظهر للوجود : منظمة المؤتمر الإسلامي ، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية(٦٦).

---

(٦٥) الموسوعة ص ٦٣.

(٦٦) انظر ص ٢٧٣ ـ ٢٩٣ من هذا الكتاب.

الباب الثالث

واقع العالم الإسلامى

الفصل الأول: من الناحية الفكرية.

الفصل الثاني: من الناحية الاجتماعية.

الفصل الثالث: من الناحية السياسية.

الفصل الرابع: من الناحية الاقتصادية.

الفصل الأول

واقع العالم الإسلامي من الناحية الفكرية

الفكر ركيزة هامة في حياة الأمم ودليل على حيويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية[1] والأمة القوية هي التي يجتمع أبناؤها على عقيدة واحدة ومباديء واحدة فتكون لها وجهة نظر واحدة أي تتمتع بوحدة الفكر.

وتعتبر وحدة الفكر من أبرز ظواهر التاريخ الإسلامي ، فقد انتظم مختلف وحداته ودوراته وموجاته فكر واحد وثقافة واحدة ، بقيت الرابط المشترك الأعظم بينها مهما اختلفت أقطارها ودولها وأنظمتها. هذا الفكر هو روح الجماعة الإسلامية والمحرك الأساسي والقالب الذي تشكلت فيه مختلف القيم والمفاهيم والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولعل أبرز مايتمثل في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية هو :

الأصالة : فقد قام الفكر الإسلامي على التوحيد والنبوة والمساواة والعدل. وهي أسس جديدة خاصة بالحضارة الإسلامية لا صلة لها بالحضارات المادية السابقة للإسلام ـ السريانية والفارسية والرومانية واليونانية والهندية.

ولقد أدرك الأوروبيون وفي وقت مبكر ماللفكر من أهمية في صراعهم الحضاري مع المسلمين ولمسوه يقينا بما ترتب على نتائج الحروب الصليبية ـ لمسوا يومها أن انتصارهم العسكري لم يجدهم شيئا أو يبق لهم وجودا في الأمة الإسلامية بعد أن دحرهم صلاح الدين ومن بعده ، ولذلك اتجهوا إلى أفكار الإسلام فانكبوا على الفكر الإسلامي فترجموه وقاموا بدراسته وتلخيصه ، فكانت أولى أعمالهم ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وبعدها فتح باب الدراسات الإسلامية والعربية عندهم على مصراعيه[2] ، فكانت حركة الاستشراق التي مهدت لهم طريق الاستعمار فيما بعد. هكذا عمل الأوروبيون على اكتشاف الفكر الإسلامي وترجمته من أجل إثراء ثقافتهم فقادهم ذلك إلى حركة النهضة الأوروبية وساروا فيها أشواطا. ثم عملت أوربا على كشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لهدف سياسي لتضع خططها الرامية للسيطرة على بلاد الإسلام مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في

---

(١) السحمراني ـ مالك بن نبي ـ مفكرا اصلاحيا ص ١٣٢.

(٢) السحمراني ـ نفسه ص ١٣٢.

البلاد الإسلامية من ناحية ولتسيير هذه الأوضاع طبق ماتقتضيه هذه السياسة في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاصة فيها لسلطانها(٣). ومن هنا بدأ يظهر الأثر السلبي للانتاج الاستشراقي الفكري الذي كتب عن المسلمين وأحيانا بالعربية ليمارس دور التخدير أو الالهاء ليبقى العالم الإسلامي خلوا من أي توجيه أصيل ، وليبقى الباب مفتوحا لتلقي مايصدرونه من أفكار تحكم سيطرة المستعمرين السياسية الاستعمارية تحت شعار التقدمية التي هي في الواقع ستار يخفي مطامع الغرب ووحشيته.

هذا الأسلوب هو مانسميه : **بالغزو الفكري** : وهو الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام ، مما يتعلق بالعقيدة وماينبثق منها من أفكار وتقاليد وأنماط حياة.

وهو من شعب الجهد البشري المبذول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة منه ولتذليل قياده وتحويل مساره وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتيا إذا أمكن ، وهذا هو أقصى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للقلوب وإن كان في الوقت نفسه هو أقصى درجات نجاح الغزاة.

وسلاح هذا الغزو : الفكرة ، والرأي والحيلة والنظريات والشبهات وخلابة المنطق وبراعة العرض وشدة لدادة الخصومة ، وتحريف الكلم عن مواضعه وغير ذلك.

ويتميز الغزو الفكري بالشمول والامتداد فهو حرب دائبة لا يحصرها ميدان ، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعا ، وتسبق حروب السلاح وتواكبها ، حتى تستمر بعدها لتكسب ماعجز السلاح عن تحقيقه ، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته ، حتى يلين ويستكين ، وتنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه ، فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه ، أو يصبح امتدادا ذليلا لهم(٤). وقد دمغ الله سبحانه وتعالى قادة هذا اللون من الحرب بأسماء وصفات غاية في النكارة ، مثل : الشياطين ، السفهاء ، المعوقين ، المرجفين ، أكابر المجرمين ، وأئمة الكفر ، والذين في قلوبهم مرض.

كذلك سمّى هذا اللون ذاته بصفات أساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة مثل :

---

(٣) انتاج المستشرقين أحمد . م.س. ص ١٢ وأحمد يوغسلافي الجنسية مسلم. نال درجة الدكتوراة من الأزهر عام ١٩٧٤م برسالته التي عنوانها : فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب المعاصر.

(٤) د. عبد الستار ـ فتح الله ـ الغزو الفكري ص ٧.

زخرف القول ، الغرور ، الخبال ، الفتن .. إلخ(٥).

وقد بين القرآن الكريم أن نتائج وغايات هذا اللون من الحرب هي أخبث وأنكد من آثار السيف والقتل ـ قال تعالى : ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾(٦).

وفي مرحلة السيطرة الاستعمارية على بلاد الإسلام اهتم الغرب كثيرا بإحداث الفراغ الفكري ، واقتلاع الشعوب الإسلامية من جذورها الحضارية ، بإظهار تهافت كل ماتملكه من مقومات أمام عصر الذرة وغزو الفضاء ، ولم يفصل الغرب في عدائه للإسلام والمسلمين أبدا بين العروبة والإسلام ، وإن حاولت جامعاته وإرسالياته أن تلقن المسلمين غير ذلك ، (فموروبيرجر) أستاذ الشرق الأدنى بجامعة برنستون الأمريكية ومؤلف كتاب العالم العربي اليوم يقول في معرض حديثه عن معارضة الغرب للوحدة العربية :

« لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعني قوة الإسلام ، ونفس الشيء يمكن أن يتكرر اليوم حيث يحرز الإسلام انتصارات واسعة في أفريقيا »(٧).

وعمل المستعمر على نقل المعركة بين أبناء البلد المغلوب على أمره ، بأن استخدم من تربى في معاهده ، ومن قلده ، فأثارهم ضد دعاة الفكر الإسلامي في بلادهم ، فتحول الأمر إلى صراع داخلي ، أثار الفوضى ، وسرب في غمرته الأفكار الهدامة ، وزرع اليأس في نفوس دعاة الفكر الأصيل من إمكانية التغيير. بذلك حاول الغرب والمتغربون تعطيل النشاط الفكري ، فبقي النشاط السياسي بالتالي أعمى ، والأفكار دون جدوى(٨).

وحتى يتم تعطيل دور المفكر فقد عمل الإستعمار على :

أـ تنفير الرأي العام من أفكاره بجميع الوسائل المتاحة للإستعمار.

بـ تنفيره هو نفسه من القضية التي يكافح من أجلها بإشعاره بعبث كفاحه(٩).

فيحقق المستعمر بهذه الطريقة نمطين من المواجهة لأي مفكر يريد أن يدخل حلبة الصراع لمواجهته ، حين يستغل إمكاناته الضخمة الإعلامية والثقافية

---

(٥) فتح الله ص ١١.

(٦) سورة البقرة الآية ٢١٧ ، فتح الله ص ١٢.

(٧) محمد جلال كشك ـ الغزو الفكري ص ٧.

(٨) صابلوفش ـ أحمد م.س الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ص ٤٢، ٤٣.

(٩) السحمراني ـ مالك بن نبي ص ١٣٧.

وعملاءه في السر والعلن لكي يحارب شخصا وعى مشكلات بلاده ، وأراد أن يوجهها بأسلوب سليم ، بدايته وضع الأسس الفكرية ، واستقطاب الناس حولها ، وكثيرا ماتحاول حكومات بلاده التعتيم على ماينشره أو يقوم به ، وتزداد معاناته حين يواكبه قومه باللامبالاة ، ويواجه بالأفكار المصدرة الملونة بالأحمر أو الأزرق ، ولكنها في مضمونها تحمل القناعات الاستعمارية القديمة برداء الحرية والإخاء والمساواة ، أو الماركسية والاشتراكية(١٠) ، وبهذا عمل الاستعمار على تحطيم المعنويات الإسلامية وبقية الروح الإسلامية التي يستند إليها وجود الأمة التاريخي بملامحها الخالدة المميزة له.

وقد شهد العالم الإسلامي تغيرات فكرية في عهد الجمود ، وقبل انهيار الخلافة العثمانية، فنشطت دعوة المفكرين للعودة إلى الإسلام ، والتكتل الإسلامي ، أي فكرة الجامعة الإسلامية ، وإصلاح أوضاع المسلمين وعقيدتهم كدعوة الشيخ

(١٠) نفسه ص ١٣٩.

محمد بن عبد الوهاب في نجد(١١) ، والدعوة السنوسية في ليبيا(١٢) ، والمهدية في السودان . والدهلوية في الهند(١٣) ، ـ إلا أن هذه الدعوات الثلاث وماشابهها كانت محدودة النجاح حيث لم تتجاوز نطاق بيئتها الإقليمية. أما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكان لها أثر في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي.

وبعض هذه الدعوات انحصر عند حملة الأقلام والمفكرين و لم تمس عامة الناس

---

(١١) حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ولد الشيخ محمد عام ١١١٥هـ/١٧٠٣م في بلدة العيينة ، إحدى قرى نجد ، في شمال الرياض. في أسرة علمية . حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره ، وتتلمذ على أبيه في الفقه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل. وكان مشغوفا بالعلم والدراسة ، واعتنى بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

رحل في طلب العلم ، فذهب إلى مكة حاجا ، ثم انتقل إلى المدينة ، وطوف في البلدان الإسلامية المجاورة لنجد ، وأخذ عن شيوخها وعلمائها ، فزار الإحساء ، وأقام في البصرة نحو أربع سنوات ، وفي بغداد خمس سنوات وعاد إلى حريملة حيث كان يقيم والده بعد تركه العيينة ، وبدأ دعوته وهو في الخامسة والثلاثين من عمره ، وقد ارتكزت هذه الدعوة على مبدئين رئيسيين :

١ـ التوحيد : أي الدعوة إلى الله وحده ، والتعبد له دون شريك ، واعتمد في ذلك على القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف ، ونادى بالجهاد في سبيل نشر عقيدة التوحيد الخالصة لوجه الله دون اشتراك أحد معه في العبادة.

٢ـ الاجتهاد : بشرط عدم مخالفة نصوص القرآن والسنة ، وآثار السلف الصالح. وأنكر تقليد أحد غير الأئمة الأربعة ـ أهل السنة والجماعة.

وركز الشيخ على محاربة البدع ، وتقديس الأولياء والحج إلى قبورهم ، والتمسح بأضرحتهم ، وتقديم النذور ، والاستشفاع بهم لجلب منفعة أو لدفع ضر. وكانت هذه الأضرحة والقبور في كل مكان وفي كل مدينة من العالم الإسلامي في عصر انحداره ، بحيث انحرف أكثر المسلمين عن التوحيد الصحيح. وقد ركز الشيخ على مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله. وأطلق على نفسه وأتباعه اسم : (الموحدين). أما (الوهابية) فهو اسم أطلقه عليهم خصومه. واستعمله الأوروبيون. ثم جرى على الألسن.

وقد تحولت دعوته إلى حركة جهاد ، حين التقى بالأمير محمد بن سعود في الدرعية وبايعه على الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله والتمسك بسنة رسول الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الشعائر الدينية. وقامت المملكة العربية السعودية الأولى. وتوفي عام ١٢٠٦هـ/١٧٩١م. (انظر ابن غنام ـ روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام ، الشيخ أحمد ابن حجر ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب. د. صالح العبود : عقيدة محمد بن عبد الوهاب)

(١٢) انظر فصل أفريقيا والمسلمون في هذا البحث.

(١٣) انظر فصل المسلمون في الهند وكشمير في هذا البحث.

إلا مسا خفيفا ، فبقي عامة الناس على أوضاعهم العقدية ، كما نشط دعاة التغريب وكان حملة الفكر في جميع الأطراف مضطرين أن يبرروا اتجاهاتهم وأفكارهم بالتوفيق مع الإسلام العميق الجذور لدى الأمة ، وإن كان التخلف الفكري عندهم قد هد كيانهم وكيان الأمة ، وكان من الممكن أن تنتهي الأمة في نهضتها على أسس الإسلام ، ولكن الضربات الموجعة من قبل التحديات الخارجية ، وشدة الانحراف عن النهج الإسلامي لدى عامة الناس كانت من الشدة بحيث حالت بين تلك العناصر المفكرة على أسس الإسلام وبين العامة. فذهبت جهود المفكرين بفائدة محدودة.

وبعد انهيار الخلافة العثمانية عام **١٣٤٣هـ/١٩٢٤م** ، واجه الغرب الصليبي ، والشيوعية ، والصهيونية الأمة الإسلامية بالتحدي الكبير فنشط الاستشراق(١٤) ، والتبشير(١٥) ، والمنحرفون من الأمة نفسها ، وأصبحوا في حل من القيود ، يعبثون كما شاء لهم العبث ، وأخذت أفكارهم بما أوتيت من دعاية منظمة ، تجد هوى وتأييدا لدى العامة لتصبح رأيا عاما باسم التقدمية ، والنهضة ، والإصلاح ، ومقاومة الاستعمار ، وقامت مدرسة فكرية جديدة بين المسلمين ترمي إلى تقريب الشقة بين تعاليم الإسلام ، وبين ماجاءت به حضارة الغرب ، من أفكار ونظريات في ميادين الحياة ، فبرزت **الأفكار التوفيقية** وكان عماد هذا العمل هو تفسير النصوص تفسيرا عصريا يلائم الفكر السائد ، ومحاولة إيجاد نقطة التقاء بين الخطين الإسلامي والمادي على تباينهما ، وعلى الأقل على تباعدهما ـ وقد ألجأ الهجوم الفكري في هذه المدارس إلى مواقف دفاعية غريبة عن الإسلام ، إذ جردته من كثير من أحكامه الصريحة ، وجاءت لها بمعان جديدة بعيدة كل البعد عما تلقاه المسلمون عن النبي ﷺ وأصحابه ، وذلك مثل : تعدد الزوجات ، والطلاق ، والربا ، والتماثيل ، والجهاد ، وأهل الذمة ...

---

(١٤) معظم المستشرقين من المبشرين.

(١٥) التبشير باعثه الحقيقي والأول في رأي القائمين به هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلا إلى استعباد أبنائها ويبدو بوضوح أن أشد الأديان مراسا في إباء الاستعباد هو الإسلام ولذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين كلهم. ومع أن التبشير يتناول البوذيين والبرهميين أيضا فإن المقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون ، ولقد استوى في هذه الرغبة جميع المبشرين على الرغم من اختلاف طوائفهم وتباين الأقنعة التي يرفعونها على وجوههم.
(التبشير والاستعمار ص ٤٥)

وهذه الأمور كلها بلغ فيها الإسلام الغاية العليا في الأحكام والسمو ، ولكنها عادت في رؤية المدارس المغلوبة أمام الضغط الفكري الغازي ـ عادت مثالب أو نقاط ضعف في الإسلام تحتاج إلى دفاع ـ أو هي في أوهامهم ـ كانت فضائل صالحة لزمانها ، واحتاج التطور البشري إلى تعديلها(١٦). ولووا عنق النصوص ليؤيدوا فروضهم التي وضعوها. ووجد المفكرون المسلمرن الخلص أنفسهم في مؤخرة الركب ، لا في الصدارة الجديرة بهم ، فالإلحاديون والماديون وتلاميذ المستعمرين والتوفيقيون يسددون عليهم الطرق ، ويثيرون حولهم الضجيج ، ورغم ذلك ظلوا على ولائهم للفكر الأصيل وإيمانهم به فعالجوا قضايا الفكر الإسلامي ومدى ارتباطه بواقع البشر معالجة بارعة مقنعة.

وأطلت رؤوس الأفكار المنحرفة بدون حاجز وبحرية كاملة ، بما يملكونه من وسائل نشر ودعاية وإعلان ووظائف عليا وحراسة ، فدخل الفكر القومي والوطني والعلماني والمادي والاشتراكي والعالمي والوجودي إلى صفوف المسلمين باسم العلم وحرية البحث ، والنهضة ، والإصلاح ، والثورة على كل قديم.على حساب الرابطة الإسلامية. فمبدأ القومية يستهدف العنصرية ، وهي تستهدف إيجاد الصدع بين العرب والفرس والترك والهنود وهم جميعا مسلمون ، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ الإقليمي(١٧) ، وفكرة العالمية تستهدف القضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة ، وهي كثيرة ، كانت تلبس ثوب الرحمة والإنسانية وحب السلام والوئام منها : الماسونية والشيوعية والروحية والدعوة إلى التوفيق بين الأديان ،وبين الإسلام والنصرانية منها خاصة(١٨) والدعوة إلى القومية والعالمية ـ سارت في خط واحد من أجل معارضة مفهوم الإسلام الذي دعا إلى وحدة فكرية واجتماعية بين أهله تعلو على العنصر والقومية والدم.

وأدرك الغرب أن العالم العربي بخصائصه وحسن موقعه الجغرافي وأهميته السياسية يحسن الاضطلاع برسالة الإسلام ، ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الإسلامي ، ويزاحم أوربا وينتصر عليها ، إذا هو تمسك برسالة الإسلام ، ولقد مر معنا ، أن الغرب في عدائه للإسلام والمسلمين لم يفصل أبدا بين العروبة والإسلام ، كما مر معنا رأي موروبيرجر ، والبيانات الفرنسية في حرب الجزائر

(١٦) انظر فتح الله ص ٩٣-٩٤.

(١٧) أنور الجندي ـ تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ص ٣٠٠.

(١٨) الاتجاهات الوطنية ج٢ص ٣١٥.

كانت تعلن مصرع كذا من المسلمين في معارك الجزائر(١٩) ، فبعد أن حاول الفصل بين العرب والعالم الإسلامي ، واجه العرب بالتحدي فأثار في مختلف أجزائه أفكارا إقليمية ضيقة تبدد أفكاره ، فبرزت فيه دعوات فكرية هدامة نذكر منها :

١ـ **الدعوة إلى الإرتماء في أحضان الغرب** ، وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز ، وقد ترجم هذا الإتجاه كثير من الذين تقدموا إلى الصفوف الأولى في قيادة الأمة ، بعد زوال الخلافة العثمانية ، مثل : طه حسين ، وسلامة موسى ، وقاسم أمين ، وأحمد لطفي السيد ، وصهره إسماعيل مظهر في مصر.

فسلامة موسى في كتابه (اليوم والغد) **١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)** يرى أن مصر جزء من أوربا ، وليست جزءا من آسيا (أي من الإسلام)(٢٠) ويرى : « أننا إذا أخلصنا النية مع الانجليز فقد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم. وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا فإننا نقضي على الرجعية في مصر وننتهي منها ، فلنول وجهنا شطر أوربا »(٢١).

وطه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر (ظهر سنة **١٣٥٧هـ/١٩٣٨م**) فيقول : « إن سبيل النهضة واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي : أن نسير سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقهم ، لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ومايحب منها ومايكره ، ومايحمد ومايعاب »(٢٢) وهذا شبيه بقول (أغا أوغلي أحمد) أحد غلاة الكماليين من الترك في أحد كتبه :

« إننا عزمنا على أن نأخذ كل ماعند الغربيين ، حتى الإلتهابات التي في رئيهم والنجاسات التي في أمعائهم »(٢٣).

وقاسم أمين يقول في كتابه المرأة الجديدة ، بعد أن تحدث عن أوضاع المرأة المسلمة في مصر : « هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه ، وليس له

(١٩) كشك ـ ص ٧، ص ١٢.

(٢٠) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٢٢.

(٢١) نفسه ج٢ ص ٢٢٧.

(٢٢) مستقبل الثقافة في مصر ص ٤١.

(٢٣) مصطفى صبري ـ موقف العقل والعلم والعالم ج١ هامش ص ٣٦٩. وصدق رسول الله ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ـ والله لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وراءهم ».

دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها ، وإذا أتى ذلك الحين ـ ونرجوا ألا يكون بعيدا ـ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي ، وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح مافي أحوالنا ، إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية(٢٤).

وتقاطرت البعثات على الدول الأوروبية من أبناء المسلمين استكمالا لتعليمهم العالي وماماثله ، وكانت هذه هي نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا الإسلام وطباع الشرق وعاداته في نفوس أكثرهم ، حيث لايرجعون إلا وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته ، أو أخذوا طريقة العيش الأوربي ، (على حد تعبير المؤرخ توينبي) وبذلك أصبحوا رصيدا في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية ، لإحداث الإنقلاب الجذري في حياة المسلمين من حيث علموا أو جهلوا ، ومن حيث أرادوا أو انساقوا مع التيار بلا فهم ولا وعي(٢٥). وقد عم هذا الأسلوب بلاد الإسلام ، ومن هذه الصور ماكتبه ك.ك. برج : الأستاذ بجامعة ليدن يقول :

« اضطر الأندونوس من جانبهم إلى انتجاع الجامعات الهولندية لاستكمال دراستهم ... نجد أولئك المعلمين ينسفون بقوة ثقافتهم الغربية من نفوس الناس اعتقادهم بالعادات القديمة واحترامهم لها ـ ومعنى هذا انهم يوهنون أساس المجتمع القديم وأساس الإسلام أيضا...

إن تغير نزعة الشباب الأندونيسي المستنير إزاء ثقافته القديمة بتأثير التعليم الأوربي وبتأثير البيئة الهولندية يشبه ماحدث عند الشباب المصري منذ نصف قرن أو ثلاثة أرباع القرن ، ومسلك الشباب الأندونيسي إزاء التعليم الغربي يسير على مثل ماسار في مصر ، يظهر الشباب عداءه للعقلية الغربية ولكنه لايستطيع في الوقت نفسه الاستغناء عن الثقافة الغربية.. وهو ينزع نزعة قومية شديدة ولكنه رغم ذلك منقطع من وجوه كثيرة ـ بسبب ثقافته الغربية ـ عن جمهور الأمة التي ولد فيها »(٢٦).

٢ـ احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية (لادينية) حديثة :

والإتجاهات الفكرية التي حملت وزر هذا ، تلك التي دعت إلى الإرتباط بالماضي التاريخي الغامض ، البعيد ، السابق على ماضيهم الإسلامي الحي ، ودعوة

(٢٤) المرأة الجديدة ص ١٩٢-١٩٣.

(٢٥) فتح الله ص ٧٤.

(٢٦) (كتاب وجهة الإسلام ص ١٩٠ ترجمة أبي ريدة). فتح الله ص ٧٧.

إحياء الحضارات القديمة ظهرت في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقية وفارس والهند وأندونيسيا(٢٧). يقول أحد المستشرقين : « إننا في كل بلد إسلامي دخلنا ، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ماقبل الإسلام ، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ماقبل الإسلام ، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات(٢٨) ».

ومن **الدعوات : الفرعونية في مصر** : التي أطلت برأسها عند غزو نابليون لمصر عام **١٧٩٨م** فقد استصحب معه بعثة علمية للتنقيب عن آثار الفراعنة ، وأنشأ معهد الآثار الفرعونية في حي المنيرة بالقاهرة ومايزال قائما مكانه إلى اليوم. فنشط دعاتها لغزو الأقطار بها وملأوا أبصار قارئي الصحف ، وأسماع شاهدي الندوات بالدعاية لها ، ورسموا رأس أبي الهول على طوابع البريد وعلى أوراق النقد واتخذه النحات محمود مختار شعارا لتمثال نهضة مصر الذي وضع نموذجه في باريس عام ١٩٢٠م.

واتخذت كل كلية من كليات الجامعة شعارا لها يمثل وثنا من معبودات الفراعنة ، ونقلت رفات سعد زغلول بعد وفاته بثلاث سنوات إلى ضريح بني على طراز فرعوني(٢٩). وأصبحت هذه الجامعة الفرعونية دعوة انفصالية ، تنزع نحو الأنانية والانطواء على النفس. وتعارض الجامعة الإسلامية والجامعة العربية(٣٠). ورأت في العرب غزاة دخلاء كاليونان والرومان سواء بسواء. وتزعمت صحيفة السياسة الأسبوعية هذا الاتجاه فأفسحت صدرها لدعاته ، وأعان عليه رئيس تحريرها محمد حسين هيكل في شطر كبير من حياته ، إلى أن عدل من اتجاهه إلى الإتجاه الإسلامي(٣١).

وأثيرت **الفنيقية** في لبنان ، **والأشورية والسومرية والبابلية** في العراق ، **والكنعانية** في فلسطين ، **والبربرية** في المغرب ، **والحثية** في آسيا الصغرى ، **وماجاباهيت** الهندوكية في أندونيسيا **والفارسية** في إيران لعزل هذه الأجزاء عن

---

(٢٧) حصوننا مهددة من الداخل ص ٦٩.

(٢٨) محمد قطب - واقعنا المعاصر ص ٢٠٢ عن Near East, Cultured, Society Edlled by.T.Cuylan Young.

(٢٩) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٤٦.

(٣٠) نفسه ج٢ ص ١٤٧.

(٣١) نفسه ج٢ ص ١٤٩.

بعضها والتفريق بينها تفريقا يحول دون التقائها في وحدة واحدة قوية. وكأن ذلك كان مبررا للدعوة العبرية اليهودية في فلسطين.

وقد عرضت **المناهج** - مناهج الدين والتاريخ الإسلامي بالذات عرضا منفرا مغرضا يجعلها على هامش المنهج الدراسي ، مما يغرس في نفوس الأطفال والتلاميذ والناشئة عامة عدم الاهتمام بهما. ويطبعهم على الإعتقاد بعدم جدواهما دراسيا. ويرسب في نفوسهم بالتالي الإستخفاف بالدين من حيث هو سلوك وعبادات ، وبالتاريخ الإسلامي من حيث هو سجل لأمجاد الأمة الإسلامية(٣٢).

٣- **العمل على تطوير المعاهد الدينية** وخاصة الأزهر في مصر :

الأزهر كما نعرف أعرق المعاهد الإسلامية ، بل هو أعرق جامعة في العالم كله ، وقد استطاع بفضل الأوقاف العديدة التي وقفها عليه أغنياء المسلمين خلال عصره الطويل ، وبفضل ماكان يتمتع به علماؤه من هيبة ومكانة ، أن يحمي العلوم الإسلامية والعربية بعيدة عن أن تمتد إليها يد الملوك والحكام بالتغيير والتبديل(٣٣) ، وظل هذا المعهد الوحيد - بمنأى عن العبث ببرامج التعليم فيه ، في حين امتدت يد المحتل الأوربي إلى كل برامج التعليم في مصر ، فشكلها حسب ماتقضي به مصالحه ، ورسخت مكانته حتى احتل مكانا مرموقا في العالم الإسلامي كله ، يتوارد عليه الطلاب من شتى بقاعه ، ثم يعودون إلى بلادهم ينشرون فيها الوعي الإسلامي ، وينشرون معه فضل الأزهر ، ويشيدون به ، ويدعمون مكانته في نفوس الناس. وازدادت مكانته بعد سقوط الخلافة العثمانية فأصبح رمز الجامعة الإسلامية(٣٤) والقلعة الإسلامية التي حسب لها أعداء الإسلام كل حساب ، وكان فيه رجال يلتهبون غيرة على الإسلام ويجابهون أعداءه في الداخل والخارج بكل جرأة. وأدرك نابليون عند غزوه لمصر أهمية الأزهر فحاول استمالة علمائه ، فلما فشل ضربه بالقنابل من القلعة ، واتخذه اصطبلا للخيل.

من أجل ذلك كله تعرض الأزهر لمقت أعداء الإسلام ، وصب اللعنات من قبل دعاة التغريب واللادينية ، حتى جعلوه رأس المشاكل الثقافية في مصر ، والعقبة الكؤود في سبيل النهضة. وكان المستعمر قد وضع خطة للقضاء على نفوذه ، ونفوذ المعاهد الإسلامية الأخرى كالقرويين في فاس ، والزيتونة في تونس - وتهوين

---

(٣٢) فتح الله ص ٧٠.

(٣٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٧٦.

(٣٤) الاتجاهات الوطنية ج١ ص ١٧٦.

مركزه ، حيث وقفوا في طريق علمائه ، وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ، ومناصب الحكم ، ووظائف الإدارة ، وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين ، على أن يكون الإسلام على حد تعبيرهم بعيدا عن السياسة ، وبمعزل عن الحكم ، فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن حفظ كتاب الجهاد ـ القرآن الكريم ـ فأبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة(٣٥). قال أحد المبشرين في كلمة له في المؤتمر التبشيري الذي عقد في القاهرة عام ١٩٠٦م وهو يتساءل عما إذا كان الأزهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر : « إن السنيين من المسلمين رسخ في أذهانهم أن تعليم العربية في الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه في غيره والمتخرجون من الأزهر معروفون بسعة الاطلاع على علوم الدين ، وباب التعليم مفتوح في الأزهر لكل مشايخ الدنيا ، خصوصا وأن أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجانا ، لأن في استطاعته أن ينفق على ٢٥٠ أستاذا ».

ثم عرض اقتراحا يريد به إنشاء مدرسة جامعية نصرانية ، تقوم الكنيسة بنفقاتها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة ، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية. وختم كلامه قائلا :

« ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر ، مركز عمل لنا ، لنشرع بإنشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الإسلامية »(٣٦).

وبقي الأزهر رغم ذلك مركزا من مراكز الدعاية المعادية لبريطانية كبيرة ومتعددة الامكانيات ، وكان يدرك دوره ، يظهر ذلك ، في البيان الذي أذاعه شيخه الأكبر سنة **١٣٤٩هـ/١٩٣٠م** عندما اشتدت حملة فرنسا على الإسلام وعلى اللغة العربية بين مسلمي البربر في المغرب الأقصى(٣٧). فجند النفوذ الاستعماري عددا حملوا لواء السخط عليه من أبناء المسلمين ،وكانت بداية ذلك سنة **١٣٤٣هـ/١٩٢٤م** عندما قامت في الأزهر حركة تدعو إلى إصلاحه ، وفي عام **١٣٤٦هـ/١٩٢٧م** أخذت صحيفة السياسة تطالب : « بصبغ الأزهر بالصبغة العصرية العلمية ، وهجر طرق التدريس العتيقة ». مستهدفة مؤامرة قديمة

---

(٣٥) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ـ ص ٣٤٥.

(٣٦) الغارة على العالم الإسلامي ص ٥٧ـ٥٨.

(٣٧) انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٧٦ نور الإسلام العدد الخامس من المجلد الأول ص ٣٤٢-٣٤٣.

كان قد عجز عن تنفيذها الإنجليز خوفا من الهياج الديني ـ وجاءت الآن تحت شعار الوطنية والإصلاح تارة وبسلاح البطش والإستبداد تارة أخرى ، وهذه المؤامرة تستهدف : عزل الأزهر عن الحياة ، واخضاع برامجه لرقابة تضمن إفناء شخصيته وفرنجته ، بحيث يصبح الدين تبعا للحياة وذيلا لها ، يتبعها ويتشكل بها بدل أن يقودها ويقومها. وسار الشيخ محمد عبده في هذا المجال شوطا عن حسن نية ، وربما عن شعور بالنقص ، وربما كان هذا من أهم أسباب التقدير والتمجيد اللذين حظى بهما الشيخ من المستشرقين والمبشرين ، ومن كرومر عميد الاحتلال في مصر(٣٨).

وجاء الدكتور طه حسين ، ولطفي السيد ، وأضرابهما وطالبوا أن تزال هذه الصخرة العنيفة التي تعترض الجسر الثقافي العريض الذي يمتد في أوربا إلى مصر عابرا البحر الأبيض المتوسط ، زاعمين أن مصر اكتشفت هويتها غربية مئة بالمئة. فيصوره طه حسين أثرا من مخلفات العهود المتأخرة المنحطة ومشكلة من المشاكل التي تتطلب حلا(٣٩) ، ويقول :

« ولابد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الأزهر إلى الملاءمة بين تفكيره وبين التفكير الحديث ، والنتيجة الطبيعية لهذا أننا إذا تركنا الصبية والأحداث للتعليم الأزهري الخالص و لم نشملهم بعناية الدولة ورعايتها وملاحظتها الدقيقة المتصلة ، عرضناهم لأن يصاغوا صياغة قديمة ، ويكونوا تكوينا قديما ...

فالمصلحة الوطنية العامة من جهة ، ومصلحة التلاميذ والطلاب الأزهريين من جهة أخرى تقتضيان إشراف وزارة المعارف على التعليم الأولي والثانوي في الأزهر »(٤٠).

وصدرت قوانين تطويع الأزهر باسم تطويره(٤١) تباعا من عام ١٩٣٦م ١٣٥٥هـ إلى عام ١٩٧٦م ١٣٩٦هـ. وتم التطويع في عهد الاستقلال وكان ثمرة من ثماره ونضرب لذلك مثلين :

أ ـ إلغاء القضاء الشرعي جملة وإدماج محاكمه في دوائر تابعة للمحاكم الأهلية التي قامت من أول يوم على القانون الوضعي ، فقد ألغيت المحاكم الشرعية المصرية

---

(٣٨) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٧١/ وانظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٧١-٢٧٢.

(٣٩) مستقبل الثقافة في مصر ص ٨٧.

(٤٠) نفسه ص ٧٥.

(٤١) العلمانية ـ ص ٦٠١.

عام ١٩٥٥م - ١٣٧٥هـ.

ب- إدخال القانون الوضعي في صلب البرامج الدراسية لكلية الشريعة بجامعة الأزهر وتسميتها كلية الشريعة والقانون بموجب القانون المعروف بقانون تطوير الأزهر. وهذا عمل يقصد به تقريب الشقة بين الشريعة والقانون وحل عقدة الرفض في الرؤوس والنفوس التي يخشى دائما أن تنبعث منها قيادة جادة لحركة تحكيم الشريعة وإعادتها إلى التفرد بالهيمنة على شئون الحياة(٤٢).

وكان من أثر الانتصار في تطوير الأزهر أن تم تطويع البقية الباقية في معاهد الثقافة الإسلامية خارج مصر بسرعة إما بدوافع ذاتية وإما بقوانين إجبارية، كجامع الزيتونة في تونس(٤٣)، والقرويين في المغرب، والمعاهد الدينية في الهند. وكان قد أثر عن الحاكم الفرنسي (ليوطي) - صنو (كرومر) في مصر - قوله: إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقد ضمنت لنفسها الخلود في المغرب.

ورغم ذلك فقد بقيت هذه المعاهد بشيوخها وشبابها، تحمل الفكر الإسلامي الأصيل وتواصل رسالته، وأنشئت جامعات أخرى إسلامية تحمل الرسالة كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض ... وكلها تهدف إلى:

أ- تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله.

ب- إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية وهي مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات.

ج- عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضا صحيحا في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله، وخال مما أدخل وزيد فيه من الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق، ويمجها طبع اللغة العربية.

د- العمل على إزالة الفروق المذهبية، أو تضييق شقة الخلاف بينها، فإن الأمة في محنة من هذا التفريق ومن العصبية لهذه الفرق ودراسة أسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب تهدي إلى الحق(٤٤).

هـ- تخريج الدعاة الواعين على عقيدتهم، الواعين على أوضاع أمتهم ووسائل

(٤٢) فتح الله ص ١٣٢.

(٤٣) الذي أغلق عشية الاستقلال عام ١٩٥٦م، وافتتح بعد تنحية الحبيب بورقيبة عن رئاسة الجمهورية التونسية عام ١٩٨٧م!!. (٤٤) أنور الجندي - العالم الإسلامي ص ٣٤٥-٣٤٦.

نهضتها ، وتحقيق الخير لها.

٤ـ مهاجمة اللغة العربية والدعوة إلى العامية :

اللغة العربية اختصها الله لغة للقرآن الكريم ، وخصها مرة أخرى لتكون لغة أهل الجنة ، وخصها أيضا لغة لرسوله الكريم ﷺ. ولذلك فقد رافقت رحلة الإسلام وانتشاره إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وبها كتب المسلمون على مختلف أجناسهم وديارهم. وأثرت تأثيرا كبيرا في اللغات الفارسية والتركية والأوردية واللغات الأفريقية في شرق أفريقيا وغربها واللغة الماليزية.

وكان المسلمون يتطلعون إلى أن تأخذ الدولة العثمانية العربية لغة للدولة. غير أن التحول الذي أصاب تركيا بعد الحرب ، وتغريبها وانسلاخها من العالم الإسلامي دفعها للتخلص من الأثر العربي ـ فعملت على تصفية اللغة التركية من الكلمات العربية ، حيث عقد عدد من المؤتمرات التي قامت بإخراج **١٣٦٥٠** كلمة عربية(٤٥) حلت محلها كلمات تركية وأوربية. ففقدت تركيا تراثا ضخما يتمثل في مئات المجلدات ، في الأدب والنقد والثقافة ، التي كتبت باللغة التركية العثمانية ـ فضلا عن أن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية أفقدهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والصاد والضاد والظاء والعين. فإن هذه الحروف لايمكن أن تجد في اللاتينية مايصورها بحرف واحد يقوم مقامها.

ومنذ أن اتسع النفوذ الأجنبي في العالم الإسلامي واجهت اللغة العربية مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث : الفرنسية والإنجليزية والهولندية. فقد **قطع الاستعمار الغربي الطريق على توسع اللغة** بين مسلمي العالم بالعمل على :

١ـ نقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وترك الخط العربي وفي مقدمتها اللغة التركية والأندونيسية.

٢ـ شجع لغة محلية أو أكثر في كل بلد إسلامي غير عربي لتصبح لغات قومية. وهذا طبعا يتم على حساب اللغة العربية كالأوردية والسنسكريتية والبنغالية في الهند. واللغات المحلية في أفريقيا.

٣ـ توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرسمية كما فعل في الهند الإسلامية

---

(٤٥) أنور الجندي ـ الاستعمار ص ٣٥٨. والتراث : مجموعة تجارب الأمة ومعطياتها ومكونات حياتها ، وعوامل التأثير والصياغة في الحياة. فإذا انقطعت الصلة به ، طفت الأمة على السطح ، كالزبد الذي يذهب جفاء ، وضاعت شخصيتها ، وتعرضت للقتل أو البتر.

وبنغلاديش وباكستان وفي غرب أفريقيا ووسطها وشرقها(٤٦).

أما في البلاد العربية فقد عمد الاستعمار إلى **الدعوة لاستخدام العامية** والتحريض على جعلها لغة التأليف والكتابة. كما فعل في الجزائر ومصر وبلاد الشام والعراق وتونس والمغرب.

ففي الجزائر - واجهت اللغة العربية محاولات خطيرة كادت هذه اللغة تمحى من الأساس محوا تاما ، حتى أتيح لجمعية العلماء الجزائرية وقادتها عبد الحميد ابن باديس - والبشير الإبراهيمي وغيرهما أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاث مائة مدرسة أقيمت في المساجد على نحو بارع استطاع بأن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه. وكان لذلك أبعد الأثر في التحول التاريخي الذي شهدته الجزائر. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسي (جاك بيرك) حين قال : « إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا »(٤٧) فقد حاولت فرنسا جهدها لإحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية في اقطار المغرب ، بعد أن عملت على التفرقة بين العرب والبربر عن طريق الظهير البربري(٤٨).

أما في **مصر** بلد الأزهر فقد كانت الحملة أشد. وبدأت عام **١٨٨١م/١٢٩٩هـ** حين اقترح المقتطف كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة(٤٩) ، من غير أن تحدث هذه الدعوة أثرا. ثم هاجت المسألة مرة أخرى **١٣٢٠هـ/١٩٠٢م** حين ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الانجليز - وهو القاضي ولمور - كتابا سماه لغة القاهرة وضع لها فيه قواعد ، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب. كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية. فحملت عليه الصحف مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة التي لاتقصد إلا إلى محاربة الإسلام في لغته. وفي ذلك الوقت كتب حافظ إبراهيم قصيدته

---

(٤٦) انظر - أنور الجندي - العالم الإسلامي ص ٣٥٩.

(٤٧) نفسه ص ٣٦٢.

(٤٨) علال الفاسي - دفاع عن الشريعة ص ١٦٣-١٦٤.

(٤٩) الاتجاهات الوطنية ج٢ص ٣٥٩.

المشهورة على لسان اللغة العربية(٥٠):

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ونـاديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتي

وفي عام **١٩٢٦م/١٣٤٥هـ** دعا مهندس الري الانجليزي ـ السير (وليم ولكوكس) إلى هجر اللغة العربية ـ وترجم أجزاء من الإنجيل إلى ماسماه اللغة المصرية. ونوه سلامة موسى بالسير ولكوكس وأيده. فعاد الناس لمهاجمة الفكرة. ولكنها اكتسبت نفرا من دعاة الجديد ، فاتخذوا القومية والشعبية ستارا لدعوتهم وخاصة بعد حركة الكماليين في تركيا. وساعد على انتشارها **المسرح الهزلي** الذي اتخذ اللهجة السوقية ، ثم انتقلت إلى **المسرح الجدي** حين تجرأت عليه وقتذاك فرقة تمثيلية تتخذ اسما فرعونيا وهي فرقة رمسيس. ثم ظهرت الخيالة ـ السينما ـ فاتخذت هذه اللهجة. و لم يعد للعربية الفصحى وجود في هذا الميدان. ثم ظهرت هذه السوقية العامية في الأدب المكتوب فاستعملها كثير من كتاب القصة في الحوار(٥١).

وفي سياسة التعليم التي خططها (دنلوب) في مصر ، واتبعها المستعمرون في أرجاء العالم الإسلامي انحدر وضع **مدرس اللغة العربية** بقدر ماانحدر راتبه ، وأصبح مادة للسخرية ، يتحدث الناس عن جهله ، وتخلفه ، وضيق أفقه ، وفقره وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري وأصبح مادة للتندر في القصص والروايات والمسرحيات والأفلام ، وانعكس ذلك على الوضع المهين على اللغة التي يدرسها ، فأصبحت موضع الإزدراء ، والتحقير والنفور .. وأصبحت الشكوى مرة من صعوبة اللغة العربية ، وأصبح الإنسان يقارن ذلك بما عليه مدرس اللغة الانجليزية ، والنظرة إلى اللغة الانجليزية!!. وتسللت الدعوة إلى **مجمع اللغة العربية** ـ فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن اللهجة العربية العامة كتبها أحد أعضائه هو عيسى اسكندر المعلوف المعروف بعدائه للعربية الفصحى. والغريب أن هذا المجمع ضم المستشرق جب المعروف بصفته الاستعمارية ، وحايم ناعوم

---

(٥٠) نفسه ج٢ ص ٣٦٠/ ديوان حافظ ج١ ص ٢٥٣.
(٥١) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٣٦٢.

كبير حاخامي تركيا(٥٢). وأعجب من ذلك أن عبد العزيز فهمي باشا ثالث الثلاثة الذين بني عليهم الوفد المصري **١٩٤٣م/١٣٦٣هـ** ، اقترح كتابة العربية **بالحروف اللاتينية**. وشغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات امتدت خلال ثلاث سنوات(٥٣). ودعا خلفه توفيق الحكيم في المجمع اللغوي إلى قاعدة **سكن تسلم** ، وتبعا لهذه القاعدة فتح الباب في البلاد العربية في كليات اللغة العربية والآداب لما سمي : التراث أو **الأدب الشعبي** وحضرت فيه رسائل جامعية عليا.

وقد وجدت هذه الدعوى صدى لها في بلاد الشام فمنهم المتطرف كسعيد عقل وأنيس فريحة ، والمتدرج كبعض المهجريين. وقد ردت هذه الدعوى بشدة وفندت مزاعمها(٥٤).

وعلى كل فقد كانت الدعوات الهدامة للغة العربية تستهدف غايتين :

---

(٥٢) وقد سبق أن ذكرنا دوره في إسقاط السلطان عبد الحميد ، وحضوره معاهدة لوزان ، وبعد إلغاء الخلافة انتقل إلى القاهرة ، وكان حلقة وصل بين زعماء اليهود في أوربا وأمريكا ، والسياسيين الانجليز من جهة ،وكمال أتاتورك من جهة أخرى. وأصبح كبير حاخامي القاهرة ، وبقي يخدم الصهيونية إلى آخر حياته ، حيث أقام في بيته بالقاهرة ناد للقمار رصد كل أرباحه للحركة الصهيونية في فلسطين (انظر مذكرات الحاج أمين الحسيني/ مجلة فلسطين ـ العدد ١٤٧/ السنة ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٣هـ، ص ٧)

(٥٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٣٦٣. وانظر كتاب (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) ص ٢٠٩-٢١٠.

(٥٤) انظر هذه التفنيدات ـ الاتجاهات ص ٣٧٧-٣٨٠. وقد عمد الدكتور أنيس فريحة (أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية) إلى إرجاع فكرة الكتابة العامية بالحرف اللاتيني تحت ستار تسهيل اللغة. وظهر له في هذا الباب : تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد (طبع جونية سنة ١٩٥٢م) فيقول : « ولانرى حلا للكتابة إلا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة ».

وفي تسهيل اللغة هذا الذي يقترحه فريحة يقترح لأسماء الاشارة (ص ٣٣-٣٤) عددا أكبر من العدد الذي كتبته كتب النحو المدرسية.

وفي كتابه (محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها) و(نحو عربية ميسرة) وفيه ينضح بالحقد على اللغة العربية الفصحى وبالبغض لأهلها وبالتهكم على تراثها والهزء برجالها (انظر الصفحات ١١،١٣،١٨-١٩،٢٢،٢٣،٥٣،٧٣،١٢٣،١٢٥-١٢٦،١٩٤).

وفي الصفحة ١٩٨ يقول : ولكن للناس أن يسألوا : ماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وماذا سيحل بالأدب القديم : وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد ، سيبقى على ماهو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب »

انظر التبشير والاستعمار لفروخ والخالدي ص (٢٢٥-٢٣٢).

أ- **تفريق المسلمين** ، والعرب خاصة ، بتفريقهم في الدين وفي اللغة والثقافة ، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم ، وبذلك لاتتم لهم وحدة.

ب- **قطع مابين المسلمين وبين قديمهم** ، والحكم على كتابهم - القرآن الكريم(٥٥) - بأن يصبح أثرا ميتا كأساطير الأولين التي أصبحت حشو لفائف البردي ، أو بأن يصبح أسلوبه عتيقا باليا بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه. والحكم على تراثهم كله بالموت لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض(٥٦).

وبقي في لبنان من يصر إلى اليوم على اللهجة اللبنانية وعلى رأسهم الشاعر سعيد عقل ، ويسمونها : اللغة اللبنانية. ووصل به التطرف إلى كتابة هذه اللغة بحروف لاتينية وله جريدة أسبوعية محدودة الانتشار والتأثير ، تطبع بالحروف اللاتينية. وأما تمويلها فلك أن تتساءل عن مصدره.

ومنهم أيضا الشاعر موريس عواد الذي يخرج قصائده بهذه اللغة الشعبية كما يسميها ، وخرج حديثا برواية من **١٩٢** صفحة كتب على غلافها : (روايي باللغا اللبناني) وقد سبقه في ذلك تجربة قام بها الشاعر المصري بدر نشأت شقيق د. كمال نشأت(٥٧). ومنهم الشاعر علي أحمد سعيد ، ترك الإسلام ، وتنصر ، وغير اسمه إلى (أدونيس) ، وقد ركز هذا الشاعر في أشعاره على استخدام قصة مهيار الديلمي الشعوبي القديم ليخدم قضيته المعاصرة(٥٨).

وعلى الإجمال فاللغة العربية تهان وتنقص من عدة جهات حاليا(٥٩).

١- الروايات التمثيلية التي تحكي عبارات السوقة والعقليات الجاهلية. فتحيي ألفاظا كان يجب أن تموت مكانها وتؤذي المسامع باللهجات العامية المنكورة.

٢- الزعماء الذين لايحسنون الفصحى ويحلو لهم أن يتحدثوا إلى الجمهور ساعات طويلة. تختلط كلماتهم العربية والعامية.

---

(٥٥) وهيهات أن يتم ذلك لهم. فالله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه. ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾.

(٥٦) انظر الاتجاهات الوطنية ص ٣٨٤.

(٥٧) الشرق الأوسط ص ١٩ السبت ١٩٨٥/١١/٢م.

(٥٨) حلمي محمد القاعود - الحرب الصليبية العاشرة ص ١٧.

(٥٩) محمد الغزالي - مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص ٩١.

٣ـ الأشخاص الذين يقلدون المنتصر والذين ذابت شخصياتهم ذوبانا تاما ، فيرون من الرقي أن يكون حديثهم بأي لغة إلا العربية.

٤ـ ورجال المجامع الذين يرون العربية تنهار أمام ألفاظ الحضارة المحدثة ومصطلحات العلوم الكثيرة ، ومع ذلك فهم لايحركون ساكنا ، مع أن العربية في خطر حقيقي.

وامتد التلاعب باللغة العربية إلى **لوائح الإعلانات** في الشوارع العامة وأسماء المحلات والمعارض التي تكتب بخطوط عريضة ومليئة بالأخطاء اللغوية ، بعد أن أقصيت من ميادين العلوم ، ولحق أدبها من تشويه وغبن في ميادين الآداب والفنون(٦٠).

وبالرغم من ذلك بقيت العربية الفصحى : رباط وحدة الأمة ، وأداة ارتقاء العلم والحياة.

فمن أبات للشاعر/ محمد بهجت الأثري العراقي/ بعنوان الفصحى (٧٣) بيتاً(٦١) :

أحببتها حب نفسي ، والهوى غرد ... وحبها الروح والريحان والرغد
رفيعة القدر أخت الشمس عالية ... يرى لها فوق عرش الشمس مقتعد
ويدرك القمرين الخسف من سقم ... ونورها دائم الإشراق متقد
سرية ، وكفاها أنها هبطت ... وحيا ، له تخشع الأرواح والجمد
عريقة المولد الميمون : أوّلها ... مع الخليقة والأخرى لها الأبد

وفي يوم ١٤٠٨/٧/٢٩هـ الموافق ١٩٨٨/٣/١٧م عقد مؤتمر اللغة العربية العالمي الأول بدعوة من جمعية نشر اللغة العربية في كراتشي تحت شعار: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾. وشارك فيه ممثلون عن تسع عشرة دولة وعدد من العلماء المهتمين باللغة العربية. واستمر مدة ثلاثة أيام.

وتضمنت أعماله خمسة محاور هي :

١ـ دور اللغة العربية بوضعها أداة ربط بين الدول الإسلامية.

٢ـ التنسيق والتعاون في تعليم اللغة العربية بالدول الإسلامية.

---

(٦٠) نفسه ص ١٠٧.

(٦١) ألقاها في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة ٥٤ ١٩٨٨م. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٣٤ ص ٨٠-٨١.

٣- إسهام غير العرب في نشر اللغة العربية.
٤- وسائل وتقنيات مختلفة في تعليم اللغة العربية.
٥- دور القرآن الكريم في نشر اللغة العربية بين المسلمين.
وقد صدر عن المؤتمر التوصيات التالية :
١- تأسيس اتحاد عام للجمعيات التي تعمل على نشر اللغة العربية في الأقطار العربية والإسلامية.
٢- دعوة الدول العربية والإسلامية إلى تشريع قانون للحفاظ على سلامة اللغة العربية.
٣- دعوة الدول العربية للحفاظ على الحرف العربي في الكتابة ليظل التواصل قائما بين اللغة والدين.
٤- دعوة الدول العربية إلى تخصيص منح دراسية للطلبة المسلمين الناطقين بغير العربية.
٥- دعوة الدول العربية إلى تزويد الجمعيات والمدارس والجامعات المعنية بتدريس اللغة العربية بالكتب والأشرطة ومايلزم ذلك.
٦- الاهتمام بالبحث التربوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
٧- تبادل الوفود والزيارات العلمية بين الجمعيات والمدارس المهتمة بهذا الموضوع.
٨- دعوة الدول الإسلامية إلى إيجاد برامج تعليمية باللغة العربية في وسائل إعلامها المرئية والمسموعة والمقروءة.
٩- قيام جمعية نشر اللغة العربية في كراتشي بجميع المناهج المؤلفة في هذا المجال من المؤسسات العلمية كافة.
١٠- قيام الجمعية باعداد دليل بأسماء الجمعيات والمراكز والهيئات التي تعني بنشر اللغة العربية.
١١- الدعوة إلى جعل اللغة العربية من المقررات الرئيسية في المدارس الثانوية في الدول الإسلامية.
١٢- مناشدة الصحف في الدول الإسلامية تخصيص صفحة عربية في كل واحدة منها.
١٣- قيام الجمعية بطبع بحوث هذا المؤتمر في كتاب وتوزيعه.
١٤- مناشدة الدول والمؤسسات والمحسنين بتقديم الدعم المالي لهذه الجمعية

لتتمكن من أداء رسالتها.

١٥ـ اعتماد الأعضاء المشاركة في هذا المؤتمر أعضاء عاملين في جمعية نشر اللغة العربية.

١٦ـ عقد مثل هذا المؤتمر في كل عامين في إحدى الدول العربية أو الإسلامية ونظرا لدور المملكة العربية السعودية الريادي في نشر اللغة العربية يأمل المشاركون أن تتبنى احدى الجامعات السعودية عقد المؤتمر القادم.

١٧ـ دعوة الحكومة الباكستانية الموقرة إلى تبني هذه التوصيات عن طريق الاتصال بالدول العربية والإسلامية.

١٨ـ تشكيل لجنة متابعة لهذه التوصيات من قبل الجمعية وعرض نتائج المتابعة في المؤتمر القادم بإذن الله.

٥ـ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب :

وجدت المدارس الأجنبية في بلدان العالم الإسلامي ، وأطلق غلاة المبشرين والقساوسة وأضرابهم في وضع برامج التعليم لمدارسهم ، حتى أن الموضوعات العلمانية التي تعلم من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين تحمل معها الآراء النصرانية(٦١).

والواقع أن الاستعمار كان حريصا على توجيه التعليم لتخريج طائفة من المتعلمين يخدمون مصالح الحكومة والشركات ، ويهدف أساسا إلى القضاء على الثقافة الإسلامية بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها.

فسيطر على المدارس الوطنية ـ التي تضم عامة أبناء الأمة ممن يقدرون على التعليم ـ عن طريق رجاله وعملائه الذين تولوا وضع المناهج الجديدة والسهر على تنفيذها وخدمة أغراضها القريبة والبعيدة كالخطة التي رسمها كرومر في مصر ونفذها القس الإنجليزي دنلوب وتلاميذه من بعده ، ولاتزال لها آثار وذيول سيئة تطبع بعض جوانب التعليم المصري ومقلديه في العالم العربي المسلم. فقد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربي وتاريخ الإسلام وصلة مصر بالعرب والعربية ثم أدخل في برامج المدارس أن مصر فرعونية. وفي كل وحدات العالم الإسلامي نجد الهدف نفسه قد أعد بصورة أخرى ففي الهند الإسلامية يحاول التعليم التركيز على الحضارات الوثنية ، وفي تركيا يجري الاهتمام بالتاريخ الطوراني وأمجاد جنكيز خان. وفي أندونيسيا يركز على تاريخ ماقبل الإسلام وكلها محاولات

(٦١) التبشير والاستعمار. فروخ - ص ٦٦.

للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي(٦٢).

وحرص النفوذ الاستعماري أن يجعل من جامعاته ومعاهده مصدرا لتخريج القادة والحكام في العالم الإسلامي. فقد أوصى المؤتمر التبشيري المنعقد عام ١٩٠٦م/١٣٢٤هـ في القاهرة(٦٣) - بوجوب إنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعة الفرنسية لمناهضة الأزهر والذي قالوا عنه : إنه يهدد كنيسة المسيح بالخطر. (كما سبق). واتبع الانجليز سياسة تتفق مع مثلهم المشهور : Slow but Sure « أي : « بطيء ولكنه أكيد المفعول ».

فعين اللورد كرومر أول معتمد بريطاني على مصر (المستر دنلوب) القسيس المبشر مستشارا لوزارة المعارف المصرية. فكان في يده السلطة الفعلية الكاملة ، ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية مهملة الدين ، ويعين خريجوها في دواوين الحكومة. وأما خريج الأزهر فكان لايجد عملا ، وإذا وجده ففي إقامة الشعائر في المسجد ، وفرق في الراتبين كبير. فأصبح لايذهب للأزهر إلا الفقراء الذين يعجزون عن دفع مصاريف المدارس الحديثة(٦٤).وطبعا هذه السياسة نفسها التي اتبعها الانجليز في الهند المسلمة. وفي الأقطار الإسلامية الأخرى التي ابتليت باستعمار الانجليز.

ولذلك حرصت الجامعات منذ إنشائها على اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية ، فحين قام سعد زغلول ولطفي السيد وزملاؤهما في مصر بإنشاء الجامعة المصرية كان النص الأول من شروط إنشائها : هو ألا تختص بجنس أودين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون واسطة الألفة بينهم. فخلت الجامعة من علوم الإسلام(٦٥).

ويقول اللورد لويد ممثل بريطانيا في مصر في حفل كلية فكتوريا بالاسكندرية عام ١٩٢٦م :« إن أبناء هذه الكلية من ثمانية أجناس أو تسعة أجناس مختلفة ... كل هؤلاء لايمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية » فهو يكشف عن الغاية من التعليم البريطاني-تكوين جيل يؤمن بانجلترا ويتعاطف معها مغضيا عن استعمارها ونفوذها في بلاده(٦٦).

(٦٢) أنور الجندي - العالم الإسلامي - ص ٣٣٥.

(٦٣) الغارة على العالم الإسلامي ص ٢٢.

(٦٤) واقعنا المعاصر ص ٢١٨.

(٦٥) أحمد لطفي السيد - مؤلف حسين فوزي النجار ص ٢٦٢/العلمانية/سفر الحوالي ص ٦٠٧.

(٦٦) أنور الجندي - العالم الإسلامي ص ٣٣٨.

والجامعة الأمريكية في بيروت معروفة الأهداف والمرامي(٦٧).

كان التعليم الحديث علمانيا منذ البداية ، وتعدى الأمر المناهج إلى أسلوب التربية وفلسفة السلوك فقد طبق الاختلاط بين الذكور والإناث في معظم جامعات العالم الإسلامي ، وأدخلت التقاليد الغربية المنافية للإسلام في صلب النظام الجامعي ، أو شيدت في إطاره معاهد عليا للرقص والتمثيل والنحت والموسيقى باسم براق ـ الفنون الجميلة ـ فقد قال قاسم أمين : « لعل أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة ـ التمثيل والتصوير والموسيقى »(٦٨). وقد أصبح في مصر وفي غيرها من أقطار العالم الإسلامي جيوشا من هؤلاء فماذا كانت النتيجة ؟!

وأدخلت أنظمة التعليم الإسلامي ـ العلوم ـ بصورتها الغربية المعادية للدين دون تفريق بين دين ودين ، صحيح أن الاستعمار فرض تلك الأنظمة فرضا ولكنها لاتزال بعد رحيله كما كانت أو أشد بل أنها لتطبق في بلاد لم تطأها لمستعمر قدم كتركيا. ودخلت الأفكار الغربية في هذه المناهج:

فالفرويدية تجدها مقررة في أقسام علم النفس في الجامعات قاطبة على أساس أنها نظرية علمية. وإن لم يذكر فرويد.

والداروينية ، تدرسها مناهج العالم الإسلامي على أنها حقيقة علمية في مواد كثيرة كالأحياء والتاريخ الطبيعي وعلم الأرض سواء ذكر داروين أو لم يذكر.

وفي أقسام الاجتماعيات تدرس نظرية دوركهايم بل يدرس علم الاجتماع بأكمله على المنهج الغربي المبني على أساس لاديني.

وفي أقسام الكيمياء والفيزياء والفلك والطب ... إلخ تدرس مناهج محشوة بايحاءات فلسفية أو وثنية ، في العبارات المسمومة مثل : المادة لاتفنى ولاتستحدث. خلقت الطبيعة هكذا... هيأت الطبيعة.

وكذلك تعمد المناهج إلى تفسير الزلازل والبراكين وسقوط النجوم والكسوف تفسيرا ماديا صرفا ـ فكل المناهج تتصف بالطابع المادي.

وأما المقررات الأدبية البحتة فنجد أنها فاقت المقررات العلمية ، فصيغ

---

(٦٧) التبشير والاستعمار ص ٩٥ ـ ١٠٩.

(٦٨) كتاب (قاسم أمين) ـ ماهر حسن فهمي ـ ص ٣٩.

التاريخ(٦٩) في قالب غربي مقسم إلى ثلاثة عصور كبرى :

العصور القديمة ، والعصور الوسطى ، والعصور الحديثة.

وكلها تبين أهمية الحضارة الأوربية وتغفل الحضارة الإسلامية المميزة. كما تخفي هذه المناهج الاستعمار الأوربي وخاصة في العالم الإسلامي. والعالم الجديد. وتظهر الأوربيين بمظهر رسل الحضارة ، وأهل الفكر والعلم. وأن الحضارة الأوربية هي خلاصة الحضارات وأهمها ، ولاتتقدم الأمم إلا باحتذائها ، وأخذها.

كما حشيت مقررات التاريخ بدسائس المستشرقين وسموم المبشرين وكتبت بأسلوب شديد التأثير بالأساليب الغربية التي تفسر التاريخ تفسيرا ماديا أو فلسفيا خاصا أو اقتصاديا ، وكتب التاريخ الإسلامي على شكل سلسلة عنيفة من الصراعات والدسائس والفتن وأغفلت الدعوة الإسلامية تماما ، ودور المسلمين في الرقي البشري ، وماقدمته الحضارة الإسلامية في انتشال الأمم من وهدة الجهل والإنحطاط والجاهلية.

ونجد في كتب التاريخ إحياء الثغرات الإقليمية الجاهلية وعرضها من زواياها البراقة التي تغري باعتناقها والإعتزاز بها والإهتمام بمعرفته كما حدث بالنسبة لتاريخ الفراعنة والأشوريين والسومريين والبابليين والفنيقيين والكنعانيين وغيرهم .. وأخطر من هذا أن المناهج تقوم بنصب مثل عليا جديدة أمام أجيال المتعلمين المسلمين فتعرض لهم تاريخ أوربا وحياة أبطالها وعلمائها ومذاهبها الفلسفية والاجتماعية ونظرياتها العلمية بطريقة لامعة جذابة ليتم استقطاب المسلمين عن دينهم بإحدى الطريقتين(٧٠) :

أ- الاعتزاز بما قبل الإسلام وفي هذا فرقتهم وتباعدهم.

ب- طريق الفناء في الحضارة الغازية وفي هذا محوهم وردتهم ، وحتى مادة المطالعة فكأنما هي ملخص موجز للغزو الثقافي الغربي إذ تحوي موضوعات منوعة

---

(٦٩) لقد دعا الإسلام إلى الوعي بالتاريخ الماضي والقائم جميعا وصولا إلى الحتمية الوحيدة وهي الحياة الآخرة ، التي تكون هذه الحياة الدنيا منطلقها ومجالها العملي وتكون هي المقر الأخير بالحساب والجزاء ، ومن هنا فإن للإنسان دوره في صناعة التاريخ وبناء المجتمعات وإنشاء الحضارة وله أيضا مسئوليته عن الوجهة التي يتجه إليها في هذا العمل. (الجندي التحديات - ص ٩٦).
وللتاريخ الإسلامي عصوره : ماقبل الإسلام - الجاهلية - وعصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ، وعصر الدولة الأموية ، وعصر الدولة العباسية ، وعصر الدولة العثمانية .. ويتصل تاريخ الإسلام برسالة الأنبياء السابقين وتاريخهم!

(٧٠) فتح الله ص ٧١.

يجمعها الإعجاب بالغرب وتمجيد حضارته ورجالها والإقليمية والطبقية ، وتخلو من التصورات الإسلامية والقيم الإيمانية إلا قليلا.

٦ـ استيراد المذاهب اللادينية في الفكر والأدب :

كان من أخطر الأدوات العصرية التي اعتمد أعداء الإسلام عليها **الصحافة** باعتبارها أكثر شيوعا وأبعد تأثيرا سواء كانت محلية أو مستوردة مجلوبة من وراء البحار والحدود ، تحمل للمسلمين قيما جديدة وتحفل بضروب من الأفكار المخربة وأحاديث الجنس الفاضحة والصور العارية والقصص البذيئة والمقالات والبحوث التي تتناول كثيرا من المقدسات بالنقد والتجريح في غير ما حرج(٧١).

وليس من قبيل الصدف أن تنشأ الصحافة في بلاد الإسلام على يد **النصارى** ففي مصر قلب العالم الإسلامي نشأت الصحافة على يد الموارنة النصارى ، فدار الأهرام لآل تقلا ، ودار الهلال لآل زيدان ، ودار المقطم لآل صروف. وازدهرت هذه بحماية الحراب الانجليزية ، وعاثت فسادا وتشويها لكل القيم في ظل الاحتلال(٧٢).

يقول جب : « وللوصول إلى هذا التطور البعيد.. يجب ألا ينحصر الاعتماد على التعليم في المدارس ـ بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفا إلى خلق رأي عام والسبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة ». ثم يقول : « الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلامي »(٧٣).

وبالصحافة سارت النهضة الفكرية والأدبية الحديثة مسارا غريبا حتى آل الأمر إلى الواقع الفكري والأدبي المعاصر ، فنقلت الداروينية والفرويدية إلى مجال الأدب بطريق الترجمة أولا ثم الدراسة المستفيضة ، كما استورد المسلمون المذاهب الفكرية الحديثة مثل الإلحاد والشك واللاأدرية واللامعقول .. فعملوا بذلك على تفريغ الكلمة العربية والحرف العربي من مدلوله ومعناه باسم الرمزية وباسم العقل الباطن وباسم القاموس الخاص بالمفكر أو الأديب(٧٤) وتعرض الأدب إلى ظاهرة التقسيم والتجزيء.

---

(٧١) فتح الله ص ٨٤.

(٧٢) انظر : محمد قطب ـ واقعنا المعاصر ص ٢٣٨-٢٤٢.

(٧٣) انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ص ٢٠٣-٢٠٥ عن وجهة الإسلام.

(٧٤) د. عدنان زرزور ـ قضية ورأي ـ الشرق الأوسط ص ١٥السبت ١٩٨٥/١٠/٢٦م.

وكان من ضمن القائمين بهذه الحركة إسماعيل حمد أدهم (ت عام ١٣٥٣هـ/١٩٤٠م) وهو مستعرب من أصل مزيج تركي روسي ، كان على صلة بالاستشراق الروسي. وجاء إلى مصر من تركيا بعد إعلان العلمانية وحاول نشر الإلحاد فيها : فألف رسالة صغيرة عنونها : لماذا أنا ملحد؟ وطبعها في مطبعة التعاون بالاسكندرية بين فيها أنه من جماعة : المجمع الشرقي لنشر الإلحاد(٧٥).

وأما إسماعيل مظهر (ت١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) فقد ركز على فكرة الدراونية والأصل الحيواني للإنسان(٧٦) في مقالاته فيقول بخبث وتلاعب بالألفاظ :

« اكتفت الأديان بالقول بأن الغاية من خلق الإنسان والجن هي أن يعبدوا الله، فكرة حسنة ولكنها غير صحيحة(٧٧) ، إذ لو صح هذا ، إذن لاعتقد بجانبه بأن الله في حاجة لأن يعبده الإنس والجن! ولظهر النظام الكوني في مجموعه بمظهر شيء ما ، خلق ليعضد الحياة الإنسانية التي يجب أن تسخر لعبادة الله ، وهذا في معتقدي أبعد الأشياء عن أن يكون الغاية من وجود الإنسان »(٧٨).

وتحرر منصور فهمي (ت عام١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) في أطروحته : (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها بإشراف المستشرق اليهودي ليفي برول) من الإلتزام بحقيقة الوحي في تفسير سلوك النبي ﷺ وعلاقاته وتشريعاته(٧٩).

وطرح الشيخ علي عبد الرازق قضية العلمانية لأول مرة في صميم الفكر الإسلامي في كتابه الإسلام وأصول الحكم ، ولاترجع خطورة الكتاب لدقته في البحث ، فالكتاب يمتاز بجمال أسلوبه أكثر من امتيازه بالتزام المنهج العلمي ، فهو يعتمد على المستشرقين فيما لايوثق بهم فيه ، ويفرط تفريطا ظاهرا في الرجوع إلى المصادر العربية الأصيلة على كثرتها وأهميتها وتوافرها(٨٠). ويكثر من وضع الفرضيات

---

(٧٥) العلمانية ـ سفر ـ ص ٦١٣.

(٧٦) انظر نفسه ص ٦١٤.

(٧٧) مخالفة صريحة لقوله سبحانه وتعالى ﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

(٧٨) العلمانية ـ سفر ـ ص ٦١٤.

(٧٩) الجندي ـ العالم الإسلامي ص ٣٤٣/د.محمد جابر الأنصاري تحولات الفكر ص ٢١ والأطروحة بالفرنسية سنة ١٩١٣م ولم تترجم للعربية.

(٨٠) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٨٥.

والشيخ علي خريج أزهري وقاضي شرعي. أصدر كتابه ١٩٢٥م بعد أن أصدرت الحركة العلمانية الكمالية كتيبا برزت فيه لجوءها إلى العلمنة ببعض المبررات المستمدة من مباديء الإسلام ذاته. د. الأنصاري ص ٢١.

التي تنقلب بعد قليل عنده إلى نظريات مسلمة ، وهو جريء وعنيف في مصادمة عواطف الناس وفي تحدي مشاعرهم وفي التشكيك الساخر أحيانا ـ فيما تطمئن إليه نفوسهم دون أن يقدم الأدلة القوية الواضحة على مايذهب إليه. وقد صدر الكتاب في ظروف إسلامية حرجة بعد سقوط الخلافة العثمانية. وخطورة الكتاب في الواقع تكمن أنه استند لأول مرة في التاريخ الفكري الإسلامي لتبرير العلمانية ضمن إطار الإيمان الديني ذاته وليس من منطلق العلمانية الخالصة المنافية للدين. وفي هذا تكمن خطورة أفكاره.

كما أصدر الدكتور طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م مستخدما منهج الشك الديكارتي والنقد التاريخي الأوربي في غربلة الروايات والنصوص الدينية بما في ذلك آيات القرآن الكريم. وهنا تكمن خطورة هذا الكتاب وليس في مجرد تشكيكه بمصادر الشعر الجاهلي. ومن هذا المنطلق كان طه حسين يؤكد وقتها أن العلم في ناحية والدين في ناحية أخرى وأن التوفيق بينهما محال(٨١).

واستمرت أفكار الغرب المنحرفة تظهر في الأدب العربي من إسماعيل مظهر إلى لطفي السيد ومنصور فهمي وأمين الخولي وطه حسين إلى صادق جلال العظم(٨٢) ، تخفى بعضهم تحت أقنعة البحث العلمي أو التمذهب الأدبي حتى لايصدم مشاعر المسلمين فتنصرف عن إنتاجه وبعضهم هاجم مشاعر المسلمين وعقيدتهم بكل جرأة وصراحة ، كما سبق ، بل أن بعض الأدباء في محاضراتهم وكتاباتهم زيفوا التاريخ ووضعوه في إطار عجيب من الأفكار المتناقضة المنحرفة كجورجي زيدان في رواياته عن تاريخ الإسلام. والدكتور لويس عوض المستشار الثقافي للأهرام إذ جعل ـ في محاضراته بمعهد الدراسات العربية ـ المعلم يعقوب العميل الذي استغله المحتل الفرنسي في غزو نابليون مصر بداية القومية المصرية والكفاح القومي ، وهو نفسه الذي كون فيلقا لضرب الشعب المصري وتحطيم ثورته ونهب أمواله. كما يعتبر الحملة الفرنسية هي بداية تاريخ مصر القومي وتحريرها(٨٣) ، ويشيد الدكتور عوض بمحاكمة الفرنسيين لسليمان الحلبي قاتل كليبر ، ويفسر الصراع أثناء الحملة الفرنسية بأنه بين قوتين أجنبيتين : الفرنسيون

(٨١) انظر/ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر ـ نقض الشعر الجاهلي لطه حسين.

(٨٢) في كتابه نقد الفكر الديني ـ انظر: الميداني ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم. والعظم صاحب الكتاب الخطير «نقد الفكر الديني».

(٨٣) كشك ـ الغزو الفكري ص ١٣٢، انظر الجبرتي ج٣ ص١٥.

والأتراك. الأول يحمل مباديء الثورة الفرنسية ويسعى لإيقاظ القومية المصرية ، والثاني يختص بكل الموبقات والصفات الكريهة.

كما وضع السيد عمر مكرم ومحمد الكريم والمحروقي وحسن طوبار وسليمان الحلبي في كفة والجنرال يعقوب وفرط الرمان في كفة أخرى على قدم المساواة بل يفضل من كان في جانب فرنسا لأنهم يمثلون حسب رأيه الجانب الأفضل لأنهم كانوا مع التطور .. مع التاريخ .. مع بعث القومية.. فيعقوب هو حامل بذور القومية المصرية.. ويستحق أن يوضع كما يقول الدكتور : مع محمد علي وعلي بك الكبير وعبد الناصر لأنهم كانوا جميعا أدوات في يد هذا الشعب العظيم(٨٤) !!.

وفي المسرحيات تمسخ القيم والمباديء ففي مسرحية لعبد الرحمن الشرقاوي مثلا :

لم يذكر من أهداف المقاتلين الجزائريين شيئا من الإسلام والعروبة - بل يعري الثورة الجزائرية من حقيقتها حين يصر على أن أهدافها : الحرية - الإخاء - الأمن والحب - وحياة أفضل - بل ويجعل البطلة الفرنسية العاهرة سيمون هي بطلة القصة - مات زوجها في الهند الصينية فجاءت إلى الجزائر لتقوم بأهم عمل ثوري في المسرحية - وتنشد هذه : من أجل فرنسا ماأصنع ! وتتعانق مع هند الجزائرية.

ويشتد في المسرحية الحرص المبالغ فيه على كرامة فرنسا وشرفها ، وإظهار الحنان المسيحي من الفرنسيين - أما الإسلام فلا شيء في حياة الثورة الجزائرية. إلا للجواسيس والمجانين.

والمسرحية تحجب طبيعة الحرب الصليبية التي تشنها فرنسا ممثلة الغرب الصليبي ضد الثورة الإسلامية الجزائرية وجهادها(٨٥).

وظهرت أيضا الأفكار الغربية المنحرفة عند الشعراء وخاصة شعراء العراق كالرصافي والزهاوي.

فامتلأ ديوان جميل صدقي الزهاوي (ت عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦) بالأفكار الإلحادية التي لاتخرج في جملتها عن نظرية دارون فمن رباعياته :

ما نحن إلا أقرد من نسل قرد هالك
فخر لنا ارتقاؤها في سلم المدارك

(٨٤) نفسه.

(٨٥) انظر نفسه ص ٨٧-١٢٣.

ويتأثر بنظرية هيجل الأثيرية في قوله :

ولعـــل الأثير في كل أرض وسماء كالله في التـــأثير
ولعل الذاتين واحدة في الأصل والخلف جاء في التعـــبير

وكان من نتيجة شيوع هذه الأفكار في الفكر والشعر والصحافة التمهيد لانتشار الأفكار المادية ولاسيما الشيوعية وتغذيتها بروح الشك العام في كل شيء تقريبا حتى أصبح الشباب المتعلم في العالم الإسلامي فريسة الشكوك القاتلة والوساوس الشيطانية فانتظم كثير منهم في صفوف المنظمات اليسارية أو القومية وغيرهما من الأحزاب اللادينية لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت الاشتراكية موضة العصر كما يقولون.

فبعد نجاح الثورة البلشفية في روسيا عام **١٩١٧م/١٣٣٦هـ** تحولت للاهتمام بالشرق وأسست الأممية الثالثة عام **١٩١٩م/١٣٣٨هـ** وهو التاريخ الذي اتخذ منه اليساري اللبناني يوسف يزبك تقويما جديدا محل التاريخين الميلادي والهجري. وقد انحصرت الأفكار الشيوعية قبل ذلك في نطاق العلمانيين النصارى ، ثم بدأت تتسلل في أوساط المتعلمين المسلمين على نطاق ضيق أولا فقام الكاتب المصري مصطفى حسنين المنصوري (**ت عام ١٩٤٦م/١٣٤٨هـ**) بتأليف كتابه : تاريخ المذاهب الاشتراكية ليصبح بهذا العمل أول اشتراكي مسلم في العالم العربي. وتأسس الحزب الاشتراكي المصري عام **١٩٢٠م/١٣٣٩هـ. وترجم خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري البيان الشيوعي عام ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ.**

وبدأت أفكار القومية تغزو المسلمين بمفهوم علماني على أيدي النصارى أولا إلى أن تبناها ساطع الحصري (**١٨٨٠-١٩٦٨م/١٢٩٨-١٣٨٨هـ**) الذي أنكر أن يكون الدين عنصرا في القومية(٨٦) ، وتكونت الأحزاب ذات الأفكار المستوردة كالحزب القومي السوري عام **١٩٣٢م/١٣٥١هـ وتبلور حزب البعث عام ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ.**

وساهمت المذاهب الأدبية مع المذاهب الفكرية في انزلاق المسلمين إلى التردي الفكري فالرومانسية وجدت لها صدى في روايات جرجي زيدان التي شوه فيها التاريخ الإسلامي ليحاكي الرومانسيين الانجليز ، وترجمت أعمال معظم أدباء أوربا المشهورين من شكسبير إلى تولستوي ومع أن بعضها روائع إنسانية فقد كان

(٨٦) حلوري د. مجيد - الاتجاهات السياسية في العالم العربي - الترجمة العربية ص ٢٠٨.

الاتجاه الإباحي هو الطاغي على الترجمات كما في أعمال الكسندر دوماس وأميل زولا وأناتول فرانس. وظل الاتجاه الإباحي يسيطر على حركة الترجمة تقريبا تحت ستار الواقعية حتى الحرب العالمية الثانية. ثم ظهرت أصداء اللامعقول على أثر نضوجها في الغرب حينذاك. كما ظهرت الكتابة الأسطورية التي اتخذها سارتروكامو أسلوب التعبير عن فلسفة الضياع والعبث ، إلا أنهما استخدما أساطير اليونان ، أما العرب أمثال طه حسين (في على هامش السيرة وعلي وبنوه) وتوفيق الحكيم (في أهل الكهف وزينب ...) فقد استخدموا التاريخ الإسلامي والقصص القرآني.

وقد أسهمت وسائل الإعلام ـ من صحافة وتلفزيون وإذاعة ومسرح التي يدير معظمها أناس علمانيون ـ اسهاما قويا في تنمية الاتجاه الإباحي في الفكر وتعميمه وبالتالي في هبوط الأدب أسلوبا ومضمونا كما في كتابات إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وشيعتهما نثرا ، وأعمال نزار قباني وزمرته شعرا.

وظهرت شعارات علمانية تطالب بفصل الأدب عن الدين بل عن الأخلاق ، فنجد شعارات : الفن للفن ، الأدب غير الملتزم ، والأدب للشعب ، والأدب للواقع.. ومن الذين نادوا بفصل الأدب عن القيم الدينية سلامة موسى.

وكما برزت الوجودية(٨٧) في انتاج أنيس منصور والماركسية في كتابات نجيب محفوظ ، برز الاتجاه الضائع الناهج نهج اللامعقول في شعر : بدر شاكر السياب العراقي والشاعر اللبناني الملقب أدونيس واسمه الأصلي أحمد سعيد علي والذي تنصر.

والاتجاه إلى اللامعقول لم يفض إلى الثورة على الأدب الأصيل في مضمونه ومحتواه بل تعداه إلى الشكل والأسلوب فظهر مايسمى بالشعر الحر الذي بدأه باكثير وبدر شاكر السياب بترجمة الشعر الأوربي إلى عربية منثورة ، بعد الحرب العالمية الثانية في الوقت الذي كان يتسلل فيه إلى العالم العربي صراخ وعويل من ركام أوربا شعرا ونثرا وقصصا ملأى بالثورة والنقمة والشبق وبكل مايدهش ويثير.

ومن الذين اشتهروا بهذا الشعر نزار سليم وحسين مروان وبلندر الحيدري وعبد الوهاب البياتي ورفعت الجادرجي وحسين مروان في العراق ونزار قباني في الشام

(٨٧) انظر زيارة سارتر وعشيقته سيمون إلى مصر / الغزالي ـ الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص ٣٦-٣٧.

ومحمود درويش في فلسطين المحتلة.

وفيما يلي قطعة من هذا الشعر تبين انسلاخ الشاعر من عقيدته وموطنه ، والقطعة للشاعر محمد الفيتوري يقول فيها:

نار خطايانا
تسيل في حنايانا
فلنتكيء على عظام موتانا
ولنصمت الآنا
برج كنيسة قديمة وراهب قلق
وغيمة تشد قدميها وتعبر الأفق
ورجل بلا عنق ...
وامرأة على الرصيف تنزلق
وقطة في أسفل السلم تختنق
وصوت ناقوس يدق
يرسم دورة على الفضاء ، ويدق

يقول الشيخ محمد الغزالي : بعد أن أورد هذا الشعر... ودعك من أضغاث الأحلام التي ينقلك إلى جوها هذا الكلام المفكك ، ودعك من تقطع الروابط العقلية بين هذه الألفاظ المتصيدة فهي كما قيل : سمك ، لبن ، تمر هندي..

ولكن الشيء الذي لاتدعه والذي يثير انتباهك حتما هو جراثيم الاستعمار الثقافي أوالغزو الصليبي(٨٨) الذي سيطر على هذا الشاعر الهائم ، فهو في القاهرة المدينة المعروفة بشمسها الزاهية ، ومآذنها السامقة وصبغتها الإسلامية الأولى ، ولكن التبعية الفكرية والنفسية الغالبة على هذا الشخص التائه جعلته لايرى إلا الغيوم وأبراج الكنائس والرهبان القلقين ورنين النواقيس وكأنه في لندن أو روما لافي مصر(٨٩).

---

(٨٨) كانت فرنسا قد عملت لمدينة الجزائر شعارا انتشر في العالم كله بواسطة الطابع البريدي الذي رسم عليه صليب ضخم في السماء منتصرا على هلال صغير منكس فوق البحر. يشير بذلك إلى انتصار الصليبية على الإسلام (عمار أوزيحان ـ الجهاد الأفضل ص ٢٩-٣٠).

(٨٩) الغزالي ـ حصاد الغرور ص ١٩٤-١٩٥ / وانظر مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص ٩٧-١٠٦.

وقد لجأ بعض الأدباء إلى الغوص ، بهدف تسميم أفكار الشباب باسم الحداثة التي أحيطت بهالة إعلامية كبيرة. وهي مذهب فكري غربي ، تلت الرمزية في الظهور ، ووجد هذا المذهب من يدعو إليه في عالم الإسلام ،

ويدعو إلى تغيير وظيفة اللغة الوضعية بإيجاد علاقات لغوية جديدة تشير إلى مواضع لم تعهدها من قبل ... وتغيير وظيفة الحواس من طريق اللغة الشعرية بحيث لايستطيع القارىء أو السامع أن يجد المعنى الواضح المعهود في الشعر الرمزي ، بما يحويه من تمرد الشعر على التراث ، وعلى الماضي ، وقطع أية صلة له مع المباديء الأخلاقية والدينية...

ومن هؤلاء الكتاب : أدونيس المنظر الفكري الأول للمحدثين العرب ، وصاحب كتاب (الثابت والمتحول) الذي وصفه بعضهم بأنه انجيل الحداثيين. وقد ركز فيه على رموز الإلحاد والزندقة وأهل البدع في التراث ، واعتبرهم أهل المعاناة في سبيل حرية الفكر وتجاوز السائد.

ومنهم محمد جبر الحربي ، ومحمد التبيتي ، وعبد العزيز المقالح ، والبياتي ، وصلاح عبد الصبور ، وحسين مروة الأب الروحي للحزب الشيوعي اللبناني والذي قتل يوم ١٤٠٧/٨/١٠هـ في لبنان ، وعبد الله العروي ، ومحمد عابد الجابري ، وأمل دنقل ، وبدر شاكر السياب ، ومحمود درويش ، وأحمد الربيعي ، وقاسم حداد. وغيرهم.

واستبعد الحداثيون العرب الدين من معاييرهم وموازينهم، إلا أن يكون ضمن مايسمونه بالخرافة والأسطورة. فهم يسعون من خلال الغموض إلى إنشاء وإيجاد واقع فكري جديد منفصل ومقطوع عن واقع الأمة الفكري ، وعن ماضيها العلمي والعقلي والأدبي ، في الشكل والمضمون. فهم يحطمون الإطار العام للغة العربية لتحويلها مع الزمن - من خلال استبدال مفرداتها وتراكيبها ومعارفها - إلى لغة جديدة لا صلة لها باللغة العربية الفصحى المعروفة ، تماما كما حصل للاتينية التي تحولت بهذه الطريقة إلى لغات متعددة.

وقصائد أهل الحداثة وكتاباتهم لاتخلو من الحط من الدين ، والنيل من الرسول الكريم ﷺ ، والحط من القرآن الكريم ، والتاريخ. ومن نشر الرذيلة ، وسوء الخلق ، والترويج للأفكار الهدامة. كما في قصائد من ذكرنا من أسماء(٩٠).

(٩٠) انظر كتاب الحداثة في ميزان الإسلام - لعوض بن محمد القرني.
تقديم الشيخ عبد العزيز بن باز. وانظر : جريدة المدينة - الملحق الأدبي ١٤٠٧/٨/١٧هـ.

إن ماوصل إليه حرب الفكر هذا أكبر وأشد من القتل لأنها فتنت أجيالا متتابعة من المسلمين ولاتزال - فتنة عارمة وتركتهم على الردة الصامتة البالغة غاية الفكر حين دثروها لهم بثوب زور ودلسوها عليهم باسم التقدم والحضارة ثم بلغت الغفلة غاية مداها حين قابل المسلمون ذلك بالإقبال وكان خليقا أن يستثير فيهم عزائم النزال(٩١) والجهاد.

ورغم هذه الأعراض الفكرية التي غلبت على واقع المسلمين اليوم ، إلا أن الفكر الإسلامي الأصيل بقي حيا وشق طريقه في أوساط الأمة بأصالته حتى اضطر أصحاب الأباطيل أن يغيروا وأن يبدلوا في أساليبهم بل أن ينحنوا في كثير من الأوقات أو أن يتراجعوا عن أفكارهم(٩٢).

---

(٩١) فتح الله ص ٣٠.

(٩٢) مثل **طه حسين** الذي انحنى وغير أساليبه مرارا أمام الفكر الإسلامي. **ومحمد حسين هيكل** (ت١٩٥٦م/١٣٧٦هـ) الذي طرح مفهوماته في الأدب الفرعوني وترجم أبحاثا عن النظرية الوضعية لأوغست كونت وألف كتابا عن حياة روسو وشرح فكرته عن الدين الطبيعي - عاد وكتب حياة محمد ولي نزل الوحي وقال في زيارته للمدينة المنورة : « لقد كنا نطلب العلم في باريس فرأت علينا شوائب الغرب ولما عدنا إلى أرضنا وقرأنا تراثنا جاءت العودة وقراءة التراث ورائحة التراب تردنا ، كانت ثقافة الغرب كالرمال غطت الحجر الصلب .. وعودتنا كالريح أزالت الرمال عن قلوبنا ، فإذا الحجر الصلب قلوبنا في مكانها (من مقال بقلم محمد حسين زيدان بعنوان : الدكتور محمد حسين هيكل في ذاكرة الأزهر / الشرق الأوسط ص ١٣ الأحد ٢ ذي الحجة سنة ١٤٠٥هـ ١٨/٨/١٩٨٥م).

والدكتور **مصطفى محمود** الذي كتب بعنوان لمعة تحرق مقالا تحدث فيه عن دور الصدفة في حياة الإنسان وعلاقتها بالتخطيط وتكلم عن الكولوا التي أصابت مصر ، وتابع فيها الرواية الانجليزية للسخرية من الحج والحجاج المسلمين وزمزم .. (انظر كشك أساليب الغزو الفكري ص ٤٧).

عاد إلى الإسلام وفي رحلة العودة غرق في التصوف ومتاهات الباطنية (انظر كتابه - القرآن - محاولة لفهم عصري - دار الشروق - بيروت مايو (آيار) ١٩٧٠م).

الداروينية في تفسيره (ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) ص ٧٣.

والشجرة - ص ٨٠.

وفكرته عن الجنة والجحيم ص ٨٦. وانظر عن المتصوف والراهب واليوجي ص ١٣٢-١٣٣.

وخالد محمد خالد : صاحب كتاب (هذا أوالطوفان) وكتاب (الديمقراطية أبدا). انتقل إلى الكتابات الإسلامية - (رجال حول الرسول) .. ومقالاته في جريدة المسلمون.

الفصـــل الثاني
واقع العالم الإســـلامي
من الناحيـة الإجتماعيـــة

يستحيل على الإنسان أن ينفرد بنفسه انفرادا تاما وفي هذا آية من آيات الخالق المبدع جل جلاله ، فحاجته إلى غيره حاجة العضو إلى العضو والخلية إلى الخلية فالاجتماع تعبير عن غريزة مستكنة في أعماق نفس الإنسان.

والجماعة صفة لازمة من صفاته ، وإذا وجدت الجماعة وجدت الصلات بين أفراد هذه الجماعة ، وقد نظم الإسلام سلوك الناس والنظام هوالعنصر الثالث في سنة بناء المجتمع ، فلابد إذن أن يتوفر في المجتمع : أفراد وصلات اجتماعية يحددها العرف المتبع وأنظمة تضبط سلوك الأفراد وتبيح لهم الانطلاق في ميدان وتكبح جماح انطلاقهم في ميدان آخر. وينبثق عن كل ذلك سلطة يفترض احترامها(١) ولابد من الإدراك المتبادل والشعور بالإنتماء إلى هيئة واحدة وهذا الشعور لايتم إلا بوجود مبدأ يصدر عنه أفراد الجماعة وعقيدة يشترك جميع الأفراد في احترامها والحفاظ عليها والدفاع عنها وهذه العقيدة المشتركة هي العنصر الرابع في بناء المجتمع وهي أعظم العناصر السابقة أهمية وأكبرها خطرا ذلك أنها تتحكم فيها كلها وتوجهها جميعها الوجهة التي ترضاها ، فهي التي تحدد الصلات الاجتماعية وهي التي ترسم نهج السلوك ، وهي التي تضع قواعد المجتمع وتقيم نظمه وتهدي إلى مثله(٢).

والمجتمع الإسلامي هو ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة وقوانينه السماوية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة ويتوجهون إلى قبلة واحدة ولهذا المجتمع وإن تكّون من أقوام متعددة وألسنة متباينة خصائص مشتركة وأعراف عامة وعادات موحدة(٣) ففيه مقومات المجتمع القوي المتماسك ، بطابع واضح متميز فلو أن إنسانا سار في العالم الإسلامي وتنقل في تطوافه من مدينة جاكرتا متجها إلى أقصى الغرب حتى بلغ مدينة طنجة ومر في مسيرته هذه على مختلف البلاد الواقعة على محور جاكرتا ـ طنجة لوجد ظاهرات

(١) د. محمد أمين المصري ـ المجتمع الإسلامي ـ ص ١٢-١٤.

(٢) نفسه ص ١٦.

(٣) نفسه ص ١٧.

اجتماعية تكاد تسيطر على هذه البلاد جميعها(٤).

فقد جاء الإسلام بتربية الإنسان تربية فطرية سليمة فأقام بناءه على تقوى الله ونظر إلى الكون والإنسان والحياة نظرة كلية شاملة لجميع نواحيها ، وأعطى تفسيرا مقنعا لما قبل الحياة ومابعد الحياة ، وتظهر هذه النظرة الكلية بوضوح في :

١- أن الإسلام جاء لجميع البشر : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾(٥).

٢- اهتم الإسلام بالناحية المادية والروحية في حياة الإنسان ، واهتم بالحياة الدنيا والآخرة. ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا** ﴾(٦).

٣- اهتم بالإنسان كفرد وعضو في مجتمع ، كما اهتم بالمجتمع(٧).

ورسم الإسلام مثلا أعلى غير ذلك المثل الأعلى للجاهلية فالشجاعة والمروءة التي لاحد لها ، والكرم إلى حد الإسراف ، والولاء التام للقبيلة ، والثأر ، قام الإسلام بوضع قيم أسمى منها : فالخضوع لله والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه والتحلي بالصبر بما يحمله من معنى الشجاعة وضبط النفس وتحمل المشاق في سبيل بلوغ الهدف وإخضاع المنافع الشخصية لأوامر الله ، والقناعة وعدم التفاخر بالتكاثر بالأموال والأولاد ، وتجنب الكبر والعظمة(٨). كل ذلك من مقومات الشخصية المسلمة المتميزة المتوازنة فأقام بذلك نظاما إسلاميا يتصل بجميع نواحي حياة الإنسان وتنبع قيمه من التقوى والإيمان بهذه القيم باعتبارها جزءا من العقيدة التي تنظم حياة الفرد والمجتمع ، وفي ظل هذا النظام يكون سلوك الإنسان صادقا ونابعا من الإيمان بصحة مايقول أو يفعل على أساس أن السلوك السوي يؤدي إلى مرضاة الله ويؤدي في الوقت نفسه إلى سعادة المجتمع ، وقوله وسلوكه مع الناس ومعرفة قدر نفسه ، فيوجد التوازن في النفس والمجتمع ويبتعد عن الازدواجية المقيتة.

ومن القيم الاجتماعية التي بثها الإسلام قيم المساواة والحق والعدل والرحمة

(٤) نفسه ص ٣٣.

(٥) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٦) سورة القصص الآية ٧٧.

(٧) وبذلك يتميز الإسلام عن الاشتراكية التي تهتم بالمجتمع دون الفرد وتنظر إلى الفرد كسن في دولاب ، ففاية المجتمع تبرر الوسيلة . وعن الرأسمالية التي تهتم بالفرد دون المجتمع. ولامانع لهذا الفرد أن يستعمل كافة الأساليب للوصول إلى أهدافه - فالغاية تبرر الوسيلة.

(٨) انظر ماقاله جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لنجاشي الحبشة / ابن هشام ج١ص ٣٣٦.

والأمانة والإحسان والبر والوفاء وحسن الصلة في المجتمع ، وأقر قيما سلوكية تفصيلية تؤدي إلى التوازن الاجتماعي والاستقرار النفسي كالاستئذان في دخول الأبواب ، وتأدية التحية ، والقول الحسن ، وعدم السخرية من الآخرين ، وحث على تحمل المسئولية.

ولن يعوزنا بالتدليل على كل ذلك من كتاب وسنة فأينما توجهت تجد الدليل ، وتاريخ المجتمع الإسلامي العملي يثبت ذلك. ويكفي في هذه العجالة الأدلة السريعة الآتية :

قال تعالى : ﴿ **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾(٩).

وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾(١٠).

وقال تعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾(١١).

وقال تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾(١٢).

وقال تعالى : ﴿ **إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾(١٣).

وقال ﷺ :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »(١٤).

وقال عليه الصلاة والسلام : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »(١٥).

وقال « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »(١٦).

وجعل ﷺ : المجتمع في تكافله وتضامنه وعمق مسئوليته : « مثل قوم استهموا

---

(٩) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(١٠) سورة الحجرات الآية ١٠.

(١١) سورة الحشر الآية ٩.

(١٢) سورة التوبة الآية ٧١.

(١٣) سورة الحجرات الآية ١٣.

(١٤) متفق عليه / البخاري ـ أدب ٢٧، مسلم بر ٦٦، ٦٧.

(١٥) أخرجه الطبراني في الأوسط ، والحديث ضعيف / انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني مجلد١ ص ٣٢١ رقم ٣١٠.

(١٦) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.

في سفينة »(١٧).

ومن هنا جاء وصف الأمة الإسلامية (خير أمة أخرجت للناس) وأنها (أمة الوسط) قال تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾(١٨).

وقد بقي المجتمع الإسلامي سليما قويا ، (وللمسلم حرمة كبيرة) يقول عمر ابن الخطاب وهو يوصي أحد قادته بالجيش : وأن رجلا أحب إلي من مائة ألف دينار(١٩). ويقول : « وتالله لمسلم أحب إلى مما حوت الروم »(٢٠) عندما استأذنه معاوية في غزو الروم بحرا.

وفي زمن عمر بن عبد العزيز تجمع الزكاة فلا يجد المسلمون من يأخذها(٢١) ، وفي زمن المهدي العباسي لاتجد سائلا(٢٢) في أرجاء الدولة..

وفي ظل المسلمين في الهند تفتح المطاعم المجانية لجميع سكان الهند الهنادكة والمسلمين عند حدوث المجاعات فتمر المجاعات دون حدوث هزات إجتماعية!.

نعم بقي المجتمع الإسلامي قويا إلى أن تضافرت العوامل الكثيرة كما سبق عليه ، فلجأ إلى العزلة وأصابه الجمود ، والجمود كما سبق وقلنا ، نوع من أنواع المحافظة على الذات ، وأصيب كنتيجة حتمية للفقر والمرض والجهل في أخلاقه وتقاليده وعاداته ، فغلبت عليه الأعراف الجاهلية والعادات المستحدثة على الأخلاق الإسلامية الأصيلة ، غير أن الناس بحكم العاطفة الإسلامية الموروثة ، وبما جبلوا عليه من الغيرة على فضائل الخلق ، كانوا ينسبون كل قيم وموازين وأعراف مجتمعهم للدين ، أو على الأقل يلتمسون لها فيه أصولا ، ورسخ ذلك الإنحراف المتمسح بالدين حتى أصبح هو الواقع المألوف الذي كان لدى الناس استعداد للوقوف في وجه من يحاول تغييره سواء أكان مجددا إسلاميا مخلصا أو متجددا مفسدا أجنبيا ، وظهرت محاولات إسلامية جادة مخلصة للنهوض بهذا المجتمع على أسس إسلامية صحيحة مثل : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والدعوة السنوسية وجمعية العلماء في الجزائر والسلفية في المغرب المرتبطة بابن حنبل وابن تيمية وحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب على حد تعبير العلامة علال

(١٧) رواه البخاري والترمذي وأحمد.

(١٨) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(١٩) الطبراني ج٤ ص ٢٥٤ / البداية ج٧ ص ١١٩.

(٢٠) الطبري ج٤ ص ٢٩٠.

(٢١) فقد أغنى عمر الناس ـ تاريخ الخلفاء ص ٢٣٥.

(٢٢) الكامل ج٥ ص ٧٣.

الفاسي(٢٣) ودعوة السرهندي والدهلوي في الهند ، وحركة شركة إسلام ومجلس العلماء والجمعية المحمدية في أندونيسيا ، وحركة عثمان دنفديو ، وحركة أحمدو بللو في إفريقيا الوسطى والغربية وحركة الإخوان المسلمين في مصر. وغيرها من الحركات على اتساع ساحة العالم الإسلامي ، وقد أحدثت هذه الحركات بالفعل تغيرات اجتماعية وتحولات نحو الإسلام ، ولكنها جاءت في عهد أعاصير هبت على هذا المجتمع وأصابته بشدة حين تم خضوع بلاد الإسلام للإستعمار الغربي ، فلم تستطع أن ترد المجتمع الإسلامي إلى أسسه ، فأصابته أعاصير التحلل وسادته الأفكار المتناقضة والازدواجيات في كل أمور الحياة.

فقد شرع المستعمرون في بلاد المسلمين في تنفيذ خطتهم التي كانت ترمي إلى أمرين أساسين(٢٤) :

أولهما : إنشاء جيل متجانس لهم في ثقافتهم ليسهل عليهم الاتصال به والتفاهم معه(٢٥).

والثاني : وهو أخطر الأمرين جميعا أن تخلو الأجيال المقبلة من الدين ومن الثقافة الإسلامية ومن الحمية الإسلامية.

وكان لابد لبلوغ هذه الأهداف من إحداث انقلاب جذري في حياة المسلمين يصادم المنهاج الإسلامي في جملته الأساسية بحراسة الجيوش المستعمرة وعلى يد من ربتهم على منهاجها من أهل البلاد.

بدأ احتكاك المجتمع الإسلامي المنحرف عن الإسلام بالمجتمع الغربي الشارد عن الدين في القرن التاسع عشر الميلادي ، ومنذ اللحظة الأولى أحس الغرب ـ المغرور بتقدمه المادي ـ بتفوقه الاجتماعي على العالم الإسلامي الذي لاشك أنه كان لديه من الفضائل مايفتقده الغرب ، لكن نظرة الغالب إلى المغلوب لاتسمح بالرؤية الصحيحة عادة لاسيما والروح الصليبية الحاقدة كانت من ورائها. وبالمقابل أحس المجتمع الإسلامي بالانبهار القاتل واستشعر النقص المرير ولم يتردد الغربيون(٢٦)

---

(٢٣) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص ٢٨٨.

(٢٤) فتح الله ص ٦١.

(٢٥) انظر قول اللورد لويد في حفل فكتوريا بالاسكندرية ـ أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ـ ص ٣٣٨. ورأي جب ـ الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٠٣ـ٢٠٥. ورأي برنارد لويس في كتابه الغرب والشرق.

(٢٦) انظر رأي كرومر في الإسلام ـ الاتجاهات الوطنية ص ٢٥٩ـ٢٦٢.

ومن آرائه : « أن الإسلام ناجح كعقيدة ودين ولكنه فاشل كنظام اجتماعي فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي ـ ولكنه مع ذلك أبدي لايسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني ».

في القول بأن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام ، فقد استمدوا ذلك من الوهم الذي كان يسيطر على أولئك بأنهم مسلمون حقا . وهكذا كان الطريق مفتوحا لمهاجمة القيم الإسلامية وتدمير مقومات المجتمع من خلال مهاجمة ذلك الواقع المتخلف الذي لايمثل الإسلام ، وكان النموذج الغربي المشاهد الذي فصل الأخلاق عن الدين يزيد الأمر قوة ووضوحا. وقد جهد الاحتلال الأجنبي بشتى الطرق حتى تمكن من تحطيم مظلة الأعراف الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية ، فانطلقت تسري في أوصالها كل موبقات الحضارة الأوربية حتى وصلت في ظل الاحتلال إلى مرحلة الشيوع والإستعلان ، ثم إلى مرتبة الإستقرار والاستحسان ، ثم إلى درجة الشرعية التي تحميها القوانين الوافدة. ودخل في روع المغلوبين الإنحلال والفساد من ضرورات التحضر والمدنية في جوانبها الصحيحة(٢٧). وقد ظهر هذا الإنحلال في البداية في السلوك الفردي ، فانحرف الناس عن نهج الدين واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية ، فأقبل كثير منهم على الخمور والفجور والقمار والربا ونحو ذلك ، ثم دب دبيب التهاون في الدين فتناول العبادات والعقائد وغيرها من أنواع الإنحلال ، فتكاسل الناس عن أداء العبادات وانتشرت في الجو ضروب من الفلسفة والمذاهب الضالة ، واستمالت الشباب وغير الشباب وصارت العلاقة الجنسية والنزعة الإباحية الشغل الشاغل للسينما وكثير من المجلات والصحف ابتغاء وفرة الربح والدخل ، فانحرف الشباب وفسدت روابط الأسرة ثم عم السيل وطم وانهارت الفضائل الاقتصادية والاجتماعية(٢٨) فشهد العالم الإسلامي موجة في التغيير الاجتماعي دعيت : **التغريب** : وهو تغيير قيم الأمة ومثلها أي تغيير عقيدتها وثقافتها وأخلاقها ، وبعبارة أوضح إبعاد المسلمين عن دينهم باسم المدنية أو التطور أو التقدم. وقد بدأ التغريب في العالم الإسلامي على يد المستعمرين ومؤسساتهم التبشيرية والاستشراقية أي بالإرساليات. ولكنه وفق الأسلوب الجديد أصبح على أيدي المسلمين أنفسهم من تلاميذ المستشرقين والمبتعثين ، يساعدهم في تنفيذ هذا المخطط بعض الحكام من المسلمين وقد اتخذ هذا خطة استراتيجية بعيدة المدى حتى لاتحس الأمة الإسلامية بالهدف البعيد ، بل قد تحس بالأسلوب الذي يجري فيه التغيير وكأن هذا التغيير يحدث تلقائيا ، في مجال الأخلاق والعادات والتقاليد تحت قناع التطور والمدنية والتقدم ومسايرة روح العصر مستخدما وسائل الإعلام

---

(٢٧) فجع الله ص ٦٣.

(٢٨) نفسه ص ٦٤ عن الدكتور إبراهيم اللبان ـ رسالة التربية الدينية التي يحتاج إليها العالم الإسلامي ـ نشرتها مجلة الأزهر.

المختلفة المسندة إلى غير المتمسكين بالدين. وانعكس هذا التأثير رمزيا في تغيير اللباس ، وارتداء الزي الغربي ، الذي بدأ في القرن التاسع عشر في صفوف الجيش بأمر عسكري ، ثم كان بعد ذلك في قطاع الموظفين المدنيين بأمر حكومي أيضا ، وأخيرا عم اللباس بين المتعلمين من أبناء المدن من غير الرسميين عن طريق العدوى والمحاكاة والتقليد(٢٩). وقد استوردت الأفكار الأوربية مع السلاح والزي(٣٠).

ومن أجل عدم اصطدام الأفكار الجديدة بمشاعر المسلمين يقوم بالاعداد لها والتخطيط جيش من المبشرين الذين درسوا العالم الإسلامي من جميع جوانبه ونواحيه ، وخبراء في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ ، فضلا عن أجهزة المخابرات والإحصاء المختلفة ، فاستغلوا في سبيل مآربهم كل وسيلة من العلم والطب والسياسة والحياة الاجتماعية ومن الثقافة والأدب واللغة ليسلبوا الإسلام كل مناحي الشخصية وكل أسباب الحياة(٣١) ، لتخرج أفكارهم تحمل شعارات العلمانية والقومية وتحرير المرأة.

وقد أدرك هؤلاء أن لابد لإحداث التغيير الاجتماعي المطلوب من اقتحام حصون المسلمين ـ اقتحام بيوتهم ـ باسم تحرير المرأة الذي سنوليه اهتماما خاصا ، لأنه أهم مظاهر التغيير الاجتماعي وعنه تنشأ كافة الأمزاض الإجتماعية. وقبل ذلك نلخص الآثار التي تركها الاستعمار في العالم الإسلامي من الناحية الاجتماعية لتتضح الصورة. فقد عمل الاستعمار على إضعاف معنويات المسلمين وأفكارهم وتجهيلهم وتحطيم كيانهم الإجتماعي بأن :

١ـ شجع الإستعمار قيام نظام طبقي ، أساسه وجود فئة من الإقطاعيين والإحتكاريين يستأثرون بالثروة ، على غرار النظام الاقطاعي في أوربا في العصور الوسطى ، وباقي الناس في ذل وفقر وجهل ـ بمعنى آخر أوجد ـ التفاوت الطبقي الكبير ـ الذي لم يعرفه المسلمون في تاريخهم. ووجد أدوات من الطبقتين ـ الغنية والفقيرة. الغنية المتسلقة والفقيرة المحتاجة فأصبحت علاقات المجتمع عدائية بدل الحب والتعاون والتكافل في المجتمع الإسلامي.

٢ـ جعل بعض البلاد مرتعا خصبا للأجانب ، بأن شجع الأوربيين على النزوح إلى البلاد بما فيهم اليهود ، والاستيطان فيها ، واعتبرهم طبقة أرستقراطية أجنبية

---

(٢٩) برنارد لويس ـ الغرب والشرق ص ٤٩.

(٣٠) نفسه ص ٥٠.

(٣١) التبشير والاستعمار ص ٢١٧.

لامانع إطلاقا من أن تستعبد غيرها وتسخرهم لخدمتها ، وبجانبها طفيليات تعيش على فتاتها من أفراد المجتمع الإسلامي تسخرهم لأغراضها ، كما حصل في الجزائر وأندونيسيا والهند الإسلامية وموروو وتركستان والشاشان وأقطار أفريقيا.

٣- عمل على نشر الأمراض والعادات الاجتماعية السيئة في البلدان الإسلامية فعلم الناس : النفاق ، وفقدان الثقة بالنفس ، وعدم تحمل المسئولية ، وأشاع فيهم بأساليبه : روح الخوف والجبن من الحاكم ، والتشكيك في أعمال الغير ، ونشر فيهم عادات مرذولة زاعما أنها من مميزات المدنية والتقدم مثل : تعاطي الخمر ولعب القمار والإباحية والسفور والخلاعة ، والاستخفاف بكل ماهو إسلامي على اعتبار أنه قديم وبالي ورجعي ، والتباهي بكل ماهو أوروبي على اعتبار أنه حديث وتقدمي.

وأما أهم ميدان اقتحمه المستعمر وكان له الأثر البعيد في التغير الاجتماعي الإسلامي فهو **فكرة تحرير المرأة** :

كرم الإسلام المرأة ونظر إليها على أنها عرض يجب أن يصان ، وكرمها أما وزوجة وأختا وابنة ورحما. وخصها بأشياء تلائم طبيعتها الأنثوية تكريما لها لا انتقاصا ، وزادت حقوقها أحيانا كثيرة عن حقوق الرجل. فالرجل مكلف بالنفقة عليها غنيا كان أو فقيرا ، والمرأة غير مكلفة بالنفقة على الرجل ولو كانت غنية وهو فقير .. ثم جاء عصر الجمود فتأخر فيه المجتمع الإسلامي كله لا المرأة وحدها. وفي ظل هذا التخلف نفذت سهام القوى المضادة للإسلام إلى المسلمين بحجة تحرير المرأة ، وقد بدأت هذه السهام تنفذ منذ حملة نابليون على مصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/١٧٩٨-١٨٠١م)(٣٢) وبالإرساليات الأجنبية ، ولكن حركة الابتعاث إلى أوربا (كانت أهم من كل من ذلك) زمن محمد علي باشا والي مصر ، وكان من أشهر المبتعثين الأوائل من المسلمين الشيخ **محمد رفاعة الطهطاوي** الذي يعد كذلك من رواد الإصلاح ، هذا الشيخ كتب كتابا عن مدينة باريس - الذهب الإبريز في أخبار باريس - وصف فيه لأبناء أمته الحياة الإجتماعية في فرنسا آنذاك تعرض فيه لوصف النوادي والمراقص ظهر فيه :

---

(٣٢) وكان نابليون قد استصحب في حملته على مصر عددا من البغايا (الموسمات) تحدث عنهن الجبرتي في تاريخه. وقد أعددن يسرن في شوارع القاهرة حاسرات متخلعات ، يثرن الفتنة ، وينشرن الفاحشة ، ويغرين بعض النساء الساقطات بتقليدهن... (انظر عجائب الآثار للجبرتي ج٢ص ٢٣١، ص ٢٤٤-٢٤٥، ٢٥١ ، ٢٧٢-٢٧٣ ، ٣٠٢ ، ٤٣٦-٤٣٧).

١- أن الأخلاق ليست مرتبطة بالدين ، وهي فكرة انقدحت في ذهن الشيخ لكنه لم يستطع أن يعبر عنها بجلاء فهاهو المجتمع الفرنسي يمارس ألوان الدياثة التي لايرضاها الإسلام طبعا ، ولكنها مع ذلك ليست خارجة عن قوانين الحياء ، ولايشم منها الشيخ رائحة العفن بل هي معدودة في باب الأدب ، وقد نمت هذه الفكرة بعد ذلك وترعرعت حتى قال **قاسم أمين** بصراحة : إن الحجاب وسيلة لستر الفواحش وإن التبرج دليل على الشرف والبراءة - ومن ثم فلا علاقة بين الدين والأخلاق-.

٢- إن المجتمع الغربي الديوث يكرم المرأة ويحترمها ، وفي المقابل نرى المجتمع الإسلامي يحافظ على العرض لكنه يحتقر المرأة - حسب الواقع المنحرف آنذاك - وبذلك نصل إلى المفهوم الذي وجد في أوربا نفسه وهو أن حقوق المرأة مرتبطة بتحررها من الدين ، فما لم ينبذ الدين فلن تحصل على الحقوق.

وقريب من قصد رفاعة ماقصده **أحمد فارس الشدياق** إذ وصف بأسلوبه المقامي الخاص الحياة الغربية ووضع المرأة فيها في كتابه (الساق على الساق).وهكذا وجدت البذرة الأولى لما سمي (قضية المرأة)(٣٣).

وكان أهم ماظهر في هذا الموضوع كتابين لقاسم أمين(٣٤) الذي اقترن اسمه من بعد بلقب (محرر المرأة) وهما (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة). طبع الأول سنة **١٣١٧هـ/١٨٩٩م**. والثاني سنة **١٣١٨هـ/١٩٠٠م**.

ففي كتابه تحرير المرأة تناول أربع مسائل وهي الحجاب واشتغال المرأة بالشئون العامة وتعدد الزوجات والطلاق ، وذهب في كل مسألة من هذه المسائل مايطابق مذهب الغربيين زاعما أن ذلك هو مذهب الإسلام(٣٥). والكتاب موجه لخدمة فكرة معينة يحاول المؤلف أن يسخّر النصوص لخدمتها لذلك جاء مملوءا بالمغالطات ، سواء كان ذلك في تفسير الآيات القرآنية أم في النصوص التاريخية والفقهية ، أو الأدلة العقلية. وقد أثار كتابه موجة من المعارضة أكثرها مقالات صحفية(٣٦). جعلته ينزوي في بيته خوفا ، ولكن سعد زغلول شجعه ، ووعده

(٣٣) العلمانية - سفر - ص ٦٢٦.

(٣٤) وقاسم أمين نشأ في أسرة تركية مصرية ، اتصف بالذكاء ، وحصل على ليسانس الحقوق الفرنسية من القاهرة ، وهو في العشرين من عمره. فخلفه الفرنسيون ، وابتعثوه إلى فرنسا ، فعاد إلى مصر بفكر جديد وبعقل جديد ، ووجهة جديدة !!

(٣٥) الاتجاهات الوطنية ص ٢٩٤.

(٣٦) نفسه ج١ ص ٣٠٢.

بالحماية ، فكشف عن أهدافه الحقيقية في الكتاب الثاني (المرأة الجديدة) الذي بدأ فيه أثر الحضارة الغربية واضحا. فالتزم فيه مناهج البحث الأوربية الحديثة التي ترفض كل المسلّمات والعقائد السابقة سواء منها ماجاء من طريق الدين وماجاء من غير طريقه ولاتقبل إلا مايقوم عليه دليل من التجربة أو الواقع ، وهو مايسمونه (الأسلوب العلمي)(٣٧). وقارن فيه بين الحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية ، ورجح الحضارة اليونانية والرومانية على الحضارة الإسلامية(٣٨). ثم يدعو في آخر كتابه دعوة صريحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية فيقول :

« هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه ، وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها ـ إذا أتى ذلك الحين ـ ونرجو أن لايكون بعيدا ـ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح مافي أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة ، ...»(٣٩).

وقد طبق ذلك في بيته فأحضر لابنتيه مربيتين ـ إحداهما فرنسية والأخرى إنجليزية(٤٠).

والواقع أن قاسم أمين لم يدع قط إلى اختلاط المرأة بالرجال ومزاقصتهم ، ولم يدع قط إلى أن تتجاوز كشف النقاب إلى الكشف عن الأذرع والسوق والصدور والظهور. ولم يدع قط إلى اتخاذ الملابس الضيقة التي لاتخفي عورات الجسم إلا لتبرز مواضع الفتنة والإغراء منها. ولكن قاسم أمين وإن لم يدع إلى شيء من ذلك ، هو الذي فتح الباب لمثل هذه الدعوات ، وهو الذي خطا الخطوة الأولى في طريق كان لابد أن يسير الناس فيه من بعده خطوات في سرعة غير منتظرة ، فقد خلعت المرأة النقاب ثم استبدلت المعطف الأسود بالحبرة (إزار كانت المرأة تلتحف به إذابرزت للطريق) ثم لم تلبث أن نبذت المعطف وخرجت بالثياب الملونة ، ثم أخذ المقص يتحيف هذه الثياب في الذيول وفي الأكمام وفي الجيوب ولم يزل يجور عليها فيضيقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها، ثم أنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطيء البحر في المصايف بما لايكاد

---

(٣٧) الاتجاهات الوطنية ج١ص ٣٠٢. وانظر كتابه ـ أي قاسم أمين ـ ص ٧٥، ٨٣.

(٣٨) نفسه ج١ص ٣٠٩.

(٣٩) نفسه ج١ص ٣١٠ وانظر كتابه ـ المرأة الجديدة ص ١٩٢-١٩٣. وانظر ص ١٨٠ من هذا الكتاب.

(٤٠) قاسم أمين ص ٧٧ / ماهر حسن فهمي.

يستر شيئا ، و لم تعد عصمة كثير من النساء في أيدي أزواجهن ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس من اليهود ومُشيعي الفجور.

وقطعت المرأة مرحلة التعليم الإبتدائي والثانوي ، واقتحمت الجامعة مزاحمة فيما يلائمها وفيما لايلائمها من ثقافات وصناعات ، وشاركت في الوظائف العامة. ثم لم تقف مطالبها عند حد في الجري وراء ماسماه أنصارها (حقوق المرأة) أو (مساواتها بالرجل) وكأنما كان عبثا أن خلق الله ـ سبحانه ـ الذكر والأنثى وأقام كلا منهما فيما أراد. فامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات ، وحطم النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح وفي الترام وفي كل مكان ، فاختفت المقاعد التي جرت العادة على تخصيصها بعد أن أصبحن يفضلن مشاركة الرجال(٤١) وكانت قضية المرأة من أكبر الموضوعات التي خاضتها الصحافة وكتابها ، ومن أبعدها أثرا في تحويل المجتمع إلى الوجهة التي أرادها دعاة التغريب(٤٢) في أكثر بلاد الإسلام.

وكان من رائدات مايسمى بالحركة النسائية : هدى شعراوي حرم علي شعراوي ، وصفية زغلول حرم سعد زغلول باشا ، وتسمية كل منهما باسم زوجها هو اتباع للتقليد الغربي الذي ينسب المرأة لزوجها بعد زواجها ، وهو مخالف للعرف الإسلامي الذي يجعل للمرأة شخصيتها المستقلة. والأولى هي ابنة مصطفى فهمي باشا أشهر أصدقاء الانجليز من رؤساء الوزارات المصريين في عهد الاحتلال ، والثانية هي بنت سلطان باشا وهو من كبار الضباط المصريين الذين تعاونوا مع الاحتلال الانجليزي(٤٣).

وقد خرجتا ومعهما الفتاة اليهودية (فورتينيه ليفي) مع ٣٠٠ متظاهرة أثناء وقوف الشعب المصري للمطالبة بحقوقه بشجاعة عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م فمزقن الحجاب وأحرقنه في ميدان عام وبدين سافرات أمام كتائب الجيش الانجليزي فكان هذا أعظم إسهام منهن في الثورة!!(٤٤) بل وتجرأت هدى شعراوي على مالم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل ، فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شئون المرأة ، وأخذت تلقي بالتصريحات والأحاديث لمندوبي الصحف(٤٥). كما اتخذت

(٤١) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٤٩.

(٤٢) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ص ١٤٧ ، وقرارات مؤتمر لكنو التبشيري عام ١٩١٣م.

(٤٣) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٥٠ / الحاشية.

(٤٤) انظر قصيدة حافظ إبراهيم في وصف المظاهرة منهكما ـ الاتجاهات الوطنية ج٢ص ٨٧./ وانظر المجلة العدد ٢٨٦ص٢٥.

(٤٥) الاتجاهات الوطنية ج٢ص ٢٥١. وانظر محمد قطب ـ واقعنا المعاصر ص ٢٥٧ ـ ٢٦١.

من بيتها صالونا تقابل فيه الرجال سافرة وفي غير وجود محرم.

وتكتب صحيفة السياسة الأسبوعية مقالا عن فتاة تركيا سنة **١٣٤٥هـ/١٩٢٦م** ، تصف فيه سفر باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضا عاما في رحلة على نفقة الحكومة ، تنتقل بين موانيء أوربا الشهيرة ، تقل خمسا وعشرين فتاة تركية جميلة ، مقصوصات الشعور لايكاد يميزهن الرائي من فتيات لندن وباريس .. ونشر مراسل الصحيفة ماصرحت به إحداهن :

« إن المرأة التركية اليوم حرة ، وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجليزيات. نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأمريكية ونرقص وندخن ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا »(٤٦).

وصحيفة المقتطف تكتب مقالا تثني على مصطفى كمال وتقرنه بواشنطن زاعمة أنه أكبر زعيم معاصر .. وتشيد بالتطور الاجتماعي الذي طرأ على تركيا بسفور النساء واشتراكهن في المجتمعات مع الرجال ومشاركتهن الشبان في الدراسات الجامعية(٤٧).

وفي المجال التعليمي حرص لطفي السيد والدكتور طه حسين وأتباعهما على أن يكون التعليم مختلطا في الجامعة فيه الذكور والإناث ، واشتد الصراع في الجامعة من أجل ذلك وقد رفع بعض طلبة الكليات إلتماسا إلى مديرها وعمدائها سنة **١٣٥٦هـ/١٩٣٧م** يطلبون فيه إدخال التعليم الديني في الجامعة ، كما يطلبون الفصل بين الطلبة والطالبات. وكتب الرافعي ـ شيطان وشيطانة ـ ردا على طه حسين وسهير القلماوي ، كما كتب مقالا حيا فيه طلبة الجامعة الذين رفضوا الاختلاط(٤٨). ولكن الانتصار كان لدعاة الاختلاط بالطبع لوقوف السلطات إلى جانبهم.

واستمرت المعركة مسعورة ، فسلامة موسى يغرق في الوهم والخيال حتى جعل وضع المرأة هو المسئول عن مشكلات مصر من أولها إلى آخرها(٤٩).

وإسماعيل مظهر جمع شبهاته القديمة وآراء غيره ونسقها في كتاب أسماه (المرأة

---

(٤٦) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٥٥ـ٢٥٦ عن السياسة الأسبوعية عدد ١٧يوليو ١٩٢٦م.

(٤٧) نفسه عن المقتطف عدد إبريل ـ نيسان ١٩٢٦م ص ٤١٠ـ٤١٣.

(٤٨) نفسه ج٢ص ٢٦١/وانظر وحي القلم ج٣ ص ١٨٤ـ١٨٨ تحت عنوان قنبلة بالبارود لا بالماء القطر ، وص ١٨٩ـ١٩٧ تحت عنوان شيطان وشيطانة.

(٤٩) العلمانية ـ سفر ـ ص ٦٣٧/ عن الأدب للشعب ص ٦٦ـ٦٧.

في عصر الديمقراطية) وفيه(٥٠) :

« لقد اتخذ الرجعيون الذين يرهبون التطور فرقا من أوهام سلطت عليهم أو رغبة في بسط سلطانهم على النساء ... من بضعة نصوص أشير بها إلى حالات قامت في عصور غابرة سبيلا إلى استعباد النساء استعبادا أبديا ، لقد حضت المرأة في ذلك العصر على أن تقر في بيتها وأن لاتتبرج تبرج الجاهلية الأولى » ويقول :

« فلما جاء الإسلام - عطف إلى ناحية المرأة فاعتبرها نصف إنسان وأضفى عليها من الكرامة والاحترام ذلك القدر الذي لايزال حتى الآن موضع انبهار كل المشترعين ... غير أن خمسة عشر قرنا من الزمان كافية في الواقع لأن تهيء العقلية الإنسانية إلى خطوات أخرى في التشريع للمرأة ».

وتلاه خالد محمد خالد في كتابه : (الديمقراطية أبدا) : وكان حظ المرأة من ديمقراطيته شيئين(٥١) :

١- حق المرأة في وقف تعدد الزوجات.

٢- تأميم الطلاق على حد تعبيره.

وعد حسين مؤنس الحجاب الإسلامي العائق الأكبر في سبيل انتماء مصر للغرب ذلك أنه ربطها بالمجتمعات الشرقية المتخلفة في حين أن المرأة المصرية كالمرأة الأوروبية الحديثة سواء بسواء وحضارتهما واحدة(٥٢).

بل بعد أن تحقق السفور والاختلاط وسار شوطا نرى كاتبا هو إبراهيم المصري يقول : « الاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلابد أن ينهض الشيطان بينهما وينفث في نفسيهما سموم الرذيلة والشر ، هذا هو سر تأخرنا. وهو من بقايا عصور الجهل والخوف والظلام »(٥٣). وفي عهد السادات أصدر قانون الأحوال الشخصية بتأثير من زوجه جيهان. في الوقت الذي بدأ المؤشر ينحرف في اتجاه الإسلام. فاعتبرت جيهان نفسها مكملة لدور هدى شعراوي وزميلاتها(٥٤).

---

(٥٠) ص ١١٨.

(٥١) انظر كتابه ص ١٦٤-١٦٥.

(٥٢) انظر مصر ورسالتها ص ٥١-٥٢.

(٥٣) الهلال عدد أول يناير ١٩٣٨م ، ٢٩ شوال ١٣٥٦هـ ص ٢٦٨-٢٧٢ (مقال : بعد السفور. وانظر طعنه في الحديث الشريف : « ماالتجمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » ، ولاعليه فهو نصراني ولكن اللوم كل اللوم على المسلمين / انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٢٦١.

(٥٤) انظر مجلة المجتمع العدد ٨٨٨ ص ٢٨-٢٩.

وصدر سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٩م في تركيا قانون مدني على غرار قانون نوشاتيل المدني السويسري ، فحرم تعدد الزوجات ، وقضى على الحجاب والحريم ونظرة الطلاق ، وفي برهة وجيزة جعل من المرأة التركية شقيقة المرأة السويسرية وصنوها(٥٥).

فأصبحت المرأة التركية ترتدي أثواب السهرة العارية الكتفين والظهر كما لاتحجم عن ارتداء المايوه... ومامن أحد يشكو من التفكك الخلقي.

ومن مصر وتركيا إمتد تأثير المعركة بالصحافة إلى البلاد العربية والإسلامية ، فيقول الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي داعيا إلى خلع الحجاب(٥٦) :

هزأوا بالبنات والأمهات ... وأهانوا الزوجات والأخوات
هكذا المسلمون في كل صقع ... حجبوا للجهالة المسلمات
إن هذا الحجاب في كل أرض ... ضرر للفتيان والفتيات

وتأخرت الدعوة في الشام عن مصر فأول كتاب يتحدث عنها صدر سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، بعد وفاة قاسم بعشرين سنة ، وهو الكتاب الذي ألفته ـ أوألف باسم ـ (نظيرة زين الدين) بعنوان (السفور والحجاب). وقد قرظه علي عبد الرازق صاحب (الإسلام وأصول الحكم)(٥٧).

وكتب الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته بعنوان :

(إمتهان الفضيلة يوم الاحتفال بالجلاء في سوريا)(٥٨) : شهدت يوم الجلاء بنات السادسة عشرة وما فوقها يمشين في العرض بادية أفخاذهن تهتز نهودهن في صدورهن تكاد تأكلهن النظرات الفاسقة ... وشهدت بنتا جميلة زينت بأبهى الحلل وألبست لباس عروس وركبت السيارة المكشوفة وسط الشباب. قالوا : إنها رمز الوحدة العربية.

وأخذت صور هذا كله ونشرت في الجرائد وعرضت في السينمات ، فازدادت جرأة الناس على نقض عرى الأخلاق ، حتى رأينا صور ناس من كبارنا مع نسائهم عراة على البحر منشورة في المجلات. قالوا : إنه يوم النصر يجوز فيه مالا

---

(٥٥) العلمانية ص ١٤٢ عن الإسلام والغرب ص ١٨١.

(٥٦) العلمانية ص ٦٣٠ / عن ديوان الزهاوي ص ٣١٩.

(٥٧) العلمانية ص ٦٣٠.

(٥٨) من ذكريات الشيخ الطنطاوي / نشرت في مجلة الرسالة سنة ١٩٤٦م ، والشرق الأوسط العدد ٢٣٤٠ ص ١٠ الخميس ٥ شعبان سنة ١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٥/٤/٢٥م.

يجوز في غيره... ».

وكانت **تونس** أسبق بلاد المغرب إلى دعوة السفور فقد كتب الطاهر الحداد كتابه عام **١٣٤٩هـ/١٩٣٠م** : (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) وفي الإمكان أخذ نموذج لتأييد فكرته من المحاولة الفنية التي اشترك فيها محمود بيرم شاعرا وعلى الدعاجي راسما. فقد قام الشاعر يؤرخ للمراحل التي قطعتها المرأة التونسية قبل أن تلقي الحجاب وذلك من ستة عشر بيتا جسمت كل رباعية منها مرحلة من مراحل تطور الحجاب أبرز معانيها ووضحها علي الدعاجي بأربعة رسوم ظهرت فيها المرأة في وضعيات متباينة(٥٩).

هذا وقد نشرت مجلة العربي في استطلاع لها عن تونس صورة للوحات الدعاية المنصوبة في الشوارع ، فلوحة تمثل أسرة ترتدي الزي المحتشم وعليها إشارة (X) وأخرى تمثل أسرة متفرنجة متبرجة.

والغريب أن القوانين التونسية تعاقب من يتزوج ثانية بالحلال وتبريء من يخادن بالحرام(٦٠).

وفي **المغرب الأقصى** تمكن العهد الاستقلالي من أن يحقق في بضع سنوات مالم يستطعه الاستعمار في عشرات السنين في هذا الميدان.

وفي **الجزائر** أوحت الثورة للنساء بالكفاح فخرجت العذارى المحاربات من بيوتهن ونزعن الحجاب لأول مرة منذ أن اعتنقت بلادهن الإسلام ، وكذلك في فلسطين ، وأريتريا.

وبنجاح فكرة (تحرير المرأة) عمت الفوضى الأخلاقية معظم أقطار العالم الإسلامي على تفاوت في ذلك ، وتولى الجيل الذي رباه المستعمرون تربية جيل جديد تقبل الإنحلال وتآلفه ، وحوربت أحكام الله على يد أبطال الإستقلال أكثر مما حوربت بأيدي المستعمرين - جيل (على حد تعبير الشيخ الغزالي(٦١))«يستحي من الانتساب للإسلام ، ويكره أن يرى وهو يقوم بشيء من شعائره ، يحب أن يراه الناس خارجا من حانة ولايحب أن يروه خارجا من مسجد ، ومن السهل

(٥٩) العلمانية ص ٦٣١-٦٣٢ ، انظر مجلة الفكر - تونس. ديسمبر ١٩٧٥م عدد خاص عن المرأة في عام المرأة.

(٦٠) العلمانية ص ٦٤٣.

وقد تحدث قصي صالح الدرويش في كتابه (يحدث في تونس) بما يدمي القلب ألما وحسرة على وضع المرأة المسلمة في تونس.

(٦١) كفاح دين ص ١٤٧.

عليه أن يوصف بأنه زنى بعشرة نسوة لكن وجهه يسود لو قيل : تزوج من اثنتين ، أما أن يفكر في تلاوة آيات من القرآن أو يرجع إلى شيء من سنة رسول الله ﷺ فذلك لايخطر له ببال».

وهكذا ظل الناعقون يصيحون في كل مكان ويسلكون كل اتجاه ـ فكريا أم علميا ـ حتى آل الأمر إلى الواقع المؤلم الذي عبر عنه أوفى تعبير (جان بول زو) بقوله :

« إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ويقلب رأسا على عقب المجتمع الإسلامي لايبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة »(٦٢).

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك : تيسر استخدام وسائل منع الحمل وانتاجها على نطاق واسع أكثر بكثير من حاجة البشرية ، وتخفيض أسعارها ، حتى تصبح في متناول أي فتاة تريد الحصول عليه ، وإخراجها من دائرة المراقبة وبيعها دون حاجة إلى تذكرة الطبيب ، وحينما تأمن الفتاة نتائج اتصالاتها غير الشرعية فما الذي يمنعها من أن تسير فيها إلى آخر المدى ، وهكذا يتمكن الشياطين من إشاعة الفاحشة على أوسع نطاق(٦٣).

والسلاح الفتاك الذي استخدم لتقويض المجتمعات الإسلامية ونقل الأوبئة الاجتماعية الغربية هو **وسائل الاعلام** من صحافة وإذاعة وسينما وتلفزيون وفيديو ، إلى جانب ذلك يأتي التعليم المختلط ، والنوادي المختلطة ، والشواطيء (البلاجات) المختلطة ، وتأتي الأزياء الخليعة المستوردة من بيوت اليهود في الغرب وخاصة باريس. وتأتي موانع الحمل ووسائل الاجهاض ، إلى جانب ذلك يكون الاختلاط الفاضح في دوائر الحكومة والمؤسسات وفي وسائل المواصلات وفي الشقق والمساكن وفي كل مكان في معظم أقطار العالم الإسلامي.

فقد افتتحت السينما الأولى بالقاهرة سنة **١٨٩٦م** ، ثم انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي(٦٤) ، وافتتحت الخمارات في كل مكان حتى تغلغلت إلى

(٦٢) الإسلام في الغرب ص ١٧٨.

(٦٣) محمد قطب ـ واقعنا المعاصر ص ٩٧.

(٦٤) من الجدير بالذكر أن اليهود هيمنوا على الأوساط الفنية في مصر منذ زمن بعيد ، فعائلة موصيري هي التي أسست شركة السينما عام ١٩١٥ باسم جوزي فيلم ومنذ عام ١٩٢٩م احتكرت هذه الشركة استيراد الأفلام الخام وبيعها وكذلك طبع الترجمة على الأفلام الأجنبية التي كانت تستوردها ، ثم توسعت الشركة بعد ذلك وأقامت استوديو للانتاج السينمائي. (الإسلام والحركات الهدامة ـ معالي عبد الحميد حمودة ص ٣٩).

الريف ، وفتحت دور البغاء المرخصة من الحكومة في كثير من العواصم الإسلامية ، وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات ، والجهر بها ، باسم الحرية الشخصية(٦٥).

وتحت مختلف دواعي المدنية والترفيه وأمثالها أدخل المستعمرون جيوشا أخبث من جيوش الاحتلال العسكري ، وهي أنواع من الممثلين والممثلات وأمثالهما من البغايا والراقصات ، وشجعوا إنشاء المسارح وفرق الغناء والتمثيل والمراقص والملاهي المتنوعة ، وكانت الأجنبيات أولا ثم الوطنيات من غير المسلمات هن العنصر الأساسي في هذا الغزو ، فشجع ذلك المرأة المسلمة على السفور والتعري والاختلاط الماجن ثم التقليد في كل شيء. ولم يكن هذا تغييرا في القشرة السطحية للمجتمع الإسلامي وإنما كان زلزالا رهيبا ومدمرا ، ينسف بنيان الأخلاق من قواعده ، وكانت نتائجه غاية في السوء من شيوع الزنا والربا والمسكرات والمخدرات والتي أدت إلى تخريب إقتصادي بانتقال الثروة الوطنية تباعا إلى أيدي الأعداء الأجانب من كل لون. وكان جزء كبير ينتقل إليهم عبر المراقص والخمارات وغانيات أوربا أو ساقطاتها(٦٦).

ثم جاءت البلاد الإسلامية التي ادعت الاشتراكية فأنشأت معسكرات الفتوة ، وزودت هذه المعسكرات بمجموعات ضخمة من الفتيات الجميلات ، قاموا بتجنيدهن خصيصا إلى جانب الفتيان العزاب في هذه المعسكرات لإشاعة الإنحلال والفساد بين الشباب.

وقد أفسح المجال عمدا للأقلام المسعورة ، والإيعاز لها وتشجيعها ، بنشر التشكيك في الإسلام وكتابة البحوث والتحقيقات المختلفة التي تشيع البلبلة بين الطلبة والطالبات ، وتشجعهم على الإنحلال والإنفلات من قيود الفضيلة والتحفظ والإحتشام ، وكذلك حطمت الأقلام الإسلامية وروقب أصحابها ، أو خدر أصحابها ، بإرهابهم وتسليط حرب حامية عليهم من حروب الأعصاب. ثم الإيعاز إلى الصحف السيارة المؤممة بأن لاتنشر لهم أي بحث إسلامي تستفيد منه الدعوة الإسلامية الصحيحة. ولاتجد فيها إلا من يروج الإلحاد ويدعو للتحلل(٦٧).

فلا عجب إذا سمعنا عن جرائم إجتماعية في العالم الإسلامي تضاهي تلك التي في أوربا وأمريكا من قتل واختطاف واغتصاب وتشرد. ولا عجب أن تنتشر

(٦٥) الاتجاهات الوطنية ج١ ص ٢٤٤.
(٦٦) بالجميل ـ أكذوبة الاشتراكية العربية ص ٢٠.
(٦٧) نفسه ص ٢٣.

الأمراض الاجتماعية الفتاكة الناشئة عن فقد كل من الجنسين خصائصه المميزة. وليس مانشاهده من تخنث الرجال وترجل النساء إلا صورة من ذلك. ولا عجب أيضا أن تتقوض البيوت وتنهار الأسر ويصبح جنوح الأحداث مشكلة إجتماعية تعاني منها بلاد تسمى بلادا إسلامية. ولا عجب أن نجد الروح الإنهزامية الفارغة المحبة للتقليد والتي من أكبر مكونيها اعلامنا المرئي والمسموع والمكتوب.

إن التربية غير السليمة لايمكن أن تنتج إلا جيلا غير سليم ، وهاهو الجيل المعاصر المنكود تتجاذبه الازدواجيات ، والشهوات والشبهات وتمزقه التناقضات والغوايات وتغتاله النزوات المبهورة والاغراءات القاتلة ، فلا يستطيع لضعف عقيدته إلا أن يسلم نفسه ذليلا لشياطين الجن والإنس ينهشون فكره وجسده ويلهبون ظهره بسياطهم حتى يسقط مشلولا ممزقا على مذبح الإباحية.

فانتشرت ظاهرة تعاطي المخدرات بين الشباب ـ هربا من مشاكل الحياة ـ الذين تتراوح أعمارهم بين **١٨ـ٢٩** سنة ، وازداد تعاطي الهيروين بعد الأفيون والحشيش في مصر بشكل خاص(٦٨) بعد عملية التطبيع مع الكيان الصهيوني بين أثرياء الطبقة الجديدة بعد سياسة الإنفتاح ، وفي أوساط الفنانين والفنانات ثم في أوساط طلاب الجامعة وأولاد الأثرياء وأعضاء النوادي المشهورة ـ فكثرت جرائم القتل والسرقة والتهريب(٦٩) واتخذت بيوت الفنانين والفنانات أوكارا لتعاطيها وتوزيعها(٧٠).

---

(٦٨) انظر : الشرق الأوسط العدد ٢٣٤٠ ص ١٠ الخميس ١٩٨٥/٤/٢٥م ٥ شعبان سنة ١٤٠٥هـ.

بل إن الأدوية التي تصدرها الدوائر الأجنبية للبلاد الإسلامية تحوي مواد كيماوية تؤدي بمن يستعملها إلى الإدمان. فقد أذاع التلفزيون البريطاني ندوة عن كتاب أصدرته الدكتورة ديانا أستاذة الفارماكولوجي بكلية الطب في انجلترا بعنوان **Bitter Pills** أي الأقراص المرة. بينت فيه الدكتورة أن هذه الأدوية مصنوعة أساسا لتصديرها لشعوب العالم الثالث لتخديرهم وتأخيرهم..

ويشبه موقف شركات الأدوية شركات الانتاج الاستهلاكية كشركات الملابس والأطعمة والسجاير.. ولننظر إلى الأدوية التي يزعمون أنها تعيد الشباب أوتقوي الرجال. ٢٪ يستهلك في أوربا و٩٨٪ تستهلك في بلاد المسلمين!!. (الشرق الأوسط العدد ١٦٠١ الأحد ٤ رجب ١٤٠٣هـ/١٩٨٣/٤/١٧م ص ١٠).

(٦٩) الشرق الأوسط ص ٢٠ الاثنين ٧جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥/١/٢٨م.

(٧٠) فعلى سبيل المثال قبض على ماجدة الخطيب وشقيقها لتعاطي المخدرات وتوزيعها. (الشرق الأوسط ص ٢٠ الثلاثاء ٤ محرم ١٤٠٦هـ/١٩٨٥/١٠/٨م ، والشرق الأوسط ص ٢٠ محاكمة ماجدة الخطيب الأربعاء ١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/١٩٨٥/١١/١٣م).

وفي الخليج نشرت المسلمون تقريرا خطيرا عن انتشار المخدرات واستعمال الغراء بديلا عن المخدرات في محاولات لهدم الكيان الجسدي للأمة بعد محاولات هدم الكيان الفكري لها(٧١). وكذلك العقاقير المنشطة والمهلوسة التي تأتي من أوربا(٧٢).

وفي الوقت الذي تحرم فيه إسرائيل بشدة المخدرات داخل المستوطنات تقوم بزراعتها وبيعها للعرب ، فهي لها دور في مزارع المخدرات في جنوب وشمال لبنان ودور في بيعه وترويجه وتهريبه ، قال النائب العام المصري : « إن هناك مخططا إرهابيا لإفساد شباب مصر ، ولذا يجب على الدولة أن تحسم هذا الأمر لأن السياح الإسرائيليين يستغلون تطبيع العلاقات ويقومون بترويج هذه المواد السامة داخل البلاد »(٧٣).

ورغم الانحراف الذي حصل للمجتمع الإسلامي في جميع أقطاره فقد بقي الإسلام ، وبقي علماؤه ينيرون الطريق لهذا المجتمع المنحرف ، وبالفعل بدأ العد العسكي في طريق العودة ، فأصبحنا نلمس هذه العودة في الشباب والشابات بشكل خاص وبدأنا نرى الحجاب يعود إلى بعض المسلمات. ودعوات العودة

---

(٧١) الشرق الأوسط ص ٧ الجمعة ١٩٨٥/٤/٢٦م.

(٧٢) الشرق الأوسط ص ٢٠ الاثنين ١٩٨٥/١/٢٨م.

(٧٣) الشرق الأوسط ص ٢، ١٩٨٥/١٠/٢٦م (شجون عربية).

لاتفتر ولا تهدأ رغم دواعي الانحراف لأن الإسلام هو فطرة الإنسان السليمة(٧٤). وبقيت أمة الإسلام تحمل بذور الخير ، وهذه البذور بحاجة إلى الإستنبات، حيث أن ثوابت بناء الأمة باق والحمد لله وهذه الثوابت القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية.

---

(٧٤) بين الله سبحانه وتعالى معالم السلوك الآدمي أو الوضع الذي يجب على الإنسان فعله بحكم هذه الآدمية ، وعدم الاستجابة تخل بآدميته ويهبط به دركات بعضها دون بعض على قدر تخليه عن تلك الأوامر والنواهي حتى يلتحق بسائر الخلائق الأخرى التي تدب على وجه الأرض. قال تعالى ﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾[الأعراف : ٢٦].

فاللباس الذي يواري السوأة وفوقه الريش الذي يتجمل به الإنسان في لباس البدن أو في مقام الزينة والأثاث ، كل ذلك من أوضاع بني آدم ، كما أن من شأن أحدهم أن يتجمل بلباس التقوى يستر به عورة النفس والروح بعد ستره لسوأة الجسد والبدن ، ذلك من آيات الله في الخلق والتدبير.أما النزع والتجريد وكشف السوآت فأوضاع شيطانية لايصل إليها بنو آدم أو لاينحدرون إليها إلا وقد أصاب الشيطان سوءة في نفوسهم وعقولهم. قال تعالى : ﴿ إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون ﴾[سورة الأعراف الآية ٢٧].

هذه الولاية توحي بعصر سيادة الشيطان وطاعته ونفاذ أمره. ونحن لانشك أن الصرعات العقائدية التي تنطلق في ظل الجنس والمخدرات والإباحية أو التي تطلق لها العنان من عصر الفرويدية التحررية حتى الآن ، أنها تعبد الشيطان بل أن بعض هذه الصرعات التي تعبده حقيقة تعيش في الوقت نفسه أحلام المخدرات وأوهام الجنس وفي مستنقعات العري والتكشف.

وجاء في الدعاء المأثور : « اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واختم بالصالحات آجالنا».

(من الشرق الأوسط ص ١٤ ـ حقيقة ورأي ـ د. عدنان زرزور ١٩٨٥/١١/٢م).

الفصل الثالث
واقع العالم الإسلامي من الناحية السياسية

تخلى العرب والمسلمون عامة عن الدور المنوط بهم في قيادة البشرية وتوجيهها وهدايتها ، فتداعت عليهم الأمم والشعوب لكي يظفر كل بما يريد وهم في جمود وضعف ، ليس من بعده ضعف ، ولقد بدأ الإنحراف في تصرفات بعض الحكام المسلمين قديما ، غير أن نقض عروة الحكم لم يظهر إلا في العصر الحديث حين بلغ المسلمون قرارة الضعف وغاية التدهور ، فقد كان الإسلام طيلة القرون السابقة أعمق في النفوس من أن يستبدل به أي منهج آخر ، وكانت الجاهلية أحقر من أن تطاوله أو تطمع في أبنائه.

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « لينقضنّ الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة يتشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا الحكم وآخرهن نقضا الصلاة »(١).

وقد أدرك الغربيون - التي تولت حضارتهم قيادة الفكر البشري وتوجيه الحضارة الإنسانية - أهمية الحكم في الإسلام فعملوا على إبعاد أحكامه وإلغاء الخلافة - العقد الذي يجمع المسلمين ليتبعثروا بعد ذلك -. كما أن خبراءهم لم يجمعوا في الشئون الإسلامية على شيء مثل إجماعهم على توقع الخطر من جانب الشعوب الإسلامية التي يرون مظاهر اتحادها وطلائع تكتلها حقيقة واقعة يصعب تجنبها ، يجد القاريء هذا الاحساس واضحا في كتاب (حاضر العالم الإسلامي) للوثروب ستودارد(٢). وكتاب المستشرق الهولندي هورجرونيه ، كما يجده في مقال الوزير الفرنسي المشهور (هانوتو) الذي رد عليه محمد عبده في مطلع القرن العشرين(٣). ويجده بشكل أكثر صراحة في كتاب (إلى أين يتجه الإسلام) الذي أشرف على نشره وجمع مواده المستشرق الإنجليزي(هـ.أ. جب) سنة **١٩٣٢م** والذي اشترك في تحريره أساتذة متخصصون في الدراسات الإسلامية والشرقية من جامعات فرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا، وفيه يبرز عطف حكومات الإحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية في الشرق الإسلامي والعربي منه خاصة

---

(١) المسند ج٥ ص ٢٥١ ، والجامع الصغير - صحيح -.

(٢) انظر ص ٢١- ٢٣ من حاضر العالم الإسلامي. وانظر ص ١٢-١٤ الجزء الأول.

(٣) الاتجاهات الوطنية ج١ ص ٣٤٧ ومابعدها.

التي من شأنها تقوية الشعوبية فيها وتعميق الخطوط التي تفرق بين هذه الأوطان الجديدة ، مثل الإهتمام بتدريس التاريخ القديم على الإسلام لتلاميذ المدارس وأخذهم بتقديسه ، والاستعانة على ذلك بالأناشيد ، ومثل ابتداع أعياد محلية غير الأعياد الدينية التي تلتقي قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال بها ، ومثل العناية بتمييز كل من هذه البلاد بزي خاص ولاسيما غطاء الرأس - مما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص ، بعد أن كانت تشترك في كثير من مظاهره(٤). كما قال مستر (بلنت) في كتابه (مستقبل الإسلام) بعد أن أبان أغراض حكومته الانجليزية وأمانيها في مستقبل الإسلام في فاتحة كتابه(٥) :

لاتقنطوا فالدر ينثر عقده ليعود أحسن في النظام وأجملا

(أي أن هدم السلطنة العثمانية لايضر بالمسلمين بل أن هذا العقد العثماني ينثر ليعود عقدا أحسن وأجمل ...)

بقي العالم الإسلامي يمثل كتلة سياسية واحدة رغم ماأصابه من انحراف وجمود ، ورغم ماأصابه من فرقة وتشتت ، يتمسك بمفهوم الولاء والبراء الإسلامي ،ويجمعه رمز الخلافة ، والبيت الحرام. ويطلق على غير المسلمين الكفار ، ولايقبل الخضوع لهم ، بل ويتحداهم رغم ضعفه وهوانه. وكانت قد إبتدأت فيه عوامل اليقظة الفعلية وكان من الممكن أن يستعيد ذاتيته ودوره في التوجيه العالمي وفي قيادة العالم عندما انبثقت من قلب الجزيرة العربية - منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا (القرن الثاني عشر الهجري) - دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بعيدة عن التحديات الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي كله من خلال النفوذ الأجنبي الزاحف ، وهذا ماأعطاها قوتها ومكّن لها وأتاح لها فرصة البقاء والتأثير ، كما زاد من قوتها وأثرها أنها انبعثت في مكان الدعوة الإسلامية ، وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي قاصدين بيت الله الحرام ، ودعوتها إلى التوحيد أقوى علامات المقاومة للاستعمار والنفوذ الغربي والانحرافات في عالم الإسلام بحسبان أن الإسلام دعوة خاصة لاتقر بالعبودية إلا لله وحده ، متخطية جبرية التصوف والتواكل - وقد تحولت هذه الحركة إلى دولة عندما التقى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالإمام محمد بن سعود في الدرعية وتعاهدا على نشر عقيدة التوحيد الخالصة ، وتطبيق شرع الله ، ومن

(٤) انظر الاتجاهات الوطنية ص ١٤٠-١٤٢.

(٥) نفسه ج١ ص ٢٥ / المسألة الشرقية لمصطفى كامل ص ١٩-٢٢.

ثم بدأ الجهاد في سبيل الله ، حتى عم التوحيد ربوع الجزيرة العربية ، وقد حرص الاستعمار على وأدها والقضاء عليها وحمل عليها الحملات وأوغر عليها صدر الدولة العثمانية التي رأت فيها خطرا عليها وعلى نفوذها ، فتمكن محمد على باشا والي مصر من اسقاطها. ولكن الحركة لم تمت بل وسعت مداها وتأثر بها دعاة السلفية في الهند والعراق والشام ومصر والمغرب جميعا ، فكان من تلاميذها الألوسي الكبير في بغداد ، وجمال الدين القاسمي في الشام ، وخير الدين في تونس ، وصديق حسن خان في بهوبال بالهند ، وأحمد بن عرفان الشهيد بالهند(٦). وهكذا سجلت الحركة يقظة إسلامية قبل قدوم نابليون بأكثر من ستين عاما. وانبعثت منها السنوسية على يد محمد بن علي السنوسي ، الذي تلقاها في مكة وكونت جيلا قادرا على أن ينشر الإسلام في أنحاء أفريقيا ويشكل في الوقت نفسه كتائب للجهاد في سبيل الله في الجزائر وليبيا. وكان قد بدأ عمله الجاد عام **١٢٥٨هـ/١٨٤٢م** بالبيضاء في الجبل الأخضر حتى توفي سنة **١٢٧٣هـ/١٨٥٦م**. وبالدعوة السنوسية واصل الإسلام مده في أفريقيا فأصبحت بحيرة تشاد مركزا للإسلام في أواسط أفريقيا ثم امتد عمل السنوسيين حتى بلغ النيجر الأدنى. وتأسست ممالك إسلامية مثل سلطنات رابح وأحمد وساموري. حتى أن مسيو (رودفريجن) قال : « إن السنوسية هي المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر وأن السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الأفريقي وفي السنغال ... وهي العقبة في سبيل توسعنا الإقتصادي والسياسي داخل أفريقيا وهي عائق في طريق أهدافنا في القارة الواقعة شمال خط الاستواء »(٧).

وقد تحولت الحركة كليا إلى مقاومة عسكرية مسلحة عندما دخلت ايطاليا طرابلس الغرب عام **١٣٢٩هـ/١٩١١م**.

كذلك برزت في السودان حركة ثالثة وهي حركة محمد أحمد ـ الحركة المهدية ـ وقامت حركته على الجهاد وتحرير مفهوم الإسلام من البدع والخرافات معا ، واستطاعت الحركة أن تواجه الحملات التي شنتها بريطانيا في ظل احتلال مصر (**١٣٠٠-١٣١٦هـ/١٨٨٢-١٨٩٨م**) وأن تسحق كل عمليات الغزو التي وجهت إليها(٨). إلى أن تمكن (كتشنر) القائد الإنجليزي من القضاء على

(٦) الجندي ـ العالم الإسلامي والاستعمار ص ٢٥٥/ وانظر حاضر العالم الإسلامي. لوثروب.

(٧) نفسه ص ٢٦٣.

(٨) الجندي ـ نفسه ص ٢٦٩.

ذلك الكيان عام ١٣١٦هـ بعد أن تمكنت من بريطانيا من عزل الدعوة عن جيرانها المسلمين وتشويهها.

وقد حاول المستعمر الغربي تشويه الحركات الإسلامية الثلاث وعمل على القضاء عليها جميعا وعلى الحركات التي مثلها تقوم على أساس الإسلام في الحكم وتعلن الجهاد في وجه الغاصب. وعمد إلى إشاعة فكرة **فصل الدين عن الحياة** في العالم الإسلامي(٩).

وقد ابتدأ الانحراف غير المقصود عن الحكم بالإسلام في جناحي العالم الإسلامي القويين - **تركيا ومصر** ، من منطلق التخلص من جمود الفقه الإسلامي أمام التغيرات الحيوية الجديدة ومن توهم المسلمين بأن سبب تخلفهم هو عجزهم التنظيمي والإداري وأن محاكاة أساليب الحياة الغربية جديرة بالقضاء على ذلك التخلف. وعلى هذا الأساس قامت الحركة المسماة حركة الإصلاح في جناحي العالم الإسلامي. ولمرونة المفهوم واتساعه صاحب حركة الإصلاح من سوء الفهم وغبش التصور مما أدى آخر الأمر إلى سحق الشريعة الإسلامية باسم الإصلاح. فنشأت في تركيا حركة ثورية تطالب بالإصلاح الداخلي الذي تمثل في وضع حد لسلطة السلطان عبد الحميد المطلقة ، وقد لمع اسم مدحدت باشا(١٠) في حركة الإصلاح المرنة هذه فصمم على إيجاد دستور وفق الأحكام الغربية الصرفة بغية إرضاء الدول الأوروبية ليلقى الدعم والتأييد وذلك في زمن السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس والسلطان عبد الحميد حيث تولى الصدارة في عهده تحت ضغط الدول الأوروبية ليفسح لهم المجال في نشر الأفكار الغربية فوضع دستورا دعاه : قانون أساسي عام **١٢٩٤هـ** استوحاه من الدستور البلجيكي ، فأصبح الدستور البلجيكي المعدل دستورا للدولة الإسلامية العثمانية بعد أن كان الإسلام هو دستور الدولة.فلم ينفذه السلطان عبد الحميد ونفى مدحت باشا وقد ثبتت اتصالاته بالانجليز في وقت كان فيه. (دزرائيلي) . اليهودي رئيسا لوزراء بريطانيا . وأخذ عبد الحميد يدعم مركز الخلافة وتقوية الجامعة الإسلامية(١١). فقامت خلية جماعة الاتحاد والترقي في سلانيك (كما سبق وأن بينا). التي عملت على اسقاط

---

(٩) انظر - شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي - فصل عن قضية فصل الدين عن السياسة ج٣ ص ٣٥١-٣٦٤.

(١٠) انظر علي حسون (ولد مدحت عام ١٢٣٧هـ وتولى عام ١٣٠١هـ في الطائف). ص ١٦٣.

(١١) نفسه ص ١٩٩.

عبد الحميد واقصاء الشريعة الإسلامية من حكم تركيا -.-، ثم مصطفى كمال الذي قضى نهائيا على الشريعة الإسلامية في تركيا. وسار بتركيا مسيرة من يجعل الإسلام أجنبيا عن الحكومة التركية . وكان قادة حركة الإصلاح التركية من مختلف الميول والاتجاهات فضياء الدين وقع في يده كتاب أدمون ديمولان عن سر تقدم الانجليز السكسونيين ومن ثم اعتنق فكرة اللامركزية.

وأحمد رضا كان قد تعرف على أوغست كونت فاعتنق الوضعية إلى حد أنه أصر على تأريخ منشوراته بالتاريخ الخاص بالوضعيين وحذف التاريخ الهجري. وأمه تمساوية وأبوه كان يعرف باسم انجليزي علي بك نظرا لميوله للإنجليز وحبه لهم.

ونامق كمال كان وطنيا متأثرا بالنزعة القومية التي عاصرها أثناء إقامته في العواصم الأوروبية المختلفة(١٢).

وأما مصطفى كمال فقد تمت صناعة بطولته بكل دقة وألقى اليونان في البحر فكان على يديه انتهاء الخلافة وإعلان العلمانية ، بل وصف الأمير شكيب أرسلان حكومته أنها : دولة مضادة للدين والحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء(١٣).

والواقع أن مصطفى كمال قد صنع نموذجا صارخا للحكام في العالم الإسلامي بالتخلي عن أحكام الإسلام وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ(١٤). أثره في سياسات من جاء بعده منهم. كما أنه أعطى الاستعمار الغربي والشيوعي مبررا كافيا للقضاء على شريعة الإسلام.

أما في مصر :

فقد حاول نابليون بونابرت. عندما قام بحملته على مصر عام **١٧٩٨م** (كما سبق) - تنحية الشريعة الإسلامية ، وإحلال قانونه بدلا منها ، فقاومه علماء الأزهر ، ومعهم الأمة ، ففشل ، وفشل خلفه (كليبر) الذي سقط قتيلا بيد (سليمان الحلبي) المسلم رحمه الله، وكذلك فشل **جاك مينو الذي تظاهر بالإسلام** ، واسمى نفسه عبد الله ، وتزوج مسلمة من رشيد واسمى ابنه سليمان.

ثم بدأ الانحراف عن الشريعة منذ زمن محمد علي باشا. وفي عهد إسماعيل الذي كان هدفه الأكبر هو أن يجعل مصر قطعة من أوربا(١٥). وأما في عهد الاحتلال

---

(١٢) كشك - القومية والغزو الفكري ص ٢٦٢-٢٦٣. وانظر أسرار الانقلاب العثماني ص ٥٨.

(١٣) حاضر العالم الإسلامي للوثروب ج٣ ص ٣٥٨.

(١٤) انظر أرمسترونغ - الرجل الصنم.

(١٥) الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ١٩٠.

البريطاني فقد لقي دعاة الإصلاح تشجيعا من كرومر لأن هذا الإصلاح يحقق له هدفين :

فهو يشغل الرأي العام بما يطرح على بساط البحث من مسائل ومايثار من مشاكل فينصرف عن الانسياق في تيار الكراهية للإحتلال الإنجليزي.

ثم إن الإصلاح يدعم في الوقت نفسه حجة الاستعمار في أنه دائب على العمل لترقية مصر وإصلاحها. ولذلك أطلق كرومر حرية الصحافة في الكلام عن عيوب المجتمع ووسائل علاجه. ويساعد كرومر في دعوته عدد من النصارى بعضهم من الشام وبعضهم من مصر(١٦). فأخذوا بمساعدة بعض العلماء والزعماء يعملون على حركة إلغاء الإسلام أو عزله عن شئون الحياة كلها.

فأحمد لطفي السيد (أستاذ الجيل) كتب في جريدته : (الجريدة) : « إن الانجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر ، ولاينبغي أن نحاربهم ، ونقاومهم ، إنما واجبنا أن نتعلم منهم ، ثم نتفاهم معهم ، بعد ذلك ، لتصفية مابيننا وبينهم من خلافات ».

فكان رأيه هذا المرة الأولى في التاريخ الإسلامي ، توجه فيها الأمة إلى قبول أولياء الأمر لهم من غير المسلمين(١٧).

وأنشيء الحزب الوطني الحر الذي نطقت باسمه جريدة المقطم الصريحة في ولائها للانجليز لاتستخفي ولاتداري(١٨). وكذلك حزب الأمة الذي دعاإلى التحرر الفكري والتعاون مع الأوربيين في كل مجالات الحياة ثقافيا وإقتصاديا وسياسيا وكان اللورد كرومر يسميهم حزب الشيخ محمد عبده ويعقد عليهم الآمال في مستقبل مصر السياسي ويوصي ممثلي الاحتلال بأن يمنحوهم كل عون وتشجيع(١٩).

وكان الانجليز أيضا يحتضنون في مصر كل مناهض للسلطان العثماني ، وكل معارض للخديوي الذي يستمد وجوده الشرعي من ذلك السلطان وكل داع إلى الإصلاح الداخلي ، لأنهم يريدون أن يشغلوا الناس عن التفكير في الجلاء(٢٠). فكانت سياستهم تدور حول خطتهم السياسية المشهورة : فرق تسد

---

(١٦) الاتجاهات الوطنية ج١ ص ٢٥٥-٢٥٦.

(١٧) واقعنا المعاصر ص ٣٠٧.

(١٨) الاتجاهات الوطنية ج١ ص ٩٣.

(١٩) نفسه ج١ ص ٩٥.

(٢٠) نفسه ج١ ص ١٠٨.

Devide in order to conquer.(٢١)

وكانت بريطانيا عازمة على إلغاء الشريعة الإسلامية فور تمكنها من البلاد غير أن كرومر رأى أن أفضل وسيلة لذلك هو تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها بأن يتولاها علماء : (ذوو طابع تحرري) تتم تربيتهم بإشرافه في معهد خاص لقضاة الشرع(٢٢). وأنشأ مجلس شورى القوانين(٢٣). وأصبحت تشتد الدعوة في فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية أو فصل الدين عن الحياة وشئونها أسوة بأوربا(٢٤). واستغل كرومر صداقة الشيخ محمد عبده استغلالا بشعا مما دعا باحثا أوربيا مثل (جب) لأن يقول : « ... وهذا الرأي يعتبر لبنة في بناء الحركة المتمدنة أو خشبة الخلاص في حركة التحرر العلمانية »(٢٥). والواقع أن فتاوى محمد عبده وآراءه الجريئة جعلت أولئك يعتبرونه من ركائز العلمانية في العالم الإسلامي ، فقد تجرأ على اضعاف مفهوم الولاء والبراء ، ودار الحرب ودار الإسلام ، فقد أعلن جواز الاستعانة بالكفار وأهل البدع والأهواء فيما ينفع المسلمين ، حين استفتاه بعض مسلمي الهند الذين يدعون إلى إنشاء الجمعيات لتربية أيتام المسلمين مستعينين ببعض الأجانب غير المسلمين(٢٦). فأوجد الشيخ بقصد أو بدون قصد القاعدة التي ارتكز عليها دعاة الإصلاح للتعلق بأذيال الغرب وإقصاء الإسلام عن توجيه الحياه. وتطويعه لقبول الأمر الواقع. إذ ظلوا ينقضون الإسلام عروة عروة حتى أن المعركة بعد ذلك أصبحت تدور ضد قانون الأحوال الشخصية وهو البقية الضئيلة من آثار الشريعة الإسلامية.

هذا وقد عاصر الشيخ محمد عبده رجل آخر من دعاة الإصلاح في الشام هو عبد الرحمن الكواكبي (ت سنة **١٣٢٠هـ/١٩٠٢م**) وهو أول من نادى

---

(٢١) نفسه ج١ ص ١١٣.

(٢٢) على غرار الكلية التي أنشأتها انجلترا في سيراجيفو لتخريج القضاة الشرعيين كما ذكر الشيخ محمد عبده نفسه ج١ ص ٣٤٧.

(٢٣) انظر نفسه ج١ ص ٢٦٥.

(٢٤) نفسه ج١ ص ٢٧٤.

(٢٥) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٧٢.

(٢٦) الاتجاهات الوطنية - ص ٣٤٣ ويضيف الدكتور محمد محمد حسين بعد أن أصدر الفتوى مثل هذه الآراء قد تبدو في ظاهرها ولابأس بها ولاغبار عليها بينما هي في حقيقة الأمر تدعو إلى مذهب التحرر... » وقد أعيد نشر الفتوى في مجلة المنار يوم ١٧ ديسمبر عام ١٩١٣م. مع تعليق للشيخ رشيد رضا. (واقعنا المعاصر ص ٣٣٢-٣٣٩).

بفكرة فصل الدين عن الحياة بمفهومها الأوربي الصريح فهو يقول في كتابه طبائع الاستبداد طبع سنة **١٣١٩هـ/١٩٠١م** :

« ياقوم وأعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين أدعوكم إلى تناسي الإساءات والأحقاد ، وماجناه الآباء والأجداد ، فقد كفى مافعل ذلك على أيدي المثيرين ، وأجلّكم من أن تهتدوا لوسائل الاتحاد وأنتم المتنورون السابقون. فبهذه أمم أوستريا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني والوفاق الجنسي دون المذهبي والارتباط السياسي دون الإداري. دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط ، دعونا نجتمع على كلمات سواء : ألا وهي فلتحيا الأمة ، فليحيا الوطن ، فلنحيا طلقاء أعزاء »(٢٧).

وكان قد أصدر كتابه أم القرى سنة **١٣١٧هـ/١٨٩٩م** ، وورد فيه آراء لم تخل من إشارات مريبة إلى موالاة الدول المستعمرة فقد قال : « وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والإستفادة من إرشاداتها وإن كانت غير مسلمة ، وسد أبواب الإنقياد ولو لمثل عمر بن الخطاب »(٢٨).

واقتفى الأثر عدد من الكتاب والصحفيين وغيرهم يطالبون بضرورة فصل الدين عن السياسة وإبعاده عن واقع الحياة باعتباره الحل الوحيد لمشاكل الشرق ، وكان لجهود المستشرقين ودسائس المبشرين أعظم الأثر في تحقيق ذلك.

فتكن المستعمرون عمليا من اقصاء الشريعة بل إسدال الستار على هذا الموضوع ، وزرعوا الأحزاب القومية والوطنية والاشتراكية المتباينة التي تتفق جميعها على شيء واحد هو عدم رفع شعار الإسلام أو الدعوة إلى تحكيمه.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه **مصر مؤهلة لقيادة العالم الإسلامي** بعد سلخ تركيا عن الإسلام ، وكان الإستعمار يلم شعثه لمغادرتها ، ظهر كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) بوحي من المبشرين دعا فيه إلى فصل الدين عن الدولة بصراحة بأسلوب المستشرقين في تحوير الفكرة واقتطاع النصوص وتلفيق الواهيات وطريقة الباطنية في التأويل البعيد(٢٩) ، كل ذلك ليدلل على أن الإسلام كالنصرانية علاقة روحية بين العبد والرب لاصلة لها بواقع الحياة. وكان قد سبقه سعد زغلول إذ أعلن بعد عودته من منفاه : « إن الدين لله ، والوطن للجميع»

(٢٧) طبائع الاستبداد ص ١١٢-١١٣.

(٢٨) انظر كتاب أزمة العصر للدكتور محمد محمد حسين ص ١٨-٢٠ حول هذا الموضوع.

(٢٩) العلمانية - سفر - ص ٥٨٢. وانظر واقعنا المعاصر ص ٣٢١.

فجاء الشيخ يؤيد هذه الفكرة.

وكان لكتابه آثار بعيدة فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية وأصبح مرجعا معتمدا للدراسات الإسلامية في الغرب. وظهرت كتاباتهم متأثرة به ، وهلل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين باعتبار مؤلفه متحررا متنورا ، ووضعه البعض على رأس مرحلة فكرية عصرية. في حين ووجه بمعارضة شديدة من المسلمين المخلصين(٣٠).

وقد وجدت الأحزاب السياسية في كتابه ضالتها المنشودة فلم تعد تتحرج في إعلان انتمائها للإتجاهات السياسية اللادينية شرقيها وغربيها وبراءتها من الدين والمتدينين. وقد حاصرت الدوائر الاستعمارية الكتب التي ردت عليه وأهملتها وسائل الاعلام حتى لم يكد يظهر لها صدى عند غير القلة المخلصة.

ومن بين الكتاب الذين ساروا على هذا الطريق خالد محمد خالد في كتابه: (من هنا نبدأ) هدف فيه إلى ماقصده الشيخ علي من قبل ولكن بأسلوب أذكى وأحدث(٣١).

ثم ظهرت أفكار كثيرة تبرر انتهاج الطرائق الغربية في الحكم وأسهمت وسائل الاعلام ـ لاسيما الصحافة ـ في نشر وتعميم تلك الأفكار حتى استحكمت غربة الشريعة وخفت صوت المكافحين عنها ، بل أصبح ـ في نظر الغالبية العظمى ـ رمزا للرجعية والتأخر وسط ضجيج الدعوة إلى الإصلاح والتجديد وصخب الشعارات التي رفعتها الأحزاب القومية والوطنية والإقليمية والاشتراكية المتصارعة ، فانسحب الإسلام من الحياة السياسية ليتخبط العالم الإسلامي وهيئاته السياسية في تجارب حكم جديدة ، وترتب على ذلك انسحابه من ميادين الحياة الإقتصادية تماما وسيادة المباديء الرأسمالية والاشتراكية المتصارعة ، كما انسحب تدريجيا من الحياة الاجتماعية (كما سبق) ، وانزوى في ركن واحد من العالم الإسلامي هو منبعه الأصلي في جزء من شبه الجزيرة العربية ، وغدت الأمة ضائعة تبحث عن ذاتها شاردة لاتدري إلى أين تسير كما أصبحت حقلا للتجارب الفكرية الوضعية. وضاعت أصوات دعاة الإسلام وسط هذا الضجيج وحوربوا وطوردوا

---

(٣٠) انظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٨٥ـ٩٥ / وقد حوكم علي عبد الرازق أمام هيئة كبار العلماء فأصدرت حكمها في ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤هـ/١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥م بإخراج الشيخ أحد علماء الأزهر من زمرة العلماء).

(٣١) انظر رد الشيخ الغزالي عليه في كتابه : (من هنا نعلم).

وضيّق عليهم بمختلف الأساليب ، ولكن العد العكسي بدأ فأخذ كثير من أقطار العالم الإسلامي يتلمس طريقه نحو الإسلام بعد أن قطع أشواطا في الضلال. ورحلة العودة هذه مملوءة بالصعاب تحتاج لعزائم الرجال والدعاة لشدة التغيرات التي أصابت المسلمين في مختلف ميادين حياتهم وغربتهم عن الإسلام وعن شريعة الإسلام. مما جعل (جب) يقول :

« ... وكان طبيعيا أن يبقى الإسلام ... وقد يكون الدين الرسمي للدولة ولكنه سليب الحقوق التشريعية ، ونزل إلى مكانة الديانة المسيحية في الدول الأوروبية ، وقد اختلف تطبيق هذا المبدأ بطبيعة الحال وفق ظروف كل إقليم »(٣٢).

ونرى لزاما علينا أن نلخص **آثار الاستعمار السياسية** في العالم الإسلامي لتتضح صورة الواقع السياسي لبلاد الإسلام :

فقد خطا المسلمون خطوات واسعة في سبيل التحرر من الإستعمار وأفسدوا حلمه في البقاء الطويل ، فاندلعت ثورات في الهند وأندونيسيا ومصر والجزائر والمغرب وليبيا والسودان والتركستان والقوقاز وأقطار أفريقيا الإسلامية فعمد الاستعمار إلى أساليبه المختلفة في إبقاء آثاره والحيلولة دون لقاء المسلمين ووحدتهم ، فيثبت أوضاع المسلمين بعد رحيل الاستعمار كما هي بل وأشد انحرافا عن منهج الإسلام وشريعته. ومن هذه الآثار التي تركها :

١ـ اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي. فمزقوا وصلاته بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا وهولندة وأسبانيا والبرتغال ، وقد ترك كل منهم بصماته في الأقاليم التي تركها.

٢ـ انتزع المستعمرون أقساما من العالم الإسلامي وسلموها لغير المسلمين مثل فلسطين ، وأريتريا ، وصومال أنفدي ، والصومال الغربي ، وقبرص ، ولبنان ، وكثير من الأقطار الإسلامية الواسعة داخل الاتحاد السوفيتي ، وأوربا الشرقية.

٣ـ جزأ الاستعمار العالم الإسلامي ، وأقام الحدود المصطنعة وأبقى لكل قطر مشكلة مع جيرانه بعد رحيله ليحول بين المسلمين والتعاون فيما بينهم ولن تعوزنا الأمثلة لذلك : الصومال مع جيرانه ، العراق وإيران ، سوريا وتركيا ، مصر وليبيا ، السودان وجيرانها التسع ، المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا ، تنزانيا ، نيجيريا ، أندونيسيا وماليزيا ، الهند وباكستان ، ثم بنغلاديش والهند ، كشمير ،

---

(٣٢) وجهة الإسلام ص ٥١ / وانظر باشميل ـ أكذوبة الاشتراكية العربية ص ١٩-٢٣ في العمل لإقصاء الشريعة الإسلامية.

اليمن الشمالي والجنوبي وعمان ، ومشكلة كل قطر مع الآخر مستعصية ، لايحلها إلا الإسلام الذي أقصي عن الساحة.

٤ـ عمل الاستعمار على نشر لغته وتاريخه وعاداته في بلاد الإسلام وحارب اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وشوه تاريخ الإسلام ليؤكد الطابع الإقليمي والوطني لكل قطر وليحول دون لقاء المسلمين.

٥ـ عمل على نشر الحكم الفاسد في بلاد المسلمين ، فحصر الوظائف في أيدي أعوانه وممثليه ، وأشاع روح الفرقة بين أبناء البلد الواحد فعملوا على الفصل بين العرب والمسلمين ، وبين الترك والعرب ، وبين المسلمين والنصارى في بلاد الشام ومصر ، وبين المسلمين والهندوس في الهند ، وأثاروا الخلافات واستغلوها بين أهل السنة والشيعة. والعرب والبربر ، وجمد الاستعمار المجتمعات البدوية ، وجمد القبليات ، وحرص على عدم انصهارها في المجتمعات الكبرى ، بل فرق بين الريف والمدن والبادية ، وعمق المشكلة الطائفية وغذاها وفرضها ووجهها الوجهة التي تخدمه في بلاد الإسلام ، في الهند ، ولبنان ، وجميع بلاد الإسلام ، لتكون أداة سياسية له ، ينفذ أغراضه ، ويتدخل في شئون البلاد وقتما شاء(٣٣). وفتح أبواب التبشير للإرساليات الأجنبية ، وساندها وضمن لها حرية الحركة والتمويل ـ ففي أفريقيا وحدها يوجد مئة ألف مبشر ومبشرة بالإضافة إلى ما لهؤلاء من مدارس ومؤسسات ومستوصفات وصحف وغير ذلك(٣٤). وسهل الاستعمار استيراد أقليات دينية غريبة من الأرمن والأشوريين والنساطرة في المشرق العربي ، واستقدم أجناسا غربية من ملطيين ويونانيين ويهود في أقطار أخرى.

٦ـ شجع الأحزاب القومية والوطنية والطائفية والإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد بتناحرها وولائها للأجنبي ، لتخدمه وتخدم مصالحه. واصطنع الزعماء في كل قطر إسلامي ، وسرق الثورات وزرع الخوف في نفوس كثير من المسلمين وأبعد مفهوم الجهاد وحاربه بمختلف الوسائل. وجاءت أمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية) مع روسيا لترث الإستعمار ـ فوضعت خطة سميت لعبة الأمم وتعني النشاط الذي بدأته وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن بغية وضع المخططات

---

(٣٣) فالإنجليز أثناء استعمارهم للعراق كانوا يقدمون الأكفان باسم صاحبة الجلالة الملكة ، لكل من يقتل نفسه في ذكرى عاشوراء ، وذلك بهدف تشجيع إحياء المناسبة ، وتعميق الشقاق بين أهل السنة والشيعة.(نجيب صالح ص ١٤٧).

(٣٤) إحسان حقي ـ المسلمون أمام التحدي العالمي ص ١٣.

المناسبة لبسط النفوذ الأمريكي على بلاد العالم عن طريق السياسة والخداع بدل اللجوء إلى الحرب المسلحة ، وبذلك يقترب المعنى من : التخطيط السياسي للصراع على مناطق النفوذ في العالم عن طريق الحرب الباردة(٣٥).

يقول وزير المستعمرات البريطاني عام **١٩٣٨م** :

« إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي أن نحذره ونحاربه ، وليست إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك ، بل فرنسا أيضا...

إن سياستنا تهدف دائما إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك.

إننا في السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى ـ شجعنا وكنا على صواب ـ نمو القوميات المحلية ، فهي أقل خطرا من الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي »(٣٦).

وأسفرت هذه الآثار عن إقصاء الشريعة الإسلامية عن ميدان الحكم في العالم الإسلامي ، وأصبح عدد دوله التي ظهرت بعد سقوط الخلافة العثمانية كبيرا(٣٧) ، وجميعها تعد من دول العالم الثالث الموصوف بالضعف والتخلف ، وتقع هذه الدول في قارتي آسيا وأفريقيا ودولة واحدة في أوربا هي ألبانيا ، هذا عدا عن الأقاليم الواسعة التي لاتزال ترزح تحت الاحتلال الأجنبي في الاتحاد السوفييتي والصين وفلسطين وغيرها ، والدول التي لايشكل المسلمون فيها أغلبية تزيد على ٥٠٪ وقد أثبتنا ذلك فيما سبق وبينا أسماء هذه الدول والبلدان عندما بحثنا العالم الإسلامي فارجع إليه.

وتمكن الغزو الفكري من إفساد مفهوم السياسة لدى المسلمين، فشاع المفهوم الغربي القائم على الكذب والخداع والدجل والنفاق. في حين أن مفهوم السياسة عند المسلمين هو الرعاية. أي رعاية شئون الأمة أو البيت فالحاكم راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع مسئول عن رعيته والمرأة في بيتها راعية مسئولة عن رعيتها.

---

(٣٥) انظر ـ مايلز كوبلاند ـ لعبة الأمم ـ تعريف المترجم للعبة الأمم (ص ٦).

(٣٦) من كتاب هموم داعية للشيخ محمد الغزالي.

(٣٧) وقد انشرحت صدور أعداء الإسلام لهذه التقسيمات واعتبروا التقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام بأنه سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية (أي عملية التغريب) فقالوا : « إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية وسوف لايمضي غير زمن قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوروبية ». (انظر الغارة على العالم الإسلامي ص ٩-١٠).

هذا وتتصف معظم الدول الإسلامية الحالية بالتبعية السياسية في مجال الحكم والإقتصاد والفكر ، وهذا مايجعل أوضاعها غير مستقرة وعرضة لأطماع المعسكر الشرقي والغربي على حد سواء ، كما اتصف بالعجز في مواجهة التحديات العنيفة التي يواجهها من الصليبية والصهيونية في البلاد العربية وأفريقيا ، والهندوسية في شبه القارة الهندية ، والشيوعية في تركستان والصين وأفغانستان ، وسنعطي تفاصيل ذلك عند تعرضنا للقضايا الإسلامية المعاصرة إن شاء الله.

الفصل الرابع
واقع العالم الإسلامي في الناحية الاقتصادية

قام الإسلام في حل جميع مسائل الحياة على الفطرة ، فلم يهمل جانبا من جوانبها ولاتجاهل حقيقة من حقائقها ، فأقر في المسائل الإقتصادية للحياة الإنسانية جميع الأصول الفطرية التي قام عليها صرح إقتصادي إنساني ثابت لا تحتاج إلى تعديل فضمن حماية حياة الإنسان كل إنسان بنظام من التآخي يمقت الطفيلية والنهب في إطار من الأفكار والثقافة المستوحاة من صميم العقيدة الإسلامية التي تعد العمل الإقتصادي حفظا للحياة(١) ، وللنوع الإنساني. فقام الإقتصاد الإسلامي على أصول منها :

- إن المال كله لله والبشر مستخلفون فيه.
- وجوب تأمين الضروريات لكل فرد من مأكل وملبس ومسكن.
- تحريم أكل أموال الناس بالباطل في أي صورة من الصور كالرشوة والسرقة والغبن.
- تحريم الربا وأحل الإسلام محله القرض الحسن. واعتبر المرابي عدوا محاربا لله ورسوله لأنه يستغل حاجة الآخرين فيتحكم فيهم ويزرع بذور الحقد بين الناس(٢).
- تحريم الاحتكار والجشع والاستغلال والمكوس.
- النهي عن أن يكون المال دولة بين الأغنياء ، فحارب الطبقية من أي نوع ، ورمى إلى إقامة عدالة اجتماعية تخلو من الحقد والظلم. فهو لايسعى لإفقار الغني بل يأخذ بيد الفقير ويرتفع به إلى مستوى لائق من العيش ومن هنا يسود المجتمع الحب والتآلف بين الغني والفقير لا الصراع والحقد(٣).
- الحث على الإنفاق ووجوبه إذا اقتضت الضرورة.

كما قرر الإسلام الحجر على السفهاء الذين يبذرون أموالهم في الوجوه غير المشروعة. فعلى الإنسان أن يحسن الخلافة في المال.

- كما قرر الإرث والوصية لتفتيت الثروة وعدم تجميعها في أيدي أناس معدودين(٤).

---

(١) انظر مالك بن نبي - مفكرا إصلاحيا ص ٢٣٥.

(٢) انظر - أبو الأعلى المودودي - الربا ص ٤٠-٤٥.

(٣) كما في الأفكار الاشتراكية - فكرة صراع الطبقات - التي تولد الحقد الدائم بين الناس.

(٤) وهذا يخالف الإرث الرأسمالي (والوصية) الذي يركز الثروة في أيدي عدد محدود من الناس.

- ولم يفصل الإسلام الحياة الإقتصادية عن الحياة الدينية والخلقية التي شرعها للناس ، فإن الإنسان خلق لعبادة الله ، وإن مافي الأرض من ثمرات خلق ليكون معونة له على تلك العبادة ، فالمسلم ينظر إلى كل شيء حوله من خلال شغله برسالته ، فالله مورد حياته ، ومصدر خيره وعونه ، والناس إخوته يعنيهم من أمر رسالتهم مثل مايعنيه ، ويتنافسون فيها فلا يزيدهم التنافس إلا فرحا وتعاونا وألفة ومحبة. والمال إلى جانب ذلك فضله ليس هدفا ولاغاية. ولا مجال له في نفوسهم المشغولة بغرضها إلا مجال الضرورة ... وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية : « إن الأصل أن الله تعالى إنما خلق المال إعانة على عبادته لأنه إنما خلق الخلق لعبادته »(٥) ، ولذلك فحياة المسلم وحدة كاملة متوازنة ، فحسم الإسلام الشر بحذافيره واجتثّ نوابت الفساد من أصولها في نفسية المسلم.

- وحث الإسلام على السعي في طلب الرزق وأباح الملكية الفردية وبين الحلال والحرام - والفردية أحد عناصر التقويم الروحي الذي أريد لنفس الإنسان ليكون لكل فرد إحساسه الذاتي بالتكليف الذي ألقي على عموم الناس بعمارة الأرض ولتكون مسئوليته الخاصة عن ذلك التكليف. وحظر على المسلم الخبائث فحرم الخمر وأنواع المسكرات والمخدرات وسائر المنكرات والفواحش ولم يقتصر على تحريمها فقط بل حرم كذلك صناعتها وإعدادها والإتجار بها بيعا وشراء ... ولم يعد الإسلام البغاء مهنة ولا الرقص حرفة ولا الغناء من وسائل الكسب ، والمال الذي يأتي من هذه السبل لا يعد مالا حلالا بل جميع المكاسب التي تدر الربح على بعض الناس وتضر بالآخرين أو بالمجتمع البشري كالرشوة والسرقة والميسر وصنوف المقامرة وجميع المعاملات التي يخالطها الغبن والغش - يراها الإسلام جرائم يعاقب عليها. وهو يحرم إحتكار الحبوب والأغذية والأمتعة التي تعد من حاجيات الناس ويمنع حبسها طمعا في ارتفاع الأسعار فيفضي ذلك إلى الأزمات والضنك في المعايش ، كما حرم طرق الكسب التي تفضي إلى النزاع والتخاصم ، أو التي يتعلق الربح والخسارة فيها بالحظوظ المجهولة ، وليس للسعي فيها نصيب ، أو لا تكون بين المتبايعين بها أو المتعاقدين عليها حدود معلومة أو حقوق واضحة مرسومة. وبذلك لم يدع الإسلام الملكية الفردية حرة طليقة(٦) ، بل قيدها

---

(٥) السياسة الشرعية ص ٤٠ / وانظر الثروة في ظل الإسلام - البهي الخولي ص ٧٢ فما بعد.

(٦) انظر الثروة في ظل الإسلام - البهي الخولي - ص ٧٧-٧٩.

بضوابط غاية في الإحكام ، وجعلها توجه لخير البشرية.

ولم يبين الإسلام بعد ذلك أسلوب الخطط الإقتصادية ، وضمان تحقيق هذه الأصول ، وكيفية التعامل المباح بين المؤسسات العامة والخاصة ، واشراف الدولة أو سيطرتها على الانتاج ومأأشبه ذلك. فهي موكولة إلى اجتهاد ذوي الإختصاص من الأمة في حدود تلك الأصول التي لاتتغير بتغير الزمان والمكان ، فقد ترك الإسلام كما هو شأنه في كل مايعرض له من الأمور البشرية ـ للفكر الإنساني وللجهود البشرية أن تبتكر في كل عصر مايلزمها لتحقيق مصالحها.

والمال الذي يمتلكه المسلم يتصرف فيه صاحبه بطرق ثلاث :

ـ فإما أن يستهلكه في مرافق الحلال لا في الشهوات والسرف في الترف ، فقد اشترط الإسلام الإعتدال والتوسط في المعيشة ولم يحل بين الإنسان وبين أن يعيش عيشة طيبة معتدلة. قال تعالى :

﴿ **ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ﴾(٧).

وقال جل وعلا في صفات المؤمنين : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾(٨).

ـ وإما أن يستعمله في تجارة أو صناعة تعود عليه بالربح الحلال.

ـ وإما أن يدخره ـ والإسلام يكره كنز الأموال وإدخار الغني مالا يحتاج إليه في نفقاته ، ومن أراد أن يدخر فعليه الزكاة ٥ و٢٪ سنويا ليوزع على الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى في الآية:

﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله** ﴾(٩). وهذا حق وليس منة. قال تعالى :

﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم** ﴾(١٠).

بمعنى آخر نرى الإسلام يبعد كل البعد عن النظام الرأسمالي الفردي الذي يعطي

---

(٧) سورة الإسراء الآية ٢٩.

(٨) سورة الفرقان الآية ٦٧.

(٩) سورة التوبة الآية ٦٠.

(١٠) سورة المعارج الآية ٢٤ ، ٢٥.

حرية العمل والكسب بأي وسيلة كانت. والحرية المطلقة في التصرف بالمال. وبعيد جدا عن النظام الشيوعي والإشتراكي الذي يجعل الفرد سنا في دولاب لا أهمية له ولا اعتبار ، ويلغي ملكيته الفردية. إذ يضع الإسلام تصورا إقتصاديا يقوم على أساس الكسب المشروع والإنفاق المشروع ، ويوجه طرق الكسب وطرق الإنفاق لما فيه صالح الجميع ، ويكون دور القائمين على شئون الإقتصاد دور الجامع الموزع لا المحتكرين الذين يقتصرون في الإنفاق على شهواتهم الخاصة.

وفي عهد جمود المسلمين تخلف نظامهم الإقتصادي كتخلفهم في جميع المجالات فكان الفقر والمرض والأمية والجهل متفشيا ، والتواكل باسم القناعة منتشرا ولكن بقيت فكرة التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي فكان الفقر والقناعة والايثار كل ذلك يجتمع في المجتمع الإسلامي المتخلف. ولم تنل المصالح العامة شيئا من الإنفاق ، ومن ذلك اهمال العناية بالري والزراعة ، فكثرت الفيضانات ، وأهملت الطرق وشئون الأمن ، فاستغل العيارون واللصوص الفرصة وشاركوا في نهب المحلات التجارية والبيوت وقام الأعراب بغارات على الريف ونهبوا المحاصيل ، وتربصوا بقوافل الحجاج والتجارة ، فعانى المسلمون فقدان الأمن والجوع وانتشرت الأوبئة ، وخاصة بعد أن تغيرت طرق التجارة عن بلاد الإسلام بعد حركة الكشوف الجغرافية الأوربية.

وفي ظل هذه الأوضاع المتخلفة تمكن الاستعمار الغربي أن يبسط سلطانه على بلاد الإسلام ، ففرض نظامه الإقتصادي مع فلسفته ونظرياته الإقتصادية ، حتى لم تعد أبواب الرزق لتفتح إلا لمن يختار مباديء هذا النظام الإقتصادي ، فأكل المسلمون السحت أولا ، ثم محا من أذهانهم ما كان من تمييز بين الحلال والحرام ، وبلغ الأمر أنه لم يعد كثير من المسلمين يسلمون بتعاليم الإسلام حتى حرم فيها كثيرا من الطرق المشروعة أحلها نظام الغرب الصليبي الاقتصادي أو النظام الاشتراكي الشيوعي ، واختلط مفهوم النظام الاقتصادي بعملية التنمية. وأصبح الاتجاه العام يتجه إلى التنمية ، دون الأخذ بالنظام الاقتصادي في الإسلام.

ومن أهم **الآثار الاقتصادية التي خلفها الاستعمار** في العالم الإسلامي في النواحي الاقتصادية وتركت بصماتها على الواقع الإقتصادي المعاصر :

١- وجه الاستعمار موارد البلاد الإسلامية إلى مصالحه الخاصة ، فشجع رؤوس الأموال الأجنبية على غزو البلاد واستثمار خيراتها ، وأصبحت معظم الشركات أجنبية تدار لمصالح استعمارية ، فقد أقام المؤسسات الاقتصادية والبنوك لتوظيف

ذهب أوربا الذي طفحت به خزائن بنوكها في أواخر القرن التاسع عشر ، وفتح الأسواق لمصنوعاتها ومنتجاتها وخاصة الإستهلاكية والترفيهية والكمالية ، فأصبح لأفراد العالم الإسلامي ولع خاص بالاستهلاك التفاخري ، ولهم جرأة عجيبة على الانفاق الإستهلاكي والتطرف فيه ، وهذه نقطة قاتلة لإقتصاد المسلمين. ثم عمد الاستعمار إلى إقراض الحكومات للسيطرة عليها وتكبيلها بالنفوذ الغربي وإيقاع ذوي اليسار في الديون للاستيلاء على أملاكهم وتحويل مختلف الأراضي والتجارات والأموال إلى البنوك الأجنبية. فأنتج أجيالا تفكر في الحصول على منتجات الغرب ولا تفكر كيف تنتج هذه الأشياء ، ولاتقف مع نفسها في التفكير في نتائج هذا الشيء واستعماله.

٢- احتكر الاستعمار التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية ومعظم التجارة الداخلية ، وعمد إلى توطين الأوروبيين في البلاد الإسلامية عن طريق التجارة كما فعل في الجزائر والهند وأندونيسيا وأفريقيا وتركستان ، وأوفد إلى البلاد العربية خاصة مئات الألوف من الأوروبيين ومعظمهم من اليهود فاستوطنوا فيها وتحكموا في اقتصادها وخاصة في أقطار المغرب العربي.

٣- اتجه الاستعمار إلى محاربة الصناعة الوطنية في العالم الإسلامي ليضمن استمرار تبعية البلاد الإسلامية له إقتصاديا كما تتبعه عسكريا أو سياسيا ، وليضمن تصريف منتجات مصانعه فيها ، واكتفى بتوجيه المسلمين إلى الاشتغال بالزراعة ، زاعما أن الصناعة تتطلب قدرة فنية لم يصلوا إلى درجتها بعد. وفي الزراعة شجع حاصلات معينة واحتكر تجارتها مثل القطن في مصر والسودان ، والتمر في العراق ، وزيت الزيتون في تونس والمغرب ، والمطاط في أندونيسيا وماليزيا وزيت النخيل في نيجيريا ، والعنب في الجزائر ، وعمل على إقراض الفلاح بالربا الفاحش ، وجند المرابين والصيارفة وأصحاب الخمارات في مختلف القرى لسلب الأهالي. وهذا أيضا أدى إلى اعتماد البلاد الإسلامية على نمط وسلع وخدمات السوق الأوروبي والأمريكي ، وعدم القدرة إلى التحول عنها إلى غيرها. وهذا يجعلها تشتري السلعة بأي سعر. الأمر الذي استنزف الفوائض المالية الإسلامية نتيجة إقدام الغرب متعمدا على زيادة أسعار صادراته بأكثر من زيادة أسعار النفط ، والمواد الأولية الأخرى.

٤- احتكر ثروات العالم الإسلامي المعدنية وبخاصة البترول من البلاد العربية ونيجيريا وأندونيسيا وأذربيجان وإيران ، والقصدير من ماليزيا وأندونيسيا

ونيجيريا ، والحديد في الجزائر وموريتانيا ، والنحاس في بلاد القازاق. وقد ذهب المستعمر ولكن بقي استخراج معظم المعادن بيد الشركات الإستعمارية(١١) وفائدة ذلك تعود للمستعمر ، إذ تنقل الفلزات إلى بلاده وتقوم صناعتها على أرضه ، أما البلاد التي انتجته وهي بحاجة إليه والأيدي التي عملت على استخراجه تتلقف صناعته وتأخذها بأسعار مرتفعة ، أو تتوق إليه ولا تستطيع شراءه.

٥ـ شجع الاستعمار نظام الإقطاع الزراعي والطبقية ، وحرم السواد الأعظم من المسلمين أن يعيش في مستوى لائق ، لذا شاع الفقر والبؤس والتخلف والمرض في عالم الخيرات الوفيرة والموارد الكثيرة ، فأفقر دول العالم مسلمة حاليا ـ وإليك بعض الأرقام المذهلة (من كتاب الحرمان والتخلف في ديار المسلمين للدكتور نبيل صبحي الطويل)(١٢).

---

(١١) وتمتد هذه الشركات كالأخطبوط في جسد العالم الإسلامي. فقد أعلنت شركة ستاندارد اويل رابع الشركات البترولية الأمريكية أنها حققت أرباحا صافية قياسية تقدر ب ٢و١٨ مليار دولار عام ١٩٨٤م مقابل ١و٨٦ مليار عام ١٩٨٣م. (الشرق الأوسط ص ٥ الأربعاء ١٩٨٥/١/٢٣م). وسيطرت الشركات التي سميت (الأخوات السبع) على انتاج وصناعة البترول ، فهي تملك امتيازات ٨٢٪ من احتياطي البترول في العالم المعروف ، وتملك ٧٠٪ من طاقة التكرير العالمية ، وتسيطر على حوالي ٨٥٪ من الطاقة العالمية لاستخراج مشتقات البترول ، وتملك ٥٠٪ من طاقة الناقلات ، بالإضافة إلى ملكية أنابيب نقل البترول. وهذه الشركات هي :جلف أويل ، وبرتش أويل ، وكونتينتال ، ومارثون ، ورويال دتش شل ، وموبيل أويل ، والبترول المكسيكي ، وأتلانتيك لتكرير البترول ، والشركة الفرنسية للبترول.

وأخذت هذه الشركات تفقد كثيرا من سيطرتها بإنشاء منظمة أوبك.

(١٢) ص ٣٠.

البلـــد	نسبة الفقر من السكان	البلـد	نسبة الفقرمن السكان
نيجيريـــا	٥١٪	أندونيسيـا	٨٠٪
الصومـال	٧٠٪	ماليزيـــا	٥٥٪
غانـــــا	أكثر من٥٠٪	بنغلاديش	٧٤٪(١٣)
سيراليـون	٥٥٪	الهنـــد	٥٦٪
تنزانيـــا	٦٥٪	الفيلـبين	٥٩٪
كينيـــا	٤٠٪	إيـــران	٣٨٪
مصر	٢٨٪		

هذا عدا البلاد المعدومة في منطقة حزام الجفاف الشديد ، من الرأس الأخضر غربا إلى الصومال شرقا ، وهي جزر الرأس الأخضر ، وغمبية ، ومالي ، والنيجر ، وبوركينافاسو ، وتشاد ، وموريتانيا ، وغينيا ، وغينيه بيساو ، ونيجيريا ، والصومال ، والسودان ، والحبشة ، وكلها دول مسلمة معدمة(١٤).

وبالطبع فإن المرض يلازم الفقر ، ويزيد الفقر فقرا وجهلا وانحدارا في الأخلاق ، وتحللا من القيم ، ولقد أدرك المنصّرون هذه الحقائق منذ زمن بعيد وأتقنوا اللعبة وتفننوا في استغلال الضعف البشري الظاهر في كثير من ديار الإسلام وحولوا عن طريقه أعدادا كبيرة عن دينهم.

(يذكر تقرير حديث من أندونيسيا أنه خلال العقدين الأخيرين أي خلال عشرين عاما فقط ـ أنشأت الأقلية النصرانية هناك من المستشفيات مافاق في عدده

(١٣) يقول : أن أكثر من نصف سكان بنغلاديش البالغ عددهم ٩٢ مليونا من البشر يعيشون دون مستوى الكفاف ، وتنقل وكالة رويتر للأنباء أن عشرة بالمائة من سكان العاصمة داكا والبالغ عددهم ٢،٥ مليون نسمة هم من الشحاذين الذين يسهمون بنصيب في الجريمة والدعارة وتمثل النساء ٣٤٪ منهم وتتراوح أعمار ١٢٪ منهن بين ١٢-١٧ سنة (ص ٢٧).

(١٤) تتلقى هذه الدول مساعدات من هيئة الأمم المتحدة وفي حين أنه في عام ١٩٧٩م صرف على القطط والكلاب الأمريكية ٣٠٢ مليار دولار ، كانت ميزانية الأمم المتحدة التي تساعد هذه الأقطار ٦٨٣ مليون دولار فقط.

ومن الجدير بالذكر أن أمريكا تقدم ٠،٢٢ و٠٪ من ناتجها القومي كمساعدات وتكون مهينة وبها الكثير من الإذلال ، بينما تقدم السعودية حوالي ٥٪ من ناتجها القومي (جعفر آدم حسين ـ عرض كتاب العالم الثالث ـ نظرة من الداخل ـ للكاتب البريطاني بول هاريسون). (الشرق الأوسط الأربعاء ١٩٨٥/٨/٢٨م).

مؤسسات الأغلبية الساحقة من المسلمين ، حتى أن جمعية الإنجيل الثانية أعلنت عام ١٩٧٦م عن تنصير ٤٠٠و٠٠٠ شخص ، وتلا ذلك نبأ وكالة اليونايتد برس أن ٣٫٥ مليونا من المسلمين قد تنصروا خلال ثلاث سنوات).

وعمدت الجمعيات الأجنبية إلى استغلال هذا البؤس فتبنى الخواجا أندريه سابيه البلجيكي ٣٠٩٠٣ من أطفال المسلمين الصوماليين. ونشط جلب الصغار من أفريقيا إلى الغرب وتعليمهم وتدريبهم ثم عودتهم بعد سنوات إلى مواطنهم الأصلية وهم يحملون في داخلهم علاقات ذات صبغة رسمية وتعاقدية مع الغرب ليكونوا دعاة مخلصين ينشرون معلوماتهم المغلوطة وغير الصحيحة عن الإسلام.

لقد خلّف الاستعمار التفاوت العجيب بين فئات المسلمين وحافظ عليه المسلمون وشكلت ديارهم الجزء الأكبر من العالم الثالث في أفريقيا وآسيا ـ الذي يسميه الغرب خداعا الدول النامية(١٥). كتب الدكتور الطويل قائلا :

« لقد زرت وعشت أياما وأشهرا في كثير من الحواضر الكبرى في ديار المسلمين لاغوس في نيجيريا ودكا في بنغلاديش ، ورأيت فيها جميعا التناقض المخيف بين من يملكون الملايين ومن لايملكون شروى نقير ، بين البيوت الفخمة والشوارع العريضة وبين الأكواخ الخشبية والطرق الضيقة ، بين الحدائق الغناء في الأحياء السكنية الراقية وبين أكوام القمامة والأوساخ وتجمعات المياه الراكدة والحفر والحشرات والفئران على حواشي الحواضر الكبرى هذه وفي أحيائها القديمة ، بين نظافة الثياب الأنيقة للفتية في الأماكن الموسرة والأجسام الممتلئة بل وربما المترهلة شحما ودهنا من التخمة ... وبين الأسمال والخرق البالية على الأجساد الضعيفة الهزيلة المريضة الجائعة ـ بين الفنادق الفخمة ذات النجوم الخمسة ، وكثير منها للأجانب ، وبين المقعدين المعوقين من الشحاذين الفقراء صغارا وكبارا ... على أبواب هذه الأبنية الرائعة. يحدث كل هذا في ديار المسلمين »(١٦).

---

(١٥) توجد ثلاثة معايير تحدد الدول الأكثر فقرا في العالم : الأول : الدخل السنوي للفرد يقل عن ١٠٠ دولار سنويا ، الثاني : انخفاض نسبة المتعلمين أقل من ٢٠٪ من السكان ، الثالث : انخفاض دخل الانتاج الصناعي عن ١٠٪ من إجمالي الناتج القومي.

وقد بلغ عدد هذه الدول في العالم عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ستة وثلاثين دولة مجموع سكانها حوالي ٣٠٠ مليون نسمة. ٢٦ دولة أفريقية و٩ دول في آسيا ودولة واحدة في أمريكا اللاتينية.

ومعظم هذه الدول بلاد إسلامية للأسف. (الشرق الأوسط العدد ٢٤٨١ ص ٤ الجمعة ٢٨ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٣/٩/١٩٨٥م).

(١٦) الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ص ٤٣.

وكل ذلك طبعا نتيجة لغياب النظام الإسلامي الاقتصادي وغير الاقتصادي.

٦- ربط الإستعمار عملات العالم الإسلامي بعملته - فالبلدان التي خضعت للنفوذ الانجليزي ، ربطت عملتها بالجنيه الاسترليني ، والبلاد التي خضعت للنفوذ الفرنسي أخضعت عملتها للفرنك الفرنسي ، وارتبطت كثير من العملات الإسلامية بالدولار الأمريكي حاليا.

ولكي يحافظ الاستعمار على بقاء تخلف البلاد الإسلامية وارتباطها به أطلق على العالم الثالث في أفريقيا وآسيا - والذي يشكل في أكثره ديار المسلمين - نفاقا وخداعا : (الدول النامية) والخبث في هذا التعبير أنه يوحي بالحركة القائمة مع أن واقع هذه الدول هو العكس تماما ، ففيه استنقاع إقتصادي إن لم نقل تراجعا وتأخرا(١٧) إذ كلما اشتد الإرتباط وزاد الإستيراد زادت التبعية ، وأثرت على العلاقات الإقتصادية بين بلاد المسلمين وعلى التكامل الاقتصادي وهذا يمنع من نمو الإقتصاد الإسلامي نموا سويا مستقلا.

وترى الغرب يذيع دائما ويملأ الأسماع عن المعونات الخارجية للدول النامية ومع ذلك فإنها لاتنمو بل تزداد فقرا على فقر ، فهو يستهدف الإبتزاز والكسب غير المشروع تحت ستار المساعدات ، ولقد عبر رئيس إحدى الشركات الأمريكية في خطبة له عن سياسة الإحتكارات اليهودية الأمريكية والاستعمار الجديد بقوله :

« لقد حصلنا مقابل كل دولار أنفقناه في السنوات الخمس الماضية على مختلف الأغراض خارج الولايات المتحدة على **٤٫٦٧** دولارا أي أن كل دولار ربح **٣٫٦٧** دولارا ، أي أن نسبة الربح بلغت **٣٦٧**٪ » . وهي سرقة وابتزاز وليست عمليات إقتصادية سليمة(١٨).

ويقول (جورج وودز) المدير السابق للبنك الدولي عن المعونات الإقتصادية : « إذا استمر الحال على هذا المنوال تكون كمية رؤوس الأموال الخارجة من الدول النامية أكثر من المبالغ التي دخلتها في فترة خمسة عشر عاما ، وذلك بسبب الفوائد المرتفعة »(١٩).

---

(١٧) انظر المقال القيم : العالم الثالث وقوانين التغير في التخلف المنهجي وتنمية التخلف بقلم عادل م.ع. حسون أستاذ القانون الدولي والنظم السياسية - البلاغ العدد ٧٨١ ص ٥٦-٦٣.

(١٨) السعدني - مصطفى - الفكر الصهيوني والسياسة اليهودية - مطابع الأهرام التجارية. القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

(١٩) كتاب المعونات الأمريكية والسوفيتية لروبرت ولتزر تعريب .د. صبحي الطويل - دار القلم١٩٧٢م ص ٨.

ولعل أطرف الأمثلة عما تفعله المعونات الخارجية هو قصة صندوق النقد الدولي في مصر في اتفاق برامج التثبيت الإقتصادي الذي عقد مع البنك في جمهورية مصر العربية للفترة مابين ١٩٧٨-١٩٨١م وكان الهدف المعلن لهذا البرنامج هو إخراج مصر من أزمتها الإقتصادية وتقليل نسبة عجز ميزانها التجاري. وفي الدراسة التي أجراها الدكتور رمزي زكي الخبير الأول في معهد التخطيط القومي المصري ظهر أن الصندوق دخل مصر عام ١٩٧٨م وهي مدينة ب ٨٠٠٠ مليون دولار ... وخرج الصندوق إياه منها عام ١٩٨١م وهي مدينة بأكثر من ١٨٫٠٠٠ مليون دولار أي أن كل مواطن مصري كان مديونا ب ٤٢٢ دولارا للعالم(٢٠) والغريب أن دخل الفرد الواحد كان لايتعدى ٤٦٠ دولارا في السنة.

وتذكر دراسة أخرى ملخصا لواقع الحياة الاقتصادية في مصر تحت عنوان : تضاعف أعباء الديون ٧ مرات في أقل من ٦ سنوات وزيادة العجز التجاري ٤٠ مرة)(٢١). وهو مايصلح مثلا لمعظم أقطار العالم الإسلامي.

وبمناسبة الديون الخارجية وتراكمها في كثير من الدول المسلمة عرض الدكتور صبحي الطويل بعض الأرقام المذهلة التي تزايدت بصورة هائلة في العقد (١٣٩٠-١٤٠٠هـ/١٩٧٠-١٩٨٠م) بحيث شكلت في عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م أكثر من ٥٠٪ من إجمالي الناتج القومي. والديون في الغالب للدول الكبيرة أو للمؤسسات الدولية الخاضعة لها. فيؤثر ذلك في سياسات الدول الفقيرة المدينة الداخلية والخارجية.

---

(٢٠) الشرق الأوسط عدد ٢١ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٨٢م ص ٧.

(٢١) جريدة الشرق الأوسط ـ السابقة ـ رسالة مكتب القاهرة بقلم عصام رفعت عام ١٩٨٢م.

تراكم الديون الخارجية لبعض دول العالم الإسلامي

الدولـــــة	المبلغ بالدولار عام ١٩٧٠	النسبة المئوية من إجمالي الناتج القومي	المبلغ عام ١٩٨٠	النسبة المئوية
افغانستـــان	٤٥٤مليون دولار	-	١٠٩٤مليون دولار	-
باكستـــان	٣٠٥٩مليون دولار	٣٠٥٪	٨٨٧٥مليون دولار	٣٤٧٪
الســـودان	٣٠٨مليون دولار	١٥٣٪	٣٠٩٧مليون دولار[٢٢]	٣٧٢٪
اليمن الجنوبي	٠٠١مليون دولار	-	٤٩٩مليون دولار	-
اندونيسيـــا	٢٤٤٣مليون دولار	٢٧١٪	١٤٩٤٠مليون دولار[٢٣]	٢٢٥٪
موريتانيـــا	٢٧مليون دولار	١٦٨٪	٧١٤مليون دولار	٣٩٧٪
تركيـــــا	٧٢مليار دولار (عام ١٩٧٣)	-	١٧٥مليار دولار[٢٤]	-
	١٨٥٤مليون دولار	١٤٤٪	١٣٢١٦مليون دولار	٢٢٤٪

(٢٢) بلغت ديون السودان عام ١٩٨٢م ٧٨٠٠ مليون دولار (النيوزويك الأمريكية عدد ١٦ أيار (مايو) ١٩٨٣م ص ٣٧. في حين بلغت ٩ مليارات دولار عام ١٩٨٥م. (الشرق الأوسط السبت ١٩٨٥/١١/١٦م ص ٥). وهناك ٧٤٠ مليون دولار أقساط ديون مستحقة حتى عام ١٩٨٤م فقط لدول اسبانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والدانيمارك والسويد وكندا وبريطانيا والنمسا وايطاليا وسويسرا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية.

والديون كلها كانت نتاجا لقروض من الخارج لم تستغل استغلالا جيدا في أشياء منتجة فمثلا : مصنع بورتسودان للغزل الرفيع وهو مصنع حكومي اكتمل انشاؤه عام ١٩٨٠م ، ولكنه ظل معطلا حتى عام ١٩٨٥م حتى حلت مشكلة إمداده بالمياه والكهرباء ،رغم أن هذا المصنع قرر إنشاؤه منذ السبعينات لتصدير غزل القطن السوداني ، والآن السوق محتاج لهذه الغزول في السودان على حد قول السيد محمد عبد الله وزير المالية والتخطيط الإقتصادي السوداني في خطاب الميزانية لعام ١٤٠٦هـ.(الشرق الأوسط - السبت ١٩٨٥/١١/١٦م /ربيع الأول ٤٠٦ هـ ص ٥).

(٢٣) في حين كانت ديون أندونيسيا عام ١٩٦٦م ١٧١٩٤ مليون دولار (أندونيسيا العدد ١٩/٧٤١/ص ٤) ولكنها بلغت عام ١٩٨٢م ٢٥٠٠٠ مليون دولار (الأخبار القاهرية عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣م).

(٢٤) مصطفى محمد ص ٢٤٠/ وبلغت ٣٢ مليار عام ١٩٨٧م / من محاضرة للمهندس نجم الدين أربكان في المدينة المنورة بتاريخ ١٩٨٧/٢/٢٥م.

مصـــــر	١٦٤٤مليون دولار	٢٣٫٨٪	١٣٠٥٤مليون دولار[٢٥]	٥١٫٧٪
المغـــرب	٧١١مليون دولار	١٨٪	٧٠٩٨مليون دولار	٣٨٫٦٪
نيجيريـــا	٤٧٨مليون دولار	٦٫٤٪	٤٩٩٧مليون دولار[٢٦]	٥٫٥٪
تـــونس	٥٤١مليون دولار	٣٨٫٢٪	٢٩٥٥مليون دولار	٣٣٫٩٪
سوريـــا	٢٣٢مليون دولار	١٢٫٨٪	٢٤٩٣مليون دولار[٢٧]	٢٠٫١٪
الجزائـــر	٩٣٧مليون دولار	١٩٫٣٪	١٥٠٧٣مليون دولار	٣٨٫٧
السنغـــال	٩٨مليون دولار	١١٫٦٪	٩٠٦مليون دولار	٣٤٫٩٪

(٢٥) وأصبحت ديون مصر عام ١٩٨٢م ١٩٢٠٠ مليون دولار حسب معلومات البنك الدولي للإنشاء والتعمير. في حين بلغت عام ١٩٨٨م حوالي ٤٥ مليار دولار.

(٢٦) وبلغت ديون نيجيريا في نهاية عام ١٩٨٤م ١٧٫٥ مليار دولار وعام ١٩٨٥م ٢٠ مليار دولار. وهذه الديون الخارجية. أما الداخلية فبلغت ٨ مليارات ويمتص الدين الخارجي حوالي ٤٥٪ من مصادر الدولة النيجيرية.(الشرق الأوسط الأربعاء ١٢ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/٢٨/٨/١٩٨٥م ص ٥).

(٢٧) وبلغت ديون سورية عام ١٩٨١م ٣٩٠٠ مليون دولار. (جريدة الرأي ١٩ فبراير (شباط) نقلا عن وكالة الصحافة الفرنسية).

وقد بدأت أزمة الديون العالمية تطفو على الساحة الدولية منذ عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م حيث بدأت تترك آثارها الواضحة على الدول النامية المدينة نتيجة للتمويل المستمر لجزء كبير من خيراتها إلى العالم الصناعي لتسديد الديون المتراكمة عليها والفوائد المستحقة ، وهي طريقة لاستنزاف خيرات هذه الدول بشكل يجعلها مصدرا للمواد الأولية الرخيصة ، وسوقا لمنتجاتها الصناعية. ووصل حجم هذه الديون إلى ٩٠٠ بليون دولار(٢٨).

وبلغ إجمالي الديون الخارجية المتراكمة على دول جنوب الصحراء في أفريقيا عام ١٩٨٥م حوالي مئة بليون دولار منها ٦٠٫٢ بليون للبنك الدولي. وتواجه معظم هذه الدول صعوبة شديدة في تسديد هذه الديون أو دفع الفوائد المستحقة عليها ، كما تواجه صعوبات مماثلة في إعادة جدولة هذه الديون أو في الحصول على قروض جديدة(٢٩).

كما قدر إجمالي ديون الدول النامية مع نهاية عام ١٩٨٥م ٩٧٠ بليون دولار كما ذكرته مصادر إقتصادية في العاصمة الأمريكية(٣٠).

وقد طرحت أمريكا في كلمة وزيرها بيكر - وزير الخزانة - (كما قالت جريدة التايم) برنامجا لحل مشاكل ديون العالم الثالث وذلك في المؤتمر المشترك الذي عقده البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في مدينة سيئول عاصمة كوريا الجنوبية - وذلك بزيادة الأموال المتاحة للدول المدينة بمبلغ ٢٩ ألف مليون دولار على مدى الثلاثة أعوام المقبلة من البنوك التجارية والبنك الدولي. وأن يتولى البنك الدولي دورا أكثر فعالية في معالجة مشكلة الديون ، وأن يؤمن قروضا طويلة الأجل ، أي تريد أمريكا زيادة قروض البنك وتوسيعها ، وتريد منه التعاون مع البنوك التجارية الأخرى العالمية لتأمين الأموال اللازمة. ويعتقد بيكر أن البنك الدولي وبنك التنمية الأمريكية يستطيعان فيما بينهما أن يؤمنا ٥٠ ٪ من الإحتياجات للدول النامية(٣١). ولايخفى مافي هذا المشروع من خطة أمريكية لزيادة تبعية دول العالم الثالث لأمريكا ، وسيطرتها عليها.

---

(٢٨) الشرق الأوسط - أزمة الديون العالمية - بقلم - د. محمد سالم الصيان /٣٠ محرم ١٤٠٦هـ/١٤/١٠/١٩٨٥م. ص ٤.

(٢٩) الشرق الأوسط العدد ٢٥٤٥ / السبت ٤ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/١٦/١١/١٩٨٥م. ص ٥.

(٣٠) أخبار العالم الإسلامي العدد ٢٥/٩٢١ رجب ١٤٠٥هـ/١٥/٤//١٩٨٥م.

(٣١) الشرق الأوسط - الأحد ٢٠/١٠/١٩٨٥م ص ١٠.

ولو تتبعنا حلقة الديون المفرغة للدول النامية نجد أنها تتلخص في زيادة أعباء المديونية - يؤدي إلى - الاهتمام بزيادة صادراتها من المواد الخام الأولية - يؤدي إلى - زيادة العرض العالمي من هذه المواد (إضافة لحالة الركود الإقتصادي العالمي) - يؤدي إلى - انخفاض أسعارها العالمية - يؤدي إلى - نقص في حصيلة الصادرات من العملات الصعبة - يؤدي إلى - عدم القدرة على سداد المديونية السنوية - يؤدي إلى - إعادة جدولة هذه الديون مع تزايد الأعباء نتيجة لعقوبات الفوائد الإضافية الناتجة من التأخر في السداد - يؤدي إلى - الاتجاه إلى مزيد من الاقتراض - يؤدي إلى - زيادة أعباء المديونية. ويمكن تمثيلها بالشكل التالي :

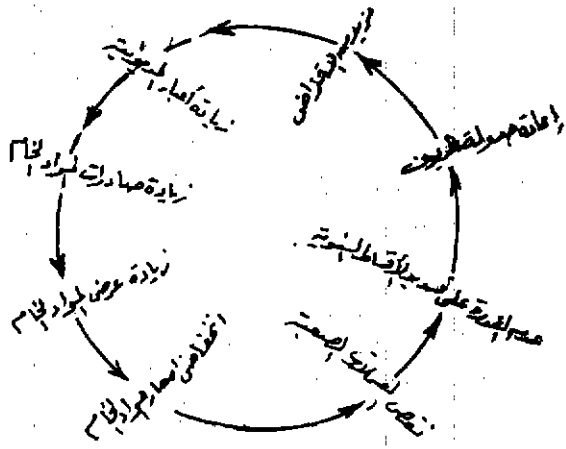

وتشترك حكومات بعض الدول النامية في توسيع هذه الحلقة من جراء الاندفاع غير المخطط إلى سلاح المديونية وتقربه بقصد أو بدون قصد إلى حبل وريدها لتجهز على آمال التنمية الاقتصادية التي تنشدها ولتزداد فقرا على فقر وتتسع تبعا لذلك الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة.

وقد لخص الدكتور محمد سالم سرور الصبان أستاذ الاقتصاد المساعد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة أسباب ذلك(٣٢) في العوامل التالية :

١- ارتفاع أسعار الفائدة العالمية.

٢- أمد الكساد الاقتصادي العالمي.

٣- تزايد الحماية الجمركية في الدول الصناعية.

٤- تراخي أسواق المواد الأولية.

---

(٣٢) الشرق الأوسط ٣٠ محرم ١٤٠٦هـ/١٤/١٠/١٩٨٥م.

٥- شغل دول العالم الثالث في نزاعات جانبية.

٦- هروب رؤوس الأموال الوطنية.

٧- إهمال تنمية مختلف القطاعات.

وغاب عن بال الدكتور السبب الرئيسي وهو غياب النظام الاقتصادي الإسلامي واهتزاز الشخصية المسلمة.

وقد قدر المصرف الألماني الغربي (دوينستر بنك) حاجة البلدان النامية (وهي إسلامية في معظمها) إلى القروض في السنوات الخمس (**١٩٨٥-١٩٩٠م**) بما يتراوح بين ١٨٠ إلى ٢٤٠ بليون دولار. وارتفعت فوائد القروض بين عام **١٩٧٨و١٩٨٤م** من ١٩ بليون إلى ٧٠ بليون دولار(٣٣).

٧- حرم الاستعمار العالم الإسلامي من إقامة شبكة مواصلات تربطها ربطا وثيقا رغم تجاورها وسهولة ربطها ليكرس تمزيقها وتفريقها وحاجتها إليه.

وكل مااهتم به من مواصلات كانت لخدمة أغراضه الإستعمارية من مواطن الإنتاج إلى الموانيء أو أماكن التصدير كما هو الحال في أقطار المغرب العربي - تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، ونيجيريا ، والسودان ، ومصر ، والعراق ، وإيران ، والهند.

فعجزت دول البلدان الإسلامية في عهد استقلالها عن استيعاب معنى التخطيط والإحاطة بمفهومه الواسع ومايمكن أن يؤدي إليه من نتائج وتشابه إنتاجها ، فأدى ذلك إلى تنافسها رغم ماتتمتع به هذه البلدان من تكامل إقتصادي.

هذا الواقع الاقتصادي المحزن للعالم الإسلامي وبقاء أثر الاستعمار في بلاد الإسلام أمر طبيعي في ظل غيبة النظام الاقتصادي الإسلامي ، وهذا التخلف الذي يعاني منه عالم الإسلام لايتحمل الإسلام وزره بل هو في الحقيقة عقوبة مستحقة من الله على المسلمين لتخليهم عن نظام الإسلام لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون.

قال تعالى : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾(٣٤).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وأن لواستقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا** ﴾(٣٥)

---

(٣٣) الشرق الأوسط - السبت ١٩٨٤/١٢/٢٩م. ص ٥.

(٣٤) سورة طه الآيات ١٢٤-١٢٦.

(٣٥) سورة الجن الآية ١٦.

وهكذا فقد العالم الإسلامي مكانته وتلاشت قوته وانهارت دعائمه ، وسقطت مكانته الأولى ومشت سكة الأجنبي في حقله(٣٦). باستمرار الاستعمار الفكري والثقافي الأجنبي بعد الاستقلال السياسي إلى اليوم بمختلف التيارات والعقائد والنظريات الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية ، فكانت تأثيرا متصلا بالتأثير السابق أيام الاستعمار في القادة والساسة وأصحاب الرأي والمشرعين وفي الفرد المسلم بأسلوب التربية في هذه البلاد الإسلامية ، فظلوا على ولائهم للعلمانية ، وتلمسوا في تشريعاتهم القضائية والإدارية مراجع القانون الفرنسي والإنجليزي والشيوعي والإشتراكي ... إلخ ، فأصيبت الأمة بالهوان ولعل ذلك تصديق للنذير النبوي الذي رواه ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

« يامعشر المهاجرين خمس خصال إن ابتليتم بهن ونزلن عليكم ـ أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط الله عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض مافي أيديهم ، ومالم يحكموا بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم »(٣٧).

وهذا الحديث يلخص بالفعل واقع العالم الإسلامي من جميع النواحي.

فالأمراض الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع الإسلامي والتي استقدمها من الغرب وانحرافاته ، والجفاف الذي يغزو أراضي المسلمين وامتداد التصحر في أقطاره ، والخوف من الحكام وفقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم والتحديات الخارجية العاتية ـ الصليبية والشيوعية والصهيونية والهندوسية والخلافات المستفحلة المستحكمة بين الأقطار الإسلامية ، والحروب التي تنشب بينها والتي لا تجد من القوى الكبرى عملا يوقفها أو يحد منها ، بل تجد تشجيعا وتأييدا لتستمر تستنزف طاقة الأمة البشرية والمادية وتعمق الاقليمية والقومية والعداء بين أطراف النزاع. هذا هو واقع الأمة الإسلامية باختصار بينه هذا الحديث الشريف. فهل يعي المسلمون ذاتهم ؟(٣٨).

---

(٣٦) من أقوال المبشر زويمر سنة ١٩١١م في مؤتمر لكنو. وكان رئيسا للمؤتمر. ـ المبشر زويمر ومفترياته حاضر العالم الإسلامي ـ للأمير شكيب ص ١٨١-١٨٢.

(٣٧) أخرجه ابن ماجه والطبراني في الكبير.

(٣٨) انظر الباب الرابع من هذا الكتاب.

الباب الرابع

توقعات حول مستقبل العالم الإسلامي

الفصل الأول : الإتجاه إلى التزام الإسلام نتيجة معاناة المسلمين المعاصرة

الفصل الثاني : الاتجاه إلى وحدة الجهود وتضامن المسلمين

الفصل الثالث : الأخطار التي تهدد العالم الإسلامي مالم يعتصم بالإسلام

الفصل الأول

الاتجاه إلى التزام الإسلام
نتيجة معاناة المسلمين المعاصرة

تحاول الأمة الإسلامية أن تتجاوز المحن الكثيرة والتحديات التي تعترضها رغم وسائل التدمير والهمجية ، كما تحاول أن تلم جراحها وأن تتعرف على مواطن الضعف في حياتها التي كانت منافذ للعدو ، وثغرات تسلل منها ، وأن تتلمس مواطن القوة لتنطلق مرة بعد مرة ، وخاصة فقد بقي لها الإسلام علما وحضارة وثقافة وانتماء وبقي كتابها وسنة رسولها الأمر الذي يمكنها من الصمود ويعينها على النهوض والمواجهة من جديد.

ولقد شهد القرن الرابع عشر الهجري محاولات ومؤامرات ومكائد لاتحصى عددا ولاتقدر ضخامة وشراسة استهدفت القضاء على الإسلام وتركيع المسلمين ومصادرة ونهب خيرات العالم الإسلامي ومقدراته ، وما القضايا التي سنستعرضها

والقضايا الأخرى الكثيرة التي لم نتمكن من استعراضها لضيق الوقت والمجال (كتطور الأزمة اللبنانية وتفاعلاتها، والحرب العراقية الإيرانية[1]، والحرب الخليجية الثانية، والغزو التبشيري لأقطار إفريقيا، وقضية جنوب السودان وتشاد وغيرها) إلا حلقات في مسلسل التآمر على الإسلام والعالم الإسلامي قادتها القوى العالمية الثلاث: الصليبية (الإمبريالية الغربية)

---

(١) ويكفي هنا أن نلخص الآثار المأساوية لهذه الحرب العجيبة التي هي بدون هدف :

أ- **الخسائر البشرية** ، التي فاقت المليون بين قتيل وجريح ، وهذه الخسائر تفوق أي خسائر للحروب التي جرت في منطقة الشرق الأوسط.

ب- **الخسائر الإنسانية** التي تنتج عن الخسائر البشرية .. وهذه أبعد أثرا لأن آثارها في المجتمع تستمر إلى أجيال .. فالترمل ، واليتم ، والتشرد ، والحاجة ، تبقى آثاره ونتائجه من أكثر المعوقات لدى المجتمع الإنساني.

ج- **الخسائر الإقتصادية** / فقد أكلت سنوات الحرب الأخضر واليابس ، فاستهلك البلدان واردات النفط كلها. وتوقفت المشاريع كما أنها نزفت موارد الدول المجاورة العربية نتيجة : الانفاق العسكري ، ونزوح الأموال بعيدا عن الخطر ، وارتفاع أسعار السلع المختلفة بسبب ارتفاع تكاليف الشحن والتأمين وانخفاض مستويات المساعدات المالية التي كانت تقدمها الدول المنتجة للنفط.

د- **انقسام العالم الإسلامي** : وذلك لانقسامه إلى قسمين أحدهما يقف إلى جانب العراق ، والآخر يقف إلى جانب ايران .. وترتب على ذلك الانقسام الطائفي وهذا من شأنه أن ينعكس على الأفراد والدول ، ومن ثم يؤدي إلى الإنهيار في العالم الإسلامي.

كما يؤدي إلى حدة الإنقسام القوي بين الايرانيين والعرب ، كما حدث من قبل بين الأتراك والعرب. وتمتد آثار ذلك إلى أجيال عديدة.

هـ- **التدخل الأجنبي** : وخاصة الروسي والأمريكي ، حيث اعتبرت أمريكا نفسها شرطي الخليج بحجة وجود تهديد للأمن الدولي ، أو من خلال تأمين خطوط الملاحة الدولية ، وضمان تدفق النفط أو حتى تأمين الحماية.

و- **ضياع القضايا الإسلامية** : فالإنقسام واهدار طاقات الأمة من شأنه أن ينعكس سلبيا على وجود أية امكانيات لنصرة القضايا الإسلامية ودعمها .. وخاصة فلسطين وأفغانستان وارتيريا.. فقد تضررت جميع قضايا المسلمين نتيجة استمرار الحرب. وهذه تحقق أهداف القوى المعادية للإسلام ، إذ أسهمت أمريكا واسرائيل عمليا في إطالة أمد الحرب. وفضيحة ايران جيت شاهدة على ذلك ، بحجة تخليص الرهائن المحتجزين في بيروت. وهي قضية شحن الأسلحة الأمريكية إلى إيران بواسطة إسرائيل. وقد شغلت هذه القضية الصحافة إلى حين (انظر الشرق الأوسط العدد ٢٩٠٦، ١٠/ربيع الأول ١٤٠٧هـ/المجلة بعنوان ثمن الرهائن الأربعاء ١٢/١١/١٩٨٦م ١٠ ربيع الأول ١٤٠٧هـ). وأما خسائر الحرب الخليجية الثانية ١٤١١هـ/١٩٩٢م فكانت أكثر وأشد أثراً.

والصهيونية العالمية، والشيوعية (الإمبريالية الشرقية). قال تعالى: ﴿**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿**وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين**﴾[٣].

ورغم كل ذلك فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري صحوة إسلامية مباركة ورجوعا إلى الله بعد أن خاض العالم الإسلامي تجارب كثيرة من الرأسمالية إلى الشيوعية ، ورفع أكثر أقطاره كثيرا من الشعارات : الحرية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، والإشتراكية ، والقومية ، والوطنية ... إلخ ، وكلها تجارب باءت بالفشل وشعارات تساقطت الواحدة تلو الأخرى ، ذلك لتصادم هذه الأنظمة والشعارات مع فطرة الإنسان ، فكفر الناس بالفلسفة وفلاسفتها وبالآراء ومفكريها ، وأخذ بعضهم يعود إلى الله - وعاد المسلم يلمس بل يؤكد أن هذا الدين مقبل ليأخذ بيد الإنسان الشرقي والغربي على السواء إلى طريق الخير. قال تعالى : ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾[٤]. وقد تمثلت هذه الصحوة في الدعوة لأن يعيش المسلمون إسلامهم في جواهره الثابتة ، وقيمه الخالدة ، وآدابه السامية ، وأن ينطلقوا منه لمعالجة شئون عصرهم. ومن أسباب ذلك :

١- أن الإسلام هو دين الفطرة للإنسان ، القادر دائما على إعادة صياغة من يوهمون بالإنحلال والتمرد على العقيدة والقيم ، إذا توفر المنهاج التربوي الصائب ، ووجدوا علماء الآخرة الذين يفقهون تزكية النفوس ويحكمون صياغة العقول وتوحيد الجهود ، ويعطي التفسير الصحيح للوجود ولمركز الإنسان فيه ولغاية وجوده الإنساني في إعمار الأرض واستخلافه فيها ، ويكسبه الراحة النفسية بإدراكه غاية وجوده. قال تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾[٥].

فالآية تجعل الإسلام ليس فقط دين الفطرة ، ولكن الفطرة نفسها التي فطر الناس عليها ، فالإسلام دين الله هو والفطرة الإنسانية السليمة شيء واحد وان

---

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٧.

(٣) سورة الجاثية الآية ١٩.

(٤) سورة الرعد الآية ١٧.

(٥) سورة الروم الآية ٣٠.

مبادئه وأحكامه مطابقة تماما لسنن الفطرة ، وأما مايعتور الناس من عوج فهو أمر طاريء راجع إلى الخروج عن التربية الإسلامية الصحيحة أي إلى عدم تنشئة النشء على أصول الإسلام وأخلاقه وأعماله(٦). يقول ابن تيمية (رحمه الله) : « ماذا يصنع بي أعدائي ، إن جنتي وبستاني في صدري لاتفارقني - إن قتلي شهادة ، ونفيي سياحة ، وسجني خلوة »(٧).

٢- إنهيار الحضارة الغربية بفرعيها الرأسمالي والشيوعي : فقد انكشف زيف هذه الحضارة لماديتها المفرطة وخوائها الروحي ، فأوقعت حياة الرجل الغربي في الفراغ(٨) ، وعجزت عن تقديم الحلول المقنعة لهدف الإنسان من الحياة ، عندما جحدت الإله الذي يفزع إليه وقت الشدة ، فأوصلت الإنسان إلى الشقاء والتمزق الداخلي والتوتر العصبي والفزع ، والهروب من الحياة إلى الكحول والمخدرات والشذوذ الجنسي ، والبحث عن الصرخات والموضة ، وأخيرا إلى الإنتحار لوضع حد لهذه الحياة البائسة التعيسة كما فعل جاكوب مارينو ، وارنست همنجواي ونيتشه وغيرهم.

وامتلأت المسرحيات بهذه الآلام والتعاسة ، وأخذ الذين ساروا على نمط الحياة الغربية من المسلمين يواجهون المصير ذاته ، ويعانون التمزق نفسه.

وقد مرت الحضارة الغربية بأطوار ثلاثة هي :

١- طور الهروب من الله بالثورة على الكنيسة والتحرر من سلطان الدين.

٢- طور فتح أبواب كل شيء عليها : الإنتاج والإبداع في نواحي الحياة المادية.

٣- طور الضمور والإفلال والإستبدال(٩) : والحضارة الغربية اليوم في هذا الطور الأخير.

يقول جود الإنجليزي : « إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة ، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش »(١٠).

وهذا ماجعل الصيحات الدينية المتخلفة الشاذة المنحرفة تنطلي على الناس الذين اتصفوا بالخواء الروحي والفراغ العقدي ، كالبهائية في ثوبها الجديد على يد (صون

(٦) الإسلام في عصر العلم ص ٧.

(٧) أبو الحسن الندوي - ابن تيمية - ص ١٦٥.

(٨) انظر : الكسيس كارليل - الإنسان ذلك المجهول ، اشبنجلر - انهيار الحضارة الغربية ، دالاس - حرب أم سلام.

(٩) انظر : الكسيس كارليل ، واشبنجلر ، ودالاس.

(١٠) الندوي - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٣٨.

مون) البليونير الأمريكي الكوري الأصل ، الذي ادعى أن الوحي ينزل عليه ، وزعم الاتصال بالمسيح منذ حوالي نصف قرن ، ومن ورائه الأصابع الصهيونية الماسونية ، في محاولاتها لتهديم بقايا الأديان وبقاء سيادة المادية. وكمحاولة (هوبكنز) المبشر النصراني في التقريب بين الإسلام والنصرانية في لبنان بإقامة : جمعية الصداقة الإسلامية المسيحية(١١). ومن العجيب أن صون مون اختار تركيا لإعلان بيانه العجيب وادعائه بالنبوة التي زعم أنه يتلقاها عن المسيح منذ عام **١٩٣٦م**(١٢). كما أن الإشتراكية أخذت تتهاوى في الأقطار التي تزعمتها ، فقد تخلت الصين عن كثير من أفكارها ، كما تنازل الاتحاد السوفييتي زعيم الاشتراكية العلمية عن كثير من أفكارها. في عهد غورباتشوف وبين عجز النظرية الماركسية وقصورها(١٣) إلى أن تجردت روسيا عن الشيوعية عام ١٩٩٠م . ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الغربية لن تنهار بالسرعة التي يتخيلها بعض الناس ، ففيها من المرونة وخاصة ما يسمى بالحل الوسط ، والقدرة على المناورة والصبر في المفاوضات حتى بين الشقين المتضادين الرأسمالية والاشتراكية ما يمد في عمرها ، إذا بقي المسلمون في سباتهم .

والواقع أن الإسلام هو المرشح الوحيد لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية ، فهو دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجا وإماما ـ قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾(١٤).

وكان الغرب ولايزال يدرك أهمية الكتاب (القرآن الكريم) في تحقيق وحدة المسلمين ، فكان كرومر عميد الإستعمار الإنجليزي في مصر يقول « لايمكن للإستعمار أن يعيش ويستقر وسط أمة طالما ظل هذا الكتاب فيها ». والكتاب تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، ولم يكله لأحد ، قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾.

أما المسلم فيؤمن ويعتقد بأن المستقبل لهذا الدين ـ الإسلام ـ للنصوص الثابتة المحكمة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي تبشر بذلك.

---

(١١) المسلمون العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ/١٩ اكتوبر ١٩٨٥م.

(١٢) انظر التفاصيل : المسلمون العدد ٣٥ ص١ وص ٨ـ٩. ، والعدد ٣٧ ص ٦ـ٧.

(١٣) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٨٨٧ ص ٢٨ـ٢٩ بعنوان : ماذا يحدث في البلدان الاشتراكية بعد (البروسترويكا) وهو الكتاب الذي بين غورباتشوف فيه سياسته الجديدة بعد إفلاس الشيوعية.

(١٤) سورة المائدة الآية ٣.

قال تعالى ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون** ﴾(١٥).

وقال ﷺ : « ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله دين الإسلام وذلا يذل من كفر »(١٦).

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تشير إلى أن نهاية اليهود ستكون في فلسطين ، وأن الجيش الذي سيقاتلهم جيش مسلم. قال ﷺ : « تقاتلون اليهود ، فتسلطون عليهم ، حتى يختبيء أحدهم وراء الحجر ، فيقول الحجر : ياعبد الله : هذا يهودي ورائي فاقتله »(١٧).

وقال ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يامسلم هذا يهودي ورائي فاقتله »(١٨). وفي رواية البزار ورجالها ثقات رجال الصحيح كما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي في المجلد السابع : « أنتم شرقي الأردن وهم غربيه ». ويعلق راوي الحديث فيقول : ولم نكن نعرف أين الأردن في الأرض يومذاك(١٩).

وقال ﷺ « إن الله زوى لي الأرض (أي ضم وجمع) فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها »(٢٠).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « بينما نحن عند رسول الله نكتب

---

(١٥) سورة التوبة الآيتان ٣٢،٣٣.

(١٦) رواه أحمد ج٤ ص ١٠٣ ، والطبراني الكبير ج١ ص ١٢٦ ، الألباني ج١ ص ١٢١.

(١٧) الألباني مجلد ٣ رقم ٢٩٧٤.

(١٨) رواه مسلم في الفتن حديث رقم ٢٨٨٩. الألباني ج٦ ص ١٧٣ رقم ٧٢٩.

(١٩) والحديث يخبرنا عن حرب ضروس ستقوم بين المسلمين واليهود في حين أن أمرا مثل هذا لم يكن يخطر بالبال ، حيث أن اليهود لم تكن لهم قوة يستطيعون بها مقاتلة المسلمين ، وهذا علم من اعلام النبوة لأنه اعلام بالغيب ، فيه بشارة عظمى وهي انتصار المسلمين على اليهود في هذه الحروب مهما كانت الظروف والأحوال انتصارا حاسما لايبقي منهم ولايذر ، وهو أمر آت لاريب فيه. انظر محاضرات رابطة العالم الإسلامي للموسم الثقافي لحج عام ١٣٩٨هـ/ محاضرة الشيخ عبد الله كنون ص ٦٥. كما أن فواتح سورة الإسراء الكريمة تؤكد هذه الحقائق - وهي بحاجة إلى نظرة جديدة في التفسير - حول افساد اليهود مرتين !.

(٢٠) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

إذ سئل رسول الله أي المدينتين تفتح أولا ؟ فقال : مدينة هرقل »[٢١] (يعني القسطنطينية). والثانية هي مدينة روما مركز الفاتيكان.

وقد تحقق الفتح الأول وسيتحقق الثاني بإذن الله.

ويقول الرسول الكريم ﷺ وهو يستعرض التاريخ المقبل للأمة المسلمة من لدن نبوته : « تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا جبريا فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة » ، ثم سكت[٢٢].

هذا كله يؤكد حتمية رجوع الإسلام إلى مركز السيادة وموضع القيادة ويحقق الإنتصارات فيسود ويعم أرجاء الوجود بإذن الله.

ومن كتاب الغرب أنفسهم من رشح الإسلام كمنقذ للبشرية. قال (ديباسكييه) الفرنسي :

« إن الغرب لم يعرف الإسلام ، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفا عدائيا منه ، ولم يكف عن الإفتراء عليه والتنديد به ، وقد ترتب على هذا التشويه أن رسخت في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام ، ولا شك أن الإسلام هو **الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر** ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لابد ان استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان »[٢٣]. ورأى **جارودي** أن الحضارة الغربية تقود العالم إلى الإنتحار[٢٤]. فأسلم عدد كبير من فلاسفة الغرب وكتابه كرجاء جارودي (روجيه جارودي **الذي** أسلم عام

---

(٢١) رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة والحاكم والمقدسي.

(٢٢) رواه أحمد عن حذيفة.

(٢٣) مجلة الأمان اللبنانية عدد ٥٧ السنة ٢آذار ١٩٨٠م. وانظر كتاب قوة الغد العالمية لباول شمتز ، ترجمة محمد شامة ـ القاهرة ١٣٩٤هـ.

(٢٤) في حواره مع (المسلمون) العدد ٣٠السبت ١٥ذي الحجة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٩٨٢م)(٢٥) ، **وعبد الله أليسون** الانجليزي رئيس قسم الهندسة الألكترونية بجامعة لندن ، وأسلم أثناء انعقاد المؤتمر الدولي للإعجاز العلمي والطبي في القرآن الكريم في القاهرة من **١١** محرم إلى **١٣** محرم سنة **١٤٠٦هـ**(٢٦). ويقول : « إن العالم المادي اليوم في مأزق خطير ومايقولونه أو يرونه لايفسر الحقيقة تماما ، وأنهم يبحثون عن العودة إلى الدين والبيان الصحيح الشامل ، وهنا العبء على المسلمين ، وهذا هو واجبهم ، وواجب مفكريهم في التقدم إلى البشرية الحائرة التائهة بالحلول الإسلامية السليمة »(٢٧).

ونتيجة لذلك برزت مع نهاية القرن الرابع الهجري مظاهر صحيّة تدل على الإتجاه لالتزام الإسلام ومن هذه الظواهر ـ **مظاهر الصحوة** ـ :

ـ المدارس التي خطط دعاة التغريب ، أخذت تدفع الأفواج إلى الله ، كما بدأت المناهج في بعض الأقطار الإسلامية تأخذ مسارا لا بأس به باتجاه الإسلام(٢٨).

ـ الجامعات التي سهر دعاة التغريب على مناهجها وظنوها مراكز التدمير أصبحت تقدم نماذج الشباب الصادق الملتزم بإيمانه وعقيدته فأصبحت كبلاط فرعون يرى فيه موسى عليه السلام ليهدم بيده عرش فرعون. فانتشرت الدعوة انتشارا واسعا في صفوف المثقفين من الأطباء والمعلمين والمهندسين ، ومن طلاب الجامعات في شتى التخصصات.

ـ وبقي الأزهر رغم ماخطط له ينير السبيل أمام المسلمين في جميع أنحاء بلاد الإسلام ويغذيهم بشبابه وشيوخه. وتصل عن طريقه الدعوة إلى مختلف أجزاء الأرض.

---

(٢٥) وجارودي صاحب كتاب : اسرائيل ـ الصهيونية السياسية ـ وقد حوكم في فرنسا متهما باللاسامية!! وفي كتابه هذا بعض الأفكار السياسية الخطيرة ، والرجل ممن انتمى إلى الإسلام عقيدة بعد أن قضى حياته السابقة في ظلال الشيوعية والإلحاد ، ولكنه رأى أن الشريعة قابلة للتطور وعلى ذلك فيجب الحذر من تلقي أفكار من أسلم حديثا بالقبول دون نظر فإن مثله ينقصه المعرفة الدقيقة في الأصول والفقه ، كما أن مواقفه السياسية وانتماءاته السابقة تؤثر كثيرا في أسلوبه وتفكيره رغم الثقة بسلامة عقيدته. انظر جريدة الدستور الأردنية حول فكرته : من أجل إسلام القرن العشرين /ص ١٩ الجمعة ١٩٨٧/١/١٦م. وقد ثار جدل كبير حول فكرته هذه ، على صفحات المسلمون وغيرها من الصحف.

(٢٦) أخبار العالم الإسلامي الاثنين ١٦محرم ١٤٠٦هـ.

(٢٧) المسلمون العدد ٢٨/٣٦محرم ١٤٠٦هـ/١٢اكتوبر ١٩٨٥م.

(٢٨) كما في المناهج التعليمية في الأردن عدا المناهج في المملكة العربية السعودية. واتجاه المناهج في باكستان وبنغلاديش وماليزيا ومصر.

- وشمخت الجامعات الإسلامية وطاولت غيرها وتفوقت على الجامعات العلمانية وأقبل عليها الشباب المسلم من مختلف بقاع الإسلام ، كما هو في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة أم القرى ... وغيرها في أرض الإسلام ، ليتخرجوا دعاة إلى الله.

- وخفت صوت دعاة التغريب وتواروا بأفكارهم بعيدا وكسدت بضاعتهم وكلت أقلامهم. وأصبح نقد هؤلاء ،والدفاع عن الإسلام ليس هدفا بحد ذاته ، وكثر نقد الحضارة الغربية بشقيها (الاشتراكي والرأسمالي) بنظرات إسلامية عميقة مستنيرة ، واختفى الشعار الذي كانوا يرفعونه : إن الإسلام هو سبب تخلف الأمة وجمودها وضعفها. وحل محل هذا الشعار : إن البعد عن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين. كما ارتفعت الأصوات بأخذ الصورة الحقيقية للإسلام من مصادره الأولى : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وحياة السلف الصالح الذين طبقوا الإسلام ، وعاشوه.

- وخفت صوت الهجوم على اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) وتوارى أصحاب الهجوم وأصبحت اللغة العربية منذ الدورة التاسعة والعشرين (١٩٧٤م) اللغة السادسة الرسمية للمنظمة الدولية في هيئة الأمم المتحدة.

- وأصبحت وسائل الإعلام منابر للدعوة الإسلامية وعرض عقيدة الإسلام وأفكاره وحلوله للمشاكل ، كما أصبح الكتاب الإسلامي هو أكثر الكتب رواجا في الأسواق وأقبل أصحاب المطابع عليه حتى أصحاب المطابع النصرانية (طبعا بقصد الربح) وكسدت كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن والمجلات الخليعة. وازدادت العناية بالتراث الإسلامي ونشره في مصر والمملكة العربية السعودية والعراق والهند (دلهي وحيدر آباد) والإتحاد السوفييتي ودول الغرب.

- وأصبحت مكة والمدينة قبلة الشباب والشيوخ فعلا ، فالرحلات والنزهات وقضاء أوقات الإجازات والعطل الرسمية تكون عمرة مباركة وزيارة إلى مدينة الرسول ﷺ. وظهرت العناية الكبيرة بأماكن الحج والمدينة المنورة ، فأصبحت مكان الجاذبية للمسلمين.

- وأصبح الفكر الإسلامي والصوت الإسلامي والشخصية الإسلامية حديث المنتديات الفكرية في الشرق والغرب. فتأسس المركز الدولي للسنة النبوية على سبيل المثال لمواجهة من أساء إلى السنة من المستشرقين والمستغربين بتخريج الأحاديث ، كما أعلن ذلك رئيس المركز الدكتور محمد الطيب النجار الرئيس

السابق لجامعة الأزهر وأستاذ الدراسات العليا(٢٩). وكما هو في الجامعة الإسلامية وغيرها من المراكز.

وحتى التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى شاعت فيها المسلسلات الدينية الإسلامية لكسب شعور الناس الذين يتوجهون نحو الإسلام (وهو في الحقيقة نوع من الإرتزاق باسم الدين). ووصل الأمر حدا إلى عودة من يسمون (طوابير أهل الفن) إلى الله. وندمهم على مافرط منهم(٣٠).

- وأصبح أصحاب المناصب والهيئات في العالم الإسلامي يتلبسون بثياب الإسلام أو يحاولون أن يتلبسوا على الأقل ، ويلتمسوا نقاط التشابه بين واقعهم وبين الحياة الإسلامية.

- وبرزت المظاهر الإسلامية في الأفراح والأحزان والمظهر الشخصي - (مثل العقيقة ، واللحية ، وعزل النساء عن الرجال في قاعة الدرس ، وفي حفلات الأعراس ، والامتناع عن تقديم الدخان في المآتم والأفراح ، والإعراض عن لبس خواتيم الخطبة وخاصة الذهبية منها ، واللباس الإسلامي ... وغيرها).

- وظهر تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة والمعلبات والذبائح والحلويات والمعجنات والصابون واللحوم المثلجة والمرطبات ، والتدقيق على خلو الأطعمة والأشربة من شحم الخنزير والكحول.

- إنتشار اللباس الشرعي للنساء ، والإتجاه إلى الزي الإسلامي للرجال ، وقد أخذ يظهر هذا بوضوح في المدارس والجامعات والمعاهد.

- تحري الحلال في استغلال الأموال واستثمارها ، فبرزت البنوك الإسلامية.

- انتشار وشيوع أشرطة القرآن الكريم والندوات والخطب الإسلامية والإقبال الشديد عليها.

- عودة المسجد لتأدية دوره ،فامتلأت المساجد بالشباب ، ومنها تقوم الرحلات لنشر الدعوة الإسلامية ،ودعوة الناس إلى الكتاب والسنة.

- الإعتزاز بالفكر الإسلامي وانتقال المفكرين من دور الدفاع ورد الشبهات إلى دور التحدي ، ومن مرحلة الإستحياء إلى مرحلة البروز والإعتزاز. ولم يعد الإسلام متهما تنبري الأقلام للدفاع عنه ، بل أصبح الكتاب يظهرون حقائق الإسلام للناس ، ويعرضونه نظاما شاملا متكاملا ، كاملا في حد ذاته غير محتاج

(٢٩) الشرق الأوسط ص ١٠الأحد ١٩٨٥/٩/١م.

(٣٠) انظر : المسلمون (العدد ١٧٤ والعدد ١٧٥) حول هذا الموضوع المثير.

إلى الترقيع من أي نظام كان!.

- إنحسار الشركيات كالطواف حول القبور والذبح لها ودعاء الأموات والتوسل بمشايخ الطرق وأمثالهم من الدجاجلة ، وبدأت عقيدة التوحيد الصافية النقية تشق طريقها إلى القلوب على يد المخلصين من هذه الأمة.

وبعد أن كانت الدولة التي تقيم حدود الإسلام - المملكة العربية السعودية - توصف بالرجعية والتخلف ، تطاردها سهام وسائل الإعلام من مختلف الجهات ، أخذت اليوم تبرز في المحافل الدولية العربية والإسلامية بوزن كبير وإعتزاز.

وأصبحت المناداة بتطبيق أحكام الإسلام تجد صدى كبيرا ، وتقترب بعض الدول منه. مثل باكستان والسودان(٣١) ، وأخرى ترتفع فيها الأصوات تنادي بتطبيق شرع الله كما في مصر وبنغلاديش وماليزيا وأندونيسيا والجزائر والمغرب ، وحتى في تركيا المجتمع العلماني المتغرب (مجتمع الجمهورية الكمالية التي أدارت ظهرها للمسلمين وحاولت خنق التيار الإسلامي بأشد أنواع العنف) - عاد التيار الإسلامي إلى هذه البلاد وأصبح اليوم أقوى التيارات الشعبية المؤثرة ، الأمر الذي أجبر الحكام على الإنحناء والعودة إلى المسلمين ، وزيارة رئيس جمهورية تركيا للمملكة العربية السعودية عام ١٤٠٥هـ وتأدية رئيس وزرائها لفريضة الحج (أوزال) ، والعلاقات القوية والتقارب مع الأفكار الإسلامية دليل على ذلك. رغم استمرارها في السياسة المعادية للإسلام. وفي تركيا اليوم سبعون ألف مسجد والدين الإسلامي مادة إجبارية في جميع مراحل التعليم(٣٢).

وحتى في تايلاند يرتفع صوت الإسلام يطالب بتحقيق أحكام الإسلام في المقاطعات الإسلامية فينحني لها حكام تايلاند البوذية. وكذلك انحنت الشيوعية ليحدث الإنفراج على المسلمين في الإتحاد السوفييتي والصين الشعبية ويوغوسلافيا وغيرها. وانتهت الشيوعية بعد انحنائها، كما تفكك الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا.

---

(٣١) أعلنت السودان تطبيق أحكام الإسلام عام ١٩٨٣م في عهد جعفر نميري ،وثار الجدل في حينه ، وبعد القضاء على نظام نميري وضعت تطبيقاته على محك النقد في السودان ، والأكثر يقولون الآن بتعديل ومراجعة القوانين. انظر الشرق الأوسط حول هذا الموضوع ص ٨ الأربعاء ١٩٨٥/٨/٢١م العدد ٢٤٥٨.

(٣٢) من حديث لعميد كلية الإلهيات بجامعة مرمرة التركية لـ(المسلمون). المسلمون العدد ٤١ ص ٣ وانظر صحيفة الرائد الهندية ١٠صفر ١٤٠٧هـ/ص ٤ بعنوان الإسلام قادم /مدير منظمة التنصير يعترف بالصحوة الإسلامية.

- وأخذ الإسلام يغزو الغرب فأسلم كثير من المتخصصين(٣٣) في شتى العلوم ومنهم الفلاسفة ورجال السياسة والدين ، وشهدوا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحفظ للبشرية كرامتها أفرادا وجماعات. واندفع ألوف من البشر (ممن يبحثون عن الخلاص في أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا) إلى الدخول في الإسلام.

- إحياء فكرة التضامن الإسلامي على المستويين الرسمي والشعبي ونشاطات الندوات والمؤتمرات التي تبحث في قضايا الإسلام - السياسية والتربوية والأدبية -.

كما ارتفعت المساجد والمآذن في كل ركن من أركان أوربا وأمريكا(٣٤) انطلق منها نداء الله أكبر ، عامرة بالمصلين والمؤمنين ..

- اتفاق معظم المسلمين اليوم على تحديد خصومهم : الاستعمار ، والصهيونية ، والرأسمالية والشيوعية ، كمخاطر خارجية ، إلى جانب المشكلات الداخلية المتمثلة في قضايا التخلف والتنمية والفقر والجهل والمرض. وبذلك فهم يسيرون نحو الوعي بالذات.

والمعنى من ذلك كله أن الأمة بإذن الله مجتمعة لالتزام الإسلام رغم قصار النظر من الناس ضعاف الصلة بالله الذين يتيهون في منازع الشر التي انتشرت في المجتمعات التي وصفها أهلها باطلا بالتقدم والرقي.

---

(٣٣) ألف الطبيب الفرنسي موريس بوكاي كتابا : « دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة » وترجم كتابه إلى اللغة العربية ونشر عام ١٩٧٨م ، وتحدث فيه عن دراسته ونتائجها فقال :

« لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة ، باحثا عن درجة اتفاق نصوص القرآن الكريم ومعطيات العلم الحديث » وبنفس الموضوعية قمت بدراسة على العهد القديم والأناجيل ، وكانت نتيجة الدراسة المقارنة مايلي :

« بعد تعلمي العربية وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لايحتوي على أي مقولة للنقد من وجهة نظر العلم الحديث.

وبالموضوعية نفسها أدركت أنه ليس بي حاجة للذهاب أبعد من الكتاب الأول بالنسبة للعهد القديم أي سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لايمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا هذا ».

(٣٤) ويتزعم المسلمين السود في أمريكا لويس فرخان الذي يحمل عليه زعماء اليهود في أمريكا ، بل وصل الأمر بالسود المسلمين في أمريكا إلى المطالبة بتكوين أمة إسلامية في أمريكا. انظر : المسلمون العدد٣٦ ١٢/١٠/١٩٨٥م. وانظر الحاشية رقم ١ ص ٢٤ من هذا الكتاب - الجزء الأول -. وطبعا لم يسلم الإسلام في أمريكا بين السود من التحريف ، فظهرت منظمة الإيجا محمد الأمريكية انظر - منظمة الإيجا - دراسة وتحليل - د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ط١/١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الشروق /جدة.

والواقع أن مظاهر الصحوة هذه لاتكفي فالأمة بحاجة إلى حل إسلامي شامل ، بمعنى أن يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمع في كل الميادين والمجالات المادية والمعنوية ، وأن تتجه الحياة كلها وجهة إسلامية ، وأن تصبح عقيدة المجتمع وشعاراته وتعاليمه وأفكاره ومشاعره ونزعاته وأخلاقه وأنظمة تربيته وتقاليده وآدابه وتشريعاته كلها إسلامية(٣٥). أي أن الصحوة الإسلامية هذه لن تكون حقيقية عملية إلا إذا اتخذت امتدادا يشمل كل الإتجاهات ، واتسمت بالوعي الحضاري الشمولي الذي لايغفل ميدانا من ميادين الحياة ولاأسلوبا من أساليب المواجهة ، وهو بحاجة بدون شك إلى تخطيط وتنسيق ووعي يترفع عن صغائر الأطر التنظيمية أو الحساسية الحزبية ويستشرف الأفق الإسلامي الذي يطل منه على الإنسانية جمعاء. بحيث يظهر إلى الوجود مجتمع الهداية والعدل ـ مجتمع الإسلام ـ . وتتضح أمام الأجيال المسلمة طريق النجاة في الدنيا والآخرة. بحيث يكون مرجعها في تصورها للعمل للإسلام من حيث الأهداف والوسائل ، ومواجهة الظروف والأحداث ، ووزن الأشخاص والأشياء ، مستمدا من الكتاب والسنة ، والسيرة النبوية المطهرة ، باعتبارها الترجمة العملية النموذجية للكتاب والسنة. ويندرج تحت هذا التصور البدهيات التالية : توحيد الله سبحانه بأنواع التوحيد الثلاثة :

١ـ توحيد الألوهية : أي إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة. فهذا توحيد قصد وطلب.

٢ـ توحيد الربوبية : أي الاعتقاد بأنه وحده سبحانه هو الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، بيده ملكوت كل شيء. وهو على كل شيء قدير. أي توحيد معرفة وإثبات.

٣ـ توحيد الصفات والأسماء : وهو الإعتقاد بأسمائه الحسنى ، سبحانه ، وصفاته العليا ، المنزهة عن كل نقص. أو إثبات الصفات دون تعطيل ، ولاتمثيل ، ولاتأويل. فيتضح عندهم بذلك مفهوم : (لاإله إلا الله). بحيث تكون الربوبية والحاكمية والسلطان والتشريع لله وحده. فيكون الإسلام عندهم المعنى الكلي الشامل الذي يجب أن يهيمن على جميع شئون الحياة بوعي على الدعوة ومراحلها.

---

(٣٥) يوسف القرضاوي ـ الحل الإسلامي ص ـ ٤٧ ـ ٤٨.

الفصل الثاني

الإتجاه إلى وحدة الجهود وتضامن المسلمين

تنبه المسلمون إلى خطورة تفرقهم وإلى عوامل ضعفهم وإلى أهمية وحدتهم وتآلفهم والتقائهم ، فارتفعت الأصوات تنادي بأهمية التقاء المسلمين للتشاور والتفاهم بعد أن جربوا كل المذاهب والنظم الغربية بشقيها الإشتراكي والرأسمالي اعتقادا منهم أو مجرد ظن بأن هذه النظم لم تغن عنهم شيئا وكانت سرابا خادعا ركضوا خلفه فتعرقلت نهضتهم وتفرقت كلمتهم ، وواقع الأمر أن في العالم الإسلامي مدا كبيرا وقوة شعبية هائلة تقول بالعودة إلى الإسلام من جديد ولا أدل على ذلك من مقاومة التجارب الشيوعية والإشتراكية في بعض بلدان العالم الإسلامي وردود الفعل العنيفة التي ظهرت في بعضها الآخر ضد العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، وفصل الدين عن الحياة.

جربت القوى المسلمة التكتلات الإقليمية والوطنية والقومية وأشهرها : **الحلف المركزي** الذي ضم تركيا وإيران وباكستان(١) ،**والجامعة العربية** التي ضمت الدول العربية جمعاء(٢) ،**ودول عدم الانحياز**(٣) ومؤتمراتها التي ضمت كثيرا من دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، **ومنظمة الوحدة الإفريقية**(٤) ، وغير ذلك من محاولات للوحدة الوطنية أو الاقليمية أو الاقتصادية على غير أسس الإسلام.

وفي عام **١٣٤٥هـ/١٩٢٦م** شهدت مكة المكرمة أول مؤتمر إسلامي قام بالدعوة إليه الملك عبد العزيز آل سعود كان بمثابة بدء المحاولات الإسلامية نحو الإتحاد بعد إلغاء الخلافة العثمانية ، تبعه وسبقه جماعات إسلامية كثيرة شملت الساحة الإسلامية بأجمعها مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر سنة

---

(١) **Central Treaty Organization** أو حلف بغداد. وبعد انسحاب العراق عام ١٩٥٨م منه ، وأصبحت أمريكا عضوا عاملا كامل العضوية في هذا الحلف. وفي الحلف أيضا المملكة المتحدة (انجلترا)!! والواقع أن الحلف واحد من المحاولات الغربية لتكريس نفوذها في العالم الإسلامي - (انظر : محمد عزيز شكري الأحلاف والتكتلات ص ٧٠).

(٢) انظر فصل الأحلاف والتكتلات الدولية في هذا الكتاب.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

١٣٤٧هـ/١٩٢٨م ، والجماعة الإسلامية التي أسسها الأستاذ المودودي سنة ١٩٣٨م وغيرهما من الجماعات والحركات الإسلامية التي أدت دورها في الصحوة الإسلامية بغض النظر عما قيل عن بعضها أو عنها كلها وتركت ميراثا فكريا ضخما في مستوى المواجهة مع التيارات المعادية للإسلام ، ولكن طغى على كثير من أعضاء هذه الحركات والجماعات التعصب وسارعوا إلى مواجهة بعضهم بعضا ، ووصل ببعضهم إلى تكفير بعض بشكل أعاد إلى الأذهان صورة التعصب المذهبي الذي ساد بلاد الإسلام في عصور الجمود والتخلف.

هذه الروح الحزبية جعلت أولئك الأفراد لا يرون احتمال خطئهم ،وان عندهم الحق المطلق ، والخطأ المطلق عند غيرهم ، فجعلت اللقاءات بين أفرادهم سباقا في الحديث وليس حوارا (والحوار فن يعتمد على سماع آراء الآخرين وفهمها وتفنيدها للتوصل إلى الصواب والرجوع عن الخطأ) ، والحزبي لايرى إلا من زاوية واحدة فقط ويقوم حديثه على توزيع الآراء وسد النظر فيما يتعلق بنظريته فلا يتسع صدره لآراء غيره ، وهذا أدى بدوره إلى إنغلاق بعض الجماعات على نفسها وانعزالها عن الأمة ، ونهج بعضها التطرف والغلو فسهل على أعداء الإسلام والعلمانيين ضرب دعاة الإسلام بشعارات تبررها بعض أعمال ومفاهيم بعض الجماعات كالاتهام بالتعصب أوالتطرف .. فضاعت جهود كثير من العاملين في حقول الدعوة أو شوهت.

وماعلى هذه الجماعات إذا أرادت أن يستمر دروها الإيجابي في العمل لاستئناف الحياة الإسلامية إلا أن تعيد النظر في تقويم نفسها والابتعاد عن السرية والعمل تحت الأرض لأن ذلك هوالوسط المناسب لاستنبات البذور الغريبة مجهولة الطبيعة والمناسبة للعمل المظلم فتسيء إلى العمل كله وإلى الجماعة كلها وإلى الإسلام ، أما العمل في ضوء النهار فإنه يقتل العفونة ويكشف العناصر الغريبة المستنبتة في الظلام تحت ضوء النهار وتختبر الصبر والصلابة والإخلاص. وعلى هذه الجماعات مادامت أهدافها واحدة أن تتقارب وتتواد وتتحاب وترد أمورها كلها إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ وإلى العلماء المخلصين الذين يستطيعون استنباط تلك الأحكام لا إلى أصحاب الساندويتشات الفكرية ، والعلماء هم أئمة العامة يتصدون لإرشاد الناس ويرون فيهم القدوة الصحيحة ، وعليهم التخلي عن الهوى واتباع الحق ، والهوى هو المذموم الذي لايجوز لمسلم أن يحتكم إليه أو يطمئن

إليه قلبه. وروي عن ابن عباس أنه قال : « ماذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه »(٥).

وأما الحق فهو الوحي من كتاب أو سنة. ومرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله. قال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾(٦).

وقال تعالى : ﴿ **وماختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله** ﴾(٧).

وقال تعالى : ﴿ **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾(٨).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾(٩).

فهم بحاجة وغيرهم من الدعاة إلى أن يكون عملهم خالصا لله فقط فلا يستكثر أحدهم عمله ويستقل عمل غيره ، كما أنهم بحاجة إلى الحلم والتأني والصبر في دعوتهم.

قال ﷺ للأشج رئيس قبيلة عبد القيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله ـ الحلم والأناة »(١٠).

والصبر في حقيقته ألزم لوازم الداعية وأمضى أسلحته وأكمل عدته وقد فهم ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿ **ولكن كونوا ربانيين** ﴾ فقال : كونوا حلماء فقهاء. ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره(١١).

بالإضافة إلى وجوب توفر حسن التفقه والفهم السليم لبعض القضايا الفقهية ، حتى ينتفي النزاع والتخاصم والفرقة ، ويجب إدراك ان الخلاف في الفروع لا يوجب الفرقة والنزاع ، ولا يقطع الألفة والمودة والأخوة. ومن الملاحظ أن الغرور والجرأة على الفتيا بدون أهلية لذلك من أهم أسباب الفرقة بين أفراد الجماعات الإسلامية. وعلى مختلف الدعاة والمؤسسات الإسلامية أن تعمل على تضييق شقة

(٥) الإمام الشاطبي - الموافقات - ج٢ص ١٢١.

(٦) سورة النساء الآية ٥٩.

(٧) سورة الشورى الآية ١٠.

(٨) سورة النساء الآية ٦٥.

(٩) سورة النساء الآية ٨٣.

(١٠) صحيح مسلم ج١ ص ٣٧.

(١١) فتح الباري ج١ ص ١٦٠.

الخلاف وإزالة العقبات ، وأن يبينوا للناس حقيقة الإسلام ، حقيقة التوحيد ، حتى توجد القاعدة الإسلامية الواعية من داخل الأمة الإسلامية ، وان من الخطأ الأصطدام بالسلطة قبل وجود القاعدة الواعية ، إذ يكون ذلك أمرا انتحاريا لا طائل وراءه إلا اعطاء السلطة حجة تقتيل المسلمين ، والتخلص منهم.

إن عملية التربية المستمرة ، وتخريج الأجيال المؤمنة ستؤدي حتما إلى التعاون مع السلطة ، أو إلى انحناء السلطة ، فهي من الأمة ، وليست من خارجها. ومن الممكن أن تدعم العمل الإسلامي بدلا من أن تسهم في القضاء عليه. كما يجب الانتباه إلى تربية المرأة المسلمة تربية إسلامية صحيحة لتقضي على فكرة تحرير المرأة الغربية النزعة واليسارية المنحى. ولتسهم المرأة في حركة إحياء الدين بوعي واخلاص.

هذا وقد ظهرت أنشطة طيبة على المستويين الرسمي والشعبي في العالم الإسلامي. كان لجهود المخلصين من الأمة ، وللمملكة العربية السعودية دور بارز في إنجاحها. وأهم هذه الأنشطة :

منظمة المؤتمر الإسلامي :

وتعود فكرته إلى أول اجتماع عقد في مكة المكرمة عام **١٣٤٥هـ/١٩٢٦م** بعد إلغاء الخلافة العثمانية برعاية الملك عبد العزيز ومصر ومسلمين من شبه القارة الهندية.

ثم عقد مؤتمر إسلامي في بيت المقدس عام **١٩٣١م/١٣٥٠هـ** ورفع صوته احتجاجا على اضطهاد المسلمين في الإتحاد السوفييتي ، وأصدر نداء للرأي العام ناشده المساعدة.

كما عقد مؤتمر كراتشي عامي **١٩٤٩م و١٩٥١م**. واجتماع بغداد عام **١٩٦٢م** ، واجتماع مقاديشو لعام **١٩٦٤م**. وللمؤتمر لجنة مهمتها معالجة الشئون الثقافية والإدارية والسياسية والإجتماعية والاقتصادية(١٢).

وفي الستينات بدأت الدعوة لإقامة تجمع إسلامي دولي ، كانت المملكة العربية السعودية من أول الداعين لها. وقد اصطدمت الفكرة أول الأمر بمعارضة عنيفة من بعض الدول العربية بحجة أن وراءها محاولات غربية لإحياء فكرة الأحلاف المناوئة لسياسات هذه الدول ، كما وقفت روسيا في وجه هذه الفكرة وركزت على تشويهها في وسائل الإعلام المختلفة ، وقد لعبت الإنقسامات التي شهدتها

(١٢) محمد عزيز شكري ـ التكتلات والأحلاف ص ١٤٦.

الساحة العربية والإسلامية في تلك الفترة ، دورها في تباين المواقف إزاء فكرة التجمع الإسلامي ، كما لعبت الشعارات التي رفعت في تلك الفترة من تقدمية وثورية واشتراكية دورها في الضجيج على هذه الفكرة. إلى أن كانت مأساة **١٩٦٧م**. فغير معظم القادة المعارضين مواقفهم تدريجيا ،وشاركوا في ترجمة فكرة التجمع الإسلامي إلى ما يعرف حاليا بميثاق **منظمة المؤتمر الإسلامي**.

ففي القمة الإسلامية بالرباط عام **١٣٨٩هـ/١٩٦٩م** تقرر إنشاء هذه المنظمة ، وكان مؤتمر القمة رد فعل على الجريمة اليهودية في إحراق المسجد الأقصى.

وتم إقرار ميثاق المنظمة في المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية بجدة عام **١٣٩٢هـ/١٩٧٢م**. واشترك في إقرار هذا الميثاق ثلاثون دولة إسلامية هي : أفغانستان ، والجزائر ، والإمارات العربية ، والبحرين ، وتشاد ، ومصر العربية ، وغينيا ، وأندونيسيا ، وإيران ، والأردن ، والكويت ، ولبنان ، وليبيا ، وماليزيا ، ومالي ، وموريتانيا ، والمغرب ، والنيجر ، وعمان ، وباكستان ، وقطر ، والمملكة العربية السعودية ، والسنغال ، وسيراليون ، والصومال ، والسودان ، وسوريا ، وتونس ، وتركيا ، واليمن.

وقد صدقت السلطات المختصة في ثلاث وعشرين دولة من هذه الدول على هذا الميثاق حتى عام **١٩٧٣م**. كما طلبت دول أخرى الانضمام إليه منها : غامبيا ، والكمرون ،واوغندة ، وفولتا العليا ، وغابون ، وغينية بيساو. وطلب العراق الإنضمام إلى المؤتمر الإسلامي كمراقب. وتمثلت في مؤتمر لاهور عام **١٩٧٤م** أعظم تظاهرة إسلامية.

ويمثل النشاط الرئيسي لهذه المنظمة على مستوى وزراء خارجية الدول الإسلامية أو ملوكها ورؤسائها. وقد ازداد عدد الدول الإسلامية المشاركة في هذه المنظمة فبلغ عام ١٤٠٥هـ في مؤتمر صنعاء ٤٤ دولة. وهو المؤتمر الخامس عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية.

وتهتم منظمة المؤتمر الإسلامي بالمسلمين في جميع أجزاء العالم ، بحيث أصبحت ملجأ كل الجماعات والأقليات المسلمة في العالم.

أهداف المنظمة :

ورد في مقدمة ميثاق المؤتمر الإسلامي مايوضح أسس التكتل الذي أنشأه فتقول :

« إن ممثلي الدول الأعضاء وهم مقتنعون بأن عقيدتهم المشتركة تشكل عاملا قويا لتقارب الشعوب الإسلامية ، وتفاهمها ، وتضامنها ... وإذ يقرون الحفاظ على القيم الروحية والأخلاقية ، والإجتماعية والإقتصادية الموجودة في الإسلام والتي تظل عاملا من العوامل الهامة لتحقيق التقدم بين أبناء البشر ... يصممون على توثيق أواصر الصداقة الأخوية والروحية القائمة بين شعوبهم .... ».

أما أهداف هذه المنظمة فقد حددتها المادة الثانية من الميثاق على النحو التالي :

١ـ تعزيز التضامن الإسلامي بين الدول الأعضاء.

٢ـ دعم التعاون بين الدول الأعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية. وفي المجالات الحيوية الأخرى ...

٣ـ العمل على محو التفرقة العنصرية والقضاء على الاستعمار في جميع أشكاله.

٤ـ اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل.

٥ـ تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة ، وتحريرها ، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني ، ومساعدته على استرجاع حقوقه ، وتحرير أراضيه.

٦ـ دعم كفاح جميع الشعوب الإسلامية في سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها وحقوقها الوطنية.

٧ـ إيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى(١٣).

وقد تبنى الملك فيصل بن عبد العزيز الدعوة إلى التضامن الإسلامي للوقوف في وجه المخططات الإستعمارية ، و لم شعث المسلمين ومجابهة الغزو الفكري بجميع أشكاله، وقام من أجل ذلك بعدة جولات في البلاد الإسلامية كالمغرب ، وغينيا ، ومالي ، وتونس ، والجزائر ، والسنغال ، واوغندا ، وتشاد ، وموريتانيا ، والنيجر ، كما أرسلت المملكة عدة بعثات لأفريقيا ، واستقبلت مئات الطلاب في الجامعة الإسلامية والجامعات الأخرى ، وكان من نتائج هذه الدعوة :

١ـ تنبهت الدول الأفريقية للخطر الصهيوني الذي تسلل إليها منذ سنة **١٣٧٦هـ** وبعد احتلال إسرائيل لمضائق تيران وخليج العقبة ، وصارت السفن اليهودية تسير في البحر الأحمر والمحيط الهندي وتتصل مباشرة بشرق أفريقيا.

وبعد اتصالات فيصل قطعت الدول الأفريقية علاقاتها السياسية مع الصهيونية

(١٣) نفسه.

وانقلب كثير منها إلى موالاة البلاد الإسلامية.

٢ـ أنشيء البنك الإسلامي للتنمية ليسد الفراغ في مساعدة الدول الأفريقية النامية ، وليقوم بمشاريع التنمية الإقتصادية على أسس خالية من المعاملات الربوية.

٣ـ انشئت الأمانة العامة للدول الإسلامية بجدة ، بعد انعقاد عدة دورات لملوك ورؤساء الدول الإسلامية (منظمة الدول الإسلامية) فعقدت عدة مؤتمرات قمة إسلامية أسفر الثالث منها عن تأسيس مجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة.

٤ـ أنشيء المجلس الأعلى للمساجد وبدأ العمل في التنسيق بين مؤسسات الدعوة في العالم الإسلامي ورعاية المساجد وعمارتها وتكوين الدعاة.

٥ـ تبني القضايا الإسلامية ومد يد العون إلى الشعوب والأقليات المسلمة التي تعاني الظلم والاضطهاد : فعقد في السنوات الأخيرة العديد من المؤتمرات والندوات الإسلامية وتكررت اللقاءات الرسمية والشعبية بين قادة الفكر الإسلامي للتداول في شئون المسلمين ومد يد العون إلى الشعوب والأقليات التي تعاني الظلم والإضطهاد. ففي أعمال مؤتمر القمة الإسلامي الثالث الذي عقد في ربيع الأول سنة **١٤٠١هـ** أضيف موضوع الأقليات المسلمة إلى جدول أعمال مؤتمر القمة بناء على موافقة مؤتمر وزراء خارجية العالم الإسلامي الثاني عشر الذي عقد بمدينة الطائف(١٤). كما أنشيء معهد شئون الأقليات المسلمة التابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة لخدمة الأقليات المسلمة ودراسة مشكلاتها(١٥). وأنشئت إذاعة نداء الإسلام في مكة المكرمة لخدمة قضايا الأقليات المسلمة أيضا. وأصبحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تجمعا كبيرا لأبناء المسلمين ومنبرا إسلاميا كبيرا عقد فيها المؤتمر الإسلامي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الأول والثاني.

فعقد الأول سنة **١٣٩٧هـ/١٩٧٧م** وتناولت موضوعاته(١٦) :

أـ مناهج الدعوة الإسلامية ووسائلها وأساليبها وسبل تعزيزها وتطوراتها.

ب ـ اعداد الدعاة ومشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث ووسائل التغلب عليها.

ج ـ وسائل الإعلام ودورها في توجيه الأفراد والجماعات والمجتمعات وآثارها

---

(١٤) جريدة الندوة ٢٢ربيع الأول ١٤٠١هـ.

(١٥) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ربيع الآخر ١٣٩٨هـ.

(١٦) صوت الجامعة ـ عدد خاص ـ العدد ١٣السنة ٢الأحد ٢٨ ربيع الأول١٤٠٤هـ.

المضادة للدعوة الإسلامية ومايجب اتخاذه بإزائها.

وقد صدر عن هذا المؤتمر ٩٨ توصية تمثل منهجا متكاملا للدعوة وإعداد الدعاة ، وطالب الحكومات كلها بنبذ القوانين الوضعية والعودة إلى الشريعة الإسلامية.

وأما المؤتمر الثاني فعقد عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م واشترك فيه علماء ودعاة من العالم الإسلامي ، ومن توصياته التي تعبر عن أماني الأمة وآمالها :

أ- دعوة ولاة الأمور في الأقطار الإسلامية إلى التقارب والوحدة ونبذ القوانين الوضعية باعتبار هذه الأقطار أمة واحدة تترابط وتتفاعل أجزاؤها وتتكامل ثرواتها وطاقاتها ويتحد مصيرها.

ب- أن تتبنى منظمة المؤتمر الإسلامي إنشاء هيئة للتعاون الإسلامي تعنى بدراسة سبل التعاون والتكامل بين الأقطار الإسلامية في جميع مجالات الحياة الصناعية والتجارية والإستثمارية والدفاعية والأمنية والزراعية والإجتماعية والصحية وغيرها والعمل على تحقيق ذلك.

ج- دعوة الحكومات الإسلامية إلى اتفاق على ميثاق إسلامي مستمد من الكتاب والسنة يجمع كلمتها ويوحد سياستها ويعزز قوتها ويجعل ولاءها لدينها وانتصارها بربها لا بالتحالف مع أعدائها ، وأن تكون العلاقات الدولية خاضعة للسياسة الشرعية الإسلامية.

د- أوصى منظمة المؤتمر الإسلامي أن تتبنى القيام بإنشاء المصارف غير الربوية لتشمل سائر الأقطار الإسلامية وإلى تعزيزها بالأموال لبناء إقتصاد إسلامي يقضي على الإقتصاد الربوي القائم ويحل محله.

هـ ضرورة التعاون الإقتصادي بين الأقطار الإسلامية على أساس إسلامي.

و- كما أكد على أن أفغانستان وفلسطين قضيتان إسلاميتان وبضرورة رعاية الأقليات الإسلامية ومساعدتهم.

وعقد المؤتمر الأول لوزراء الإعلام للدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م بهدف توعية الأمة الإسلامية بأهمية الإعلام ومدى تأثيره على مسار القضايا الإسلامية. ونرجو أن يبشر بالخير.

رابطة العالم الإسلامي

أنشئت بناء على قرار صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الأول الذي عقد بمكة المكرمة في ١٤ ذي الحجة عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ، وهي منظمة إسلامية عالمية

تمثل فيها جميع الشعوب الإسلامية في أنحاء المعمورة ، ومقرها مكة المكرمة ، ولها مجلس تأسيسي مؤلف من كبار العلماء ورجال الفكر في العالم الإسلامي(١٧). ولقيت كل التشجيع والمؤازرة والدعم من حكومة المملكة العربية السعودية. وتهتم بمقاومة جميع الحركات والتيارات المعادية للإسلام ، وبمساندة كل عمل الخير للعالم الإسلامي.

ومن أهداف الرابطة(١٨) :

- تبليغ دعوة الإسلام ، وشرح مبادئه وتعاليمه ، ودحض الشبهات عنه.
- التصدي للتيارات والأفكار الهدامة التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم .
- الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم ويحل مشاكلهم .

ومن الوسائل التي تستخدمها الرابطة لتحقيق الأهداف(١٩) :

- العمل على تحكيم الشريعة في البلاد الإسلامية
- الأخذ بمبدأ الشورى عن طريق مؤتمرات لكبار العلماء في العالم الإسلامي لتبادل وجهات النظر ، وتنسيق الجهود من أجل نشر الدعوة الإسلامية .
- الاستفادة من موسم الحج عن طريق إقامة الندوات والمحاضرات .
- دعم وتشجيع العلماء والدعاة في كافة أنحاء الأرض وتوزيع الكتب والمجلات الإسلامية مجانا.
- بعث عدد من الوفود إلى جميع أقطار العالم الإسلامي وللأقطار التي تتواجد فيها الأقليات الإسلامية لدراسة مشاكلهم والتعرف عليهم ومساعدتهم ودعمهم.
- دعم جميع المنظمات والمؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة وتنسيق الجهود والعمل الإسلامي معها لخدمة الدعوة الإسلامية.
- العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب الإسلامية.

وتقوم الرابطة بمهامها عن طريق عدد من الأجهزة ومن أهمها(٢٠) :

١- المجلس التأسيسي ويتكون من ٥٦ عضوا من العلماء وقادة الرأي والفكر

---

(١٧) رابطة العالم الإسلامي ص ٣ - عشرون عاما على طريق الدعوة والجهاد - مكة المكرمة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(١٨) نفسه ص ٤.

(١٩) نفسه ص ٤-٥.

(٢٠) نفسه ص ٨-٩.

في العالم الإسلامي ،ويجوز زيادة عددهم لاستكمال التمثيل الإسلامي. وهو الذي يرسم سياسة الرابطة ويحدد أهدافها واتجاهاتها.

٢ـ الأمانة العامة للرابطة : وهي السلطة التنفيذية للرابطة ومقرها الدائم مكة المكرمة ، ويعتبر الأمين العام هو المسئول عن تنفيذ القرارات والتوصيات التي يصدرها المجلس التأسيسي في الداخل والخارج. ومن مهمة الأمانة النظر في أحوال المسلمين في كل مكان. وخاصة الأقليات الإسلامية في أماكن كثيرة من العالم وحماية الأقليات أولا ثم إعانتها ثم إرشادها إلى طريق الإسلام الصحيح.

٣ـ الجهاز الإداري والمالي : وهو المسئول عن متابعة أعمال الرابطة ورفع التقارير عن سير تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسي.

هذا وهناك مكاتب فرعية لرابطة العالم الإسلامي في مختلف دول العالم ، وهي معترف بها رسميا من قبل السلطات المحلية لتلك الدول ويتمتع العديد منها بالإمتيازات والحصانات الدبلوماسية(٢١).

ومن أنشطة الرابطة :

بلغ عدد مكاتب الرابطة في جميع أنحاء العالم **٢٥** مكتبا (عام **١٤٠٥هـ**) تقوم بتنفيذ قرارات الرابطة في الوقوف على أحوال المسلمين وتعليمهم ودعم الجمعيات الإسلامية ، وتقديم المساعدات لها. كما بلغ عدد الدعاة التابعين للرابطة في العالم (عام **١٤٠٥هـ**) **٩٣٦** داعية. موزعين كالتالي :

في أفريقيا **٣٣٦** داعية.

في أوربا وأمريكا **٩٩** داعية.

في آسيا والمحيط الهادي **٢٠٦** داعية.

في أندونيسيا **٢٩٥** داعية من مشروع الألف داعية.

وأنشأت **هيئة الاغاثة الإسلامية** ومقرها مكة المكرمة لتقديم المساعدات المالية والعينية للاجئين والمتضررين. وأقامت هذه الهيئة مجموعة كبيرة من المراكز الطبية في الصومال والنيجر والسودان وبنجلاديش والباكستان وغيرها.

وأقامت الرابطة **مطبعة** خاصة لنشر الفكر والوعي الديني وتم تزويدها بأحدث الآلات والمعدات ، ووزعت الملايين من المصاحف ومئات الآلاف من تراجم معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات السائدة في العالم. وأنشأت لذلك إدارة شئون وأبحاث القرآن الكريم وترجمة معانيه. وتقوم الأمانة العامة بتنفيذ مشروع لاختيار

(٢١) نفسه ص ١٠.

أحسن الترجمات لفظا وإظهارا لمعاني آيات القرآن الكريم وطبعها وتوزيعها. وقد تم طبع وترجمة معاني القرآن باللغة الفارسية ، وهناك تحت الطبع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الصينية واللغة الأوغندية. وهناك مشروع لطبع ترجمة معاني القرآن الكريم بالبرتغالية والفرنسية.

وتصدر الرابطة **مجلتين** شهريتين إحداهما بالعربية والأخرى بالإنجليزية ، بالإضافة إلى جريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية ، ومجلة رسالة المسجد الفصلية ، وكتاب دعوة الحق الشهري. وتقوم الرابطة بتشجيع عدد من الصحف الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

وشكلت الرابطة **المجلس الأعلى العالمي للمساجد** بناء على قرار مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد بمكة عام **١٣٩٥هـ/١٩٧٥م** بدعوة من رابطة العالم الإسلامي(٢٢). وبلغ عدد أعضاء هذا المجلس **٥٥** عضوا يمثلون مختلف الشعوب والأقليات الإسلامية في العالم. ومن أهدافه :

- تكوين رأي عام إسلامي في مختلف القضايا والموضوعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة.
- محاربة الغزو الفكري والسلوك المنحرف في حياة المسلمين.
- بناء الشخصية الإسلامية فكرا وعقيدة وسلوكا.
- العمل على حرية الدعاة إلى الله وأئمة المساجد والخطباء وحمايتهم من الإضطهاد.
- حماية المساجد من كل أعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها.
- الحفاظ على الأوقاف الإسلامية واسترجاع ماعطل أو صودر منها وتنميتها.
- الدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية في مختلف أجزاء العالم.

وانبثقت عن المجلس الأعلى العالمي للمساجد : **المجالس القارية** : في آسيا والمحيط الهادي ومقره جاكارتا ، وفي أوربا ومقره في بروكسل ، وفي أمريكا وكندا ومقره في أوتاوا ، وفي أفريقيا وسيكون مقره في الخرطوم ، وذلك للربط بين المجلس الأعلى وكل مسجد في كل بقعة من بقاع الأرض. وانبثق أيضا عن المجلس الأعلى للمساجد (صندوق لإعانة المساجد) في جميع أنحاء العالم ميزانيته عشرون مليون ريالا تبرعت بها حكومة المملكة العربية السعودية.

وأسست الرابطة **المجمع الفقهي الإسلامي** بتوجيه من المجلس التأسيسي للرابطة

(٢٢) رابطة العالم الإسلامي - مصدر سابق - ص ١٣.

يضم جماعة من العلماء والفقهاء يتولون دراسة واقع الأمة الإسلامية والمشكلات التي تواجهها وإيجاد الحلول الصحيحة على أساس المصادر المعتمدة في الفقه الإسلامي(٢٣) وإحياء التراث ونشره(٢٤).

وقد انبثقت من مجلس المجمع الفقهي **عدة لجان** هي : (٢٥)لجنة المصطلحات الفقهية ، ولجنة التراث الفقهي ، ولجنة البحث العلمي ، ولجنة الصياغة ، ولجنة الدراسات المعاصرة ولجنة المكافآت.

وفي مجال التربية والعلوم والثقافة :

قررت منظمة المؤتمر الإسلامي عام **١٩٨٢م** تنفيذا لتوجيهات قادة الدول الإسلامية إنشاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) ، وقرروا أن يكون للمنظمة وكالة متخصصة تعمل في ميادين العلوم والثقافة ذات استقلال ذاتي في شئونها التنظيمية والمالية ، ولها أجهزتها الخاصة بها وهي :

- المؤتمر العام وهو الهيئة العليا بالمنظمة ويضم وزراء الثقافة والعلوم.
- المكتب التنفيذي ويتكون من **٩** دول وثلاث شخصيات إسلامية.
- الإدارة العامة وعلى رأسها مدير عام منتخب من المؤتمر العام.

وكانت قد برزت هذه الفكرة - فكرة إنشاء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم بعد حرق المسجد الأقصى إلى أن ظهرت بالفعل بعد ثلاثة عشر عاما. ومن أهدافها :

- توثيق روابط الأخوة بين الأعضاء.
- حماية الهوية الإسلامية وتركيز هذه الهوية وبخاصة في الدول غير الأعضاء أو التي يقل فيها عدد المسلمين.
- الدفاع عن الإسلام وتقديمه بصورته الصحيحة.
- العمل على جعل الثقافة الإسلامية محور تعليم الدول الإسلامية.
- بالإضافة إلى محاربة الأمية لدى الكبار في القرى الإسلامية. وبدأت بالفعل بماليزيا وسيراليون.
- العمل على تطوير الطرق التربوية في المدارس القرآنية. وبدأت بالفعل في السنغال.

---

(٢٣) نفسه ص ٢٢.

(٢٤) رابطة العالم الإسلامي - الدليل الإعلامي - عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(٢٥) رابطة العالم الإسلامي - عشرون عاما على طريق الدعوة - ص ٢٣.

- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لتعلم الدين وتصحيحه(٢٦).

مواجهة المسلمين للتحديات الإقتصادية :

تقوم قوى الأمم في هذا العصر على الإقتصاد ، فأمريكا تقوم قوتها الهائلة على الإقتصاد الأمريكي الذي هو أداة من أدوات الحرب بل هو أقوى عدة. وقد تكالبت القوى وتحركت المطامع نحو ثروة البلاد الإسلامية ، للوصول إليها ، أو الإحتفاظ بها. وبسبب تفرق المسلمين وتخلفهم وغيبة النظام الإقتصادي الإسلامي أصبحت ثروة بلادهم بيد أعدائهم يتنافسون عليها. ووجدوا أنفسهم بعد استقلال بلادهم ضعفاء أمام التكتلات الاقتصادية العالمية الهائلة(٢٧) ، وفي تبعية إقتصادية كاملة لهذه التكتلات. فحاولت البلاد العربية إنشاء **سوق عربية مشتركة** لمقابلة الإحتكارات الأجنبية والوقوف ضد التكتلات الإقتصادية الغربية ، ووضع حد للمنافسة في إنتاج البلاد العربية بين الأقطار العربية ، وبدأت الفكرة سنة **١٩٥٦م** بتشكيل لجنة من الخبراء العرب لوضع مشروع الوحدة الاقتصادية ، وظهرت الفكرة إلى حيز الوجود عام **١٩٦٤م** واعتمد يوم **١٩٦٥/١/١م** موعدا لقيام هذه السوق. ومر هذا التاريخ دون تحقيق شيء. كما واجه مشروع **السوق الإسلامية المشتركة**المصير نفسه وكذلك مشروع الدينار الإسلامي ، وذلك نظرا لاختلاف الأنظمة في الأقطار الإسلامية والعربية فلا يمكن تنفيذ مثل هذا السوق ، فدول تتبع النظام الإقتصادي الحر ، ودول أخرى تتبع النظام الإقتصادي الإشتراكي وهذا يؤدي :

١- إن التنافس في السوق الواحدة بين انتاج المزارع والمعامل المؤممة وبين إنتاج المزارع والمعامل الحرة لن يكون تنافسا عادلا ، لأن الانتاج المؤمم لايخضع في أسعاره للعوامل الإقتصادية بل تتحمل الدولة أكلافه في كثير من الأحيان من موازنتها العامة ، وتستطيع أن تغرق الأسواق بخلاف الإقتصاد الحر الذي لايستطيع منافسة ذلك.

٢- إن حرية تنقل الأموال وحرية العمل وممارسة النشاطات الإقتصادية في الدول الإشتراكية تبقى وهما لايستفيد منه رعايا الدول الأخرى الموقعة على الميثاق لأن هذه الحريات محظورة على رعايا الدولة الإشتراكية نفسها ، مادامت أكثر النشاطات الإقتصادية محصورة بالقطاع العام. لكن رعايا الدول الإشتراكية

---

(٢٦) المسلمون ص٣ العدد ١٢/٣٨ صفر١٤٠٦هـ/٢٦ أكتوبر ١٩٨٥م.

(٢٧) انظر واقع العالم الإسلامي من الناحية الإقتصادية في هذا الكتاب.

سيستطيعون الإستفادة في هذه المجالات من أسواق الدول ذات الإقتصاد الحر ، مما يشكل عدم تكافؤ المنافع بين الفريقين(٢٨).

٣- إن التبعية الإقتصادية وارتباط عملة كل قطر إسلامي بعملة دولة أخرى من الدول الكبرى يجعل قيام مثل هذه السوق وتوحيد الدينار صعب المنال والتحقيق.

وعلى ذلك فمن أجل التعاون الإقتصادي التام بين أقطار المسلمين يجب توحيد الأنظمة أولا ،والعامل المشترك بين جميع هذه الأقطار هو الإسلام فبالإتجاه إلى النظام الإقتصادي الإسلامي يسهل عمليات التكامل وقيام مثل هذه السوق المشتركة. فالاتحاد الجمركي - الزلفرين - الألماني الذي كان مقدمة الإتحاد الألماني تم بين ولايات تتشابه أنظمتها الإقتصادية ، وكذلك السوق الأوروبية المشتركة والسوق اللاتينية المشتركة. وأمام التحديات الحاضرة للعالم الإسلامي من : أطماع الكتلتين الكبيرتين على السيطرة على البلاد الإسلامية خاصة الدول البترولية منها. وخطر الصهيونية ووجودها داخل العالم الإسلامي ، وغزو الإتحاد السوفييتي لبعض البلدان الإسلامية ، وإشعال نار الحرب والفتنة بين بعض البلاد الإسلامية مثل الحرب العراقية الإيرانية ، وحرب الصحراء ، والحرب الأهلية اللبنانية ، هذه الأخطار كلها يصعب صدها إذا مابقي اقتصاد البلاد الإسلامية مفككا كما هو عليه الحال الآن بالإضافة إلى تفككها السياسي ، وهذا يؤكد لنا ضرورة قيام السوق المشتركة والتعاون الإقتصادي - الذي لايتم كما ذكرنا إلا بتوحيد النظم الإقتصادية في البلاد الإسلامية.

وقد تعاظمت التحديات الاقتصادية على منطقة الخليج العربي بشكل خاص لحاجة العالم الصناعي للنفط ، فظهر مجلس التعاون لدول الخليج سنة **١٤٠١هـ/١٩٨١م** وقد نجح هذا المجلس بسبب الروح الإسلامية التي تجمع بين هذه الدول ، ويعتبر مثلا الواجب على بلاد المسلمين أن تحتذيه وتطوره للتغلب على الأخطار التي تواجه هذا العالم الإسلامي الغني في خيراته وإمكانياته ، الجائع على أرضه ، المسلوب الإرادة والتحكم في ثرواته . وهذه فكرة عن مجلس التعاون لدول الخليج :(٢٩)

---

(٢٨) الاشتراكية في التجارب العربية ص ٧٨.

(٢٩) عن مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، دواعي قيام المجلس وطموحاته - الأمانة العامة - المملكة العربية السعودية - الرياض.

مجلس التعاون لدول الخليج العربية :

وجدت هذه الدول التحديات التي تواجه هذه المنطقة تتعاظم بتعاظم حاجة العالم الصناعي للنفط ، ولذا فاندماجها هو العامل الحاسم نحو توجه جديد لصياغة سياسة اقتصادية واجتماعية تبعد المنطقة عن التنافس الدولي ويكسبها قوة تفاوضية كبيرة ومقدرة على اتخاذ القرار لصالحها وتمكينها من حمايته .

فقد قررت دولة الإمارات العربية ودولة البحرين والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة قطر ودولة الكويت إقامة تنظيم يهدف إلى تعميق وتوثيق الروابط والصلات والتعاون بين أعضائها في مختلف المجالات يطلق عليها اسم مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ ليكون هذا المجلس الوسيلة لتحقيق أكبر قدر من التنسيق والتكامل في جميع الميادين(٣٠) ـ ويعتبر دعما لأهداف جامعة الدول العربية وخدمة للقضايا العربية والإسلامية.

ومن أهداف المجلس(٣١) :

١ـ تعميق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولا إلى وحدتها.

٢ـ تعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات.

٣ـ وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين بما في ذلك الشئون الآتية :

أـ الشئون الاقتصادية والمالية.

بـ الشئون التجارية والجمارك والمواصلات.

جـ الشئون التعليمية والثقافية.

دـ الشئون الإجتماعية والصحية.

هـ الشئون الإعلامية والسياحية.

وـ الشئون التشريعية والإدارية.

٤ـ دفع عجلة التقدم العلمي والتقني في مجالات الصناعة والتعدين والزراعة والثروات المائية والحيوانية وانشاء مراكز بحوث علمية وإقامة مشاريع مشتركة وتشجيع تعاون القطاع الخاص بما يعود بالخير على شعوبها.

---

(٣٠) نفسه ص ١٤.

(٣١) نفسه ١٥-١٦.

وأما **أجهزة مجلس التعاون فهي**(٣٢) :

أولا : المجلس الأعلى : وهو السلطة العليا للمجلس يتكون من رؤساء الدول الأعضاء وتكون رئاسته دورية حسب الترتيب الهجائي لأسماء الدول.

واختصاصاته :

١- النظر في القضايا التي تهم الدول الأعضاء.

٢- وضع السياسة العليا لمجلس التعاون والخطوط الأساسية التي يسير عليها.

٣- النظر في التوصيات والتقارير والدراسات والمشاريع التي تعرض عليه من قبل المجلس الوزاري لاعتمادها - أو التي يكلف الأمين العام بإعدادها.

٤- إقرار نظام هيئة تسوية المنازعات وتسمية أعضائها - وتعيين الأمين العام.

٥- التصديق على ميزانية الأمانة العامة.

ثانيا : المجلس الوزاري : ويتكون من وزراء الخارجية للدول الأعضاء أو من ينوب عنهم من الوزراء وتكون رئاسته دورية لمدة ستة أشهر ويعقد اجتماعاته مرة كل ثلاثة أشهر ويجوز له عقد دورات إستثنائية بناء على دعوة أي عضو من الأعضاء وتأييد عضو آخر.

ثالثا : اللجان والإجتماعات الوزارية والمتخصصة : للعمل على تنفيذ سياسات المجلس ووضع الإجراءات التفصيلية لذلك. وتتنوع هذه اللجان بحسب طبيعة المهام الموكلة إليها وتأخذ تبعا لذلك صفة الدورية أو الوقتية حسب مايقرر كل اجتماع أو لجنة وزارية. وقد بلغت هذه اللجان عام **١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ٢٤** لجنة كما يجري التحضير للجان أخرى في مجالات أخرى.

رابعا : الأمانة العامة : تتكون من أمين عام يعاونه أمناء مساعدون وما تستدعيه الحاجة من موظفين ويعين الأمين العام لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة أخرى ويكون مسئولا مباشرة عن أعمال الأمانة العامة ويمثل مجلس التعاون لدى الغير في حدود الصلاحيات المخولة له. وتعتبر الأمانة العامة الأداة الأساسية لتقديم مقترحات الجهات المسئولة للسياسات والخطط والبرامج المؤدية إلى تحقيق أهداف المجلس - فتتولى :

١- إعداد مشروع إستراتيجية العمل الخليجي المشترك في المجالات المختلفة.

٢- إعداد الدراسات والبحوث التي تتطلبها أعمال الأجهزة الرئيسية للمجلس.

---

(٣٢) نفسه ص ١٦.

٣- وضع الخطط والبرامج والمشروعات الكفيلة بتحقيق إستراتيجية العمل الخليجي المشترك.

٤- التنسيق مع المنظمات الدولية والإقليمية والعربية العاملة في مجال تخصصها.

٥- القيام بأعباء السكرتارية الفنية للجان الوزارية واللجان المختلفة في مجال عملها.

٦- تنظيم اللقاءات والندوات المتصلة بشئون تخصصها والإشتراك في المؤتمرات والإجتماعات المتعلقة بشئون عملها.

٧- إعداد تقارير دورية من النشاطات والإنجازات.

وتضم الأمانة العامة القطاعات التالية :

مكتب الأمين العام - وقطاع الشئون السياسية - وقطاع الشئون الإقتصادية - وقطاع شئون الإنسان والبيئة - وقطاع الشئون القانونية - وقطاع الشئون المالية والإدارية ومركز المعلومات.

ومن أهم منجزات المجلس الإتفاقية الإقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون لتنمية وتوسيع وتدعيم الروابط الإقتصادية فيما بينها على أسس متينة لما فيه خير شعوبها ومن أجل العمل على تنسيق وتوحيد سياستها الإقتصادية والمالية النقدية وكذلك التشريعات التجارية والصناعية والنظم الجمركية المطبقة فيها وقد عرضت هذه الإتفاقية في ٢٨ مادة وقع عليها في مدينة الرياض بتاريخ ١٥ محرم ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨١/١١/١١م وخرجت إلى حيز العمل والتطبيق.

وقد شجعت هذه التجربة الناجحة لمجلس التعاون الخليجي أقطار المغرب العربي ، على التفكير الجدي في إنشاء مجلس تعاون مغربي عربي مشابه ، فعقد رؤساء المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، وموريتانيا ، اجتماع قمة يوم ١٩٨٨/٦/١٠م لهذا الغرض. وكونوا لجانا فنية تجتمع دوريا لصياغة الترتيبات المؤسسة لهذا المجلس المرتقب.

الفصل الثالث

الأخطار التي تهدد العالم الإسلامي مالم يعتصم بالإسلام

يقف المسلم مذهولا اليوم وهو يرى المحاولات المسعورة المستمرة من قبل أعداء الإسلام في سبيل السيطرة وفرض الوصاية على كل مقدرات المسلمين صغيرها وكبيرها ، فيرى قضايا المسلمين المعاصرة أفغانستان المسلمة بين براثن الشيوعيين ، وفلسطين المسلمة يقصى الجهاد الإسلامي كأسلوب وحيد لتحريرها من أذهان المسلمين ، والخطط التي ينفذها الصليبيون في أندونيسيا ، وحملات التصفية التي يلاقيها المسلمون في جنوب الفلبين وفطاني ، والمؤامرات الدنيئة التي يحاول المنصرون تنفيذها في جنوب السودان لاقتطاعه وإقامة دولة صليبية في جنوبه ، وتسلط المستعمر وهيمنته على الدول الإفريقية المسلمة كتانزانيا وأرتيريا وأوغندا وغيرها ، وحملات التصفية والإضطهاد والإعتقال والتعذيب التي يتعرض لها الشباب المسلم في بلدان المسلمين لإبعاده عن دعوة الإسلام.

كل هذه المؤامرات والأوضاع المحزنة المؤلمة تعود في مجملها إلى سببين :

١- غياب الإسلام منهجا وتشريعا وسياسة وتطبيقا عن حياة الأمة - وحلول التشريعات المستوردة والمباديء الهدامة والنظم العلمانية في مختلف مجالات حياة المسلمين. فقد حاولت الصهيونية والشيوعية والصليبية الغربية جهدها لإبعاد الإسلام عن توجيه حياة المسلمين وجعله فكرة تاريخية أو سلوكا تعبديا لا علاقة له بالحل والعقد في مجال الحياة فأصبحت الثورة في مفهوم بعض الأنظمة ثورة على الإسلام وعلى المتمسكين بأهدابه.

٢- فقدان الوحدة بين أقطار الإسلام بإسقاط وحدة العقيدة والمبدأ من حساباتها وانعدام هذا التعاون في معظم الحالات. فأصبحت هذه الأقطار تعاني ماتعاني من المحن والمصائب بمفردها - بينما تتكالب القوى المضادة متعاونة متعاضدة تشدها إلى بعضها وحدة المصلحة في ضرب الإسلام وتفريق كلمته وابتزاز موارده وطاقاته.

وقد أدرك المسلمون ذلك وشهد العالم الإسلامي صحوة تأخرت (برغم

المسيرة الطويلة لحركات التجديد والإصلاح ابتدأت بمحمد بن عبد الوهاب والدعوات المماثلة(١) في شمال أفريقيا وماتلاها من حركات في مصر وديار الشرق الإسلامي في أندونيسيا والهند وباكستان وايران) إلى الثلث الأخير من القرن العشرين أو نهاية القرن الرابع عشر للهجرة كما بينا.

والتاريخ يحدثنا أن الشريعة الإسلامية كانت مطبقة في بلدان المسلمين كلها حتى أخريات القرن الثالث عشر الهجري ومنذ إلغاء تطبيق الشريعة في معظم بلاد المسلمين قام المسلم تحت مظلة القوانين الوضعية بتعذيب أخيه المسلم بطريقة لم تحدث خلال أربعة عشر قرنا وكان هذا المسلم يستورد أدوات تعذيبه لأخيه المسلم من بلاد النصارى ومن اليهود ومن دول الإلحاد الشيوعي.

وخرجت مجموعة شاذة من نساء المسلمين يحاربن الإسلام ولازال بعضهن في بعض المناصب يبارزن الإسلام مبارزة شرسة. ومنيت بلاد الإسلام بهزائم مروعة - وحاول المنهزمون أن يحولوا هذه الهزائم إلى انتصارات واحتفلوا بها واخترعوا بطولات.

وأقام المستعمرون أوضاعا معينة في كل بلد إسلامي فسمح لهم بالتدخل وإملاء إرادتهم ، وضمنوا لهذه الأوضاع أنصارا وأعوانا ، فاستشرت التبعية والتقليد واستشرى الإلحاد الشيوعي والغزو التبشيري الصليبي ،والامتداد الصهيوني اليهودي ، وانفصلت الشعوب الإسلامية عن حكامها إلا قلة نتيجة إصرار بعض الحكومات على تحدي شعوبها بعدم تطبيق شريعة الله ، فوقع التخبط وعاش المسلمون واقعا مريضا في حضيض من الذلة والهوان والتخلف نراه ونحس به في كل أقطار الإسلام التي أقصت الشريعة جانبا ،فتعطلت ملكات الإبداع في الأمة وتحول المجتمع إلى مستوى انحلالي رديء وتفككت الأواصر الإجتماعية وتعطل دولاب الحياة الإقتصادية السليمة ، وواجهت الأمة هزائم متوالية لا مثيل لها في التاريخ.

ومن المهم أن يدرك المسلم أن ماهم فيه المسلمون من الهوان لايعفيهم عن مسئوليتهم نحو أنفسهم ونحو البشرية جمعاء. قال تعالى : ﴿ **فاستمسك بالذي أوحي إليك ، إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف**

---

(١) وقد كانت هذه الدعوات محلية وكان تأثيرها محدودا باستثناء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي بقيت تلعب دورا بارزا في المسيرة الإسلامية الحالية.

تسألون ﴾(٢). وأنه سيبقى التخلف والحرمان والهوان والضعف وستبقى التبعية والركض واللهاث وراء كل ماهو سراب وخداع حتى يلجأ المسلمون إلى الله ، يتمسكون بدينهم ويدركون ذاتهم ومسئوليتهم ، وإلا فلن يعجزه سبحانه وتعالى أن يستبدل بهم قوما غيرهم يقومون بأمر هذا الدين.

قال تعالى : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لايكونوا أمثالكم ﴾**(٣).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولايخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾**(٤).

وقد منح الله الأمة الإسلامية كل مقومات التقدم والنمو والعزة ، فلديها من المناهج أقومها ، ومن النظم أسلمها ، ومن الأدوات أكثرها فعالية ، والأمل معقود على الصحوة الإسلامية المعاصرة علها تعود بالأمة إلى الإسلام - وإذا لم يحدث ذلك (لاقدر الله) فإن مستقبل الشعوب الإسلامية بل وأمم الأرض قاطبة لا يبشر بأي خير وسيزداد سوءا في ظل السيطرة الشرسة للمعسكرين الغربيين الرأسمالي والشيوعي ، وهما يلعبان بمقدرات العالم ، وفي ظل الصهيونية التي تحاول الهيمنة على المعسكرين وأن ترث الحضارة الغربية. فلا برء ولا علاج لأوضاع هذه الأمة ، ولأوضاع العالم بأجمعه إلا بشريعة الإسلام الخيرة التي ماتزال وضاءة حية نابضة على الرغم مما حاوله المشركون والدهريون ، وحاوله أهل الكتاب والصابئة والمجوس ، وحاوله الشيوعيون.

ودعوة الإسلام فوق كل ذلك تزداد دائرتها إتساعا وإنتشارا كلما وجدت العقل المفكر والقلب الواعي والنظر الصحيح ، وهي في متناول جميع الناس ، ورسالة الإسلام ليست بحاجة إلى نبي يجددها ، فهي دائما جديدة حية ولكنها في حاجة إلى رجال وأتباع يعملون ويجاهدون ويصدقون ماعاهدوا الله عليه ، وبمعنى أدق هي في حاجة إلى نماذج من الرجال عملها كقولها ، وقولها كفعلها.

قال ﷺ : « لقد تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ، كتاب الله وسنة رسوله ».

---

(٢) سورة الزخرف الآيتان ٤٣،٤٤.

(٣) سورة محمد الآية ٣٨.

(٤) سورة المائدة الآية ٥٤.

حاضر العالم الإسلامي

وقضاياه المعاصرة

العاقل من يستعرض ماضيه ويتطلع إلى غده

د. جميل عبد الله محمد المصري
أستاذ مشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين

الجزء الثاني

طبعة معدلة ومنقحة ومزيدة

دار أم القرى

عمان الأشرفية - شارع الكتاب - خلف مكتبة أمانة العاصمة
ص.ب ٢١١٩٥ ☎ ٦٥١٨٥٨

حُقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى – طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م

دار أم القرى

عمان. الأردن. شارع الكتاب. خلف مكتبة أمانة العاصمة. ص.ب ٢١١١٩٥ ☎ ٦٥١٨٥٨

الباب الخامس

قضايا أقطار إسلامية معاصرة في قارة آسيا

الفصل الأول : قضية فلسطين
الفصل الثاني : عذراء ماليزيا
الفصل الثالث : شبه القارة الهندية ومأساة كشمير
الفصل الرابع : أفغانستان
الفصل الخامس : أندونيسيا

الفصل الأول

قضية فلسطين

تقع فلسطين في غرب قارة آسيا ، وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط ، ويحدها شمالا لبنان وجنوبا خليج العقبة ، وفي جنوبها الغربي تقع مصر ، كما يحدها شرقا سوريا والأردن وغربا البحر المتوسط ، فهي تحتل موقع القلب من العالم الإسلامي ، وهي صلة الوصل بين شقي العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا ،وهي الطريق الطبيعي الذي يصل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحاري شبه الجزيرة العربية إذ تكون الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام.

مساحتها حوالي ٢٧,٠٠٠ كم٢ بما فيها الضفة الغربية(١) وقطاع غزة(٢).

وتنقسم فلسطين إلى المناطق الطبيعية التالية :

١ـ السهول الساحلية : ولفلسطين ساحل طويل يمتد من رأس الناقورة في الشمال إلى رفح في الجنوب ، ويلي الشاطيء سهل يسمى : السهل الساحلي الفلسطيني يتراوح عرضه بين **١٨و١٦** كم ، تزرع فيه الفواكه والحمضيات والخضر ، ومن مدن الساحل : عكا وحيفا ويافا وغزة وكلها موانيء مهمة ، وقد بنى اليهود مدينة تل أبيب التي جعلوها عاصمة مؤقتة لهم شمالي مدينة يافا. وفي داخل السهل مدن : طولكرم والرملة واللد وخان يونس والمجدل.

٢ـ الجبال والهضاب : ويلي السهل الساحلي إلى جهة الشرق الجبال التالية :

أ ـ جبال الجليل : وفيها مدينة صفد أعلى مدن فلسطين. ومدينة الناصرة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام وقضى معظم حياته فيها.

ب ـ جبال نابلس : وفيها مدينة نابلس بين جبلي جرزيم وعيبال.

ج ـ جبل الكرمل : ويتجه إلى الشمال الغربي من جبال نابلس وينتهي على شاطيء البحر عند حيفا.

---

(١) تبلغ مساحة الضفة ٥٥٠٠كم٢ مشتملة على جبال الخليل والقدس ونابلس.وتمتد من الخليل جنوبا إلى جنين شمالا.

(٢) وتبلغ مساحة القطاع ٣٧٠كم٢ فقط. يبلغ طوله ٤٥ كم ، ويتراوح عرضه بين ٥كم في الشمال و١٣كم في الجنوب. ويقع في الجزء الجنوبي من السهل الساحلي الفلسطيني.وعلى ذلك فمساحة الضفة والقطاع تبلغ ٥٨٧٠كم٢ فقط. سياسة اسرائيل في المناطق الفلسطينية ص٦٠.

د- جبال القدس : وأعلاها جبل الطور وفيها مدينة بيت المقدس - القدس - أهم مدن فلسطين والتي فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وقد بنى اليهود بجوارها مدينة القدس الجديدة ونقلوا إليها عاصمتهم من تل أبيب بعد احتلال القدس القديمة عام **١٣٨٧هـ/١٩٦٧م**.

هـ- جبال الخليل : وفيها مدينة خليل الرحمن ويقال أن فيها قبره عليه السلام.

و- هضبة النقب : وهي القسم الجنوبي من فلسطين ، تشكل مثلثا يقع رأسه على خليج العقبة ويحتل جميع الأراضي الواقعة بين غزة والخليل وشبه جزيرة سيناء والأردن وجنوب البحر الميت ، وتقدر مساحة النقب بنصف مساحة فلسطين تقريبا ، ومن أهم مدنه بئر السبع.

٣- منطقة الأغوار : وهي المنطقة الشرقية من فلسطين ، يخترقها نهر الأردن مع بحيراته الحولة وطبرية ، وبحيرة لوط (البحر الميت) وهي جزء من حفرة الانهدام الآسيوي الأفريقي الذي يمتد من جبال طوروس شمال سوريا إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وأفريقيا الشرقية حتى هضبة البحيرات الكبرى.

ينبع نهر الأردن من جبل الشيخ وتتحد فروعه فيمر في بحيرة الحولة ثم في بحيرة طبرية ثم ينتهي في البحر الميت بطول **٢٢٥** كم.

وأشهر الأغوار : غور طبرية وبيسان في الشمال ، وغور أريحا في الجنوب وتمثل مدينة أريحا والبحر الميت أخفض بقعة على سطح الأرض ، إذ يبلغ الانخفاض **٤٩٢** مترا عن سطح البحر. ومدينة أريحا شمال البحر الميت يقال إنها أقدم مدن العالم وفيها قصر هشام بن عبد الملك وهي مشتى جميل.

أما الجزء الممتد من البحر الميت إلى خليج العقبة فيسمى وادي عربه بطول **١٨٠** كم.

فلسطين في التاريخ(٣) :

كانت شبه الجزيرة العربية الشريان الذي يمد البلاد المجاورة لها العراق والشام ومصر بدماء جديدة ، فقد خرجت منها موجات بشرية : الأشورية والأكادية إلى العراق ، والأمورية والآرامية والكنعانية إلى الشام ، وتوجهت قبائل أمورية إلى بلاد مابين النهرين (العراق) وأسست مدينة بابل وهي الأسرة البابلية ، كما

---

(٣) انظر مصطفى مراد الدباغ - بلادنا فلسطين.

ول ديورانت - قصة الحضارة - طريق أحمد وزميله - تاريخ الحضارات القديمة. أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ص ١٠-١٣.

خرجت قبيلة آرامية من بلاد الشام إلى جنوب العراق والخليج العربي وهي قبيلة كلدى التي أقامت الدولة الكلدانية وجددت بابل.

وقد سكن الكنعانيون ساحل بلاد الشام في الألف الثالث قبل الميلاد ، وأطلق عليهم في الساحل الشمالي اسم : الفينيقيين. في حين أطلق على القسم الجنوبي أرض كنعان.

واهتم الكنعانيون بالزراعة فدعيت بلادهم الأرض التي تدر لبنا وعسلا.

وبنوا المدن ومنها : أريحا ، وأسدود ، وبير السبع ، وعسقلان ، وغزة ، ويافا ، ومجدو ، وسبسطية (السامرة) ،وبيسان ، ونابلس (شكيم) والخليل (أربع) والقدس (يبوس) وكان اليبوسيون أهم بطون الكنعانيين فبنوا مدينة القدس وأطلقوا عليها أورسالم أي مدينة سالم ، كما أطلقوا عليها اسم يبوس.

وكانت اللغة كنعانية ـ عربية قديمة ـ وهي لاريب تختلف عن لغة القرآن الكريم التي نتحدث ونكتب بها اليوم ـ لقدمها ورغم ذلك فإن هنالك شبها بينها وبين اللغة العربية الحديثة.

وأسماء المدن والقرى كانت وماتزال كنعانية ، وأما محاولة اليهود اليوم نسبة بعضها إليهم فهي من قبيل الإدعاء الزائف ، تهدف إلى إيهام الرأي العام اليهودي بأن اليهود جنس قام بتأسيس هذه المدن والقرى ،وهم أهلها الذين تشردوا عنها ، لتتمسك بها الأجيال اليهودية ، وإيهام الرأي العام العالمي بأن البلاد يهودية الأصل. وقد نجح اليهود في ذلك إلى حد كبير في غياب الوعي التاريخي لدى المسلمين.

الغزوات العابرة لأرض كنعان :

أولا : العبرانيون :

في بداية الألف الثاني ق.م انتقل إبراهيم عليه السلام من (أور) بالعراق فعبر نهر الفرات إلى حلب ، ومنها إلى أرض كنعان ، ثم هاجر إلى مصر ومعه زوجته (ساره) التي أهدى إليها فرعون مصر جارية تسمى (هاجر) فتزوجها إبراهيم عليه السلام ، لأن سارة كانت لاتنجب ، فأنجب من هاجر إسماعيل عليه السلام الجد الأعلى لنبينا محمد ﷺ. وقد أنجبت سارة بعد ذلك اسحق الذي أنجب بدوره يعقوب المسمى بإسرائيل. وأنجب يعقوب الأسباط الذين تركوا أرض كنعان لما أصابها القحط وأقاموا في مصر حينما صار يوسف عليه السلام على خزائن أرضها ، وتكاثر بنو إسرائيل في مصر ، وتعرضوا لأذى فرعون فنجاهم الله منه ، وخرجوا مع موسى عليه السلام قاصدين الأرض المقدسة ولكنهم نقضوا العهد وفسقوا

فضرب عليهم الله سبحانه التيه أربعين سنة في سيناء ، خرجوا بعدها إلى أرض كنعان فدخلوها من جهة الشرق حوالي عام **١١٨٩** ق.م بقيادة يوشع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام ، واستطاعوا احتلال بعض الأماكن من أرض كنعان وعاشوا فيها أسباطا متفرقين.

تولى القضاة أمور العبرانيين بعد وفاة يوشع وفي عهدهم اختلط العبرانيون بالكنعانيين فتعلموا لغتهم وتعلموا الزراعة وسكنى المدن وعبدوا آلهتهم ، منحرفين عن التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام.

ثم اتحد العبرانيون وكونوا دولة حوالي عام **١٠٢٥** ق.م ، وكان أول ملوكهم شاؤول أو طالوت. واشتهر من ملوكهم :

أ- داود عليه السلام (**١٠٠٠-٩٦٠ق.م**) الذي ملك يبوس (القدس) من اليبوسيين وجعلها عاصمة له ، وانتصر على الفلسطينيين وقتل ملكهم جالوت وأنهى أمرهم.

ب- سليمان عليه السلام (**٩٦٠-٩٣٠ق.م**) الذي وردت قصته في سورة النمل وتعددت دعوته إلى الإسلام حدود الشام فامتدت إلى اليمن. وأوتي النبوة مع الملك. وقد شوه اليهود صورته في كتبهم كعادتهم مع الأنبياء والرسل الكرام(٤) ، عليهم السلام.

وبعد وفاة سليمان عليه السلام انقسمت ممكلة العبرانيين إلى قسمين :

أ- مملكة الشمال - إسرائيل - وعاصمتها السامرة.

ب- مملكة الجنوب - يهوذا - وعاصمتها القدس.

وكانت علاقتهما عدائية وتقلصت كل منهما إلى أن قضى على الدولة الشمالية الأشوريون بقيادة (سرجون الثاني) عام **٧٢٢** ق.م ، وقضى على المملكة الجنوبية (نبوخذ نصر) الكلداني عام **٥٨٦** ق.م وأحرق القدس وهدم هيكل سليمان وسبى العبرانيين إلى بابل ، وبذلك زالت دولة العبرانيين من الوجود وعادت أرض كنعان عربية ، وفي بابل وضع أحبار العبرانيين المشنا والجمارا لشرح التوراة ، فكانت أصول الديانة اليهودية التلمودية المحرفة المتعصبة البعيدة كل البعد عن شريعة موسى عليه السلام. ويهود اليوم لاينتمون في أكثرهم إلى الأصول الساميه ، أو العبرانية ، فإن **٩٠** ٪ على الأقل ينتمي إلى أصول خزرية. فهم : **اشكنازيم** (سكناج) وهم يهود أوربا الشرقية ، **وسفارديم** وهم يهود آسيا وأفريقيا والأندلس.

(٤) أنظر :الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية- للمؤلف.

وكان الاشكنازيم قديما محتقرين ، أما اليوم فالأمر بأيديهم ومنهم غلاة الصهيونية ، ويكون السفارديم ٥٥ ٪ من يهود فلسطين المحتلة ، إلا أنهم محتقرون ، ومبعدون عن مراكز الدولة الحساسة. فالكنيست اليهودي مثلا يتكون من (١٢٠) نائبا لاينال للسفارديم منه سوى (١٨) نائبا. ولغة الاشكناز تسمى (اليديش) وهي لغة ألمانية الأصل مطعمة ببعض الكلمات العبرية وتكتب بالحروف العبرية ، وكانت العبرية قد بقيت إلى جانب اليديش لغة كتابة وليست لغة تخاطب بين يهود شرق أوربا(٥). إلى أن وضع الحاخام (بن يهوذا) عام **١٩١١م** لغة عبرية حديثة هي لغة اليهود اليوم ، وذلك بناء على قرار اتخذه مؤتمر (بازل) الصهيوني الأول بإحياء اللغة العبرية.

ثانيا : الفلسطينيون :

تعرضت بلاد اليونان وجزر بحر إيجه لغارات البرابرة اليونان ، فهربت قبيلة (بلست) من جزيرة كريت وغزت أرض كنعان واستقرت في السهل الجنوبي الغربي من يافا إلى غزة. وسمي هذا الجزء باسمهم : فلسطين. وقامت بينهم وبين العبرانيين معارك طويلة انتهت بانتصار العبرانيين ، بعد أن قتل داود جالوت كما ورد في القرآن الكريم ، وانتهى بذلك دور الفلسطينيين من التاريخ نهائيا ، ولكن بقي الاسم على جزء من أرض كنعان إلى أن شملها كلها في العصور الحديثة.

ثالثا : الفرس :

استطاع كورش الفارسي (**٥٥٨-٥٢٨ق.م**) احتلال بلاد الشام وضمها إلى دولته - فارس - عام **٥٣٨ق.م** وكانت زوجته (استير) اليهودية ، فقدم له اليهود مساعدات في فتحه بابل والشام ومصر ، فسمح لمن يريد العودة من بني إسرائيل إلى أرض كنعان ... وانتهى الإحتلال الفارسي عام **٣٣٢ق.م**.

رابعا : اليونان :

قام الاسكندر المقدوني الكبير بالإستيلاء على بلاد الشام عام **٣٣٢ق.م** وطرد الفرس. ولما قام النزاع بين قادته بعد وفاته : أنتيغونس الكبير وسلوقس وبطليموس - أصبحت أرض كنعان مسرحا لنزاع البطالسة في مصر والسلوقيين في الشام. وقد حاول اليونانيون نشر الحضارة اليونانية (الهيلينيه) في أرض الشام فأنشأوا المدن والمدارس والمسارح والمعابد ، لكن التأثير اليوناني ظل سطحيا ومحصورا في المدن الكبيرة وخصوصا الساحلية منها ، أما غالبية السكان فقد

(٥) أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ص ٣٢٧.

احتفظوا بتراثهم وعاداتهم ولغتهم ، وبينما كانت اللغة اليونانية هي الرسمية ظلت السريانية هي لغة عامة الناس.

خامسا : الرومان :

استطاع القائد الروماني بومبي أن ينهي احتلال اليونان لبلاد الشام عام **٦٣ق.م** وبقي الرومان يحكمونها إلى أن أنقذها الإسلام عام **٦٣٦ب.م** ويهمنا من زمن الرومان أمور منها :

١- ظهور المسيح عليه السلام في أرض كنعان زمن الامبراطور (أغسطس قيصر) - مهد المسيحية وقلبها - حيث تحولت فيما بعد إلى النصرانية بعد أن اعتنق قسطنطين النصرانية واتخذها الدين الرسمي للرومان في مؤتمر نيقية عام **٣٢٥م** حيث انحرفت من الوحدانية إلى التثليث بالمبادىء المتأثرة بالفلسفة اليونانية[٦] تلك التي وصفها بولس (شاول).

٢- وقوف اليهود ضد المسيحية مع الوثنية الرومانية. ثم حاولوا الثورة على الرومان عام **٧٠م** فقاد القائد الروماني تيطس حملة دخلت القدس وأعمل فيها النهب والحرق والقتل ، وشرد اليهود في أجزاء الأرض.

وحاول اليهود الإنتفاضة مرة أخرى عام **١٣٥م** زمن الامبراطور هادريان فقاد حملة بنفسه وقضى على وجود اليهود نهائيا في فلسطين ومنعهم من دخول القدس ودعاها (ايلياء كابيتولينا). وتعتبر هذه السنة نهاية للوجود اليهودي في أرض كنعان ففيها انتهت علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا وبقيت محرمة على اليهود حتى الفتح الإسلامي أي خمسة قرون.

الفتح الإسلامي لفلسطين :

ظهرت أهمية القدس في الإسلام عندما أسري بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء جسدا وروحا ، فارتبطت هذه الأرض ارتباطا كاملا بالكعبة وبالمسجد النبوي في المدينة ، والإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية فهو الوريث لأرض الأنبياء والمرسلين ، كما كانت القدس قبلة الإسلام الأولى ، والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله تشد إليه الرحال ، كما تشد إلى الحرمين الشريفين مكة والمدينة فقد ورد في الصحيحين :

أن رسول الله ﷺ قال : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى ».

(٦) أنظر : الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية - للمؤلف.

وقد بدأت غزوات وسرايا الرسول ﷺ إلى أرض الشام ، فكانت غزوة دومة الجندل عام ٥هـ، وسرية مؤتة عام ٧هـ، وغزوة تبوك عام ٩هـ، ثم أخيراً بعث أسامة الذي أنفذه أبو بكر رضي الله عنه.

وبعد القضاء على حركة الردة جهز أبو بكر الجيوش وأنفذها لفتح الشام ،وكان قائد جبهة فلسطين عمرو بن العاص ، وشهدت هذه الأرض المعارك الحاسمة أجنادين وفحل واليرموك ، ثم تم فتح بيت المقدس ، وتسلمها الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه من صفرونيوس بطريرك القدس عام ١٦ هـ وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لا يسكن إيلياء (القدس) أحد من اليهود . فأصبحت بلاد الشام بما فيها أرض كنعان أرضا عربية إسلامية ، واستمرت على هذا الحال دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية حيث استطاع **الصليبيون** أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري بعد أن قتلوا سبعين ألفا من المسلمين داخلها. ولكن المجاهد صلاح الدين الأيوبي أجلاهم عنها في **٢٧** رجب عام **٥٨٣**هـبعد أن انتصر عليهم في موقعة حطين الشهيرة قرب بحيرة طبرية في **٢٥** ربيع الثاني عام **٥٨٣**هـ، وانتهى دور الصليبيين كما بينا ذلك ، فكانوا من الغزوات العابرة ، ولن يكون حظ الصهيونية اليهودية الحديثة بمساعدة الغرب الصليبي والشيوعي أفضل من مصير الصليبيين بإذن الله.

فلسطين في خطط الصهيونية والإستعمار(٧) :

تعود الجذور التاريخية للحركة الصهيونية إلى القرن التاسع عشر حين اقترن النشاط الاستعماري الواسع بضغط هائل على الطبقات الوسطى في البلدان الاستعمارية ، مما دفع الطبقات اليهودية إلى البحث عن حل لأزمتها خارج حدود مجتمعاتها ، وسرعان ماوجدت الحل في الفكرة الصهيونية التي تطابق فيها الحل مع المصالح الاستعمارية ،كما لقيت الصهيونية تأييدا وتشجيعا من الرأسماليين اليهود الكبار.

كانت الدول الأوربية قد فرضت على الدولة العثمانية الضعيفة ماعرف باسم : **الإمتيازات الأجنبية** التي كانت منحة أيام قوة الدولة ثم أصبحت غلا يطوقها في ضعفها، بحيث بات المقيمون الأجانب دولة داخل دولة ، لاتسري عليهم القوانين والضرائب العثمانية. واستتبع ذلك إقدام هذه الدولة على الإلتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية في المنطقة تحت ستار **حماية الأقليات**

(٧) انظر د. أحمد طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

الدينية ، ففرضت فرنسا حمايتها على النصارى الكاثوليك ،وروسيا على النصارى الارثوذكس ، وأعلنت بريطانيا حمايتها للدروز والبروتسنت واليهود في سوريا وجبل لبنان وفلسطين.

وكان من جراء ذلك أن أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م وجهت معظم جهودها ونشاطها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين. فكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس(٨). والواقع أن القضية تخطت مسألة حماية اليهود في فلسطين إلى تحقيق أهدافها في الشرق التي يمكن تلخيصها في(٩) :

١- تأمين المواصلات البريطانية إلى الهند والشرق الأقصى.

٢- إبعاد أية قوة كبرى عن هذه المنطقة وجعلها مجالا بريطانيا بحتا.

٣- منع ظهور أي قوة كبيرة محلية وضربها إذا ماظهرت.

٤- الحرص البريطاني على استمرار الملاحة في قناة السويس بعد فتحها في عام **١٨٦٩م** انطلاقا من حرصها على تأمين المواصلات إلى الهند والشرق الأقصى.

٥- تأمين الامداد النفطي والحصول على أكبر قدر من الأرباح منذ اكتشافه في أوائل القرن العشرين من المنطقة.

وقد رافق تأمين هذه الأهداف رغبة بريطانيا في استقرار المنطقة إما بالتعاون مع أهلها إن أمكن ذلك ، أو إخضاعهم وجعلهم عاجزين عن مقاومة وجودها بالقوة أحيانا ، وبوسائل غيرها أحيانا ، وذلك حسب الظروف التي تواجهها المنطقة.

فالجالية اليهودية كانت صغيرة جدا لاتتجاوز تسعة آلاف وسبعمائة نسمة موزعين بين القدس والجليل وصفد وطبريا حسب تقرير نائب القنصل البريطاني نفسه(١٠). وكان الهدف استقدام جاليات يهودية لأسباب ودوافع استعمارية بينها بوضوح الفايكونت (بالمرستون) رئيس وزراء بريطانيا في رسالة بعث بها إلى سفيره في استنبول يوم ١١ أغسطس **١٨٤٠م** يشرح فيها المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان العثماني من جراء تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين يقول :

---

(٨) البرت هامسيون - القنصلية البريطانية في القدس وعلاقتها بيهود فلسطين (١٨٣٨-١٩١٤م) الجزء الأول - ص ٣٤ من المقدمة طبع ١٩٣٩م.

(٩) النشاط الصهيوني - د.عبد الرحيم أحمد حسين - ص ١٩.

(١٠) د. عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث ص ٥.

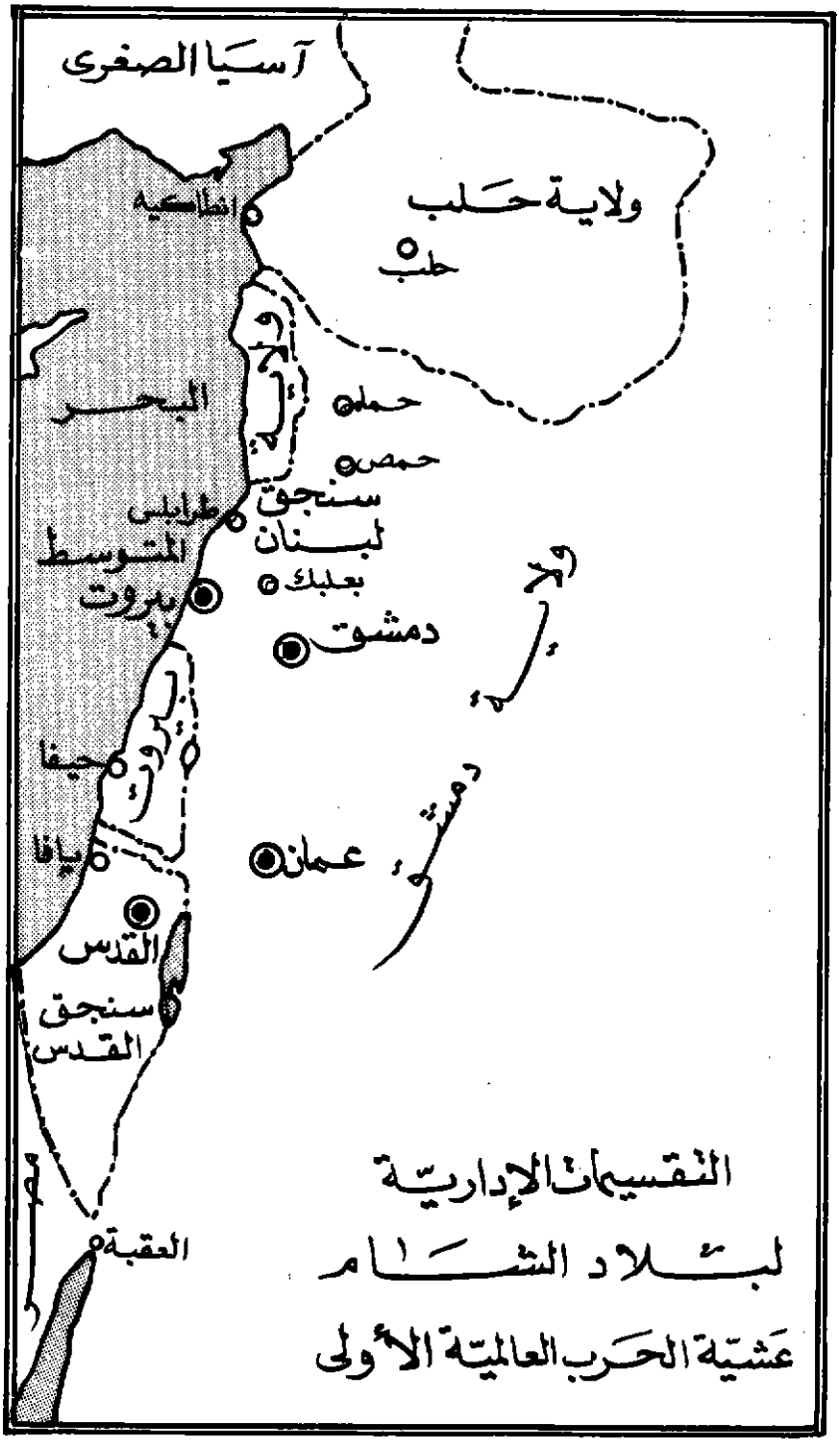

التقسيمات الإدارية
لبلاد الشام
عشية الحرب العالمية الأولى

« إن دعوة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان تحت حمايته تشكل سدا في وجه مخططات شريرة يعدها محمد علي أو من يخلفه »(١١). بل حاول بالمرستون إغراء السلطان العثماني عبد المجيد قبول الفكرة(١٢).

ولم تكن أفكار بالمرستون في هذا الصدد خاصة إذ تبناها بعده أبرز رجال السياسة الاستعمارية البريطانية من أمثال (شافتر بري) و(ديزرائيلي) و(جوزيف تشمبر لن) و(تشرشل) و(بلفور) وغيرهم. ولاشك بأن شق قناة السويس واحتلال بريطانيا لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان له أعمق الأثر في تفكير الساسة الإنجليز الإستراتيجي بالنسبة لأهمية فلسطين وضرورة السيطرة عليها وبالتالي إلى تزايد الحماس لفكرة إقامة مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية في فلسطين.

ولقد سبقت مبادرة بالمرستون في تشجيع فكرة الاستيطان اليهودي ظهور الحركة الصهيونية ، بل سبقت ظهور كتابات رواد الفكر الصهيوني أنفسهم ، ومن المحتمل أنه تأثر بمحاولة نابليون استغلال عطف اليهود في العالم عند حصاره لعكا **١٢١٤هـ/١٧٩٩م** فقد وجه إليهم نداء حثهم فيه على الإنضمام تحت رايته لإعادة بناء مجد اسرائيل الضائع في القدس. ووصفهم بأنهم الورثة الشرعيون لفلسطين(١٣).

وقد مرت الهجمة الصهيونية في مراحل هي :

أولا : مرحلة التسلل اليهودي إلى فلسطين : ١٢٨٧-١٣١٥هـ/ ١٨٧٠-١٨٩٧م :

ظهرت في هذه الفترة محاولات فردية ممثلة شخصيات سياسية بارزة ، أو منظمات متناثرة في مناطق شتى من العالم ، تنادي بعودة اليهود إلى فلسطين خلاصا من الظلم الذي تعرض له اليهود في العالم ، وخاصة في أوربا بعد سيطرة الروح القومية فيها. ومن أشهر هذه الدعوات دعوة (ليون بينسكر) (١٨٢١-١٨٩١م) في كتابه التحرير الذاتي : فقد قال : « إن اليهود ليسوا أمة حية بل هم غرباء في كل مكان ، وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعتهم في نظر الشعوب ، والعلاج الوحيد للمشكلة اليهودية يكمن في تدويلها ،

---

(١١) نفسه ص ٢٧. دسوقي ـ الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص١٩٠

(١٢) ملف وثائق فلسطين / وزارة الإرشاد القومي / القاهرة / ١٩٦٩م ج١وثيقة رقم ١٣ ص ٤٧.

(١٣) خيري حماد ـ الصهيونية ص ١١.

وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة به ».

ولم يشترط أن تكون فلسطين مركزا لتجمع اليهود.

وقد روجت لآرائه أحباء صهيون ، التي انتشرت في روسيا في أعقاب عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م وشارك بينسكر في جهودها(١٤).

وكان للبارون (إدموند دي روتشيلد) جهود كبيرة في سبيل مساندة الصهيونية ، فأنشأت عام **١٣٠١هـ/١٨٨٣م** الجمعية اليهودية للاستعمار بفلسطين أو ـ بيكا ـ(١٥) بغرض تنظيم عملية تملك اليهود للأراضي في فلسطين أو استيطانهم لها. وكانت (بيكا) تبيع الأراضي لليهود شريطة ألا تباع مرة ثانية للمسلمين. وتحت ستار التابعية العثمانية بدأ هذا التسلل اليهودي إلى فلسطين ومع هجرات كثير من المسلمين من اضطهاد روسيا القيصرية.

وفي عام **١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م** أصدر اليهودي النمساوي هيرتسل كتابا بعنوان : الدولة اليهودية ، قرر فيه :

« إن المسألة اليهودية ليست مسألة إجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية لايمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة. ويعني هذا بالتحديد أن يمنح اليهود السيادة فوق رقعة من الأرض كافية لتلبية متطلبات إقامة دولة قومية على أن يترك الباقي لليهود أنفسهم ».

ولكي يحقق اليهود هدفهم إقترح هيرتسل إنشاء جمعية يهودية تقوم بتنظيم اليهود وتعبئتهم ، وشركة يهودية على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوربية في آسيا وأفريقيا ، تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها(١٦).

وكان صدور هذا الكتاب بمثابة نقطة تحول في الحركة الصهيونية فقد اعتبرت المشكلة اليهودية مشكلة قومية ، وحلها يكمن في تحويلها إلى قضية عالمية تفرض على مجالس الأمم المتحضرة حيث ينادى زعماء اليهود بتكوين دولة يهودية. ولم يعلن هيرتسل في كتابه عن اختياره النهائي للدولة المقترحة.

وتمكنت الصهيونية في هذه الأثناء من **استمالة الأوربيين** لأفكارها : فالمتدين النصراني الأوربي دخلت إلى نفسه فكرة شعب الله المختار وأرض الميعاد وهو يؤمن

---

(١٤) فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

(١٥) نفسه.

(١٦) الكيالي ص ٣٤.

كنصراني بالعهد القديم ، وأما غير المتدين فرغب أن يتخلص من استغلال اليهود وجشعهم ومكرهم عن طريق تأييد الصهيونية في البحث عن أرض يتجمعون فيها ، فتستريح أوربا منهم. أنظر إلى قول وزير خارجية قيصر روسيا ، وهيرتسل يحدثه ويطلب منه تشجيع الهجرة : « إننا نعطي مثل هذا التشجيع على الهجرة بأن نركلهم بأقدامنا »(١٧).

وأما الحكومات الاستعمارية فقد أيدت الصهيونية عن طريق استعداد الأخيرة لتكون خادمة للاستعمار وعن طريق المساعدات والقروض المالية للحكومات الاستعمارية التي قامت بها البيوتات المالية اليهودية الكبيرة.

فأقام اليهود المتسللون عددا من المستوطنات في فلسطين ، ومنها تل أبيب.

ثانيا : مرحلة وضوح الهدف الصهيوني **١٣١٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٩٧-١٩١٤م** :

بدأت هذه المرحلة بمؤتمر بازل (بال) بسويسرة عام **١٣١٥هـ/١٨٩٧م** ، وهو المؤتمر الصهيوني الأول الذي نجح هيرتسل في عقده ، وضم **٢٠٤** مندوبين يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم. وقد حدد المؤتمر أهداف الصهيونية بما يلي :

« إن غاية الصهيونية هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام »(١٨) وقد ووفق على برنامج هذا المؤتمر.

ومن الممكن تلخيص قراراته في :

١- وضع هذا المؤتمر برنامج الحركة الصهيونية التي تتمثل في استعادة أرض مملكة إسرائيل بحدودها التاريخية وإعادة تكوين الشعب اليهودي في وطنه القديم(المزعوم).

٢- وضع المؤتمر أسس المنظمة الصهيونية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

٣- وأوصى المؤتمر بالتدابير التالية لتحقيق الأهداف الصهيونية :

أ- العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود ووفق أسس مناسبة.

---

(١٧) جارودي - اسرائيل - ص ٧٢ عن كتاب أ.شورافي - ثيودور هرتزل - باريس ١٩٦٠م ص ٣٠٢.

(١٨) الكيالي ص ٣٥.

بـ- تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته.

جـ- القيام بالسعي لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية.

دـ تنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقا للقوانين المتبعة في كل بلد(١٩).

ووضع هذا المؤتمر شعار العلم اليهودي ، والنشيد القومي اليهودي ، وتأسست الهيئات الصهيونية التنفيذية ، وصندوق الائتمان اليهودي لشراء الأراضي .. وبناء عليه أصبح لفظ صهيوني يعبر عن كل من يعتنق المباديء التي وضعت في هذا المؤتمر ، ويكتتب سنويا بمقدار شيكل واحد ـ نصف دولار.

وهكذا صاغ هيرتسل الأفكار الصهيونية في حركة سياسية ذات طابع عالمي وأصبح المنظم الذي لايلحق به كلل أو إعياء للحركة الصهيونية ، وداعيتها ومندوبها السياسي(٢٠) ، مشيعا أن اليهود أمة يمثلون قومية وأسطورة الجنس الواحد(٢١) ، ومرددا الحقوق التاريخية(٢٢) والأسطورة التوارتية(٢٣). وكان هيرتسل قد قال في أعقاب هذا المؤتمر : « لو أردت أن أختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة ـ وهذا مالن أفعله صراحة ـ لقلت في بازل أسست الدولة اليهودية. ولو أعلنت ذلك اليوم لقابلني العالم بالسخرية والتهكم ، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الإحتمال ، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس »(٢٤).

وفي المؤتمر الصهيوني الثاني سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م أقر المؤتمرون :

تشكيل لجنة استعمار فلسطين ، وإنشاء المصرف الاستعماري اليهودي ، ليكون الأداة المالية للحركة الصهيونية وللشركة اليهودية المنشودة ، وقد جعل هرتزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الأخرى في انكلترا لأنه رأى أن ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها تحتم تبنيها الكامل للحركة

---

(١٩) الكيالي ص ٣٥.

(٢٠) خيري حماد ـ الصهيونية ص ٣١.

(٢١) انظر هذه الأسطورة ـ جارودي ـ اسرائيل الصهيونية السياسية ص ١٠٥.

(٢٢) انظر نفسه ص ٣٣-٨١.

(٢٣) انظر نفسه ص ٨٢-١٠٢ ، وص ١٠٥.

(٢٤) مذكرات ثيودور هرتزل الكاملة ج٢ ص ٢٤/ نيويورك ١٩٦٠م.

الصهيونية(٢٥).

وأخيرا فهناك بعض الملاحظات على مؤتمر بال الصهيوني لابد من إيرادها:

١ـ اختار المؤتمر تعبير (وطن قومي) وهو تعبير غامض قد يعني أكثر من معنى ، وذلك عن عمد ، واستمرت الصهيونية في استعمال الألفاظ الغامضة تعمية للأبصار عن الأهداف الحقيقية حتى تقطع فيها خطوات وتتمكن منها.

وقد أثر عن هرتزل أنه قال :

« يجب ألا يعار كبير التفات إلى الألفاظ فإن الشعب اليهودي سيقرأها [الدولة اليهودية] »(٢٦).

٢ـ أصبحت الحركة الصهيونية كدولة يهودية موزعة بين حكومات العالم ، فاللجنة التنفيذية كانت السلطة التنفيذية ، والمؤتمر الصهيوني كان المجلس النيابي ، وكانت المنظمة الصهيونية العالمية المفوض الذي يتحدث باسم يهود العالم ، فأصبح كل يهودي صهيوني شاء أم أبى. وليس بينهما فرق أبدا.

٣ـ وضع المؤتمر قرارات سرية أظهرتها فيما بعد بروتوكولات حكماء صهيون في ضمنها اشعال حرب عالمية ، والسيطرة على العالم اقتصاديا وفكريا ، تمهيدا للسيطرة اليهودية على العالم. وقد تغلغل النفوذ الصهيوني في أوربا بالفعل ، ولم يصبح في المجتمع الأوربي صوت حقيقي يرتفع في وجه الصهيونية كي يحد من أحلامها ، وسيطرت على محترفي السياسة في أوربا وأمريكا ، حتى أنها تمكنت في آخر الأمر أن تنتزع موافقتهم على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

فأصبحت الصهيونية تركز عداءها ضد العالم الإسلامي وحده ، وكانت الدولة العثمانية هي زعيمة المسلمين ، وفلسطين من أملاكها ، فاتبعت الصهيونية معها الأساليب التالية :

أ ـ أسلوب الاغراء : فقد قابل هرتزل السلطان عبد الحميد مستعملا أسلوب الرشاوي مع الوسطاء والمسئولين الأتراك(٢٧) ، ووساطة الدول الأوروبية وخاصة المانيا ، وقدم له التماسا لتحقيق المطامع اليهودية وعرض عليه تسديد ديون الدولة العثمانية جميعها وخمسة ملايين جنيه ذهب لجيبه الخاص مقابل السماح لليهود باستيطان فلسطين كرعايا للدولة العثمانية. فرفض السلطان طلبه ، وكان قد عرف

---

(٢٥) الكيالي ص ٣٧.

(٢٦) مذكرات هرتزل.

(٢٧) خيري حماد ـ الصهيونية ـ ص ٤٠.

ألاعيب الصهيونية(٢٨) ، واتبع خطوات إيجابية ليحول دون تسلل اليهود إلى فلسطين بأن فصل سنجق القدس عن ولاية دمشق ، واتبعه للباب العالي رأسا ، ومنع بقاء الزوار اليهود أكثر من ثلاثة شهور في القدس. وبذلك حد من تسللهم.

ب- أسلوب التهديد : فقد عمدت الصهيونية إلى تهديد الدولة العثمانية عن طرق الدول الاستعمارية الأوروبية - وخاصة النمسا ثم بريطانيا والمانيا ، وحاولوا الحصول على العريش وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص كما عُرض عليهم أوغندة وليبيا والعراق وموزمبيق والكونغو ومدغشقر(٢٩). وقد وافق كرومر المعتمد البريطاني في مصر على منح الصهيونية العريش وشبه جزيرة سيناء وقابل هرتزل المستشار القانوني للحكومة المصرية بهدف الإعداد للتعاقد على استعمار سيناء والعريش لمدة **٩٩** سنة ، ولكن المشروع فشل بجهود الدولة العثمانية.

ج- أسلوب التآمر ضد الدولة العثمانية - وذلك :

١- بتشويه سمعة السلطان عبد الحميد واتهامه بالرجعية والاستبداد حتى أصبح ممقوتا حتى عند شعبه لما تملكه الصهيونية من شبكات وسائل الاعلام.

٢- بمحاولة إثارة النعرات القومية داخل الدولة العثمانية عن طريق الجمعيات الماسونية التي انضوى إليها بعض الشباب العرب والأتراك في باريس وبقية أوربا. فظهرت فكرة القومية التركية (الطورانية) وفكرة القومية العربية، وتمكنت جمعية الإتحاد والترقي من إزالة السلطان عبد الحميد ، وكانت فيها عناصر الدونمة (يهود سالونيك) عام **١٣٢٧هـ/١٩٠٩م** كما سبق(٣٠). وقطف اليهود الثمار بعد سقوط عبد الحميد ، فقد سمحت جميعة الاتحاد والترقي بعد نجاحها بهجرة اليهود إلى فلسطين ، ونقلت كثيرا من الموظفين المعارضين للهجرة اليهودية إلى أماكن أخرى.

---

(٢٨) راجع ص ١١٦-١١٩ من هذا الكتاب.

وفي احدى المرات قال السلطان : « أنصح الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات أخرى في هذه الطريق ، فإني لا أستطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض (أرض فلسطين) لأنها ليست أرضي وإنما أرض شعبي ، شعبي الذي حارب في سبيل هذه الأرض وسواها بدمه ، دع اليهود يحتفظون بملايينهم ، فإذا انفكت دولتي فإن اليهود قد يحصلون على فلسطين بدون مقابل ، ولكنهم لن يصلوا إليها إلا على أشلاء أجسادنا بعد تمزيق أوصالها ، إنني لاأستطيع أن أوافق على إجراء التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبي الأحياء ». (النص عن يوميات هرتزل - خيري حماد - الصهيونية ص ٤١، أنور الجندي - الإسلام والعالم المعاصر ص ٤٢١).

(٢٩) انظر خيري حماد ص ٤٤-٤٥.

(٣٠) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب.

إلى أن ضج العرب المسلمون في مجلس المبعوثان ، وبعض الصحف في فلسطين ، فأغلقوا الصحف ، وتظاهروا بالعودة إلى أسلوب السلطان عبد الحميد بشأن الهجرة اليهودية ، فعاد أسلوب التسلل ولكن بحماية المسئولين هذه المرة وتسهيلاتهم من جمعية الاتحاد والترقي التركية. فارتفع عدد اليهود من خمسين ألفا عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م إلى ٨٥ ألفا عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م(٣١) من أهل فلسطين الذين بلغ عددهم ٦٨٩ ألفا حسب تقديرات السلطات العثمانية. فيمكن القول ودون مبالغة أن تاريخ إنشاء دولة اليهود في فلسطين كان عام ١٩٠٩م ، يوم سقوط السلطان عبد الحميد(٣٢).

وأخيرا فلنا أن نتساءل لماذا اختارت الصهيونية فلسطين بالذات مادام عرض عليها أوغندة ، أو مدغشقر ، أو موزمبيق ، أو الكونغو وغيرها؟

يجيبنا على هذا (ناحوم غولدمان) رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في خطاب ألقاه في مدينة (مونتريال) في كندا عقد عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م :

« كان في إمكان اليهود أن يحصلوا على أوغندة أو مدغشقر أو غيرهما، ليقيموا في أي منها وطنا يهوديا ، ولكن اليهود لا يريدون سوى فلسطين ، لا لإعتبارات دينية ، أو لأن التوراة قد أشارت إليها ، أو لأن مياه البحر الميت تستطيع أن تعطي عن طريق التبخر ماقيمته خمسة آلاف مليون من الدولارات من المعادن والأملاح ، أو لأن تربة فلسطين الجوفية تحتوي على كميات من البترول تبلغ عشرين ضعف احتياطي البترول في الامريكتين - بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق بين أوربا وآسيا وأفريقيا ، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية ، ولأنها المركز العسكري الإستراتيجي للسيطرة على العالم »(٣٣).

وهكذا تطابقت المصالح الإستعمارية مع أهداف الحركة الصهيونية في هذا الإختيار الإستراتيجي الهام. ولأن القائمين على أمر الحركة الصهيونية يدركون أن اقتران إسم فلسطين بالدين اليهودي يساعد في جذب اليهود للحركة الصهيونية وللهجرة إلى فلسطين في آن واحد.

ثالثا : مرحلة المناورات الخفية الماكرة - العمل المراوغ ١٣٣٣-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م :

(٣١) برنارد لويس - الغرب والشرق الأوسط ص ٢٥. وهو /في محاضرته لايشير إلى أي دور للإنجليز في تهويد فلسطين ، بل يبذل جهده لإظهار بطولة اليهود ، فلا عجب في ذلك ، فهو يهودي.

(٣٢) مصطفى محمد ص ٧٢.

(٣٣) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧١.

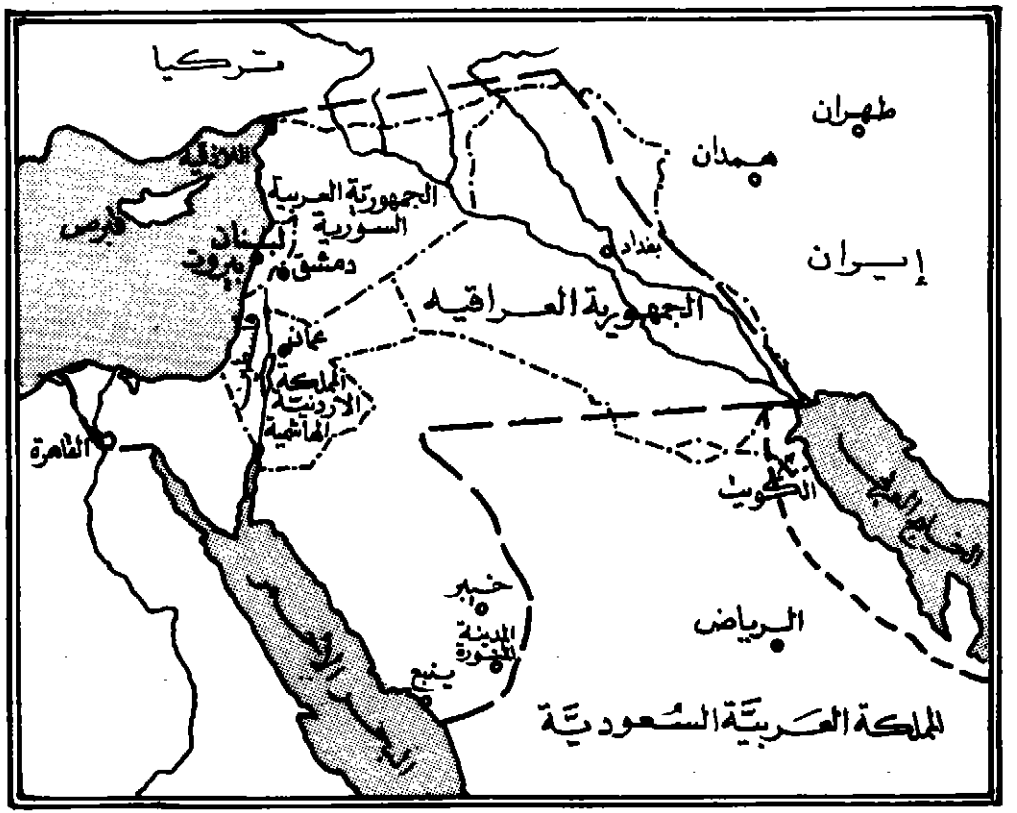

البلاد الإسلامية التي يطمع اليهود في الاستيلاء عليها «إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات»

وهذه هي فترة الحرب العالمية الأولى ، وكانت الدول المتحاربة :

أ- الحلفاء : بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وانضمت إليهم إيطاليا ثم الولايات المتحدة ، في حين انسحبت روسيا من الحرب بعد ثورة اكتوبر الشيوعية عام **١٣٣٦هـ/١٩١٧م** :

ب- دول الوسط : وهي المانيا والنمسا وانضمت إليهما جمعية الإتحاد والترقي التركية.

وقد استطاعت الصهيونية أن تمد نفسها كالأخطبوط بين مختلف هذه الدول المتحاربة ، عن طريق الجاسوسية والأموال والدعاية ، فأخذت من كل منها وعودا ،في حين كانت تتظاهر بالحياد ، ونقلت مقرها الرئيسي من برلين إلى كوبنهاجن عاصمة الدنمرك المحايدة(٣٤). ونجحت في روسيا نجاحا كبيرا جدا إذ أزالت الحكم القيصري وقام الحكم الشيوعي عام **١٩١٧م** ، وكان معظم من تزعم الحركة الشيوعية من اليهود الصهاينة(٣٥) ، كما نجحت في إسقاط الخلافة العثمانية كما سبق(٣٦) وشجع القوميون الأتراك الهجرة اليهودية إلى فلسطين في هذه الفترة فقد ذكر الحاج أمين الحسيني في مذكراته أن : « جمال باشا حضر حفلة أقامتها (فرلاندو) الصهيونية اليهودية التي كانت تدير (دار المعلمات) اليهودية في القدس. واغتنمت (فرلاندو) الفرصة فحشدت لاستقباله صفوة مختارة من الفتيات - الطالبات وغير الطالبات - فقمن أمامه باستعراض رياضي ، وبعد انتهاء الزيارة قدمت له (ألبوم) يشتمل على صور الفتيات وعناوينهن. فمنح اليهود بعد الزيارة أرضا واسعة من أراضي الأوقاف الإسلامية ، وأصدر أمره إلى مجلس إدارة القدس باتخاذ الإجراءات القانونية لتسجيلها باسم اليهود(٣٧) ». فكانت الصهيونية لاتتردد في التحدث إلى أي فرد باللغة التي تناسبه حتى ولو كان من أشد المناهضين للسامية ، أسوة بسياسة هرتزل مؤسسها الذي كتب في يومياته قائلا : « سأقول للقيصر الألماني - دعونا نرحل - فنحن مختلفون عنكم. ولايسمح لنا بأن نندمج في أهل بلادكم، ثم إننا غير قادرين على ذلك(٣٨)». وكان نجاحها كبيرا في نيل

(٣٤) المالكي ص ٩٣.

(٣٥) انظر الشيوعية وليدة الصهيونية - ص ٩٥.

(٣٦) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب.

(٣٧) مجلة فلسطين العدد ١١٣، السنة (١٠) جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ/ص ٢٢

(٣٨) جارودي - اسرائيل - ص ٧٠-٧١ عن يوميات هرتزل - الجزء الثاني ص ٢٧/الترجمة الفرنسية.

عطف بريطانيا ، ثم وتسخيرها ، لنيل أغراضها ، فعند بداية الحرب قدم هربرت صموئيل أحد أقطاب الصهيونية الإنجليز مذكرة إلى الحكومة البريطانية عرض فيها مشروعا لتأسيس دولة يهودية في فلسطين تحت اشراف بريطانيا يأوي إليها ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود المشردين في أوربا قائلا : « وبذلك نكون قد أقمنا بجوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا »(٣٩). فتمكنت من الحصول على **وعد بلفور** من بريطانيا ، وهو بمثابة شهادة زواج غير شرعي بين الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية ، على حساب مستقبل الإسلام والمسلمين في فلسطين. وهذا نصه :

« عزيزي اللورد روتشيلد : يسرني جدا أن أنقل إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية الذي رفع إلى الحكومة ووافقت عليه :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوي على أي مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولابحقوق اليهود أو بمركزهم السياسي الذي يتمتعون به في غيرها من البلاد »(٤٠).

ولقد اتسم هذا التصريح كما ترى بأفكار سياسية استعمارية ماكرة قصد بها الغموض والتضليل ، من كلمات العطف ، وإقامة وطن قومي للشعب اليهودي ، مع أن اليهودية دين منحرف عن عقيدة موسى عليه السلام ، وليست شعبا ، واعتبار غير اليهود طوائف في فلسطين ، ويعتبر هذا من أغرب الوثائق الدولية في التاريخ إذ منحت بموجبه دولة استعمارية أرضا لاتملكها إلى جماعة لاتستحقها على حساب من يملكها ويستحقها ، وقد أقدمت على هذه الجريمة قبل أن تتقدم جيوشها بمساعدة حلفائها من العرب الذين قادهم فيصل ولورنس إلى فلسطين. ويكفي أن نذكر أن المستر (بيفن) وزير خارجية بريطانيا بعد ذلك بثلاثين عاما عبر عن مدى التناقض الذي يشتمل عليه هذا التصريح بقوله :

« إنه كان في الواقع يتضمن شيئين متناقضين : تشجيع الهجرة إلى فلسطين ثم حماية السكان الأصليين ضد المهاجرين. إنها مغالطة تاريخية وفكرة استعمارية

(٣٩) البرت هامسيون ج٢.

(٤٠) انظر د. محمود منسي. وعد بلفور.

ماكرة »(٤١).

وأحضر وايزمن لحظة إصدار تصريح بلفور لوزارة الحرب البريطانية مذكرة جاء فيها : « عندما نقدم اقتراحنا فإننا نعهد بمصيرنا القومي والصهيوني لوزارة الخارجية البريطانية ، ولحكومة الحرب الامبراطورية ، آملين أن ينظر إلى المشكلة على ضوء المصالح الإمبراطورية ، والمباديء التي يدافع عنها تحالف الوفاق »(٤٢).

بل وأعلن وايزمن حقيقة تصريح بلفور بقوله : « إننا اتفقنا مع الحكومة البريطانية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب »(٤٣).

ودخل الجنرال اللنبي القائد الإنجليزي القدس في الحادي عشر من كانون الأول عام **١٣٣٦هـ/١٩١٧م** بعد أقل من ستة أسابيع من إعلان وعد بلفور وصرح قائلا : « اليوم انتهت الحروب الصليبية »(٤٤) معبرا عن حقده الصليبي ، ومؤكدا الرابطة بين وعد بلفور وبين الحروب الصليبية ، أو الإرتباط بين الصهيونية والإستعمار. قالت (بربارة توخمان) الكاتبة اليهودية في كتابها التوراة والسيف : « وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس عام **١٩١٨م** فنجح حيث كان ريتشارد (ريكاردوس قلب الأسد) قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة إسرائيل إلى أرض الميعاد قد أصبحت حقيقة واقعة ، وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد ، أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت في الأصل الأساس الذي يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة. إن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم إلى حدٍّ ما بفعل الدين الذي أعطوه للأميين »(٤٥).

وهكذا تتكشف أوجه الصراع بين النصرانية واليهودية في محاولة السيطرة على الإسلام ، وتبدو براعة الصهيونية في نقل الكرة من قدم إلى قدم حتى تصبح في حوزتها.

الدوافع التي دفعت بريطانيا للسير في المخططات الصهيونية :

١ـ مصالح بريطانيا السياسية والاستراتيجية في البلاد الإسلامية :

فقد هدفت بريطانيا إلى كسب هدف استراتيجي يخدمها في الشرق

---

(٤١) نفسه.

(٤٢) جارودي ـ اسرائيل ص ٧٣ من كتاب حايم وايزمن المحاكمة والخطأ لندن ١٩٥٠م ص ٢٥٢.

(٤٣) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ٥١.

(٤٤) أنور الجندي. العالم الإسلامي ص ٣٩٩.

(٤٥) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص ٤١٩.

الإسلامي ، بإيجاد تجمع يهودي في فلسطين تحت السلطة البريطانية يؤمن الطريق المؤدي إلى الهند - دُرّة التاج البريطاني - والسيطرة على قناة السويس ، ويمنع قيام وحدة بين المسلمين في آسيا وأفريقيا ، ويشغل العالم العربي والعالم الإسلامي ، ففي عام **١٣٢٥هـ/١٩٠٧م** ، أخذت بريطانيا تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل الكفيلة لتفادي إنهيار الإمبراطورية فكان مشروع (كامبل باترمان) رئيس وزراء حزب الأحرار الحاكم في بريطانيا آنذاك الذي اعتبر الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بافريقيا ويمر فيه قناة السويس هو مكمن الخطر ، فلابد من العمل على تجزئة المنطقة وتخلفها ومحاربة اتحاد سكانها ، وضرورة فصل الجزء الإفريقي من الآسيوي بإقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري كقوة حليفة للإستعمار(٤٦).

كما كتب (ل.سي أري) من وزارة الحربية والذي أصبح فيما بعد وزيرا للمستعمرات مذكرة أكد فيها : « ان فلسطين ومصر تشيران من الوجهة الإستراتيجية معا. ففلسطين ليست حاجزا ضروريا أمام قناة السويس وحسب ، بل ان أي دفاع عن قضية فلسطين تكون قاعدته الرئيسية من الناحية الأخرى في القنطرة ... وفلسطين جغرافيا وعمليا تقع في قلب الأمبراطورية البريطانية »(٤٧).

وكانت الصهيونية تدرك ذلك فركزت عليه ، فوصفت الموسوعة البريطانية نفسها وعد بلفور بأنه محاولة من جانب بريطانيا لإسكان اليهود الذين تشدهم إلى بريطانيا أقوى الروابط والمصالح في فلسطين ، ليتولوا حماية مداخل قناة السويس والطريق إلى الهند(٤٨) ، ويقول آخر بناة الاستعمار البريطاني - تشرشل - في مذكراته(٤٩) والتي كتبها منذ عشرات السنين :

« إذا أتيح لنا في حياتنا وهو ماسيقع حتما أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي نهر الأردن معا تقوم تحت حماية التاج البريطاني ، وتضم نحوا من ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين من اليهود ، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الإتفاق مع المصالح الحقيقية للإمبراطورية البريطانية »(٥٠).

---

(٤٦) انظر شفيق الرشيدات - فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ٤٥.

(٤٧) المالكي ص ١١٨.

(٤٨) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧٥.

(٤٩) عربها خيري حماد.

(٥٠) خيري حماد - الصهيونية - ص ٧٨.

ويقول (سايد بوتام) الخبير العسكري لصحيفة المانشستر جارديان في كتابه إنجلترا وفلسطين موضحا العلاقة بين الفكرة اليهودية في سلب فلسطين من المسلمين ومصالح بريطانيا في الشرق الأوسط :

« اليهود هم الفئة الوحيدة المهيأة لاستعمار فلسطين ـ فهم دون غيرهم ـ باستطاعتهم أن يقيموا شرقي البحر الأبيض المتوسط نفوذا جديدا مرتبطا بهذا البلد (بريطانيا) وسيشكلون درعا لحماية مصالحنا في الشرق ووسيطا بيننا وبينه وسيكونون حضارة متميزة عن حضارتنا ولكنها ستكون مشبعة بأفكارنا ومبادئنا السياسية(٥١).

وتجد الصهيونية تحاول جاهدة أن تؤكد هذا الوهم لدى بريطانيا ـ فوايزمن يقول في حديث (للورد روبرت سيسيل) : « إذا كانت فلسطين يهودية فسيكون في هذا ضمان لإنجلترا من ناحية قناة السويس »(٥٢).

وقد لقيت سياسة وايزمن ـ الذي طالب بامتيازات للصهاينة ، وبمنح اليهود أراضي الدولة لكي يوطن فيها مابين أربعين ألفا وخمسين ألفا من المهاجرين سنويا ، تأييدا من (أورجسبي غور) على الفور. وكان هذا الاستعماري البريطاني يميل إلى تشجيع العناصر غير الإسلامية من أوربية ويهودية على استعمار المنطقة ، في ضوء الافتراض بأن **الإسلام هوالخطر الرئيسي**. كما كان يميل إلى تشجيع فكرة إنشاء دويلات طائفية لتفتيت وحدة المسلمين وبعثرة قواهم أمام أوربا النصرانية والصهيونية.

ولما كانت المنظمة الصهيونية قد أمنت العنصر البشري المطلوب للمراكز الأمامية في فلسطين وذلك في حرب أوربا ضد الإسلام ـ (فإن من مصلحة بريطانيا أن تساعد المنظمة الصهيونية وأية منظمة أخرى قد تتعاون معها في التطوير العملي للاستعمار اليهودي في فلسطين). ولهذا نرى لماذا كانت الصهيونية وسياسة تصريح بلفور القائمة على أساس إعطاء اليهود وطنا قوميا في فلسطين أمرا مفروغا منه في نظر (اورجسبي غور) وغيره من الشخصيات السياسية البريطانية الرئيسية(٥٣).

---

(٥١) الشرق الأوسط / رسالة اليوم من ابراهيم مهدي اسماعيل قراءة ثالثة في وعد بلفور /ص ١٨ الأربعاء ١٣/١١/١٩٨٥م.

(٥٢) جارودي ـ اسرائيل ص ٧٣ عن كتاب وايزمن ـ ميلاد اسرائيل ـ ط٣ باريس ١٩٥٧م.

(٥٣) المالكي ص ١٣٣.

٢ـ تدهور الموقف الحربي للحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى(٥٤) ، فبدا للحكومة الإنجليزية أن تستميل الرأي العام الأمريكي ، لعلها تقنع الولايات المتحدة بالاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء ، وللصهيونية تأثير كبير على هذا الرأي العام في الولايات المتحدة ، فعملت على السير في المخططات الصهيونية فضمنت بذلك جماعات اليهود القوية العالمية التي تبسط سيطرتها على أسواق المال ، لا في نيويورك فقط ، بل في نواحي كثيرة من أنحاء العالم ، وحملها على مناصرة قضية الحلفاء(٥٥) ، وبالفعل فقد تحولت الحرب لصالح الحلفاء بدخول الولايات المتحدة الحرب عام **١٩١٧م**.

٣ـ مشكلة استخراج الأسيتون : والأسيتون مادة تستخدم كمذيب للبارود فلا تطلق دخانا ، وقد تمكن الدكتور وايزمن من استخراج هذه المادة بعد أن كانت عمليات الإستخراج قد عجزت عن الوفاء باحتياجات معامل وزارة الحربية ، بعد أن نجحت الغواصات الألمانية في فرض حصار بحري محكم على الجزر البريطانية ، ولم يترك وايزمن عملية الإشراف على إنتاج الأسيتون لغيره ، فقد أرسل أحد تلاميذه الصهاينة وهو (هربرت سبيكمان) للإشراف على العمل في كندا ، وبذلك ضمن أن يظل هو صاحب الفضل الأول والأخير في إنتاج هذه المادة الإستراتيجية ، وقد رفض وسام الشرف الذي قدم له ، وطلب أن تفعل الحكومة البريطانية شيئا لشعبه. وطالب بمنح اليهود أراضي الدولة في فلسطين بعد ذلك ، وتشجيع الهجرة اليهودية بمعدل أربعين ألفا إلى خمسين ألفا ، فأيده (اورجسبي) السياسي الاستعماري البريطاني على الفور.

رابعا : مرحلة العمل الصهيوني الانجليزي لتهويد فلسطين ١٣٣٧-١٣٥٨هـ /١٩١٨-١٩٣٩م :

في هذه المرحلة تمكنت الصهيونية والاستعمار من إسقاط الخلافة العثمانية وإلغائها. ووقعت البلاد العربية في الشام والعراق بعد أن جزئت في قبضة الإستعمار الإنجليزي والفرنسي ، وتبنت دول الحلفاء كلها وعد بلفور ، وضربوا بوعودهم للعرب عرض الحائط ، وأصبح وعد بلفور الموجه الذي تسترشد به السياسة البريطانية.

وانشغل في هذه الفترة كل قطر عربي وإسلامي بمشاكله الخاصة ، ومعاناته ،

---

(٥٤) انظر الوضع الحربي للدول المتحاربة / بيير رونوفن- تاريخ القرن العشرين ص ٥١-٦٠.

(٥٥) فشر ـ تاريخ أوربا ص ٥٣٢.

فانفردت الصهيونية والإنجليز في فلسطين ، فقد تم التوقيع عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م في مؤتمر فرساي (مؤتمر الصلح) على ميثاق عصبة الأمم.

وفي المادة (٢٢) من هذا الميثاق نص يعرف بصك الإنتداب(٥٦). وفي معاهدة سيفر سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م ، انحلت الدولة العثمانية ولم يبق للأتراك إلا مدينة القسطنطينية مع ضاحيتها ، والقسم الأعظم من شبه جزيرة الأناضول أي آسيا الصغرى ، ووضعت سورية الشمالية تحت الانتداب الفرنسي أي تحت النفوذ الفرنسي ، وأصبحت سورية الجنوبية والعراق وشرق الأردن منطقة نفوذ انكليزي(٥٧). وبدلت معاهدة سيفر بمعاهدة لوزان عام ١٩٢٣م على أثر انتصارات مصطفى كمال ولم تبدل هذه المعاهدة شيئا فيما يتعلق بالبلاد العربية(٥٨) وفي مؤتمر سان ريمو سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م تم اقتسام بلاد الشام والعراق بين بريطانيا وفرنسا ، وتبنت دول الحلفاء وعد بلفور علنا. وأصبحت فلسطين تحت الإنتداب البريطاني مع الإلتزام بتنفيذ وعد بلفور. وأقر مجلس عصبة الأمم هذا الإنتداب عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م بموجب صك الانتداب الذي نص في ديباجته إقرار وعد بلفور ، كما نصت بنوده على تشجيع الهجرة اليهودية. فقامت بريطانيا بدورها في تهويد فلسطين بحماس شديد. ومن أهم ماعملته في هذا السبيل :

١ـ تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين :

فوصل عدد اليهود من ٥٥ ألفا عام ١٣٣٩هـ/١٩١٩م إلى ١٠٨ آلاف عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م و٣٠٠ ألفا عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م و٦٥٠ ألفا عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م(٥٩) ، فرأى أهل فلسطين سيول الغرباء تغمر بلادهم دون أن يستطيعوا وقف هذه السيول(٦٠). وكان اليهودي يمنح الجنسية الفلسطينية قبل أن يطأ أرض فلسطين. في حين كانت توضع مختلف العراقيل أمام المسلمين في التجنس !!

---

(٥٦) انظر شفيق الرشيدات ص ٧٧ـ٧٨.

(٥٧) رونوفن ج١ ص ١٠٨.

(٥٨) نفسه ص ١٤٢.

(٥٩) خيري حماد ـ الصهيونية ص ٧٦/بينما كان عددهم عند إعلان تصريح بلفور سنة ١٩١٧م خمسين ألفا أي حوالي ٥٪ من السكان (انظر جارودي ـ اسرائيل ص ١٣٨)

(٦٠) انظر المالكي ص ٦٧،٧٩. وانظر تفاصيل عن الهجرة اليهودية : وليم فهمي ـ الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٢ـ تشجيع انتقال حيازة الأرض إلى اليهود :

فقد منحت السلطات البريطانية أجزاء كبيرة من أراضي الدولة الصالحة للزراعة مثل منطقتي بيسان والبيرة وقيصرية(٦١) ، بطلب من وايزمن وتأييد من السياسي البريطاني أورجسبي غور(٦٢). كما وجهت المنظمة اليهودية الضغط للحصول على قرض بمليوني جنيه استرليني يجمع تحت رعاية عصبة الأمم المتحدة ، وتضمنه الحكومة البريطانية ، وذلك لشراء المزيد من أراضي الدولة التي ستخصص للاستعمار اليهودي والهيئات الزراعية(٦٣). ووضعت بريطانيا الفلاحين المسلمين في فلسطين في ظروف غاية في القسوة ، تجبرهم على ترك أراضيهم أوبيعها ، كما ساعدت الحدود المصنطعة والاغراءات المالية الصهيونية على أن يبيع الملاكون خارج فلسطين أراضيهم داخل فلسطين ، كسهل مرج ابن عامر (الذي كان يملكه أغنياء بيروت وتجارها أمثال : عائلات بترس وسرسق وتويني ومتى فرح وسليم الخوري)(٦٤) ووادي الحوارث والحولة وغيرها ، وقد استخدمت بريطانيا القوة في طرد المزارعين المسلمين من هذه المناطق وإحلال المستوطنات اليهودية مكانهم. فحصل الصهاينة في الفترة (١٣٤٠-١٣٤٤هـ/١٩٢١-١٩٢٥م) على **٢٦٠** ألف دونم من ملاكين مقيمين خارج فلسطين(٦٥). وأما من أهالي فلسطين فحصلوا على نسبة ضئيلة معظمها من العائلات النصرانية : كسار ، وروك ، وخوري ، وحنا وغيرهم. وأما الأراضي التي باعها الفلاحون المسلمون فكانت نسبة ضئيلة جدا من الأراضي التي بيعت(٦٦) ، ورغم ذلك فإن اليهود استطاعوا أن يملكوا حتى عام **١٩٤٨م ٦٪** فقط من مساحة فلسطين ولكن هذه النسبة تساوي **٢٠٪** من مجموع مساحة الأراضي الزراعية.

٣ـ اعترفت بريطانيا **بالوكالة اليهودية** شريكة في تنفيذ المخططات ، فأصبحت دولة داخل دولة ، كما عملت السلطات البريطانية على تهويد الإدارات الحكومية بجعلها في يد اليهود أو الانجليز المعروفين بتعصبهم للصهيونية. وقد تطورت الوكالة

(٦١) المالكي ص ١٩٩.

(٦٢) نفسه ص ١٣٣.

(٦٣) نفسه ص ٢٣٠.

(٦٤) نفسه ص ٤٥. وكان قد ملكها هؤلاء في ظل جمعية الإتحاد والترقي وبدون علم السكان المزارعين.

(٦٥) نفسه ص ٢٥٤.

(٦٦) الكيالي ص ٥٨.

اليهودية بفعل الدعم البريطاني المستمر ، واكتسبت خصائص الحكومة المستقلة عند نهاية الحرب العالمية الثانية. إذ تحكمت في القطاع الإقتصادي اليهودي ، وكان لها مستشفياتها ، وخدماتها الاجتماعية ، وإدارات لمدارسها ، وجهاز استخبارات - حيث كان جميع موظفي الحكومة اليهود - عمليا - مخبرين لديها. كما ضبطت منظمتها العسكرية الخاصة بها وهي الهاجاناه(٦٧).

٤- عينت بريطانيا **هربرت صموئيل** السياسي البريطاني الصهيوني المتعصب أول مندوب سامي في فلسطين عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م ليشرف بنفسه على تنفيذ الجريمة ، وكان يشغل عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م منصب وزير الداخلية ، واتخذ معاونيه من اليهود وعلى رأسهم اليهودي (بنتوليش) الذي تولى وضع القوانين والإشراف على السلطة التنفيذية لحقوق الانتداب البريطاني(٦٨) ، وفتح مع زملائه اليهود باب الهجرة على مصراعيه حتى يمكن اليهود من السيطرة عليها ، فكان تعيينه ضربة قوية لمسلمي فلسطين ، ففي أعقاب القيام برحلة شاملة كتب الجنرال (بولز) يقول : « إنهم مقتنعون بأنه سيكون متحيزا للصهيونية وأنه يمثل حكومة يهودية لا بريطانية »(٦٩).

٥- اعترفت بريطانيا **باللغة العبرية** لغة رسمية إلى جانب العربية والانجليزية ، ومنحت اليهود حق الإشراف على شئون تعليم اليهود ، بينما ظلت شئون المسلمين في أيدي الموظفين الانجليز واليهود ، وافتتح بلفور نفسه الجامعة العبرية سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م في القدس .

٦- منحت بريطانيا الصهاينة **امتيازات المشاريع** الهامة في فلسطين :

كمشروع روتنبرغ للكهرباء ، وتجفيف بحيرة الحولة ، ومشروع البوتاس على البحر الميت.

موقف المسلمين :

لم يوافق العرب والمسلمون على وعد بلفور ، ولكن مواقفهم اتسمت بالتهاون والتخاذل ، وذلك لانشغالهم بقضاياهم ومعاناتهم الهجمة الاستعمارية الشرسة ،ولغموض وعد بلفور وعدم إدراكهم أبعاده ، أما أهل فلسطين فقد كانوا أكثر المسلمين ادراكا لأبعاد التصريح واكتووا بنار التهويد ، فقاموا بعدة انتفاضات

---

(٦٧) طربين - فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار - ص ٢١١.

(٦٨) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٩٩.

(٦٩) المالكي ص ١٥٨.

تعبر عن شعورهم بالخطر الصهيوني وكانت مطالبهم تنصب على(٧٠) :

١- العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

٢- إيقاف الهجرة اليهودية إيقافا تاما.

٣- منع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود.

٤- منح فلسطين الاستقلال أسوة بالبلدان الأخرى وعلى الشروط نفسها.

وكان التيار الإسلامي قويا في حركات أهل فلسطين ، وكثيرا ماناشدوا مسلمي الهند للتنبه إلى الأخطار اليهودية على فلسطين(٧١). ومن أهم هذه **الحركات الجهادية** :

١- حركة عام **١٣٤٠هـ/١٩٢١م** : على إثر تصريحات تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك الموالية للصهيونية ، وقد بدأت انتفاضة المسلمين في مدينة يافا ، ثم امتدت إلى سائر المدن الفلسطينية ، فلجأت بريطانيا إلى سياسة التهدئة ، واتباع أسلوب تشكيل اللجان للتحقيق ، التي كانت تتقدم بتوصيات تتضمن حرصها على مصالح أهل فلسطين ، ثم لاتلبث أن تعود إلى سياستها القائمة على التهويد.

٢- حركة البراق عام **١٣٤٨هـ/١٩٢٩م** : إثر اعتداء اليهود على حائط البراق ، بأن تظاهر اليهود قربه ، ورفعوا العلم الصهيوني ، وأنشدوا النشيد الصهيوني - الهاتكفا - وشتموا المسلمين(٧٢) ، فهب المسلمون يدافعون عن مقدساتهم ، وسقط **١٣٣** قتيلا و **٣٤٠** جريحا من اليهود ، و**١١٦** شهيدا و**٢٣٢** جريحا من المسلمين. وكانت إصابات المسلمين بأيدي القوات العسكرية البريطانية ، كما قدمت بريطانيا ألف شخص إلى المحكمة ، ٩٠٪ منهم مسلمون ، وحكمت بإعدام **٢٦** شخصا بينهم يهودي واحد(٧٣). وتم إعدام عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي يوم الثلاثاء **١٧** حزيران **١٣٥١هـ/١٩٣٠م** في سجن عكا ، حيث خلدهم الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدته الرائعة - الثلاثاء الحمراء(٧٤).

---

(٧٠) انظر نفسه ص ١٦٥.

(٧١) انظر مذكرات هربرت صموئيل - لندن سنة ١٩٤٥م ص ١٦٨.

(٧٢) المالكي ص ٢٣٦، تقرير لجنة شو ص ٥٣.

(٧٣) المالكي ص ٢٤٠، تقرير لجنة شو ص ٦٥.

(٧٤) المالكي ص ٢٤١، ديوان إبراهيم طوقان.

وفي عام **١٣٥٢هـ/١٩٣١م** إستغلت الصهيونية الإضطهادات النازية لليهود في المانيا ، فأخذت تضغط على الحكومة البريطانية لإيواء يهود وسط أوربا في فلسطين ، وتدفقت الهجرات ، فقام المسلمون والعرب بعقد عدة مؤتمرات أهما المؤتمر الإسلامي بمناسبة الاسراء والمعراج في القدس ، إشترك فيه جماعة من الحركة العربية والإسلامية ومثلت فيه **٢٢** بلدا ، وكان الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي الزعيم الهندي ، لولب هذا المؤتمر ،وقد حضره وفد من مسلمي البوشناق ضم وزيرا والمفتي الأكبر ، وممثلون لمسلمي جاوه وتركستان وغير ذلك من البلاد ، ورغم العقبات التي اعترضت هذا المؤتمر فقد خرج بمقررات ناجحة تشجب الاستعمار والصهيونية وهي(٧٥) :

١ـ وضع دستور للمؤتمر يجعل المؤتمر منظمة دائمة ، تجتمع دوريا ، وتوجد لها مؤسسات تابعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ويحدد لها أهدافا سامية ، نابعة من عظمة الإسلام وتاريخه.

٢ـ إنشاء جامعة إسلامية كبرى في القدس تسمى : جامعة المسجد الأقصى. وتأليف دائرة معارف إسلامية.

٣ـ الدفاع عن فلسطين لأهميتها بالنسبة للعالم الإسلامي ، وشجب السياسة البريطانية.

٤ـ تشكيل شركة إسلامية لإنقاذ أراضي فلسطين.

٥ـ تسليم سكة حديد الحجاز إلى هيئة إسلامية ، لأنها ملك للمسلمين.

٦ـ استنكار السياسة الإستعمارية الروسية في بلاد تركستان والتتر ، والطليانية في ليبيا ، والإفرنسية في سورية ولبنان والمغرب العربي ، والانجليزية في مصر والسودان وجزيرة العرب.

كما أظهر مسلمو الهند وسيلان وبورما تضامنهم مع جهاد أهل فلسطين وأعلنوا يوم **١٦** أيار من كل عام يوما للتضامن مع شعب فلسطين(٧٦). وتلقت السلطات البريطانية معلومات سرية عام **١٣٥٠هـ/١٩٣١م** تتعلق بمخطط إسلامي يرمي إلى إنقاذ الأقطار العربية ولاسيما فلسطين وسوريا من الحكم الأجنبي ، ودلت التقارير الدولية أن الأمير شكيب أرسلان كان قائد هذه الحركة ، وكان على اتصال بجميع كبار الزعماء العرب والأقطار الإسلامية.

(٧٥) ناجي علوش ـ المقاومة العربية في فلسطين ص ٧٢ـ٧٣.

(٧٦) المالكي ص ٢٦٣ـ انظر وثائق المقاومة الفلسطينية ص ١٧١.

ودلت هذه المعلومات أيضا على أن الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي مشتركان في هذا المخطط ، الذي يقوم على تنظيم عصابات مسلحة في كل من شرقي الأردن ووادي سرحان وصحراء سيناء ، للعمل في كل من سوريا وفلسطين في وقت واحد(٧٧). وهكذا كانت قضية فلسطين تكتسب الطابع الإسلامي.

٣ـ حركة الشيخ عز الدين القسام سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م

الشيخ عز الدين سوري المولد هاجر إلى حيفا عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م بعد انهيار الثورة السورية ضد الفرنسيين ، وكان قائدا بارزا ، انضم إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا ، وأخذ يثير روح الجهاد في جميع الحركات ، وانضم إلى جمعية الشبان المسلمين وتولى قيادتها عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م. تجول في قرى شمال فلسطين واستثار روح الجهاد ضد الانجليز واليهود على السواء ، وفي عام **١٩٣٥م** أرسل إلى المفتي أمين الحسيني طالبا إعلان الثورة في الجنوب في الوقت الذي يعلنها هو في الشمال ، وقيل إن الحاج أمين أجابه بأنه يؤثر التوصل إلى حل سياسي على اللجوء إلى ثورة مسلحة(٧٨). فقاد الشيخ القسام الحركة بنفسه عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م واستشهد في أحراج يعبد قرب مدينة جنين. وكان معظم مجاهدي فلسطين من تلامذته وأعضاء في تنظيماته(٧٩). ومن الجدير بالذكر أن حركته متزامنة مع ظهور حركة العلماء المسلمين في الجزائر

٤ـ الثورة الفلسطينية الكبرى : ١٣٥٥ـ١٣٥٨هـ/١٩٣٦ـ١٩٣٩م :

تدفق سيل الهجرة اليهودية من شرعية ، وغير شرعية (حسب مفهوم السلطات البريطانية الحاكمة) بعد قرارات مؤتمر براغ الصهيوني ، الذي دعا إلى فتح أبواب فلسطين أمام هجرة غير محدودة ، بالنظر إلى مايعانيه يهود المانيا من اضطهاد النازية ،فزاد ذلك الطين بلة ، وصب الزيت على النار المشتعلة ، فقام المسلمون بمظاهرات عامة عام **١٣٥٢هـ/١٩٣٣م** وانتفاضات قوية في مختلف مدن فلسطين تصدت لها القوات البريطانية بشدة(٨٠). ثم كانت حركة الشيخ عز الدين القسام التي أثارت المشاعر الإسلامية وحركتها ، فبدأ الناس بإضراب استمر ستة شهور

---

(٧٧) المالكي ص ٢٦١،٢٦٧ ، عن تقرير البوليس الفلسطيني ـ الحركة الإسلامية العربية الثورية ١٩٣١/٥/٢١م.

(٧٨) صبحي ياسين ـ الثورة العربية الكبرى في فلسطين ص ٢١.

(٧٩) المالكي ص ٢٩٣.

(٨٠) المالكي ص ٢٨١-٢٨٣.

وهو أطول إضراب عرفه التاريخ ، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل أنحاء فلسطين ، واشترك فيها مجاهدون من مختلف البلدان العربية والإسلامية .

ومن أبرز قادة هذه الحركة المسلحة **فوزي القاوقجي** ، الذي كان قد بدأ حياته كضابط في الجيش العثماني أثناء الحرب ، ثم عمل مع الفرنسيين بعد الحرب ، فحصل على وسام من أعلى الأوسمة الفرنسية لخدماته في المخابرات ، ولكنه انضم إلى الثورة السورية عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م ، وحكم عليه بالإعدام ، إلا أنه هرب إلى الحجاز حيث عمل مستشارا للملك عبد العزيز آل سعود ، ثم مالبث أن التحق بالجيش العراقي ، واستقال عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ليتسلم قيادة الثورة الفلسطينية (٨١). **وسعيد العاص** والشيخ **محمد الأشمر** وكانا قد وصلا خلال الأسبوع الأول من أيلول عام **١٩٣٦م** نتيجة مساعي المفتي ، واستشهد العاص في تشرين الأول سنة ١٩٣٦م(٨٢).

وقد عجزت بريطانيا بوسائلها القمعية وقواتها العسكرية بقيادة الليفتنانت جنرال (ديل) من القضاء على هذه الحركة ، فلجأت إلى مناشدة الزعماء العرب بالتدخل ، وبالفعل تدخل الملوك والأمراء العرب وأوقف أهل فلسطين الثورة ، وأنهوا الإضراب ، بعد أن ناشدهم الزعماء في ذلك.(والإعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة)(٨٣) وكانت الفوائد التي جناها الصهاينة والإنجليز من هذه المناشدة :

أ- وفرت بريطانيا على نفسها جندها ومعداتها.

ب- بدأت القضية تتحول من الإتجاه الإسلامي إلى إتجاه عربي.

ج- أتاحت الفرصة لإعادة التخطيط ، والتقاط الأنفاس ، للتوثب إلى مرحلة قادمة. فأرسلت لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل ، إنتهت في تقريرها سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م إلى : أن أفضل حل هو تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية : وتنضم إلى شرقي الأردن ، وأخرى يهودية. إلى جانب منطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم مع ممر إلى البحر عند يافا ، يتضمن اللد والرملة تظل تحت الإنتداب البريطاني.

رفض أهل فلسطين التقسيم وناشدت اللجنة العربية العليا الحكام العرب

---

(٨١) نفسه ص ٣١٧.

(٨٢) نفسه ص ٣١٨.

(٨٣) الكيالي ص ٣٢١ عن تقرير لجنة بيل ص ١٠١.

والعالمين العربي والإسلامي بالتضامن مع أهل فلسطين وأبلغت الرفض لعصبة الأمم.

واحتج الصهاينة على الحدود التي رسمها المشروع واعتبروها غير مرضية ، ولكن وايزمن وافق عليها ، وفي مقابلة مع اورجسبي غور وعد : « بأن يبذل كل مافي وسعه لحمل المؤتمر الصهيوني على الموافقة على التقسيم ، ومساعدة البريطانيين على إجلاء العرب عن منطقة الجليل ونقلهم إلى شرقي الأردن » وقال وايزمن : « إن الفرنسيين أيضا يعطفون على فكرة التقسيم وإقامة دولة يهودية باعتبارها قلعة للديمقراطية الغربية تبنى في الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط »(٨٤).

عقدت بريطانيا مؤتمرا شهده العرب واليهود والحكومات العربية : مصر والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، والعراق ، وشرق الأردن ـ وقد وضع العرب شروطهم للتسوية على الأسس التالية:

أـ وقف الهجرة اليهودية.

بـ منع انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود.

جـ قيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن الحقوق السياسية والمدنية لليهود.

دـ أن تكون اللغة العربية الرسمية والعبرية هي لغة ثانية في مناطق الكثرة اليهودية فقط.

لم توافق بريطانيا والصهيونية على ذلك ، وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، وبدأت بريطانيا نفسها تحس بالخطر الصهيوني وأرادت التخلص من المشكلة ، فأصدرت الكتاب الأبيض عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م عدلت فيه عن مشروع التقسيم ، ووضحت سياسة الحكومة ـ ومن بنوده(٨٥) :

أـ تحديد الهجرة اليهودية ب ٧٥ ألفا من اليهود كل عام تنتهي عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م.

بـ تحديد إنتقال الأراضي إلى اليهود ، وترك ذلك للمندوب السامي.

جـ تمنح البلاد الاستقلال بعد ١٠ سنوات.

كانت معظم البنود الواردة في الكتاب الأبيض يكتنفها الغموض والإبهام ،

---

(٨٤) الكيالي ص ٣٣٢.

(٨٥) انظر د. صلاح العقاد ـ المشرق العربي المعاصر ص ٢٢٨، ود. عبد الرحيم أحمد حسين ـ النشاط الصهيوني ص ٣٢.

شأن التصاريح البريطانية والصهيونية عادة ، وقد أعلنت بريطانيا عزمها على تنفيذ هذه النصوص رضي العرب واليهود أوسخطوا.

وكان من نتائج هذا التصريح على أهل فلسطين أن أوجد خلافات في الرأي بين القيادات الفلسطينية بالنسبة لسياسة بريطانيا ، كما أوجد اختلافا في الرأي بين القيادات العربية الأخرى ، وهو أمر يتفق مع رغبات بريطانيا ورغبات الصهيونية(٨٦) لتتمكنا من التخطيط لخطوة أخرى.

خامسا : مرحلة العمل لإقامة الدولة الصهيونية الفعلية ١٣٥٨-١٣٦٨هـ/١٩٣٩-١٩٤٨م :

نددت الصهيونية بالكتاب الأبيض(٨٧) ، ولجأ اليهود إلى العنف والإرهاب في مقاومته داخل فلسطين ، فقاموا بثورة أخذت فيها العصابات اليهودية الإرهابية مثل (شتيرن) و(الأرغون) تغير على الثكنات العسكرية والمستودعات والمطارات البريطانية ، كما أخذت تنسف دور الحكومة ودوائر البوليس والمرافق العامة ، وقتلت عددا من الضباط والجنود البريطانيين ، واغتالت اللورد (موين) وزير الدولة البريطانية في القاهرة(٨٨). وكانت بريطانيا تعامل اليهود في الوقت نفسه كالطفل المدلل ، دون أن تلجأ إلى العنف في قمع حركاتهم كما كانت تعمل مع المسلمين من أهل فلسطين !

وقامت الصهيونية من ناحية أخرى بحملة دعائية وسياسية ضد الكتاب الأبيض في بريطانيا ذاتها ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، والدوائر الإستعمارية ، واستغلت في ذلك الدعاية (اللاسامية) ، واضطهاد اليهود علي يد الحزب النازي بزعامة هتلر في المانيا ، والحزب الفاشي في ايطاليا ، وطالبت بفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين أمام النازحين اليهود المشردين ! ولم تتورع الصهيونية عن إتخاذ أي أسلوب مهما كان نوعه من أجل تحقيق أغراضها ، كإغراق السفينة (باتريا) عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م وادعاء الانتحار الجماعي ، والسفينة (ستروما)(٨٩) ١٣٦١هـ/١٩٤٢م ، وتصوير حكومة بريطانيا بأنها تقف في وجه اليهود المنكودين ، وضد العودة إلى وطنهم الموعود !! لاكتساب الرأي العام الانجليزي والأمريكي!

(٨٦) النشاط الصهيوني ص ٥٠.

(٨٧) النشاط الصهيوني -(ردود الفعل الصهيوني)- ص ٣٢-٤٣.

(٨٨) انظر - أحمد طربين - فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار.

(٨٩) نفسه ص ٣٥،٤١.

واهتمت الصهيونية أثناء ذلك بالتجنيد والتدريب العسكري ، فأقامت قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية باسم (الهاجاناه) ، وحملوا بريطانيا على تأليف فيلق يهودي ليحارب إلى جانب الحلفاء ، فزودتهم بريطانيا بالأسلحة الحديثة والدبابات والعتاد الحربي ، ودربتهم أثناء الحرب أحسن تدريب ، على أيدي الجنود البولنديين اليهود الذين فروا بأسلحتهم(٩٠) حتى قدرت القوات الصهيونية المحاربة في فلسطين عام **١٩٤٧م** بسبعين ألفا مسلحين بأحدث الأسلحة. هذا بالإضافة إلى قوة البوليس اليهودي المركزية التي كانت تخضع للإدارة البريطانية ، وقد بلغ عدد هذه القوة ألفين ، كما أنشأت منظمات إرهابية سرية ، الأرجون زفاي ليومي (المنظمة العسكرية الوطنية) ، وعصابة شتيرن (باسم رئيسها ابراهام شتيرن). وفي أوربا كانت حركة (بيتار) أي منظمة الشباب اليهودي في أوربا ، وتهدف إلى تربية جيل يهودي مستعد للعمل من أجل أهداف الصهيونية ، وإقامة دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات ، وقد أصبح مناحيم بيغن رئيسا لها قبل أن يتزعم حركة الأرجون ، وقد اتحدت الهاجاناه مع عصابات شتيرن والأرجون منذ عام ١٩٤٧م مكونة مايسمى باسم : جيش الدفاع الاسرائيلي(٩١).

وفي مقابل هذه الصورة لم يكن في فلسطين في ذلك الوقت أية منظمات عسكرية مسلحة أو جماعات مسلحة مسلمة ، كما أثبتت ذلك صراحة لجنة التحقيق الانجلو أمريكية في تقريرها عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، في معرض المقارنة بين قوة العرب وقوة اليهود في فلسطين.

واتجهت الصهيونية في جهودها إلى الولايات المتحدة ، فركزت عليها سياسيا وإعلاميا ، وكما التقت الأهداف الصهيونية والبريطانية سابقا ، التقت أهداف الصهيونية مع أهداف الولايات المتحدة زعيمة الإستعمار الجديد التي تخلت عن سياسة العزلة التي انتهجتها بين الحربين ، وأخذت تحاول أن تحل محل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في استعمار البلاد الإسلامية ، فعقدت الصهيونية **مؤتمر بلتيمور** الصهيوني في فندق بلتيمور بنيويورك عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م الذي اتخذ قرارات تعادل قرارات بازل في أهميتها ومنها(٩٢) :

١ـ ضرورة قيام سريع للدولة اليهودية في فلسطين كجزء من العالم الديمقراطي

---

(٩٠) طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص ٣٤.

(٩١) محمد عبد العزيز منصور- بامسلمون اليهود قادمون ـ عن بيغن في كتابه :اليهودي المحارب.

(٩٢) فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص٤٤.

الجديد.

٢- رفض الكتاب الأبيض لعام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م والضغط على بريطانيا لإلغائه.

٣- إطلاق الهجرة اليهودية واستيطان فلسطين تحت إشراف الوكالة اليهودية.

٤- إنشاء جيش يهودي خالص يحارب إلى جانب الحلفاء.

ولأهمية قرارات هذا المؤتمر صرح ابن غوريون في خطاب ألقاه في تل أبيب سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م بقوله :

« إن الصهيونية انتهت من وضع خططها النهائية لإعلان فلسطين دولة يهودية ، وإن اليهود لا يستغنون عن أي قسم منها، حتى ولو كان قمم الجبال وأعماق البحار »(٩٣).

فقد أتمت الصهيونية وبنجاح كبير ربط اليهودية الأمريكية أيضا بالقضية الصهيونية ، واستطاعت الوصول إلى أهدافها في أمريكا بفضل حملات التجهيل والتحايل والتزييف ، نفذتها الصهيونية على أعلى المستويات الأمريكية وأدناها ، ويعود سكوت المسئولين الأمريكيين عن الدعاية الصهيونية إلى أسباب سياسية بالدرجة الأولى والتي تكمن في طبيعة الإنتخابات الأمريكية ودور الصهيونية الخطير فيها ، وتأثير الصهيونية في الإنتخابات كان ولايزال يعزى إلى :

١- المال الصهيوني وهو عصب الإنتخابات وعمودها الفقري.

٢- وسائل الدعاية والإعلام ومعظمها تملكه الصهيونية أوتشرف عليه.

٣- تنافس الحزبين الأمريكيين على اكتساب أصوات الأقليات.

فكسبت الصهيونية (كما هي عادتها) معظم معاركها بواسطة الإعلام التضليلي وأساليبه المدروسة. فتمكنت من كسب الرأي العام الأمريكي الشعبي والكونغرس والحكومة(٩٤).

ويجب أن نلفت الإنتباه في هذا المجال أنه ليس بصحيح وصف الجماعات الصهيونية بالمتطرف والمعتدل والوسط ، لأنهم جميعا :

أ- يتفقون في نهاية الأمر على إنشاء الدولة اليهودية وطرد المسلمين.

ب- يبدلون مواقفهم حسب مقتضى الحال ، فخلافهم ليس من حيث المبدأ وإنما تباين وجهات نظرهم على الوسائل الأكثر جدوى ، وهذا يتيح لهم التوزع

---

(٩٣) شفيق الرشيدات - فلسطين - ص ١٥٣.

(٩٤) انظر - أحمد طربين - فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار. ص ٨٠-٨١ ، ص ١٠٤.

والانتشار في مختلف الفئات والجهات والتأثير فيها وتوجيهها لمصالحها الخاصة.

لذلك ألقت الولايات المتحدة بثقلها إلى جانب الصهيونية ، فألغيت بنود الكتاب الأبيض عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م بعد أن تجمدت طيلة فترة الحرب العالمية الثانية ، وخاصة فيما يختص بالهجرة وتحديدها. ويمكن أن توضح **السياسة الصهيونية نحو الهجرة على النحو التالي**(٩٥):

١- إنتقاء الشباب اليهود القادر على حمل السلاح وإقناعهم بالهدف الصهيوني.

٢- التركيز على هجرة الأطفال بدعوى الإنسانية ، والهدف هو تربية هؤلاء الأطفال تربية صهيونية محضة حتى يشبوا صالحين عسكريا ومعنويا ومستعدين للدفاع عن الهدف الصهيوني.

٣- إتجهت إلى يهود البلاد العربية وحققت نجاحا عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

٤- إستخدمت الضغوط وتزييف الحقائق من أجل إجبار الشباب اليهودي الذين التحقوا بجيوش الحلفاء على دخول فلسطين.

وحاولت أمريكا بزعامة **روزفلت** أن تحقق الدولة اليهودية على أيدي بعض الزعماء العرب فاجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود يوم ١٩٤٥/٢/١٤م بعد مؤتمر يالطا ، وحاول إقناعه بذلك ، فرفض الملك عبد العزيز رفضا قاطعا وقال له : « أعطهم أرض الألمان الذين اضطهدوهم »(٩٦). وكذلك حاول **تشرشل** معه نفس المحاولة فأجابه الملك عبد العزيز : « إن ماطلبه تشرشل لا يتعلق بمساعداتنا لبريطانيا ، إنه خيانة للرسول وللمسلمين ولا أستطيع الإذعان أو أخذ أي خطوة في هذا الإتجاه ».

وطالب عبد العزيز آل سعود وقف الهجرة اليهودية واختيار بريطانيا بين صداقة العرب ونضالهم ضد الهجرة اليهودية حتى الموت. فكان موقفه يمثل الموقف الإسلامي الذي لايقبل بتأسيس الكيان الصهيوني(٩٧) اليهودي على أقدس بقعة من أرض الإسلام بعد الحجاز.

---

(٩٥) النشاط الصهيوني ص ١٠٦-١٠٧.

(٩٦) النشاط الصهيوني ص ٣٠٨-٣٠٩. وانظر (من المحاولات البريطانية أيضا بالاشتراك مع فيلبي) خطط الصهيونية والاستعمار ص ١١١-١١٢. « فقد عرض الانجليز على الملك عبد العزيز زعامة البلدان العربية ، على أن تعلن فلسطين برمتها وطنا قوميا لليهود بعد ترحيل أهلها عنها. ووضع عشرين مليون جنيه استرليني تحت تصرف ابن سعود لإعادة توطينهم. فاستشاط ابن مسعود غضبا ، وصب ازدراءه على وايزمن واتهمه برشوته ، وعلى فيلبي صاحب الاقتراح ».

(٩٧) نفسه ص ٣١٢.

واندفع **ترومان** الرئيس الأمريكي الذي خلف روزفلت في تأييد الصهيونية وممارسة الضغط على الحكومة البريطانية من أجل الإذعان للمذكرة اليهودية التي قدمت سنة **١٩٤٥م** وتتضمن :

١ـ إعلان الدولة اليهودية.

٢ـ الترخيص للوكالة اليهودية بالإشراف التام على الهجرة ليتحقق الإنقلاب العنصري الذي يعتبر الأساس في تحقيق الخلاص القومي اليهودي (على حد تعبيرهم) وذلك :

أ ـ بتهجير جميع يهود العالم إلى أرض التجمع اليهودي ـ فلسطين.

ب ـ نزوح غير اليهود عن فلسطين(٩٨).

وكان أول مظهر لتدخل أمريكا الفعلي تأليف لجنة تحقيق بريطانية ـ أمريكية عام ١٩٤٦م أوصت في تقريرها بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين في الحال ، وإصدار بيان صريح بأنه لن تتكون في فلسطين دولة عربية أو يهودية ، وتبقى حكومة الإنتداب إلى أن يتسنى عقد اتفاق توضع بموجبه فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة(٩٩).

ثار العرب على هذه التوصيات وعقدت الجامعة العربية مؤتمر بلودان عام **١٩٤٦م** ، فعقدت بريطانيا مؤتمر لندن في العام نفسه لتجمع بين العرب واليهود باشرافها ، فقرر وزراء الخارجية العرب عدم الجلوس مع اليهود على مائدة واحدة ، أو الإعتراف بحق الولايات المتحدة للتدخل في موضوع فلسطين ، أو قبول أي مشروع يهدف إلى التقسيم ، ورغم ذلك فقد قدمت بريطانيا **مشروع موريسون** للتقسيم إلى أربع مناطق إدارية هي(١٠٠) :

١ـ المنطقة اليهودية : وتشمل معظم الأراضي التي حل فيها اليهود حتى ذلك اليوم.

٢ـ القدس : وتشمل القدس وبيت لحم والأراضي القريبة منها.

٣ـ النقب.

٤ـ المنطقة العربية.

بحيث تكون حدود هذه المناطق إدارية بحتة ، لكل منطقة مجلس نيابي محلي ،

---

(٩٨) انظر طربين ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص ٢٣٩ ، ص ٣٩٢.

(٩٩) النشاط الصهيوني ص ١٠٨. وانظر ـ طربين ص ٢٨٥ـ٣٣٣.

(١٠٠) طربين ص ٣٥٨.

يخول له سن القوانين في أمور معينة ، وهيئة تنفيذية تقوم بتنفيذ هذه القوانين ، ويتضمن المشروع إدخال (١٠٠ألف) يهودي إلى فلسطين في الحال ، واستمرار حركة الهجرة بعد ذلك.

ولم يوافق العرب واليهود على هذا التقسيم وانتهت مهمة بريطانيا في التمكين لليهود ، فنقلت القضية إلى الأمم المتحدة ، وأعلنت أنها تتخلى عن مهمة الإنتداب على فلسطين ، وأنها ستنسحب بقواتها من فلسطين يوم **٢٥** مايو ١٩٤٨م/١٣٦٧هـ.

وعرضت القضية على هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م فاقترحت التقسيم على النحو التالي :

١- الدولة العربية : تتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي الممتد من اسدود في الجنوب إلى الحدود المصرية.

٢- الدولة اليهودية : وتتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر سبع التي تضم النقب.

٣- توضع منطقة القدس وضواحيها تحت نظام الوصاية الدولية.

٤- تنال الدولتان استقلالهما بعد مرحلة انتقال مدتها عامين تستمر بريطانيا خلالها في حكم فلسطين تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة.

٥- قبول **١٥٠** ألف مهاجر في الدولة اليهودية المقترحة بمعدل خمسة آلاف مهاجر في كل شهر.

في سبيل تحقيق المطامع الصهيونية قضى مشروع التقسيم هذا بأن تكون مساحة القسم المخصص لأهل فلسطين **١٢** ألف كم٢ يقطنها **٦٦١** الفا منهم **١١** ألفا من اليهود فقط ، ويملك فيها اليهود ١٠٠كم٢ فقط ، أما مساحة القسم المخصص لليهود فقد قدرها المشروع بنحو **١٤** الف كم٢ يقطنها **٩٩٠** ألفا ، منهم **٤٩٠** ألفا من اليهود و**٤٨٩** ألفا من العرب ، والباقي من جنسيات مختلفة ، ولا يملك اليهود منها إلا ثلث أراضيها فقط.

كان لقرار التقسيم وقع سيء على البلاد العربية والإسلامية وعلى مسلمي فلسطين بصفة خاصة ، أقبل بعدها الشباب المسلم على التطوع ، وتدفقوا على فلسطين ، واعتمدت الأموال اللازمة للانفاق ، وقامت مصادمات عنيفة بين العرب واليهود في شتى أنحاء فلسطين أسفرت عن مئات القتلى والجرحى ، فسارعت الوكالة اليهودية إلى مجلس الأمن تعرض شكواها ضد الحكومات

العربية ، متهمة إياها بالتآمر ضد التقسيم ، وذلك بتدعيمها القتال الجاري في فلسطين ، طالبة أن ينفذ التقسيم بالقوة.

وفجأت أعلنت بريطانيا من جانبها إنهاء الإنتداب على فلسطين في **١٤ مايو ١٩٤٨م** ، وأخذت تجلو بطريقة تساعد اليهود على تثبيت أقدامهم في المدن الكبرى ، وفي القبض على زمام الأمر فيها ، بالإستيلاء على المطارات والمرافق العسكرية والمنشآت الهامة ، فقد كانت تجلو أولا من الأحياء المسلمة في تلك المدن تتمكن اليهود من احتلالها ، وتمنع في الوقت نفسه دخول أية إمدادات إليها ، فحدثت مجازر كمجزرة دير ياسين وقبية ، وناصر الدين على مرأى ومسمع من السلطات البريطانية ، التي لم تحرك ساكنا لإنقاذ أهلها العزل من السلاح ، وقد أدت هذه المجازر إلى نزوح أفواج المسلمين إلى شرق الأردن وسوريا ولبنان ، مخلفة وراءها كل ماتملك من مال وعقار. يقول بيغن : « لقد خلقنا جوا من الرعب المجنون ، جعل أكثر من (٧٥٠) ألف عربي يفرون ، تاركين وراءهم كل شيء .. الأمر الذي كان له أهمية سياسية واقتصادية لاحدود لها »(١٠١).

وفي منتصف ليلة ١٥/٥/١٩٤٨م/١٣٦٧هـ غادر المندوب السامي فلسطين ، وأعلن بن جوريون قيام دولة إسرائيل ، واعترفت بها الولايات المتحدة بعد لحظات من قيامها ، كما اعترف بها الإتحاد السوفييتي(١٠٢) وأعقب ذلك اعتراف جميع دول أوربا الغربية وأرسلت الجمعية الوطنية بفرنسا تحية الإخاء إلى إسرائيل. كما اعترفت بها تركيا وإيران من بلاد المسلمين.

وهكذا نجحت الصهيونية باستخدام بريطانيا والولايات المتحدة في خطوتها الأولى ، وقامت دولة اليهود المسخ على أقدس بقعة من أرض الإسلام. وتحولت الوكالة اليهودية إلى حكومة مؤقتة لدولة اليهود عام **١٩٤٨م**.

سادسا : مرحلة تثبيت الدولة اليهودية ١٣٦٨-١٣٨٧هـ/١٩٤٨-١٩٦٧م :

رفضت البلاد العربية الإعتداء الصهيوني ، فدخلت الجيوش العربية أرض فلسطين من الأردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر والمملكة العربية السعودية ، وكانت قوات الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني طليعة العمل

---

(١٠١) اليهود قادمون ص ٣٢ عن بيغن في كتابه الثورة.

(١٠٢) وقد صرح غروميكو وهو ينقل اعتراف بلاده بالدولة اليهودية : « لقد أيدنا خلق الدولة اليهودية ، فنحن نصر على الإعتراف الكامل بها ، وحمل الأمم المتحدة على تنفيذ ذلك ، وجعل هذه الدولة حقيقة ثابتة » (اليهود في المعسكر الشرقي ص ٥١-سنقرط) فتدبروا أيها المسلمون!!

الجهادي قد أجبرت ١١٥ ألف يهودي على الإستسلام في مدينة القدس ، نتيجة حصارهم ، باحتلال مضيق باب الواد وإقفاله ، وقام أفرادها بعدة معارك ، ونصبوا الكمائن للقوافل اليهودية والإنجليزية ، كما قامت فرق التدمير بنسف العديد من المنشآت والمباني اليهودية ، وقد ساند الجهاد المقدس جيش الإنقاذ الذي كلف بإنشائه الفريق طه الهاشمي واللواء إسماعيل صفوت والقائد فوزي القاوقجي من الضباط والجنود المتطوعين من البلدان الإسلامية المختلفة.

ولما دخلت القوات العربية إلى فلسطين لم يتجاوز عددها العشرين ألفا ، تقدمت في مناطق عربية في الغالب ، ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة ، عندما تحركت إلى المناطق اليهودية ، وعلى الرغم من سوء التخطيط والفساد ، والضغط الأجنبي على الحكومات العربية ، التي كانت مصائرها في يد الإستعمار فقد حققت هذه الجيوش بعض النجاح ، فتعرضت الدول العربية للضغط الهائل من الدول الكبرى وخاصة أمريكا وبريطانيا ولحملها على قبول الهدنة في ١٩٤٨/٦/١١م ، فتمكن اليهود من تحسين موقفهم العسكري بالحصول على الأسلحة الثقيلة والطائرات والمتطوعين ، في حين طبق الحظر الكامل على الدول العربية(١٠٣). فلما استؤنف القتال في ١٩٤٨/٧/٩م أصيبت الجيوش العربية التي التزمت جانب الدفاع بالإنتكاسات المتوالية ، رغم البطولة التي أبداها أهل فلسطين والمتطوعون المسلمون ، فقبلت الدول العربية الهدنة الثانية في ١٩٤٨/٧/١٨م التي استفاد منها اليهود فائدة كبيرة ، فقد دخل اليهود بعدها مصر ولبنان فكانت عدة تطورات في المواقف منها :

١ـ إتفاقيات هدنة رودس مع كل من مصر ولبنان والأردن وسوريا عام ١٩٤٩م ، وقد سيطرت إسرائيل بموجبها على ٧٧٪ من أراضي فلسطين ، عوضا عن ٥٦٪ من الأراضي التي خصصت لليهود بموجب مشروع التقسيم ، كما أعطت إسرائيل فرصة البناء والتنظيم بأن نصت على وجود مناطق مجردة من السلاح بين سوريا وإسرائيل ، والأردن وإسرائيل ، ومصر وإسرائيل ،ولقد اتصف العرب بتقيدهم الكامل بتلك الإتفاقيات والإحترام لها ، أما إسرائيل فقد خرقتها في مناسبات عديدة.

٢ـ أصدرت الدول الإستعمارية الثلاث : الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا في ١٩٥٠/٣/٢٥م التصريح الثلاثي ، بضمان حدود إسرائيل ، والمحافظة

(١٠٣) (الشرق الأوسط ص ٨ الخميس ١٩٨٤/٣/٨م).

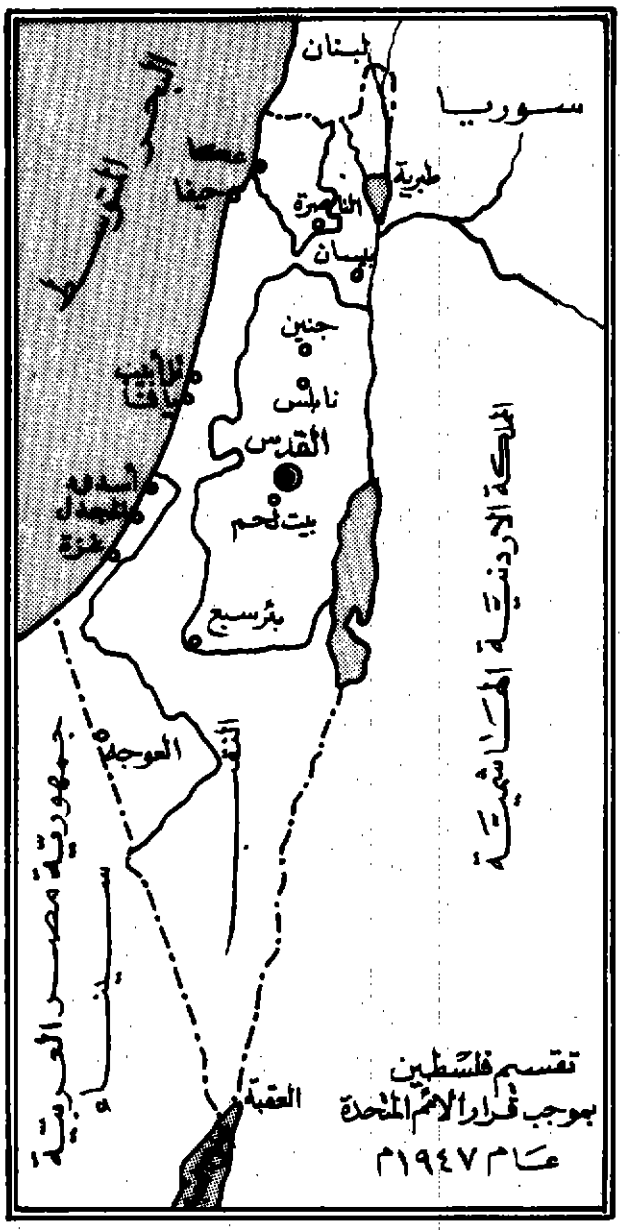
لبنان
سوريا
البحر المتوسط
حيفا
طبرية
الناصرة
جنين
نابلس
القدس
بيت لحم
بئرسبع
العوجة
المملكة الأردنية الهاشمية
جمهورية مصر العربية
سيناء
العقبة
تقسيم فلسطين
بموجب قرار الأمم المتحدة
عام ١٩٤٧م

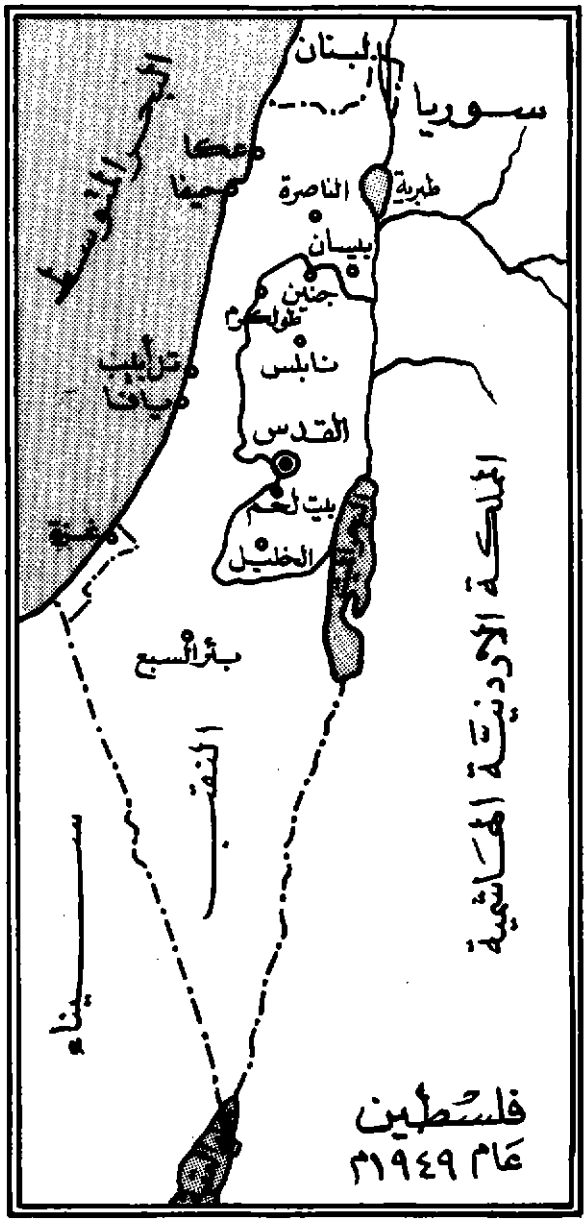
لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
عكا
حيفا
الناصرة
طبرية
بيسان
جنين
طولكرم
نابلس
تل أبيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
بئر السبع
النقب
سيناء
المملكة الأردنية الهاشمية
فلسطين
عام ١٩٤٩م

على كيانها الصهيوني ، ضد أي خطر محتمل يتهددها ، كما قامت تلك الدول بدعم إسرائيل إقتصاديا وعسكريا من أجل خدمة المصالح الإستعمارية في المنطقة العربية ، وتعهدت بجعل قدرة إسرائيل العسكرية أعلى من قدرات كل الدول العربية مجتمعة. وأما روسيا فقد أمدت إسرائيل بأهم من ذلك ـ بالعنصر البشري ـ المدرب على القتال ، ليتم الغزو اليهودي الاستيطاني.

٣ـ اعترف المستشار الألماني الغربي (**أديناور**) باستحقاق إسرائيل للتعويضات طبقا لاتفاقية لوكسمبورغ عام **١٩٥٢م**. وتهدف أموال هذه التعويضات بصراحة إلى : تمويل إجراءات توطين اليهود المهاجرين إلى فلسطين. وقد اعتبرت المانيا ذلك التزاما خلقيا ، وقانونيا لليهود الذين تعرضوا للاضطهاد الألماني النازي(١٠٤).

واستمرت ألمانيا الغربية تدعم الوجود اليهودي على أرض فلسطين المسلمة مع القوى الأوروبية الأخرى. ففي عام **١٩٦٠م** عقد المستشار (اديناور) إتفاقية سرية مع إسرائيل في نيويورك لتوريد الأسلحة إليها ، وذلك بناء على طلب من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية(١٠٥).

٤ـ **مشروع جونستون عام ١٩٥٤م** :

قدم جونستون ـ مندوب الرئيس الأمريكي (أيزنهاور) الخاص المكلف ببحث القضية الفلسطينية ـ تقريرا مفصلا عام **١٩٥٤م** بني على ثلاث نقاط رئيسية هي :

أـ تقسيم مياه نهر الأردن بين العرب واليهود ، ١٠٪ لكل من سوريا ولبنان ، ٤٠٪ لكل من الأردن وإسرائيل. بحيث تأخذ اسرائيل هذا القدر لاستصلاح صحراء النقب لإيواء ثلاثة ملايين من المهاجرين اليهود. وتأخذ الأردن حصتها لاستصلاح ثلاثة ملايين دونم (في الضفة الغربية) لتوطين اللاجئين العرب.

ب ـ تحديد حدود ولو مؤقتة بين الكيان الصهيوني والبلاد العربية المجاورة ، تحدد نهائيا فيما بعد ، على أن تترك شقة حزام عرضها (٢٠٠متر) بين البلاد العربية وإسرائيل على طول الحدود.

ج ـ جلوس العرب واليهود على مائدة مستديرة لحل الخلافات المتبقية إذا كانت هناك خلافات.

وقد رفض مشروع جونستون من قبل العرب. وسارت دولة اليهود في تنفيذه.

---

(١٠٤) ألمانيا والعالم العربي ص ١٤،ص ٢٠.

(١٠٥) نفسه ص ٢٣.

٥ـ **العدوان الثلاثي على مصر** عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م : ففي هذا العام أعلن الرئيس المصري تأميم قناة السويس ، فقامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بغزو الأراضي المصرية ، ويهمنا في هذا العدوان نتائجه :

أـ حاولت أمريكا أن تحل محل بريطانيا وفرنسا مدعية الحق في ملء الفراغ الذي حدث في المنطقة بعد تقلص النفوذ البريطاني والفرنسي ، ومستندة إلى أنها ساعدت مصر في الضغط على إسرائيل وبريطانيا وفرنسا بوجوب الإنسحاب.

بـ وضعت قوات الطوارىء الدولية على الجانب المصري من الحدود بين إسرائيل ومصر لتحول دون وقوع الحرب بين الطرفين ، وقد أدى هذا إلى توقف النشاط الفدائي في قطاع غزة وحصلت إسرائيل على ضمانات بتوقفه ، وإلى فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية والإتصال بإفريقيا ، وكلها مكاسب ثمينة لإسرائيل ، فقد صرح موشى ديان قائد العدوان اليهودي على سيناء بعد انسحاب قواته قائلا : « إن فتح خليج العقبة يعدل في أهميته قيام اسرائيل عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م »(١٠٦).

جـ أتاحت الفرصة للشعارات الثورية والتقدمية والقومية أن تملأ أسماع المنطقة بوسائل الإعلام المختلفة ، فتقلصت الإتجاهات الإسلامية واتهمت بالرجعية وهوجمت بعنف.

٤ـ **معركة المياه** : رغبت الدولة اليهودية بتحويل مياه نهر الأردن وتوصيلها إلى النقب لتوفير مصدر للمياه يساعد على استيعاب مهاجرين جدد ، حسب مشروع جونستون ، ليصبح النقب قاعدة انطلاق لليهود صوب شبه الجزيرة العربية(١٠٧) ووداي النيل.

فعقد مؤتمر قمة عربي في كانون الثاني عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وقرر المؤتمر إنشاء القيادة العربية الموحدة ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وهيئة فنية تعد دراسات تهدف إلى تحويل روافد نهر الأردن منعا لليهود من إتمام مشروعهم.

وبدأ اليهود بمشروعهم ، فعقد مؤتمر قمة ثان في الإسكندرية في أيلول من العام نفسه، وكانت قراراته بالإضافة إلى الترحيب بقيام منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني ، إقرار إنشاء جيش التحرير الفلسطيني.

وكانت النتيجة أن نجحت الدولة اليهودية في تحويل مياه نهر الأردن ، وبدأت

---

(١٠٦) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٠.

(١٠٧) نجيب صالح ص ١٣٥.

تتجه القضية إلى الإقليمية الضيقة.

وفي هذه المرحلة نجحت القوى اليهودية عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م في الحصول على وثيقة من الفاتيكان تبرئهم من مسئولية دم المسيح عليه السلام (على زعم النصارى) فاكتسبوا التأييد الديني النصراني الكاثوليكي للإحتلال ، وانضمت الكنيسة الكاثوليكية إلى البروتستنت في تأييد حق اليهود المزعوم. كما تمكن اليهود من الإستحصال على وثيقة ثانية من الفاتيكان عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م تتضمن الإرشادات لتنفيذ النصوص التي وردت في الوثيقة الأولى ، وهي الإرشادات التي تدعو النصارى للتعمق في استيعاب وتفهم الطقوس اليهودية ، واعتبار اليهود أخوة ، والتأكيد على المباديء المشتركة بين الديانتين وليس على المتناقضات بينهما. وتمثل ذلك الإعتراف الواقعي للفاتيكان بالكيان اليهودي ، وتمثل في صور متعددة من أخصها إستقبال البابا للرؤساء والوزراء اليهود. وتعهد البابا بالتوقف عن النشاط التبشيري بين اليهود في فلسطين المحتلة. ومن أثر الإرشادات أن الكنيسة تؤيد اعتبار اليهود : شعب الله المختار.

وفي عام ١٩٨٥م كانت وثيقة ثالثة تؤكد على أن يتفهم الكاثوليك ويتعلموا الأوامر الفريدة التي تجمع بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود الذين اختارهم الله للتمهيد لعودة السيد المسيح (على زعمهم) ولم يتبق إلا الاعتراف الدبلوماسي(١٠٨).

سابعا : مرحلة التوسع اليهودي : ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م - ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م :

تعمد اليهود إثارة التوتر على الحدود السورية ، وكانت الشعارات القومية والإشتراكية والثورية على أشدها في مصر وسوريا ، وتعرضت مصر للإنتقادات لوجود قوات الطوارىء الدولية ، فطلبت من الأمم المتحدة سحبها ، ثم أغلقت خليج العقبة في وجه الملاحة اليهودية في ٢٢ آيار ١٩٦٧م ، ففاجأ اليهود الطيران العربي في مصر وسوريا والأردن بضربة قاضية في الساعات الأولى من يوم ٥ حزيران عام ١٩٦٧م ، واحتلوا سيناء وقطاع غزة من مصر ، والجولان من سوريا ، والضفة الغربية من الأردن ، وسميت هذه الحرب المذلة بحرب الأيام الستة.

---

(١٠٨) الدعوة - العدد ١٧ - دلهي الهند - ١٥محرم ١٤٠٦هـ/١٠/١/١٩٨٥م ص ٣-٤.

ومن أهم نتائجها :

أ- أثبتت فشل الشعارات التي ملأت الدنيا ضجيجا من قومية واشتراكية وثورية وغيرها. وأكدت أن نجاح الأمة يتمثل في عودتها إلى أصالتها ، وإلى دينها. فهي تمثل في الحقيقة منعطفا نحو إدراك الأمة لذاتها.

ب- زادت من غرور العسكرية اليهودية ومن ثقة الصهيونية بخطتها الرامية إلى تكوين دولة اليهود الكبرى من الفرات إلى النيل بما فيه شمال الحجاز والخليج العربي.

وفي **٢٢** تشرين الثاني عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م اتخذ مجلس الأمن الدولي القرار رقم (**٢٤٢**) والذي ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في حرب عام **١٩٦٧م**(١٠٩) ، وعلى إنهاء حالة الحرب بين العرب واسرائيل ، واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وعلى ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية ، وعلى تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ورغم أن القرار كله في صالح اليهود فقد رفضوه واعتبروا أن ماوصلوا إليه من حدود هو الحدود الآمنة الطبيعية ، وأقاموا على الضفة الشرقية لقناة السويس ماعرف بخط بارليف ، كما أقاموا على الجبهة السورية تحصينات وخنادق مماثلة.

وحاولت إسرائيل إزالة **المسجد الأقصى** أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين لإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه ، فقد هرع الحاخام (شلومو غورين) حاخام الجيش الصهيوني إلى ساحة المسجد الأقصى سنة **١٩٦٧م** مصطحبا مجموعة من مساحي سلاح الهندسة في الجيش ، وأخذ المقاييس ليحدد وفق توراته المزعومة مكان قدس الأقداس الذي سيبنى عليه الهيكل اليهودي ، فحدد المكان الذي يقع تحت قبة الصخرة المشرفة ، ودعا اليهود منذ ذلك الوقت إلى التحول إلى الصخرة عن حائط البراق للصلاة فيها لا للبكاء على الحائط ، كما دعا إلى إقامة كنيس يهودي في ساحة المسجد الأقصى. ووجه الماسونيان غرايدي تيري وزميله أودي

---

(١٠٩) نص النص الفرنسي على : « انسحاب القوات الإسرائيلية من المناطق التي جرى إحتلالها خلال الصراع الأخير » في حين ذكر النص الانجليزي : « انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية عن مناطق جرى احتلالها أثناء الصراع الأخير ». وكانت الميوعة المتعمدة في نص القرار مادة للدعاية الصهيونية (المانيا والعالم العربي ص ٢٨) ، وجرت الصهيونية والدول الكبرى على ذلك واعتادت تفسير القرارات لصالحها دائما!!.

«١»
مشروع تقسيم
لجنة
بيل الملكية

«٢»
مشروع
التقسيم ١٩٤٧م

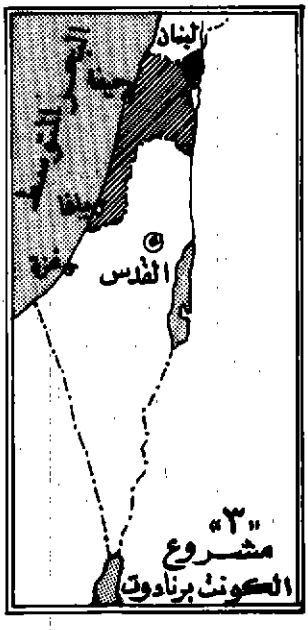

«٣»
مشروع
الكونت برنادوت

«٤»
فلسطين
بعد قيام الدولة
اليهودية عام ١٩٤٨م

مورفي ـ العضوان في محفل قدماء الماسونية ـ رسالة إلى أمين القدس ـ السيد روحي الخطيب ـ عرضا فيها شراء المسجد الأقصى بمائتي مليون دولار وبناء الهيكل بإشراف مؤسسة الإشراف على المسجد الأقصى(١١٠).

وحرق المنبر يوم **٢١ أغسطس** (آب) **١٩٦٩م**(١١١). كما حاول (بوئيل ليرنر) عضو حركة (جوش أمونيم) المنبثقة من حركة (كاخ) التي يتزعمها (مائير كاهانا) تدمير مسجد الصخرة المشرفة بوضع قنابل موقوتة بجانب حوائطه. وبعدها قام ثمانية من الشبان اليهود الذين ينتسبون إلى الليكود الأرهابي باقتحام الحرم الشريف والإعتداء على المصلين بمساعدة قوات الإحتلال المعسكرة على باب الحرم . كما قام الأرهابي (ألن جولدمان) بإطلاق مدفعه الرشاش صوب المصلين الساجدين في الحرم الشريف. وقامت مجموعة إرهابية أخرى تطلق على نفسها اسم مجموعة أبناء يهوذا بمحاولة نسف الصخرة بالديناميت. وتم تخطيط أعضاء التنظيم الارهابي اليهودي بمشاركة ضباط مسئولين في الجيش والحكومة بمحاولة قصف الحرم القدسي بطائرات سلاح الجو الصهيوني(١١٢). هذا عدا عن الحفريات المستمرة تحت الحرم. وتقوم حملة مكثفة يهودية تقوم بها المنظمات اليهودية في أمريكا لجمع التبرعات ، بدعوى إعادة بناء المعبد اليهودي مكان قبة الصخرة ، ووصلت التبرعات إلى أكثر من عشرة ملايين دولار ، وانضم إليهم بعض النصارى المتعصبين لتأييد المشروع(١١٣). ووضع تصميم المشروع(١١٤).

وكانت **حرب رمضان** عام **١٣٩٣هـ/٦** تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٧٣م فقامت القوات المصرية باقتحام خط بارليف وعبور القناة ، وقامت القوات السورية بأجتياز خط وقف إطلاق النار.

ولقد دارت على الجبهتين معارك ضارية استخدمت فيها كل أسلحة الحرب

---

(١١٠) جريدة الرأي الأردنية العدد ٣٤٦٠/ الأحد ١٤/١٠/١٩٧٩م ص ١٢.

(١١١) فقد أقدم الشاب الاسترالي (مايكل دينيس روهان) الذي كان يعيش في إحدى المستعمرات الإستيطانية اليهودية على جريمة حرق المسجد الأقصى. وفي محاكمة صورية قدم إليها أعلنت المحكمة أنه يعاني من خلل عقلي ، لذلك فقد تم وضعه عند المحاكمة في قفص زجاجي لايخترقه الرصاص ، وأحيل تضليلا إلى إحدى المصحات العقلية ، ومن ثم إلى حيث تشاء المخابرات الإسرائيلية (انظر مجلة المصور المصرية العدد ٢٣٤٩/٧/١١/١٩٦٩م ص ٢٦).

(١١٢) الشرق الأوسط / ص ٢(الأربعاء ٥ذو الحجة سنة ١٤٠٥هـ/ ٢١/٨/١٩٨٥م).

(١١٣) المسلمون العدد ٣٧ ص٤ ٥صفر ١٤٠٦هـ/١٩ اكتوبر ١٩٨٥م.

(١١٤) نشرت مجلة التايم الأمريكية التصميم بعد نكسة عام ١٩٦٧م.

الحديثة ، وأمدت الولايات المتحدة إسرائيل على عجل بجسر جوي متصل من الأسلحة الحديثة المتطورة ، وحدث تسلل من ثغرة الدفرسوار على الجبهة المصرية ، وتسلل آخر وصل إلى قرية سعسع السورية.

وأعلن وقف إطلاق النار في ٢٢ تشرين الأول عام ١٩٧٣م فاستفادت إسرائيل كعادتها من توسيع الثغرة ، ففصلت الأمم المتحدة بين القوات يوم ٢٨ تشرين الأول عام ١٩٧٣م.

ولنا عدة ملاحظات على هذه الحرب :

١ـ كانت حرب رمضان أول حرب مارس فيها العرب الهجوم وانتزعوا فيها المبادأة من اليهود واستخدموا عنصر المفاجأة والمباغتة ضد العدو.

٢ـ أعادت هذه الحرب إلى القوات العربية ثقتها بنفسها بعد أن اهتزت أثناء وبعد حزيران وقضت على أسطورة جيش إسرائيل الذي لايقهر.

٣ـ دخلت هذه الحرب فكرة الإسلام والتجمع ـ فقد حارب على الجبهة السورية قوات من المغرب والعراق والأردن والسعودية ، وعلى الجبهة المصرية قوات من السودان والجزائر وفلسطين. كما حظيت بتأييد كثير من البلاد الإسلامية كباكستان ، وتركيا.

٤ـ استخدم ولأول مرة البترول كسلاح فعال في المعركة ، فقد قطعت الدول العربية البترول عن الولايات المتحدة ودول أخرى أيدت المجهود الحربي اليهودي ، وكان المحرك الفعال للنقطتين الثالثة والرابعة هو الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية.

وكانت هذه النتائج إيجابية لولا ما تبع ذلك من تطورات عجيبة في القضية نوجزها فيما يلي :

أـ في كانون الثاني عام ١٩٧٤م تم توقيع اسرائيلي مصري لفصل القوات ، وقد أنشئت منطقة عازلة تمتد عشرة كيلو مترات عرضا شرقي قناة السويس وتفصل بين الجيشين ، وكذلك وقع اتفاق مماثل على الجبهة السورية ووضعت قوات الطوارىء الدولية في المناطق العازلة بين الجبهتين.

ب ـ في أيلول عام ١٩٧٥ وقع اتفاق مصري إسرائيلي جديد ، إنسحبت بموجبه إسرائيل من أجزاء أخرى من سيناء واستردت مصر آبار أبو رديس ، كما تعهدت إسرائيل ومصر بعدم الإلتجاء إلى التهديد ، وعدم استخدام القوة لمدة ثلاث سنوات ، كما سمح للبواخر غير الحربية المتجهة إلى إسرائيل والقادمة منها بالمرور

في قناة السويس.

جـ أعلن الرئيس المصري محمد أنور السادات أنه يزمع القيام بزيارة إسرائيل لتحقيق السلام العادل الشامل ، وتمت الزيارة للقدس في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧م ، ٩ ذي الحجة ١٣٩٧هـ وكانت من أكثر أحداث التاريخ إثارة لاستغراب الرأي العام الإسلامي والعالمي.

دـ التقى مناحيم بيغين رئيس وزراء إسرائيل بالرئيس المصري في الإسماعيلية في ١٩٧٧/١٢/٢٥م وتم الإتفاق بينهما على تشكيل لجنتين إحداهما عسكرية والأخرى سياسية لحل المشكلات بينهما وتوالت الإجتماعات بين الطرفين. وتتالت التنازلات المصرية. وقد قال أنور السادات لبيغن على مسمع من موشي ديان في هذا الاجتماع : « لو علم المصريون والعرب ماقدمت لكم من تنازلات لرجموني بالحجارة »(١١٥).

وفي غمرة هذه اللقاءات كانت إسرائيل تقوم :

١ـ بمهاجمة الأراضي العربية في لبنان واجتاحت مناطق واسعة منه مستخدمة ٣٠ ألف جندي تدعمهم أحدث الآليات وسلاح الجو المتطور لتصفية المسلمين والفلسطينيين في لبنان.

٢ـ ببناء المستعمرات في المناطق المحتلة.

٣ـ بممارسة الضغط والإرهاب لأهل الضفة الغربية والقطاع وعمليات الإبعاد.

هـ اتفاقيات كامب ديفيد :

ومع شيوع روح الاستسلام في الأمة الإسلامية ، والقبول بالأمر الواقع ، وتجرع الهزيمة ، وتفسخ المجتمعات الإسلامية ، والانحراف العقيدي الخطير ، والفراغ الذي يعيشه أفراد الأمة ، وانقسام الدول الإسلامية ، تحقق الإنجاز الأكبر الذي لم تكن لتحلم به إسرائيل ، ألا وهو توقيع إتفاقيات كامب ديفيد ، وإنهاء حالة الحرب مع العدو الصهيوني ، والقضاء على عقدة العداء له ، وماتبع ذلك من تطبيع العلاقات ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي ، وفتح الحدود لجميع المبادلات السياحية والتجارية والإعلامية بين اليهود ومصر.

بدأ مؤتمر كامب ديفيد أعماله بحضور كارتر رئيس الولايات المتحدة والسادات وبيغين من ٥ إلى ١٧ أيلول ١٩٧٨م ، واتفق الأطراف الثلاثة في نهاية

---

(١١٥) نجيب صالح ص ١١٥ عن (واشنطن بوست).

المفاوضات على وثيقتي كامب ديفيد(١١٦) :

الوثيقة الأولى : إطار السلام في الشرق الأوسط :

أ- الضفة الغربية وغزة :

ينبغي أن تشترك مصر واسرائيل والأردن وممثلو الشعب الفلسطيني في المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ولتحقيق هذا الهدف فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغي أن تتم على مراحل ثلاث :

١- تتفق مصر وإسرائيل على إقامة حكم ذاتي لسكان الضفة الغربية وغزة.

٢- تتفق مصر وإسرائيل والأردن على وسائل إقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة وغزة ، وقد يضم وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية والقطاع أو فلسطينيين آخرين ، وسيتم انسحاب قوات إسرائيلية ، وستكون هناك إعادة توزيع للقوات الإسرائيلية التي ستبقى في مواقع أمن معينة.

٣- ستبدأ الفترة الإنتقالية ذات الخمس سنوات عندما تقوم سلطة حكم ذاتي في الضفة الغربية وغزة ، كما ستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة وغزة ، ولإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن في نهاية الفترة الإنتقالية.

ب- مصر وإسرائيل :

١- تتعهد مصر وإسرائيل بعدم اللجوء للتهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية النزاعات ، وان أي نزاعات تتم تسويتها بالطرق السلمية لما نصت عليه المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة.

٢- توافق الأطراف من أجل تحقيق السلام فيما بينهم على التفاوض بإخلاص بهدف توقيع معاهدة سلام بينهم خلال ثلاثة شهور من توقيع هذا الإطار ، بينما تتم دعوة الأطراف الأخرى في النزاع للتقدم في نفس الوقت للتفاوض ، وإبرام معاهدة سلام مماثلة ، وان إطار إبرام معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل سيحكم مفاوضات السلام بينهما ، وستتفق الأطراف على التشكيلات والجدول الزمني أو تنفيذ التزاماتهم في ظل المعاهدة.

٣- على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول

---

(١١٦) الحركات القومية في ميزان الإسلام - منير محمد نجيب ص ٢٧٦-٢٩٣.
اتفاق كامب ديفيد وأخطاره - مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
العالم الإسلامي والمكائد الدولية ص ١٢٩-١٣٩.

التي هي في حالة سلام ، ويجب أن تشتمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :

أ- اعتراف كامل.

ب- إلغاء المقاطعات الإقتصادية.

٤- تنسحب القوات الإسرائيلية من سيناء على مراحل خلال ثلاث سنوات على أن تبقى مجردة من السلاح.

٥- وضع قوات دولية بين الطرفين على الجانب المصري.

الوثيقة الثانية :

في ١٩٧٩/٣/٢٦م وقع الرئيس المصري ومناحيم بيغين وجيمي كارتر معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية في البيت الأبيض ، وقد ألقى كل منهم كلمة بهذه المناسبة وأسقط السادات الفقرات التي تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني من خطابه المعد مسبقا بهذه المناسبة وأهم ماشملته المعاهدة :

١- تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.

٢- تسحب إسرائيل قواتها المسلحة إلى ما وراء حدود مصر الدولية - على مراحل -.

٣- تتمركز قوات دولية في المناطق المحددة ولا تنسحب إلا بقرار من مجلس الأمن أو موافقة الطرفين.

٤- إقامة العلاقات الطبيعية بينهما ويتضمن ذلك : الإعتراف الكامل ، والعلاقات الدبلوماسية والإقتصادية والثقافية ، وإنهاء المقاطعة الإقتصادية والحواجز المفروضة على الأفراد والسلع.

٥- تتمتع السفن الإسرائيلية والشحنات المتجهة منها وإليها بحق المرور الحر في قناة السويس ومداخلها.

٦- يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكل الدول.

٧- يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع هذه الإتفاقية.

٨- يقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأي من التزامها فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة.

ومهما اختلفت وجهات النظر في هذه الإتفاقيات فإنها تجمع على أمور منها:

١- لم تتحقق السيادة الكاملة لمصر على سيناء ، فتمركز القوات العسكرية كما يلي :

أ- ألا تتمركز أكثر من فرقة واحدة (ميكانيكية أو مشاة) من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة خمسين كم شرق خليج السويس وقناة السويس.

ب- تتمركز فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالأسلحة الخفيفة لأداء المهام العادية للشرطة داخل المنطقة التي تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة في مساحة يتراوح عرضها بين ٢٠ و ٤٠ كم.

ج- أن تتواجد في المنطقة في حدود ٣ كم شرق الحدود الدولية قوات إسرائيلية عسكرية محدودة لاتتعدى أربع كتائب مشاة ، ومراقبون من الأمم المتحدة ، تلحق وحدات دوريات حدود لاتتعدى ثلاث كتائب بالبوليس المدني للمحافظة على النظام في المنطقة التي لم تذكر آنفا.

ويجوز أن تقام محطات للإنذار المبكر لضمان بنود الاتفاق(١١٧). وتتمركز قوات الأمم المتحدة في المناطق التالية :

أ- في جزء من المنطقة التي تقع في سيناء إلى الداخل لمسافة ٢٠ كم تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية.

ب- في منطقة شرم الشيخ لضمان حركة المرور بمضائق تيران ، ولا يتم إبعاد هذه القوات مالم يوافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على مثل هذا الإبعاد بإجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين(١١٨). معنى ذلك أن سيناء بقيت تحت رحمة اليهود. يقول شارون : « إنه يمكن إعادة احتلال سيناء في ٢٤ ساعة إذا خالفت مصر نصوص اتفاقيتي كامب ديفيد »(١١٩).

٢- لم يحصل الشعب الفلسطيني المسلم على أي من حقوقه ، وتحول موضوع الضفة الغربية وغزة من فكرة الدولة إلى فكرة الحكم الذاتي ضمن وحدة التراب الإسرائيلي ، وهذا ما أعلنه بيغن في اليوم الثاني لتوقيع المعاهدة أن الحكم الذاتي يشمل الأشخاص لا الأرض ، خاصة وأن نصوص المعاهدة كان أقصى ما قالته

---

(١١٧) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٨٤.

(١١٨) نفسه. وانظر الكتاب : تقييم سياسي لقرارات كامب ديفيد الصادر عن المركز الإسلامي في آخره وحلقة الدراسات الإسلامية والعالمية.

(١١٩) نجيب صالح ص ١٠٣،ص ٩٧.

في هذا الصدد هوالبحث في مصيرها بعد مرور خمس سنوات بين الأردن وفلسطين ومصر (وستجري المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما مع جيرانهما ولإبرام معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية).

وأما القدس بلد المعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، فلم يرد لها ذكر إطلاقا في المعاهدة. في الوقت الذي أعلن فيه بيغن أن القدس عاصمة اسرائيل إلى الأبد ، بل واتخذ اليهود بذلك قرارهم الرسمي من الكنيست الاسرائيلي باعتبار القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل(١٢٠).

٣ـ حققت المعاهدة كثيرا من أهداف إسرائيل التوسعية : بضمها القدس ، والجولان ، واستمرار احتلالها الضفة الغربية وغزة ، وأطلقت يدها في لبنان وقامت بغزوه وظهرت الأزمة اللبنانية المستفحلة حيث تتقاتل فيه أطراف عديدة عجيبة أكثر ضحاياها من أهل السنة اللبنانيين والفلسطينيين(١٢١).

ومن المكاسب الإسرائيلية الأخرى :

إنهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل. وقيام علاقات طبيعية وودية بين الدولتين. والاعتراف الكامل وإقامة العلاقات الدبلوماسية والإقتصادية والثقافية ، وإنهاء المقاطعات الإقتصادية وتأمين حرية الملاحة الكاملة للسفن الاسرائيلية في القناة. وتعهد الطرفين بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع نصوص هذه المعاهدة وتموين اسرائيل الكامل بحاجتها من البترول ، بعد أن فقدت البترول الإيراني(١٢٢). كما توصلت إلى نزع سلاح سيناء بحجة تحقيق الحدود الآمنة(١٢٣).

وقد أدى ذلك إلى انعزال حكومة مصر عن العالم العربي والعالم الإسلامي إلى حين.

والغريب أن يذاع باسم علماء الأزهر بيان بتأكيد معاهدة الصلح جاء فيه تشبيه هذا الصلح بصلح الحديبية. مخالفا بذلك فتوى لعلماء الأزهر قبل ٢٤ سنة في ١٨ جمادى الأولى عام ١٣٧٥هـ ، هذه الفتوى كانت حاسمة في أن الصلح مع إسرائيل لايجوز شرعا قالوا فيها : « إن الصلح مع إسرائيل لايجوز شرعا لما فيه

---

(١٢٠) القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٣.

(١٢١) انظر : الشرق الأوسط ص ١و٢ الأربعاء ٥ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٨/٢١م. وص ١، ص ٢ الأحد٢ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥/٨/١٨م.

(١٢٢) الحركات القومية في ميزان الإسلام ص ٢٩٢.

(١٢٣) نهيب صالح ص ٤٠،وص ١٠١-١٠٢.

من إقرار الغاصب على الإستمرار في غصبه ، والإعتراف بحقية يده على ماغتصبه ، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه ، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض المسلمين ... بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله ، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل مايستطيعون حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين ، ومن قصر في هذا أو فرط فيه أو خذل المسلمين أو دعا إلى ما من شأنه تفريق كلمة الأمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية ، فهو في حكم الإسلام مفارق جماعة المسلمين ، وقد أشار القرآن أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرضى القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء قال تعالى : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين ﴾(١٢٤).

وكان من نتائج مايسمى بعملية التطبيع بين مصر وإسرائيل : أن أطلقت يد اسرائيل كعنصر يهدد المنطقة طويل الذراع ، فقد ضربت المفاعل النووي العراقي سنة **١٩٨١م** لخطره على الدولة اليهودية على حد تعبير بيغن. وضربت مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط بتونس وقتلت عددا من الفلسطينيين والتونسيين ودمرت عددا من المساكن ، بتأييد من أمريكا الضالعة معها في **٢٥** محرم سنة **١٤٠٦هـ** ، ومحاولة تصفية الإسلام في لبنان وخاصة بين الفلسطينيين(١٢٥).

كما نشطت الصهيونية في بناء المستوطنات بالضفة الغربية فكشفت خطة لإقامة **٤٤٠** مستعمرة حتى عام **١٩٩٠م** وان غالبية هذه المستوطنات عسكرية وقواعد للمجندين ، في حين بلغت هذه المستوطنات حتى أول عام **١٩٨٥** (٢٥٣ مستوطنة) فوق أراضي تسمح بتوسيع البناء فيها في المستقبل. وبلغت نسبة الأراضي المصادرة حتى عام **١٩٨٥م** ٤٤٪ من أراضي الضفة الغربية(١٢٦).

وحصلت إسرائيل على مساعدات كبيرة من أمريكا بحجة السلام هذا فقد

---

(١٢٤) راجع نص الفتوى في مجلة الأزهر ج٦ مجلد٢٧/ عدد جمادي الآخرة سنة ١٣٧٥هـ من ص ٦٨٢-٦٨٦.

(١٢٥) الشرق الأوسط ١٨محرم ١٤٠٦هـ/ ،٢٠محرم ١٤٠٦هـ.

(١٢٦) الشرق الأوسط ص ٣ الاثنين ٢٣ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/١٤/١/١٩٨٥م العدد ٢٢٣٩.

قدمت امريكا ١٥٠٠ مليون دولار في مساعدات إقتصادية إضافية عاجلة وملحة لاسرائيل ، في حين قدمت لمصر ٥٠٠ مليون دولار ، و٢٥٠ مليون دولار للأردن. وصرح ريغان أنه يتعين على إسرائيل ومصر والأردن أن تقوم بدور حيوي من أجل السلام في الشرق الأوسط مقابل حصولها على مساعدات مالية من الولايات المتحدة(١٢٧). وحصل اليهود أيضا على ٢٤٨٥ مليون دولار مقابل الانسحاب من سيناء من الولايات المتحدة. وهذه أكبر مساعدة تقدمها امريكا لإحدى الدول في تاريخها(١٢٨).

كذلك ازداد غرور اليهود فازدادت في الأعوام الأخيرة ظاهرة الكاهانية (أي حزب كاخ) التي يتزعمها الحاخام الإرهابي (مائير كاهانا) والذي ينادي بطرد جميع العرب من الأراضي المحتلة. وقد دأب منذ أن هاجر إلى الأراضي المحتلة سنة ١٩٧٢م على وصف العرب بالكلاب المنفرين ، وهدد باستخدام العنف ضدهم لإخراجهم من إسرائيل ، وتجد دعوته صدى في الكنيست الاسرائيلي(١٢٩).

ونشطت عمليات التجسس الإسرائيلية في مصر في ظل التطبيع بمساعدة المؤسسات الثقافية الامريكية ، وبالأخص المركز الثقافي الأمريكي ومركز البحوث الإجتماعية بالجامعة الأمريكية ومركز البحوث الأمريكي. واكتشفت شبكة تجسس في نهاية عام ١٩٨٤م كانت تعمل في مصر منذ عام ١٩٨٢م ، وقد طلبت أمريكا التكتم من مصر على قضية التجسس هذه(١٣٠). كما نشطت اسرائيل بتهريب المخدرات إلى مصر في محاولة لامتصاص اقتصادها ، وتدمير شبابها تحت إسم السياحة والزيارات الودية(١٣١).

وبالمقابل كانت هناك ردود فعل مصرية كبيرة ظهرت واضحة في معرض الكتاب الدولي في القاهرة ، حيث أعلنت الجماهير المصرية رفضها لاشتراك إسرائيل وحرقوا علمها ، ورفعوا اللافتات : (فلسطين إسلامية ، جند محمد قادمون)(١٣٢).

---

(١٢٧) نفسه ص ٢ الأحد ٢ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٨/٨/١٩٨٥م.

(١٢٨) نجيب صالح ص ١٠٢.

(١٢٩) الشرق الأوسط ص١العدد٥/٢٤٦/١٢ ذوالحجة ١٤٠٥هـ/٢٨/٨/١٩٨٥م.

(١٣٠) نفسه ص ٣الأربعاء ٢١/٨/١٩٨٥م عن صحيفة الشعب المصرية.

(١٣١) راجع الواقع الاجتماعي في العالم الإسلامي.

(١٣٢) الشرق الأوسط ص١الأحد ٣جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/٣/٢/١٩٨٥م العدد٢٢٥٩.

وارتفعت الأصوات وطالبت بالكف عن هذه السياسة ورافق ذلك بعض حركات العنف من اغتيال السادات ، إلى حرق العلم الإسرائيلي في ذكرى تبادل البعثات الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل ، إلى مقاطعة الجناح الإسرائيلي في معرض الكتاب عام ١٩٨٤م ، إلى إصابة الدبلوماسي الإسرائيلي زئيف كيدا في القاهرة بجروح يوم ٥ يونيو سنة ١٩٨٤م ، واغتيال البرت اتراتشي الملحق الإداري في سفارة إسرائيل بالقاهرة وإصابة زوجته وسكرتيرته في المعادي يوم الثلاثاء ٤ ذو الحجة سنة ١٤٠٥هـ/٢٠/٨/١٩٨٥م(١٣٣). إلى حصد عدد من السياح اليهود برشاش أحد الجنود المصريين بعد حادثة حمام الشط في تونس.

وبالمقابل إزدادت حركات أهل الضفة والقطاع ، كدليل على أن الوجود اليهودي لايمكن أن يكون مقبولا لدى المسلمين ، مهما بلغ من قوته ونفيره وجبروته ، فهو كيان مصطنع يستمد عناصر بقائه من الخارج ، فروسيا تمده بالرجال والقوى البشرية ، وأمريكا تمده بالمال والسلاح وأوربا الصليبية كذلك.

فإذا كانت بريطانيا قد وضعت أسس دولة اليهود ويسرت السبيل لقيامها وتشريد المسلمين من أهل فلسطين ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية قدمت لإسرائيل وسائل حياتها ، وأسس دعمها وقوتها ، لتظل أداة العدوان والقهر لخدمة المخططات الاستعمارية. فقد قدمت خلال السنوات العشر الأولى من قيامها مايقرب من مليار دولار ، وأنشئت جمعيات أمريكية خاصة لتقديم الهبات لإسرائيل ، وسهلت طرح سندات القرض الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية وكان دخل اسرائيل من هذا المورد حوالي ٥٦٢ مليون دولار. كما ضغطت الولايات المتحدة على ألمانيا الإتحادية لدفع تعويضات قيمتها نحو ٨٢١ مليون دولار عن الأضرار التي ألحقها النازي باليهود. وأمدت الولايات المتحدة إسرائيل بكل أنواع الأسلحة الحديثة ، حتى التي تستخدم لأول مرة في أمريكا ذاتها في الوقت الذي فرضت حظرا على توريد الأسلحة إلى الدول العربية. وقفزت المساعدات من ٥ و٢٢١ مليون دولار زمن ترومان إلى ١١٧٦ مليون دولار في فترة نيكسون الأولى (١٩٦٩-١٩٧٢م). ثم إلى البلايين في عهد ريغان. في حين لم ينقطع تزويد روسيا الشيوعية للكيان الصهيوني بالعنصر البشري. وأما تأييد فرنسا لإسرائيل فمعروف ، وهناك نوع

---

(١٣٣) الشرق الأوسط ص١الأربعاء ٥ذوالحجة ١٤٠٥هـ/٢١/٨/١٩٨٥م. العدد٢٤٥٨.

من التعاون النووي بينهما(١٣٤) ، عندما زار فرانسوا ميتران سوريا كان أغرب مافي كلامه في مؤتمره الصحفي أنه لم يطلب جلاء اسرائيل عن الأراضي السورية المحتلة في الجولان ، ولو من حيث المبدأ على الأقل أو المجاملة للبلد المضيف ، بل تلفظ بالكلام الذي فحواه أن على الطرفين : « إيجاد الحل لهذه المشكلة »(١٣٥).

ويظهر أن أمريكا جادة كل الجد في المحافظة على الكيان الصهيوني فمن خطاب (هارولد سوندرز) مساعد وزير الخارجية الأمريكية أمام اللجنة الفرعية للشرق الأوسط التابعة للجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب الامريكي واشنطن ١٩٧٨/٩/٢٨م : « ... لقد كان توفير الدعم لاسرائيل آمنة حرة ديمقراطية في الشرق الأوسط وسيظل سمة دائمة في السياسة الخارجية الامريكية ، بل انه التزام أدبي من جانب دولتنا كما أنه اهتمام إستراتيجي ، وأنا واثق بأن علاقات الصداقة التي تربط دولتينا ستزداد قوة باتفاقيتي كامب ديفيد.

فلإسرائيل كما لأية دولة الحق أن تعترف الدول المجاورة لها مباشرة وجميع الدول الأخرى بها وتقبلها ، وعلاوة على ذلك لاسرائيل كما لأية دولة الحق في العيش بأمان ـ أمان ينبع من قوتها الذاتية وبأسها. ومن التعاون والنية الحسنة لدى جاراتها ، ومن الإجراءات الأمنية الحازمة المتفق عليها بينها.

إن اتفاقيتي كامب ديفيد تعملان من أجل تحقيق هذه الإهتمامات الجوهرية لإسرائيل أكثر من أي إجراء آخر منذ قيام دولة اسرائيل الحديثة ... فهما تحققان آمالا للشعب اليهودي تمنى تحقيقها منذ قرون طويلة ، وهي العيش بسلام في دولة خاصة به في أرض آبائه وأجداده ، ضمن حدود آمنة ومعترف بها وليأخذ مكانه الحق في المجتمع الدولي »(١٣٦) ، وكما قال الرئيس كارتر : « لقد صادق الرئيس السادات زعيم إحدى اعظم الأمم في العالم دون إكراه وبأعلى درجة من الحماسة على هذا الطموح العظيم لإسرائيل »(١٣٧). وهذا يذكرنا بقول رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية ، ومستشار الرئيس جونسون في

---

(١٣٤) انظر الشرق الأوسط ص٣السبت ٢٣ربيع الأول ١٤٠٥هـ١٥/١٢/١٩٨٤م. العدد٢٢٠٩.عن صحيفة لوكونيد بان دي باريس الفرنسية.

(١٣٥) الشرق الأوسط ـ رأي الشرق الأوسط ص ٩الأحد٢/١٢/١٩٨٤م.

(١٣٦) وأين أرض آبائه وأجداده هو؟ فهو يعيش في الأرض التي اغتصبها من الهنود الحمرا.

(١٣٧) اتفاق كامب ديفيد ص ٣٧-٣٨.

الستينات : « لاتستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام » ، أي إلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية ، لأنها إن فعلت غير ذلك ، تنكرت للغتها، وفلسفتها ، وثقافتها ، ومؤسساتها ... إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية ، وان قيام اسرائيل جزء من هذا المخطط ، وليس إلا استمرارا للحرب الصليبية(١٣٨). فأمريكا التي تكونت من مجموعة من الغزاة الأوروبيين على أنقاض الشعوب التي أطلقوا عليهم : (الهنود الحمر) ، تريد من اليهود أن يقوموا بالدور نفسه على أرض الإسلام ، فهي تريد ايكال دور المستعمر الجديد لليهود ، بعد أن نجحت في انهاء الاستعمار الأوربي الغربي(١٣٩). وأن تجعل من اليهود الذراع القوية ، فأعلنت وثيقة للتعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة في مجال مشروع الرئيس الأمريكي (حرب النجوم)(١٤٠).

وحملت أنباء يوم الاثنين ١٩٨٨/٩/٢٠م /١٤٠٩/٢/٨هـ إطلاق اليهود لأول قمر صناعي والحق أن ذلك ليس مفاجئا فقوى امريكا والعالم المادي يدعمها في كل الأمور ! والمسلمون في ضياع !!

ونشط اليهود في سياسة **الضم (الدمج)** للضفة الغربية والقطاع ، وظهر ذلك جليا في :

أ- توسيع مجال أعمال الاستيطان اليهودي في الضفة والقطاع. وتشجيع هجرة المسلمين إلى الخارج ، وعمليات الإبعاد المستمرة فقد بلغ عدد المسلمين الذين هاجروا من الضفة إلى الخارج في الفترة من **١٩٧٤-١٩٨٠م** مائة ألف تقريبا ، في حين بلغ عدد المستوطنين اليهود مائة ألف مستوطن سكن معظمهم في منطقة القدس(١٤١). حيث أحيطت القدس بالمستعمرات.

ب- مصادرة الأراضي : فقد اعتبر اليهود أن الضفة - التي يسمونها يهودا والسامرة - هي ميراث اليهود ، وملك لهم بالحق التوراتي المزعوم. فأصدرت حكومتهم القوانين بهدف استمرار الأراضي والتهويد ، فصادرت ٢,٣ مليون دونم بموجبها من المزارعين المسلمين حتى عام ١٩٦٠م في الأراضي المحتلة سابقا(١٤٢). وانتزعت بعد عام ١٩٦٧م حوالي ٥٠٪ من مساحة الأرض الزراعية من سكان

(١٣٨) فتحي لاشين - الاقتصاد الإسلامي - ص ٣٢.

(١٣٩) نجيب صالح - العصر الإسرائيلي ص ١٠.

(١٤٠) الشرق الأوسط ص ٣/ ١٩/٤/١٩٣٦م.

(١٤١) هآرتس - صحيفة يهودية ١٩٨٢/١٢/٢٦م.

(١٤٢) سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة - أساليب الضم والتهويد ص ١١٥وص ١٢٠.

الضفة(١٤٣) ،وأكثر من ثلث أراضي القطاع(١٤٤).

ج- احتكار مصادر المياه : فقد منع اليهود المسلمين من حفر الآبار الارتوازية في الضفة والقطاع وحددت حكومتهم المياه التي تضخ من الآبار القائمة. وقد تم تنفيذ هذا الإجراء بتركيب عدادات على الآبار التي يملكها المسلمون ، وفرضت عقوبات في حين شجعت المستوطنين اليهود في الضفة على حفر مزيد من الآبار الارتوازية ، وأصبحت مياه الضفة تزود اليهود بأكثر من ٣٠٪ من استهلاكها السنوي أي نحو ٥٠٠ مليون متر مكعب من مجموع استهلاكهم(١٤٥) ولم يسمح للمسلمين بضخ أكثر من ٣٥ مليون متر مكعب سنويا(١٤٦).

وقد قامت الحكومة اليهودية بهذه السياسة ونفذتها بطريقة الاحتلال العسكري اليهودي في المناطق المحتلة بحجة منع تطور (تهديد أمني لإسرائيل في هذه المناطق)(١٤٧). واتخذت الضفة والقطاع أسواقا للتصدير ، فأصبحت حلقة ربط غير مباشر بين الإقتصاد اليهودي واقتصاد البلاد العربية.

فتحركت أمام ذلك مشاعر المسلمين في فلسطين المحتلة والضفة والقطاع ، وقاموا بحركة جهاد ، أطلق عليها **اسم الانتفاضة** ، بدأت في شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، واستعملت فيها الحجارة والزجاجات الفارغة والعصيان المدني ... ولاتزال مستمرة إلى يوم كتابة هذه السطور ١٤٠٩/٥/٦هـ أي زادت على العام. وقد أدهشت العالم وأذهلت اليهود ! وأخذ اليهود يخططون لهذه المفاجأة الجديدة.

ويالللأسف جاء فك الارتباط بين الضفة الغربية والأردن بناء على مؤتمر القمة العربي ، ورغبة منظمة التحرير الفلسطينية. ومهما اختلفت الأقوال في ذلك فإن فك الوحدة بين الأشقاء يورث الضعف.

وأخذت تصريحات منظمة التحرير الفلسطينية التي أصبحت الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني تطالب بالتقسيم عام ١٩٤٧م، وعقد المؤتمر الدولي. وفي يوم ١٩٨٨/١١/١٥م - ١٤٠٩/٤/٦هـ أعلن عن قيام الدولة الفلسطينية

---

(١٤٣) نفسه ص ١٠٨.

(١٤٤) نفسه ص ١٠٩.

(١٤٥) نفسه ص ٧٦وص ١٠٨.

(١٤٦) نفسه ص ٧٦.

(١٤٧) نفسه ص ٢.

في المنفى والموافقة على قرارات الأمم المتحدة ٢٣٨ و ٣٤٢ .
كما أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في خطابه أمام هيئة الأمم المتحدة يوم ١٤٠٩/٥/٤هـ ، ١٩٨٨/١٢/١٣م عن الاستعداد للاعتراف باسرائيل بشرط تحقيق حرية تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

ففي عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م كان الزلزال الذي دك قواعد العالم العربي والإسلامي، غزو العراق للكويت ثم حرب الخليج المدمرة وما تبعها من تطورات للنظام العالمي الجديد ومن تأثير ذلك على القضية الإسلامية ـ قضية فلسطين ومؤتمر مدريد ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

وهكذا فالمسلسل الذي استعرضناه قاد إلى سلسلة من الإحباطات، التي لا بد من حلها في إطار إسلامي صحيح على اعتبار أن القضية الفلسطينية قضية المسلمين جميعاً، والليالي حبالى تلد كل عجيب!.

الفصل الثاني

المسلمون في الفلبين ـ عذراء ماليزيا

عذراء ماليزيا مجموعة من الجزر يزيد عددها على ٧١٠٠ جزيرة ، تنتشر في مياه المحيط الهادي في أقصى شرقي آسيا بين الجزر الإندونيسية والجزر اليابانية. بعضها كبير معروف مثل جزيرة لوزون في الشمال ، وجزيرة مندناو في الجنوب ، وبعضها صغير مجهول لايكاد يعرفه إلا ساكنوه ، ومنها ما اتخذ له إسم حيث قطنه البشر ، ومنها ما لم يسم بعد لأنه لا يقيم عليه الإنسان وعبارة عن رؤوس جبلية بارزة في وسط اليم ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات من الجزر هي :

١ـ جزيرة لوزون وماحولها ، وهي المنطقة الشمالية : وأغلب سكانها نصارى ، ووثنيون. وأكبر مدنها العاصمة : مانيلا.

٢ـ جزيرة فيساياس وماحولها : وهي المنطقة الوسطى ، وأشهر مدنها سيبو.

٣ـ جزيرة مندناو ، وماحولها : وهي المنطقة الجنوبية ويتركز فيها المسلمون ، بالإضافة إلى جزر بالاون وصولو[١]. ويطلق عليها اليوم اسم : **(مورو الإسلامية)**.

وتصل مساحة هذه الجزر إلى ٣٠٠ ألف كم^{٢} . تكون مورو الإسلامية أكثر من ٣٨٪ من هذه المساحة أي ١١٦,٨٩٥ كم^{٢} . وتعتبر امتداداً لجزر أندونيسيا، ويجاورها من الشرق خانق محيطي عظيم يمتد بطولها عبر المحيط الهادي، لذا فهي واقعة ضمن نطاق القوس المعروف بالحزام الناري في المحيط الهادي، الذي يتعرض لهزات أرضية من آن لآخر أو ثوران بركاني[٢].

تقع هذه الجزر ضمن إقليم المناخ الموسمي ، ويمارس أهلها الزراعة ، فهي حرفتهم الرئيسية ، وتليها تربية الدواجن والحيوانات ثم صيد السمك ، وأهم المحاصيل : الأرز ، وجوز الهند ، والقنب ، وقصب السكر ، ونخيل الزيت ، والمطاط ، والمانجو ، والموز ، والأناناس ، وفيها ثروة غابية تمتد في الجزر كلها ، تغطي ٥٩٪ من مساحة الجزر. وتنتج الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها من الخامات المعدنية ، كما يعتبر البحر مصدرا مهما من مصادر الرزق لأهل الفلبين[٣].

---

(١) انظر حاضر العالم الإسلامي ج١ص ٣٥٩./ لوثروب.

(٢) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص ٤٠.

(٣) اسحق محمد ـ جبهة تحرير مورو الوطنية ـ طبع دمشق ص ٣/ ١٩٨٤/٢/١٧م.

أطلق الاسبان على هذه البلاد ـ اسم الفلبين ـ باسم ملكهم (فيليب الثاني) الذي أرسل القائد (سجاستا) وحملته على تلك الجزر(٤). في حين كان العرب المسلمون يطلقون عليها (عذراء ماليزيا) لأن أغلب سكانها من أصل ماليزي.

سكان الفلبين

ينتمي السكان إلى جماعات متعددة ، ومن ثم تعددت اللهجات ومن الممكن أن نجمعهم في عنصرين :

أ ـ عنصر قديم : وهم من : ١ ـ النجريتو ـ الأقزام الآسيويين ـ ذوي اللون الأسود ، والقامة القصيرة ، والجسم الصغير ، وهم جماعات بدائية تعيش في الغابات وفي المناطق المنعزلة ولا دين لهم.

٢ـ والأندونيسيين : ذوي اللون الأبيض ، وقامتهم أطول قليلا من سابقيهم.

٣ـ والملايو القدماء : ووصلها هؤلاء تباعا قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

ب ـ العنصر الثاني : الملايو : الذين قدموا من الملايو على شكل موجتين حملت الثانية منهما الإسلام ، وتوزعوا في البلاد وسكنوها. بعد أن اختلطوا بالسكان الأصليين.

وقد أطلق عليهم الإسبانيون هذا اللفظ (المورو) إذ شبهوهم بمسلمي المغرب والأندلس لانتمائهم إلى دين الإسلام(٥). وينتشرون حاليا في ثلاث عشرة ولاية في الجنوب والغرب ، وهم ينتمون إلى جماعات : ماجوندناو ، وتاوسج ، ومارنواوا ، وساما لا ، وسالوان ، وساو ، وياكان ، وبارجاو ، وجامابونا ، وسيبوجوي ، وبلاواني(٦).

وبلغ عدد سكان الفلبين عام **١٤٠٤هـ/١٩٨٤م** ٥٦ مليون نسمة فيهم ٧ ملايين مسلم على الأرجح يشكلون ثمن السكان(٧). في حين أن ماركوس رئيس الفلبين أعلن عام **١٩٧٥م** أن عدد السكان المسلمين ثمانية ملايين يشكلون **٢٢٪**

---

(٤) حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ص ٥٩.

(٥) كان لفظ الموروس شائع الاستعمال في الكلام على المسلمين وأهل المغرب منهم خاصة وكان هذا هو اسم قبيلة مغربية بربرية عرفها الرومان وحاربوها في المغرب ، ومن ذلك اللفظ أتت تسمية العرب والمسلمين بهذا الإسم عند الاسبان. ثم الانجليز والفرنسيين (حسين مؤنس ـ الإسلام الفاتح ـ ص ٥٩) ، الشيخ أحمد بشير ـ تاريخ الإسلام في الفلبين ص ١١.

(٦) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ص ٤/محرم ١٣٩٨هـ.

(٧) المجتمع الكويتية العدد ٦٠ص ٣١ Philippines History P: 168.

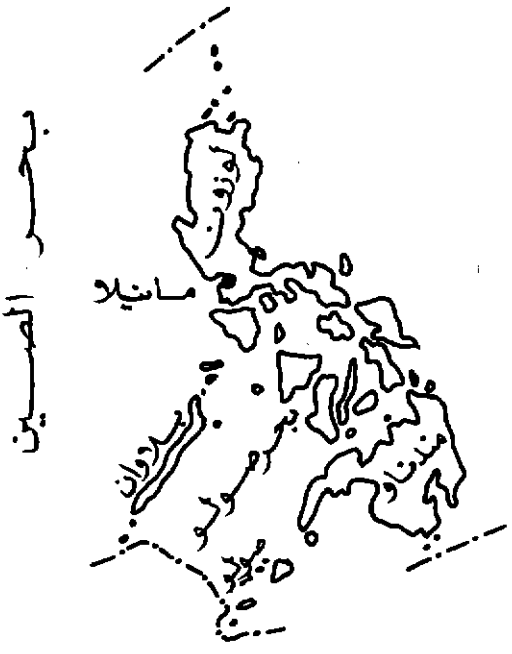

عـــذراء ماليزيا
الفلبين

من السكان(٨) وهذا يدل على تناقص عدد المسلمين بسبب الإبادة والتهجير التي يتعرض لها المسلمون في تلك البلاد.

ويتكلم أهل الفلبين أكثر من ٧٨ لغة أهمها التالوج التي تنتشر في مانيلا وماحولها(٩) ، وتتجه النية لأن تكون اللغة الرسمية ، وفي كل لغة موجودة ألفاظ عربية وإسبانية وهندية وصينية وإنجليزية. وأما المسلمون فيتكلمون لغتين خاصتين بهم تعرفان باسم : لغة مورو وهما لغة (إيرانون) و (تاوسوغ) وتكتبان بالحروف العربية ، وتعد اللغة العربية الثانية عندهم بعد الإنجليزية التي لاتزال لغة البلاد الرسمية(١٠).

دخول الإسلام :

سيطر المسلمون في القرن الثالث الهجري على التجارة البحرية بين مصر والهند وماليزيا والصين ، وأقاموا مناطق استيطان (مهاجر) متعددة على شواطيء الهند وغرب شبه جزيرة الملايو ، وسيطروا على تجارة نانهي (في بحر الصين الجنوبي) واستوطنوا كانتون في الصين ، واختلط المسلمون من عرب وهنود كجرات مع أهالي تلك البلاد بالزواج والتجارة ، فأخذ الإسلام يشق طريقه ببطء في تلك الأقطار عن طريق الإقناع ، ولما أسلم بعض السكان المحليين أحسوا أنهم جزء من أمة سامية حملتهم إلى مستوى رفيع بين أمم العالم ، وأن من واجبهم حمل هذه الدعوة ، إلى أقوامهم ، كما استمر سيل الدعاة من بلاد العرب ومن الهند.

وجاء سقوط بغداد عاصمة دار الإسلام سنة **٦٥٦هـ** على يد المغول ، فهاجر عدد كبير من المسلمين إلى جنوب شرق آسيا ، فازدهرت الدعوة الإسلامية ونشطت في الملايو وسومطرة وجاوة وجزر مولوكي وبورنيو وعذراء ماليزيا. ومع نهاية القرن السابع الهجري كانت المقاطعات الساحلية لشمال سومطرة قد أصبحت إسلامية كلها ، وقام حكام هذه المقاطعات وخاصة مقاطعة **(باساي)** بنشر الدعوة بقوة وحماسة ، فعم الإسلام **ملقا (في الملايو)** نتيجة لذلك ، وأصبحت مع باساي المركز الإسلامي الرئيسي في جنوب شرق آسيا يفد إليها طلاب العلم المسلمون من جاوة ، ثم يعودون للقيام بالدعوة الإسلامية في مختلف جزر الشرق الأقصى ، وكان يحيطها ـ أي ملقا ـ هالة من الإعجاب تبديها

---

(٨) محمد عبد القادر أحمد ـ المسلمون في الفلبين ص ٤٢.

(٩) نفسه ص ٤٥.

(١٠) محمد عبد القادر ـ المسلمون في الفلبين ص ٤٥.

السلطنات الإسلامية المحيطة بها نظرا لاستقامتها على الإسلام وتقوى وصلاح أهلها وحكامها معا ، فقد كتب عنها (نينغ شنغ لان) الصيني سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م يقول : « إن الحاكم والشعب مسلمون ، متمسكون بحرص ودقة بتعاليم الإسلام »(١١) فقامت ملقا بنشر الإسلام في الشرق الأقصى ، بما فيها الفلبين التي وصلها أيضا عن طريق سومطرة وجزر المولوكاس وبورنيو ، حيث كان يعيش سكانها الأصليون شبه عراة في حياة جاهلية يعبدون الأصنام ، فوصلها التجار المسلمون والدعاة ، وهاجر إليها عدد من بلاد الإسلام واستوطنوها ، فعبر الإسلام بذلك إلى جزيرة صولو ، وانتشر في ماجيندناو ، ولانا في الجنوب وتقدم إلى لوزون في الشمال في الوقت نفسه(١٢) ، وازداد انتشاره عن طريق مصاهرة الأسر الحاكمة وإسلام الأمراء المحليين.

وهناك ضريح في **بوددانوا** بجزيرة صولو جنوب الفلبين يحمل تاريخ ٧١٠هـ للداعيتين توان مقبلو ، وتيان مشايخة(١٣). مما يوحي بأن التجار والدعاة وصلوا إلى هذه البلاد قبل هذا التاريخ بكثير ، وأشهر داعية معروف وصل صولو هو شريف الأولياء **كريم** (المخدوم) وهو عربي ، جاء عن طريق الصين حوالي عام **١٣٥٠م**(١٤) الذي تمكن من كسب السلطان محمد شاه وشعبه في ملقا إلى الإسلام ، ثم أبحر إلى جزر صولو واستقر في قاعدتها القديمة (يوانا) ، وبحسن دعوته دخل كثير من أهلها الإسلام ، ولقي منهم تقديرا عظيما ، وقد توفي ودفن في جزيرة سبوتو.

وخلفه الداعية **أبو بكر** الشريف محمد بن علي وهو عربي أيضا ، بدأ عمله كسلفه في ملقا ثم سافر إلى بالمبانغ في بورنيو ، كما انتقل إلى بروناي ، ووصل صولو حوالي عام **٨٥٤هـ/١٤٥٠م**. فبنى عددا من المساجد ونجح في الدعوة نجاحا كبيرا ، وزوجه سلطان ماجنداناو المسلم من إبنته وجعله وليا لعهده ، فلما ورث العرش نظم القوة العسكرية لأهل جزر صولو أشد رجال عذراء ماليزيا(١٥). وكثر الدعاة ، وانتشر الإسلام ، فتكونت إمارات وسلطنات إسلامية

---

(١١) فيصر أديب نخول - الإسلام في الشرق الأقصى ص ٢٨.

(١٢) نشرة معهد شئون الأقليات ص ٤/ محرم ١٣٩٨هـ/ حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص ٥٨.

(١٣) عبد الباقي - أبو بكر - الإسلام في الفلبين ١٩٨٣/٤/٢٩م.

(١٤) فيصر أديب نخول ص ٦٧.

(١٥) حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص ٦١.

هناك أهمها(١٦) :

١- **إمارة صولو** الإسلامية وقد شملت أرخبيل صولو وجزيرة باسيلان وبالوان وبعض الجزر المجاورة ، وقد أسسها الأمير ريابا جندار الذي جاء من سومطرة إلى مندناو وباسيلان ثم استوطن صولو. وكانت أول سلطنة إسلامية في عذراء ماليزيا.

٢- **إمارة ماجيندناو** - وجمعت جزيرة مندناو التي فيها أكبر تجمع إسلامي وماحولها.

٣- **إمارة مانيلا** - عاصمة الفلبين الحالية - في لوزون وما جاورها من مناطق.

٤- إمارات إسلامية صغيرة تابعة للإمارات السابقة أو منفصلة عنها.

التحدي الصليبي ، الاسباني والبرتغالي :

وبينما كانت تلك الجزر تعيش في هدوء إذ بجموع الصليبيين من البرتغاليين والأسبان تداهمهم من الشرق والغرب. وكان البرتغال والأسبان قد نقلوا ميدان الحروب الصليبية من البحر الأبيض المتوسط في الغرب إلى المحيط الهندي والمحيط الهادي في الشرق(١٧).

وأول قوة برتغالية وصلت المنطقة كانت بقيادة البوكرك البرتغالي الذي احتل ملقا سنة ٩١٧هـ/١٥١١م ، وصاحب ذلك حقد صليبي ونشاط تبشيري مركز ، فأثار ذلك ردة الفعل عند المسلمين وأصبح الأرخبيل كله ميدانا للصراع الإسلامي الصليبي ، فهاجر عدد كبير من العلماء إلى سومطرة وجاوة وأدت هذه الهجرة بدورها إلى ازدياد الحماس الديني ونشاط الدعوة للإسلام ، وهكذا يمكن تشبيه سقوط ملقا بسقوط بغداد إلى حد ما ، فكلا الحادثين أحيا النشاط الإسلامي وبعثه فكرا وعملا.

وكانت سيطرة المسلمين على البحار قد زالت بعد هزيمة الأسطول الإسلامي في معركة ديو البحرية سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م أمام البرتغال(١٨) ، ولكن الهزيمة لم تؤثر على قوة انتشار الإسلام وتوسعه في ماليزيا والمشرق ، فقد اختار التجار المسلمون **آتشيه** شمال سومطرة مركزا لهم فأصبحت شمال سومطرة مرة أخرى دعامة الإسلام هناك وازدهرت آتشيه وقويت لدرجة استطاعت معها أن تتحدى

---

(١٦) الشيخ محمد بشير - الإسلام في الفلبين - ص ١٨.

(١٧) انظر الإكتشافات الجغرافية في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(١٨) انظر الإكتشافات الجغرافية الأوروبية في هذا الكتاب.

ملقا التي أصبحت مستعمرة برتغالية.

وفي سنة ٩٢٨هـ قويت الدعوة الإسلامية في بورنيو وتشكلت الإمارة الإسلامية القوية في بروني وحملت على عاتقها مع آتشيه حركة الصراع الإسلامي ضد البرتغاليين والأسبان الصليبيين.

ووصلت آتشيه في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين أوجها وكانت أهم قناة نقلت الدعوة الإسلامية إلى جاوا والشرق الأقصى من مراكز الإسلام في الهند وشبه جزيرة العرب ومصر ، ووصلها المتطوعة من مصر يجيدون استعمال الأسلحة النارية ، فقوي الإسلام هناك وأصبحت لأهمية موقعها الجغرافي على مفترق طرق التجارة الإسلامية مركزا هاما للدراسات الإسلامية ، وامتازت بسمعتها العطرة حيث التقوى والالتزام المخلص بحدود الإسلام ومحاربة البدع. وكانت بالإضافة إلى ذلك محطة لكل الحجاج الماليزيين (بما فيهم أهل الفلبين) الذاهبين إلى بيت الله الحرام ، فتفاخر أهل آتشيه بمركزهم هذا وسموا بلادهم (عتبة الديار المقدسة)(١٩).

وتولى بروني(٢٠) السلطان هارون الذي أخذ على عاتقه مقاومة الغزو البرتغالي واستطاع ابنه باب الله سلطان ترنيت أن يدمر كل ماأنجزه المبشرون البرتغاليون عام ٩٨٣هـ.

أما الأسبان الذين توجهوا غربا في كشوفهم الجغرافية بعد معرفتهم كروية الأرض فقد اعتقدوا أن سيرهم هذا يقودهم إلى شرق بلاد المسلمين فيحدقون بالمسلمين في المشرق مثلما أحدقوا بهم في المغرب ، فعرفوا أمريكا ، وفي عام ٩٢٣هـ/١٥٢١م وصل ماجلان عذراء ماليزيا واصطدم بالمسلمين عندما أراد

(١٩) قيصر أديب مخول ص ١٧.

(٢٠) وبروني اليوم سلطنة إسلامية تقع في جنوب شرق آسيا ، وهي جزء من جزيرة بورنيو التي تقع على بحر الصين ، ومساحتها ٢٢٢٦ميلا مربعا وعدد سكانها ٢٣٠٠٠٠نسمة ، تعتمد في دخلها على البترول (حوالي ٥مليارات دولار سنويا) بالإضافة إلى الصيد وقطع الأخشاب باعتبارها منطقة استوائية غنية بالغابات الكثيفة. ولغتها الأساسية الإنجليزية ، في حين أن اللغة القومية هي الملاوية.

وسكان بروني مسلمون يولون مكانة خاصة للقرآن الكريم والدارسين في الأزهر ، فمن أبنائها عام ١٩٨٥م ستون أزهريا يتولون المناصب العليا فيها ، وسلطانها حسن البلقيح منذ سنة ١٩٦٧م. وقد زارتها بعثة مصرية للآثار في اطار التعاون الإسلامي الثقافي بين مصر وبروني ، وتوصلت البعثة إلى أن دخول الإسلام كان في القرن الرابع عشر الميلادي لوجود آيات قرآنية على بعض القطع الأثرية التي عثر عليها ، وبعض الآيات مكتوبة على شواهد بعض القبور في السلطنة. (الشرق الأوسط - ص ١٣ الاثنين ١٤جمادي الأولى سنة ١٤٠٥هـ/٤/٢/١٩٨٥ العدد ٢٢٦٠).

فرض سيطرته ونشر عقيدته فقتل في جزيرة ماكيتان من جزر سيبو (فيسايا س حاليا) فتابع من نجا من أتباعه طريقهم حتى عادوا إلى اسبانيا. وكان المسلمون بقيادة (لابولابو) أمير ماكيتان.

ثم سيرت إسبانيا بعد ذلك أربع حملات قتل أفرادها جميعا لأن الريح كانت تدفعهم نحو الجزر الجنوبية حيث يكثر المسلمون هناك(٢١).

ثم جردت إسبانيا حملة كبيرة رافقتها القساوسة في محاولة لتنصير المسلمين استقرت في جزيرة سيبو وقاوم (راجا سليمان) حاكم مانيلا (عاصمة لوزون) الإسبان بشجاعة وضراوة وكان ابن أخ لأحد سلاطين بروني وابن عم السطان سيف الرجال سلطان بروني الذي صد الاسبان عن بروني عام (٩٨٥و٩٨٨هـ/١٥٧٧و١٥٨٠م). واستشهد راجاسليمان عام ١٥٧١م.

وباحتلال الإسبان لمانيلا وتهديدهم لأماكن استيطان المسلمين ، وبناء مستعمرات جديدة مكانها على يد ليكاسبي سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، توقف توسع الإسلام في القسم الشمالي من أرخبيل الفلبين ، واعتبر الاسبان معركتهم مع مسلمي الفلبين في مانيلا إمتدادا لمعاركهم مع المسلمين في الأندلس ، فقد كتب أحد الاسبان سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م : « عندما نزل جنود ليكاسبي في مانيلا في مكان هو الآن موقع حصن سانتياغو وهو مفتاح مانيلا وجدوا مقاطعة مسلمة يحكمها الراجا ماتندا بمساعدة ابن أخيه الراجا سليمان ، وكان هذا الأخير يحبذ سياسة الحرب والمواجهة ...».

وحتى تكون الصورة مماثلة تماما لما كان في غرناطة ، سمّى ليكاسبي مسلمي الفلبين (الموروس)(٢٢). وأقيمت في مانيلا محاكم التحقيق (التفتيش) وكانت تابعة لمحكمة مكسيكو في المكسيك ، حيث أخذت تتتبع المسلمين(٢٣). وتقضي عليهم.

وفي عام ٩٧٣هـ/١٥٦٥م حصل ليكاسبي إذنا من فيليب الثاني باسترقاق المسلمين لأنهم يدعون لعقيدة محمد ... كما أعطيت الأوامر عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م للكابتن (استبان رودر يكودي نيكروا) بتهديم المساجد ومنع إعادة بنائها في صولو ومندناو.

---

(٢١) البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة ص ٦٠٧-٦٠٨.

(٢٢) قيصر أديب مخول ص ١٤٧.

(٢٣) الموريسكيون والمسيحيون.. ص ١٥٩.

وأدرك المسلمون الأهداف الصليبية فتعاونوا في الوقوف في وجه الهجمة الصليبية ، فقاومت سلطنة صولو وسلطنة ماجندناو الغزو الأسباني ، ووصلتهما الامدادات من بورنيو وجزر مولوكي ، كما استعانت آتشيه بمصر ، وحصلت على المتطوعة ، فكتب (فرانسيسكو دي سندي) حاكم الفلبين الإسباني سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م للسلطان سيف الرجال يطلب منه التوقف عن إرسال الدعاة إلى الفلبين وأواسط بورنيو ، وأن يقبل في بورنيو مبشرين كاثوليك. وعندما قرىء الكتاب على السلطان غضب غضبا شديدا ولم يزد على قول كلمة واحدة : كافر »(٢٤).

وظل الحرب سجالا بين الإسبان ومسلمي الفلبين ثلاثمائة عام ، وكانت سفن المسلمين المسلحة تقوم بمهاجمة السفن الأسبانية وتأسر الآلاف من الإسبان ، وتبيعهم في سوق الرقيق ، كرد فعل لما فعله الأسبان والبرتغال لاستعباد المسلمين وتنصيرهم(٢٥).

وكانت سياسة الإسبان التي أعلنها (دي سندي) تقوم على سحق الإسلام وتنصير المسلمين ، ولكنهم أدركوا بعد هذه القرون استحالة ذلك ، فاعترفوا عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م باستقلال سلطانهم في صولو ، ولكنهم عادوا واستولوا على حاضرة البلاد عام ١٨٧٤م ، فلجأ المسلمون إلى القيام بالغارات فكان حكم الأسبان إسميا فقط(٢٦) ، فكتب (بلتزار جير وديه) (وهو ممن اشتركوا في غزو الفلبين سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)إلى الحاكم الاسباني العام عام **١٢٩٨هـ/١٨٨٠م** إقترح إتباع سياسة قبول الواقع الإسلامي ، وهي الطريقة الوحيدة لوقاية النفوذ الاستعماري من الإنهيار(٢٧).

كان المسلمون يمدون جنوب الفلبين بدماء جديدة وينشرون الإسلام ، فقد كتب دي سندي إلى ملك اسبانيا في حزيران عام ٩٨٤هـ/١٥٧٦م يثبت له أن مسلمي بورنيو هم الذين كانوا ينشرون الإسلام في الفلبين وقال في رسالته ان اخضاع سلطان آتشيه وبروني في بورنيو قد يوقف إرسال الدعاة إلى الفلبين.

ولكن هذا الأمر اختلف بعد **السيطرة الهولندية** على جزر الهند الشرقية ،

---

(٢٤) قيصر أديب ص ١٤٢.

(٢٥) حاضر العالم الإسلامي ـ الامير شكيب ـ ج١ص ٣٦٢.

(٢٦) نفسه ج١ ص ٣٦٢.

(٢٧) محول ص ١٤٤-١٤٥.

والسيطرة الإنجليزية على ماليزيا ، فقد تمكن الأوروبيون من عزل مسلمي الفلبين - تقريبا - عن بقية العالم الإسلامي بالقرصنة البحرية وبيع الأسرى المسلمين في أسواق النخاسة. وهذا تسبب في ضعف المسلمين وتأخرهم. ورغم ذلك فقد بقيت إمارتان إسلاميتان في جنوب الفلبين هما : إمارة صولو وإمارة ماجندناو تجاهدان الغزوات الصليبية المتوالية ، ولم يستطع الإسبان سوى السيطرة على بعض المناطق الساحلية وقليل من المدن. ولكنهم نجحوا في عرقلة انتشار الإسلام في الشمال ودحر المسلمين، وبقي المسلمون في الجنوب يحافظون على عقيدتهم وملامح الحضارة الإسلامية خلال الفترة الطويلة من الإستعمار والحروب.

الحكم الأمريكي للفلبين :

هزمت أمريكا إسبانيا هزيمة ساحقة في المياه الفلبينية ، فاضطرت إسبانيا إلى بيع الفلبين لأمريكا عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م بمائتي مليون دولار. فخلفت الولايات المتحدة اسبانيا في استعمار تلك الجزر ، وأصدرت قانونا يقضي بأن جميع رخص امتلاك الأرض غير المصدق عليها من إسبانيا تعتبر ملكية عامة ، وهذا معناه أن أراضي المسلمين تصبح ملكا للحكومة الأمريكية لأن اسبانيا لم تحكم المسلمين. فتدفقت الهجرات الصليبية إلى الجنوب بسبب هذا القانون(٢٨)، وخاصة بعد أن صدر قانون آخر يبيح لكل مهاجر امتلاك ٤٤ هكتارا من الأرض ، بينما المواطن الأصلي في الجنوب يحق له أن يمتلك ٤ هكتارات من الأرض فقط. وأعطي الحق لكل شركة في امتلاك (١٦٠) هكتارا ، فجاء النصارى بأسماء شركات وهمية لامتلاك أراضي المسلمين(٢٩).

وحاول الأمريكيون تنصير المسلمين واستخدموا الإكراه ، فلم يتغير موقف المسلمين ، وقاوموا بالقوة ، واستمر القتال (٣٨) عاما قتل فيها عدة آلاف من المجاهدين ، وتمادى الغزاة فشنوا على المسلمين حرب الجرائم ، فاجتاحت أوبئة الكوليرا والجدري والطاعون جزيرة مندناو وأرخبيل صولو في وقت واحد سنة ١٣٢١هـ ، وتساقط الناس بالمئات والألوف ، وانتقل الوباء إلى جزر مجاورة ، وبلغ عدد ضحايا الأوبئة أكثر من ٢٠٠ ألف على حساب التقارير الغربية نفسها ، وأهمها تقرير لجنة تافت ، وأدركت أمريكا عبث المحاولات فلانت وعقدت معاهدة مع المسلمين ، إحترمت دينهم وأسلوب حياتهم ، وتكونت لهم دولة تحت

(٢٨) مجلة المجمع الكويتية - محاورة مع عبد الباقي أبو بكر - العدد٦٠٠ص ٣٠.

(٢٩) نفسه ص ٣١.

الإدارة الأمريكية وازدهرت المدارس(٣٠). وبذلك استطاعت الولايات المتحدة دخول المناطق الإسلامية ، ولكن الحاكم العام الأمريكي (فرانك مورفي) جعل المسلمين تابعين لوزارة الداخلية الفلبينية سنة ١٣٥٤هـ في الفترة الإنتقالية التي سبقت الإستقلال.

وفي عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م إحتل **اليابانيون** المناطق الإسلامية من الفلبين ، وقاوم المسلمون الغزاة الجدد ، فتعرض المسلمون إلى حملات إبادة على يد اليابانيين.

وبعد الحرب العالمية الثانية أعلنت الحكومة الأمريكية **استقلال الفلبين** عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، وسلمت زمام الأمور **لحكومة نصرانية** على رأسها رئيس من الكاثوليك ، فاهتم القساوسة بإثارة الحكومة على المسلمين(٣١). فكتب على المسلمين بالفلبين الجهاد مرة أخرى. وصدر قرار ضم جنوب الفلبين الإسلامي إلى هذه الحكومة من جانب أمريكا.

وكان مجلس النواب الفلبيني قد ضم نائبين مسلمين ، كما ضم مجلس الوزراء وزيرا مسلما واحدا ، وشمل مجلس الشيوخ عضوا واحدا مسلما ، وأخذت الحكومة الكاثوليكية تضغط على المسلمين ، فتراجع الإسلام في مندناو ولم يبق له من مناطقه القديمة إلا جنوبها وأرخبيل صولو وجزيرة بالوان. وتوزع عدد من المسلمين في مناطق متناثرة وخاصة حول مانيلا العاصمة. وتناقصت نسبة المسلمين في البلاد ، فقد كانت ٥٥٪ تناقصت على أيدي الإسبان إلى ٥ر٤٠٪ ، وعلى أيدي الامريكيين إلى ٣٢٪ وعلى أيدي اليابانيين إلى ٥ر١٧ ٪ وعلى يد الحكومة الصليبية الجديدة في عهد الإستقلال إلى ١٢٪(٣٢).

وكان المسلمون يسيطرون على ٩٢٪ من مجموع مساحة مندناو فتضاءلت هذه الملكية إلى ٣٨٪ ، وتعمل الحكومة الآن على تجريد المسلمين من أراضيهم كلية وتوطين المزارعين النصارى وزيادة عدد اللاجئين والمشردين بدعم من أمريكا واليابان لحكومة الفلبين بمختلف الوسائل والأساليب. ولا عجب في ذلك فلأمريكا ٥٠ قاعدة ومطارا معظمها في المناطق الإسلامية.

وقد تأخر المسلمون نتيجة الظروف التي مرت عليهم علميا واجتماعيا وفكريا ،

---

(٣٠) الأمير شكيب - حاضر العالم الإسلامي - ج١ ص ٣٦٣.

(٣١) حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص ٦٠.

(٣٢) انظر عذراء ماليزيا - د.مصطفى مؤمن. ونشرة لجبهة تحرير مورو سنة ١٤٠٠هـ عن وضع المسلمين في الفلبين.

ولكن مع مطلع القرن العشرين بدأ اتصالهم بالعالم الإسلامي وخاصة بالدولة العثمانية وبمصر ، عندما دعا السلطان عبد الحميد لفكرة الجامعة الإسلامية ، فزارها مبعوث منه عام ١٣٣١هـ ، ثم تتابع عليها الزوار المسلمون من سوريا والأزهر بمصر.

وأسس المسلمون الجمعيات التي عملت على تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية وإصدار المجلات. فانتعشت أحوالهم اثر الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م). وأمام هذا التطور الملموس استمرت حركة صليبية قامت بها أمريكا للعمل ضد المسلمين **بالتنصير والتهجير**.

واقع المسلمين في الفلبين في عهد الاستقلال عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م إلى عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م :

اشتد التحدي الصليبي الكاثوليكي بعد الإستقلال بشن هجمات إبادة جماعية على المسلمين ، كما جاء في عريضة منظمة تحرير شعب المورو المرفوعة إلى لجنة حقوق الإنسان ، اتهمت فيها حكومة الفلبين بقتل وجرح ما لايقل عن مائة ألف مسلم ، وشردت نصف مليون ، واغتصبت مليون هكتار من أرض المسلمين ، وحرقت البيوت والمساجد والمدارس(٣٣) ، وجاء في الكتاب الأبيض الذي قدمه المسلمون إلى حكومة الفلبين عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م : « ان عدد المذابح والحوادث الدامية التي ارتكبت ضد المسلمين في جنوبي الفلبين بلغ **٤١٧** حالة في ثلاث سنوات(٣٤) ».

وبالمقابل اشتد وعي المسلمين في الفلبين وشعورهم بالإنتماء إلى الأمة الإسلامية الكبيرة ، وظهر هذا التجاوب أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م ، فقد ألفوا لجانا للتطوع لمساعدة العرب المسلمين. وعندما زارت (جولدا مائير) الفلبين سنة ١٩٦٤م إحتج المسلمون على هذه الزيارة وقال النائب المسلم في البرلمان : « إذا لم تطرد الحكومة هذه السيدة فسنتولى طردها»

وقامت المظاهرات العدائية في أنحاء الفلبين ، مما جعلها تختصر زيارتها وتخرج بعد أقل من **٢٤** ساعة.

وفي عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م أعدوا كتائب خاصة للجهاد ضد اليهود ، وعقب مأساة عام **١٩٦٧م** كان (أبا إيبان) يطوف بالعالم يبرر ماحدث منهم ، فلما

(٣٣) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة. محرم ١٣٩٨هـ/ص ٥.

(٣٤) تقرير مقدم من جبهة تحرير مورو لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

وصل الفلبين كانت المظاهرات تحاصر المطار ، حتى حالت دون خروجه ، فاضطر لاستخدام الطائرة الهليوكبتر لتنقله إلى القصر الجمهوري ، ولم يستطع الوصول إلى الجامعة ليلقي المحاضرة التي كانت مقررة له ضمن برنامج زيارته(٣٥).

فاشتدت الهجمة الصهيونية عنفا ، وعمل الكاثوليك بمساعدة البابا على تنصيرهم وتهجيرهم ، وبموافقة الدول الأجنبية وخاصة أمريكا. وزحف نصارى الشمال نحو أراضي المسلمين في جزر مندناو وبالاوان وصولو بغية طردهم واحتلال أراضيهم.

وبالإضافة إلى الأحزاب السياسية النصرانية الكاثوليكية في الفلبين نشأت منظمات كاثوليكية محظورة قانونيا ولكنها تلقى التعاطف من قبل السلطات الحكومية ورجال الأمن والشرطة مثل - **منظمة ايلاجاس** -(أي الفئران) الإرهابية. وقد وجدت هذه المنظمة تأييدا من إسرائيل فزودتها بالخبراء والأسلحة ، وتدرب أفرادها على العمليات الإرهابية. وأخذت هذه المنظمة الخطيرة منذ ١٣٩١هـ/١٩٧١م تقتل المسلمين ، وتحرق بيوتهم ، ومساجدهم ، ومدارسهم ، وتهدد زعماءهم ليقبلوا تنصير المسلمين. وقد فضح النواب المسلمون تواطؤ حكومة ماركوس (الذي تولى رئاسة الفلبين منذ سنة ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م) أولئك الفئران المسلحين ، واعترف أحد قادتهم أمام لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ الفلبيني سنة ١٣٩١هـ/ بأنهم يتلقون تدريبات عسكرية ومعونات ومؤن من الحكومة ، كما اعترف قائد الشرطة ان هناك **٣٥** ألف رجل من عصابات إيلاجاس المسلحة في مناطق المسلمين بجزيرة مندناو.

وهناك منظمة **جيفا الإرهابية** : وهي الجناح العسكري السري للجمعيات الكاثوليكية العلنية ، وتتلقى معونات من الكنيسة الكاثوليكية ، ولديها إمكانيات كبيرة ومخازن للسلاح وميادين للتدريب على القتال النظامي والشعبي. وكان ماركوس على صلات بهذه المنظمة الإرهابية.

كون المسلمون الجمعيات نتيجة تعرضهم للقهر والإعتداء والتنصير فأنشأوا **جمعية المسلمين الفلبينية** في مدينة مانيلا سنة ١٣١٥هـ ، وجمعية إقامة الإسلام في مدينة ماداوي سنة ١٣٥٥هـ ، وجمعية أنصار الإسلام ، وتقدم الإسلام ، وهداية الإسلام ، ومؤتمر الإسلام ، والنهضة الإسلامية ، والتربية الإسلامية ،

---

(٣٥) المسلمون العدد ٣٠ص ٢٢(المورو ٨ ملايين مسلم يواجهون المحن في جزر الفلبين).

والمؤتمر الإسلامي ، وجمعية مسلمي صولو(٣٦).

وفي عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م أخذت حكومة ماركوس تستخدم طريق تهجير المسلمين بالقوة وإحلال النصارى بدل المسلمين ، وتقيم الحكم النصراني في محافظات المسلمين ، فخرجت إلى حيز الوجود (**جبهة تحرير بنجاسا مورو الوطنية**) برئاسة نور ميسواري الأستاذ الجامعي للعمل على إقامة دولة إسلامية مستقلة عن باقي الجزر الفلبينية الكاثوليكية (وكانت نواتها الأولى قد تكونت عام ١٩٦٢م ، باسم (جبهة تحرير مورو) ، وضمت مجموعة من الطلاب وفي مقدمتهم سلامات هاشم ، الذين كانوا يدرسون في الجامعات والمعاهد الإسلامية في الشرق الأوسط)(٣٧)، فأعلن ماركوس الأحكام العرفية في الجنوب ، وتدفقت الجيوش إلى أقاليم المسلمين ، فبلغ تعداد جيش الحكومة في الجنوب ربع مليون جندي ، وارتكب النصارى أفظع الجرائم من قتل جماعي وإحراق الأحياء ، وانتهاك الأعراض والحرمات. وصمد المسلمون بقوة في وجه الفظائع وتحصنوا في الغابات والجبال ، ونال بعضهم قسطا من التدريب في معسكرات خارج البلاد ، ويقدر عدد جيشهم بثلاثين ألفا. وقد أرسل ميسواري رسائل إلى الأمم المتحدة وإلى رئيس الفلبين ، وعرضت القضية الفلبينية على مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأول عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م في جدة ، وكشف الملك فيصل النقاب عن أحداث الفلبين ، ونبه العالم إلى خطورة الوضع ومايتعرض له المسلمون في جنوب الفلبين ، من إرهاب وقمع واضطهاد ، فانتدب المؤتمر لجنة وزارية رباعية من وزراء خارجية كل من المملكة العربية السعودية وليبيا والصومال والسنغال لتقصي الحقائق ، وبعد مساعي عدة جلست جبهة مورو على مائدة المفاوضات مع (كارميلو بربيرو) وزير الدفاع في الحكومة الفلبينية ، حيث مثل ماركوس في طرابلس الغرب سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ،وأعلن وقف إطلاق النار وإعطاء المسلمين الحكم الذاتي في ١٣ ولاية ، حيث يكون لهم حكومة ، ومجلس نيابي ، ومدارس ، ومحاكم شرعية ، ويجري استفتاء عام ومايلي ذلك من بنود الاتفاق. وجرى التصديق على هذه الإتفاقية من قبل اللجنة الرباعية التي شكلها المؤتمر الإسلامي(٣٨). وكان عبد الباقي أبوبكر الأمين العام للعلاقات الخارجية لجبهة مورو الإسلامية ممثلا للجبهة

---

(٣٦) البلدان الإسلامية والأقليات ص ٦٠٨.

(٣٧) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ربيع الثاني ١٤٠٧هـ/ ديسمبر ١٩٨٦م.

(٣٨) نشرة معهد الأقليات المسلمة. ربيع الأول سنة ١٣٩٨هـ.

في جميع المفاوضات والمؤتمرات الإسلامية منذ إنضمام الجبهة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كعضو مراقب دائم سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م(٣٩).

ولم يكن الإتفاق في واقعه سوى مناورة استهدفت كسب الوقت من أجل القضاء على حركة الجهاد الإسلامية في جنوب الفلبين ، فقد أراد ماركوس أن يتم وقف إطلاق النار ، ثم ينظم استفتاء لإقرار وضع معين في جنوب الفلبين.

ولكن جبهة مورو قاطعت هذه الانتخابات التي قرر لها عام ١٩٧٧م على اعتبار أنها لاتعطي للمسلمين نفوذا حقيقيا ، ثم عاد الصراع العسكري من جديد ، وانشقت جبهة تحرير مورو إلى قسمين عام ١٩٧٧م ، إثر تلك الأحداث :

أ- جبهة تحرير مورو الإسلامية بزعامة سلامات هاشم ، وتصر على الإتجاه الإسلامي لحركة الجهاد.

ب- جبهة تحرير مورو الوطنية بزعامة نورميسواري وتضم إلى جانب بعض الإسلاميين العلمانيين والوطنيين(٤٠) ، وتبادل القسمان الاتهامات ، ومن ثم لجأ ماركوس إلى المناورات فقد أعطى المسلمين استقلالا داخليا بسيطا لا يذكر ، مع تمسك السلطات العسكرية بزمام الأمور سنة ١٩٧٩م ، وزار الحبيب الشطي أمين المؤتمر الإسلامي مدينة مانيلا سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م في محاولة لاقناع الحكومة بتنفيذ اتفاقية طرابلس(٤١) ، وأعلن رفع الأحكام العرفية عن البلاد عام ١٩٨١م ولكن الحقيقة والواقع هو رفع الأحكام العرفية عن المناطق غير الإسلامية ، أما المناطق الإسلامية فقد ظلت تحت الأحكام العرفية. وبلغ عدد المعارك التي خاضتها جبهة تحرير مورو عام ١٤٠٠هـ (٧٩) معركة.

ومن أكبر المناورات التي لجأ إليها ماركوس عام ١٩٨١م بهدف إبعاد القضية عن الصعيدين الإسلامي والدولي واعتبارها نزاعا داخليا محليا وليس إسلاميا حتى تفقد حساسيتها وخطورتها ، هي لجوؤه إلى إنشاء لجنة وساطة للإتصال بالمجاهدين وقادتهم تحت ستار إيجاد حل سلمي للنزاع القائم ، وذلك ليتحقق له إيجاد صلح منفرد دون إشراك منظمة المؤتمر الإسلامي ... وكذلك تضليل الرأي العام العالمي ، وإيهامه بأن المسلمين لايريدون بديلا عن الحكومة الحالية ، فاستخدم في تنفيذ هذا المخطط الأسلوب الإستعماري : (فرق تسد) ، مستغلا أوضاع

---

(٣٩) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٦٠٠، ١ربيع الأول ١٤٠٣هـ. ص ٢٨.

(٤٠) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ربيع الثاني ١٤٠٧هـ/ديسمبر١٩٨٦م.

(٤١) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة. ربيع الآخر سنة ١٤٠٠هـ.

المسلمين السيئة في الفلبين ، لعزل المجاهدين وإظهارهم بمظهر المتآمرين على الوطن. فرفض المجاهدون المفاوضات التي اخترعها ماركوس وألفتها بطانته ومثلتها الفئات المنافقة من المسلمين ، واشترطوا أن تكون المفاوضات مباشرة بين المجاهدين والحكومة الفلبينية دون تدخل لجنة الوساطة التي ألفها ماركوس ، وأن يكون ذلك تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي ، وعلى أساس اتفاقية طرابلس ، وان تعقد المفاوضات في إحدى العواصم الإسلامية ، وذلك حفاظا على معالم القضية الإسلامية. وأمام اتضاح سوء نية ماركوس تجاه القضية ومناوراته المفضوحة أعلن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي (الحبيب الشطي) إيقاف مثل هذه المفاوضات مع الرئيس الفلبيني.

وكثيرا ماخدع الرئيس الفلبيني الرأي العام الإسلامي والعالمي ، بإقامة بعض المساجد أو المدارس والمؤسسات الإسلامية التي توجهها الحكومة وتشرف عليها ، ليغطي ماتقوم به الحكومة من حرب إبادة المسلمين وتصفيتهم ، حيث يفتخر بأن الفلبين هي الدولة الوحيدة ذات الأغلبية النصرانية في آسيا ، وقد زاره بابا الفاتيكان عام ١٩٨١م كدليل على اهتمام الصليبيين بهذه الدولة ، التي يريدها البابا منطلقا للكاثوليكية وللتبشير في آسيا. فحكومته تتعاون مع القساوسة بتدريس المسلمين في مدارس (نوثر يديم) ، وهي مدارس تنصيرية لتنصير أبناء المسلمين ، مع حرمانهم من إنشاء مدارس خاصة بهم. كما يقوم الجنود الفلبينيون بالزواج من المسلمات بالقوة ، لتكوين جيل نصراني أو نصف نصراني على الأقل.(٤٢)

وعملت حكومة ماركوس على تفريق كلمة زعماء جبهة تحرير موزو فظهر انشقاق بين رجالها، حيث أعلن مسئول العلاقات الخارجية للجبهة سلامات هاشم استقلاله من الجبهة مع بعض مؤيديه ، فسارعت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في محاولة مخلصة لتصفية الخلافات وتقريب وجهات النظر. هذا فضلا عن ظهور طائفة شيوعية يسارية ، تظهر بمظهر الحريص على الحرية وعلى الإسلام ، وهي في الواقع تتجه بكل كيانها إلى موسكو ، وتعمل من أجل احتواء حركة الجهاد ، والإتجاه بها وجهة شيوعية إلحادية من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين. وباسم الخطر الشيوعي حصلت حكومة ماركوس على مساعدات أمريكية هائلة لاستخدامها ضد المسلمين ، وأخذت الصحف الفلبينية تنشر أخبار

---

(٤٢) مجلة المجتمع العدد ٦٠٠ص ٣١.

الاشتباكات مع المجاهدين على أنها معارك بين الحكومة والشيوعيين(٤٣).

وقد تعاونت العناصر الصليبية المتعصبة مع الخبراء اليهود والقوى الإستعمارية الصليبية ضد مسلمي الفلبين فقام زعماء الصهاينة بزيارات الفلبين ، فقد قامت غولدا مائير أيام كانت وزيرة خارجية إسرائيل بزيارة الفلبين وتعهدت في تلك الزيارة بأن تقدم إسرائيل للفلبين معونات مادية ومعنوية وخبراء في مجال الشرطة والجيش. وكانت شروط هذه المعونات تنص على إجبار المسلمين على ترك دينهم واستخدام كافة الأساليب من أجل تحقيق هذا الأمل الغالي لدى أعداء الإسلام. وبذلك فإن عمليات الإبادة وحملات التنكيل الجماعي تتطور ووصلت مرحلة أكثر تعقيدا وأكثر سفورا.

وفي مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية الخامس عشر الذي عقد في صنعاء لعام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م شارك وفد من الجبهة الوطنية لتحرير مورو برئاسة نور ميسواري بصفة مراقب ،ووجهت الجبهة نداء إلى المؤتمر ، تناشدهم فيه العمل على إنهاء الإستعمار الفلبيني لوطنهم ، كما طالبت بعرض مشكلة مورو على حركة عدم الإنحياز وعلى الأمم المتحدة إضافة إلى مطالبتها بمساعدات مالية وفنية وإنسانية.

كما قال ميسواري أن عدد أفراد شعب بانجاسامورو الذين يعيشون حاليا في أرخبيل الفلبين يتراوح بين **١٣و١٤** مليون نسمة وهو يتجاوز تقديرات حكومة مانيلا بكثير(٤٤).

ومما يؤسف له أن أجهزة الاعلام من إذاعات وصحف في بعض البلدان الإسلامية تتجاهل المجازر التي تقوم بها الحكومة الفلبينية بل أنها كانت تشيد بهذه الحكومة وتتحدث عن إصلاحات ماركوس وانجازاته. رغم ماتقوم به الدوريات السعودية من مجلات شهرية وأسبوعية وجرائد يومية بمعالجة هذه القضية وأبعادها كقضية إسلامية. وماتقوم به رابطة العالم الإسلامي من دور كبير في تنبيهها لهذه القضية ودعمها.

وقد قدمت الفلبين بين عامي (١٣٩٢-١٤٠٤هـ/١٩٧٢-١٩٨٤م) :

- **٣٠** ألف شهيد معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن.
- إسترقاق ستة آلاف مسلمة على أيدي الجنود الفلبينيين.

---

(٤٣) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٧٠٨ السنة ١٥ الثلاثاء ٢٠جمادي الآخرة ١٤٠٥هـ/١٢ مارس ١٩٨٥م. ص ٣٨-٣٩.

(٤٤) جريدة الشرق الأوسط الأحد ١ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/٢٣/١٢/١٩٨٤م العدد٢٢١٧.

- تشريد أكثر من مليوني مسلم.
- فرار حوالي ٣٠٠ ألف نسمة واضطرارهم إلى الهجرة إلى البلاد المجاورة - ولاية صباح التابعة لماليزيا -.
- إحراق ٣٠٠ ألف منزل من بيوت المسلمين.
- تدمير مئة قرية ومدينة إسلامية.
- إغتصاب معظم أراضي المسلمين الخصبة.
- تدمير أكثر من ٥٠٠ مسجد للمسلمين.

وقد أدت تلك العمليات الإرهابية والمحاولات المستمرة للقضاء على المسلمين بشن الحملات العسكرية إلى انتشار الفقر والجهل والأمراض بين المسلمين ، مما جعلهم فريسة لحملات التبشير والشيوعية - وللمؤثرات الثقافية والاجتماعية والإقتصادية(٤٥).

ورغم ذلك بقيت شعلة الإيمان متوهجة فالمجاهدون يسيطرون على جميع المناطق الإسلامية ماعدا بعض المدن. وسارعت بعض الدول العربية بتقديم المساعدات التعليمية للمسلمين في الفلبين فهناك حوالي ٣٠ مدرسا من الأزهر ، وعدد كبير من المدرسين من المملكة العربية السعودية وتساهم رابطة العالم الإسلامي في ذلك.

وبقيت في المناطق الإسلامية مئات المدارس الإبتدائية والمتوسطة وعشر مدارس ثانوية وست كليات إسلامية ضمن جامعة إسلامية ، وتحاول الحكومة جاهدة أن تضم هذه المؤسسات التعليمية إليها ، وهي تدار بجهود ذاتية. ومن المؤسسات التعليمية : معهد مندناو العربي الإسلامي وتتبعه ٣١٦ مدرسة ، ومعهد ماداواي الإسلامي وتتبعه ٥٢ مدرسة ، وكلية فكاسم في مدينة مداراوي ويتبعها العديد من المعاهد وتقدم تعليما باللغة العربية ، ويضاف إليها جامعة الفلبين الإسلامية وكانت تسمى معهد كامل الإسلام ، ولها فروع في عدة مدن.

وبالفلبين مركز الملك فيصل للدراسات العربية والإسلامية ، ويوجد ضمن جامعة مندناو ، وهناك المدرسة التجريبية لتعليم اللغة العربية التي تتبع مركز الملك

---

(٤٥) البلاغ - الأحد ٢٣ربيع الأول ١٤٠٥هـ/١٦ ديسمبر ١٩٨٤م العدد ٧٧١ص ٢٦. وقد ذكر عبد الباقي أبو بكر أن الشهداء بلغوا ١٣٥ألف مسلم من المدنيين وأن ماركوس اعترف بأنه قتل سنة ١٩٨٠م ٦٠ألفا من المسلمين بينما قال رئيس القوات العسكرية بأن عدد القتلى من المسلمين بلغ ٧٥ ألفا. (المجتمع العدد ٦٠٠ ص ٣١).

فيصل(٤٦).

وعندما زار الدكتور عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي جنوب الفلبين وزار معهد أمين الشريف استقبله عدد من المسئولين بينهم السلطان اسماعيل لاود مؤسس المعهد الذي يضم ٧٠ طالبا وطالبة من المسلمين واستقبله المسلمون استقبالا حافلا ، وزار معهد مندناو العربي وحضر مجلس القرآن الكريم والحديث النبوي بقاعة المحاضرات بالجامعة ، وأعاد افتتاح مسجد باب الرحمن الذي بني في الفلبين قبل اربعمائة سنة ، ووجد في مدينة دراكا أربعة عشر مدرسة إسلامية و**٢٥** مسجدا وعددها **٣٠** ألف نسمة كلهم مسلمون(٤٧).

ويقدر عدد المساجد بالفلبين بحوالي **٢٥٠٠** مسجد(٤٨). وهذا دليل على استمرار شعلة الإيمان متوهجة في تلك البلدان المجاهدة. وتعلن دائما أنها جزء من الأمة الإسلامية. وانها على استعداد للتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والأزهر ومنظمة المؤتمر الإسلامي(٤٩).

هذا وقد سقط ماركوس وغادر البلاد إلى أمريكا بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٥م، ووصلت (كورازون أكينو) المعارضة لسياسة ماركوس إلى الحكم ، ولم يتغير وضع المسلمين رغم الوعود التي أطلقتها لهم ، بل استمرت في أسلوب ماركوس المراوغ ، وسياسة فرق تسد بإيجاد الصدع بين جبهة تحرير مورو الإسلامية بزعامة سلامات هاشم ، وجبهة تحرير مورو الوطنية بزعامة نورميسواري. ولاتزال منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي تبذلان جهدهما للإبقاء على وحدة الصف والتنسيق بينهما حيث بدأت بوادر الشرخ بين الجبهتين تظهر بحدة(٥٠).

وتمت مباحثات بإشراف أمين عام رابطة العالم الإسلامي بين وفد جبهة تحرير مورو الإسلامية ووفد حكومة الفلبين في **١٩٨٦/٩/٢٠م** في مقر الرابطة بجدة.

---

(٤٦) انظر ـ نشرة معهد الاقليات المسلمة. ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ. ومحمد عبد القادر أحمد ـ المسلمون في الفلبين ـ ص ١٦٧.

(٤٧) أخبار العالم الإسلامي الاثنين ٢٥رجب ١٤٠٥هـ/١٥/٤/١٩٨٥م العدد٩٢١.

(٤٨) محمد عبد القادر عودة ـ المسلمون في الفلبين ـ ص ١٩٧.

(٤٩) المسلمون ـ العدد ٤٦ ص ٩/٤ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/٢١ ديسمبر ١٩٨٥م.

(٥٠) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ٢٥ذي الحجة ١٤٠٦هـ/٣٠/٨/١٩٨٦م.

واتفق على بدء الحوار مع اكينو في الفلبين(٥١). تحت إشراف الرابطة. وفشلت المباحثات حيث وصفها الدكتور عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بأنها كانت مناورة. إذ يوجه حكومة اكينو مجلس الكنائس الفلبيني ، حيث عينت كبار القساوسة مستشارين لها ، وهم من ألد أعداء الإسلام والمسلمين(٥٢). وتخفي تلك الحكومة المواجهات المسلحة مع المسلمين ، بينما تبرز الحركة الشيوعية وتنشر لها نشرات أكبر من حجمها ، وتنسب إليها في بعض الأحيان العمليات الفدائية الجهادية ، وذلك للفت نظر الدول الغربية والإسلامية ، لتتلقى المساعدات لمجابهة الخطر الشيوعي. ولدفن القضية الإسلامية(٥٣) ، كما تلقى عدد من العلماء والأساتذة والدعاة في مورو الإسلامية رسائل بتوقيعات مستعارة بالتهديد بالقتل أو الإغتيال أو الخطف. ونفذت بعض التهديدات بالفعل ، وثبت أن ذلك من عملاء شبكة المخابرات الفلبينية(٥٤). وقد بينت (المسلمون) صورا حية للمذابح التي تديرها الجماعات المسلحة المعادية للإسلام في الفلبين ، إذ أنهم يقتحمون البيوت المسلمة ، ويطلقون رشاشاتهم على النساء والأطفال والشيوخ ، ويفقأون عيون الرجال ، ويبقرون بطون الأطفال ، ويذبحونهم بالخناجر ، ويفصلون الرؤوس عن الأجساد(٥٥).

ولايزال الجهاد الإسلامي يواجه الدوائر الثلاث : الجيش الصليبي الفلبيني الحكومي ، والعناصر المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين من المستوطنين في بلاد المسلمين الذين يعاونهم الجيش الفلبيني ويسلحهم ويدعمهم ، والشيوعيين الذين يتظاهرون بالعطف مع المسلمين لينقضوا عليهم كلما وجدوا الفرصة لذلك(٥٦) كل ذلك مع مراوغة الحكومة وأساليبها التي لم تتغير. والله غالب على أمره.

---

(٥١) Saudi Gazette September22.1986.

(٥٢) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ٢٥ شعبان ١٤٠٧هـ.

(٥٣) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ٢٢شعبان ١٤٠٨هـ/ تقرير سلامات هاشم.

(٥٤) نشرة جبهة تحرير مورو الإسلامية ١٢ شعبان ١٤٠٧هـ.

(٥٥) المسلمون العدد (١٧٥) الجمعة ٢٦شوال ١٤٠٨هـ/ ١٠يونيو ١٩٨٨م.

(٥٦) نشرة مورو الإسلامية ص ٧ / ٢٥شعبان ١٤٠٧هـ.

الفصل الثالث

المسلمون في شبه القارة الهندية
(وماساة كشمير)

الهند شبه قارة مترامية الأطراف تقترب مساحتها من خمسة ملايين كم٢ موزعة كالتالي(١) :

١- جمهورية الهند ومساحتها ٣٢٨٠٠٠٠ كم٢.
٢- جمهورية باكستان ومساحتها ٨٠٣٠٠٠ كم٢.
٣- جمهورية بنغلاديش ومساحتها ١٤٢٧٧٦ كم٢.
٤- كشمير وجامو ومساحتها ٢١٧٩٣٥ كم٢.
٥- مملكة بهوتان ومساحتها ٤٧٠٠٠ كم٢.
٦- مملكة نيبال ومساحتها ١٤٠٧٩٧ كم٢(٢).
٧- جزيرة سيلان ومساحتها ٦٥٦١٠ كم٢(٣).

---

(١) سعيد الصباغ - الأطلس العربي العام.

(٢) مملكة نيبال قلما يسمع بها بسبب موقعها المنعزل ووعورة تضاريس أرضها ، فهي توجد بين ثنايا جبال الهمالايا الوعرة ، تجاورها التبت من الشمال ، وتحدها الهند من الشرق والجنوب والغرب ، وفيها أعلى قمة جبلية في العالم هي قمة افرست (٨٨٤٨م) ، وعاصمتها مدينة كتمندور ، وتتميز بالبرودة الشديدة. سكانها أكثر من ١٥ مليون نسمة ، ٤٪ مسلمون ، ويحتمل أن عدد المسلمين وصل إلى ٧٠٠ ألف.

وصلها الإسلام عن طريق كشمير من الغرب وعن طريق الهند والبنغال من الجنوب بالدعوة والتجارة ، وكان أول غزو إسلامي لها في القرن الرابع عشر الميلادي ، فقد هاجم السلطان شمس الدين حاكم البنغال وادي كتمندور في وسط نيبال ، فزاد ذلك من صلة المسلمين بهذه البلاد وخاصة في عهد الملك المغولي أكبر حيث أرسلت في عهده البعثات الإسلامية، واسهم التجار في نشر الدعوة واستوطنوا مناطق عديدة من البلاد ، وأغلب المسلمين من غرب البلاد قرب الهند وبنغلاديش ، وهناك جالية عربية قديمة. وفي عام ١٤٠٢هـ زار وفد من مسلمي نيبال المملكة العربية السعودية. ورد الزيارة وفد من الجامعة الإسلامية.

وانظر جريدة الجزيرة Journal Institute of Muslim,M.affairs Vol 3,1981. ١٤٠٢/٦/٢٧هـ.

(٣) جزيرة يفصلها عن الهند مضيق بالك وعرضه نحو ٤٠ كم ، وعاصمتها كولالامبوروعدد سكانها حوالي ١٥ مليون نسمة منهم ١٠٪ مسلمون. وكان العرب قد عرفوها باسم جزيرة سرنديب ، =

وتعيش في الهند أجناس متعددة من البشر ، وفيها مختلف ماعرفه الإنسان من فنون وآداب ، وما اعتنقه من مختلف العقائد منذ أن انحرف عن التوحيد حتى هداه الله إليه ، وفيها الأجواء المتباينة من الصقيع القطبي وثلوجه بالهيمالايا إلى قيظ المناطق الإستوائية ، ولكن يهيمن عليها المناخ الموسمي إذ يسقط ٨٠٪ من أمطارها على الأقل في فصل الصيف ، كما أنها تحتوي على صنوف الطير والحيوان والنبات والمعدن مايصلح لأن يكون إجمالا لما بالعالم كله منها(٤).

وأشهر ماتزرعه الهند الأرز والذرة البيضاء والقمح والقطن والجوت وقصب السكر وفستق العبيد والكتان والشاي(٥). وتغطي الغابات حوالي ١٢٪ من مساحة البلاد منها ـ الهيفيا ـ المطاط ـ وجوز الهند (النارجيل)(٦) ، كما تمتلك أكبر قطيع من الأبقار في العالم ، ولكنها أقل قطعان العالم إنتاجا بسبب معتقدات الهنادكة ، فهي تعاني الضعف والهزال وسوء الاستغلال(٧).

= ثم عرفت باسم سيلان، ومنذ عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م عرفت باسم سريلانكا نسبة للحزب الحاكم وتعني البلد الجميل. وكانت مركزاً تجارياً هاماً قصده الباحثون عن الثراء من التجار والمغامرين والرحالة لوجود الحجارة الكريمة كالياقوت والعقيق والزمرد واللؤلؤ، بالإضافة لوجود التوابل.

دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري مع التجار والدعاة وأخذ ينتشر فيها سلما. إلى أن تعرضت للغزو البرتغالي الصليبي سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م الذي أباد قرى إسلامية بأكملها، وخلف الهولنديون البرتغاليين سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٥م فقاموا أيضاً بمطاردة المسلمين الأمر الذي دفعهم للجوء إلى المناطق الداخلية في الجزيرة، ولما احتل الإنجليز الجزيرة سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م شجعوا البوذيين وبعثات التبشير فزادت التحديات على المسلمين فانعزلوا وانقرض كثير منهم وقل عددهم وأصابهم الفقر والجهل. واستمر الإنجليز حتى سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م حن استقلت الجزيرة، فانتعش المسلمون وعادت صلاتهم بالمسلمين ولكنهم تعرضوا حالياً لضغط التاميل والتيشير.

والتاميل هم الأقلية التي تلي في عددها المجموعة السنهالية الأغلبية الرئيسية في البلاد، وبدأت حركتهم للاستقلال بشمال الجزيرة سنة ١٩٨٣م، وتبلغ نسبتهم حوالي ١٩٪ من أهل البلاد، ووقع المسلمون بين شقي الرحى.

البلدان الإسلامية ص ٥٠٢، مجلة العربي العدد ٣٢١، المسلمون العدد ٣٥ ص ٢.

وتمكن التاميل المتمردون من مقاطعات الشمال الشرقي منذ عام ١٩٨٥ وحتى عام ١٩٩٢م وقاموا أثناء ذلك بمحاولات القضاء على القيادات والشخصيات الإسلامية، وإعدام الشباب المسلم فوق ١٥ سنة. وتدمير اقتصاد المسلمين والقضاء على هويتهم. فتعرض المسلمون لمذابح متعددة، وتمثلت مقاومة المسلمين في المؤتمر الإسلامي السيريلانكي بزعامة مهر أشرف عضو البرلمان الذي اهتم بالتربية والثقافة.

(٤) الساداتي ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم ص ٣.

(٥) د.عبد المنعم الشرقاوي ـ ملاح الهند وباكستان ص ٢٠ ، حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية.

(٦) وصفه ابن بطوطة بأنه (أغرب الأشجار ...) تحفة النظار في غرائب الأمصار ج٢ص ٦٥٥.

(٧) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية.

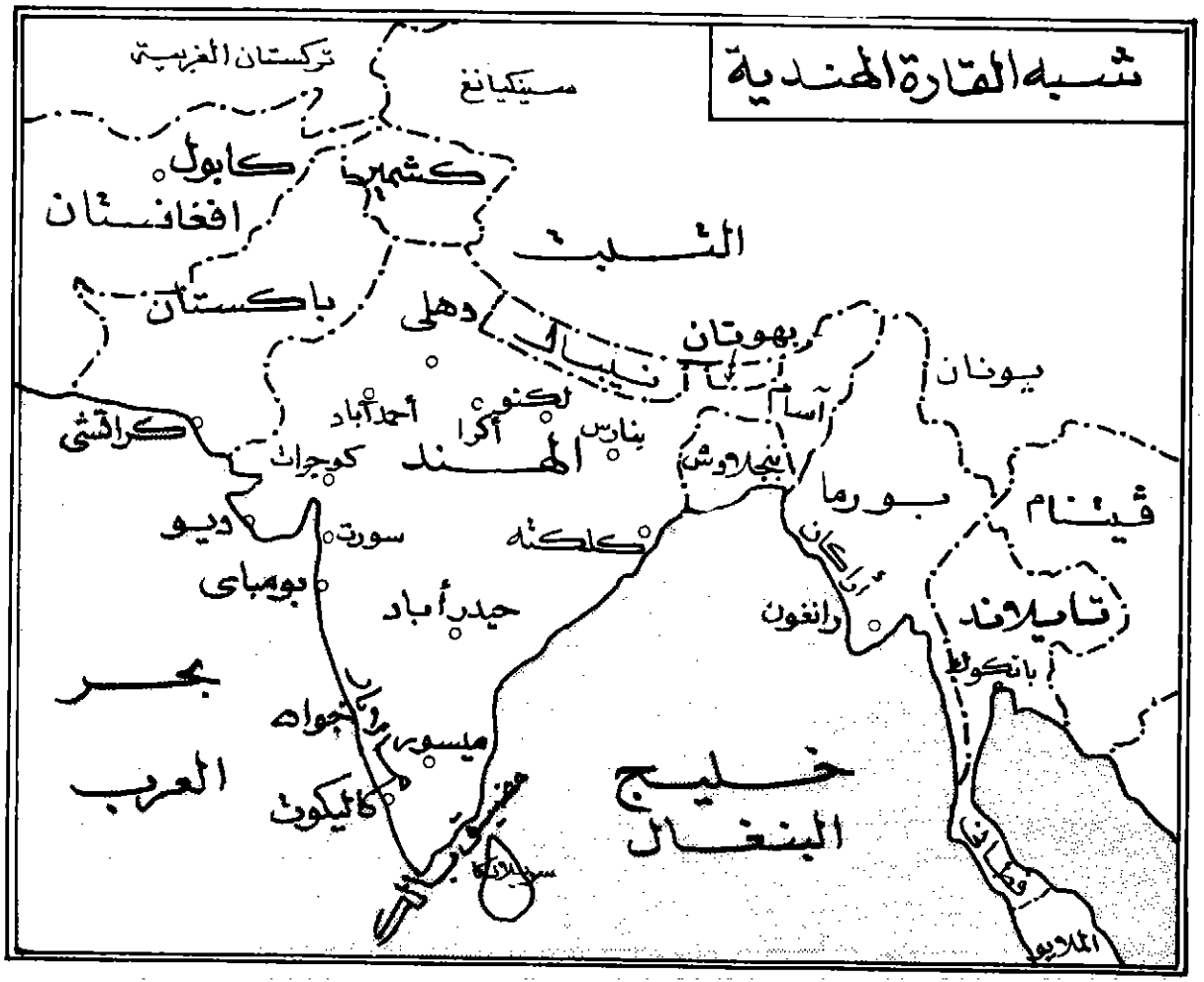
شبه القارة الهندية
تركستان الغربية
سينكيانغ
كابول
افغانستان
كشمير
التبت
باكستان
دهلي
بهوتان
بنغلادش
يونان
آسام
لكنو
أكرا
أحمد آباد
كراتشي
كوجرات
الهند
بنارس
أنجلاوش
بورما
ڤيتنام
ديو
سورت
كلكته
بومباي
حيدر أباد
رانغون
تايلاند
بانكوك
بحر العرب
ميسور
كاليكوت
خليج البنغال
ملايو

وأقدم من سكن الهند قوم سود لهم سمات الأجناس الحامية ، قطنوا الغابات ، ثم غزاها الدراوديون والثمول من الطورانيين أو من العراق ، وهم أقدم من سكن الهند في التاريخ ومنهم أغلب سكان شبه القارة اليوم ، ثم توالت موجات الآريين البيض ، فأخضعوا الدراوديين والثمول في الألف الثانية ق.م(٨).

وقد خشي البراهمة من الآريين اختلاط قومهم بعناصر الهند الأخرى ، فوضعوا نظاما طبقيا صارما ، وتطورت فكرة الهندوكية مع الوقت لتصبح فكرة فلسفية من أهم مظاهرها وجود روح عالمية واحدة تشمل الكون والمخلوقات ، والاعتقاد في تناسخ الأرواح ونظام الطبقات ، وطبقا للفكرة الهندوكية فإن المجتمع ينقسم إلى الطبقات التالية(٩) :

١ـ طبقة رجال الدين : البراهمة أو البرهمن أو الكهان ـ وهم أعلى الناس درجة ويقال لهم الكهنة أيضا.

٢ـ طبقة الحكام والمحاربين : الكشتريين ـ الذين يشرفون على الأمور الإدراية والعسكرية من النبلاء وعليهم أن يتعلموا ويقدموا القرابين ويحملوا السلاح.

٣ـ طبقة التجار : (الويش أو الفيشية) وتشمل التجار وعليهم أن يتجروا ويجمعوا المال وينفقوا منه.

٤ـ طبقة الزراع والصناع والعمال ـ الشودرا ـ وعليهم خدمة الطوائف السابقة.

وأخيرا فهناك طبقة الباريا وهم المنبوذون وقوامهم بعض القبائل الوطنية وأسرى الحرب ، أو أصحاب المهن الحقيرة فتضم الكناسين والجزارين والجلادين والحدادين ومن إليهم.

وقد جاء في الفقرة (٣١) من الباب الأول من منوسمرتي (أهم كتب الهنادكة المقدسة) قوله : « ولسعادة العالم خلق براهما البراهمة من وجهه ، والكشتريين من ذراعه ، والويش من فخذيه ، والشودرا من قدميه »(١٠). فرسمت الهندوكية لكل طائفة من الطوائف حدودا لاتتعداها ، وأطلقت في الوقت نفسه أيدي البراهمة من كل قيد ، وجعلت لهم زعامة الناس جميعا ، وهذا يذكرنا بفكرة اليهود في قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه ».

---

(٨) الساداتي ص ٧ ، البلدان الإسلامية ، عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند.

(٩) انظر إحسان حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص ٣١-٣٥ ، عبد المنعم النمر ص ٢٨ ، أحمد شلبي ـ مقارنة الأديان ج٤ص٥٧ الساداتي ص٨.

(١٠) د.عادل حسن غنيم وزميله ـ تاريخ الهند الحديث ص١١٦.

وقد ناوأ البوذيون البراهمة ، فعمل البراهمة على تقويض صرح البوذية وأفلحوا في دحرها فانتقلت إلى بورما والصين والتبت واليابان(١١).

كما ظهرت الديانة الجينية كثورة على النظام الطبقي داعية إلى قهر النفس ، فالحياة لعنة على زعمهم وعلى المرء أن يتخلص منها بنعمة الانتحار البطيء جوعا(١٢). وأخيرا جاء الإسلام لينقذ ملايين الهنود من الظلمات إلى النور ، ويخفف من غلواء الهندوكية !

وفي الهند حوالي **٢٥٥** لغة مشتقة من أربع مجموعات كبرى ، ويتفرع عنها أكثر من ثلاثمائة لهجة ، وأشهرها السنسكريتية والأوردية التي تكتب بالحروف العربية وألفاظها مزيج من العربية والسنسكريتية والفارسية والتركية ، واللغة التاميليه ، والبنغالية(١٣).

طرق وصول الإسلام إلى الهند

وصل الإسلام إلى شبه القارة الهندية بالطرق التالية :

أولا : طريق الفتح والجهاد :

ففي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصل المسلمون إلى ساحل الهند الغربي تانه (بومبي) وبهروج عام **١٥هـ**(١٤). وبدأ فتح السند في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه(١٥) ، وتم في عهد الوليد بن عبد الملك (**٨٦-٩٦هـ**) بأن عهد الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق إلى الشاب محمد بن القاسم الثقفي فتح السند ، فقام بفتحها سنة **٩٣هـ**. وعمر المساجد في مدنها للعمل على نشر الإسلام ، فبنى في الديبل (كراتشي) مسجدا جامعا كان أول مسجد بني في هذه المنطقة ، ومصرها وأنزلها أربعة آلاف من الجند المسلمين ، وأقام في الملتان مسجدا جامعا ومصرها أيضا وأسلم خلق كثير ، وقد أحب أهل السند محمد بن القاسم لرفعه راية العدل الإسلامي(١٦) ، ففتح قلوبهم للإسلام وهيأهم له. ففي خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) كتب إلى ملوك السند دعاهم إلى الإسلام وقد

---

(١١) إحسان حقي - مأساة كشمير ص٣٥ ، حقي - باكستان بين ماضيها وحاضرها ص١١٦.

(١٢) تاريخ الإسلام في الهند ص٤٩وص٥٠.

(١٣) حسن أبو العينين - آسيا الموسمية ص١٧٤.

(١٤) البلاذري - فتوح البلدان ص٦٠٧ ، مسعود الندوي - الدعوة الإسلامية في الهند ص٣.

(١٥) عندما توجه حكم عمرو بن التغلبي إلى مكران ، البلاذري - فتوح البلدان ص٦٠٧.

(١٦) انظر البلاذري - فتوح البلدان ص٤٢٤ ، اليعقوبي ج٢ص٢٧٧ ، الطرزي ج١ص٢٢١.

بلغتهم سيرته وعدله فدخلوا دين الله أفواجا(١٧) وأصبحت السند معقل الإسلام في شبه القارة الهندية وقاعدته ونقطة انطلاقه.

وقد مصر عمرو بن مسلم الباهلي مدينة المحفوظة ومدينة المنصورة في السند (بين سنتي ١١٢-١٢١هـ)(١٨) في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ). وبقيت المنصورة (وقد سماها أهل الهند بهنكر) أعظم مدينة عربية إسلامية في السند لمدة ثلاثة قرون ، واشتهرت بعلم الحديث(١٩). وامتد منها الإسلام في جميع أجزاء شبه القارة الهندية كما سيأتي.

ثانيا : عن طريق التجارة :

كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب الهند وسيلان منذ آلاف السنين قبل الإسلام ، وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل تمارس التجارة بين شبه جزيرة العرب وشبه جزيرة الهند وغيرها ، فلما سمع هؤلاء بإسلام شبه الجزيرة العربية أسلم بعضهم زمن النبي ﷺ ، وأخذت هذه الجاليات تلعب دورا كمراكز تبليغ الدعوة الإسلامية بطريقة غير مباشرة ، فوصل الإسلام بذلك سواحل مالابار وسواحل إقليم السند مبكرا(٢٠).

وكان لهؤلاء التجار نفوذ كبير في سواحل الهند فكان الحكام يعاملونهم معاملة طيبة وباحترام بالغ ، ورفدت هذه الجاليات جاليات مسلمة أخرى جديدة قدمت إلى المدن الساحلية إبتداء من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع الهجري ، حيث نشطت التجارة بسيطرة المسلمين على البحار ، فزاد نفوذ العرب المسلمين في تلك السواحل الهندية ، فزاد بذلك انتشار الإسلام بها ، وقد ارتفعت نسبة العرب في بعض مناطق الهند الساحلية إلى ٢٠٪ ، وكانت هذه الزيادة تعود أيضا إلى زواج العرب المسلمين من نساء تلك البلاد ، وكثرة الإنجاب ، وكان أولادهم منهن ، يعاملون كمعاملة العرب المسلمين ، فيزداد عدد المسلمين ، ويزداد بذلك انتشار الإسلام بين أهل البلاد(٢١) ، ولايزال كثير من أهل مالابار إلى اليوم يعتزون بانتسابهم إلى العرب المسلمين !.

(١٧) فتوح البلدان ص٤٢٥-٤٢٧.

(١٨) فتوح البلدان - ج٣ص٥٤٣، الشيال : تاريخ أباطرة المغول ص١٣.

(١٩) كما بين المقدسي في كتابه :أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

(٢٠) «أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة» انظر الحاكم - المستدرك ج٤ص١٣٥. وانظر عبد المنعم النمر ص٦١ ، الطرزي ج١ص٣٣٩.

(٢١) الطرزي ج١ص٣٤١.

ثالثا : عن طريق الدعاة والأمراء المحليين :

إزداد علماء الإسلام ولاسيما في القرن الخامس الهجري في الهند زيادة كبيرة ، فأخذ هؤلاء على عاتقهم عبء الدعوة إلى الإسلام في جميع أرجاء الهند ، فأدخلوا الكثير من أبناء البلاد في دائرة الإسلام. وقد سار الدعاة جنبا إلى جنب مع المجاهدين ومع التجار ، ولم يتركوا بقعة من الهند إلا ودخلوها ، وكثيرا ماأقنعوا الأمراء المحليين بالإسلام ، فكان ذلك يعني دخول عدد كبير من الناس الإسلام ، وكان الدعاة قد بدأوا بالساحل ثم انتقلوا إلى الداخل في هضبة الدكن ، واستقرت جماعات عديدة من العرب في الدكن(٢٢).

الدول المسلمة في الهند :

في بداية القرن الرابع الهجري بدأت روح التشيع تسري في السند من الهند ، فقدم إليها القرامطة من البحرين وفارس وكونوا دولة إسماعيلية في الملتان حوالي سنة ٣٧٥هـ ، إلى أن قضى عليها الغزنويون سنة ٤٠٢هـ(٢٣) ، وبدأ ظهور الدول الإسلامية في الهند. التي أسهمت كثيرا في نشر الإسلام في شبه القارة جميعها. وعلى ذلك **فإن الهند لم تعرف الوحدة إلا في ظل المسلمين.** ومن هذه الدول :

أولا : الدولة الغزنوية :

ومن أشهر سلاطينها السلطان محمود بن سبكتكين (٣٨٧-٤٢١هـ) ٩٩٦-١٠٣٠م الذي نذر نفسه للجهاد فقاد سبع عشرة حملة إلى الهند فقضى فيها على الفرق الضالة والمضللة من رافضة وقرامطة وغيرهم ، ووطد حكم الإسلام في البنجاب ودهلي ولاهور ، وعمل على نشر الإسلام هناك ، كما ضم كشمير إلى ملكه سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م(٢٤). فكانت فتوحاته بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية أصحابها من المجاهدين المسلمين ولكن ليسوا من العرب فقط. وقد وفق محمود في جميع غزواته وكان يرسل بأخبار انتصاراته إلى الخليفة في بغداد فتعمها الأفراح ومن وراءها من البلدان الإسلامية. وأنعم عليه الخليفة العباسي بلقب **يمين الدولة وأمين الملة**(٢٥). وبعد عودته إلى غزنة أمر ببناء جامع

---

(٢٢) انتشار الإسلام ص٣٠٠-٣٠٣.

(٢٣) الطرزي ج١ص٣١٠.

(٢٤) الشيال ص١٤.

(٢٥) البداية والنهاية ج١٢ص٢٩ ، الكامل لابن الأثير ج٧ص٢٨٢-٢٨٣.

في غزنة قال عنه ابن الأثير لم يسمع بمثله ، وأنفق عليه ماغنمه فى هذه الغزاة في بنائه. وكان محمود من أعيان الفقهاء ، محبا للعلم والعلماء.

وقد اهتم الغزنويون إجمالا بنشر الإسلام في الهند فأقاموا المساجد في المناطق المفتتحة وتركوا الدعاة ليعلموا أهلها أمور الدين. ومن أمثلة ذلك أن محمود الغزنوي عندما فتح بهاطية سنة **٣٩٥هـ** ، استخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها مايجب عليهم تعلمه(٢٦).

وفي نهاية العصر الغزنوي اضطر الغزنويون أمام الغوريين إلى التخلي عن عاصمتهم غزنة، ونقلوا دولتهم إلى الهند ، واتخذوا من لاهور عاصمة لهم ، وبذلك يمكننا اعتبار الدولة الغزنوية أول الدول الإسلامية التي قامت في الهند.

ثانيا : الدولة الغورية :

استطاع محمد الغوري الإستيلاء على السند ودهلي والبنغال وبهاربين سنة (٥٨٨-٥٩٧هـ) واتخذ دهلي قاعدة لحكومته الإسلامية في الهند ، فبدأ على يديه الحكم الإسلامي في شمال الهند بأكمله على أساس راسخ وطيد ، وصار للمسلمين دولة مرهوبة الجانب وسيعة الرقعة عظيمة السلطان(٢٧) وذلك بعد أن قضى على القرامطة والإسماعيلية الذين أثاروا الفتن والاضطرابات في البلاد ، وأضعف الراجبوتيين الهنود(٢٨). قال المؤرخ الفرنسي رينه غورسه : « إن شهاب الدين الغوري أسس ملكا عظيما ثابتا وطيدا تعاقبت عليه الدول الإسلامية التي جاءت بعده من ترك وأفغان وطفلوقيين وسادات وتيموريين ، وكان دستور هذا الملك وحدة الدولة »(٢٩) وأصبحت دهلي من عواصم الإسلام المشهورة.

ثالثا: دولة المماليك :

اغتال الباطنية السلطان محمد الغوري سنة **٦٠٢هـ**. فنصب غلامه قطب الدين آيبك نفسه سلطانا على الهند ، وكان أميرا لدهلي من قبل الغوري. فأقر الأمن من البنغال شرقا إلى آخر حدود البنجاب غربا ، وحرص على إقامة العدل بين الناس مع حسن معاملته للهنادكة ، وعمل على نشر الإسلام ، فبنى مسجدين كبيرين أحدهما بدهلي والآخر بآجمير(٣٠). وفي عهد خلفه ألتمش (**٦٠٧-٦٣٣**)

(٢٦) ابن الأثير - الكامل. ج٧ص٢٨٤.

(٢٧) الساداتي ص٩٣.

(٢٨) نفسه ص٨٧.

(٢٩) نقله عبد المنعم النمر ص١٠٣.

(٣٠) الساداتي ص٩٤.

توثقت صلة الهند بالعالم الإسلامي فقصدها علماء العراق والحجاز وإيران وتجارها ، وكانت هذه الزيارات تبعث في صدور مسلمي الهند مسرات لاحد لها ، لأن أكثرية هؤلاء المسلمين كانت من الهنادكة أو البوذيين الذين هداهم الله للإسلام فوجدوا إخوانا يحبونهم(٣١). وأشهر من خلفه من المماليك ناصر الدين محمود بن ايلتمش الذي استقام له الأمر عشرين سنة (٦٤٤-٦٦٤هـ).

وقد خلفه وزيره بلبن الذي لقب بألغ خان أي السيد الأعظم (٦٦٤-٦٨٦هـ/١٢٦٦-١٢٨٧م) الذي اشتهر بأنه أقام العدل وأنصف الضعيف واستعان على ضبط الأمور في مملكته الهندية الواسعة بشبكة محكمة من العيون ، توافيه بكل ماكان يجري في البلاد وأحوال عماله ، وألزم نفسه ورجاله بالتمسك الشديد بآداب الإسلام وفضائله ، وأنشأ أولاده عليها ، ودفع رعيته إلى التحلي بها ، ورعى العلماء والأدباء ، مع بره الشديد بالناس جميعا من مسلمين وهنادكة(٣٢). فقد حاول التشبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبعمر بن عبد العزيز(٣٣) ، وتدفق العلماء على الهند في عصره لانتهاء الخلافة العباسية في بغداد سنة **٦٥٦هـ** ، وقد أبقى هو اسم الخليفة - على العملة - وسمى نفسه ناصر أمير المؤمنين.

رابعا : الدولة الخلجية (٦٨٩-٧٢٠هـ/١٢٩٠-١٣٢١م) :

وهي الدولة الإسلامية الثانية التي تركز سلطانها في الهند وحدها ،وكان لجلال الدين فيروز ملكهم (الذي تولى عرش دهلي عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م) وهو في السبعين من عمره) أثر كبير في إسلام عدد كبير من المغول بعد أن هزمهم(٣٤).

أما علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ/١٢٩٥-١٣١٦م) فقد كادت فتوحاته تشمل شبه القارة الهندية بأكملها ، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ الهند ، إذ كان الجنوب في منأى عن كل مايجري في شمال البلاد ، وقد طبق علاء الدين تحريم الخمر والربا في جميع أجزاء الدولة ، وأدت رقابته على الأسواق والأسعار مع تشدده في معاقبة مدلسي التجار إلى أن عم اليسر والرخاء

---

(٣١) نفسه ص٩٨-٩٩ ، حقي - تاريخ شبه القارة الهندوباكستانية ص١١٠.

(٣٢) الساداتي ص١١٠.

(٣٣) ضياء الدين برني - تاريخ فيروزشاهي ص٣٩ (بالفارسية).

(٣٤) الساداتي ص١١٤.

البلاد(٣٥). وكان إذا غلا ثمن الغلات فتح المخازن وباع الغلات التابعة لبيت المال حتى يرخص السعر.

وقد شجع الخلجيون الناس على اعتناق الإسلام(٣٦) بأن سنوا عادة تقديم الشخص الذي أسلم حديثا إلى السلطان ، حيث كان يكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب على قدره. وجاهدوا جهادا دائبا لرفع لواء الإسلام عاليا في شبه القارة الهندية.

خامسا : الدولة التغلقية (٧٢٠-٨١٧هـ/ ١٣٢١-١٤١٤م):

ومن أشهر سلاطينها : محمد تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ) الذي تمكن من حكم الهند كاملة(٣٧). وجدد الأواصر بالخلافة العباسية بالقاهرة ، وكان على صلة بتلامذة شيخ الإسلام الشيخ ابن تيمية الحراني **(ت ٧٢٨هـ)** ، ومنهم الشيخ عبد العزيز الاردبيلي(٣٨) ، ووفد إلى بلاطه جموع من علماء العراق وخراسان وفارس وبلاد ماوراء النهر ، وأنشأ الكثير من دور الشفاء وملاجيء العجزة ووالى الإشراف عليها بنفسه. وقد وفد إلى بلاطه الرحالة ابن بطوطة(٣٩).

وأما خلفه فيروز تغلق **(٧٥٢-٧٩٠هـ)** فقد وثق صلاته بدار الإسلام وأعلن أنه يتولى السلطنة بتفويض من الخليفة العباسي أمير المؤمنين ، الذي لقبه سيد السلاطين(٤٠). واهتم بالزراعة فجد في حفر الآبار والقنوات فعم الرخاء حتى ليقال بأن ضفتي الغنج Ganga كانتا عامرتين بسلسلة من القرى المتصلة بعضها ببعض وبينها مزارع نضرة ، وبنى خمسين سدا وشق نهرا للري في جنوب غرب البنجاب طوله **١٥٠** كم ، وأكثر في بناء المساجد والمدارس والمشافي والحمامات وأوقف عليها أوقافا كثيرة بحيث أنها كانت مجانية لمن يريد العلم أو التداوي أو الاستجمام ، وتمسك بقواعد الشرع وتوفير العدالة لرعاياه ، وقضى على فتنة وحدة الوجود ، وما ينشأ عنها من الضلالات التي استولت على قلوب

---

(٣٥) تاريخ فيروزشاهي ص٢٦٣ بالفارسية.

(٣٦) انظر ابن بطوطة ج٢ص٥١١ ، أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ص٢٩٠.

(٣٧) مسعود الندوي الدعوة الإسلامية في الهند ص٢٨ ، حقي ـ تاريخ شبه القارة الهندوباكستانية ص١٠٣.

(٣٨) مسعود الندوي ـ الدعوة الإسلامية في الهند ص٢٨.

(٣٩) انظر الرحلة ج٢ص٤٤٨.

(٤٠) مسعود الندوي ـ الدعوة في الهند ـ ص٤٢.

المتصوفة(٤١).

اضطرب الأمر بعد وفاة فيروز تغلق فتمكن تيمورلنك من غزو دهلي سنة ٨٠١هـ ودخلها(٤٢) ، فأدى ذلك إلى تفكك الدولة الإسلامية في الهند وانفصلت أغلب ولاياتها عن دهلي(٤٣) مثل مالوه والكجرات وجونبور والبنغال والدكن وكلها إمارات إسلامية تنافست في العمران والعلم فظهرت نهضة علمية واسعة باللغات العربية والفارسية والسنسكريتية ، وأدى ذلك إلى زيادة انتشار الإسلام بين الهنادكة انتشارا واسعا وكانت **إمارة كجرات** في شمال غرب الهند من أقوى الإمارات الإسلامية هذه ، وكانت ذات علاقات تجارية على نطاق واسع مع البلاد العربية وشرق افريقية. ولما جاء البرتغاليون الصليبيون ببوارجهم الكبيرة المزودة بصفوف المدافع ، وأخذوا يستولون على سفن المسلمين ثم يحرقونها بمن فيها من رجال ونساء ، أو يأخذونها غصبا ويبيعون الأسرى بيع الرقيق ، استصرخت كجرات سلاطين المسلمين وخاصة المماليك في عهد قونصوه الغوري ، ثم السلطان سليم الأول العثماني ، وكانت معركة ديو عام ١٥٠٩م حيث خسر المسلمون فيها زعامة البحار. ثم دعت السلطان سليمان القانوني فتعاون مع مسلمي الهند ضد البرتغال والصليبيين(٤٤).

سادسا : الأسرة اللودهية في سلطنة دهلي (٨٤٩-٩٣٢هـ/١٥٢٥م) :

أفغانية الأصل ومن أشهر من حكم دهلي منها : اسكندر شاه (٨٩٣-٩٢٣هـ/١٤٨٨-١٥١٧م) وكان عالما فاضلا محبا للعلم والعلماء تقلصت في ظله العادات الجاهلية ، أنشأ مدينة آجرا الحالية ، اشتهر بالعدل وتوفير الأقوات وضبط أسعارها ، وكان يأمر بين الحين والحين بإحصاء الفقراء والمعوزين ويمنح كل واحد منهم مايكفيه من المؤن ستة شهور ، كما عمل على نشر الإسلام في ربوع البلاد فهدم بعض المعابد الهندوكية(٤٥).

سابعا : الدولة المغولية :

تأسست علي يد بابر المغولي بعد أن دخل دهلي عام **٩٣٢هـ/١٥٢٥م** بعد

---

(٤١) نفسه ص٢٩-٣٦.

(٤٢) السادات ص١٥٣.

(٤٣) نفسه ص١٦١-١٦٨.

(٤٤) انظر نوار - الشعوب الإسلامية - ص٥٤٧.

(٤٥) السادات ص١٨٥.

موقعة باني بت الحاسمة(٤٦) حيث قضى على اللودهيين وجلس على عرشهم في آكرا وانتصر على الراجبوتيين ومن أعماله :

١ـ أمر بمسح كثير من الأراضي وشق كثيرا من الطرق ليربط بين مختلف أجزاء بلاده وكان أهمها تعبيد الطريق الطويل الذي يربط بين كابل وآكرا وإقامة منارات به ليهتدي بها السابلة ومنازل للمسافرين والدواب كما أقام البساتين والحدائق(٤٧).

٢ـ حض عماله على إجراء العدل بين السكان جميعا من مسلمين وهنادكة.

٣ـ اقتنى مكتبة قيمة خاصة به كان عليها قيم يدعى عبد الله كتابدار.

وفي عهد خلفه **همايون بن بابر** (٩٣٧-٩٦٣هـ) تمكن شير خان سوري أحد الزعماء الأفغان واسمه الأصلي فريد أن يحكم الهند وأن يطرد همايون من الهند سنة (٩٤٧-٩٥٢هـ)(٤٨) ويعتبر **شير شاه** هذا من بين أمراء المسلمين العظام الذين عرفتهم الهند ، فنظم الخراج والإدارة. واهتم بأمر الجيش فجعل تحت إمرته جيشا قوامه ٢٠٠ ألفا التزم بدفع نفقاتهم من بيت المال. ونشرهم في جميع أنحاء البلاد وعهد إليهم بحراسة الحقول والمحافظة على أرواح الناس ومتاعهم. ونهض بالبريد ونظمه وحسن الطرق حتى أنشأ ما يزيد طوله على الألفين من الأميال المعبدة ، وأقام على جانبيها الأشجار ذات الظلال وأنشأ بها الكثير من محطات المسافرين ومنازل الدواب وأباحها للمسلمين والهنادكة على السواء. واعتنى بالعلم والعلماء وطلاب العلم وأنشأ كثيرا من المدارس والمساجد ورتب الأجور والمكافآت للمعلمين والطلبة على السواء وفتح كثيرا من المطاعم في أنحاء متفرقة بالهند وأباحها بالمجان للفقراء والمعدمين من أهل البلاد جميعا مسلمين وهنادكة(٤٩).

وبقي همايون في المنفى إلى أن عاد عام **٩٦٢هـ** إلى دهلي بمساعدة شاه فارس الشيعي طهماسب وتخلص من خلفاء شير شاه ليقضي نحبه سنة ٩٦٣هـ(٥٠). فبدأ التأثير الشيعي في البلاد(٥١).

وتولى **أكبر** جلال الدين **أكبر** بن همايون **٩٦٣-١٠١٣هـ/١٥٥٦-١٦٠٥م**

---

(٤٦) نفسه ص٢٤٧ ، الشيال ص٢٨.

(٤٧) الساداتي ص٢٧٢-٢٧٥.

(٤٨) الشيال ص٦١.

(٤٩) الساداتي ص٢٩٤.

(٥٠) الساداتي ص٢٩٩ ، الشيال ص٥٤ تاريخ الهند الحديث ص٨٦.

(٥١) مسعود الندوي ص٥٦.

فظهرت في زمنه البدع وانساق فيها وأصيب بالغرور والعتو وجرأه على سياسته المعادية للإسلام وبدعه بعض علماء عصره(٥٢) فادعى الألوهية وأجبر الناس على أن يكون سلامهم بينهم (الله أكبر) ويعني نفسه ، وأوجب السجود لنفسه بدل السلام ، وألغى التاريخ الهجري وأحل محله تاريخ جلوسه على العرش وسماه التاريخ الإلهي ، ومنع ذبح البقر وحلل الخمر وأباح بيعها على مرأى ومسمع من الناس ، وأباح التعامل بالربا والمقامرة ، وشجع السفور والخلاعة ، وأفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول الشيعة ، ومنع الصلاة والأذان في دار الشورى الملكية (ديوان خانة) ، وحظر على الناس أن يصوموا شهر رمضان ، ومنعهم من أداء فريضة الحج. وأباح للناس أن يأكلوا لحوم الثمر والخنازير والضواري.

وقد قامت علاقات بين دولة أكبر والبرتغاليين الذين سيطروا على جوا بساحل الهند ، وسمح لهم ببعث إرساليات نصرانية إلى البلاد.

ورغم ذلك فإن عصره من أزهى عصور الإسلام في الهند ، فقد كانت الهند تعج بالعلماء والفقهاء والمرشدين والمعلمين وكانت دعائم الإسلام قوية وثابتة الأركان ويدخل الهنادكة الإسلام أفواجا ، ووقف في وجه بدعته **الشيخ عبد الحق الدهلوي (٩٥٨-١٠٥٢هـ)** الذي أحيا علم الحديث في شمال الهند وقدم السنة(٥٣). ونزل ميدان الجهاد الشيخ أحمد السرهندي(٥٤) الذي ظهرت آثار دعوته في زمن **جهانكير بن أكبر(١٠١٤-١٠٣٧هـ/١٦٠٥-١٦٢٧م)** فبايعه خلق كثير على متابعة السنة واجتناب البدعة ، وطفق الأعيان والأمراء يرجعون إلى الإسلام ، ويثوبون إلى رشدهم ، ولما سجنه جهانكير اهتدى المسجونون إلى الله وأقلعوا عن الجريمة فأمر بالافراج عنه ، واستجاب لطلباته فأصدر أمرا : بتحريم السجود للملك تعظيما له ، وأبطل التاريخ الأكبري ، وألغى معظم القوانين المعارضة للتعاليم الإسلامية ، وحصلت نهضة إسلامية جديدة ، انتعشت زمن **شاهجهان (١٠٣٧-١٠٦٨هـ)** الذي كان قد بايع الإمام السرهندي على اجتناب المعاصي واطراح المآثم وهو بعد أمير(٥٥). فجعل شعاره : « الحمد لله الذي أنزل

---

(٥٢) الندوي ص٦١-٨٦ ، الشيال ص١٠٩-١١٠ وانظر الساداتي ص٣١١ وص٣٢٥-٣٣٧ عن تقريب الهنادكة والمذهب الإلهي.

(٥٣) مسعود الندوي ص١٠١.

(٥٤) مسعود الندوي ص١١٩ ، الشيال ص١١٨، الجندي ـ العالم الإسلامي ص٢٩٣.

(٥٥) مسعود الندوي ص١٠٣.

على عبده الكتاب » وامحت بدعة شعار « الله أكبر». وحرم السجود للسلطان ، وحرم التطاول على مقام الخلفاء الراشدين عند شيعة بلاده. وقضى على نشاط البرتغاليين الذين عاثوا فسادا ، وقضى على تجارة الرقيق التي كانوا يزاولونها ولكنه أعطى الإنجليز بعض الإمتيازات التجارية(٥٦).

وبلغت النهضة الدينية الذروة في عهد خلفه : أورنكزيب عالمكير(٥٧) (١٠٦٨-١١١٨هـ) محمد محيي الدين. الذي قضى أيامه على خير مايقضيها مسلم تقي ، يحفظ القرآن ، ويصوم أغلب أيامه ، حتى لايتردد وأعنف المعارك تدور حوله في أن ينزل عن دابته فيؤدي الصلاة في وقتها باطمئنان وخشوع بالغين وكأنه يقيمها بالمسجد الجامع أو في داره. وقضى على البقية الباقية من البدع الأكبرية(٥٨). وبلغ من حرصه على تحقيق العدل لرعاياه أنه أصدر أوامر مشددة لقضاته في جميع أنحاء شبه القارة الهندية بأن يتوافروا على دراسة قضايا الناس ومشاكلهم مع سرعة الفصل فيها بالجلوس خمسة أيام من كل أسبوع بدلا من يومين على الرسم السابق.

وجعل من نفسه قدوة لغيره ، فلم يلبس إلا بسيط الثياب ، وعاش على ما كان يكتسب من نسخ القرآن الكريم ، وكان يبعث ببعض هذه النسخ هدية منه إلى الحرمين الشريفين ، وألف بأمره وإشرافه موسوعة فقهية تحمل أقوال الفقه الحنفي في المذهب ، وهي المعروفة بالفتاوى الهندية أو العالمكيرية(٥٩).

وقد قام بتأديب قراصنة البرتغال والمتمردين في عهده وحد من نفوذ الإنجليز الذي أخذ يتزايد على يد شركة الهند الشرقية الإنجليزية.

وحين اشتد به الداء أوصى رجاله أن يقيموا له جنازة بسيطة عند وفاته ، وأن يسرعوا بدفنه في أقرب مقابر المسلمين ، ولايزيدوا في ثمن كفنه على خمس روبيات ، كان قد كسبها من صنع الطواقي وبيعها ، وأن يتصدقوا على الفقراء بثلاثمائة روبية كانت هي كل مايملكه ، وماتبقى له من دخله من نسخه للقرآن الكريم وبيعه(٦٠).

---

(٥٦) الساداتي ص٣٦٥-٣٦٧.

(٥٧) الساداتي ص٤١٢-٤١٤ ، مسعود الندوي ص١٢٠ ، الشيال ص١٦٤.

(٥٨) مسعود الندوي ص١٢٣-١٢٥.

(٥٩) طبعت في مصر عام ١١٨٢هـ وهي من المراجع المهمة في الأحوال الشخصية.

(٦٠) الساداتي ص ٤١٤. ومن الطبيعي أن يشوه الأوروبيون صورة هذا الرجل ، وأن يصفه الإنجليز بأنه سفاك للدماء.

الإنجليز يتسللون إلى الهند :

وشهدت الدولة الإسلامية المغولية التفكك والإنحلال بعد وفاة أورنكزيب عام ١١١٨هـ/١٧٠٧م. فتعرضت دهلي للغزو الإيراني على يد نادر شاه زمن السلطان محمد شاه(٦١) (١١٣١-١١٦١هـ/١٧١٩-١٧٤٨م). كما تعرضت مرة أخرى لغزو أحمد ابدالي شاه الذي دخلها أيضا عام ١١٧٠هـ/١٧٥٧م برجاله الأفغان(٦٢).

واستفاد الإنجليز من هذا الصراع فاستطاع «**كلايف**» مدير الشركة الإنجليزية أن يهزم المسلمين في معركة **بلاسي**(٦٣) أول المعارك الحاسمة بين المسلمين والإنجليز ١١٧٠هـ/١٧٥٧م ، وانتصر الإنجليز بخيانة جعفر خان حاكم البنغال والعملاء من الهندوس ، فقضى على سراج الدولة الذي كان قد هزم الانجليز والهنادكة عدة هزائم.

لقد وصل الانجليز الهند كتجار ، إذ منحت **اليزابيث** الأولى شركة الهند الشرقية امتيازا عام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م للتجارة الإنجليزية في الهند والأقطار المجاورة(٦٤). وكان جهانكير قد تميز بملاطفته للنصارى ، فاستغل المستعمرون سماحته فقصد أرضه نفر من التجار الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين ، ووصل «**وليم هوكنز**» الهند عام ١٠١٧هـ/١٦٠٨م فكان أول بريطاني يظهر في آجرا ويلتقي بالسلطان حاملا رسالة من الملك «**جيمس الأول**»(٦٥) ، فرحب به السلطان ولكنه عاد دون أن يحقق أهدافه ، بقي «**وليم هوكنز**» سنتين في الهند يحاول مقابلة السلطان جهانكير فلم يظفر بما يريد ، فتضرع أن يأخذ كتابا منه يحمله إلى إنجلترا فرد عليه الوزير الأول قائلا :

« إنه مما لايناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابا إلى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون »(٦٦) ، ثم وصل «**توماس رو**» مبعوثا من ملك الإنجليز عام ١٠٢٤هـ/١٦١٥م واستطاع بلباقته أن ينال مكانة لدى السلطان فصار

---

(٦١) نفسه ص٤٢٧.

(٦٢) نفسه ص٤٢٩.

(٦٣) نفسه ص٤٣٣.

(٦٤) دور السجلات الهندية ص١١.

(٦٥) نفسه.

(٦٦) عبد المنعم النمر ص٢٠.

للشركة وكالات أو مصانع Fatorys في سورات بالقرب من بومبي، وفي أماكن عدة(٦٧). وكسب التجار الإنجليز إمتيازات أخرى أخذت تزداد على مر الزمن ، ومازالوا يدعمونها بالخبث والدهاء ، ويثبتونها بالغدر والخيانة ، حتى وضعت بريطانيا أيديها على شبه القارة بأكملها.

وفي عام ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م استطاعوا استئجار أرض من حاكم تشانديري ، أنشأوا فوقها قلعة عام **١٠٥٠هـ/١٦٤٠م** سموها قلعة القديس جورج(٦٨) (حيث توجد مدراس الحالية) ، وكانت هذه القلعة أول حجر وضع في بناء الإمبراطورية الإنجليزية في الهند. وكانت تنظر الدولة المغولية إلى الانجليز نظرتهم إلى تاجر لا يخشى بأسه وإلى الوكالات أنها تافهة الشأن. وقد ظل حكام الهند المسلمين لمدة طويلة يعتقدون ذلك.

وفي عام ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م منحت الشركة إذنا بإنشاء مصنع في البنغال وأن يعطى تسهيلات تجارية.

وفي عام ١٠٦٢هـ/١٦٥١م حصلت على إذن بتأسيس مصانع في هوجلي ، ووكالات في باتا ، وقاسم بازار ، وداكا ، وبالاسور.

وفي عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م تسلمت الشركة ميناء بومباي الهام من الملك تشارل الثاني.

وفي عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م حصلت على فرمان من حاكم البنغال المغولي يعفي الشركة من دفع الرسوم الجمركية.

وفي عام ١١٠٢هـ/١٦٩٠م قام أحد موظفي الشركة ويدعى جوب تشارنوك بإنشاء مدينة كلكتا. وتوالت الإمتيازات للشركة وأخذت الشركة تعمل بهدوء وحزم لإنعاش حالتها الإقتصادية المادية وللقضاء على الإقتصاديات الهندية بوسائلها الخبيثة المخططة.

وفي عام ١١٢٧هـ/١٧١٥م مرض السلطان **فروخ سيار** وأشرف على علاجه طبيب إنجليزي يدعى هاملتون ، وصدر فرمان عام ١١٢٩هـ/١٧١٧م يكافئه بإعفاء البضائع التابعة للانجليز من التفتيش والضرائب ، ويهب لهم **٣٨** قرية حول كلكتا، فأخذ البريطانيون يتحولون تدريجياً من التجارة إلى الاستيلاء، يساعدهم في ذلك الفوضى والإرتباك والضعف والتخاذل ، والهنادك يعملون في ركابهم ،

(٦٧) دور السجلات الهندية ص١١٢.

(٦٨) نفسه ص١١٣.

ويتآمرون معهم على الدولة الإسلامية ، فكانت معركة بلاسي سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م السالفة الذكر.

وبعد فترة وجيزة من المعركة تولت شركة الهند الإشراف على الإدارة المالية للبنغال (**الديواني**) ، فضمن البريطانيون السيطرة الفعلية على أغنى أقاليم الهند قاطبة ، وأصبحت الشركة سياسية وعسكرية تضاهي في قوتها أعظم الامبراطوريات وأوسعها في التاريخ ، واندفعت في نهب ثروات الهند ، فعرفت تلك الحقبة بفترة السلطة غير المسؤولة ، وحصل البريطانيون نتيجة ذلك على كميات هائلة من الأموال ، شحنت إلى أوربا لحساب الشركة وموظفيها ، وصارت تحصل على المبالغ اللازمة لابتياع السلع الهندية من الشعب الهندي نفسه. وانتزعت الشركة من عميلها مير محمد قاسم حاكم البنغال إعترافا بالتنازل عن ثلاثة مناطق من البنغال لتكون إقطاعا للشركة ، تستثمرها لتستعين بها على تأليف جيش ، تضعه تحت تصرفه إذا مااحتاج إليه ، ومعنى ذلك أن **الشركة ألفت جيشا بمال الهنود ورجالهم لتحاربهم به.** واتخذت من أراضي البنغال الشاسعة مزارع لزراعة الأفيون لتصديره إلى الصين. وحين منعت الصين دخوله تدخلت بريطانيا فكانت حرب الأفيون(٦٩) وأرغمت الصين على السماح بدخول الأفيون إليها.

وفي عام **١١٧٧هـ/١٧٦٤م** هزم الانجليز المسلمين في معركة **بكسر** وكانت هزيمة حاسمة للدولة المغولية المسلمة في الهند ، فقد فقدت البنغال إلى الأبد ، وأسفرت عن اتفاقية مع السلطان **شاه عالم** تنص على إعطائهم «الحق الديواني» وهو حق الإشراف المالي على الولايات الشرقية ، وعلى ولاية كرناتك في الجنوب الهندي ، وغيرها من المناطق. وتعهد الإنجليز مقابل ذلك بأن يدفعوا للسلطان خراجا سنويا عن الولايات الشرقية بهار ، واوريسا ، والبنغال قدره **٢٦** مليون روبية. وبعبارة أصح إعترف السلطان بسلطانهم على هذه الأقاليم ، أي بيعها بيعا باتا لهذه الشركة التي أصبحت دولة قائمة بذاتها ، لها جيشها وإدارتها ومنظماتها. ولم يكن السلطان يستطيع غير ذلك.

وتصدى أمير ميسور ، حيدر علي ، للإنجليز في الجنوب (١١٧٧-١١٩٧هـ/١٧٦٣-١٧٨٢م) وهزمهم هزائم متعددة. وكذلك ابنه **(فتح علي) تيبو سلطان (أسد ميسور)** من بعده (١١٩٧-١٢١٤هـ/١٧٨٢-١٧٩٩م)

(٦٩) قاسم السامرائي - الاستشراق ص٣١.

وتمكن لورد ويلزلي أن يحطم قوى أسد ميسور عام ١٢١٤هـ/١٧٩٩م. الذي كان أول حاكم مسلم كبير وقف في وجه الإنجليز وقفة صلبة. كما أخضع بونا رأس الإمارات المرهتية عام **١٢١٨هـ/١٨٠٣م**. وقامت حركة **أحمد بن عرفان** الشهيد لجهاد السيخ الذين دعمهم الانجليز ومكنوهم من البنجاب وكشمير. وأقام أحمد دولة إسلامية بدأت الجهاد بالفعل إلى أن استشهد في معركة بالاكوت عام **١٢٤٦هـ/١٨٣١م** ومعه الشاه اسماعيل الدهلوي(٧٠). واستمر البريطانيون في أساليبهم ، في تفريق الكلمة وتشتيت الشمل وإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس ، واستثمار كل خلاف ، لابتلاع مناطق جديدة ، وكانوا يكثرون من عقد المعاهدات التي لم تكن عندهم إلا قصاصات ورق تنفع لجلب الخير لهم ودفع الضر عنهم ، ولكنها لاتقيدهم بقيد ولاتلزمهم بعهد. فأصبحوا بذلك عام **١٢٧٣هـ/١٨٥٦م** السادة الفعليين لكل أنحاء الهند تقريبا فقد استطاعوا أن يقضوا بمهارة وحذر على جميع السلالات الكبيرة في الهند ، وأزاحوا ورثتها إلى أماكن بعيدة عن مراكز حكمها السابقة.

أدرك المسلمون أن لابقاء لهم مع الانجليز وقد أصبحوا يواجهون ثالوثا قويا: الإنجليز والهندوس والسيك. فقاموا بثورتهم العامة الشاملة عام **١٢٧٤هـ/١٨٥٧م**. عندما أعلن لورد كيننغ (**١٢٧٣-١٢٧٨هـ/ ١٨٥٦-١٨٦١م**) **أن سلطان دهلي ، بهادر شاه**(وهو البقية الرمزية لسلطان الإسلام في الهند) هو آخر شخص يسمح له بحمل لقب سلطان من الأسرة المغولية ، وآخر من يحق له عقد مجالس سلطانية ، وسكنى القصر السلطاني. فنزل هذا الإنذار نزول الصاعقة على الهنود لأنهم كانوا يعتبرون السلطان على ضعفه رمز وحدة الهند ورمز السلطة الإسلامية.

فثار الجند في ميرته وأخذوا يقتلون الإنجليز رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا وأشعلوا النار في منازلهم ، وامتدت إلى دهلي وطارت الأنباء في الهند تحمل البشرى بقرب الخلاص ، وثار الجند في كل مكان وتحولت الثورة إلى حرب تحريرية قادها الأمراء والفقهاء المسلمون ، وأشهرهم مولانا أحمد الله ، ومولانا لياقت علي ، وبخت خان القائد العام ونائب الملك ، والحاج امداد الله التهانوي وغيرهم ، واشترك فيها الشيوخ والرجال والنساء. ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلا

(٧٠) انظر جامعة بناوس - جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة ص٨٧ ، سعيد الأعظمي الندوي - أحمد بن عرفان ص ٦٩.

عن طريق الخيانة والرشوة فبدأوا بدهلي ، وأسروا السلطان بهادور شاه في الحصن الأحمر ، ثم أخذوا يستولون على المدن الرئيسية ، التي كانت فيها المقاومة قوية ومنظمة. ورافقت أعمالهم العسكرية أعمال إنتقامية وحشية ، وأخذوا الناس بالشبهات فساقوا آلافا من الناس إلى المحاكم ، التي حكمت عليهم بالموت بعد العذاب الأليم ، فيقول أحد الكتاب الإنجليز :« إن مارتكبه جنودنا من ظلم ووحشية ومن حرق وتقتيل لا نجد له مثيلا في أي عصر »(٧١).

وحاكم الإنجليز السلطان بهادور شاه محاكمة صورية عجيبة ونفوه إلى بورما حيث توفي في رانجتون عام **١٢٧٩هـ/١٨٦٢م**. وأعلنت بريطانيا تولي التاج البريطاني لحكومة الهند في إعلان نوفمبر (تشرين الثاني) سنة **١٢٧٥هـ/١٨٥٨م**. وانتهت السيادة الإسلامية على شبه القارة.

سياسة الانجليز تجاه المسلمين في الهند :

منذ أن وطئت أقدام المستعمرين الانجليز أرض الهند وهم يتبعون سياسة واحدة لا يحيدون عنها ، تتمثل في كسر شوكة المسلمين في البلاد ، باعتبارهم العدو الوحيد المناهض لأساليبهم الإستعمارية ، فقد أعلن الحاكم البريطاني اللورد **النبرو** : « إن العنصر الإسلامي في الهند عدو بريطانيا اللدود ، وأن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها ، لتساعدهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد ».

فاشتد الإنجليز في هجمتهم على المسلمين بعد إنهاء الثورة ، واستولوا على أراضيهم ، ففقد المسلمون أملاكهم الواسعة ولم يبق لهم سوى ٥٪ من أراضيهم التي كانوا يملكونها من قبل ، وسدت في وجوههم أبواب الرزق في الدواوين وصودرت أملاكهم. وأخذ الانجليز جانب الهندوس والسيخ ، وأطلقوهم يهزأون بالمسلمين وبدينهم ، ويسومونهم سوء العذاب. فكانت المذابح التي راح ضحيتها الآلاف من المسلمين ، وتفشت الطائفية وكثرت المصادمات الطائفية ، والهدف إفناء المسلمين بالمذابح. كما حاول الانجليز تعميق الفوارق بين المسلمين أنفسهم فقسموهم إلى : سادة أو مغل أو باتان أو مشايخ ، وأجبروهم على تسجيل أنفسهم كذلك.

وقررت الحكومة الانجليزية مناهج للتعليم في مدارسها تنفر المسلمين من ارتيادها إن أرادوا أن يبقوا مستمسكين بعقائدهم ، فأخذوا في التخلف عن الهندوس كثيرا

(٧١) الشيال ص١٥٠ ومابعدها. وانظر أبو الحسن الندوي ـ المسلمون في الهند ص١٦٨.

، وعاشوا في شقاء لم تعرفه الإنسانية في أحلك عصورها.

وضيقوا الخناق على العلماء وحملة الدين.

واتخذوا الهند سوقا احتكارية لبريطانيا ، فشجعوا صناعاتها على حساب الصناعة الهندية المحلية.

وملك الانجليز المزارع الكبيرة ، وانتشرت المجاعات وفقدت الهند وخاصة المناطق الشمالية الإسلامية حوالي ٩٪ من سكانها في خطة للحكومة حتى لاتقوم للمسلمين قائمة(٧٢).

وأكثر الانجليز من الحملات التبشيرية لمحاربة الإسلام ، وقد أخذت هذه تقذف الإسلام بسهام الإنتقادات والإعتراضات لتحد من انتشار الإسلام بين الهندوس.

وروج الانجليز الإلحاد والفساد بتصدير الحضارة الغربية للقضاء على أخلاقيات الإسلام ومثله ، ونشروا الخلاعة والمجون والإباحية. ووسعوا الخرق بين المسلمين والهندوس وغيرهم من طوائف الهند ، بتشجيع الأحزاب القومية والعلمانية ، وشجعوا الحركات المناهضة للإسلام وخاصة الحركة **القاديانية** التي تمثلت في شخصية ميرزا غلام أحمد القادياني الذي عمل على محاربة مبدأ ختم النبوة. وحارب الجهاد وألغى وجوبه ، وعمل على الأمر بطاعة الإنجليز والولاء لهم(٧٣).

وعمل الإنجليز جهدهم على تشويه تاريخ المسلمين بالهند ، وقلب صورته للأجيال.

وفي ظل هذه الأوضاع السيئة للمسلمين ظهر **أحمد خان** الذي لعب دورا هاما في سياسة المسلمين في الهند في الفترة **(١٢٧٥-١٣١٦هـ/١٨٥٨-١٨٩٨م)** فقد سعى سعيه لإصلاح ذات البين بين المسلمين والحكومة الإنجليزية ، وأسس عام **١٨٧٥م** جامعة عليكرة بمساعدة الإنجليز وبعض الشخصيات الإسلامية الموالية لهم وعلى رأسهم **أغاخان** ، لتزويد

---

(٧٢) هذه هي السياسة الاستعمارية الغربية ، التي لاتريد إلا مصلحتها ، فتفتعل المجاعات لإحكام سيطرتها على العباد ، بتكوين طبقة تدين بوجودها للمستعمر تنفصل إنفصالا عن أمتها وتشن ضدها الحرب العوان ، فلا يتيسر لها البقاء إلا ببقاء المستعمر وهيبته. قارن ذلك بالحكم الإسلامي للهند الذي استمر ألف سنة ، كانت إذا انتشرت المجاعة فتح الحكام المسلمين المطاعم المجانية في جميع أرجاء الهند للمسلمين والهندوس على السواء فتمر المجاعة بسهولة ، ودون أن تؤثر على كيان المجتمع.

(٧٣) انظر عبد الله سلوم السامرائي في كتابه القيم ـ القاديانية والاستعمار الانجليزي وانظر ـ القاديانية لإحسان إلهي ظهير.

المسلمين بالأسلحة الجديدة من الثقافة والعلوم الغربية واللغات الأجنبية ، وقد لجأ وأعوانه أحيانا إلى تحريف الكتاب الكريم لما يوافق آراءهم ونظرياتهم فشجبوا الجهاد(٧٤). ومن آرائه السياسية التي ركز عليها :

١ـ أن الهند هي شبه قارة وليست دولة.

٢ـ أن المسلمين والهندوس يشكلون أمتين لأمة واحدة.

٣ـ أن الإنفصال بين المسلمين والهندوس أمر حتمي.

ولذلك حارب فكرة **حزب المؤتمر الوطني الهندي** ـ التي كانت فكرة رجل إنجليزي هو مستر (ألن هيوم) وعرضها سنة **١٣٠٣هـ/١٨٨٥م** على اللورد (دفرن) فاهتم بها ، واعتقد أنه خلال احتضان هذا التنظيم تستطيع الحكومة أن تقف على وجهة نظر الرأي العام الهندي ، وتجعل منه صمام أمن ، فناقش خطته مع القيادات الهندية ، واجتمع المؤتمر الهندي لأول مرة تحت رئاسة (بترجيا) المحامي البنغالي. وقد أخذ حزب المؤتمر هذا يميل إلى العصبية الهندوكية ، وإحياء القومية الوثنية القديمة ، ويصبغ أعماله بصبغة الديانة البرهمية ، وبعث اللغة السنسكريتية. ويعلن الولاء التام للحكومة البريطانية أولا ويكيل لها ولأعمالها في الهند المديح والثناء(٧٥).

واشتدت مطالبة الهنود بالقومية الهندية وبلغت أوجها بين عامي (**١٣٢٣ـ١٣٢٧هـ/١٩٠٥ـ١٩٠٩م**). وبعد عام **١٣٢٩هـ/١٩١١م** انضوى فيها القادة المعتدلون مع الغلاة. ومن الغلاة الهندوس المتعصب (**تيلاك**) الذي تعتبره

---

(٧٤) أخذ سير أحمد خان (وأتباعه) يبدي في الدين بآراء حديثة له تتفق وعقليته واتجاهه وزاد فأقدم على تفسير القرآن متخذا من عقله هو أساسا لهذا التفسير غير ملتزم للألفاظ ودلالتها ولا لما أجمع عليه علماء المسلمين على مر الزمن فأنكر الجنة والنار والملائكة والجن وأخذ يشتم الأئمة الفقهاء ويستهزيء بالمحدثين وبالشعائر الإسلامية. (عبد المنعم النمر ص٤٥) كما يقول المؤرخ الهندي العليكري السيد طفيل أحمد في كتابه (هندستان كاروشن) أي المستقبل المضيء ص١٧٣ برغم تعصبه لجامعته ومؤسسها. وقد امتدحه المستشرق برنارد لويس (بالطبع) (الغرب والشرق ص١٥٦).

كما قرر في تفسيره : أن القرآن نزل على الرسول ﷺ بالمعنى فقط ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده. (عبد المنعم النمر ص٤٥). ورغم ماكان من سيد أحمد إلا أنه تخرج من كلية عليكرة عدد من خيرة الشباب وقادة الفكر والزعماء السياسيين ، وأدباء كبار ، وشخصيات قوية ، قادت حركة الخلافة ، وحركة تحرير الهند ، وساهمت في قيام دولة باكستان (انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية لأبي الحسن الندوي ص٧٩).

(٧٥) عبد المنعم النمر ص٥٣.

الهند الحاضرة أحد الرواد في بناء الهند الحديثة(٧٦).

فبدأت فكرة الانفصال بين المسلمين والهنادكة وغذاها المفكرون الإنجليز منذ البداية لتخدم أغراضهم ، (فويلفريد سكاوبن بلنت) الكاتب الشهير والذي جال الهند أيام (لورد ربن) اقترح في كلكوتا **١٣٠١هـ/١٨٨٣م** أن توضع جميع الأقاليم الكائنة في شمال الهند تحت حكومة إسلامية ، وتوضع أقاليم الجنوب تحت حكومة هندوسية ، وتظل بريطانيا تمارس سلطاتها في الإدارة والحكم مستمدة التأييد اللازم لهامن القوات البريطانية المتمركزة في كل إقليم.

وبدأت هذه الأفكار تتسرب إلى المفكرين المسلمين في الهند فعبد الحليم شرار (**١٢٧٧-١٣٤٣هـ/١٨٦٠-١٩٢٤م**) الروائي والصحفي البارز بدأ يحس منذ عام **١٣٠٨هـ/١٨٩٠م** بأن تقسيم الهند هو الحل الوحيد لمشكلة المسلمين والهندوس.

وأما الطاف حسين - حالي - الذي كتب قصيدة مسدس عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م تحت عنوان المد الإسلامي وجزره من **٢٨٠٠** بيت وركز على نهضة المسلمين في شبه القارة فقد حذر المسلمين من الديمقراطية الغربية ، وبين لهم أنها ستنتهي بهم إلى أن يصبحوا غرباء في أرضهم ، وقال في شعره :

وداعا لك ياجنة الهند الدائمة الخضرة فنحن الأجانب

قد مكثنا طويلا في هذه البلاد ضيوفا عليك

وتم في عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م تأسيس **ندوة العلماء** ، وفتحت أبوابها لكل من يريد المشاركة فيها من المؤمنين بالله ورسوله. وأسس هؤلاء العلماء دار العلوم التابعة للندوة **١٣١٦هـ** ، والغاية منها ألا تتسع شقة الخلاف بين المتجددين والجامدين ، وتعهدها **شبلي النعماني** الذي كان قد ساعد أحمد خان في إنشاء عليكرة ، وكان أشد حرصا منه في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي ، وأشد إيمانا بأهمية هذا التراث ، وعمل على بعث تاريخ الإسلام ، وكشف أخطاء جرجي زيدان في كتابه التمدن الإسلامي ، ودعا إلى مخطط جديد للتربية والتعليم بين مسلمي الهند ، وحاول تنفيذه في دار العلوم ودعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية للقرآن الكريم.

---

(٧٦) عبد المنعم النمر ص٥٧.

واجه المسلمون الاحتلال البريطاني بإرادة صلبة ، ورفضوا العلم في مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية ، وأنشأوا مدارسهم بنقودهم القليلة وأنشأوا الكليات ، ثم برزت جمعياتهم من تحت حراب الاحتلال ، فكانت **جمعية علماء الهند** في إمبالا والبنجاب ، ولها فروع في مختلف البقاع مهمتها المزدوجة هي :

١ـ مكافحة حركة (اريا سماج) التي شجعها البريطانيون بالدعوة إلى تخليص الجنس الآري ، وهي حركة تدعو إلى الوثنية القديمة شبيهة بالدعوات التي أثاروها ـ في مصر بالفرعونية وفي لبنان بالفينيقية وفي المغرب بالبربرية ـ.

٢ـ إرسال دعاة يعلمون المسلمين المتأخرين.

وبرزت **جمعية حماية الإسلام** في كل مدينة تعني بتعليم المسلمين (ومركزها في لاهور) تعمل على دحض الافتراءات والشبهات الموجهة للإسلام والعناية بأيتام المسلمين.

كما برزت عشرات من الجامعات والمدارس والمعاهد ، (مثل ديوبند ، والجامعة الملية ، ودار العلماء ، والجامعة العثمانية...).

ولما كانت بريطانيا حريصة بالقضاء على علماء المسلمين أو تحويلهم عن القيم الأساسية لمفاهيم الإسلام الجوهرية ، وخاصة مفهوم الجهاد وترابط الدين والمجتمع ـ لذا عمدت إلى أن تحول بين ، العلماء والقادة الذين فهموا الإسلام فهما صحيحا ، دون قيادة المسيرة ، ونجحت في إقصائهم وحجبهم ، عن مكان الصدارة والقيادة ، فالذي حمل لواء الرابطة الإسلامية كانوا ممن تخرجوا من الكليات العصرية ، ولم يكن لهم سابق علم ولامعرفة بالإسلام ومبادئه ونظمه الخالدة. شأن السياسيين الذين تصدروا بعد الحرب الأولى للقيادة في أندونيسيا وفارس وتركيا وأفغانستان والعالم العربي فبرزت بذلك **فكرة الإسلام القومي** كرد فعل على التعصب الهندوكي.

ومن المفكرين الذين أسهموا في إيقاظ المسلمين ، **محمد إقبال** الذي بلغ غاية القوة والعمق في الدعوة إلى إيقاظ المسلم ، وشجب نزعة الجبرية والتصوف ، فقد درس في كلية من الكليات العصرية ، ثم سافر إلى أوربا ودرس في كمبردج وبرلين ، ونال الدكتوراه في الفلسفة ، وتعاطى المحاماة بعد رجوعه مدة من الزمن ، ثم تركها ، اشتهر بقرض الشعر ، ونشر دواوين عديدة باللغتين الفارسية والأردية ، ضمنها آراءه في السياسة والحضارة الغربية ودسائس الأوربيين ومكايدهم. وحث المسلمين على الإستمساك بعروة الدين ، وعدم الإنخداع بأباطيل الغرب المموهة

، وأظهر رأيه في مؤتمر الرابطة الإسلامية **١٣٤٨هـ/١٩٢٩م** بتأسيس دولة مسلمة في الناحية الشمالية الغربية من الهند ، ووقف موقفا صلبا إزاء القاديانية ومؤسسها غلام أحمد الذي ادعى النبوة.

بدأت **فكرة تحرير الهند** واستقلالها عند المسلمين ، فألفت الجمعية الإسلامية العامة الرابطة الإسلامية لعموم الهند(٧٧) ، في لكنو(بومباي) عام **١٩٠٦م** ، بزعامة محمود الحسيني ، واستمرت تعمل سرا عشر سنين إلى أن اكتشفها الإنجليز ، فأمروا محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبضوا على أعوانه : أبو الكلام أزاد ، وحسرت مهاني ، وظفر الله خان ، ومحمد علي ، وشوكت علي.

وتأسست **جمعية الخلافة** لإنقاذ الخلافة من الأعداء الطامعين عام **١٣٣٩هـ/١٩٢٠م** ، برئاسة غلام محمد فتو ، وميان محمد حاجي خان ، وتسلل لها **غاندي** ، وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة ، فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية وندبوه للسعي إلى ذلك. ثم نصحهم بالإنضمام إلى الكونجرس (حزب المؤتمر) ، فانضمت إليه جمعية الخلافة ، وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة اعتمادا على الثقة بغاندي. وعقد المؤتمر سنة **١٣٣٩هـ/١٩٢٠م** حيث عرض الأعضاء المسلمون فكرة استقلال الهند بدل : إصلاح حالة الهند التي كان يتبناها المؤتمر. ودعوا إلى الإضراب عن التعاون في الإدارات الحكومية في جميع مجالات الحياة ومقاطعة البضائع الانجليزية ، والاقتصار على المنتجات الوطنية - فأشعل الناس النار في ملابسهم الغربية(٧٨).

ولما أظهر المؤتمر نياته وتعاونه مع الإنجليز إنفصلت جماعة عظيمة من المسلمين وكبار زعمائهم عنه عام **١٣٤٨هـ/١٩٢٩م** ، ولم يبق فيه إلا أبو الكلام آزاد ، وشرذمة من أتباعه ، وأعضاء جميعة العلماء الشهيرة. فبدأت الحملات بين الفريقين وهذا أضعف مواقف المسلمين ودفعهم إلى الحلم بدولة إسلامية في الهند تضم المسلمين ، وقفز إلى الزعامة القوميةالمسلمة عام **١٣٥٥هـ/١٩٣٦م محمد علي جناح** ، الذي نشأ نشأة إفرنجية خالصة بين طائفة من الإسماعيلية ، والذين أجابوه لدعوته كانوا من الذين غذوا بلبان الثقافة الغربية ، وتخرجوا في الكليات العصرية ، وكل ماقاموا به من الحفلات والمؤتمرات جاءت على غرار الجمعيات السياسية العصرية ، لاتجد عليها مسحة من الخلق الإسلامي الذي يميزها عن غيرها

---

(٧٧) انظر بور زاده ص١٠٧ ، حاضر العالم الإسلامي ج٤ص١٨٧.

(٧٨) انظر : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في البلاد الإسلامية لأبي الحسن الندوي ص٩٣.

من خصال غير المسلمين(٧٩).

وأصبحت الرابطة المسلمة تضم أعوان الاستعمار والشيوعية وأنصار الكماليين ودعاة القومية المتطرفة والوطنية الجغرافية والإسلام الجغرافي ممن اتسم بسمة المسلمين وتسمى بأسمائهم ـ فنزعت نزعة التفرنج والإلحاد والزندقة ، واتحدت كلمة الصحف المنتسبة إليهم على الطعن في العلماء والزراية على حملة الدين والسخرية من شعائر الإسلام وعدم الإكتراث لأوامر الشرع ونواهيه(٨٠).

وفي عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م ، إنتقل جزء من الحكم في المقاطعات الهندية إلى الأهالي وتبوأ الوطنيون مناصب الوزارة والإمرة في سبع مقاطعات من الهند ، فكان ذلك بمثابة انفجار البركان ، لأنه كشف به عن عورات الهنادك ، وظهرت نياتهم تجاه المسلمين ، فنبه **أبو الأعلى المودودي** لذلك واجتمع **٧٥** رجلا في أول شعبان ١٣٦٠هـ/١٩٤١م بمدينة لاهور ، وأسسوا **الجماعة الإسلامية** ، وانتخب أبو الأعلى المودودي أميرا لهذه الجماعة للسير على المناهج الإسلامية.

ولما أصبح جناح زعيما للرابطة الإسلامية لعموم الهند عام **١٣٥٧هـ/١٩٣٨م** ، طالب بتقسيم الهند. وشهد عام **١٣٥٨هـ/١٩٣٩م** عددا كبيرا من المشروعات والمقدمات التي تدعو إلى إقامة دولة أو دول إسلامية.

واجتمعت اللجنة العاملة للرابطة الإسلامية لعموم الهند عام **١٣٥٨هـ/١٩٣٩م** وقررت معارضة مشروع الإتحاد الفيدرالي الذي تضمنه قرار حكومة الهند عام **١٣٥٤هـ/١٩٣٥م** ودعت إلى تقسيم البلاد إلى هند إسلامية وهند هندوسية.

وفي **٢١** مارس آذار عام **١٣٥٩هـ/١٩٤٠م** ، تم صياغة قرار لاهور بإنشاء الدولة الإسلامية ـ باكستان ـ في الهند. ثم جعل هذا القرار مبدأ وعقيدة للرابطة الإسلامية. وتتابعت الأحداث ، حتى تم التقسيم ، عام **١٣٦٧هـ/١٩٤٧م** بموجب قرار استقلال الهند ، الذي نص على أن الدولة التي تضم الأراضي الإسلامية ستعرف باسم (باكستان) ، والهندوسية باسم (الهند).

ولما أدرك الهنادكة أن لامفر من التقسيم ، بدأوا يعتدون على المسلمين في كل مكان ، يقتلون الشيوخ والنساء والأطفال ، ويهتكون الأعراض ، ويهدمون المنازل

---

(٧٩) مسعود الندوي ـ الدعوة الإسلامية في الهند ص٢٥١.

(٨٠) نفسه ص٢٥٥.

ويحرقونها ، وعندما اختار نائب الملك ـ نهرو ـ ليكون نائب رئيس الوزراء عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م ، وأهمل الرابطة وزعيمها جناح ، حمل جناح على هذا التصرف حملة شعواء ودعا المسلمين للإحتجاج عليه برفع أعلام سوداء على بيوتهم ومتاجرهم ، كاحتجاج صامت على تولي الهندوس السلطة ، فارتفعت ملايين الأعلام السوداء في كل مكان ، فكان هذا كافيا لتجدد الإضطرابات ، فكثرت المذابح الطائفية ، التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين ، وانتابت الفريقين نوبة هستيرية ، فأخذوا في التذبيح والتقتيل من غير عاطفة إنسانية ، في كلكتا وبهار والأقاليم المتحدة ، ومثل بجثث القتلى وارتكبت الفظائع.

وانتصرت فكرة التقسيم وخرج المسلمون بقسمة ضيزى وتكونت باكستان(٨١) من قسمين شرقي وهو البنغال ، وعدد سكانه ٤٢ مليونا آنذاك ومساحته ١٤٢٧٧٦كم٢ ، وغربي وهو ولايات الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان والسند والبنجاب الغربية وعدد سكانه آنذاك نحو ٣٣ مليونا ، ومساحته ٨٠٣٠٠٠كم٢ . يفصل بينهما حوالي ٢٠٠٠كم من أراضي هندستان ، ولم يكن سبيل للاتصال بينهما إلا طريق البحر ، وتبلغ مسافته نحو ٤٨٠٠كم. وبقي في هندستان أقلية إسلامية كبيرة العدد ـ حوالي ٥٠مليونا ـ آنذاك.

واستمرت المذابح التي حمل لواءها السيخ وعلى رأسهم (تاراسنغ) وعصابته مهاسبها (أي الجمعية الوطنية العظمى) الهندوكية المتعصبة. ففي الوقت الذي كان فيه زعماء المسلمين ، أعضاء الرابطة المسلمة ، يقيمون الإحتفالات والمهراجانات في وسط العاصمة ـ كراتشي ـ فرحا بالاستقلال ، وسرورا بتسلم مقاليد الحكم ـ كانت الحرمات تنتهك في مدن البنجاب الشرقية وقراها ، وتهدم المساجد ،

---

(٨١) أن المعنى الحرفي لكلمة باكستان هو أرض الأطهار ، وهي مؤلفة من كلمتين باك وستان (نشأة باكستان ـ بير زاده ص٤١).

وقد اشتقت من الحروف الأولى لكل من البنجاب ، واقليم الحدود الشمالي (الذي يسمى اقليم الأفغان) وكشمير ، وسند ، ونهاية بالوشيستان ، ويزعم البعض أن مقطع ستان مأخوذ من بالوشيستان وبانغيستان وهو اسم شعبي شائع لبنغال إلا أنه ليس ثمة دليل يؤكد ذلك. وهي أسماء أجزاء من الهند يستوطنها أغلبية ساحقة من المسلمين. (بير زاده ص٤٣).

وأول من وضع هذا الاسم هو تشودري رحمة علي عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م نشأة باكستان ـ (بير زاده ص٤٥).

واقترنت بقرار لاهور عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م الذي أقرته الرابطة الإسلامية. (بير زاده ص٥١).

وتحرق المصاحف ،وتداس بالأقدام ، وكان شعار السيخ في هتافهم : (الموت لباكستان). ولما كان المسلمون قلة في البنجاب الشرقي فقد افترسهم السيخ إلا القليل ممن فر إلى الباكستان. ويؤخذ مما نشرته الصحف غير الإسلامية أن مذابح المسلمين في باتيالا عاصمة ولاية السيخ بلغت مالا يقل عن ١١٤ ألف إنسان.

وعملت جمعية مهاسبها الهندوكية على إثارة الشعور ، وإلهاب حماس الجماهير ، بنشر ألفاظ نارية سرعان ماتسري كالنار بين جموع الغوغاء ـ فقد عزم المسلمون على تكريم شهدائهم في ٣٠ أغسطس ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م فأذاعت الجمعية منشورا جاء فيه :

« تذكروا يوم ٣٠ أغسطس فهو يوم الشهداء ... إنه يوم يجب عليكم أن تقتلوا فيه كافة المسلمين وكذلك أطفالهم ونساءهم ، كما يجب عليكم أن تضعوا نصب أعينكم الإستيلاء على دورهم عنوة ، وأشعلوا النيران في كل مكان واجعلوها مستعرة حتى تبيد محلات المسلمين ، ولكن حذار فقد تتسرب إلى أماكن الهندوس والسيخ »(٨٢).

وكان المسلمون منتشرين في كل مكان بالهند ، فكانوا في أي مكان بين فكي الأسد ، وصيدا سهلا للعابثين. وتحمل المسلمون في دهلي النصيب الأوفى من هذه المأساة ، إذا استثنينا ماحدث بالبنجاب ، فقد كانت دهلي عاصمة الدولة الإسلامية في الهند ، وفيها مسلمون كثيرون لهم متاجرهم ودورهم ومصالحهم ومساجدهم ، وأحياؤهم التي ينفردون بها ، أو يكثرون فيها ، وتضم كثيرا من الآثار الإسلامية الرائعة ، وكان من نتيجة التقسيم أن خلا جهاز الشرطة الهندي من الرجال المسلمين ، ضباطا وجنودا ، وكذلك الجيش ، فقد جردوا من عملهم ، فاختل الميزان ، وقاد السردار (باتيل) من زعماء حزب المؤتمر ، ونائب رئيس الوزراء حملة الحقد على المسلمين ، وكان وزيرا للداخلية وفي يده صمام الأمن ، ووصف الجماعة الأرهابية (راشتريا سويك سنغ) الهندوكية المتعصبة بأنهم ليسوا مجرمين ، وإنما هم وطنيون متعصبون لوطنهم. فاقترفوا الإفساد والتقتيل وقاموا بأعمال السلب والنهب ، في حين كان رجال البوليس يراقبون الجرائم ، فلا يتدخلون لقمع العدوان ، بل كانوا يسهمون فيه أحيانا. واعترف غاندي في إحدى خطبه أن ١٣٧ مسجدا في دهلي القديمة والجديدة دنسها السيخ والهندوس ، ووضعوا في بعضها الأصنام والتماثيل.

(٨٢) من مأساة دهلي ص١٢، ١٣. عبد المنعم النمر ص٢٥٩.

وقد وقع في دهلي وحدها مايقرب من ثلاثين ألفا من المسلمين ، غير المصابين بإصابات مختلفة ، وغير مئات الآلاف الذين وقعوا ضحايا في القطارات الذاهبة إلى باكستان.

وفي ٣٠ يناير عام ١٩٤٨م أغتيل غاندي في نيودلهي ، فقد اعتبره الإرهابيون حجر عثرة في طريق تنفيذ مخططاتهم.

كان إلى جانب المستعمرة التي قسمت ، والتي كان يحكمها الإنجليز حكما مباشرا ، (٥٦٥) إمارة هندية ، يطلق عليها الهنود اسم (رياست) ، وإذا كان الأمير مسلما سمي (نواب) ، وإذا كان هندوكيا سمي (راجا أو مهراجا). وكانت هذه الإمارات تسيطر على ٤٥,٣٪ من مساحة شبه القارة الهندية(٨٣). وأعطيت هذه الإمارات (وبخبث من المخططين الإنجليز) الحق في الإنضمام إلى إحدى الدولتين ، وقد تم ذلك فعلا فطويت صفحات هذه الإمارات بصورة آلية ، إلا أربعا منها كان لها وضع خاص ، وهي كبورتهله ، وجوناكده ، وحيدر آباد - الدكن ، وكشمير.

فإمارة **كبورتهله** كانت إمارة صغيرة ، أميرها هندوكي و٦٥٪ من سكانها مسلمون ، فخشي هذا الأمير أن يطالب المسلمون بالإنضمام إلى باكستان فأعمل فيهم السيف ، فقضى على من قضى وشرد من شرد بمساعدة الحكومة الهندوسية ، وضم الإمارة إلى هندستان.

وأما إمارة **جوناكده** : فهي الأخرى كانت صغيرة ، وأميرها مسلم وأكثرية أهلها هنادكة ، فاختار أميرها الانضمام إلى باكستان ، فاحتجت الهند وأرسلت الجند فاقتحموها ، واستولت عليها الهند ، وفر أميرها ملتجئا إلى باكستان.

وأما إمارة **حيدر آباد - دكن** - فقد كانت دولة كبيرة مساحتها ٢٢٠ الف كم٢ ، وكان عدد سكانها يزيد على ٢٠ مليون نسمة ، وعلى الرغم أن أكثرية الناس كانوا هنادكة ، فأميرها مسلم ، وكان محبوبا عند الجميع ، وكان قد أسس هذه الإمارة السلطان المسلم علي قطب شاه ، ولقب سلطانها باسم (نظام). وكانت شبه مستقلة تصدر عملة خاصة وطوابع خاصة(٨٤).

واستعملت الهند كل أنواع الضغط لإجبارها على التنازل عن استقلالها فحاصرتها اقتصاديا وأرسلت إليها عصابات مسلحة تتحرش بها ، وعملت على

---

(٨٣) مجلة الأمة - العدد ٣٢ السنة ٣، شعبان ١٤٠٣هـ أيار (مايو) سنة ١٩٨٢م.

(٨٤) مجلة الأمة العدد ٣٢ السنة ٣ ص٣٧.

إثارة الهنادكة من الداخل ، حتى إنه لم يسع (تشرشل) المعروف بعدائه للمسلمين إلا أن يصرح في مجلس العموم بقوله :

« إن الحصار الذي تفرضه هندستان على إمارة حيدر آباد حصار شرس ، ويشبه من وجوه كثيرة الحصار الذي فرضه الإتحاد السوفييتي على مدينة برلين ، فقد قطعت هندستان عن حيدر آباد حتى العقاقير الطبية والأجهزة الصحية ، ومعدات المستشفيات »(٨٥).

وطالبت حيدر آباد باستفتاء حر ، تحت إشراف الكومنولث البريطاني ، ومحكمة العدل الدولية ، أو لجنة مؤلفة من دولة محايدة ، ولكن نهرو رفض قائلا :

« إن الهند لن تغامر بقبول الإستفتاء ، أما إذا كانت حكومة حيدر آباد ترغب في الاستفتاء ، فعليها أن تنضم إلى هندستان أولا ، ثم يستفتى الشعب بالإنضمام أو عدمه ».

وأخيرا قامت الهند بغزو الإمارة عام **١٣٨٦هـ/١٩٤٨م** أثناء اجتماع مجلس الأمن لمناقشة قضية حيدر آباد ، مدعية أنها تقوم بعملية بوليسية لتأديب العصاة(٨٦). فطويت صفحة الإمارة ، وطوي معها تاريخ إسلامي حافل بالمآثر والفداء والتضحية.

وأما إمارة كشمير فستتناول مشكلتها بشيء من التفصيل.

قضية كشمير

تقع كشمير في الشمال الشرقي من باكستان ، وتحيطها باكستان من جزء من شمالها الغربي ومن غربها ومن جزء من جنوبها الغربي ، وتحدها الصين الشعبية من جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جزء صغير من جنوبها الشرقي ، وتحدها هندستان من جزء من جنوبها. فهي متاخمة لخمس دول وهي : باكستان ، وأفغانستان ، والاتحاد السوفييتي ، والصين ، والهند.

مساحتها **٢١٧٩٣٥** كم٢ ، وعدد سكانها حاليا حوالي تسعة ملايين نسمة ، تبلغ نسبة المسلمين أكثر من ٩٠٪ ، والباقي من الهندوس والسيخ والبوذيين(٨٧). وكانت تشمل حتى وقت تقسيمها على ثلاثة مناطق هي : جمو وكشمير ومناطق الحدود.

---

(٨٥) نفسه ص٣٧.

(٨٦) نفسه ص٣٨.

(٨٧) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد ٦٠٦.

وهي بلاد جبلية فيها سهلان ، أو واديان ، هما وادي جمو ووادي كشمير ، طيبة المناخ كثيرة الأنهار والغابات ، وأنهارها الكبيرة هي السند وجليم وجناب ، وهي الأنهار التي تنساب إلى باكستان وترويها ، وهي أجمل بلاد العالم من حيث مناظرها الطبيعية ، ومناخها البارد وتغمر بعض مناطقها الثلوج شهورا طويلة من السنة ، وفواكهها وخضارها كثيرة. وأخشابها تمثل ثروة طبيعية هامة ، وتربى في مراعيها أعداد كبيرة من الماعز الكشميري المشهور بصوفه الكشميري الثمين.

وتم اكتشاف الياقوت فيها عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. عدا معادنها الثمينة الأخرى(٨٨). وأطلق عليها في الأزمنة القديمة: «جنة الله في الأرض».

فهي في موقع جغرافي حساس من وجهة النظر الإستراتيجية ، ذلك لأنها تضم الممرات والثغرات في المرتفعات الشاهقة الوعرة ، وأنها تحكم التحركات على الطرق ومحاور الاتجاهات بين أرض الهند وشبه القارة بصفة عامة وبين أرض التبت من وراء الجبال شمالا ، وكأنها بذلك أحد الأبواب التي تقيم الصلة بين الهند وآسيا.

وصول الإسلام إلى كشمير :

وصلها الإسلام مبكرا في أواخر القرن الأول الهجري. وفتحها هشام بن عمرو التغلبي والي السند في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)(٨٩). وزاد انتشار الإسلام في عهد المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ. وتمكن فيها في مستهل القرن الرابع عشر الميلادي ، عندما وصلها داعية اسمه بلبل أمكنه أن يقنع أحد حكامها باعتناق الإسلام فسمى نفسه شمس الدين ، فكان أول حاكم مسلم لكشمير. وبدأ به حكم أسرة شاه مرزا التي حكمت كشمير بالعدل إلى أن ضمها جلال الدين أكبر شاه عام ٩٩٥هـ إلى دولة المغول الإسلامية بالهند.

واستفحل الإسلام على يد الداعية سيد علي الهمذاني الذي وصلها حوالي عام ٧٢٩هـ/١٣٨٨م من فارس. وصحبه في هجرته تلك أكثر من ٧٠٠ داعية مسلم. وأصبحت جزءا من الدولة الإسلامية الهندية منذ عام (٧٤٠هـ/١٣٩٩م)(٩٠). وقامت بدورها في نشر الإسلام ، وحمله إلى التبت على يد تجارها ، وقد وصل الإسلام التبت أيضا عن طريق يونان.

---

(٨٨) مجلة المجتمع الكويتية - العدد ٦٠٦ ص٣٢.

(٨٩) حسن إبراهيم - تاريخ الإسلام ج٢ص٢٥١.

(٩٠) مسعود الندوي - الدعوة الإسلامية ص٣٢٩.

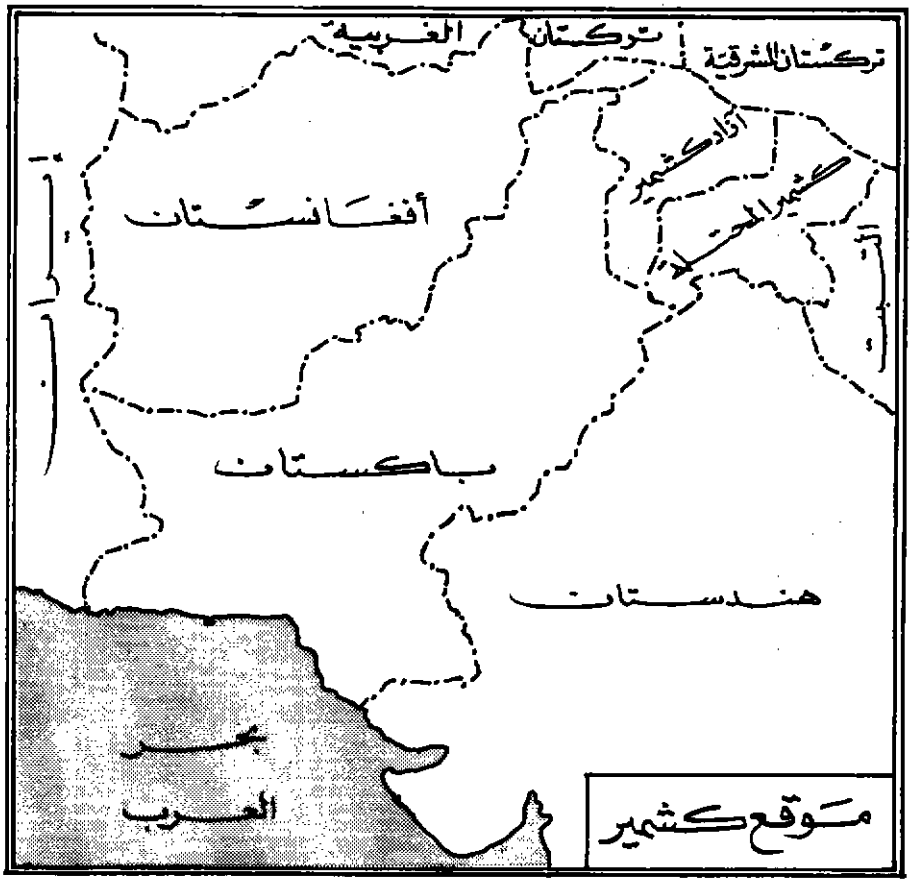

ولما ضعفت دولة الهند الإسلامية إستطاع أن يسيطر السيخ على كشمير بزعامة المهراجا (رانجيت سنك) عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م.

وهزم الانجليز السيخ عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م وأبقوا عميلهم (كولاب سنغ الهندوكي) من أسرة (دوجرا) أميرا على كشمير المسلمة مقابل ٧٥ مليون روبية ثمنا لولايته ، دفعها للحاكم البريطاني لمدة مائة عام. كما تقرر في معاهدة أمريستار عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م ، على أن يعترف بالسيادة البريطانية عليه مثلما حدث

في سائر الإمارات(٩١). فبدأت مأساة كشمير ، وبدأ الظلم يعم أهلها ، فعلى الرغم من خيراتها الكثيرة وإمكاناتها الواسعة أصبحت في أسوأ حال بسبب طغيان كلاب سنغ وخلفائه من أسرة دوجرا.

حال المسلمين في ظل حكم أسرة (دوجرا) الهندوكية :

كان حكم كلاب سنغ مضرب المثل في الضرائب التعسفية والقوانين الجائرة وسوء معاملة الرعية.

وكان عبء هذه الضرائب يقع بصفة مباشرة وغير مباشرة على المسلمين ، بصفتهم أغلبية السكان ، بل كان الحاكم يفرض على المسلمين ضرائب خاصة ، كالضرائب التي فرضها على الأضحية التي يضحي بها المسلمون في عيد الأضحى.

وكان يسمح لغير المسلمين بحمل الأسلحة بغير ترخيص ، أما المسلمون فلا يحملونها إلا بتصريح يحصلون عليه بشق الأنفس. وكان ذبح البقر ممنوعا في الإمارة.

وإذا اعتنق الهندوسي الإسلام يفقد كل حقوقه في الميراث ، بينما إذا ارتد المسلم عن دينه تترك له كل أملاكه ، وكانت نسبة غير المسلمين في الوظائف تصل إلى ٨٠٪ ، وأما الجيش فكان ٨٥٪ من غير المسلمين. وكانوا يستوردون الجنود من خارج الولاية ، لأن غير المسلمين في الولاية لايسدون العدد الكافي. في حين كان يضطر المسلمون إلى الإنضمام للجيش الهندي البريطاني.

وكان اسم المسلم مرادفا لإسمي الحطاب أو السقاء ، ويعهد إليه بكل نوع من الأعمال الحقيرة القذرة ، في حين كان الهندوكي محترما في أنظار المجتمع ، ومنعت صلات المسلمين بالخارج. وفتحت لهم السجون(٩٢).

المقاومة الإسلامية لسياسة السيخ والهنادكة : يعتبر الشاعر الدكتور محمد إقبال أحد أبناء كشمير ، وكان لفلسفته دور كبير في بعث روح الإيمان والجهاد لدى المسلمين في كشمير ، فدارت أول معركة بين المسلمين والهندوس في **١٩٣١/٧/١٣م** في مدينة سرينكر سقط فيها آلاف المسلمين بين قتيل وجريح(٩٣). بمساعدة المستعمر الإنجليزي الذي بقي يؤازر هذه الأسرة(٩٤).

---

(٩١) البلدان الإسلامية ص٢٦١. انظر : أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٥ / وذكر أن المبلغ ٧,٥ مليون (فانك شاهي) وهي العملة الرائجة حينذاك ، وتساوي مليون دولار.

(٩٢) أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٧.

(٩٣) انظر مأساة كشمير لإحسان حقي. (٩٤) المودودي ـ قضية كشمير ص٨.

ونظرا لهذه المظالم بدأ المسلمون يعملون على ايجاد تنظيم لهم يطالب بحقوقهم فكان : **المؤتمر الإسلامي** لعموم جمو وكشمير بزعامة الشيخ محمد عبد الله ـ الملقب بأسد كشمير ـ وتشودري غلام عباس. وعقد دورته الأولى عام **١٩٣٢م** برئاسة الشيخ محمد عبد الله ، وبرزت مطالب المسلمين في إيجاد هيئة تشريعية شعبية لهم تنظر في مصالح الناس ... فاضطر المهراجا أن يوافق على تكوين الجمعية التشريعية ، على أن تكون مجرد هيئة استشارية ، وأفرج عن المعتقلين وفيهم تشودري غلام عباس رئيس المؤتمر منذ **١٩٣٤م**. واستمر نفوذ المؤتمر في ازدياد حتى أحرز عام **١٩٣٨م ٢٠** مقعدا من **٢١** واتخذ موقف النقد للحكومة لإهمالها مصالح الرعية.

وفي عام **١٣٥٨هـ/١٩٣٩م** تألفت هيئة جديدة سميت : **حزب المؤتمر الوطني** ، وانضم إليه بعض الزعماء المسلمين ، ومنهم الشيخ محمد عبد الله، الذي كان من قبل أحد زعماء المؤتمر الإسلامي ، واتخذ هذا الحزب شعارا : خدمة مصالح الشعب ، وبالتالي خدمة المسلمين.

ووجدت الرابطة الإسلامية لعموم الهند صدى لها في كشمير ، واستقبل المسلمون فيها دعوة جناح بإنشاء دولة باكستان بحماس وترحيب.

وفي عام **١٣٦٤هـ/١٩٤٤م** وجه حزب المؤتمر الوطني ، وحزب المؤتمر الإسلامي، دعوة للسيد محمد علي جناح، رئيس الرابطة الإسلامية، لزيارة كشمير ، حيث قوبل بحماس بالغ ، وظهر التقارب بينه وبين حزب المؤتمر الإسلامي. فأقلق هذا زعماء حزب المؤتمر الهندي والمهراجا. وأضعف مركزالشيخ محمد عبد الله أمام الأغلبية المسلمة. فتقرب المهراجا من الشيخ واختاره وزيرا ، ففقد هو وحزبه مابقي لهما في نفوس المسلمين الكشميريين من ثقة واحترام ، ولعل هذا مادفع الشيخ محمد عبد الله للقيام بحركته عام **١٣٦٦هـ/١٩٤٦م** ضد المهراجا ، وطالبه بترك كشمير لشعبها يحكمها ويتولى أمرها. وعرفت حركته باسم : (حركة انزحوا عن كشمير) ، على غرار حركة حزب المؤتمر الهندي ضد بريطانيا : (انزحوا عن الهند) ، فاعتقله المهراجا ، وحكم عليه بالسجن تسع سنين. وحاول نهرو التدخل فمنعه المهراجا هري سنغ من دخول سرينكر فاضطر للرجوع.

ولكن بعد أن أعلن تقسيم الهند عام **١٣٦٧هـ/١٩٤٧م** أخرجه من السجن بناء على طلب نهرو ، وعينه رئيسا للجنة الطواريء في الولاية. وأعلن رفضه الإستقلال على أساس إسلامي ، وأنه يفضل الشكل الوطني القومي ، فحملت

جماعته اسم (المؤتمر القومي لجامو وكشمير). بينما ظل زعماء حزب المؤتمر الإسلامي وعلى رأسهم تشودري غلام عباس في السجن. وأعلنوا تمسكهم بمباديء الإسلام ، وأن الجهاد الإسلامي هو الطريق للاستقلال بلا مهادنة ولا مساومة. فاتفق الشيخ والمهراجا ونهرو على مناهضة فكرة ضم كشمير لباكستان. وزار المهاتما غاندي كشمير ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م لعقد الصفقة مع المهراجا.

أما المؤتمر الإسلامي فقد عقد مؤتمرا عام ١٣٦٧هـ في سرينكر ، عاصمة كشمير ، واتخذ قرارا أعرب فيه عن ارتياحه وسروره لقيام دولة باكستان ، وأعلن أنه من المحتم وجوب انضمام الولاية (جمو وكشمير) إلى باكستان. كما احتفل المسلمون بيوم باكستان ١٤ أغسطس ، ورفعوا الأعلام الباكستانية معبرين بذلك عن رغبتهم في الإنضمام لها.

ولجأ الأمير هري سنغ الذي تواطأ مع الهند ، حقدا على المسلمين وخوفا منهم ، إلى الحيلة فأخذ يؤجل قراره الحاسم من يوم إلى آخر فحل يوم ١٥ أغسطس ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م وهو آخر يوم محدد لتقرير المصير ، دون أن يحدد موقفه ، ولما أراد المسلمون الإحتفال بيوم باكستان أمر بتمزيق الأعلام التي رفعوها ، وأغلق جميع الصحف الموالية لباكستان. وتابع سياسة العسف والشدة ، وإن ارتبط مع الباكستان في اليوم نفسه بميثاق ، انتقلت بمقتضاه إلى باكستان الواجبات والمسؤوليات التي كانت تضطلع بها حكومة الهند البريطانية(٩٥) ، قبل التقسيم في الولاية ، فيما يتعلق بالمواصلات والبريد والبرق. كما تظاهر بأنه يريد أن يقف موقف المحايد بين الهند وباكستان ، ولكنه في حقيقة الأمر كان لا يرغب إطلاقا في أن يعلن إنضمام الولاية لباكستان ، وأخذ في تقوية الحاميات العسكرية المكونة من السيخ والهندوس في المناطق الإسلامية، وأصدر أمرا في أواخر شهر يوليو ١٩٤٧م يقضي بأن يسلم المسلمون أسلحتهم للبوليس. فانفجر المسلمون بثورة في منطقة بونج بقيادة السردار محمد إبراهيم خان ، فأصدر المهراجا الأمر بالقبض عليه ، فتمكن من الهرب إلى باكستان ، وفي مدينة موري وضع أساس حركة تحرير البلاد ، وهي الحركة التي تمخضت بعد ذلك عن مولد (آزاد كشمير) أو كشمير الحرة.

واستمر المهراجا في سياسة القمع والشدة ضد المسلمين ، حتى أنه بدأ القضاء عليهم بالجملة ، فاحتجت باكستان ، وتبودلت عدة برقيات شديدة اللهجة ،

(٩٥) المودودي ـ قضية كشمير ص١٦.

وفي الوقت نفسه إستمرت الإبادة الجماعية للمسلمين على يد الجند الهنادكة والسيخ ، فأبيد ٢٣٧٠٠٠ مسلم على بكرة أبيهم ، وفر أكثر من مليون إلى باكستان(٩٦). فهب رجال قبائل الحدود الشمالية لنصرة إخوانهم ، واستطاعوا هزيمة الأمير وقواته ، حيث كونوا حكومة آزاد كشمير عام ١٩٤٨م ، وفر الأمير من العاصمة سيرينكر إلى مقاطعة جمو، ومن هناك كتب إلى الهند يطلب منها النجدة ، وإرسال جيش لصد الزاحفين ، وإخماد ثورة الشعب ، وأعلن في هذا الكتاب انضمامه للهند. فقبلت الهند بالطبع إنضمامه ، وأرسلت القوات الهندية بالطائرات في اليوم نفسه ، وتوالت الإمدادات ، ونجحت القوات في إسكات الشعب ، وصد الزاحفين وتثبيت حكم المهراجا ، وماكادت تنقضي بضعة شهور على هذه الغارة الوحشية ، حتى كانت القوات الهندوكية قد اقتربت من حدود باكستان ، التي أرسلت بقواتها إلى آزاد كشمير ، وهكذا ظهرت مشكلة كشمير(٩٧).

وأمام الحاح الرأي العام الباكستاني ، في دخول القوات النظامية المسلحة حدود كشمير ، لم يسع جناح ولياقت علي خان إلا الاقتراح على الهند إيقاف القتال ، بضغط من (الفيلد مارشال كلود أو كنلك) وإصدار بلاغ مشترك من الحاكمين العامين للحكومتين ، بإجراء إستفتاء تحت تصرف الحكومتين. ولكن حكومة الهند رأت أن كشمير أصبحت جزءا لا يتجزأ من بلادها ، فإذا أجري استفتاء فالهند هي التي تقوم به ، وتقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن ، تشكو من تشجيع الباكستان رجال القبائل لإثارة الفوضى في بلادها. وأرسل مجلس الأمن لجنة عرفت باسم لجنة الأمم المتحدة لهندوستان وباكستان ، وأصدرت اللجنة قرارين عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م و١٣٦٩هـ/١٩٤٩م ينصان على ثلاث مواد(٩٨) :

١- وقف القتال وتعيين خط له.

٢- تجريد الإمارة من السلاح.

٣- إجراء إستفتاء حر محايد تحت إشراف هيئة الأمم لتقرير مصير الإمارة وانضمامها إلى الهند أو باكستان.

وعلى هذا الأساس توقف القتال في ١٩٤٩/١/١م ، وتعين خط وقف إطلاق

---

(٩٦) انظر أبو الأعلى المودودي - قضية كشمير ص١٨.

(٩٧) نفسه ص٢٠-٢٢.

(٩٨) حقي - مأساة كشمير المسلمة ص١٢٤.

النار في ١٩٤٩/٧/٢٧م. ولم تحل المشكلة ، لأن الهند لاتريد التخلي عن كشمير مهما تكن رغبات أهلها. وتوالى المندوبون من قبل مجلس الأمن دونما فائدة. واتخذت الهند من الشيخ محمد عبد الله حجة ، وعينته رئيسا لوزارة كشمير. ولما وافق على الإستفتاء عزلته ووضعته في السجن عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ، وعينت مكانه بخشي غلام محمد ، الذي أخذ يعمل مع دهلي في تقويض استقلال كشمير ، فأعلن نهرو ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م إلغاء اتفاقية الإستفتاء ، وأعلن بالنيابة عن أهالي كشمير انضمام الولاية إلى الهند ، على أساس سياسة الأمر الواقع التي تتغلب على الكلام والنظريات والحقوق. وهي السياسة التي آثرت الهند انتهاجها من أول الأمر تماما كسياسة اليهود في فلسطين.

وبلغ الأمر في مندوب الهند (المستر كريشنا مينون) عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م في مجلس الأمن ، وفي خطبته الرسمية في المجلس ، أن أشار إلى مصير المسلمين في الهند ومايمكن أن يتعرضوا له من الشعب الهندوسي ، لوضمت كشمير لباكستان. وكان هذا الكلام يحمل تهديدا أو تلويحا بالتهديد ـ أمام أكبر هيئة دولية في العالم ـ لمصير المسلمين في الهند وهو أنهم معرضون لحملة انتقام بشعة من الهندوس والسيخ لو اتخذ مجلس الأمن قرارا بضم كشمير لباكستان.

أخرج الشيخ محمد عبد الله من السجن عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ولم يلبث طويلا حتى أعيد إلى السجن لمطالبته بالإستفتاء. وخرج معه صحبه عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م وذهب في رحلة مع زميله أفضل بيك إلى المغرب عام ١٩٦٥م ، يشرحان القضية ، فلما عادا قبضت عليهما الحكومة الهندية وأودعتهما السجن ، وأوعزت إلى حكومة كشمير بإلقاء القبض على زعماء جبهة الإستفتاء ، فقبضت على مئات منهم وألقتهم في السجون(٩٩). وقبضت هندوستان على ناصية الحكم في كشمير ، ومدت سلطانها إلى كل ناحية ، فأنزلت العلم الكشميري ، ورفعت مكانه العلم الهندي على بناية المجلس النيابي في سرينكر ، وغيرت ألقاب بعض كبار الموظفين ، وصرح الوزير الهندي (ناندا) عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م :

« لقد ضمت كشمير نهائيا وبلا رجعة إلى هندوستان وأصبحت جزءا منها وقال : أنه لم يعد أي معنى لتقرير المصير »(١٠٠) بتأييد من الدول الكبرى ،

(٩٩) حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص١٦٩.

(١٠٠) حقي ـ مأساة كشمير المسلمة ص١٧٠-١٧١.

بل أن روسيا استعملت حقها في الفيتو ضد قضية كشمير عام **١٩٦٤م**(١٠١).

وعقب على هذا القول كل من شاستري رئيس وزراء هندستان ، وشافان وزير الدفاع قائلين مثل قوله ، وهددا كل من يصر على غير هذا القول ، بل وطالبا بضم آزاد كشمير إلى الهند.

بعد حملة الإعتقالات(١٠٢) **١٩٦٥م** ، أضربت البلاد احتجاجا على تصرفات الحكومة الهندية ، وقامت مظاهرات تطالب بالإفراج عن المعتقلين ، واشتبكت القوات الهندية بالمتظاهرين ، وقتلوا الكثير من الأهالي ، وألقوا جثثهم في نهر جيلم لكي لايعرف عدد القتلى. وفرضت رقابة شديدة على الأنباء. وانقلب العصيان هذا إلى ثورة ، وأنشئت لجنة باسم اللجنة الثورية ، وأعلنت بطلان جميع الإتفاقيات التي عقدتها حكومة الهند مع حكومة كشمير العميلة. وأعلنت الحرب على الهند لتحرير كشمير ، واستنجدت بجميع الحكومات والشعوب المحبة للسلام ليمدوا إليها أيدي المساعدة. فشنت الهند حرب إبادة في كشمير ، وباغتت باكستان بهجوم سريع عام **١٩٦٥م** لتعزل كشمير. فعقد مجلس الأمن جلسة طارئة ، وطلب من الفريقين الكف عن القتال ، ووعد باتخاذ مايمكن اتخاذه من إجراءات لتسوية المشاكل السياسية التي ينطوي عليها النزاع ، من غير أن يذكر القضية الكشميرية (سبب النزاع) ، وهذا محاولة من أمريكا وروسيا تجميد القضية(١٠٣). وأعقب ذلك إتفاقية طشقند عام **١٩٦٦م** ، وبقيت كشمير المسلمة تعاني تحت الحكم الهندوسي ، ولكن أصبح لها بعض الامتيازات الخاصة في الدستور الهندي ، فقامت الحكومة المركزية في الآونة الأخيرة بتدبير مؤامرة لتغيير الحكومة المحلية بصورة تتفق مع مصالحها بالمنطقة وهذا أمر خطير سيء على رأي الشيخ سيد عبد الله البخاري(١٠٤) الكشميري.

أما كشمير الحرة (آزاد كشمير) ـ فتصل مساحتها إلى ٤٠٪ فقط من مساحة كشمير الكلية ، وعاصمتها مظفر آباد في الشمال الغربي من كشمير ، وأصبحت تمثل مسلمي كشمير لها جيشها وحكومتها المحلية ماعدا أربع وزارات تتبع الحكومة الباكستانية إداريا وهي : الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات.

---

(١٠١) المودودي ـ قضية كشمير ص٤٠.

(١٠٢) انظر التفاصيل ـ المودودي ـ قضية كشمير ص٥٢ـ٥٥.

(١٠٣) أبو الأعلى المودودي ـ قضية كشمير ص٦٦.

(١٠٤) المجتمع الكويتية العدد ٦٨٩ ص٣٣.

وبالرغم من كل المؤامرات التي حيكت ضد الحركة الإسلامية فيها ، إلا أن الشيخ غلام عباس ومن معه ، استطاعوا أن يصمدوا أمام تلك المحاولات ، وفي عام **١٩٦٧م** توفي الشيخ غلام ، فانتخب الشيخ سردار عبد القيوم رئيسا للحركة الإسلامية في كشمير. حيث فاز في أول انتخابات في تاريخ كشمير الحرة سنة **١٩٧٠م** فأصبح أول رئيس لكشمير الحرة.

وفي عام **١٩٧١م** حكم باكستان ذو الفقار علي بوتو بفكره الإشتراكي ، فلم يواجه السردار عبد القيوم مباشرة ، وعقد مؤتمر إسلامي برئاسة السردار كان من نتائجه :

١- إصدار فتوى بتكفير جماعة القاديانيين.

٢- تطبيق الحدود في شارب الخمر والزاني والسارق. وكذلك تطبيق قوانين الزكاة.

٣- كرم الشيخ عبد القيوم علماء المسلمين في كشمير ، فجعلهم القضاة في المحاكم والمفتين في القضايا الإسلامية ، ومنحهم صلاحيات كبيرة ، وأنشئت المدارس والمعاهد والمكتبات الإسلامية والمساجد وتوفرت الكتب الإسلامية.

٤- أصبحت العطلة الأسبوعية الجمعة بعد أن كانت الأحد ، وأصبح يوم الخميس يوما لتدريس القرآن الكريم.

٥- أصبحت هناك محطتان للإذاعة تبث البرامج الإسلامية بصورة مركزة.

وبعد ذلك بدأت المواجهة بين الشيخ عبد القيوم وعلي بوتو ، فاعتقل الشيخ وألقي في السجن ، وبقي في سجنه إلى أن أفرج عنه بعد أن أطيح بعلي بوتو بعد سنتين من اعتقاله ، فعادت الحركة الإسلامية تعمل لإعادة الحياة إلى سابق عهدها في آزاد كشمير(١٠٥).

ويتوفر في آزاد كشمير التعليم المجاني للمرحلة الجامعية بعكس كشمير المحتلة ، وتوجد فيها جامعة كبيرة وضخمة مركزها الرئيسي مظفر آباد عاصمتها ، وتدرس اللغة العربية كمادة أساسية في جميع المراحل الدراسية من الإبتدائية إلى الجامعة. وهناك إقبال شديد لفهم اللغة العربية بين شباب كشمير.

ذيول التقسيم :

نشأت باكستان في ظروف صعبة ، يكفي أن نتصور قيام دولة جديدة بكل أجهزتها الضرورية في ظرف سريع ، فقد كانت دهلي هي العاصمة قبل التقسيم

(١٠٥) المجتمع الكويتية العدد ٦٠٦ ص٣٣.

، والمدن الكبرى كلها تقريبا كانت من نصيب الهند ، و لم تكن كراتشي في عداد هذه المدن مثل بومبي أو كلكتا ـ وقد انتقل الجهاز الحكومي إليها ليواجه مصاعب الدولة الجديدة وضرورياتها. وفي الوقت نفسه جابهت هذه الدولة الجديدة الناشئة ظروف تدفق اللاجئين الذين بلغوا نحو سبعة ملايين ومايحتاجه هذا العدد من توفير الإقامة له وحل مشاكله.

وقد رسمت الحدود دون اعتبارات إقتصادية ، فالأراضي والمدن التي كانت من نصيب الباكستان لم يكن لها من الثروة المعدنية ولا من المراكز الصناعية مثل ماكان للهند ، بل كانت شبه خالية تقريبا من ذلك ، وهذا من أساليب الإنجليز الذين أهملوا المناطق الإسلامية ، وركزوا الجامعات والمكتبات وعمليات إنشاء الطرق وكل مظاهر العمران الهامة في المناطق التي تسكنها أغلبية هندوكية ، وهذا ما لاحظه نهرو ، ولعله أهم أسباب موافقة نهرو على التقسيم ، على أمل أن لا تحيا باكستان ، وتكون الهندوكية قد تخلصت من المسلمين ، ولعل هذا ماقصده الإنجليز حين خططوا خطوط الحدود ... فقد قال نهرو :

« وإذا رسم التقسيم بحيث يفصل مابين المقاطعات التي تقطنها أكثرية هندوسية ، أو أكثرية إسلامية ، فعندئذ تشتمل المقاطعات الأولى (الهندوسية) على الجزء الأعظم من الثروة المعدنية والمناطق الصناعية ، وهكذا فإن المقاطعات الهندوسية لن تعاني كثيرا من وجهة النظر هذه ».

ومن الناحية الثانية فإن المقاطعات الإسلامية سوف تكون متخلفة اقتصاديا وعاجزة ماليا في أكثر الأحيان ، مقاطعات لن تستطيع الحياة بغير مقدار كبير من المساعدات الخارجية(١٠٦) وعلى ذلك فستضطر أن ترمي بنفسها في أحضان المستعمر.

وفي الوقت نفسه بقيت للهند الرقعة الواسعة ، وبقيت لها دواوين الحكومة المجهزة ، ووسائل مواصلاتها ، وجيشها بجميع أسلحته ، وموانيها ومطاراتها وكل مقومات الدولة. وأهم من ذلك كله بقيت الحياة تسير كما هي بنظامها المعهود وقوانينها المعروفة ، فاستأنفت الحياة دون شعور كبير بنقص أو حاجة.

والباكستان كما ذكرنا منطقتان متباعدتان فهذا الوضع هو أحد الأوضاع الشاذة والصعبة في تكوين الدولة الجديدة ، وسير حياتها ، فهو وضع يتخلف عنه متاعب عديدة للدولة ، من حيث الحكم والدفاع والإقتصاد والإتصال المباشر بين سكان

(١٠٦) عبد المنعم النمر ص٣٤٠.

الدولة الواحدة.

ويشكل الجزءان في الواقع دولتين منفصلتين عملا وزمنا وفكرا لا يربطهما إلا الإسلام ، وهو أقوى الروابط لقيام الأمة ، وقد قامت الدولة الجديدة على أساسه لتجابه تعصبا دينيا آخر ، وفي هذا المجال اعتمدت باكستان الغربية على الروح الإسلامي لتوطيد الصلة بين الشطرين دون أن تلجأ إلى تدعيمها بالدعاية والجهد أو تكافح أعداءها.

لقد كان ينتظر المسلمون أن يعيشوا في ظل دولة إسلامية تحافظ على تنفيذ أحكام الإسلام بحذافيرها ، ولكن الأمور جرت على غير مايحبونه ، إذ بينما كانوا ينتظرون دولة إسلامية تصان فيها الأخلاق وتمنع المنكرات ويرتفع فيها اسم الإسلام عاليا دون سواه ، وإذ بهم يرون أنفسهم و لم يتغير عليهم شيء ، إلا الأسماء في الوقت الذي أخذت فيه الأيدي الغربية تمتد إلى البلاد والمؤامرات تحاك. فالقائمون على الحكم مسلمون أو كانوا مسلمين وماكانوا يعرفون عن الإسلام إلا شيئا يسيرا ، وكانوا سياسيين ومثقفين ثقافة عصرية ، فأقاموا باكستان على أساس القومية الإسلامية(١٠٧) وليس على أساس الحكم الإسلامي.

كان الإستعمار الإنجليزي قد عمل أثناء حكمه على إحياء لغات محلية لتكون لغات قومية ، كما شجع لغته لتكون اللغة الرسمية للهند ، فأحيا اللغة السنسكريتية والبنغالية إلى جانب الأوردية على حساب الفارسية والعربية.

فكان للبنغال لغة إقليمية لها آدابها وصحفها ومجلاتها ، وبالتالي فقد كانت في غنى عن الصحف الأوردية ، وهكذا فإن تبادل المعلومات والآراء بين الشطرين كان وقفا على رجال الحكومة دون الشعب ، إلا طبقة معينة من القوم لها ثقافة خاصة وحريصة على دوام الصلة بين الشطرين.

وعندما قبل البنغاليون التخلي للأوردية لتكون لغة الدولة الرسمية ، كان ذلك لكي يقيموا دولة إسلامية ، فإذا بالباكستان كغيرها من الدول وليس الإسلام هو العنصر المميز لها ، وبمعنى آخر فقدت مقوماتها الأصليةالتي قامت على أساسها ، ولجأت إلى الغرب كغيرها تستمد منه دستور حياتها ، فأضاعت رأسمالها ، و لم تحصل على شيء أفضل - ومادامت القضية أصبحت قومية وليست فكرية دينية

---

(١٠٧) المجتمع الكويتية في حديث مع الشيخ خليل الحامدي أحد قادة الجماعة الإسلامية ورئيس دار العروبة في باكستان - ص٣٩ - العدد ٧٢٠ السنة ١٥ الثلاثاء ٨ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ/٢٩ يناير ١٩٨٥م.

فليس هناك مايبرر بقاء الجزئين.

أنظر قول محمد علي جناح عام **١٣٦٧هـ/١٩٤٧م** أمام المجلس التشريعي مخاطبا أبناء قومه : « إنكم سوف ترون مع مرور الزمن بأن الهنادكة لن يكونوا هنادكة ، والمسلمين لن يكونوا مسلمين ، ولست أقصد بذلك الناحية الدينية ، لأن العقيدة شيء شخصي ، وإنما أقصد القومية ، وأعني بذلك أن باكستان لن تكون دولة دينية يتولى أمورها علماء دين مهمتهم دينية ، بل ستكون دولة باكستانية يتولى أمورها باكستانيون ، وعندنا كثير من غير المسلمين وكلهم باكستانيون ».

بل ذهب زعماء المسلمين إلى أبعد من ذلك فتنازل حزب الجامعة الشعبية الإسلامية في البنغال عن كلمة إسلامية ، وأصبح الحزب يسمى حزب الجامعة الشعبية فقط إرضاء للهنادكة(١٠٨).

فانهارت بذلك أحلام المسلمين في الهند بعد أن تحركوا ونزحوا إلى باكستان في تحرك يشدهم بريق الفكرة الإسلامية التي طغت على كل شيء ، ولعلها كانت مدعاة لدعوة تحاول بها تكوين وتجسيد فعلي لدولة إسلامية أكبر ، تضم شمل العالم الإسلامي. وبقيت معاناة المسلمين في الهند ومأساتهم في كشمير. واستمرت الهند تقلق حكومة باكستان تمثلت في حروب شنتها عليها عام **١٩٤٨م** وعام **١٩٦٥م** وأخيرا عام **١٩٧١م**.

وفي الوقت نفسه عمدت الهندوكية إلي أساليب مختلفة لفصل باكستان الشرقية عن الغربية.

ولتنفيذه استعان الهنادكة بالحزب الشيوعي ، وبحزب عوامي اليساري ، برئاسة الشيخ مجيب الرحمن. واغتنمت ظروف البلاد وعوامل الإنفصال المتوتر فقامت بغزو البنغال عام **١٩٧١م** وانتهت الحرب بانفصال بنغلاديش عن باكستان ثم اعلان جمهورية بنغلاديش(١٠٩) التي تعرضت لانقلابات عسكرية متعددة.

---

(١٠٨) د. إحسان حقي - باكستان بين ماضيها وحاضرها ص٢١٨.

(١٠٩) انظر حقي - باكستان بين ماضيها وحاضرها ص٢٦١ ومابعد.

وضع المسلمين في الهندستان من عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٨م :

إستمرت الأحزاب الهندوكية المتعصبة والمنظمات الإرهابية توالي اعتداءاتها على المسلمين في داخل الهند الذين يزيد عددهم على مائة مليون نسمة(١١٠) ، وقد نظمت هذه الأحزاب والمنظمات نفسها تنظيما عسكريا ، ودربت الهنادكة على استعمال السلاح الناري ، والسلاح الأبيض ، بهدف إبادة المسلمين أوترحيلهم. فأخذت تشن غاراتها على المسلمين مستغلة الأعياد الهندوكية في إثارة الإضطرابات الطائفية(١١١). ومستغلة بعض المسلمين الذين خلعوا الإسلام من رقابهم للسخرية بالمسلمين كمهر النساء وحميد دلوائي(١١٢).

وقد بلغت غارات المنظمات المتطرفة على المسلمين مابين عامي ١٩٤٨و١٩٧٠م بموجب الإحصاءات الرسمية وكما جاءت في الصحف الهندوكية ذاتها ٥٩٢ غارة(١١٣). كما شهدت مناطق المسلمين حتى سنة ١٩٨٥م ٢٠ ألف حادث دموي منذ الاستقلال حسب الإحصاءات الرسمية ، بينما تشير الإحصاءات غير الرسمية إلى أكثر من ذلك بكثير ، يتعرض فيها المسلمون للقتل والإعتقالات والنهب وهتك الأعراض بصورها البشعة على أيدي رجال الشرطة الحكومية الهندية ، في حين تصورها الصحف بأنها اضطرابات طائفية(١١٤). ومن هذه الإعتداءات مجزرة أحمد آباد التي نظمها حزب جان سنغ عام ١٩٧٠م ، والتي ذهب ضحيتها ١٥ ألف مسلم ،باعتراف أنديرا غاندي نفسها ، والتي ارتكب فيها الهنادكة أفظع عملية لاإنسانية إذ قبضوا في جملة مافعلوا على ٣٠٠ إمرأة مسلمة وحرقوهن بالنار وهن أحياء(١١٥). ومنها مذبحة آسام الشهيرة وقد بلغ عدد القتلى المسلمين فيها ٥٠ ألف نسمة على أيدي الهنادكة من أعضاء الحكومة المركزية(١١٦). ووقع ٥١٠ حوادث شغب في الفترة

(١١٠) نشرة معهد الأقليات - ربيع الأول ١٤٠٠هـ. ويصل عددهم إلى حوالي ١٥٠ مليون نسمة عام ١٤٠٩ هـ.

(١١١) الدعوة العدد ١٧ ، ١٥ محرم ١٤٠٦هـ ١/١٠/١٩٨٥م دلهي- الهند.

(١١٢) الدعوة العدد ١٦ ، ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٥ سبتمبر ١٩٨٥م - دلهي - الهند.

(١١٣) حقي - باكستان بين ماضيها وحاضرها ص١٩٠.

(١١٤) المجتمع العدد ٦٨٩ ص٣٣.

(١١٥) باكستان بين ماضيها وحاضرها ص١٩١.

(١١٦) المجتمع العدد ٦٨٩ ص٣٣.

١٣٩٧هـ-١٣٩٨هـ. فقتل فيها العديد من المسلمين(١١٧). وفي عام **١٣٩٩هـ** تعرض المسلمون إلى عمليات إبادة وتدمير بشعة وبعلم السلطات الحاكمة في مدينة جمشيد بور في ولاية بيهار(١١٨). وتستمر المذابح التي تقوم بها الشرطة الهندية ، متعاونة مع المتعصبين الهنادكة لاستئصال المسلمين ، كما حدث في مجزرة ميروت وملياتة في **١٩٨٧/٤/١٤م**(١١٩) في ولاية اترابراديش واستنكرت رابطة العالم الإسلامي ذلك ببرقية أرسلها الأمين العام إلى رئيس الوزراء راجيف غاندي. وكذلك مذبحة الله آباد.

ودأبت الحكومة على الإستيلاء على المباني والمساجد والأراضي الإسلامية الوقفية ، وتحويلها إلى ملاعب أو طرق أو مرافق حكومية أخرى ، فالحكومة تحظر على المسلمين الصلاة في بعض المساجد القديمة وتمنعهم من ترميمها وتجديدها خلال فترة معينة ، ثم تصدر أوامرها بعد ذلك بسلب تلك المساجد وهدمها وإنشاء مبان حكومية مكانها. وحتى المسجد الجامع في دلهي لم يسلم من ذلك ، فقد استولت هيئة الإسكان الحكومية على قطع أرضية حول الجامع تقدر قيمتها بخمسمائة مليون روبية بدون مقابل. كما هدمت الهيئة جميع المباني والأسواق الوقفية التي كانت تحيط بالجامع كمصدر استثماري ثابت للأنشطة التي يقوم بها الجامع.

وصدر قانون وافق عليه أعضاء البرلمان الهندي سنة **١٩٨٤م** يعطي الحكومة حق التصرف في إدارة أوقاف المسلمين. كما يعطي الحق للحكومة في ترشيح المدير العام للأوقاف الإسلامية بالهند ، والذي يعتبر رأيه نهائيا في كل مايتعلق بشئون الأوقاف ، كما رسمت خريطة لمدينة دلهي سوف تتحول بموجبها العديد من المساجد والمقابر والمباني الإسلامية إلى ملاعب وطرقات ومرافق حكومية. وهكذا فالأوقاف الإسلامية في خطر لم تشهد مثله عبر تاريخها المديد(١٢٠).

وتستخدم الحكومة الهندوسية المقررات الدراسية لتشويه مباديء الإسلام فقد ورد في الصفحتين **٢١٧-٢١٨** من الكتاب المقرر في مادة الحضارة تشويه متعمد لصورة الرسول ﷺ ، حيث يصوره هذا الكتاب المقرر في المدارس الحكومية الهنديه بأنه عليه الصلاة والسلام كان قاطع طريق ، وأنه اقتبس مفاهيم الإسلام

---

(١١٧) نشرة معهد الأقليات صفر١٣٩٨هـ.

(١١٨) نشرة معهد الأقليات ربيع الأول ١٤٠٠هـ.

(١١٩) جريدة الداعي ١٣- ١٤٠٧/١٠/٢٨هـ.

(١٢٠) المجتمع - العدد ٦٨٩ ص٣٣ ، السنة ١٥ الثلاثاء ٦ صفر ١٤٠٥هـ /٣٠أكتوبر ١٩٨٤م.

من اليهودية ، وهذه صورة واحدة فقط من بين مئات الصور البشعة التي تصور بها تعاليم الإسلام في المقررات الهندية الحكومية. وعندما يحتج المسلمون على هذه الإتهامات لمباديء دينهم يكون جزاؤهم الإعتقالات والسجون(١٢١).

كما وأن الحكومة الهندية لاتعين في المناصب الحساسة في الدولة المسلمين بل تلجأ إلى تعيين أو ترشيح بعض المسلمين في مناصب تشريفية عالية لاتأثير لها على السلطة مثل منصب رئيس الجمهورية (الذي شغله ذاكر حسين) ، وإذا تم تعيين مسلم في منصب حساس مثل منصب وزير أو سفير فيتم اختياره من المحسوبين على الإسلام والمسلمين بحكم شهادة الميلاد فحسب ، فهم يسيئون إلى الإسلام والمسلمين أكثر من غيرهم(١٢٢).

وتعمد حكومة الهند من أجل الحد من زيادة عدد المسلمين في الهند إلى التعقيم الإجباري للرجال. كما تحاول جاهدة تغيير القوانين الإسلامية الشخصية بحجة إدخال التعديلات عليها(١٢٣) وتحاول الفئات المتعصبة إجبار المسلمين على قبول الهندوكية(١٢٤).

أما المسلمون في الهند فقد صبروا وقاوموا ماوسعتهم المقاومة ، ووقفوا يصدون تحديات التميز العنصري ، وتقاوم الجماعة الإسلامية ومؤسسها الشيخ أبو الأعلى المودودي ماوسعتها المقاومة ، واستعانت بالرابطة الإسلامية والهيئات والمنظمات الإسلامية التي طالبت حكومة الهند بوقف المذابح التي يتعرض لها المسلمون في الهند(١٢٥). وأنشأ المسلمون العديد من الجمعيات والهيئات الإسلامية التي تنتشر في أنحاء البلاد ، وتزاول أنشطة مختلفة لصالح المسلمين مثل إقامة المدارس والجامعات والهيئات الخيرية ، وإصدار الصحف والمجلات ، **والإهتمام بالتعليم من أبرز الأنشطة بالجمعيات والهيئات الإسلامية بالهند(١٢٦) :**

فتوجد المدارس السلفية في الهند ، وتنتشر في جميع المدن ، ومعظم القرى.

---

(١٢١) نفسه ص٣٣ في لقاء مع الشيخ سيد عبد الله البخاري.

(١٢٢) نفسه ص٣٢.

(١٢٣) الدعوة - دهلي - الهند العدد١٧، ١٥ محرم ١٤٠٦هـ/ والعدد ١٦ ص٨ ، ٢٩ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/١٥/٩/١٩٨٥م.

(١٢٤) المسلمون في الهند - تعريب د.محمد حبيب الله مختار - الوقف الصديق - كراتشي - باكستان.

(١٢٥) مسعود الندوي - الدعوة . ص ١٣٨-١٤٢

(١٢٦) انظر - مجلة الجامعة السلفية في بنارس (الهند) عدد خاص بالموسم الثقافي / المجلد ١٣ العدد الثاني والثالث ١٩٨١م/١٤٠١هـ / وجهوده في خدمة السنة المطهرة.

وهي مدارس في سلسلة تجديد حركة السنة ، التي بدأها الشيخ ابن تيمية ، وابن القيم ، ثم محمد بن عبد الوهاب ، والشوكاني. وتهدف إلى الرجوع إلى طريق السلف الصالح ، بالقضاء على البدع ، وتحرير المسلمين من التقليد الجامد ، ودعوة الناس إلى أصل الكتاب والسنة في الاعتقاد والأعمال ، ومن أول هذه المدارس :

١ـ المدرسة الرحيمية : التي أسسها الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ، في دهلي ، للاهتمام بعلوم الحديث والسنة المطهرة. ومن أشهر رجال هذه المدرسة ابنه الشاه عبد العزيز الدهلوي (**١١٥٩ـ١٢٣٩هـ**). وقد أصبحت هذه المدرسة أكبر جامعة في الهند.

٢ـ دار الحديث الرحمانية بدهلي : أنشئت عام **١٣٣٩هـ/١٩٢١م** وهي أكبر مؤسسة تعليمية لجماعة أهل الحديث بالهند. وقد توقفت في خضم الاشتباكات الدموية التي وقعت في دهلي وغيرها إثر استقلال الهند وتقسيمها إلى الهند وباكستان. بعد أن كانت قد خرجت كثيرا من العلماء والدعاة.

٣ـ الجامعة الأحمدية السلفية : وأنشئت أولا في مدينة (آره) ، على أيدي تلاميذ السيد نذير حسين الدهلوي ، ثم انتقلت إلى مدينة (دربهنكه) ولاتزال هذه المدرسة تمارس نشاطها. وتخرج العديد من العلماء والدعاة الذين يقومون بأعباء الدعوة والتدريس والإفتاء وخاصة في ولايتي بهار وبنكال.

٤ـ جامعة دار السلام : بعمر آباد (مدراس بجنوب الهند). وأنشئت عام **١٩٢٤م**.

٥ـ مدارس أهل الحديث : في مدينة (منو) بمديرية (أعظم كره). وهي كثيرة .

٦ـ الجامعة الرحمانية في مدينة بنارس ، وتعتبر أقوى المدارس السلفية في شمالي الهند.

٧ـ الجامعة السلفية في بنارس : وقد أسسها مشاهير علماء الحديث في مدينة بنارس الذين تخرجوا من الجامعة الرحمانية.

وتوجد : دار العلوم ـ ديوبند(١٢٧)ـ افتتحت عام **١٢٨٣هـ/١٨٦٧م**. وتصدر مجلتين هما دار العلوم بالأردية ، ودعوة الحق بالعربية.

وتوجد مدرسة مظاهر العلوم في ولاية سهارنبور(١٢٨)ـ اترابراديش ـ وأسست

---

(١٢٧) ديوبند : مدينة صغيرة من مدن شمالي الهند ، ويتمركز فيها الأحناف.

(١٢٨) سهارنبور : وهي مدينة من مدن شمالي الهند ، قريبة من ديوبند ، من مراكز الأحناف المشهورة. وفيها مدرسة لهم. وزعماء جماعة التبليغ من هذه المدينة (جهود ص٢٢١).

عام **١٢٨٣هـ**. ودار العلوم في مدينة لكنو وتتبع ندوة العلماء وتصدر العديد من المجلات مثل الرائد باللغة العربية والبعث الإسلامي بالعربية. ومدرسة الإصلاح وتتبع جمعية ندوة العلماء ، والرحمانية في مدينة مونجير بولاية بيهار ، والمدرسة العليا النظامية في مدينة لكنو. ودار العلوم الأشرقية في مدينة ناندير قرب بمباي وهي أقدم المدارس العربية ، والجامعة الحسينية في مدينة راندير ، والجامعة العربية الإسلامية في ولاية سورت. وروضة العلوم ومدينة العلوم وسلم السلام ومدرسة كيرالا في جنوب غربي الهند. وجامعة دار السلام في مدينة عمر آباد ومدرسة الباقيات الصالحات والمدرسة الجمالية في جنوب شرقي الهند ، والجامعة الإسلامية النظامية والجامعة العثمانية ـ في حيدر آباد ـ الدكن.

كما أن هناك الجامعة الإسلامية في عليكرة وهي أبرز الجامعات العصرية ، والجامعة الإسلامية الملية في دهلي ، ومعظم نفقات هذه الجامعات والمعاهد من الأوقاف وتبرعات المسلمين(١٢٩).

وهناك دور للتأليف والنشر مثل : دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن. ومنها قسم التحقيق والطبع ، والمطابع قسم عربي وقسم إنجليزي. ودار المصنفين ـ أعظم جره ـ أسسه العلامة شبلي النعماني. وندوة المصنفين في دهلي ـ أنشأتها جماعة من متخرجي دار العلوم. ومكتبة الجامعة الملية الإسلامية (دهلي الجديدة).

كما تحوي الهند مكتبات شهيرة مثل :

مكتبة رضا الشعبية ـ ولاية اترابراديش بمدينة رام بور. وفيها **١٦٠٠٠** مخطوطة بالعربية والفارسية والأوردية ، ومخطوطات باللغة السنسكريتية والهندية والتركية والبشتو والجوجرانية والتاملية ولغة تلحو.

ومكتبة خدابخش للعلوم الشرقية في مدينة بتنا بولاية بيهار. وتضم مخطوطات نادرة باللغة العربية والفارسية. ومخطوطات بالأردية والتركية ، وكتب مطبوعة(١٣٠).

العلاقات الهندية الإسرائيلية :

هناك شبه كبير بين أفكار البراهمة والفلسفة التلمودية وفكرة شعب الله المختار. وبعد ثلاثة شهور من اغتصاب اليهود لفلسطين (**١٩٤٨م**) أعلنت الهند اعترافها

---

(١٢٩) انظر ـ عبد الحليم الندوي ـ مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ـ دهلي الجديدة ـ مطبعة نوري المحدودة مدراس ١٣ (الهند). ص٥-٩٣.

(١٣٠) نفسه ص١١٠-١٣٤.

بدولة اسرائيل على أساس سياسة الأمر الواقع التي انتهجتها الدولتان. فقال نهرو في البرلمان الهندي :

« إنه من البديهي أن نعترف بواقع قائم وهو أن اسرائيل دولة قائمة ».

ونتيجة لأقواله صدر هذا البلاغ عام **١٩٥٠م** :

« لقد قررت الحكومة الهندية الإعتراف بدولة اسرائيل ». وعلق الناطق الرسمي باسم الحكومة الهندية تعقيبا على هذا البلاغ بقوله :

« إن دولة إسرائيل موجودة في الواقع منذ سنتين ومما لاشك فيه أنها خلقت لتبقى وقد عملت الهند طوال السنتين الماضيتين بتعاون قائم مع إسرائيل ».

وأنشأت إسرائيل بعد ذلك وبصورة رسمية قنصلية عامة في مدينة بمبي وقد أثبتت هذه القنصلية بعد وقت قليل من تأسيسها على أنها حصن قوي للتعاون الهندي اليهودي ، وكانت تعمل بهدوء تام لتحقيق أعظم قدر ممكن من تمتين الود والصداقة بين البلدين. في حين أن الهند تدعي بأنها مجرد قنصلية أو مركزا تجاريا.

وفي مؤتمر باندونغ اقترح جواهر لآل نهرو إشراك دولة اليهود بهذا المؤتمر ، معتمدا في تقديم اقتراحه على القول بأن اسرائيل دولة معترف بها من قبل الأمم المتحدة ، وأنها مرتبطة بعلاقات دبلوماسية مع عدد من البلاد الأفريقية والآسيوية.

ولما عرض موضوع إدراج فلسطين في المؤتمر هب نهرو غاضبا وقال : إنها لجرأة من قبل العرب أن يناقشوا القضية الفلسطينية في هذا المؤتمر الذي لم تدع إليه إسرائيل ، أو ليس وجود إسرائيل في غرب آسيا حقيقة ؟ أفلا يكفي أنها لم تدع إلى المؤتمر.

وقد وثقت الهند صلاتها بالعرب على حساب باكستان ، فقد صرحت أنديرا غاندي في خطاب لها في حفل في تونو فونتو **٢٥** نيسان **١٩٦٢م/١٣٨٢هـ** وكان أكثر حاضريه من اليهود فقالت :

« لقد أسيء فهم سياسة الهند إزاء إسرائيل فإذا كنا لم نتبادل السفراء فذلك لأننا قد رأينا أن ذلك يضر بمصالحنا ومصالح إسرائيل معا بسبب الموقف العربي ومسلمي باكستان ».

وصرح الزعيم الهندوكي كامات في البرلمان الهندي **١٧** نيسان عام **١٩٦٤م/١٣٨٤هـ** فقال : « أن سياسة الهند نحو العرب ليست منبعثة من حبنا للعرب بل من اعتبارات سياسية لخداع العرب ».

وفي مجال التعاون العسكري : عقد الجانبان الهند واليهود اتفاقية تعاون ذري

بينهما عام **١٣٨٢هـ/١٩٦٢م**. ولتسهيل التعاون العسكري عين ضابطان اسرائيليان في وزارة الدفاع الهندية ، واشترت الهند من إسرائيل كميات كبيرة من السلاح عام **١٣٨٣هـ/١٩٦٣م**. كما ذهب قائد الجيوش اليهودية المدرعة في سيناء أريل شارون إلى دهلي عام **١٣٨٧هـ/١٩٦٧م** لشراء قطع غيار للطائرات الإسرائيلية الفرنسية الصنع من نوع ميستير واورغان وقطع غيار للدبابات الفرنسية.

وفي عام **١٣٩١هـ/١٩٧١م** أمدت إسرائيل الإنفصاليين البنغاليين بكميات كبيرة من السلاح أرسلتها باسم مساعدات إلى حكومة بنغلاديش العاملة في كلكته.

وقد درب أفراد العصابات الهندية على أعمال الشغب والثورات في إسرائيل ، وخاصة عصابات حزب جان سنك الإرهابي الهندي ، وزيارة زعماء هذا الحزب إلى إسرائيل مستمرة لاتتوقف ولاتنقطع ، وفي افتتاحية لصحيفة الحزب عام **١٣٨٧هـ/١٩٦٧م** : نددت بموقف العرب من إسرائيل وقالت : لقد عرف عن إسرائيل أنها لاتطمع ببوصة من أرض العرب - بل كل ماتريده هو السلام - وأنه لمن دواعي الاشمئزاز حقا أن تمنع مصر إسرائيل من استعمال قناة السويس بحجة أنها في حالة حرب مع العرب منذ **١٣٦٨هـ/١٩٤٨م** إن هذه الحماقة يجب أن تنتهي وعلى العرب أن يقبلوا بإسرائيل كواقع راسخ وأن يتعلموا التعايش معها ». والصحافة الهندية تتحيز لاسرائيل أكثر من الإسرائيليين أنفسهم. ومازالت الهند تتعامل تجاريا مع العرب وإسرائيل على حد سواء.

وهذه إشارة إلى مايعانيه المسلمون في **بنغلاديش** :

فبعد انفصالها عن باكستان زاد تعرضها **للغزو التبشيري (التنصيري)** الذي كانت تتعرض له منذ بداية احتلال الإنجليز للبنغال عام **١٧٥٧م** بعد هزيمة النواب الأخير (سراج الدولة) في معركة (بلاسي) ، حيث توافدت البعثات التبشيرية.

وبعد انفصالها عن باكستان عام **١٩٧١م** نشطت بعثات التنصير وهناك عوامل جعلتها مهيأة لتلقي نتائج نشاط هذه البعثات ، نوجزها في(١٣١):

١- الفقر الشديد الذي عانت منه بنغلاديش ولاتزال تعاني. فقد كانت أفقر أجزاء باكستان ، وهي الآن ثاني أفقر دولة في العالم. وهذا الفقر يهيء الجو للبعثات التبشيرية.

---

(١٣١) صحيفة الرائد الهندية ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ ص٦.

٢ـ الحرب الأهلية التي عانتها بنغلاديش ، والتي جرت بين الباكستان وقوات التحرير البنغلاديشي (موكتي فوج) عام ١٩٧١م ، خلفت دمارا في الصناعة والزراعة ، وأصبحت البلاد عرضة لأعمال النهب والقتل والإختطاف ، فأدى ذلك إلى تدمير شامل في الحياة الإقتصادية.

٣ـ العلمانية : التي أقرها دستور البلاد زمن الشيخ مجيب الرحمن ، مكنت للبعثات التبشيرية في ظل حماية الدستور.

٤ـ إعتقال العلماء والدعاة ، ومنع المنظمات الإسلامية من نشاطها ، والحظر على جميع المجلات والصحف الإسلامية في عهد مجيب الرحمن إلى أن اغتيل عام ١٩٧٥م. ترك المجال مفتوحا أمام البعثات التنصيرية.

٥ـ عودة حوالي عشرة ملايين نسمة من البنغلاديشيين الذين هاجروا إلى الهند ، فعاد معهم كثير من الهندوس ، فزادت أعباء الدولة ، وساهم في زيادة فقرها.

٦ـ وجود عدة ملايين من المسلمين المهاجرين من مختلف أجزاء شبه القارة الهندية والذين كانوا هدفا لطعن بعض الأحزاب السياسية القومية ، أدى إلى مظالم وحشية عليهم بتهمة كونهم باكستانيين ، فهجر قسم منهم البلاد ، وعاش آخرون في مخيمات اللاجئين تحت إشراف منظمة الصليب الأحمر الدولية ، فأصبحوا هدفا سهلا للفقر والتنصير. وقد أعيد هؤلاء إلى باكستان أخيرا.

٧ـ لم تشهد البلاد استقرارا سياسيا منذ استقلالها ، فقد كانت مسرحا لأربعة إنقلابات عسكرية ناجحة ، وخمسة عشر انقلابا فاشلا.

وهذا أثر سلبيا على الحياة الإقتصادية ، وجعل المجال رحبا لدعاة التنصير.

٨ـ المجاعات والفيضانات التي تعرضت لها بنغلاديش : ففي عام ١٩٧٤م تعرضت لمجاعة رهيبة. وفي عام ١٩٨٨م/١٤٠٩هـ تعرضت لفيضانات مدمرة ، شردت أكثر سكانها. وهذا أتاح مجالات واسعة لنشاط البعثات التبشيرية. ومن الجدير بالذكر أن معظم أزمات بنغلاديش هذه نتجت من إقامة الهند لسد على نهر (كنكا) (الغنج) في ولاية بنغال الغربية ، ومن عمليات الهند الماكرة في شق السدود في موسم المطر والفيضانات. وهذه تسبب معاناة رهيبة هائلة لبنغلاديش.

٩ـ المساعدات الأجنبية : تشكل المصدر الرئيسي للإقتصاد ، وتستخدم لاستيراد بضائع استهلاكية ، ولاتتجه إلى التنمية ، فتزيد الفقر فقرا.

وهذا الوضع أتاح الفرصة للأنشطة التنصيرية.

١٠ـ مساعدة المنظمات الخيرية الغربية العاملة في بنغلاديش في دعم حركة

التنصير. فهناك (٢٥٠) منظمة تمارس نشاطها التنصيري تحت ستار الفعاليات الصحية والتعليمية. مستفيدة من تساهل الحكومة. فزاد بناء الكنائس.

١١- سلوك البعثات التبشيرية الطرق الملتوية لبلوغ أهدافها مستغلة جهل المسلمين وفقرهم. فقامت بترجمة المؤلفات النصرانية إلى اللغة البنغالية بشكل يوحي : أن عيسى (عليه السلام) نبي من الأنبياء وهو تابع لمحمد ﷺ. وأن النصرانية ليست دينا مستقلا بل هو مذهب مثل المذاهب الأربعة. حالها حال الحنفية والشافعية وغيرها ، والنصارى مسلمون عيسائيون. لذلك فإن اعتناق المسلمين لهذا المذهب لايخرجهم عن دينهم! وهذه طريقة انخدع بها كثير من فقراء بنغلاديش وجهلتهم.

١٢- تشجيع الحكومة البنغلاديشية لحركة التنصير بسبب تعرضها لضغوط العالم النصراني. في حين أن المنظمات الإسلامية التي تجابه التنصير قليلة ، وضعيفة ، تعتمد على التبرعات الخيرية في مواردها. وقامت جماعة الدعوة الإسلامية التي تسمى (جماعة التبليغ) بنشاط كبير لمواجهة ذلك ، كما قامت معاهد التعليم الإسلامية ورجالها بهذا الدور.ولكن الجهد قليل لقلة الإمكانيات. فالأمر يحتاج إلى جهد إسلامي رسمي ، كبير ، ومشاريع واسعة لإنقاذ أكثر من ١١٠ مليون مسلم في هذه البلاد التعيسة.

وأما بالنسبة **لباكستان**

فقد جاهد المسلمون كثيرا لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، واقتربت البلاد من هذا الهدف عدة مرات ، إلا أن تآمر الدول الكبرى على هذا البلد المسلم الكبير جعل الأمور تتعقد. وخاصة لكثرة المشاكل الإقتصادية المعقدة ، والقضايا القبلية ، وقضايا المهاجرين من الهند وباكستان وبنغلاديش وكشمير.

وقد تغلغل الاتحاد السوفييتي في باكستان عن طريق أفغانستان بالأسلوب نفسه الذي اتبعه من قبل مع أفغانستان - عن طريق الابتعاث - وتسلل العملاء الشيوعيين في مجالات الحياة المختلفة - في المصانع والمدارس والكليات والجامعات ، ومنظمات العمال حتى بين الفلاحين داخل القرى والمدن الصغيرة ، وقادوا الحركات الطلابية ، ودرسوا الشيوعية في المدارس والمعاهد ، بل وسلحوا العملاء الشيوعيين. وكثرت المنظمات الاشتراكية ، كما نشطت الأحزاب القومية ، مثل الحزب القومي في باكستان ، والحزب الديمقراطي القومي. وحزب باكستان الجمهوري - الشعب الذي له جمعية مسلحة باسم (أل . ذو الفقار) الذي يوجد مركزها في كابل

وموسكو وهو بزعامة بنازير بوتو/ابنة ذو الفقار علي بوتو.

واستغل الشيوعيون المبشرين ومنظماتهم ومدارسهم لوحدة الهدف - وهو الوقوف أمام التيار الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية ، ومع القاديانيين(١٣٢).

ورغم قوة الحركة الإسلامية في باكستان إلا أن تعدد الأحزاب الإسلامية ، وتخاصمها، وعدم وعي الأمة الكامل على الإسلام وجهلها بحقائقه. مكن لحزب الشعب بزعامة بنازير بوتو من الفوز في الانتخابات يوم **١٩٨٨/١١/١٧م /٨ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ** بعد اغتيال ضياء الحق وهي معروفة بأنها باطنية معادية لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وضد الجهاد الأفغاني.

والله سبحانه وتعالى غالب على أمره.

(١٣٢) انظر تدخل السيل الأحمر في بلوجستان إعداد نصر الله خان عاكر رئيس قوة الشباب الإسلامي/ كوتيه / بلوجستان - باكستان ص١-٢ وص١٤-١٥.

الفصل الرابع

أفغانستان والغزو الشيوعي

أفغانستان قطر إسلامي داخلي يقع في وسط آسيا جنوب غرب هضبة البامير ، له حدود طويلة تبلغ ٢٠٠٠ كم مع الجمهوريات الإسلامية في التركستان الغربية التي كانت تابعة للإتحاد السوفيتي من الشمال، وتحدها تركستان الشرقية التابعة للصين في أقصى الشمال الشرقي، وإقليم جامو وكشمير والباكستان من الشرق. والباكستان من الجنوب، وإيران من الغرب[١].

وهي بلاد جبلية تشمل القسم الشرقي من هضبة إيران ، وجبال هندوكوش في الوسط والشمال الشرقي التي تشمل ثلاثة أرباع البلاد ، وجبال سليمان. فهي شديدة الوعورة على الأغلب. ومن الأنهار التي تجري فيها : نهر جيحون الذي يفصلها عن التركستان الغربية ، ويمر بمقاطعة قعطن ومزار شريف الواقعين في شمال أفغانستان ، ثم يتجه إلى الشمال حيث يصب في بحر آرال ، ونهر هري رود الذي يخترق مدينة هرات ، ونهر هلمند ومرغاب وكابل الذي يخترق مدينة كابل العاصمة[٢].

وموقعها هذا جعلها مركز دائرة قارة آسيا ، ولهذا كانت معبرا لجميع الأقوام التي عبرت من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس. ولعبت دورا عظيما كهمزة وصل بين المدنيات الثلاث القديمة : الصينية والهندية والإيرانية ، ثم بعد ذلك بين الحضارة الإسلامية والشرق الأقصى[٣].

وأرضها خصبة قابلة لكل أنواع الزراعة ، وأشهر زراعتها القمح والذرة والشعير والأرز ، وتكثر بها الفاكهة لا سيما العنب وقصب السكر وشجر التوت لتربية دودة القز ، وفيها أنواع من التوت اسمه شاه توت (أي ملك التوت) يبلغ طول حبته ١٠سم ، ويعني البدو بتربية الجمال ذات السنامين وبتربية الأغنام[٤].

ولم تعرف هذه البلاد بهذا الاسم الذي تشتهر به اليوم إلا عام

---

(١) تقويم العالم الإسلامي ص١٩٨.

(٢) نفسه ص١٩٩ ، البلدان الإسلامية ص٢٢١.

(٣) ناصر الدين شاه ـ أفغانستان ـ ص١٠.

(٤) نفسه ص١١.

١١٦٠هـ(٥) ، وإن ذكرت القبائل الأفغانية في التاريخ من قديم ، واشتهرت مواطنها التي تتألف منها هذه الدولة اليوم. فقد اشتهرت هرات بمكانتها المرموقة في ميادين الثقافة الرفيعة ، فضلا عما لأراضيها وأراضي بدخشان وسجستان من خصب عميم ، وعرفت قندهار بشهرتها التجارية وموقعها الاستراتيجي الهام. واشتهرت كابل وغزنة بدورها في التاريخ الإسلامي(٦) ونشر الدعوة إلى الهند وأقطار الشرق الأقصى.

وتتنوع عناصر السكان في أفغانستان وأشهرهم البوشتن او البوختن ويسمون في باكستان : الباتان ، ويكونون حوالي ٣٥٪ من السكان ، والتاجيك ٢٥٪ والبلوش والكافير(النورين)(٧). والأوزبك والتركمان وبشه ئي ...

وأما **اللغات** فهي :

لغة البشتو والفارسية وهما اللغتان الرسميتان في البلاد ، تليهما اللغة العربية التي يعتز بها الأفغانيون وتدرس في جميع المدارس على أساس أنها جزء متمم للغة الوطنية(٨). بسبب :

١ـ اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي يحرص الأفغانيون على أن يقرأوه كما أنزل على محمد ﷺ.

٢ـ اللغة العربية هي إحدى أصول اللغتين البشتو والفارسية. فتكون أكثر من ٤٠٪ من مفرداتهما.

٣ـ اللغة العربية هي اللغة العلمية الأكاديمية التي يكتب بها العلماء في شتى فروع المعرفة ولذلك يحرصون على إتقانها(٩).

ومن الجدير بالذكر أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية الوحيدة حتى القرن الرابع الهجري في تلك البلاد. وفي الوقت الحاضر لايجد الزائر للديار الأفغانية أية قرية مهما صغرت ونأت إلا وفيها مكتب أو اثنان لتدريس اللغة العربية والإسلام(١٠).

---

(٥) في عهد الملك أحمد شاه الدراني ، وكان ينتمي إلى بشتو أو الأفغان الذين يشكلون حوالي ثلث سكان البلاد.

(٦) أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية.. ص٤٨١.

(٧) تقويم العالم الإسلامي ص٢٠١-٢٠٢ ، اعلام المجاهدين في أفغانستان ص٥٦.

(٨) نفسه ص٢٠٢.

(٩) نفسه ص٢٠٣.

(١٠) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي والاستعمار ص٩٤ عن صلاح الدين السلجوقي.

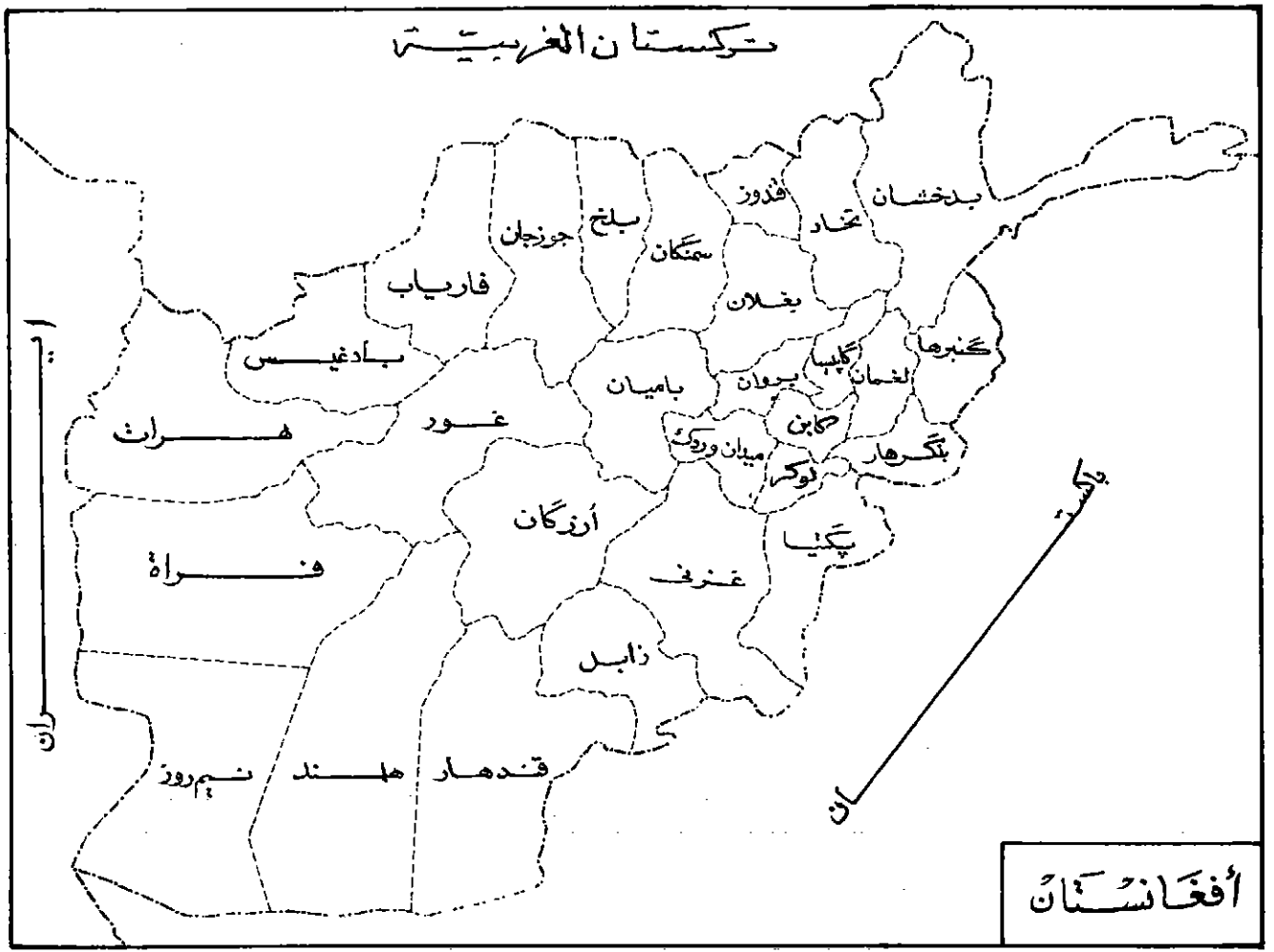
تركستان الغربية
بدخشان
قندوز
تخار
بلخ
جوزجان
سمنگان
فاريياب
بغلان
بادغيس
بروان
بامیان
غور
هرات
ميدان وردك
فراه
أرزگان
غزنی
زابل
نيم روز
هلمند
قندهار
أفغانستان

وقد عرفت هذه البلاد (مع غيرها من أرض التركستان) في التاريخ باسم إيريانا ومعناها الأسياد أو النبلاء ، كما عرفت في التاريخ الإسلامي باسم خراسان ومعناها (أرض الشمس) ، وترتبط بها طريق الحرير التي كانت تربط بين المشرق والمغرب(١١).

ويسكن أفغانستان أكثر من ٢٠ مليون نسمة كلهم مسلمون. وتعتبر قلعة شامخة للإسلام.

دخلها نور الإسلام منذ عهد عمر رضي الله عنه(١٢) عام ٢٢هـ يوم فتح المسلمون أول مدنها هراة ، التي كانت تسمى اسكندرية آريه ، بقيادة الأحنف بن قيس ، ثم سيطر على بلخ التي هزم فيها يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس. ثم أخذت المدن تستسلم للمسلمين تباعا ، ففي عهد عثمان رضي الله عنه فتحوا كابل ونيسابور بقيادة عبد الله بن عامر سنة ٣٠هـ(١٣) ، ومنذ ذلك التاريخ رحب أهل البلاد بالإسلام وارتبطوا به وتمثلوه عقيدة وفكرا ونهجا وسلوكا، فأصبح لخراسان دور طليعي في تاريخ الإسلام ، فلعبت دورا هاما في نشر عقيدة الإسلام في الهند ، وخاصة بعد أن استقر عدد من أفراد القبائل العربية بينهم ، فظهر بعد ذلك بوقت قصير طبقة من أبناء البلاد تجيد العربية وتحمل الإسلام وتشتغل بعلوم اللغة والقرآن والحديث. وأصبحت معقلا من معاقل الإسلام الحصينة تمارس دورها في نشر رسالته، وتقف سدا منيعا في وجه الهجمات العاتية التي تعرض لها. فمنها انحدر الفاتح المسلم الشاب محمد بن القاسم ليفتح السند من أراضي الهند ، وكذلك انحدرت منها الجيوش الخراسانية التي أزالت الدولة الأموية وأقامت الدولة العباسية. وظلت البلاد تنتقل من أسرة مسلمة إلى يد أسرة مسلمة أخرى من عرب وإيرانيين وأتراك ، فظهر الطاهريون في العصر العباسي الثاني ، ثم الصفاريون الذين بسطوا سلطانهم على كابل وهرات وطبرستان ، وخلفهم السامانيون فضموا إلى ملكهم أراض كثيرة في بلاد ماوراء النهر ، وكان من عمال الدولة السامانية أمير يدعى سبكتكين ، كان يحكم ولاية غزنة الأفغانية في القرن الرابع الهجري ، وعلى يده قامت أول دولة أفغانية إسلامية هي الدولة الغزنوية التي اضطلعت بدور من أعظم أدوار التاريخ الإسلامي. وخلفه ابنه محمود

---

(١١) تقويم العالم الإسلامي ص٢٠٤.

(١٢) الكامل لابن الأثير ج٣ ص١٦.

(١٣) فتوح البلدان ـ البلاذري ص٣٩٧-٤٠١.

الغزنوي الذي كان من أعظم ملوك المسلمين فسيطر على كل أفغانستان الحالية ، وعلى جزء من إيران حتى الري وأصفهان وخوارزم والسند والجزء الشمالي من الهند وأصبحت مدينة غزنة عاصمته من أجمل عواصم العالم وأكثرها رفاهية وزخرفة. ومنها انحدر بغزواته الجهادية الكثيرة إلى الهند ليمد الإسلام فيها(١٤).

وهنا نعرض لحادثة مهمة عن أساليب الانجليز في الإيقاع بين الشعوب وتشويه التاريخ الإسلامي بصفة خاصة : ذلك أن المستعمرين الإنجليز حين دخلوا كابل (كما سيأتي) ، عمدوا إلى نقل بعض حجارة منها إلى الهند ، انطلقوا بها يزعمون للهنادكة بأنها من بقايا معابدهم التي خربها محمود الغزنوي قبل ألف عام ، ونقلها إلى بلاده ليدخلها في بناء مساجده ، وقد أرادوا بذلك أن يزيدوا من الوقيعة بين الهنادكة والمسلمين بالهند. لكن أمرهم ماغدا أن افتضح وظهر كذب ماادعوه(١٥).

وقد ضم بلاط محمود عددا من رجال العلوم والآداب والفنون منهم : أبو الريحان البيروني والعتبي المؤرخ ثم الفردوسي شاعر الفرس جميعا.

ولما غرق الغزنويون في المنازعات العائلية ، وضعفوا بسبب حروبهم مع السلاجقة ، ورثهم الغوريون الأفغان في القرن السادس الهجري. وكانوا خير جند الغزنويين أيام مجدهم ، وتابعوا نشر الإسلام وكونوا في الهند دولة عظيمة تحدثنا عنها في ممالك الهند الإسلامية. وكان محمد الغوري حريصا على نشر الإسلام وتقريب العلماء ، يحضر دروس التفسير التي يلقيها فخر الدين الرازي ، وكذلك ظهر في تاريخ أفغانستان السلطان علاء الدين المشهور باسم الاسكندر الثاني الذي أخضع هضبة الدكن.

وبرز آل تغلق ومنهم الأمير غياث الدين ، كما حمل لواء الإسلام من بعده ملوك الطوائف ، واللودهيون الأفغانيون ، وكان لهم أعظم الأثر في نشر الإسلام ، وجمع كلمة المسلمين في أفغانستان وبلاد ماوراء النهر وشبه القارة الهندية.

وكذلك نجد للدولة التيمورية آثارا حميدة في نشر الإسلام وفي النهضة العلمية ، ويقترن بهذه الدولة اسم بابر الذي اخترع خطا سمي باسمه وكتب به مصحفا أهداه إلى مكة المكرمة كما كان أديبا يقرض الشعر ، ومازال ضريحه في مدينة كابل

---

(١٤) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص١٩٧ / وانظر الدول الإسلامية في الهند في هذا الكتاب.

(١٥) الساداتي - تاريخ شبه القارة - ص٤٨٤.

عاصمة أفغانستان مثابة للسياح وعلماء الآثار(١٦). وخلفه ابنه همايون حيث بقيت أفغانستان في زمنه قلعة إسلامية كبيرة تمد الإسلام وتحميه.

وفي عهد الأمراء التيموريين عمرت هرات الأفغانية بالمنشآت الفخمة من مساجد ومدارس ودور شفاء وغيرها، وصارت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية ،فقصدها مشاهير الفقهاء والحكماء والشعراء والكتاب والمؤرخون ، وكانت من أعظم مراكز التجارة والسياسة بآسيا الوسطى في هاتيك الأيام(١٧) ، ومعلوم أن الدعاة والتجار لايفترقان في الإسلام.

ولما ضعفت الدولة المغولية في الهند بعد وفاة أورنك زيب سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م ، وكذلك الدولة الصفوية الإيرانية ، قام الأفغانيون بقيادة (مرويس) وطردوا الإيرانيين من كابل - وكانوا قد حكموا في أفغانستان (جوركين) أمير جورجيا النصراني التابع للشاه الفارسي - واكتسحوا إيران ، واستولوا على أصفهان بقيادة مير محمود عام ١١٣٥هـ/١٧٢٢م وقضوا على الأسرة الصفوية ، وأسسوا أسرة مالكة سنة ١١٦١هـ/١٧٤٧م على يد أحمد شاه دوراني الملقب بـ(دره دوريان) أي درة الدر(١٨) وملك هرات وقندهار وكابل وانتصر على جيوش الهند. وسماه الشعب الأفغاني بالأب (بابا).

ثم ظهرت اسرة محمد زائي بعد فترة من الإضطرابات ، بزعامة الأمير دوست محمد سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م ، الذي أسس ملك أسرة زائي المالكة في وقت اشتدت فيه المنافسة بين الإنجليز المسيطرين في الهند والروس الذين أخذوا يزحفون على أراضي الإسلام في التركستان.

وهذا الموجز التاريخي الذي ذكرناه يؤكد رباط أفغانستان بتاريخ الأمة الإسلامية ، ودورها الإيجابي دائما في رفع الدعوة ونشرها. وقد قدمت أعلاما من علماء الفكر الإسلاميين مع بلاد ماوراء النهر ، منهم أبو حنيفة النعمان والإمام أحمد ابن حنبل والبخاري والترمذي وابن قتيبة والرازي والغزالي ، ومن الفلاسفة ابن سينا والفارابي والبيروني ، وجابر بن حيان ، والجرجاني ، ومن علماء الآداب واللغة الزمخشري والسكاكي والتفتازاني والجامي ، ومن علماء الكلام النسفي

---

(١٦) تقويم العالم الإسلامي ص٢٠٨.

(١٧) السادات ص٤٨٦.

(١٨) ناصر الدين شاه - أفغانستان ص١٧ / مجلة الجهاد العدد ٣٥ صفر ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

والقندهاري(١٩).

أطماع الإنجليز ومحاولتهم احتلال أفغانستان :

واستطاعت أفغانستان أن تؤكد طابعها الإسلامي العميق في جهادها ضد القوى الروسية والإنجليزية. فقد طمعت كل من روسيا والإنجليز في الإستيلاء على الصين عن طريق الممر الأفغاني المؤدي إلى التركستان الشرقية.

الحرب الأولى على أفغانستان ١٢٥٣-١٢٥٧هـ/ (١٨٣٨-١٨٤٢م) :

حاولت إنجلترا (كعادتها) التودد إلى الأمير محمد دوست لتفرض عليه معاهدة حماية ، فلم تجد لديه فائدة ، فقررت اقتحام أفغانستان سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م ، بحجة مناصرة شجاع الملك في منافسته لأمير الأفغان دوست محمد. في الوقت الذي زاد فيه خطر الفرس ، بتحريض من الروس وأعوانهم(٢٠). وتمكنت القوات الإنجليزية بعد سلسلة من الهزائم أمام الأفغانيين من احتلال كابل ، وإجلاس ربيبهم شجاع الملك على عرشها ، بعد فرار دوست محمد. فقام الأفغانيون قومة رجل واحد ، ولم يكتفوا بإخراج الدخلاء وصنيعتهم من العاصمة فحسب ، بل تمكنوا من إبادة جيش بريطاني بأكمله عند خورد كابل ، وكان قوامه عشرين ألفا من الجند المجهز بأحدث الأسلحة ، فلم ينج من رجاله جميعا إلا طبيب شاب يدعى (بريدون) استطاع أن يصل إلى جلال آباد ، فأخبر بالكارثة التي نزلت بجيش الإمبراطورية التي لم تكن تغرب الشمس عن أملاكها(٢١).

وعاد البريطانيون إلى بلاد الأفغان من جديد طلبا للثأر فنزلت بهم عدة هزائم ، وقتل الأفغانيون ربيبهم شجاع الملك ، فلم ير الإنجليز بدا من مصالحة دوست محمد ، والإعتراف به أميرا على الأفغان سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م.

---

(١٩) العالم الإسلامي لأنور الجندي ص٩٤ ، وتجد تشابها بين هذه القائمة وقائمة علماء التركستان فهي بلاد واحدة تجمعها كلمة خراسان وبلاد ماوراء النهر. انظر قائمة أكبر من الأسماء في تقويم العالم الإسلامي ص٢١٠-٢١١.

(٢٠) الساداتي ص٤٨٩.

(٢١) الساداتي - تاريخ المسلمين في شبه القارة - ص٤٩٠ ، وانظر حاضر العالم الإسلامي ج٤ ص١٩٩ ، ناصر الدين ص١٨.

الحرب الثانية ١٢٩٥-١٢٩٨هـ/١٨٧٨-١٨٨٠م :

لما مات دوست محمد عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م ، خلفه ابنه (تشير علي) الذي عمل جاهدا مثل سلفه للإفادة من منافسة الروس والإنجليز. وحدث أن حشدت روسيا سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨ م الجيوش المعسكرة في طشقند على حدود أفغانستان ، فأرسلت إنجلترا مذكرة احتجاج على ذلك إلى شير علي ، الذي لم يجب عليها بشيء ، فقرر الإنجليز مهاجمة أفغانستان ، فكانت الحرب الثانية بين الإنجليز وأفغانستان. وقد ضمت الحملة الإنجليزية كثيرا من أمراء الهند ومن المرتزقة من القبائل ، ومن السيك المشهورين بالبسالة. وتمكنت الحملة من دخول كابل بقيادة (دوبرتس) ، وفر (تشير علي) خان إلى مزار شريف حيث توفي سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م. ونصب الإنجليز يعقوب ابنه أميرا ، حيث فرضوا عليه معاهدة غاندامق ، وتخلى لهم عن بعض الأراضي ، وتعهد بقبول بعثة بريطانية تقيم بالعاصمة(٢٢).

لم يرض الأفغانيون وقاموا بثورة ذبح فيها الأهالي أعضاء البعثة الإنجليزية بأجمعهم ، فعاد اللورد (دوبرتس) بجيشه ، ودخل كابل مرة أخرى. ولكن الأفغانيين حصروه في كابل ، وحشد أيوب خان بن شير علي جيشا في هراة ، وزحف إلى قندهار ، وهزم الإنجليز ،فأجبر الإنجليز على الإتفاق على إخلاء أفغانستان بأسرها وجلوا عن البلاد سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م(٢٣). فقبض الأمير عبد الرحمن حفيد دوست محمد على أزمة الحكم في عزم وحزم ، فأقر الأمور وأقام العدل وأشاع الأمن في ربوع البلاد ، ووطد نفوذ الحكومة ، وأسس معملا للسلاح وأصلح بقدر إمكانه تدريب الجيش ،واستولى على مقاطعة كافرستان في الشرق التي هدى الله أهلها للإسلام ، فسماها (نورستان)(٢٤). وكان يوحي لنفسه ولغيره أن الإنجليز يعطونه خراجا عن الهند ، ويقيد في الحسابات المعونات المادية التي كان يتلقاها منهم (خراج الهند)(٢٥).

ولما وافاه الأجل عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م ، خلفه ابنه حبيب الله ، فسار سيرته ، وآثر أن يهادن بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ، رغم محاولة الألمان

---

(٢٢) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٠٨.

(٢٣) نفسه ج٢ ص٢٠٨.

(٢٤) نفسه ج٢ ص٢٠٩ ، الساداتي ص٤٩١.

(٢٥) ناصر الدين - أفغانستان ص١٩.

والأتراك اجتذابه. ولكن بريطانيا لم تقدر له صنيعه هذا ، فأصرت على الإحتفاظ ببعض مناطق الحدود الأفغانية ، بدعوى تأمين حدود الهند ،وقتل حبيب الله سنة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م (دون أن يعرف قاتله ولا أسباب قتله). وقد يكون للإنجليز دور في ذلك(٢٦) ، وتولى العرش بعده إبنه أمان الله خان. وأخذت أفغانستان في عهده تتصل بالعالم الخارجي بعد أن كان الإنجليز قد قطعوها عنه منذ سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م(٢٧).

الحرب الثالثة ١٣٤٠هـ/١٩١٩م :

أرسل أمان الله إلى الإنجليز مطالب بلاده ، ومنها إعادة الأراضي التي اغتصبوها من الحدود الجنوبية ، والتفرغ عن مرفأ بحري تكون الدولة الأفغانية فيه حرة ، وحق تأسيس العلاقات الخارجية رأسا مع سائر الدول ، فأبى الإنجليز التسليم بذلك ، فتقدم الجيش الأفغاني ومعه القبائل واخترقوا الهند ، فكانت الحرب الثالثة بين الإنجليز والأفغان انتهت بتوقيع هدنة (راولباندي) في ١٩١٩/٨/٨م ، ثم وقع الطرفان عام ١٣٤١هـ/١٩٢١م معاهدة اعترفت بها بريطانيا باستقلال أفغانستان إستقلالا تاما ، وأصبح الأمير أمان الله ، الملك أمان الله. ونالت الأفغان الحق في إمرار السلاح عن طريق الهند ، وتحديد منطقة محايدة من قبائل بلاد البوتان لاتكون ملكا للإنجليز ولا للأفغان(٢٨).

كان أمان الله شابا متحمسا يريد أن يرى بلاده راقية ، غير أن تجاربه كانت قليلة ، فاهتم اهتماما بالغا بتنظيم حكومته وجيشه ونشر التعليم ، وعنى عناية شديدة بتعمير بلاده ، غير أنه نزع إلى تقليد مصطفى كمال أتاتورك في نبذ كثير من التقاليد الإسلامية ، وجهر بذلك في رحلته المشهورة التي خرج فيها عام ١٩٢٨م إلى بعض البلاد الشرقية والغربية ، فزار مصر ومعه زوجته الملكة ثريا ، التي خرجت متحجبة من أفغانستان فسفرت ، ولبس هو القبعة ، وزار الأزهر بها ، فانصرف عنه العلماء مشمئزين بعد أن كانوا قد اجتمعوا له ، ثم زار أوربا مع زوجته هذه وتركيا ، وكانت أخبار تفرنجه وسفور زوجته قد وصلت أفغانستان ، فهاج العلماء والشعب الأفغاني. حتى إذا ماعاد إلى بلاده ثار عليه فريق من قومه ومعهم طائفة من العلماء ثورة عارمة ، انتهت بخروجه من البلاد.

(٢٦) انظر حاضر العالم الإسلامي ص١٩.

(٢٧) ناصر الدين ص١٩.

(٢٨) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢١٥.

إستغل رجل من قطاع الطرق الفرصة وهو حبيب الله المعروف بلقب (بچه سقا) أي ابن السقاء ، فثار وانضم إليه فريق من الشعب ، ودخل كابل ، وأعلن نفسه ملكا ، فساءت الحالة وعمت الفوضى ، فاستفاق أهل البلاد ، وأخذوا يتطلعون إلى شخص **محمد نادر خان** ، الشخص الذي انتصر على الإنجليز سنة ١٩١٩م ، وكان سفيرا لبلاده في باريس ، فاستدعوه وقاد حركة المقاومة وتغلب على عصابة ابن السقاء ، وأعلن نفسه ملكا باسم محمد نادر شاه ، وساعده أهل الهند وكان لهم النصيب الأوفر في نجاحه ، واهتم نادر شاه بالعلم والتعليم ، وتنظيم الجيش ، وترقية وسائل العمران بدون أن يتعرض للمسائل الإجتماعية من الأزياء والعوائد والتقاليد(٢٩) ، بل سار في الحكم متمسكا بمكارم الأخلاق والتقاليد الإسلامية ، ورفض أن يكون ألعوبة في أيدي البريطانيين أو الروس.

ولكنه أغتيل عام **١٩٣٣م** بيد أنصار أمان الله خان(٣٠). فخلفه ابنه محمد ظاهر شاه وعمره **١٩** سنة وساس أعمامه البلاد سياسة حكيمة عاقلة من كل النواحي.

فاهتم بالجيش ونشر التعليم وقوى اقتصاديات البلاد وعمرها واستثمر ما بأرضها من خيرات ، ووثق العلاقات بالجيران عامة ، وبالبلاد الإسلامية خاصة.

وامتازت ملكية أفغانستان بالبساطة فلم يكن للملك مخصصات كبيرة ، وإنما يقدم له مرتبا مناسبا ، وليس هناك مخصصات مالية لأعضاء الأسرة المالكة ، ولا يستخدم الملك السيارات الفاخرة ولا يتعطل المرور أثناء مروره ، وكان يتم تعيينه بالإنتخاب والمبايعة ، كما أنه لم يكن هناك عطلة رسمية ليوم ميلاده أويوم تتويجه(٣١).

أطماع روسيا :

كانت روسيا القيصرية دولة إستعمارية منذ يومها الأول ، إستطاعت أن تلتهم البلاد الإسلامية الواسعة في تركستان ، ووقفت على حدود أفغانستان مستعدة لالتهامها ، وزاد طمعها في أفغانستان بعد قيام الشيوعية فيها ، وحاولت الإعتداء على أفغانستان عام ١٣٥٠هـ/١٩٢٩م بقيادة جريماكوف ، وبعد مقاومة شديدة

---

(٢٩) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢١٧.

(٣٠) ناصر الدين ص٢١.

(٣١) تقويم العالم الإسلامي ص٢١٣.

من قبل المسلمين واستشهاد حوالي سبعة آلاف مسلم في نهاية ذلك العام رجعت القوات الروسية خائبة(٣٢). فاتخذت الشيوعية أسلوب النفس الطويل ، فأخذت بعض الشبان ودربتهم وغسلت أدمغتهم وأعدتهم للساعة الحاسمة ، وأخذت تتربص بالبلاد شرا ، كما قدمت المساعدات والقروض لمحمد ظاهر شاه ،وظهرت بمظهر الصديق والمعين على مطامع الإنجليز الأعداء التقليديين لأفغانستان. كما شاركت في إقامة بعض منشآت الري ، وبدأ الخبراء الفنيون يدخلون أفغانستان حتى صاروا يعدون بالألوف ، ثم بدأت المساعدات العسكرية ب ٢٥٠ دبابة وعدد من الطائرات الميج ٢١ التي استعملت بعد ذلك في الإنقلاب العسكري(٣٣).

وتسربت الأفكار الهدامة مع هذه المساعدات والخبراء والشباب والضباط الذين أتموا دراستهم في موسكو إلى أفغانستان. ووصل محمد داود خان ابن عم الملك المتأثر بالأفكار الجديدة إلى رئاسة الوزراء عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٣م.

وفي عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٦م وقع محمد داود معاهدة التعاون الإقتصادي والعسكري والعلمي والإصلاح الزراعي مع رئيس وزراء الإتحاد السوفييتي ، (خروتشوف) ، وتم إرسال مائتين من الشباب الأفغاني سنويا للدراسات العسكرية والعلمية وغيرها إلى روسيا ، وتمكنت روسيا في ظل هذه المعاهدة وهذه العلاقات من بث الأفكار الشيوعية عن طريق توزيع الكتب الإلحادية ، وخبرائهم الذين انتشروا في أفغانستان.

وتنبه الملك إلى خطر محمد داود ، فأعفاه من منصبه سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٣م بعد أن استفحل الخطب وفات الأوان.

وتيسر للعناصر الماركسية العمل السري لتأسيس الحزب الشيوعي الأفغاني ، في عهد بريجنيف عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٥م ، باسم الحزب الشعبي الديمقراطي ، ونشر جريدة يسارية باسم صحيفة الخلق ـ أي الشعب ـ عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٦م. وحظي بتأييد محمد داود ، وكان نور تراقي ، وحفيظ الله ،وبابراك كارمال ، من العناصر الماركسية التي برزت أسماؤها في ذلك العهد(٣٤).

وانتظر الشيوعيون إلى أن غادر الملك محمد ظاهر شاه البلاد سنة

---

(٣٢) خليل الله خليلي ـ تحشين تجاوز روسية در أفغانستان (الاعتداء الأول على أفغانستان) رجب ١٤٠٤هـ/ اسلام آباد ـ باكستان. دون ذكر اسم الناشر / ترجمه لي أحد طلابي الأفغان.

(٣٣) محيي الدين القضماني ـ صفحات في حاضر العالم الإسلامي ـ ص١١٠.

(٣٤) مجلة البلاغ الكويتية العدد ٥٨٨ ص١٦.

١٣٩٣هـ/١٩٧٣م إلى إيطاليا للإستشفاء ، فأوعزوا إلى محمد داود بالقيام بأول انقلاب عسكري ، وكان انقلابا أبيضا قضى فيه على الملكية وأعلن الجمهورية الأفغانية. وأسفر الحزب الديمقراطي الشعبي نواياه الخبيثة بتبنيه الماركسية ، وإعلان ولائه لدولة الإتحاد السوفييتي (الصديقة) ، وساقت روسيا جيوشها السرية إلى أفغانستان ، واستلمت مقاليد الحكم من وراء حجاب ، وأخذت تصرف سياسة الدولة على هواها ، بل أخذ أعوانها ينصبون مكبرات الصوت في الساحات العامة ويذيعون باللغات الثلاث الفارسية والبختوية والأردية ، وتدعو أهل باكستان عامة وأهل بلوجستان خاصة للثورة على حكومتهم ، والإنضمام إلى الشيوعية. ولم يستطع الأفغانيون عمل شيء لأن الجيش الروسي كان يسيطر على كل شيء في البلاد ، وسيق الكثير من المخلصين إلى المعتقلات والسجون(٣٦).

كانت فترة حكم محمد داود فترة إنتقالية في سبيل تحويل أفغانستان إلى بلد يدور في فلك موسكو ويأتمر بأوامرها ، ومن هذا المنطلق استخدم الروس هذا الرجل لضرب الحركة الإسلامية ، وإعدام وسجن قادتها ، فمهد الطريق أمام الروس ، وأفرط في الإعتماد عليهم ، حتى إذا أدرك الواقع الأليم الذي يعيش فيه ، وحاول التفلت من القبضة الروسية الحديدية ، وزار سنة **١٩٧٨م** عددا من الأقطار الإسلامية منها المملكة العربية السعودية وباكستان والكويت ومصر وغيرها ، وكان كأنما يستنجد بالعالم الإسلامي ، وقد وعدته بعض تلك الدول بالمساعدات المالية والعلمية والفنية ، فيما لو ابتعد عن الإتحاد السوفييتي ، ولكن بعد فوات الأوان ، فقد اتحد الحزبان الشيوعيان خلق وبرشام ، بزعامة نور محمد تراقي ، وهيأت روسيا الجو لتقلب الوضع سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م ، وقام بمجزرة تمثل الأخلاق الشيوعية أفظع تمثيل ، إذ قتل داود خان وجميع أفراد أسرته من كبار وصغار ، وجميع أعوانه ، كما قتل مئات من الأهالي ، وزج بالآلاف منهم في السجون(٣٧).

وأراد تراقي أن يقنع موسكو بإخلاصه لها فسار أشواطا في تنفيذ مآربها ، فعمد إلى إجبار الأفغانيين - وهم مسلمون مخلصون لإسلامهم - على نبذ الإسلام واعتناق الشيوعية ، فكانت النتيجة أن لاقى المقاومة الشديدة ، وأخذ المخلصون

---

(٣٦) مجلة الأمة القطرية - استطلاع في أفغانستان العدد ٣٥ السنة ٣/ ذو القعدة ١٤٠٣هـ.

(٣٧) ناصر الدين ص٢٣ وص٧٠ ، مجلة البلاغ العدد ٥٨٢ ص١٤.

العاجزون عن المقاومة والقادرون على الفرار بدينهم وأخلاقهم وإخلاصهم لبلدهم يفرون ، ملتجئين إلى باكستان وإلى إيران وغيرهما. أما المجاهدون فقد انحازوا إلى الجبال يعملون على إسقاط حكومة تراقي الشيوعية ، مما أضعف الضباط الشيوعيين ، وألجأهم إلى تصعيد المعركة مع الشعب الأفغاني المجاهد. واضطرب الأمر فعملت الشيوعية على الإطاحة بتراقي على يد عميل آخر ، قاد انقلابا عسكريا ، هو حفيظ الله أمين سنة **١٩٧٩م** ، وقد أراد أمين أن يكمل مابدأه أسلافه من أعمال إجرامية بالحديد والنار ، ولكنه لم ينجح أمام إصرار الشعب المسلم المجاهد. فأزاحته موسكو على يد عميل آخر وبطريق آخر ، وهذا العميل هو بابراك كارمال(٣٨). الذي وصل البلاد من الإتحاد السوفييتي ، مع الدبابات والطائرات الروسية الغازية ، واستلم الحكم وقدم معه ١٠٠ ألف جندي روسي مدججين بالسلاح ، فعمدوا إلى تدمير القرى والمدن ، وقتل الناس وإحراق منازلهم وقتل مواشيهم ، وحدثت هجرة جماعية فوصل عدد اللاجئين إلى باكستان في الفترة الأولى أكثر من مليون أفغاني(٣٩). وقتل عشرات الألوف(٤٠). فاكتسى الإنقلاب الأخير صفة حرب ضد الشعب الأفغاني لإبادته مدعية موسكو أنها تدخلت بناء على طلب الحكومة الأفغانية !!

هذا وتعمّد الروس إجبار الأفغانيين على الهجرة لكي يُحِلّوا محلّهم أناسا من روسيا ، فمن وسائلهم تخيير الناس بين تغيير دينهم وقبول الشيوعية ، ومنها الإعتداء على النساء ، ومنها حرق المنازل حتى لايبقى لهم مأوى فتستوي عندهم الهجرة والبقاء(٤١) ، بل يفضلون الهجرة ليحفظوا كرامتهم ، بعد أن فقدوا مالهم ومتاعهم. وحيث أن المهاجرين يهاجرون أفواجا وجماعات فإن الطائرات الروسية تلاحقهم وتقصفهم بقنابلها لتفني من تقدر عليه مع مواشيه أيضا ومأخف حمله من متاع.

---

(٣٨) مجلة البلاغ العدد ٥٥٨ ص١٧ ، وكان يعمل كعميل لجهاز المخابرات السوفيتية كي .جي بي لفترة طويلة من الوقت ، المجتمع الكويتية العدد ٦٠١ ص٣٥.

(٣٩) وبلغ عددهم مليون وسبعمائة ألف عام ١٤٠١هـ في باكستان على حد قول بول هارتلينج المفوض السامي الدولي للأمم المتحدة (الجزيرة ٨ جمادى الأولى ١٤٠١هـ) في حين بلغ عددهم عام ١٤٠٦هـ ثلاثة ملايين أو أكثر في باكستان وحدها (أخبار العالم الإسلامي ٦١محرم ١٤٠٦هـ ٣٠/٩/١٩٨٥م العدد رقم ٩٤١.

(٤٠) ناصر الدين ص٢٦.

(٤١) ناصر الدين ص٣٠.

الحركة الإسلامية في أفغانستان :

كان من أوائل المجاهدين في الحركة الإسلامية في أفغانستان الأستاذ **غلام محمد نيازي** ، الذي تعلم في مصر في الأزهر ، ولما رجع إلى بلاده عين أستاذا بكلية الشريعة بجامعة كابل ، وبدأ بتوجيه وتربية شباب هذه الكلية ، ولما انتخب عميدا لها ، عمل على إيجاد الإصلاحات في وزارتي العدل والتربية والتعليم ، وعمل على تدريس مادة الدين في جميع الكليات ، وأحرزت كلية الشريعة في عهده تقدما ، جعلت منها محور الحركات والمساعي الدينية والإجتماعية في الجامعة. واقترح تشكيل مركز للبحوث الإسلامية في إطار الجامعة. وبعد ذلك أسس الجمعية الإسلامية ، واختار أعضاؤها سنة **١٩٧٣م** الأستاذ برهان الدين رباني أحد أساتذة الكلية أميرا. وبقي الأستاذ نيازي كمؤسس وموحد صفوف الجمعية والمرشد الفكري لها. وهذه الجمعية هي أولى المنظمات الإسلامية وأقواها في أفغانستان. وقد قبض على الأستاذ غلام محمد نيازي وعلى عدد من زملائه سنة ١٩٧٣م بعد انقلاب محمد داود مباشرة(٤٢) ، أما الأستاذ **برهان الدين رباني** فقد ذهب إلى باكستان في أواخر العام نفسه ، بعد محاولات لاعتقاله ، وقام بجولة في العالم العربي شارحا القضية الأفغانية ومعرفا بها ، وليعود ثانية إلى باكستان مستأنفا قيادة الجماعة في جهادها(٤٣).

وظهرت إلى جانب الجمعية الإسلامية الأفغانية منظمات إسلامية أخرى منها:

١- حزب أفغانستان الإسلامي بزعامة عبد الرحيم نيازي ، وتوفي بمرض مزمن ، وتعاقب على زعامته عدد من الشباب ، الذين اغتيلوا جميعا إما بيد السلطة أو بأيدي عناصر ماركسية متطرفة ، إلى أن تزعمه مولوي حبيب الرحمن الذي استشهد في إحدى المعارك داخل أفغانستان فخلفه قلب الدين حكمتيار(٤٤).

٢- حركة الإنقلاب الإسلامي وأسسها بعد انقلاب محمد داود سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م مولانا محمد نبي محمدي ، والذي كان رئيسا لجميعة خدام الفرقان معلنا بذلك جهاده المسلح ضد الحكومة القائمة.

---

(٤٢) مجلة صوت الجهاد - مجلة اسلامية شهرية تصدرها جمعية أفغانستان الإسلامية. العدد الأول صفر ١٤٠١هـ. ص٤ و١٨ بتصرف.

(٤٣) مجلة المختار الإسلامي العدد ٩ السنة الأولى ١٥ ربيع ثان ١٤٠٠هـ. ص٣٣.

(٤٤) المصدر السابق ص٢٤. وانظر مجلة الموقف - يصدرها الحزب الإسلامي الأفغاني ص٨-١٣ العدد٢٣ رمضان ١٤٠١هـ/ أغسطس ١٩٨١م.

٣ـ الحزب الإسلامي الأفغاني ـ إنشق عن الحزب الإسلامي الذي يقوده حكمتيار ، إثر اختلاف قائده محمد يونس خالص ، وهو عالم كبير في السن ، مع حكمتيار على قيادة الأخير لحزبه من باكستان. وترتب على ذلك خروج محمد يونس مع جماعته ، ليواصلوا جهادهم من داخل الأراضي الأفغانية محتفظين لأنفسهم بالإسم نفسه.

٤ـ الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان : وزعيمها صبغة الله مجددي ، الذي ينتمي إلى عائلة مجددي ذات الإقطاعات والنفوذ الواسع في أفغانستان ، والتي أمعن فيها محمد داود تقتيلا حتى كاد أن يبيدها مع مصادرة جميع أملاكها ، فعاد إليها بعد انقلاب تراقي ، وأسس جبهته التي ترفع شعارات إسلامية ولكنها تؤمن في الوقت نفسه بضرورة التلاحم بين مختلف القوى الوطنية في سبيل التحرير مهما كان اتجاهها.

٥ـ الجبهة الشعبية الإسلامية الأفغانية (المعاز الوطني الإسلامي) : ومؤسس هذه الجبهة هو سيد أحمد جيلاني وينتمي إلى عائلة كبيرة ذات نفوذ كبير مرت بنفس ظروف عائلة مجددي ، هرب إلى باكستان وأسس جبهته التي تشبه إلى حد كبير جبهة مجددي في منطلقاتها وأهدافها(٤٥).

التحالف الإسلامي لتحرير أفغانستان :

واجه الشعب الأفغاني المسلم الحكم الشيوعي والغزو الروسي لبلادهم بإيمان صادق وقوة عظيمة برجاله ونسائه ، بكباره وصغاره ، بمنظماته وقياداته ، ومن ورائه الشعوب الإسلامية ، وكان الناس ينتظرون من المنظمات أن تقف صفا واحدا لمواجهة العدو وخاصة بعد التدخل الروسي السافر ، فأصبح توحيد صفوف المجاهدين عملية ضرورية لمواجهة العدو ولاتخاذ تخطيط واحد من قبل المنظمات.

وفي شهر ربيع الأول ١٤٠١هـ وقعت المنظمات الإسلامية الستة على صيغة مؤقتة للإتحاد ورئيسا مؤقتا إلى أن يتم وضع التدابير الأخيرة والدائمة. وكان الرئيس المؤقت الذي اختاروه الأستاذ برهان الدين رباني رئيس الجمعية الإسلامية الأفغانية ، وأصبح اسم هذا الاتحاد : «التحالف الإسلامي لتحرير أفغانستان» ولكن بعد أربعين يوما انسحبت إحدى المنظمات وهي الحزب الإسلامي الذي يقوده المهندس : قلب الدين حكمتيار. وأعلنت المنظمات الخمس الباقية الصيغة

(٤٥) أعلام المجاهدين في أفغانستان ص٤٦.

النهائية للإتحاد ،وتم انتخاب مجلس شورى ثوري مركزي مكون من ٣٥ عضوا. انتخب بدوره الأستاذ / سياف كرئيس أعلى للتحالف نظرا لتاريخه المشرف في الدعوة الإسلامية وعلمه وصلاحه وجهاده.

ورغم جهود الأستاذ سياف المخلصة في محاولة لم شمل المجاهدين وتوحيد قواهم إلا أنه ظهرت بعض الخلافات الشخصية وبدأت بعض الأحزاب تنسحب من التحالف وتفكك التحالف وأصبحت كل منظمة مستقلة بذاتها.

وهنا تحرك علماء الأفغان من أجل توحيد هذه المنظمات فتكون مجلس من العلماء عرف باسم : « مجلس علمائي داعيون إتحاد إسلامي » أي مجلس العلماء الداعين للإتحاد الإسلامي.

وفي جمادى الثانية سنة ١٤٠١هـ اجتمع ٣٠٠ عالم من هؤلاء العلماء (نيابة عن الشعب الأفغاني المجاهد) وكتبوا منشورا من ١٠٣ مواد طالبوا فيه بالإتحاد الكامل بين المنظمات الستة تحت قيادة واحدة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وبناءا على هذا المنشور بدأت اتصالات بين زعماء المنظمات وبين مجلس العلماء الداعية للإتحاد الإسلامي حصلوا فيها على موافقة زعماء الأحزاب على الإتحاد.

وفي رمضان سنة ١٤٠١هـ عقد اجتماع كبير في الجامعة الأشرفية ببشاور حضره العلماء والداعون للإتحاد الإسلامي ، ووفد يمثل علماء المدينة المنورة والجامعة الإسلامية بها ، ورؤساء المنظمات الستة أو من ينوب عنهم ، وبعض أعضاء مجلس الشورى من كل حزب وعدد من المجاهدين والمهاجرين. وفي نهاية الإجتماع إتفق الأطراف على تكوين :

« الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان ». وعلى تكوين مجلس أعلى للإتحاد يمثله عشرة أعضاء من كل منظمة من بينهم رئيس المنظمة ، وأن تكون رئاسة المجلس الأعلى بالتناوب ، وبناءا عليه تكون المجلس الأعلى من خمسين عضوا عن خمس منظمات ، حيث خرج من الإتحاد المعاز الوطني الإسلامي بقيادة أحمد كيلاني. وفتح أمامه باب الإتحاد. وانعقدت أولى جلسات المجلس بعد ذلك بشهر ، وفي هذه الجلسة سلمت جميع الاختصاصات للمجلس الأعلى للإتحاد الإسلامي كقائد لحركة تحرير أفغانستان.

واتخذ الاتحاد علما واحدا لونه أبيض مكتوب عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله ». وتحتها عبارة « اتحاد إسلامي مجاهدين أفغانستان ». وقد أرسل هذا الاتحاد

وفدا من أعضائه إلى داخل أفغانستان لتوحيد صفوف المقاومة(٤٦).

واستطاع القادة تنسيق أمورهم الجهادية في الساحة العسكرية إلى حد كبير ، وكان هناك تعاون مستمر بين قادة الجهاد العسكري رغم وجود التشتت في قياداتهم السياسية خارج أفغانستان . وأمير الجهاد هو عبد رب الرسول سياف .

ردود الفعل العالمية للغزو السوفييتي :

تجاوبت كثير من البلدان الإسلامية مع أفغانستان قولا وعملا حسب طاقاتها ، في حين اعترف بعضها بحكومة كابول ، واعتبرتها حكومة ثورية وتقدمية واشتراكية ، وبارك بعضها الغزو السوفييتي ورحبت به ، ووصفته بأنه تعاون بين نظامين ثوريين(٤٧).

وقد عقد المؤتمر الطارىء لوزراء خارجية الدول الإسلامية في إسلام آباد عاصمة باكستان (رجب ١٤٠٠هـ/فبراير ١٩٨٠م) لبحث قضية أفغانستان واشترك في هذا المؤتمر الشيخ برهان الدين رباني أمير الجمعية الإسلامية الأفغانية كناطق رسمي لجميع المنظمات الإسلامية الجهادية ، والقى خطابا بين فيه الجرائم التي ارتكبتها القوات الروسية ، وطلب من أعضاء المؤتمر أن يقطعوا علاقاتهم الدبلوماسية والإقتصادية مع الإتحاد السوفييتي ، وأن يعترفوا بالمجاهدين كممثلين شرعيين للشعب الأفغاني ، وأن يساعدوهم بالدعم المادي والمعنوي من أجل استمرار جهادهم.

واستنكر المؤتمر العدوان الروسي ، وشكلوا وفدا من إيران وباكستان ورئيس منظمة المؤتمر الإسلامي للتفاوض مع كابل وموسكو ، ولكن الإتحاد السوفييتي رفض استقبال الوفد و لم يعترف به.

وفي المؤتمر الحادي عشر في العام نفسه (شعبان ١٤٠٠هـ/ مايو ١٩٨٠م) نشط المتعاونون مع النظام الشيوعي الروسي فاتخذت الدول الإسلامية المعارضة للعدوان الروسي أسلوبا دبلوماسيا بتخفيف الإستنكار والإكتفاء بتشكيل لجنة ثلاثية مكونة من وزراء خارجية باكستان وإيران وأمين منظمة المؤتمر الإسلامي لحل قضية أفغانستان.

واشترك الأستاذ عبد رب الرسول سياف كناطق من قبل المجاهدين وألقى

(٤٦) أحمد قنديل ـ مذكرة في حاضر العالم الإسلامي ص٥١ـ٥٣.

(٤٧) مجلة الدعوة العدد ٤٨ ص٩.

خطابا باسمهم في مؤتمر رؤساء الدول الإسلامية الثالث في مكة (ربيع الثاني ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م).

وكذلك اشترك الشيخ برهان الدين رباني كناطق رسمي باسم المجاهدين في مؤتمر القمة الإسلامية في الدار البيضاء بالمغرب عام ١٤٠٤هـ.

وقامت وسائل الإعلام السعودية بما يجب عليها من شرح القضية ، ومؤازرتها.

أما المحافل السياسية الغربية وصحفها فقد كانت كثيرة الاهتمام بهذه القضية ، واستنكرت مافعله الروس في أفغانستان وحذرت العالم من نياتهم التوسعية الإستعمارية.

وعرضت المسألة على هيئة الأمم المتحدة لأول مرة (ربيع الثاني ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وأتخذت عدة قرارات لصالح أفغانستان ، وظهر فيها تفهم أحداث أفغانستان لدى القسم الأعظم من الدول. فقد أدانوا التدخل السوفييتي بصراحة ، وطالبوا بانسحاب الجيوش الروسية من أفغانستان ، وأعربوا عن احترامهم التام لسيادة هذه البلاد واستقلالها ، وأكدوا على حق الشعب الأفغاني في تقرير مصيره بنفسه.

أما الإتحاد السوفييتي فقد برر تدخله بالأسباب الرئيسية التالية :

١- إن دخول جيوش أجنبية أفغانستان ، اقتضته الهجمات المسلحة التي حرضت عليها الامبريالية والرجعية ضد حكومة الجمهورية الديمقراطية الأفغانية ، وأن وجود الجيش الروسي كان أمرا حيويا لضمان سيادة واستقلال الشعب الأفغاني.

٢- إن هذا التدخل جاء استجابة لطلب تقدمت به الزعامة الأفغانية مرة بعد مرة وفقا لنصوص معاهدة الصداقة المعقودة بين الإتحاد السوفييتي وبين أفغانستان في ديسمبر. كما أن تصرف الإتحاد السوفييتي جاء وفقا للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة المتعلقة بالدفاع عن الحقوق الفردية والجماعية لكي لا يسمح لأفغانستان بأن تغدو رأس جسر لإعداد اعتداء إمبريالي على الإتحاد السوفييتي.

٣- إن الجيوش الروسية لم تشترك بالإنقلاب الحكومي الأفغاني الأخير وأن وجودها في أفغانستان أمر يخص الإتحاد السوفييتي وأفغانستان وحدهما.

ولم تقنع هذه التبريرات أحدا ، فقد أثبتت المناقشات زيفها وافتراءها وتناقضها(٤٨).

(٤٨) ناصر الدين شاه ص٥٨.

وأما باكستان فرأت أن من واجب الهيئة العامة أن تصدر نداء جماعيا يتضمن مايلي :

١- إنسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان فورا وبلا شرط.

٢- إيجاد ظروف مناسبة يستطيع معها الشعب الأفغاني أن يقرر مصيره بنفسه من غير تدخل خارجي أو إملاء إرادة عليه.

٣- إحترام سيادة أفغانستان وسلامة أرضها واستقلالها.

٤- إيجاد ظروف مستقرة وهادئة في أفغانستان تسمح للاجئين بالعودة إلى بلادهم مختارين في ظروف أمن على حياتهم وكرامتهم ، وعلى هيئة الأمم أن تستمر في مساعدتهم ، لتمكنهم من التغلب على الحياة القاسية التي يحيونها إلى أن يعودوا إلى وطنهم(٤٩).

وعلى كل فإن قرارات الهيئات والمنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة قد خبرها العالم كله ، ولم تعد تحظى بتنفيذ الدولة التي صدر القرار ضدها ، والأمثلة كثيرة في فلسطين وأرتيريا وكشمير وغيرها. ولذا فواجب المجاهدين الأفغان الا يركنوا إلى الأمم المتحدة لحل قضاياهم. وواجب المسلمين أن يقفوا مع المجاهدين المسلمين الأفغان يشدون أزرهم ليتجاوزوا المحنة.

كما ويجب أن ندرك أن أمريكا راضية كل الرضا عن الإجراء السوفييتي تجاه الشعب الأفغاني ، لأن ذلك يحقق لها القضاء على المجاهدين أو اضعافهم على الأقل ،وهم الذين يمثلون جزءا هاما من الصحوة الإسلامية العالمية المعاصرة ، والتي تعتبرها أمريكا أخطر مايهدد الحضارة الغربية الآفلة ، دون أن تغمس يديها في دماء المجاهدين ، حتى لاتزداد كراهية المسلمين لها ، وفي الوقت نفسه فإن هذا الغزو الهمجي يشيع الذعر في قلوب الحكومات الضعيفة ، فتكون النتيجة إرتماء تلك الحكومات في أحضان أمريكا لحمايتها(٥٠).

السياسة الشيوعية في أفغانستان :

بلغ عدد الجيش السوفييتي الذي غزا أفغانستان أكثر من ١٢٠ ألفا ، وتم تدمير حوالي ٦٠٪ من القرى حول المدن تدميرا كاملا ، لإجبار سكانها على الهجرة ، وازداد عدد اللاجئين من الأطفال اليتامى ، والنساء الأرامل ، والشيوخ

(٤٩) نفسه ص٦٢.

(٥٠) مجلة الدعوة العدد ٤٨ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ/ وانظر مجلة البلاغ العدد ٨٢ ص٥٠.

الكبار(٥١). ولما كان المجاهدون يعانون قلة الأطباء ، فقد وصلهم بعض الأطباء والفنيين الغربيين الذين يعملون في مؤسسات صليبية منظمة ، أهدافهم تنصيرية واضحة(٥٢). فتتجمع بذلك على الساحة الأفغانية المسلمة المخططات الشيوعية والرأسمالية الصليبية والصهيونية.

وتبنى السوفييت أساليب جديدة في الإرهاب ، فاستخدموا طائرات الهليكوبتر والمظليين للقيام بغارات سريعة ، على غرار تلك التي كانت تقوم بها القوات الأمريكية في حرب فيتنام. ومن الأمور المزعجة للمجاهدين النشاطات التي تقوم بها المخابرات الحكومية للكشف على مواقعهم بسرعة ثم مهاجمتها. وأخذ السوفييت مئات الأطفال الأفغانيين إلى داخل روسيا لتلقينهم سياسيا(٥٣). وكلما اكتظت السجون الأفغانية بالأسرى من المجاهدين ، نفذ الشيوعيون أحكام الإعدام في أعداد هائلة منهم ، وتم تنفيذ الإعدام بصورة بشعة أمام زملائهم بالفؤوس التي يستخدمها الجلادون المأجورون كعشماوي الجلاد الذي استقدم من موسكو لهذا الغرض(٥٤).

وأما **السياسة الشيوعية في داخل أفغانستان** فنلخصها فيما يلي :

عملت الشيوعية السوفيتية (كعادتها في البلاد الإسلامية التي استولت عليها بالقهر) على تمييع الشخصية الإسلامية من الناحية الفكرية والإجتماعية فقامت بمايلي :

١- إلغاء مناهج العلوم الدينية في المدارس في مراحلها المختلفة ، وذلك لأن المدرسة تعتبر أحد عوامل تكامل الشخصية. وقد نجح الشيوعيون في أخذ زمام أمور التدريس والتربية. وعملوا على أن يضلوا الآلاف من أبناء المسلمين ويصرفوهم عن دينهم وتراثهم.

٢- إنشاء المدارس لتعليم الكبار : لتضليل الفلاحين والعمال والحرفيين فقد خدعوهم بأنهم يريدون أن يعلموهم القراءة والكتابة ، ووصلوا إلى حد أن أجبروا النساء والفتيات على الخروج من بيوتهن لحضور هذه الفصول الدراسية التي غايتها

---

(٥١) المجتمع الكويتية العدد ٧٠٨ ، الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ /١٢ مارس ١٩٨٥م ص٥.

(٥٢) المسلمون العدد ٣٦ ، النفير العام العددان ١٥،١٦ السنة ٣ربيع الثاني - جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

(٥٣) الشرق الأوسط (عن النيوزويك) ص٨ الأحد ١٩٨٤/١٢/٢م.

(٥٤) المسلمون العدد٣٦ ١٩٨٥/١٠/١٢م ، وانظر العدد ٣٥ ص٦-٧ والعدد ٣٧ ص١٢-١٣.

تلقين الشيوعية والإلحاد.

٣- إستغلت الشيوعية وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة لبث أفكار الشيوعية ، فنشرت الشائعات والدعايات الكاذبة ضد المباديء الإسلامية والمجاهدين لتخلق هوة بين المجاهدين ومواطنيهم.

وفرضت الحكومة على جميع القطاعات الحكومية أن تخصص نصف ساعة يوميا لتدريس العلوم السياسية ، وخاصة النظرية الماركسية اللينينية.

٤- جعلت تعليم اللغة الروسية إجباريا في جميع المراحل المدرسية والقطاعات العسكرية والمدنية ، وخصصت المكافآت لمن يجيد هذه اللغة لتوظيفهم في المناصب العالية وزيادة رواتبهم.

٥- قامت بإرسال آلاف من أطفال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين ٧و١٠سنوات للقيام بعمل غسيل مخ لهم ، وتربيتهم تربية إلحادية لمدة لاتقل عن ستة أشهر ،وقد تصل إلى عشر سنوات. وهناك أكثر من ٢٠ ألف طالب أفغاني في الإتحاد السوفييتي لهذا الغرض(٥٥).

٦- حاولت بذر الخلافات القومية والقبلية في المجتمع الأفغاني المسلم. فأرسل الجواسيس للتفريق بين القبائل (الباشتو والتاجيك وغيرهما) وإغراء بعض ضعفاء الإيمان ليثيروا العداوات والفرقة. وقد أثرت هذه الدسائس على بعض العامة الجهلة(٥٦).

لقد انقضى مايقرب من تسعة أعوام على الغزو الشيوعي لأفغانستان ولا زال الجهاد الأفغاني مضرب المثل ، وكلما ازدادت الشيوعية ضراوة وتخريبا لمدن وقري أفغانستان ازداد الجهاد صبرا وجلدا ، فقدم الأفغانيون أكثر من مليون ونصف شهيد(٥٧) ، فأحيوا بذلك معنى الجهاد في نفوس المسلمين ، وقد تحركت الروح الإسلامية في مئات من شباب المسلمين في البلاد الإسلامية الخاضعة للروس وسقطوا شهداء بعد أن رفضوا مقاتلة إخوانهم في أفغانستان. وأخذت القوات الروسية بالانسحاب داعمة حكم عميلها نجيب حيث بقي الجهاد مستمرا وقد تجاوز عدد المهاجرين الخمسة ملايين نسمة ، ثلاثة ملايين في باكستان ، ومليونان

---

(٥٥) صحيفة الأخبار المصرية - محمد حسن صابر - الاصرار على سباق الماراثون الأفغاني. العدد ١٠٢٨١ (١٠شعبان ١٤٠٥هـ/ ١٣ابريل ١٩٨٥م) القاهرة.

(٥٦) وقد حذر المجاهدون الشعب الأفغاني مغبة ذلك.

(٥٧) انظر السيل الأحمر في بلوجستان - اعداد نصر الله خان ص٣.

في إيران. وأغلبهم من النساء والشيوخ والأطفال. وانضم ٩٠ ألفا من الجنود والضباط المسلحين إلى المجاهدين. وتحكم المجاهدون في نحو ٨٥٪ من أراضي أفغانستان. وفي هذا العام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م تتوارد الأنباء عن قرب سقوط كابل بيد المجاهدين.

هذا وقد تم عقد مؤتمر جنيف لبحث القضية الأفغانية باتفاق روسيا والولايات المتحدة ، وحضره مندوبون عن الحكومة الأفغانية الشيوعية ، وعن باكستان في ١٩٨٨/٣/١٤م ، ورفض المجاهدون حضوره ، وقد نصت الاتفاقية على إنشاء حكومة ائتلافية من المجاهدين والشيوعيين ، وإغلاق الحدود مع باكستان ، وعودة المهاجرين.

واقترح مبعوث الأمم المتحدة على إثر ذلك وقف إطلاق النار في أفغانستان ، وتشكيل حكومة ذات قاعدة موسعة تختار مجلسا شعبيا (لوى جركا) يقرر شكل الحكومة الدائمة ، ويختار أعضاءها.

وقد رفض المجاهدون ذلك لأنها تؤدي إلى فرض عناصر ليس لها علاقة بالجهاد. وقرروا تشكيل حكومة مؤقتة اختاروا لرئاستها: (مهندس أحمد شاه) من أبناء الحركة الإسلامية الأوائل ، وذلك يوم ١٩٨٨/٣/١٧م بإجماع الأحزاب الإسلامية السبعة التي تكون منها إتحاد المجاهدين(٥٨). واستمرت حركة الجهاد والتصميم على إقامة الحكومة الإسلامية ، وقد يكون الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق قد ذهب ضحية ذلك في انفجار طائرته مع ثلاثين من قادة باكستان يوم ١٩٨٨/٨/١٧م.

وقد أخذت القوات السوفيتية تتلكأ في الانسحاب من أفغانستان نتيجة للضربات الموجعة التي كالها المجاهدون للقوات الشيوعية الحاكمة. وبدأ الخطر يلوح من جهة باكستان بنجاح حزب الشعب الباكستاني بزعامة بنازير بوتو في

---

(٥٨) أخبار الجهاد في أفغانستان العدد ١٩٨٨/٢/١٨م - ١٩٨٨/٣/١٧م ، ١٤٠٨/٧/١هـ - ١٤٠٨/٧/٣٠هـ.

وقد نشرت مجلة أفغانستان النص الكامل بالعربية لاتفاقيات جنيف بين باكستان وحكومة أفغانستان الشيوعية بإشراف الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة يوم ١٤ إبريل ١٩٨٨م العدد ١١أغسطس ١٩٨٨م / ذو الحجة ١٤٠٨هـ ص٣١-٣٩.

الانتخابات يوم ٨ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨/١١/١٧م. والحزب ذو اتجاه اشتراكي كما أن بنازير من الباطنية وهي من أعداء الجهاد الأفغاني(٥٩). وهذا ينذر بالأخطار على عمليات الجهاد المستمرة. كما أخذ المجاهدون يجتمعون بالإتحاد السوفييتي في باكستان والطائف بالمملكة العربية السعودية في محاولات للتوصل إلى حل تنسحب فيه قوات الإتحاد السوفييتي.

وقد انسحبت القوات الروسية بالفعل قبل الوقت المحدد وهو ١٤٠٩/٧/٩هـ ١٩٨٩/٢/١٥م .وبقي على المجاهدين أن يقابلوا الواقع الجديد ويحافظوا على توازنهم وإنجازاتهم . وعلى العالم الإسلامي مساعدتهم في إقامة دولتهم الإسلامية لتعود أفغانستان قلعة من قلاع الإسلام الحصينة. وانسحبت القوات الروسية بعد أن خلفت المشكلات المعقدة التي يصعب حلّها والتي تتخلص في: التركيبة القبلية المعقدة، والتدخل الشيعي الإيراني في المنظمات الجهادية، والمليشيات الشيوعية والتي تربت على الفكر الشيوعي وكره كل ما هو إسلامي وتسلم الكثير منهم القيادة والمواقع الحساسة. بالإضافة إلى ما يسمى بالنظام العالمي الجديد من الهيمنة الأمريكية والتي نجد معها بالطبع التأثير الصهيوني. وخوف الهند والصين من قيام دولة إسلامية كل ذلك أوجد صراعاً ونزيفاً لا ينقطع في أفغانستان المسلمة!!

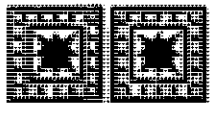

(٥٩) انظر تدخل السيل الأحمر في بلوجستان ص١٤-١٥.

الفصل الخامس
المسلمون في أندونيسيا

تعني أندونيسيا جزر الهند الشرقية ، وعرفت عند العرب والمسلمين باسم بلاد المهراج أو الجاوى(١). وهي عبارة عن أرخبيل عظيم في جنوب شرق آسيا يبعد طرفها الشرقي عن طرفها الغربي بقدر ماتبعد لندن عن الخليج العربي(٢) فهي أكبر أرخبيل (مجموعة جزر في العالم). وتضم ١٣٦٧٧ جزيرة صغيرة منها ٦٠٤٤ جزيرة مأهولة. وتنقسم إلى مجموعات هي :

أ- مجموعة جزر صندا الكبرى وهي تشمل :

١- جزيرة جاوة ومادورة ومساحتها ١٣١ ٥٠٠ كم٢ ، ويبلغ طول جاوة ألف كم من الغرب إلى الشرق ، ويتراوح عرضها بين ١٠٠ إلى ١٥٠ كم من الشمال إلى الجنوب(٣). وبجانبها جزيرة مادورة ولا يزيد عرض المضيق الذي يفصل بين جاوة عن مادورة على ٢ كم فقط.

٢- جزيرة سومطرة وهي من أعظم الجزر العالمية ، يفصلها عن الملايو مضيق ملقا وعن جاوة بوغاز الصوند ، ويصل طولها إلى ١٧٦٥ كم وأما عرضها فيتراوح بين ١٦٠ كم و٤٠٠ كم. وتبلغ مساحتها ٤٣٠ ٠٠٠ كم٢(٤).

٣- جزيرة كاليمنتان (بورنيو) : وهي أكبر جزر الأرخبيل ، من بلاد خط الإستواء ، وتبلغ المنطقة الأندونيسية منها ٥٣٢ ٤٣٠ كم٢ في حين تبلغ مساحتها كلها ٧٤٦ ٠٠٠ كم٢(٥).

٤- جزيرة سولاويزي - وكانت تسمى سيلبس ، وتبلغ مساحتها ١٨٥ ٠٠٠ كم٢(٦). وهي من أغرب جزر العالم في شكلها.

ب- مجموعة جزر صندا الصغرى وأشهرها بالي الجميلة ولومبوك وسومبارا وسومبا وفلورسي وتيمور.

---

(١) اطلق عليها المسعودي هذا الإسم (حاضر العالم الإسلامي ج١ ص٣٤٦). وكذلك ابن خرداذبة وأبو الفدا (حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٤٧). أندونيسيا اليوم العدد الثالث ١٩٧٩م ص٢.

(٢) غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا ص١٥.

(٣) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٢.

(٤) نفسه ج١ص٣٥٢.

(٥) نفسه ج١ص٣٥٧. ، تقويم العالم الإسلامي ص٢٣٤.

(٦) نفسه ج١ص٣٥٥.

جـ- مجموعة جزر مولوكي وتمتد حتى الفلبين وكانت تعرف باسم جزر التوابل. وأكبر جزرها جزيرة هالماهيرا وهي غريبة الشكل كسولاويزي.

د- القسم الغربي من جزيرة غينية الجديدة المعروفة باسم إيريانا الغربية ومساحة هذا الجزء ٣٩٧ ٠٠٠ كم٢(٧). والجزء الآخر الواقع تحت الإنتداب الإنجليزي الأسترالي مساحته ٣٧٢ ألف كم٢. وقد ضمته أندونيسيا أخيراً.

وتبلغ مساحة هذه الجزر جميعا أكثر من ٢ مليون كم٢. بينما تبلغ مساحة مياهها أربعة أضعاف اليابسة منها.

ويحدها من الشمال بحر الصين الجنوبي ، ومن الشمال والشرق المحيط الهادي ، كما يحدها المحيط الهندي من الجنوب والغرب ولذلك كان يطلق عليها نوسنتارا (أي الجزر بين المحيطين). فهي في موقع متوسط بين آسيا وأوقيانوسيا (استراليا). وتتميز بغزارة الأمطار والرطوبة العالية والحرارة المرتفعة يلطفها وضعها الجزري ، لامتدادها على جانبي خط الأستواء ، وتقل أمطارها عموما كلما اتجهنا جنوبا حيث يظهر أثر الصحراء الأسترالية(٨) ، وتقع في أوساط الجزر الكبيرة سلاسل من الجبال مكسوة بغابات كثيفة تغطي - مساحة الأرض الأندونيسية ، ويستفاد منها الأخشاب(٩) ومعظمها من النوع الثمين ، كما تتميز بكثير من البراكين النشطة والخامدة التي تسبب وجود التربة البركانية الخصبة التي تنقلها الأنهار من المناطق الجبلية إلى السهول والمنخفضات الزراعية الغنية. فحملت اسم الجزر الخضراء(١٠).

والبلاد غنية بالمطاط الطبيعي فهي ثانية دول العالم إنتاجا له بعد الملايو ، كما أنها ثانية دول العالم في إنتاج القصدير ، وتشتهر بالبترول ، وبقصب السكر والأرز والشاي والبن والذرة وزيت النخيل والفول السوداني والبطاطا ، وفول الصويا والتوابل والأفاويه والقرنفل والقرفة والفانيليا والكينا والكنين وجوز الهند والكاكاو(١١).

---

(٧) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٧.

(٨) تقويم العالم الإسلامي ص٢٣٥.

(٩) نفسه ص٢٥١. ، أندونيسيا اليوم العدد ١٩٧٩/٣ ص٢.

(١٠) أندونيسيا اليوم - وزارة الإعلام - جمهورية أندونيسيا.

(١١) تقويم العالم الإسلامي ص٢٤٦.

وتشتهر بصيد السمك ، ومن المشاكل التي تعترض اقتصادها وتجعلها فقيرة رغم إمكانياتها الهائلة (كشأن البلاد الإسلامية والعالم الثالث) اعتمادها على إنتاج الأصناف التجارية اللازمة للأسواق العالمية(١٢). بمعنى أن مواردها موجهة لخدمة السوق الصناعي في البلاد الإستعمارية فهي مخزن هام للمواد الأولية الزراعية والغذائية والتوابل.

سكان أندونيسيا ولغتهم :

يصل عدد سكانها حاليا حوالي ١٥٠مليون نسمة ، يعيش أكثرهم (حوالي ٦٥٪) في جزيرة جاوة وجزيرة مادورة في مساحة تقل عن ٧٪ من جملة المساحة الكلية لأندونيسيا ، ولذلك فهناك مشكلة توزيع السكان. ويزيد عدد السكان بنسبة ٢,٧٪ سنويا(١٣).

ويؤلف المسلمون حوالي ٩٥٪ من السكان ، كما يمثل النصارى ٣٪ والباقي من البوذية والهندوكية والوثنية البدائية التي لاتزال بين القبائل المنعزلة(١٤) في وسط بعض الجزر النائية. فهي بذلك أكبر دولة مسلمة بالنسبة لعدد السكان.

ويعود السكان إلى الجنس الملاوي الذي ينتشر في الجزر المجاورة أيضا كالفلبين والملايو وحتى مدغشقر في أفريقيا. وهناك أقليات صينية وهندية وعربية (خاصة من حضرموت) وأوروبية(١٥). وهناك عنصر آخر : الزنوج أول من سكن البلاد وبشرتهم سوداء وقامتهم قصيرة ولايزالون يحيون حياة بدائية يعيشون في الغابات ويمتهنون صيد الحيوانات والتقاط الثمار ، وبيوتهم من غصون الأشجار ويسترون عوراتهم بأوراقها. ومن المدن الكثيفة السكان في جاوة : جاكارته ، وسورأبابا ، وباندونج ، وسيمارانغ ومالانغ وجوجكارتا. ومدن : ميدان وبالمبانغ وبادانغ في سومطرة. وبنجرماسين في بورنيو ،وماكاسار في سليبس (سولاويزي).

وتتعدد اللغات واللهجات في أندونيسيا فهي تتراوح بين ١٥٠و٢٥٠ لغة ولهجة ، واللغة الرسمية الحالية هي : **باهاسا أندونيسيا** ، التي ترجع إلى اللغة المالاوية ، وتشمل كثيرا من اللهجات الأندونيسية ، وكلمات هولندية وعربية

---

(١٢) نفسه ص٢٤٧.

(١٣) اللواء علي مورتوفو - بعض الأفكار الأساسية ص٣٨.

(١٤) تقويم العالم الإسلامي ص٢٤٠.

(١٥) نفسه ص٢٤٠. ، أندونيسيا اليوم ص٣ العدد ١٩٧٩/٣م.

وسنسكريتية ، وتعتبر اللغة الإنجليزية الثانية في البلاد وتدرس في المدارس الثانوية(١٦).

وكانت الأندونيسية تكتب بحروف عربية ، ولكن الإستعمار الهولندي أحل محلها الحروف اللاتينية. وبقيت العربية عند كثير من المثقفين وطلبة العلم.

دخول الإسلام إلى جزر الهند الشرقية :

لا يُعرف وقت بدء دخول الإسلام إلى هذه الديار بالدقة ، ولكن الأرجح أن الإسلام وصلها في القرون الهجرية الأربعة الأولى عندما ملك المسلمون ناصية تجارة المحيط الهندي(١٧). فكان الدعاة والتجار جنبا إلى جنب. والتجار أنفسهم كانوا دعاة إلى الدين الحنيف. فدخل سومطرة من شبه جزيرة العرب ، والهند ، وشواطيء المالابار، والدكن. فقد تنازل السلطان محمد ، سلطان ولاية مالابار في الهند عن العرش لابنه وأبحر إلى سومطرة وهناك عرض على أميرها الإسلام فأسلم وسمي بالملك الصالح وأخذ ينشر الإسلام في سومطرة وكانت أول مملكة إسلامية في تلك الجزر. وكانت علاقة سلاطين هذه المملكة حسنة مع سلطنة دهلي الإسلامية ، ومع فارس ، فابن بطوطة الذي زارها عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م ذكر أن من العلماء المقربين إليه إثنين من بلاد فارس ، أحدهما من شيراز والآخر من أصفهان(١٨).

أما العرب الذين وصلوا دعاة وتجارا إلى سومطرة وجاوة فقد حصلوا على احترام عظيم من الأهالي ، ونفوذ كبير ، لا سيما السادة والأشراف. فقد تباهى

(١٦) أندونيسيا اليوم العدد (٣٠) ص٣ عام ١٩٧٩م.

(١٧) انظر حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٦٦. ، أندونيسيا اليوم ص٣ العدد٣٠/١٩٧٩. وهناك شواهد تدلنا على أن الدعوة الإسلامية قد ظهرت وابتدأت في الجزر الأندونيسية والأرخبيل الماليزية سنة ٩هـ/ ٦٠٣م ، توجد في صحيفة من صفحات الكتاب الصيني تقول : إن مملكة تسمى توشي في أرخبيل أندونيسيا قد أبرمت معاهدة مع البلد الصيني ابتداء من سنة ٦٠٣-٦٥٥م فكلمة توشي هي كلمة يطلقها الصينيون على جماعة المسلمين. صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي - تاريخ مجيء الإسلام إلى أندونيسيا وماتبع ذلك من مراحل. بقلم د.حسين عزمي ، ترجمة هارون علي، أخبار العالم الإسلامي الاثنين ١٦محرم ١٤٠٦هـ. وقد تبين أن المسلمين أرسلوا الوفود إلى مملكة ماجاباهيت زمن معاوية رضي الله عنه ، وزمن عبد الملك ابن مروان (٦٥-٨٦هـ)، وزمن سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) ، كما ازدادت الصلات زمن هارون الرشيد فوصل الدعاة إلى البلاد مع التجار. انظر (Sejarah Ummat Islam IV ,pp54-55)

(١٨) أمير سيد الشيرازي وتاج الدين الاصبهاني - تحفة النظار ج٢ص٧٠٦ انظر حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٦٧.

أمراء الأهالي وملوكهم المسلمون بالتقرب إليهم بالمصاهرة ، وكثير من أبنائهم أصبحوا سلاطين وأمراء(١٩). وكانت مملكة ديماك أول سلطنة عربية في جاوة(٢٠). ومن سومطرة وجاوة امتد الإسلام إلى بقية الجزر الأندونيسية. وأخذ الأمراء المسلمون ينشرونه بالفتح والجهاد ، وإرسال الدعاة ، بالإضافة إلى التجار. ففي بلدة غريزيك من بلاد سورأبايا في جاوة قبر مولانا الملك إبراهيم أحد كبار المجاهدين (ت سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م). وفي بلدة بازة قبر الأمير محمد بن عبد القادر من ذرية المستنصر العباسي (**ت سنة ٨٢٢هـ أيضا**)(٢١).

واشتهر تسعة من الدعاة ، أطلق عليهم اسم : « الأولياء التسعة » ، أو «سونن» عند الجاويين ولأهميتهم في نشر الدعوة ، وفي حركة الجهاد ، حيكت حولهم الأساطير. وهم : مولانا ملك إبراهيم : الذي أسس المعهد الإسلامي لتعليم الدين ، وإعداد الدعاة ، وتوفي عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م. ورادين رحمت : وهو الذي خطط لإنشاء مملكة ديماك الإسلامية الأولى في جاوة ، بعد أن أقنع «رادين الفتاح» إبن ملك ماجاباهيت بضرورة إنشاء سلطنة إسلامية. ومولانا مخدوم إبراهيم، والمسيح معونة ،ومولانا عين اليقين ، ورادين محمد شهيد ، والشيخ جعفر صادق ، ورادين إبن عمر سعيد ، وفتح الله الذي قاد الجهاد ضد البرتغاليين إلى وفاته عام ١٥٧٠م(٢٢).

وانتشرت الإمارات والسلطنات الإسلامية في تلك البلاد التي أصبحت ديارا إسلامية. بعد أن قضي على سلطنة ماجاباهيت البوذية (١٢٩٣-١٤٠٧م) عندما اعتنق أمراؤها الإسلام. حيث انتهت تماما عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م. وحلت محلها السلطنات الإسلامية واشتهر من الدعاة في هذه السلطنة : حسين الدين حليف سلطان ديماك العربي. ومن أشهر هذه السلطنات الإسلامية : سلطنة **ديماك**. وديماك تقع في الساحل الشمالي في جزيرة جاوة الوسطى على بعد ٤٥٠ كم من جاكارتا

---

(١٩) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٦٨.

(٢٠) نفسه ج١ص٣٤٥.

(٢١) نفسه ج١ص٣٦٢. ويقال أن مولانا إبراهيم مغربي الأصل ، أنور الجندي ، العالم الإسلامي ص١٢٨.

(٢٢) أنيس طه ص٣٣-٣٥. عن : **Sejarah Ummat Islam P136**

شرقا (العاصمة الحالية) ، وسميت ديماك بهذا الاسم من الكلمة العربية (ذي ماء) بمعنى المكان الذي يكثر فيه الماء ، وهي بالفعل تتكون من سهول ،ومستنقعات وحياض ،تكثر فيها الماء لا سيما في موسم المطر.

أوأنها مأخوذة من الكلمة العربية (الدموع) أو (الدمع) وذلك لما لحق بالدعاة المسلمين من الصعوبات أثناء دعوتهم لنشر الإسلام بين القوم. أو أنها أخذت من الكلمة الجاوية القديمة (داماك) بمعنى العطاء ، أو الهدية ، لأن (براوبجايا) الخامس ملك ماجاباهيت أهداها لابنه رادين الفتاح. حيث توجه إليها مع الداعية رادين رحمت الذي أسس معهدا إسلاميا هناك.

وقد مثلت ديماك مرحلة انتقالية من سيادة ماجاباهيت البوذية إلى سيادة سلطنة **ماتارام** الإسلامية. وقد استمرت هذه السلطنة من عام ١٤٧٥-١٥٤٦م. وتحملت عبء الجهاد وقادته ضد البرتغاليين ووقفت في وجههم صخرة عاتية بعد أن سقطت السلطنة الإسلامية المشهورة ملقا.

واشتهرت سلطنة ماتارام الإسلامية في أواسط جاوة ، وقد أسسها (سوتوويجايا) وحملت عبء الدعوة ، ولواء الإسلام بجاوة ، وخلفت سلطنة ماجاباهيت. وبقيت إلى القرن الثامن عشر حين سقطت تحت هجمات الهولنديين(٢٣). **وسلطنة بانتام** الجاوية الشهيرة ، **وسلطنة بونتياناك** في بورنيو وكان عليها رجل عربي اسمه الشريف عبد الرحمن ابن الشريف حسين بن أحمد القادري وقبره هناك ، وقضت على سلطنته شركة الهند الهولندية وأبقت لذريته الإسم من الملك(٢٤). **وسلطنة سانباس** وأشهر سلاطينها السلطان محمد صفي الدين وبقيت إلى القرن العشرين. **وإمارة سارفاك** في بورنيو أيضا ودخلت تحت الحماية البريطانية في القرن التاسع عشر. وسلطنة **كوتاي** في بورنيو ، قضت هولندة على استقلالها في القرن التاسع عشر أيضا(٢٥).

كما كانت إمارات مسلمة عديدة في جزيرة سولاويزي ، واشتهر من السلاطين هناك علاء الدين (ت عام ١٠١٢هـ/١٦٠٣م)(٢٦).

---

(٢٣) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٠

(٢٤) نفسه ج١ص٣٥٢.

(٢٥) نفسه ج١ص٣٥٣.

(٢٦) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٥.

جزر الهند الشرقية (اندونيسيا)

وأما أشهر السلطنات الإسلامية فهي **آتشيه** في شمال سومطرة التي حملت الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين بعد سقوط ملقا بيد البرتغاليين ، واستمرت سندا للدعاة ترسلهم إلى جميع الجزر إلى أن سقطت عام ١٣٤٥هـ/١٩٠٧م بيد الهولنديين(٢٧). وكانت قد ازدهرت بعد سقوط ملقا بيد البرتغاليين ، وحاولت توحيد المسلمين في سومطرة ، وقادت حركة الجهاد ضد البرتغاليين ، وهاجمتهم ١٤ مرة ، واستولت على إمارة جهور الإسلامية في الملايو ، في سبيل توحيد الجهود المسلمة ، أمام الصليبيين ، وقد أسرت ملكها ثم أعادته إلى حكم بلاده. كما اتصلت بالدولة العثمانية من أجل توحيد الجهود الإسلامية ففي عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م اتصل سلطان آتشيه بالسلطان العثماني وطلب مساعدات حربية ، وأسلحة ، فأرسل سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) جميع أنواع الأسلحة من السيوف والحراب ، والبنادق ، والمدافع ، وأرسل إليهم عددا من صناع البنادق والمدافع. وقد استمرت العلاقات بالدولة العثمانية - دولة الخلافة - واستمر تبادل البعثات ، واستمر تدفق المتطوعين من المسلمين من آسيا الصغرى ، وبلاد الشام ، والحجاز ، ومصر إلى الجزر الإندونيسية. واشتهر عدد من العلماء في هذه السلطنة المجاهدة ، وكانت لهم مكانتهم العالية بين المجتمع(٢٨).

وقد أعجب ابن بطوطة بسلطان سومطرة المسلم الذي كان يجاهد لنشر الإسلام فقال(٢٩) : « وهو السلطان الملك الظاهر من فضلاء الملوك ، شافعي المذهب ، محب للفقهاء ، يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة ، وهو كثير الغزو والجهاد ، متواضع ، يأتي إلى صلاة الجمعة ماشيا على قدميه ، وأهل بلاده شافعية محبون للجهاد ، يخرجون معه تطوعا وهم غالبون على مايليهم من الكفار ، والكفار يعطونهم الجزية على الصلح ». وكانت علاقات السلطنة قوية مع البلدان الإسلامية في بقية أندونيسيا والهند ومع الدولة العثمانية.

وقد عقدت ندوة خاصة ببحث دخول الإسلام إلى الجزر الأندونيسية ، بمدينة (ميدان) بسومطرة الشمالية. واستمرت جلساتها من ١٧ إلى ٢٠ مارس ١٩٦٣م

---

(٢٧) انظر دخول الإسلام إلى الفلبين. وكان آخر سلاطينها توانغ كو محمد دافوت الذي دخل حماية هولندة سنة ١٩٠٣م. حاضر ج١ص٣٣٩.

(٢٨) انظر : المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى ص٩٥ ، ص٣٩٠-٣٩٢.

(٢٩) تحفة النظار ج٢ص٧٠٦.

(٢١ ـ ٢٤شوال ١٣٨٢هـ) وانتهت إلى مايلي(٣٠) :

١ـ فهمنا من المصادر التي اطلعنا عليها أن الإسلام دخل إندونيسيا في القرن الأول الهجري. ومن بلاد العرب مباشرة.

٢ـ إن أول منطقة دخلها الإسلام هي سواحل «سومطرة» ، وأنه بعد تكوين المجتمع الإسلامي كان الملك المسلم الأول في آتشيه.

٣ـ إن الاندونيسيين ساهموا فعلا في الدعوة إلى الإسلام.

٤ـ وأن دعاة المسلمين الأوائل كان بعضهم من التجار.

٥ـ وأن الدعوة الإسلامية كانت سلمية.

٦ـ وأن الإسلام أتى بثقافة وحضارة راقية إلى إندونيسيا ، هي من عناصر تكوين الشخصية الإندونيسية الحالية.

٧ـ من الضروري وجود هيئة أم تقوم بأعمال تحقيق وتصنيف تاريخ الإسلام ، بأندونيسيا بصورة أوسع ، وبصفة دائمة.

ورأينا أن تكون هذه الهيئة بميدان ، مع إنشاء فروع لها في الأماكن المهمة لاسيما في جاكارتا.

الغزو البرتغالي الصليبي :

وصل البرتغاليون ملقا عام **٩١٧هـ/١٥١١م** تحدوهم الروح الصليبية والطمع في ثروات الشرق ، وقضوا على سلطنة ملقا الإسلامية ، وخضع مسلمو الملايو للسيطرة الأوروبية قبل غيرهم من أجزاء العالم الإسلامي ، ومثل البرتغاليون الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين ، فقد بنوا حصنا في ملقا بحجارة انتزعوها من القبور الإسلامية ، ثم أقدموا على إعدام دفعات متتالية من الأهالي.

وازداد انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا كرد فعل للحقد الصليبي ، بهجرة عدد كبير من الدعاة المسلمين من الصين والهند وبلاد العرب ، واتصل المسلمون بالعالم الإسلامي وخاصة مصر والحجاز ، بالحج ، وطلب العلم فقد وفد عدد كبير من طلاب العلم للدراسة في مدن الحجاز وفي الأزهر ، فبرز الترابط العميق بين المسلمين في أندونيسيا والمسلمين في الحجاز ومصر ، وازداد بذلك رد الفعل لحركات البرتغاليين ومحاولاتهم التبشير بالكاثوليكية بالقهر والإكراه. وقامت

---

(٣٠) المدخل إلى تاريخ الإسلام ص٢٠٤.

حركات ضد النصارى وخاصة بعد أن قتل أحد ملوك أندونيسيا غدرا عام ٩٧٨هـ/١٥٧٠م وهو هرون سلطان ترنات (ترنيت) التي كانت تمتد سلطته حتى الفلبين.

ولما احتلت أسبانيا البرتغال عام ٩٨٨هـ/١٥٨٠ ، إزداد ضعف البرتغال ،و م تستطع أسبانيا أن تحل محلها ، بعد أن تحطم أسطولها على يد (فرنسيس دريك) القرصان الانجليزي عام ٩٩٧هـ/١٥٨٨م في معركة الإرمادا الشهيرة ففسحت المجال أمام القوى الأوروبية الصليبية الأخرى.

الغزو الهولندي الصليبي :

إستغلت هولندة هزيمة الاسبان على يد بريطانيا عام ٩٩٧هـ/١٥٨٨م ، فأسس تجار أمستردام بهولندة شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م ، واستطاعت السفن الهولندية أن تصل بانتام بجاوة سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م ، ثم أرسلوا إرسالية أخرى تحت قيادة «فان نك» ، وأخرى بعدها ، وكسروا البرتغاليين بمساعدة الأهالي ، وأخرجوهم من جزائر الهند الشرقية.

واعترفت الحكومة الهولندية بالشركة سنة ١٠١١هـ/١٦٠٢م ،ومنحتها حق احتكار التجارة في هذه المنطقة ، وأعطتها الحق في عمل تحالف وعقود مع حكام الشرق ، فأخذت الشركة تمارس سلطات سياسية وإقليمية واسعة ، كما أخذت تبسط سيادتها بالتدريج على الإمارات والسلطنات الإسلامية هناك ، وبمعاونة بعضها أحيانا(٣١).

وفي عام ١٠٢٦هـ/١٦١٧م ، عين «جان بيترس كون» حاكما عاما هولنديا ، وفي عام ١٠٢٩هـ/١٦١٩م سُمِّيت أول قلعة إحتلتها بجاوة - بتافيا - التي بقيت عاصمة لأندونيسيا زمن الحكم الهولندي(٣٢). وهي مدينة جاكارتا. على أن سوء الإدارة والفساد أضعفا الشركة ، فأخذت الحكومة بزمام الأمور بنفسها ، فألغت الشركة عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م ، وساد الحكم الهولندي حتى عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م. وقد احتلتها بريطانيا فترة من ١٢٢٦-١٢٣٢هـ/١٨١١-١٨١٦م أثناء الحرب النابوليونية ، كما احتلتها اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية(٣٣).

(٣١) انظر مثلا : سيطرة الشركة على سلطنة سوكادانه سنة ١٧٨٦م ، بالاشتراك مع سلطان بونتياناك الذي انشئت عليه هولندة ، ولم تبق له غير الإسم. حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٥٢.

(٣٢) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٧٠.

(٣٣) تقويم العالم الإسلامي ص٢٤٢.

السياسة الصليبية الهولندية في أندونيسيا :

إتبعت الحكومة الهولندية سياسة خاصة في استغلال البلاد ، وطبقت على جاوة نظاما زراعيا عرف باسم (نظام الزراعة الإجبارية) ، وتبعا لهذا النظام كان على الجاويين أن يخصصوا جزءا معينا من أراضيهم للحكومة ،ويزرعوه بمحاصيل للتصدير (مثل البن والشاي والقرفة وقصب السكر) بتوجيه الحكومة.

وكانت مثل هذه المحاصيل تباع قسرا للحكومة بأثمان بخسة. وهذه بدورها تبيعها بأثمان عظيمة في أسواق العالم وتربح فرق سعر الشراء والبيع.

وهذا جر إلى إرهاق الناس ، بالتوسع في مساحات هذه المحاصيل المربحة ، والنقص في انتاج الحبوب ، فانتشرت المجاعات. فطالب حزب الأحرار في هولندا بإلغاء هذا النظام الزراعي ، فحل القطاع الخاص محل استغلال الحكومة. وانتقل رأس المال الهولندي بكميات متزايدة إلى جزر الهند الشرقية لاستغلال البلاد.

وأما أوضح مايمثل سياسة هولندة تجاه الإسلام والمسلمين فهو مابينه المستشرق (هورغرونيه) الهولندي ،الذي أقام في جاوة سبعة عشر عاما ، درسها تماما وتجول في بلاد الإسلام ودخل مكة والمدينة في موسم الحج متنكرا(٣٤). ونلخص آراءه فيما يلي :

---

(٣٤) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٣٩. ولد كريستيان سنوك هورجرونيه عام ١٨٥٧م لأب قسيس ، ودرس اللاهوت على أستاذ التوراة (كونن) ثم درس العربية على (دي خويه).

حضر مؤتمر المستشرقين في ليدن عام ١٨٨٣م ، وتعرف على أمين المدني الحلواني ، ثم سافر إلى جدة ، وأظهر إسلامه (إحتيالا) على رؤوس الملأ ، فدخل مكة ، ومكث فيها ستة أشهر ونصف ، واتخذ له (عبد الغفار) اسما. واختلف إلى مجالس العلماء وشيوخ التعليم ، ووطد علاقاته بكثير من علماء مكة وجاوة ، وسومطرة ، وآتشيه. وخاصة بشيخ العلماء في مكة : أحمد ابن زيني دحلان. كما وطد علاقاته بحبيب عبد الرحمن الظاهر الذي كان يطمع أن يسلطنه الهولنديون على آتشيه.

طرد من مكة لأسباب مجهولة ، وقد تكون : لبحثه وجمعه النقوش الأثرية (السامرائي ص١١٦).

وكان بارعا في تمثيل دور المسلم براعته في تمثيله دوره على إخفاء إسلامه الإحتيالي على الأوروبيين. وخدع أحد أمراء جاوة بإسلامه ، وتزوج بابنته ، وله منها أولاد أكبرهم شغل منصبا كبيرا في شرطة أندونيسيا. بل ومثل دوره على زوجته وأولاده ، فتمكن أن ينزّع الحب ، فمنحه المسلمون حبهم ، فخانهم (السامرائي ص١٢٤). فقد دخل إقليم آتشيه المجاهد ، وجمع المعلومات التي يمكن جمعها لخطط الإستعمار ، ثم أقام في بتافيا في رحلة تجسسية عجيبة تتصف بالخسة والعقوق والخيانة ، فكان تقريره الذي يفيض بغضا وحقدا ، وتحريفا وكذبا على العلماء =

١ـ العمل على الحد من انتشار الإسلام ـ فاقترح هورغرونيه وضع حد لتعيين المأمورين المسلمين في البلدان التي أهلها وثنيون ، حتى لاتساعد الدولة على نشر الإسلام بينهم بدون قصد منها. وهو ماوقع فيه الألمان بشرق إفريقيا في مستعمراتهم(٣٥).

٢ـ نصح بإعطاء الحرية الدينية وعدم التعرض للمسلمين في عقائدهم جهارا خوفا من الإنتقاض والإضطراب. ولكن التعرض يكون بحذر وحيطة وخفية لا مجاهرة(٣٦). وذلك أنه كان في هولندة حزبا مماثلا لجمعيات التبشير يحث الحكومة أن تحمل المسلمين على النصرانية قسرا ، فبين هورغرونيه مافي ذلك من المخاطر.

٣ـ كما نصح الحكومة أن لاتقيم العقبات في طريق **الحج** ، لا سيما أن مسلمي جاوة وسومطرة هم أشد محافظة على هذا الركن ، وذلك ردا على بعض النواب الهولنديين الذين يدفعون الحكومة على منع الحج أو تصعيب سبيله. فيقول :

« على الحكومة أن تسلك سبيلا وسطا ، فلا تحث على فريضة إسلامية ولا تنهى عنها. كما فعلت في الزكاة ، فقد أعلنت أنها تعتبرها من قبيل الصدقة الإختيارية فلا تحمل عليها أحدا ولا تمنعها »(٣٧).

= الذين حملوا راية الجهاد في وجه الهولنديين. فسماهم هذا الأفاق :«عصابة» وأوصى الحكومة باتباع سياسة العنف والإفناء لهم. وبين لها الطريقة لإخضاع آتشيه عام ١٨٩٢م (السامرائي ص١٢٧).

وحاول أن يلقن المسلمين كيف يكون المسلم (الحانع القابل للإستعمار) في سلسلة مقالات أبدى فيها الوجه الإستعماري القبيح سافرا ـ فقد تقمص شخصية كاتب مسلم جاوي فيقول في إحدى مقالاته : « لم ألق إلا في النادر أناسا من أهل بلدنا من كان يرى أننا جديرون بأن نتخلص من وصاية الأوروبيين التي فرضها الله علينا » (السامرائي ص١٠٩).

وانصبت خطته حول ربط المستعمرات في إندونيسيا بروابط ثقافية أوروبية بهولندا ، حتى تسلب هذه الوحدة « كل خلاف ديني من أهميته السياسية والاجتماعية » هذه الوحدة في نظره تنبثق في فكرة **الترابط الثقافي** التي تخضع العالم الإسلامي. وقصده إبدال الإسلام بثقافة أوروبية وعندها تسهل التبعية السياسية والدينية. (السامرائي ص١٠٩). فهو يمثل بالفعل سياسة الاستشراق ، وحلقة من حلقاته الخبيثة في ربط المسلمين بعجلة الثقافة الغربية إلى الخلف !!.

(٣٥) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٤٠

(٣٦) نفسه ج١ص٣٤١

(٣٧) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٤٢.

٤ـ من ناحية القضاء : ذهب إلى عدم سن قوانين مأخوذة من الشريعة الإسلامية ، بل ينبغي حمل المسلمين على القوانين الهولندية إلا مايتعلق بالأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والميراث(٣٨).

٥ـ من ناحية السياسة الدولية : ينبه جهارا وبدون محاباة إلى قطع كل علاقة سياسية بين الجاويين وسائر الحكومات الإسلامية ، وخاصة دولة الخلافة العثمانية التي يقول عنها : الخلافة ليست كالبابوية لاشأن لها في السياسة ، بل هي رئاسة سياسية ، من أراد الإعتصام بها من المسلمين لا تمكنه طاعة حكومة مسيحية(٣٩). بل يذهب إلى أكثر من ذلك فيقول : على هولندة منع قناصل تركيا وكلاء دولة الخلافة من أية مداخلة كانت مع الأهالي. بل والأغرب أنه ينصح : « بمنع الإشتراك في الإعانات لسكة حديد الحجاز وعدم إباحة أية إعانة كانت لجرحى العساكر العثمانية أو لأرامل جنود الأتراك وأيتامهم ». ويحث حكومته على منع ذكر السطان العثماني في خطبة الجمعة ، وعلى مراقبة التعليم الديني حتى لايقع فيه شيء من الدعوة إلى الإتحاد الإسلامي ، ويطلب حذف باب الجهاد من الشريعة(٤٠).

٦ـ يوصي الدولة الهولندية بالحد من هجرة الحضارمة إلى أندونيسيا ، خوفا أن ينشروا الدعوة الإسلامية وينبهوا الأهالي إلى أمور لاينتبهون إليها. ويوصي بوضع الحواجز أمام من في أندونيسيا منهم ، ومراقبة حركاتهم وسكناتهم ، وتنغيص حياتهم لحملهم على ترك تلك الديار(٤١).

٧ـ دعا إلى أن تكون أندونيسية هولندية ، وتحقيق ذلك عن طريق الترابط الثقافي أي العلم والتربية ، وإلى قيام عاطفة قومية تناهض نزعة الصلة بالعرب وبالإسلام ، فهو يأسف من مطالعة المسلمين في أندونيسيا للكتب التي تحرر في البلاد العربية والإسلامية(٤٢) ، ويرى صبغ البلاد بالصبغة الهولندية.

فعمدت هولندة إلى **اللغة** ، فأخذت تحول دون قيام لغة موحدة ، وتحول دون ارتباط هذه باللغة العربية ، عن طريق نشر اللغة الهولندية ، وجعلها أساس

---

(٣٨) نفسه ج١ص٣٤٢.

(٣٩) نفسه ج١ص٣٤٢.

(٤٠) نفسه ج١ص٣٤٣.

(٤١) نفسه ج١ص٣٤٣.

(٤٢) حاضر العالم الإسلامي ج١ص٣٤٢.

التعليم في المدارس منذ المراحل الأولى ، وعملت على إبقاء تعدد اللهجات ، ولما استطاعت اللغة الأندونيسية (باهاسا هندونيسيا) أن تفرض نفسها ـ كلغة موحدة بدلا من ٢٥ لغة كان يتخاطب بها السكان وتتشعب إلى ٢٥٠ لهجة محلية ـ بواسطة الحركة الإسلامية ، وكانت تكتب بالحروف العربية ، عملت هولندة إلى تحويلها إلى الحروف اللاتينية في أوائل القرن العشرين(٤٣).

فقد كانت الحروف العربية هي الشائعة ، وللغة العربية مكانتها وقداستها ، فلا تؤلف الكتب إلا بها على الغالب ، وبالحروف العربية دائما ،وقد تلحق بترجماتها بلغة الملايو التي كانت تكتب بحروف عربية أيضا. وكل مسلم كان لابد له أن يتعلم قراءة القرآن ..واستمر الأمر في عهد الاستعمار الهولندي ، بل كانت العملة المتداولة (في الهند الهولندية) عليها حروف عربية بخط جميل. وكانت هولندة تصدر بلاغاتها بلغتها أولا ثم ترجمتها بالملايو مكتوبة بحروف عربية ، وكانت مطبعتها الرسمية تطبع كتب الملايوية بالحروف العربية بجانب ماتنشره بالحروف اللاتينية. كما كانت المدارس في القرى تدرس فيها الحروف العربية.

وبعد توصيات هورجرونيه ـ عمدت هولندة إلى تشجيع الإرساليات الأجنبية وفتحت المدارس الهولندية ، وشجعت حركة الإبتعاث إلى أوربا. فباعدت بذلك بين المتخرجين والإسلام والعربية. وأغرت هؤلاء بالوظائف الحكومية والمراتب والرواتب ..كما رعت هولندا الحروف الجاوية النامية من مخلفات العهد الهندوكي في جاوا الوسطى إلى جانب اللاتينية(٤٤).

كما قامت السياسة الهولندية على الإتجاه للدعوة إلى **إحياء تاريخ إمبراطورية ماجاباهيت** الوثنية القديمة ، والمغالاة في تقدير هذا التاريخ ومحاولة اتخاذه مثلاً أعلى في البطولة ، بواسطة علماء الآثار وعلماء اللغات القديمة.

٨ـ عملت هولندة على صبغ الجامعة الأندونيسية بصبغة قومية خالصة لإخراجها من جوهرها الإسلامي وطبعها بروح إقليمية ووثنية قديمة(٤٥). وهذا مافعلته القوى الإستعمارية في جميع بلاد الإسلام. فقد رأى هورغرونيه أن الشعور القومي يمكن أن يكون عامل إضعاف للحركة الإسلامية ، وصمام أمن ضد قيام صلات بين الحركات التحررية في أندونيسيا، وبين بقية أقطار العالم الإسلامي.

---

(٤٣) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص١٤٠ وص٣٠٠.

(٤٤) المدخل ص١٤٤-١٤٥.

(٤٥) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص٣٠٠.

فقد عملت هولندا على فصل الماضي الإسلامي عن حاضر المسلمين في أندونيسيا بأن عمدت إلى **جمع المخطوطات** ، فشرعت قانونا عام ١٣٤١هـ يلزم من عنده تاريخ مخطوط ، فعليه أن يسلمه إلى لجنة خاصة أقامتها هولندا لاستلام التواريخ الإسلامية. ومن وجد عنده تاريخ لم يسلمه بعد سنتين من صدور هذا القانون يحكم عليه بالسجن أو القتل(٤٦).

ومنعت نشر التاريخ الإسلامي في إندونيسيا ، وعندما نشر محمد بن هاشم مقالات تاريخية في جريدة كانت تصدر في (سورأبايا) غضب المستر (قولي) اليهودي الهولندي الجنسية وسافر من جاكارتا إل سورأبايا ونهاه نهيا صريحا بغضب واستياء. فامتثل للأمر خوفا من قوات هولندا(٤٧).

وقام الهولنديون بحرق كثير من الكتب والمخطوطات الإسلامية كما فعل الاسبانيون والبرتغاليون الذين حرقوا كل ماعثروا عليه. وفي الوقت نفسه عملت هولندة على **إحياء قوميات قديمة** لصرف الإندونيسيين عن دينهم ، فتم العثور على مخلفات الحضارة الهندوكية بجاوة ـ حضارة ماجاباهيت الوثنية ـ يقول ك.ك.برج في هذه الكشوف :

« إن تكوين تاريخ امبراطورية ماجاباهيت أحيا لهم (للاندونوس) مجدا قديما ، يفخرون به ، وإن غلوا أحيانا في تقدير ذلك المجد ، والضرر الذي عاد على مسلمي إندونيسيا أنهم كانوا يأخذون مثلهم العليا من المسلمين ، ولذلك كانوا يقتدون بالمسلم ، سواء كان صحابيا أم غيره في كل مايتعلق بالإسلام. وهذا يربطهم دائما بدينهم دائما ، أما بعد هذه الإكتشافات فقد تغير الأمر ، واتخذ الشبان الجاويون مُثُلاً عليا في البطولة من شخصيات التاريخ الغابر العظيمة كالملك (ارلانجا) والملك (إيام وروك) و(جاجامادا) الوزير ، الذين بعثهم علماء اللغات من ثرى التاريخ بعد أن كادوا يصبحون نسيا منسيا »(٤٨).

٩ـ شجعت هولندة الحركات الإلحادية والهدامة ، فشجعت **التيار الشيوعي الماركسي** ، باعتباره كفيل ببث الإلحاد في صفوف الأهالي ونشر الفساد بينهم ، وهو الأمر الذي سيدعو المسلمين إلى مقاومته بضراوة ، والإتجاه إلى محاربته

---

(٤٦) المدخل ص٣٧٣.

(٤٧) نفسه ص٣٦١.

(٤٨) وجهة الإسلام ص١٩٢ـ١٩٤.

، والانشغال به عن مقاومة الاستعمار الهولندي ، ومؤسساته المختلفة(٤٩). وأن هذا التيار سيتلقى مساعدات واسعة من كل الشيوعيين في العالم فيمكنه أن يثبت أمام ضربات المسلمين ، وبذلك يبقى نزيف الأمة الإسلامية وحاجتها إلى غيرها.

وفتحت هولندة الباب **للأحمدية والقاديانية** المنحرفتين عن الإسلام وألد خصومه ، وهما تعملان باسم الإسلام للمستعمرين. وهيأت لهما أفضل الظروف التي يمكن أن تؤمنها سلطة حاكمة ، وافتتح مركز للقاديانية في البلاد فاندفع المسلمون يقاومون هذا التيار ، وانشغلوا في مجادلات أشغلتهم عن مقاومة الإحتلال الهولندي(٥٠).

١٠ـ شجعت هولندة حركة **التبشير** الذي اشتد خطره بعد الإستقلال.

ففي مؤتمر المستشرقين في ليدن عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م قال ناظر المعارف الهولندية : « إن تبسط الأمة الهولندية في المشرق لم يكن المقصود منه مجرد المكاسب المادية بل أكثر ماقصدته هولندة بذلك ، هو نشر فضائل النصرانية »

ولما ذكر الأمير شكيب أرسلان هذا القول لسنوك هورغرونيه (وكان كلاهما ضمن أعضاء المؤتمر) وقال له : كيف تدعون المسلمين إلى ترك الإهتمام بأمر دينهم ورجالكم الرسميون يعلنون مثل هذا الكلام في محفل كهذا المحفل؟..) وجم هورغرونيه ، ولحظ الأمير في وجهه الألم من هذا التظاهر الرسمي بالدعاية النصرانية ـ فإن الحكمة عندهم هي العمل بدون إعلان ـ على حد تعبير الأمير شكيب(٥١).

فقد اعتمدت هولندة (كما في سائر الاستعمار) في تثبيت أقدامها في أندونيسيا عن طريق **الإرساليات التبشيرية** ، فنشرت المدارس في مختلف أنحاء البلاد ، وغلبت الثقافة الهولندية ، وظهر جيل يجهل بعضه لغة قومه ودينه ، وشيدت الكنائس والملاجيء ودور الأيتام والمستشفيات في المراكز الآهلة بالمسلمين.

---

(٤٩) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص٤٨.

(٥٠) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص٤٨.

(٥١) حاضر العالم الإسلامي ج٣ص٣٧٣.

ردود الفعل الإسلامية الأندونيسية للسياسة الهولندية :

قاوم المسلمون نفوذ الشركة الهولندية حتى أجبروها على الإنتقال إلى جاكرتا ، بعد أن عقدت معاهدة مع سلطانها ، ولما تحولت هولندة من تاجر إلى مستعمر علنا قامت عدة ثورات إسلامية لمقاومة هذا النفوذ والتسلط الهولندي وفي مقدمتها ثورة الأمير **ديبونجارا** في جاوة التي استمرت خمس سنوات (١٢٤١-١٢٤٦هـ/١٨٢٥-١٨٣٠م) ، ولم تتمكن هولندة من إنهاء الثورة إلا بالخدعة عندما قبضت على الأمير وهو على مائدة المفاوضات(٥٢).

ومن الحركات - حرب **قوم بدري** - وبدري جمعية دينية إسلامية نسبة إلى بدر - يوم الفرقان - تأسست قبل وصول الهولنديين ومعناها البيضاء. رمزا لطهارة القلوب والملابس البيضاء التي لبسوها ، وبدأوا بالدعوة للإسلام ، وحينما نزل الهولنديون البلاد أعلنوا الجهاد ، وانتصروا أولا وأقاموا حكما يرأسه ثمانية علماء ، ومن أشهر أبطالهم : الشيخ مصطفى سحاب. ولكن هولندة كعادة المستعمرين لجأت للخديعة فأشعلت حربا أهلية ، وهاجمت في الوقت نفسه قوم بدري وبقيت الحرب مدة خمسة عشر عاما ١٨٢١-١٨٣٧م. وأسرت إمام بونجول ونفته إلى أن توفي عام ١٨٦٤م(٥٣).

أما في شمال سومطرة فقد بقيت سلطنة **آتشيه** تقود جهادا مستمرا مع الهولنديين ، وظهر من قادة الجهاد علي الدين محمود شاه إلى أن توفي سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ، ثم تنكو عمر وقاد الجهاد إلى أن استشهد سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ، فتولت زوجته القيادة إلى أن استطاع الهولنديون القضاء على المقاومة سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م وبسطوا حمايتهم عليها كما سبق ، بخطط اقترحها هورجرونيه، واستمرت الإضطرابات حتى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م.

إتجه المسلمون إلى توحيد صفوفهم وتأسيس الجمعيات والمنظمات لتنظيم أعمال المقاومة - وبدأوا بحركات إصلاحية فظهر في سومطرة المجاهد **إمام بونجول** (١١٨٦-١٢٨١هـ/١٧٧٢-١٨٦٤م) وكان شعار حركته : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ». وواجهت حركته البدع والخرافات(٥٤). وهي من قوم بدري السابقة الذكر.

---

(٥٢) أنور الجندي - العالم الإسلامي ص١٢٨.

(٥٣) محمود شاكر - أندونيسيا ص٤٣. وانظر المدخل ص١٤٨-١٥١.

(٥٤) أنور الجندي - العالم الإسلامي ص١٣٥.

كما ظهر في أواخر القرن التاسع عشر الشيخ **أحمد الخطيب** الأندونيسي الذي جدد حركة الإصلاح ، متأثرا بالحركات التي قامت في الحجاز ومصر ، فكان قد جاور في مكة وتلقى العلم. كذلك عبد الكريم امر الله الخطيب الجريء ، وزين الدين يونس الذي أصدر مجلة المنبر لسان أنصار الإصلاح ، وكانت أكبر المجلات الإسلامية في أندونيسيا ، وقد أنشأت هذه الحركة الإصلاحية العديد من المدارس وألف لها عبد الكريم كتبا للدراسة(٥٥).

ومن **الجمعيات** التي أسسها مسلمو أندونيسيا :

١- شركة إسلام - وهي أقدم هيئة احتضنت الحركة الإصلاحية والمقاومة ضد هولندة. أنشئت عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م بقيادة الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو ، وضمت عددا كبيرا من العلماء المسلمين وقادتهم.

٢- الجمعية الخيرية في جاكارتا وأنشئت سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م.

٣- جمعية مكارم الأخلاق الفاضلة (بودي أوتومو) وأنشئت في سور أبايا شرق جاوة. سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. برئاسة الدكتور وحيد الدين.

٤- جمعية الإرشاد في سور أبايا أنشئت سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م واتجهت نحو التعليم باللغة العربية فقط ، وأسسها أحمد السكراتي وهو من السودان.

٥- الجمعية المحمدية - أنشأها الحاج أحمد الدحلان عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م ، وقد ركزت اهتمامها على التعليم ونشر مباديء الإسلام ، فافتتحت المدارس وأقامت جامعة ، كما أسست المساجد والمستشفيات ، وهي أكبر جمعية تعليمية في العالم إذ تشرف على **١٥٠** مدرسة ثانوية و**١٠٠** مستشفى و**٣٠٠** دار للأيتام(٥٦).

٦- جمعية نهضة العلماء ، وأسسها الحاج هاشم أشعري سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م ، وصارت من أكبر الأحزاب السياسية ، ولها قسم نسوي يسمى مسلمات النهضة ، (وأقام هذا الحزب عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م جامعة المسلمات الأندونيسية)(٥٧).

٧- الجمعية العائشية : التي تأسست عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م وهي خاصة بالسيدات ومركزها مدينة ميدان في سومطرة.

---

(٥٥) نفسه ص١٣٦.

(٥٦) محمود شاكر - أندونيسيا ص١٤٥.

(٥٧) محمود شاكر - أندونيسيا ص٤٥. (انظر علي الطنطاوي - في أندونيسيا).

وقد بلغ عدد الجمعيات **٥٧** جمعية.

وقد أنتجت هذه الجمعيات وعيا ألهب الحماس ، فقامت ثورة مسلحة ضد هولندة (١٣٤٥-١٣٤٦هـ/١٩٢٦-١٩٢٧م) لم تستطع هولندة إخمادها إلا بعد أن استعانت بإنجلترا التي استعملت أشد الأساليب الوحشية ، وذهب فيها عدد كبير من العلماء المسلمين وقادتهم(٥٨).

ومن خلال الجمعيات والهيئات انبثقت الأحزاب المختلفة الإتجاهات فتكون : **حزب إتحاد الشعب الأندونيسي** ، الذي أسسه الدكتور سوتومو عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م ، واتخذ فيما بعد إسم حزب أندونيسيا العظيم.

وحزب الأمراء الذي كان يرى التعاون مع الحكومة الهولندية لإمكان الحصول على الإستقلال.

وحزب جاوة الفتاة ـ الشباب الجاويين. أسوة بالترك الفتاة والعرب الفتاة.

وفي عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م أسس أحمد سوكارنو **الحزب الوطني** ، وانفصل الحزب الإسلامي الأندونيسي عن شركة إسلام عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م بزعامة سوكيمان ، وتأسست جمعية الشبان المسلمين وحزب التنوير الإسلامي.

وقد بدأت بعض الجمعيات والأحزاب الإسلامية تتقارب فكونت الجمعية المحمدية ، وجمعية نهضة العلماء ، مع جمعيات أخرى ، شبه اتحاد باسم : **المجلس الإسلامي الأعلى الأندونيسي** ـ بين الحربين ـ وانشغل هذا الإتحاد بعقد مؤتمرات إسلامية عامة ، واشتغل بمسألة الخلافة ، وأسس **جمعية الخلافة** في الهند الشرقية وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند.

وفي عام **١٩٣١م** بدأت حملة من الحوادث السياسية والاضطرابات ضد الوجود الهولندي. فقامت هولندة بأساليب قاسية عاملت بها المسلمين. فنفت كثيرا منهم إلى أعماق الأدغال ، واعتقلت الكثير في معسكرات جماعية ، واشترك الإنجليز في هذه الحملات القاسية في غينيا الجديدة(إيريانا الغربية)(٥٩).

وبعد الحرب الثانية عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م إلتقت جميع الجمعيات والهيئات الإسلامية في أندونيسيا وأعلنت تأليف : « **مجلس الشورى لمسلمي أندونيسيا** » وكلمة **ماشومي** هي اختصار هذا الاسم. وقد وضع تعاليم الإسلام في صلب

---

(٥٨) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص١٦.

(٥٩) انظر عالم الكتب ـ مجلد (٥) عدد (١) ص٢٠٦ من فان در مولولن بحث للدكتور قاسم السامرائي.

مبادئه ، وحمل لواء التقدم ومقاومة الإلحاد والدعوات المختلفة المعادية للإسلام(٦٠). وحمل الدعوة إلى إقامة صرح الإسلام.

وعلى الإجمال فقد تصدت هذه الجمعيات الإسلامية للبعثات التبشيرية ، وعملت على إصلاح عقيدة المسلمين ، وأنشأت المدارس المختلفة ، وقاومت الدعوات الهدامة ، والسياسة الهولندية ، التي تمكنت من تأسيس بعض الجمعيات والأحزاب على أسس قومية وإقليمية وإلحادية ، وتتسلل أحيانا في هذه الجمعيات باسم الكفاح المشترك والمصير الواحد.

وأبرز المجالات التي ظهر فيها أثر الجمعيات الإسلامية ـ المدارس الكثيرة المتأثرة بالحجاز ومصر ، فتصدت لها هولندة وأصدرت **قانون رقابة المدارس الأهلية** الذي أطلقت عليه قانون المدارس المتوحشة سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م للحد من انطلاقة الحركة الإسلامية ، وكان من نتائج القانون أن أقفل الإحتلال أبواب المدارس الإسلامية بالقوة وشرد تلاميذها وزج مدرسيها في السجون.

فعمد المسلمون إلى تعديل أساليب التعليم الديني وإدخال العلوم الحديثة ، فقامت مدارس جمعية نهضة العلماء ، وكان أحمد دحلان أول من نادى بذلك وحققه في مدارس الجمعية المحمدية في جاكارتا(٦١). وانتشر الوعي السياسي وبدأت البلاد تتطلع للاستقلال.

حركة الإستقلال الأندونيسية :

تمكنت **اليابان** من احتلال أندونيسيا في الحرب العالمية الثانية بهجوم خاطف سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م واستمر حكمها حتى استسلامها سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م.

فرضت اليابان تعليم اللغة اليابانية وحروفها ، وأبقت الحروف اللاتينية ولغة الملايو ، ومنعت استخدام الحروف العربية ، فضعف شأنها أكثر(٦٢).

واتبعت اليابان سياسة الإكتفاء الذاتي في كل الأقطار التي سيطرت عليها ، ومعنى هذا أن كل منطقة ستضطر إلى إنتاج ماتحتاج إليه من الحبوب والمواد الأولية والغذائية اللازمة. فتعطل بذلك كثير من الرجال عن العمل وظفتهم السلطة في

(٦٠) انظر ـ أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص١٣٦-١٣٧.

(٦١) أنور الجندي ـ العالم الإسلامي ص١٣٨.

(٦٢) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى ص١٤٥.

الأعمال الحربية ، ودربت الناس تدريبا عسكريا ، وألفت فرقا للدفاع الوطني بقيادة الجنرال **سوديرمان** ، وهو من العلماء وأكثر ضباطه كانوا من الجمعية المحمدية. ولم يرض المسلمون عن هذه الفرق ، فأسسوا فرقا باسم حزب الله بقيادة **زين العارفين** من جمعية نهضة العلماء ، وتدربوا على يد اليابان أيضا ، وهكذا ظهرت فرق إسلامية مسلحة. وكانت اليابان قد أطلقت سراح الزعماء المعتقلين ، فنشطت حركة المطالبة بالإستقلال ، واستطاعت الحركات القومية أن تطفو على السطح ، ووصل رئيس الحزب الوطني **أحمد سوكارنو** من طائفة البنجان (المسلم الأحمر) درجة القيادة لحركة الاستقلال ، وجعلت منه وسائل الإعلام العالمية كذلك. وقد كان والده من هذه الطائفة ، وأما أمه فهندوكية من جزيرة بالي.

وبعد استسلام اليابان بإلقاء القنبلة الذرية على أراضيها عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م ، أعلن قيام جمهورية إتحادية مستقلة في أندونيسيا ، وكون سوكارنو مع رفاقه حكومة ثورية ، فتحركت هولندة وأرسلت جنودها مع القوات الإنجليزية بقيادة (هاوتورن)(٦٣). فرفضت القوات المسلحة الهندية الموجودة في صفوف القوات البريطانية قتال المسلمين وأعلنوا العصيان ، واشتدت مقاومة المسلمين لهولندة فعقدت هدنة سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م. وتدخلت هيئة الأمم المتحدة فانتهى القتال سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م بعد أن انتقصت أرض الجمهورية واقتصرت على قسم من جاوة وقطعة صغيرة من سومطرة ، واتخذت جوجكارتا عاصمة لها. وبقي الهولنديون في بتافيا.

أما حزب الله فقد أسس حكومة داخلية عرفت باسم **دار الإسلام** في بقعة جبلية وسط جاوة طبقوا فيها حكم الله ، وأطلقوا على عاصمتها اسم المدينة المنورة وجعلوا لغتها العربية(٦٤).

وحاولت هولندة مرة أخرى استغلال الفتنة الشيوعية سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م ، فقد حركت قواتها الجوية بعد القضاء على الفتنة الشيوعية إلى جوجكارتا ، واعتقلت الزعماء سوكارنو ومحمد حتا والحاج عجوز سالم وسوتان شاهرير ، واحتلتها. فتألفت حكومة مؤقتة في سومطرة برئاسة **سجافردين** أحد زعماء حزب ماشومي ، واستمر القتال في جاوة بقيادة سوديرمان ، وكان

---

(٦٣) أندونيسيا العدد١٩/٧٤ ، ٧ رمضان ١٣٨٩هـ/ ١٦تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩م. ص١٠.

(٦٤) محمود شاكر ـ أندونيسيا ص٥١.

مريضا وفي أواخر حياته. وانتشرت عصابات ، قادها المجاهدون في كل مكان ، فتدخلت هيئة الأمم المتحدة وعقد مؤتمر المائدة المستديرة في لاهاي في خريف عام **١٩٤٩م**(٦٥). وقد مثل الدكتور محمد حتا أندونيسيا في المؤتمر ، وفي **٢٧** ديسمبر سنة **١٩٤٩م** ، أصبحت أندونيسيا دولة مستقلة ذات سيادة. وتنازلت هولندة عن كل الجزر عدا غينية الجديدة ، وانتقلت العاصمة إلى جاكارته.

وهكذا غادر المستعمر البلاد ، بجهاد المسلمين ، غادرها بعد أن ترك أشواكا في حلوق المسلمين ، من الخدم الأوفياء والأفكار الهدامة مايكفل بقاء الدولة المستقلة عاجزة عن المضي في طريق البقاء والتقدم ، ضائعة في متاهات الشرق والغرب ، تعيش لونا من ألوان الإستعمار الجديد.

مشكلات أندونيسيا بعد الإستقلال :

تعرضت أندونيسيا المسلمة إلى عدة مشكلات بعد الاستقلال ومنها :

١ـ مشكلة الشيوعية :

ذكرنا أن هولندة شجعت الأحزاب القومية والشيوعية لإشغال المسلمين واستنزاف قواهم. فأنشيء الحزب الإشتراكي الديمقراطي الهولندي بأندونيسيا عام ١٩١٧م ، وهو فرع من الحزب الإشتراكي الهولندي بهولندة. وعندما انكشف أمر هذا الحزب اعتبر نفسه مستقلا عام ١٩١٩م. وبعد عام واحد أعلن عن تأسيس الحزب الشيوعي ،والتحق بالمنظمة الشيوعية العالمية (كومنترن) وكان هذا الحزب يلقى كل تأييد من السلطات الهولندية(٦٦).

وبعد هزيمة اليابان تجمعت جهود المسلمين في حزب سياسي عرف باسم مجلس الشورى الإسلامي واختصارا : (**ماشومي**) ضم سنة ١٩٤٥م معظم الأحزاب والشخصيات الإسلامية(٦٧) وانتخب لرئاسته سوكيمان ، وسكرتيره الأول أبو الحسن أمينوتو ، وسكرتيره الثاني كارتو سويرنو. فقاد حركة الجهاد ، فظهرت الأحزاب الشيوعية والوطنية مقابل ذلك. واستطاعت روسيا بدعايتها أن تنسب فضل الحصول على الإستقلال إلى الحزب الشيوعي. وهذا قوّى شوكة الحزب ، وخاصة عندما دعمه الرئيس سوكارنو ، وأعطى الشيوعيين المناصب الرئيسية في

---

(٦٥) تقويم العالم الإسلامي ص٢٤٣. ، ج.ب دروزيل ـ التاريخ الدبلوماسي ص٢٩٣.

(٦٦) محمود شاكر ـ أندونيسية ص٤٨.

(٦٧) انظر ص٤٧٣.

الدولة ، ليحدّ من النفوذ الإسلامي باسم الوطنية. فقد أوكل عام ١٩٤٧م إلى عامر شريف الدين الشيوعي رئاسة مجلس الوزراء ، واحتفظ لنفسه إلى جانب ذلك بمنصب وزير الدفاع ، ليتمكن من الإشراف على القوات المسلحة. ولقي ذلك معارضة شديدة من المسلمين ، فأقال الدكتور محمد حتا نائب رئيس الجمهورية وزارة عامر شريف الدين ، وتولى بنفسه مهمة تشكيل وزارة جديدة. فثارت ثائرة الشيوعيين وتقدم قادتهم بمذكرة إلى الحكومة طالبوا فيها بالتبادل الدبلوماسي مع الدول الشيوعية ، وبالتأميم ومصادرة الأملاك ، وإقالة حكومة الدكتور حتا.

وفي عام ١٩٤٨م دعت صحيفة العمال الشيوعية إلى الإنضمام للمعسكر الشيوعي تحت لواء الكرملين. وقام الشيوعيون باختطاف ضباط الجيش ، وبأعمال إرهابية في كل مكان. واختطف القادة المسلمون ومنهم الدكتور **ماوردي** وثلاثة من زملائه ، قتلوا مباشرة ومُثّل بهم. وهوجمت مراكز البوليس. وقتلوا من العلماء وأساتذة المدارس الإسلامية **١٥٠٠** رجل ، وأُحرقت جثثهم بعد إعدامهم ، وكُوّيت عيون عدد كبير من الأطفال المسلمين بين الثامنة والثالثة عشر بالحديد المحمى. وأعلنت إذاعة ماديون قيام جمهورية أندونيسيا السوفييتية برئاسة عامر شريف الدين.

فأعلن المسلمون الجهاد ودوت كلمة «**الله أكبر**» في كل مكان ، وقاد الجيش **عبد الحارث ناسوتيون** ، وقضي على الشيوعيين ، وسيق زعماؤهم إلى المعتقلات والسجون ، وحكم على عدد منهم بالإعدام ، وفي مقدمتهم عامر شريف الدين مع تسعة من رفاقه بأوامر الدكتور محمد حتا ، في حين بقي الدكتور أحمد سوكارنو صامتا في هذه المدة. وبذلك قضي على الفتنة الشيوعية الأولى.

عاد الحزب الشيوعي للتسلل إلى المراكز بمساعدة طائفة البنجان الدينية بزعامة سوكارنو رئيس الحزب الوطني ورئيس الجمهورية ، واغتنموا فرصة الخلاف مع ماليزيا حول الأجزاء الشمالية من بورنيو التابعة لماليزيا ، وتشكيل سوكارنو فرقا لسحق ماليزيا ، فتدربوا على السلاح وتسلحوا. وأخذ ينظم الحزب نفسه بمساعدة سوكارنو ، وسوبندريو ، الذي قبل عضوا في الحزب الشيوعي على أن يبقى ضمن الحزب الوطني لخدمة الشيوعية. فأزاح عن طريقه الدكتور محمد حتا باستقالته ، ودار الإسلام بإزالتها ، والأحزاب الإسلامية الكبرى حلها الدكتور سوكارنو ، فأعلن الحزب الشيوعي عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م نفسه الحزب

الوحيد ، وابتدأ أعماله الإرهابية قبل ذلك منذ سنة ١٩٦٤م بهجومه على المدارس والشخصيات الإسلامية في عدة مدن.

قام الكولونيل أونتونغ قائد الحرس الجمهوري باختطاف الجنرالات المسلمين ، وقتل أكثرهم ومُثّل بجثثهم ، وشاء الله أن ينجو وزير الدفاع عبد الحارث ناسوتيون(٦٨).

واستولى الشيوعيون على محطات الإذاعة. فأمر عبد الحارث ناسوتيون قائد القوات البرية الجنرال **سوهارتو** نائب الجنرال أحمد ياني بالقضاء على الثورة الشيوعية ، وهب المسلمون مع القوات المسلحة يلاحقون الشيوعيين ، فسيطر الجيش على الوضع خلال ساعات. وفشل الشيوعيون مرة أخرى. وبدأ الصراع بين سوكارنو وقادة الجيش. فحاول سوكارنو عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م إعادة وضع الشيوعية بإدخال بعضهم في الوزارة ، وإبعاد عبد الحارث ناسوتيون فعمت المظاهرات البلاد وحول سوكارنو صلاحياته إلى وزير الدفاع الجديد الجنرال سوهارتو. واختفى الخطر الشيوعي عمليا ليتسلل فكريا في قطاعات متعددة ، وخاصة في حزب **جولكار** الذي هو عبارة عن سكرتارية مشتركة لمنظمات عاملة ، أصبحت في الواقع حزبا حكوميا يدير الجيش ، ويطلق على نفسه اسم (الفئة العاملة)(٦٩). وقد حظر على الحزب الشيوعي الإدلاء بأصواتهم في الإنتخابات العامة عام ١٩٦٧م والمنظمات التابعة له ، وأي أندونيسي أتهم بالإشتراك أو بمساعدة محاولة الإنقلاب الشيوعية التي أسفرت عن مصرع مابين ٥٠٠ ألف ومليون شخص. وقد رفع هذا الحظر عام ١٩٧٨م لإعاقة انطلاقة الحزب الإسلامي الذي حقق نتائج طيبة في الإنتخابات(٧٠). كما تسلل الشيوعيون في صفوف المبشرين والتبشير ليكيدوا الحركات الإسلامية.

٢ـ المشكلة القومية ـ والبنجان ـ البانجاسيلا ـ البانتاتشيلا :

تكون الحزب الوطني عام **١٩٢٨** بزعامة الدكتور أحمد سوكارنو من جاوة ، وكان زعيما خطيبا مفوها ، ومن طائفة البنجان الدينية التي تسمي نفسها

---

(٦٨) محمود شاكر ـ أندونيسية ص٦٤.

(٦٩) محمود شاكر ـ أندونيسية ص٧٠.

(٧٠) الشرق الأوسط ص٥ ، الخميس ٢٧ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٢/٩/١٩٨٥م العدد ٢٤٨٠.

بالإسلام ، ولكنها في عقائدها أميل إلى الهندوكية والبوذية ، وتقوم على أسس علمانية خطيرة تهدف إلى مسخ التعاليم الإسلامية ، وإبعادها عن مجال التأثير السياسي والإجتماعي والإقتصادي باعتبارها - كما يدعي العلمانيون الحكوميون - حواجز تقف دون تقدم أندونيسيا وتطورها(٧١).

وصل سوكارنو سدة الرئاسة ، وأمضى عشرين سنة يحارب التيار الإسلامي بنشر الفكر القومي والبانجاسيلا ، والشيوعي ، ويعتقل الزعماء المسلمين أو يقيلهم من أمثال الدكتور محمد حتا نائبه الأول ، ومحمد ناصر رئيس وزرائه وشاهرير وزير الخارجية.

ولمع اسم سوكارنو في **مؤتمر باندونغ** عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م للتضامن الآسيوي الإفريقي ، وزار عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م الإتحاد السوفييتي والصين ، وأعلن بعد عودته سياسة الديمقراطية الموجهة - بأن يعين الرئيس نصف أعضاء المجلس النيابي - فأدى ذلك إلى استقالة الدكتور محمد حتا ، ورفض حزب ماشومي الاشتراك في الحكومة ، وقام انقلاب عام ١٩٥٨م في سومطرة كردة فعل لتسلط سوكارنو ، تزعمه الكولونيل **أحمد حسين** المعروف باسم نمر سومطرة لجهاده الكبير ضد الهولنديين في حركة الإستقلال ، واستطاع سوكارنو القضاء على الثورة ، وأعلن حالة الطوارىء ، وطبق الأحكام العرفية في سائر أنحاء البلاد ، وحل المجلس النيابي عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م ، وحزب ماشومي ، وألقى زعماءه في السجون ، وقضى على حكومة دار الإسلام في المدينة المنورة ، وقتل زعماءها. وأعلن انتخابه عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م رئيسا مدى الحياة ، فظهر كأتاتورك في تركيا وانهالت عليه ألقاب الشرف العلمية وغير العلمية ، من كل حدب وصوب حتى أصبح يفتخر بتعديد شهادات الدكتوراه الفخرية التي أهديت له(٧٢) ، واستثار الروح القومية ، وأخذ يشكل فرقا لسحق ماليزيا ، استغلها الشيوعيون (والناساكوم)(٧٣) القوميون في إضعاف التيار الإسلامي في أندونيسيا.

---

(٧١) المسلمون العدد ٣٥ ص٩.

(٧٢) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص١١٨.

(٧٣) وهي كلمة منحوتة من ثلاث كلمات : ناس من ناسيونال أي (قومية) ، و(آ) من (أقاما) أي (الدين) ، و(كوم) من (كومينيس) أي (الشيوعية). وهو الانجيل الذي بشر به سوكارنو. (غارة تبشيرية ص٢٩ وص١١٧).

ولما فضح المسلمون الشيوعية وأساليبها الإجرامية ، وأقصي سوكارنو سنة ١٩٦٧م بعد أن ثبت تواطؤه معهم ، وصل إلى الرئاسة الجنرال **سوهارتو** الذي ينتمي لنفس الطائفة ـ البنجان ـ ، وسارع الذين أيدوا نظام الناساكوم سابقا إلى الإنفضاض عنه والتنكر له، وكيفوا أنسفهم مع العهد الجديد. وأخرج زعماء وقادة حزب ماشومي من معتقلاتهم ، ليواجهوا الخراب والدمار وموجات الإلحاد والإباحية ، وبعد انتخابات عام ١٩٧١م حصرت الحكومة النشاط السياسي في ثلاثة أحزاب هي : حزب العمال ، وحزب التنمية (الجولكار) ، وحزب الإتحاد ، وهو الوحيد الذي له أساس إسلامي ، وأجبرته الحكومة على أن يتخذ مبدأ البانتشاسيلا بجانب المبدأ الإسلامي.

فتمكنت طائفة البنجان بتسلمها الحكم من ترسيخ مباديء بانتاشيلا التي تهدف إلى إحداث تغيير شامل للمجتمع الأندونيسي وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه خطوة خطوة ، بطريق طويلة ـ كما يقولون ـ تبدأ بالإنسان الأندونيسي فتنشئه إنشاءا جديدا ، وتجعل منه إنسان البناء ، الذي يحمل أخلاق البانتاشيلا ، وليس من شك أن المستهدف من وراء هذا المشروع هو الإسلام وقيمه ومبادئه وشريعته بحيث يتحول إلى جانب طقسي عبادي لا دخل له في الحياة الإجتماعية والسياسية(٧٤).

وقد قاومت الحكومة الوطنية كل خطوة نحو الإسلام ، فقد كشف علي مسروم في أندونيسيا عن مذابح تعرض لها المسلمون في منطقة تانجونغ بريوك في سبتمبر عام **١٩٨٤م** فحكم عليه بالسجن **١٢** عاما(٧٥). حتى تبقى أخبار المسلمين في تعتيم. كما أصدرت محكمة جاكارتا حكم الإعدام على زعيم قيادة الجهاد في جاوا بتهمة ممارسة أنشطة تستهدف الإطاحة بالحكومة وإقامة دولة إسلامية وإحلال المباديء الإسلامية محل مباديء بانتاتشيلا(٧٦) ، التي لاتزال الحكومة الأندونيسية تتمسك بها حتى حين كتابة هذه السطور تحت شعار الحفاظ على الوحدة الوطنية.

---

(٧٤) ManopolUsdek in question and Answer, Department of information Republic Indonesia 1962 P33,P99.

(٧٥) المسلمون ص٤ العدد ٣٨.

(٧٦) المسلمون ص٥ العدد ٤/٤١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٦نوفمبر ١٩٨٥م. وانظر بعض الأفكار الأساسية للسير بخطة التنمية خلال ٢٥ عاما بقلم اللواء علي مورتوفو ط١/١٩٧٢م.

بل وشجعت الحكومة الحركات التي ظهرت باسم التصوف والحركات الباطنية وباسم المعتقدات الجاوية القديمة التي تعتبر الإسلام دينا أجنبيا ومنها جماعة (سادار مابان) المنحوتة من ماجاباهيت وبانتاتشيلا(٧٧).

٣ـ المشكلة التبشيرية ـ التنصيرية :

وصل المبشرون **الكاثوليك** في ركاب البرتغاليين إلى جنوب شرق آسيا بما فيه أندونيسيا. واستمرت المؤسسات التبشيرية الكاثوليكية تعمل في ظل هولندة البروتستنتية. ولكنها نشطت بشكل أوسع في عهد الإستقلال. وتمكن عدد من الكاثوليك التسلل إلى أهم المناصب الحكومية وعضوية البرلمان وعمليات الشئون الإنمائية ، بتشجيع من سوكارنو.

ولما قضي على الإنقلاب الشيوعي عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م لجأ كثير من الشيوعيين إلى الكنيسة الكاثوليكية ، وتعمد بعض القسس إلى الايحاء لهؤلاء الإنقلابيين بأنهم مهددون من قبل المسلمين فلا أمان لهم إلا تحت ظل الكنيسة.

وفي عهد التنمية ـ الخطة الخمسية الأولى والثانية (١٩٦٩-١٩٧٩م) حصل النصارى إجمالا على فرص ذهبية ، فتسلموا المناصب الحساسة للحكومة ، وبنوا أعدادا ضخمة من الكنائس في القرى وفي المدن ، وحتى التي يمثل المسلمون أغلبية السكان فيها ، وانتشرت المدارس الكاثوليكية إبتداء من رياض الأطفال إلى الجامعات ، وأصبح لهم ثمانية معاهد للاهوت وعشرات المعاهد الثانوية اللاهوتية.

وفي عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م زار البابا بولس السادس جاكارتا لحضور الإحتفال بعيد المبشر اكسافيريوس ٤/١٢/١٩٧٠م واستقبله الرئيس سوهارتو.

وأقام الكاثوليك مجلسا سموه مجلس رعاة الكنائس بأندونيسيا له رئاسة وأمانة عامة ، وتضم هذه الأمانة أقساما للموظفين ولشئون التعليم والشئون المالية والخدمات العامة وشئون المستندات والإعلام ، كما يضم المجلس معهدين أحدهما معهد البحوث والتنمية ، والآخر المعهد الإنجيلي الأندونيسي ، وثماني لجان : لجنة الشئون الاجتماعية والاقتصادية ولجنة الشئون التربوية ، ولجنة الإتصالات الشعبية ،

---

(٧٧) غارة تبشيرية على أندونيسيا ص٨٥. ويعرف المذهب الباطني بالأندونيسية : كيجاوين ويعتبر نوعا من الديانة الوثنية المقتبسة من معتقدات اتيميسما لدى أجداد قبيلة جاوا وقدمائهم ومن معتقدات هندوسية وبوذية مع استخدام تعبيرات إسلامية في بعض شعائرها الدينية /البلاغ ٧٨١ ص٢٨.

ولجنة الايكومينى (أي إعادة وحدة الكنائس النصرانية) ، ولجنة معاهد اللاهوت ، ولجنة الطقوس والعبادات ولجنة معلمي الدين(٧٨).

أما البروتستنتية :

فقد قام المبشرون بها في ركاب شركة الهند الشرقية الهولندية ، ووجدت الرعاية من جانب الحكومة الهولندية التي كانت تبدي القسوة وعدم التسامح في سبيل نشر عقيدتها(٧٩). ولكنها كانت تلجأ إلى التستر والخفية خوفا من نقمة المسلمين تجاه أعمال التنصير(٨٠). وأنشيء بجاكارتا عام ١١٥٨هـ/١٧٤٥م معهد لاهوتي بمساعدة الحاكم العام الهولندي (فان ايمهوف) من أجل تخريج رجال إكليروس من الأندونيسيين تمهيدا لإقامة كنيسة بروتستنتية أندونيسية ، وشدت الحكومة أزر المبشرين وساعدتهم في مدارسهم وإرسالياتهم الطبية واعتبرت ذلك من عوامل المدنية(٨١). وقد رضي المبشرون عن مساعدات هولندة وامتدحوها في مؤتمراتهم(٨٢).

ونشط التبشير بشكل أشد في فترة الإستقلال فتأسس مجلس الكنائس الأندونيسي عام ١٩٥٠م ، وكان يضم في أول أمره **٢٩** كنيسة فقط ، ثم ازداد عدد الكنائس المنضمة إليه فأصبح **٣٨** كنيسة عام **١٩٦٩م** ، و**٤٤** كنيسة عام **١٩٧٤م**. وكانت هناك **٢١٧** كنيسة أخرى لم تنضم إليه.

وقد حاول مجلس الكنائس الأندونيسي هذا أن يستضيف الجمعية العمومية الخامسة لمجلس الكنائس العالمي المقرر انعقادها سنة ١٩٧٥م لتعقد دورتها في جاكارتا تحقيقا لمحاولة توحيد الكنائس ، واحتج المسلمون على ذلك وطالبوا الحكومة بعدم السماح بذلك ، ولما لم تستجب عمد المسلمون إلى راعي كنيسة الإنجيليكان الواقعة في أحد الشوارع الرئيسية في جاكارتا واغتالوه، وهددوا بأكثر من ذلك ، فعقد المهرجان في نيروبي بكينيا.

ويعود استفحال النشاط التبشيري إلى الفترة التي انفرد فيها سوكارنو بالسلطة ، وفي غيبة حزب ماشومي ، الذي حله سوكارنو والذي كان له أضخم الإسهام

---

(٧٨) نفسه ص٢٠.

(٧٩) شاتليه - الغارة على العالم الإسلامي ص١٨.

(٨٠) حاضر العالم الإسلامي ج٣ ص٣٧٣.

(٨١) الغارة على العالم الإسلامي ص٣٨.

(٨٢) نفسه ص٣٠ ، حاضر العالم الإسلامي ج٣ ص٣٧٣.

في دعم الإستقلال ومقاومة الإستعمار. فاحتضن سوكارنو النصارى واصطفاهم ، ومكنهم من مراكز السلطة في أجهزة الحكم والإدارة والدفاع والشئون المالية والتربوية والخدمات الصحية ، وفتحت الأبواب لدخول آلاف المبشرين ، وتوزيعهم على مختلف الأماكن والجزر ، بما في ذلك طائفة **شهوديهوه** اليهودية. فشيدت آلاف الكنائس الفخمة والأديرة والبيع والمستشفيات ومعاهد الكهنوت والصروح البطريركية ، وتلقت المعونات الضخمة الخارجية نقدية وعينية ، فقد كانت هناك بواخر ترسو في موانيء أندونيسيا حاملة الأسمنت والخرسانة ومختلف مواد البناء الأخرى ومعدات رياض الأطفال والمدارس التبشيرية وكلها معونات من مختلف الهيئات الكنسية العالمية ومعفاة من الضرائب والجمارك والمكوس. فأصبحت البنايات الفخمة لهذه المؤسسات ومواقعها توحي وكأن أندونيسيا بلد نصراني صميم.

ولما زال سوكارنو على يد المسلمين، وتحد النصارى جهودهم كاثوليك وبروتستنت ، وقامت صحفهم تستعدي الحكومة على المسلمين وتصفهم بالتطرف واليمين ، وبأنهم يجب أن يعاملوا معاملة المتطرفين اليساريين سواء بسواء ، واشتدت عمليات التنصير فنشرت مجلة تايم أن ٢٥٠ ٠٠٠ نسمة قد تنصروا خلال العشرين شهرا التي أعقبت ثورة أندونيسيا على الشيوعية ، منهم ٦٥ ٠٠٠ في جاوة وحدها. وان نسخ الإنجيل قد نفدت ، وقرر مجلس الكنائس الوطني في الولايات المتحدة القيام بحملة تبرعات تهدف إلى جمع ٣٠٠ ألف دولار لصالح الطائفة الأندونيسية(٨٣). وأمام هذا السعار التبشيري ظهر تحدي المسلمين ، فخافت الدولة من استفحال الأمر ، فدعى الجنرال سوهارتو لعقد **مؤتمر الأديان** في أندونيسيا ، وعقد بالفعل في ٣٠ نوفمبر سنة **١٩٦٧م** بمدينة جاكارتا ، وحضره الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية ، والسيد أنور تشوكرو أمينوتو من حزب الشركة الإسلامية ، والسيد أدهام خالد من جماعة نهضة العلماء ، والجنرال سوديرمان من وجهاء المسلمين وغيرهم ، وترأس المؤتمر السيد محمد دحلان وزير الشئون الدينية آنذاك. وقد ظهر تسامح المسلمين في المؤتمر ، وقدموا أسلوبا للتراضي صيغ في مشروع ميثاق بين الأديان قابله الجانب النصراني بالرفض التام.

---

(٨٣) غارة تبشيرية ص٦٥. ، مجلة العربي عدد جمادى الثانية سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ولم ينجح المؤتمر إلا في الوصول إلى توصية واحدة خاصة بإنشاء هيئة إستشارية تتكون من ممثلي الطوائف الدينية بأندونيسيا تستشيرها الحكومة في معالجة القضايا المتعلقة بعلاقات مابين الأديان الموجودة بأندونيسيا(٨٤).

وفي شهر اكتوبر سنة ١٩٦٨م انعقد بمدينة طوكيو ندوة بإشراف مؤسسة فريدريك إيبرث ستيختونغ الألمانية. اشترك فيها الدكتور محمد رشيدي فقدم ورقة عمل بعنوان : (متطلبات الإسلام الأخلاقية والإجتماعية للمجتمع الحديث مع الإهتمام الخاص بمسلمي أندونيسيا) نقتطف منها النقاط التالية :(٨٥).

- يقوم المسئولون في هيئات التبشير بشراء الأراضي ذات الموقع الإستراتيجي بأسعار مرتفعة جدا ، وذلك لإنشاء الكنائس والمدارس عليها. وإذا امتنع صاحب الأرض من البيع مباشرة إلى التبشير عمدوا إلى الإستعانة بأشخاص آخرين لا تبدو عليهم مخايل التبشير أو سماته يشترون الأرض ويبيعونها للتبشير بعد ذلك.

- تقوم الكنيسة بإقراض الفلاحين قروضا نقدية أو عينية بشرط أن يستعدوا لإدخال أولادهم إلى مدارس التبشير.

- يقوم الكثير من المبشرين بالإتصال بأعضاء الحزب الشيوعي المحظور ، والمعتقلين أو المسجونين بعد محاكمتهم ، يعرضون عليهم مساعدة ذويهم بالأرز والنقود بصفة دائمة ، شرط أن يوقعوا على اعترافات بالإنضمام إلى حظيرة الكاثوليكية.

- أنشئت الكثير من النوادي والمكتبات وقاعات المطالعة وحمامات السباحة والساحات الرياضية ومراكز الشباب مخصصة للشباب غير المسيحي - بقصد التبشير -.

- تقوم الفتيات النصرانيات بإغراء الشبان المسلمين وإيقاعهم في حبائلهن لإدخالهم إلى النصرانية.

- معلمو الدين الإسلامي إذا شرحوا آية قرآنية تتعلق بالمسيح يعرضون للإعتقال ،وقد يعتقلهم فورا تلامذتهم النصارى ، ليسلموهم إلى ولاة الأمر النصارى - موظفي الحكومة -.

- تتعرض بيوت المسلمين لزيارات المبشرين ، وقد تتم الزيارة في غيبة الرجال ، ويجبر السكان للإستماع إلى المبشرين إجبارا.

---

(٨٤) نفسه ص٦١.

(٨٥) انظر نفسه ص١٠٠-١٠١.

هذا ويأتي المبشرون ومعهم أحدث وسائل الدعاية التبشيرية الاعلامية من أفلام ومسجلات ووسائل طباعة وغيرها ، واستخدموا بواخر ترتاد السواحل والجزر النائية عن مراكز التجمعات الإسلامية وربابنتها كلهم من القسس والمبشرين(٨٦). كما امتلك التبشير أحدث وسائل النقل والمواصلات مثل طائرات الهليوكبتر وطائرات التشيستا والأجهزة اللاسلكية وغيرها. وتملك الترخيصات اللازمة لإنشاء مطارات خاصة بها هناك(٨٧). ويحظى موظفو الحكومة في هذه المناطق بخدمات مرافق النقل هذه حيث لاتوجد خدمات نقل حكومية ، كما تستعين إدارة البريد لنقل بريدها على الخطوط الجوية التبشيرية كالتي تصل بين مدينة تيمور كوبانغ ومدينة وانيفابو التي تنظم رحلتين أسبوعيا(٨٨).

وقرر مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان وهيئات التبشير الأخرى الإسهام في أعمال التنمية ، ومشاريعها في الأقطار النامية تحت شعار : « **من الكنيسة إلى المجتمعات** » فأسس مجلس الكنائس العالمي هيئة سماها : «هيئة مجلس الكنائس للإسهام في أعمال التنمية» ، تعمل في حقول التنمية المختلفة مثل إقامة القرى الزراعية وعقد الدورات التدريبية المهنية لمختلف التخصصات التقنية والفنية وتقديم القروض المباشرة إلى الفلاحين عن طريق مؤسسات وحدات الإقراض ومشروعات التهجير الداخلي للسكان ونحو ذلك منذ عام ١٩٧٣م(٨٩).

واستغلت هيئات التنصير **مشروع التهجير الداخلي** فانتدبت مأموريها ورجالاتها وسط المهجرين بوصفهم مرشدين إجتماعيين يقدمون الإرشادات الفنية والمساعدات المادية والأدبية ، فتقدم مؤسسة إقراض (الكويديت يونيون) التابعة للإرساليات القروض والتسهيلات التي تخفف عن هؤلاء البائسين ظروفهم القاسية وتجعلهم أسارى لهذا الجميل المدسوس(٩٠).

كما أخذت معاهد المعلمين النصرانية تتسابق في تخريج المعلمين الذي يدرسون **في مدارس الأوامر الجمهورية**(٩١).

---

(٨٦) غارة تبشيرية ص٨٧.

(٨٧) محمود شاكر ـ أندونيسية ص٧٤ـ٧٥.

(٨٨) غارة تبشيرية ص٨٨.

(٨٩) غارة تبشيرية ص٨٩.

(٩٠) نفسه ص٩٣.

(٩١) نفسه ص٩٤.

ولجأ التبشير إلى أسلوب **تبني الأطفال** البائسين ، ثم غيروا ذلك إلى أسلوب يحمل شعار (أنقذوا الأطفال)(٩٢). وبذلك يعدون جيلا يخدم أغراضهم في بلاد أندونيسية الإسلامية ، مستغلين ظروف الفقر والمرض والجهل(٩٣).

وعقد اجتماع المجلس العالمي للكنائس في صيف عام ١٩٧٨م لرسم سياسة منظمة لنشر المسيحية في أندونيسيا ، فوقف أحد الجنرالات وهو (سيماتو يانغ) (قطب مجلس الكنائس الإندونيسية ومجلس الكنائس العالمية) يقول :

١- يجب الإنتفاع من وجود ضباط نصارى في الجيش والحكومة لتعيين قادة نصارى في القوات المسلحة لكي يمكن توجيهها في الدفاع عن النصرانية.

٢- يجب تسخير وسائل الإعلام لإشعار العالم بقوة النفوذ النصراني في أندونيسيا.

٣- كل المؤسسات التجارية والصناعية والإجتماعية المتعصبة للإسلام يجب محاربتها وإضعافها.

٤- يجب كسب وتأييد الحزب الشيوعي الأندونيسي كي ينحاز إلى الجانب النصراني.

٥- يجب زيادة المساعدات التي يقدمها مجلس الكنائس العالمي للمستشفيات والمدارس الأندونيسية.

٦- يجب أن تمارس العبادات المسيحية بمصاحبة الأنغام الموسيقية وباللهجات المحلية.

٧- يجب إظهار الإسلام والعبادات الإسلامية بمظهر التخلف والعبث والحاق الأذى والضرر ، فيقال مثلا : إن الصوم يضعف الأبدان ، وان مياه الوضوء في الصباح تسبب مرض الروماتيزم وهكذا(٩٤).

والنجاح التبشيري والتشجيع الذي يجده من المسئولين في أندونيسيا جعل النصرانية تحلم بتحويل أندونيسيا إلى دولة نصرانية مع بداية عام ٢٠٠٠م ،وقد

---

(٩٢) نفسه ص٩٦.

(٩٣) مجلة البلاغ العدد ٦٨٩ الكويت ص١٠/ الأحد ١١رجب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣/٤/٢٤م.

(٩٤) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٥٠،٥١ ص٣٤٧ السنة ١٣ ربيع الآخر ورمضان ١٤٠١هـ. (عن مجلة الأمة القطرية) وقد تحققت فكرته وخاصة في منطقة ساندور في محافظة سولاويزي الشمالية حيث تولى النصارى الوظائف العالية من الدرجة الأولى والثانية (المسلمون العدد٨٩ص١١).

نشرت مجلة (تايم) الأمريكية في عددها ١٩٨٢/٥/٣م أن ٥,٦ مليون مسلم في أندونيسيا قد تحولوا إلى النصرانية(٩٥). كما قرر المبشرون في مؤتمرهم الذي عقدوه في مالانغ في جاوة الشرقية أنه يجب أن ينتهوا من تنصير سكان جزيرة جاوة خلال العشرين سنة المقبلة ، وان ينتهوا من تنصير أندونيسيا كلها خلال الخمسين عاما القادمة(٩٦).

رد الفعل الإسلامي الأندونيسي على أعمال التبشير :

لقد كتب على مسلمي أندونيسياأن يتحملوا الظلم والعدوان من أعدائهم في الخارج ، وأن يتحملوا الحيف والمؤامرة من بني جلدتهم الذين انسلخوا عن الإسلام في الداخل. فقد قاومت أندونيسيا الإستعمار مدة ثلاثة قرون ونصف ، لم يهدأ المسلمون خلالها من تحدّ إلا ليقوموا بآخر ، غير مبالين بالضحايا التي غمرت القيعان والوهاد ، حتى إذا نالت استقلالها بتضحية أبنائها المسلمين جاء من يقطف الثمرة وينكّل بهم ، فكانت القوميات والطائفيات والتنصير. ولذلك لجأ القادة المتنورون إلى علاج خواء المفاهيم من القيم الإسلامية الصحيحة ، بترسيخ جذور الإيمان في أعماق النفوس ، وتوطيد أسس العقيدة. فاتفقوا على إنشاء هيئة تتفرغ لهذا العمل سموها : «**المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية**» سنة **١٩٦٧م**. ومقرها جاكارتا وحدد العلماء الهدف من هذه المؤسسة :

تنشيط عمل الدعوة الإسلامية وتصعيد مستواه في كافة أنحاء أندونيسيا بالوسائل التالية :(٩٧)

أ- تكملة إعداد المبلغين والدعاة ، وذلك بتوفير مايحتاجون إليه من أداء مهماتهم من حيث المستوى العلمي والتخطيط المنظم والمعدات ليتم إعداد جيل من حملة الدعوة والتبليغ.

ب- إقامة التعاون الوثيق مع هيئات الدعوة الموجودة حاليا.

ج- تأمين سبل الدعوة وميادينها عن طريق الإبتعاد عن كل موجبات الإختلاف وتباين وجهات النظر والآراء فيما بين الدعاة أنفسهم أو التقليل منها وحصرها في أضيق الحدود على الأقل.

---

(٩٥) المسلمون ص١٠ العدد٣٤.

(٩٦) القضماني - صفحات من حاضر العالم الإسلامي ص١٣٤.

(٩٧) غارة تبشيرية ص١١٠.

د- العمل من أجل تأمين صندوق خاص بالدعوة يكفل لها كل احتياجها ويكفل الرعاية والعناية لمتفرغي الدعوة.

ومن المؤسسين لهذه المؤسسة : الدكتور محمد ناصر ، والدكتور الحاج محمد رشيدي وغيرهما(٩٨).

فأقيمت حلقات التدريب الدورية لجماعات الدعاة والمبلغين وأعدت طائفة خاصة لمواجهة القسس والمطارنة إعدادا خاصا(٩٩) ، وعمل المجلس أن يكون كل مسجد مركز ارتباط ، ورباط لجماعته يتولون رعايته وينظمون شئونه ويدفعون اشتراكات كهربائه ، ونظمت الدروس الدينية ، وعمل على إسداء الرعاية الصحية مجانا للمبلغين وعائلاتهم ، وعمل على إنشاء عيادات صحية في المساجد والمصليات تطوع للعمل فيها الأطباء المسلمون. وأعدّ المجلس حلقات أسبوعية خاصة بالمثقفين يحاضر فيها الدعاة أصحاب المؤهلات الجامعية ، وأقام علاقة مع المنظمة الطلابية الإسلامية يمدها بالكتب والمطبوعات الدينية باللغة الأندونيسية والإنجليزية.

ومما يذكر أنه يوجد في كل الجامعات الحكومية والأهلية بأندونيسيا مساجد مقامة في الحرم الجامعي تؤدى فيها الفرائض الدينية ، كما تلقى بها الدروس والمحاضرات الدينية العامة ، وهذه المساجد يقيمها الطلبة أنفسهم ويتولون إدارتها ورعايتها ، كما أن المدارس تستخدم بعض قاعاتها لأداء فريضة الجمعة(١٠٠).

وأقام المجلس في مجال نشاط خدماته الصحية مستشفى ابن سينا الإسلامي وقد تلقّى معونات إسلامية من داخل أندونيسيا وخارجها.

وفي مجال الخدمات التربوية والتعليمية عمل المجلس على تصعيد مستوى التعليم الإسلامي في المدارس ونشر اللغة العربية في أندونيسيا وذلك:

بإصلاح المناهج التعليمية في المعاهد الإسلامية الحرة ، وابتعاث الطلاب إلى البلاد العربية لإتمام الدراسة الجامعية. وقد تلقى المجلس عددا من المنح الدراسية من جامعة المدينة المنورة وعددا من وزارة المعارف السعودية وجامعة الملك فيصل الإسلامية بالرياض ،وجامعة الكويت وجامعة الأزهر وغيرها(١٠١).

---

(٩٨) نفسه ص١٠٩.

(٩٩) نفسه ص١٣٧.

(١٠٠) غارة تبشيرية ص١٤٦.

(١٠١) أخبار العالم الإسلامي ص٣/ ٦جمادى الثانية ١٤٠٥هـ.

واستمرت المؤسسات الإسلامية الأخرى تتصدى لعملية التبشير وتعمل جاهدة لتنشئة الجيل المسلم الأندونيسي كالجمعية المحمدية ، وجمعية نهضة العلماء ، وجمعية الإرشاد ، وقد أخذت جميعها على عاتقها إنقاذ المسلمين من واقعهم الأليم ، بتأسيس المدارس وبناء المستشفيات وبناء المساجد وتقديم المال والدواء للمحتاجين ، كما تحملت عبء الجهاد في وجه المستعمرين والشيوعيين من قبل.

وأقتطف في مايلي شيئا مما ذكره الدكتور فؤاد فخر الدين رئيس الأكاديمية العربية للدعوة الإسلامية في أندونيسيا ، مُحذِّرا من موجات الإلحاد والتيارات الهدامة التي تجتاح أكبر دولة إسلامية في العالم وهي أندونيسيا.

(فالأكاديمية تأسست سنة **١٩٨١م**. ويدرس بها **٢٠٠** طالبا يتعلمون اللغة العربية).

قال الدكتور : « العلمانية أصبح لها باع طويل داخل المجتمع الأندونيسي وقد ساعد على وجود مفاهيمها انتشار المدنية بالطابع الغربي وعدم الاهتمام بنشر الفكرة الإسلامية وإرسال الغرب المستشرقين ليبثّوا فينا أفكارهم الزائفة ... وقد ساعد هذا على المستوى الرسمي أن البلاد في الوقت الحاضر تعيش على مايسمى بالمباديء الخمسة التي تقوم على الإيمان بالألوهية الواحدة ، والوحدة الوطنية ، والعدالة الاجتماعية والديمقراطية ، والتعاون. وقد تكون هذه المباديء حسنة من الناحية الشكلية ولكن التطبيق العملي يؤكد أن الدولة تعيش طبقا للمفهوم العلماني الخالص. رغم أن الدستور لا ينص على أن البلاد علمانية أو إسلامية أو وثنية ».

« خطر آخر يواجه التواجد الإسلامي وهو تفكك الجماعات الدينية ، بل ومحاربة كل جماعة الأخرى ... كما أنهم يعيشون داخل التفسير المذهبي الضيق الذي تحاول فيه كل جماعة أن تخطيء الأخرى في الوقت الذي يكون فيه الجميع على صواب ». (هكذا).

إن مفاهيم العلمانية والتفكك والتناحر بين الهيئات والمذاهب أوجدت المناخ المناسب لنشر أفكار غريبة عن الإسلام ورسول الإسلام ، لقد أصبح الهجوم على رسول الله وسنته ﷺ واضحا في كثير من الوسائل التعليمية والإعلامية ورأينا نشرات سرية تعيب على رسول الله ﷺ تعدد زوجاته ودعوته للزهد في الدنيا وحب الآخرة ، وتهوين الثقة فيه ، بل ظهر افتراء منذ خمس سنوات يقول إن الرسول جاء للعرب وبالتالي فأنتم أيها الأندونيسيين لستم مدعوين لاتباع الإسلام الذي جاء به محمد ، بدليل أنه جاء بلسان عربي .. وأذكر أنه قد تعرض لأمر

الفتوى في هذه المسألة بعض من ليسوا أهلا لها فكانت النتيجة أنه ضل وأضل وأساء أكثر مما نفع.

كما أننا لازلنا نعاني من بعض المتصوفة المتواكلين الذين يلبسون اللباس الممزق ولا يهتمون بنظافتهم ولابعملهم بحجة أنهم صوفيون. والبعض يتسول في الطرقات ، ولايدفع الباطل إن رآه ولا يصوب الخطأ حيث وجده ».

« وثمة خطر آخر يستشعر الوجود الإسلامي في أندونيسيا وهو خطر التبشير ... له جمعياته الظاهرة وقساوسته المعتمدون ، وفي إحدى الإحصائيات السرية لمجلس الكنائس العالمي تبين أن عدد المبشرين المتفرغين لذلك يبلغ ١٤ ألفا في عام ١٩٨١م وأن عدد الكنائس يصل إلى ١٦ ألف كنيسة. وأن ما أنفق على التبشير عام ١٩٨١م بلغ ٣٠٠ مليون دولار. وذكرت مجلة إرساليات التبشير البروتستانتي في سويسرا أن ما ينفق على التبشير البروتستني في أندونيسيا وحدها يعادل ١٣٥ مليون دولار سنويا.

وقد عقد في أندونيسيا مؤتمر نصراني تقرر فيه ادخال جزيرة جاوة إلى النصرانية في ربع قرن ، وجميع البلاد في نصف قرن. وهذا المخطط ينفذ بأسلوب سياسي وبطرق مدروسة ومتعددة(١٠٢) ».

هذا وقد قدمت المملكة العربية السعودية مساعدات قيمة وكذلك الكويت. وعلى سبيل المثال قدمت المملكة ٣١٢ ٥٠٠ دولار تبرعا لست مؤسسات إسلامية في أندونيسيا مرة واحدة(١٠٣).

ولكن هذه المساعدات والجهود الذاتية لاتوازي الإمكانيات الهائلة التي تنهال على مؤسسات التبشير في أندونيسيا ، والنشاط الإسلامي (وهذا هو الأهم) لا

---

(١٠٢) الشرق الأوسط ص١٣ الأربعاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥/١٢/١١م السنة ٨ العدد ٢٥٧٠- صفحة دين وتراث.

(١٠٣) أخبار العالم الإسلامي ص٣/ ٦جمادى الثانية ١٤٠٥هـ.

يحظى بعطف الحكومة هناك بل تقف ضده(١٠٤). ورغم ذلك فالإسلام ينتشر بين الوثنيين ، فعلى سبيل المثال أعلن ٢٠٣٠ شخصا من سكان منطقة كارو الوثنية الإسلام خلال ثلاث سنوات فقط (١٤٠٢-١٤٠٥هـ)(١٠٥).

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾(١٠٦).

﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾.

(١٠٤) تشير بعض الإحصائيات إلى تناقص نسبة المسلمين من ٩٦٪ قبل الاستقلال إلى ٨٦٪ ، في حين ارتفعت نسبة النصارى البروتسنت والكاثوليك من ٢٪ إلى ٨ و٨٪ في عهد الاستقلال ، وهذا يشير بشكل واضح إلى أن عملية التبشير (التخريب) موجهة إلى المسلمين بشكل خاص. انظر المسلمون - العدد٨٩ص١١.

(١٠٥) أخبار العالم الإسلامي ص٣/٦جمادى الثانية ١٤٠٥هـ كما تشير إحصائية أصدرها مجلس الإدارة المركزية للجمعية المحمدية في أندونيسيا إلى أن عدد المسلمين تناقص خلال العشر سنوات ١٩٧٠-١٩٨٠م بنسبة ٤٪ بسبب الاغراءات المادية وليس عن اقتناع. (أخبار العالم الإسلامي) ص٦ ، الاثنين ١١ محرم ١٤٠٧هـ.

(١٠٦) سورة العنكبوت الآية ٦٩.

الباب السادس

قضايا أقليات مسلمة في آسيا واوربا

في روسيا الاتحادية وقفقاسيا وآسيا الوسطى

الفصل الأول : المسلمون في الاتحاد السوفيتي
الفصل الثاني : المسلمون في الصين
الفصل الثالث : المسلمون في شبه جزيرة الهند وقضية فطاني
الفصل الرابع : المسلمون في قبرص
الفصل الخامس : المسلمون في أوربا الشرقية

الفصل الأول

المسلمون في الاتحاد السوفييتي

إن ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي هو أوسع بلاد العالم مساحة، إذ تبلغ مساحته ٢٢,٤ مليون كم٢ أي سدس مساحة اليابسة موزعة على قارتي آسيا وأوروبا ، فهو يشمل ثلث مساحة قارة آسيا ونصف مساحة أوروبا.

وأما روسيا الأصلية : فهي تلك المنطقة التي تقع في الركن الشمالي الشرقي من أوربا والتي سكنها الشعب الروسي من الشعب السلافي وكانوا ثلاثة أقسام :

أ- الروس الكبار : وانتشروا حول موسكو وهي مركزهم.

ب- الاوكران : وانتشروا في الجنوب الغربي حول مدينة كييف حاضرتهم.

ج- الروس البيض : وانتشروا في الغرب وحاضرتهم متسك.

وهذه البلاد الروسية الأصل لاتزيد على ١,٥ مليون كم٢. أما المناطق الشرقية والشمالية والجنوبية فيما يسمى روسيا الأوروبية اليوم فقد كانت قبائل قليلة العدد تنتقل في أرجائها ، وكان الروس وتلك القبائل يدينون بالوثنية ، إلى أن تنصر الملك فلاديمير سنة ٣٧٥هـ/٩٨٨م على المذهب الأرثوذكسي.

وتكون الإتحاد السوفييتي من خمس عشرة جمهورية فيها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها ، ويضم البلدان التالية :

١- روسيا الأصلية وهي زعيمة الإتحاد والمتسلطة عليه.

٢- سيبريا وتتبع جمهورية روسيا.

٣- بلاد حوض الفلغة.

٤- شبه جزيرة القرم.

٥- بلاد القفقاس.

٦- تركستان الغربية.

وجميع هذه البلدان دخلها الإسلام ،وكونت جزءا من دار الإسلام ،بعضها من القرن الأول الهجري ،وبعضها بعد ذلك بكثير. وأما الأقاليم النصرانية التي شملها التوسع الروسي فضئيلة المساحة فقيرة الموارد وهي :

روسيا البيضاء ، وأوكرانيا ، وأستونيا ، ولاتفيا ، ولتوانيا[1] ، وملدافيا.

وفيما يلي نبذة عن دخول الإسلام إلى هذه البلدان :

(١) الغزالي - الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص١٠٩.

دخول الإسلام إلى روسيا الأوروبية وحوض الفلغة :

انتشر الإسلام في روسيا الأوروبية في فترتين زمنيتين :

١- على يد البلغار في القرن الرابع الهجري الذين اعتنقوا الإسلام على يد الدعاة والتجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية. وقد أرسل إليهم الخليفة المقتدر العباسي **٢٩٥-٣٢٠هـ ٩٠٨-٩٣٢م** قائده أحمد بن عباس ، ويعرف بابن فضلان ، ليقوم على تثبيتهم على الدين ، وتعليمهم مباديء الإسلام وشعائره. ويعد ابن فضلان من أوائل الرحالة الجغرافيين المسلمين إلى تلك الديار ،وقد وصف تلك الرحلة بعد عودته وصفا دقيقا تعد من المصادر الأولى في تاريخ وجغرافية روسيا - وقد وصف الروس بأنهم : «أمة همجية ، شقر الشعور ، زرق العيون ، قباح الوجه ، أهل غدر ، وأقذر الأمم ، وأنهم أشر خلق الله - ضخام الأجسام ، مستهترون بالخمر يشربونها ليلا ونهارا ، وهم أقذر خلق الله لايستنجون من غائط ، ولايغتسلون من جنابة ». وكذلك وصفهم من بعده : ابن رستة والمسعودي وابن بطوطة(٢).

ولم يستطع البلغار جذب الروس الوثنيين إلى الإسلام ، لأنهم لم يقيموا مجتمعهم على أساس الإسلام فبقوا متأخرين. ولذلك اختار الروس بزعامة فلاديمير النصرانية على المذهب الأرثوذكسي عام **٩٨٨م**.

٢- على يد التتار : من القبيلة الذهبية التي أسسها جوجي بن جنكيز خان ، وأسلم أميرها بركة خان (٦٥٤-٦٦٥هـ) ١٢٥٦-١٢٦٧م ، فأصبح حوض الفلغة بأكمله إسلاميا ، وحاضرته مدينة **السرا** على ضفاف الفلغة.

وظهر من هذه الأسرة **محمد أوزبك** (٧١٣-٧٤١هـ) ١٣١٣-١٣٤٠م الذي اشتهر بحماسه لنشر الإسلام بين الأهلين ، وامتدت دولته من شمال بحر آرال إلى مصب الفولغة مع امتداد إلى الغرب حتى بلاد القرم. فوطد أركان الإسلام في البلاد التي كانت تحت سلطانه ، ويقال إنه وضع خطة لنشر الإسلام في جميع أرجاء روسيا ولكنها لم تنجح ،وأظهر التسامح العجيب مع النصارى ورجال دينهم مالا شبيه له(٣). (إلا من مسلم طبعا). يظهر ذلك في العهد الذي منحه للمطران

---

(٢) ابن بطوطة ج١ ص٣٨٠. ورسالة ابن فضلان - في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ/٩١١م حققها د. سامي الدهان مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م /ص١٥٦.

(٣) انظر أرنولد - الدعوة إلى الإسلام - ص٢٧٢.

بطرس عام ٧١٣هـ/١٣١٣م ، الأمر الذي جعل البابا يوحنا الثاني والعشرون يرسل له عام ٧١٨هـ/١٣١٨م يشكره على ماأظهر من عطف على رعاياه النصارى ، فبقيت النصرانية الدين القومي للشعب الروسي. ويؤدي الجزية للمسلمين.

وقد زار ابن بطوطة البلاد وذكر محمد أوزبك فقال عنه : « وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة ، كبير الشأن ، رفيع المكانة ، قاهر لأعداء الله ، أهل قسطنطينية العظمى ، مجتهد في جهادهم ، وبلاده متسعة ، ومدنه عظيمة منها الكفا ،والقرم ، والماجر ، وأوراق ، وسرداق ، وخوارزم. وحاضرته السرا ، وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها »(٤).

وتحدث عن مدينة السرا فقال :

«ومدينة السرا من أحسن المدن متناهية الكبر في بسيط من الأرض تغص بأهلها كثرة، حسنة الاسواق ، متسعة الشوارع ، وركبنا يوما مع بعض كبرائها وغرضنا التطواف حولها ومعرفة مقدارها ، وكان منزلنا بطرف منها ، فركبنا غدوة فما وصلنا لآخرها إلا بعد الزوال ، فصلينا الظهر وأكلنا طعاما ، فما وصلنا المنزل إلا عند المغرب ، ومشينا يوما في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم ، وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين ، فيها ثلاثة عشر مسجدا لإقامة الجمعة ... وأما المساجد سوى ذلك فكثير جدا »(٥).

وكذلك وصف مدينة استراخان (الحاج طرخان) ومدينة بلغار(٦).

وكانت إمارتا موسكو وكييف النصرانيتين تدفعان الجزية للتتار المسلمين. وعلى ذلك فكان في روسيا ثلاث ديانات :

١- الإسلام : ويدين به التتار وهم يحكمون البلاد ويدعون للإسلام.

٢- النصرانية : ويدين بها الصقالبة الروس ولهم إمارتان موسكو وكييف ويدفعون الجزية للمسلمين.

٣- الوثنية : ويدين بها بعض قبائل الروس وبعض القبائل الأخرى.

تجزأت دولة التتار الواسعة وتحللت القبيلة الذهبية عام ٨١٣هـ أي قبل فتح القسطنطينية بأقل من ربع قرن ، وظهر على انقاضها في روسيا ثلاث دويلات

(٤) تحفة النظار - رحلة ابن بطوطة ج١ص٣٦٧.

(٥) تحفة النظار ج١ص٣٩٣-٣٩٤.

(٦) نفسه ج١ ص٣٧٩ ، وص٣٧٤.

هي : خانات القرم ، والقازان ، والاستراخان(٧) وأخذت المناطق الخاضعة تتمرد عليها بالإنفصال ، فاستقلت إمارة موسكو ورفضت دفع الجزية عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م ، وأسست دولة قوية بزعامة إيفان الثالث (٨٦٧-٩١١هـ) ١٤٦٢-١٥٠٥م(٨). بعد أن بقيت تدفع الجزية ٢٤٠ عاما للتتار المسلمين.

استطاعت الدولة البيزنطية التي وقفت في وجه الإسلام فترة طويلة أن تثير في الصقالبة الروس الروح الصليبية ، وتدعوهم للإنتقام من التتار المسلمين إخوان العثمانيين الذين هددوا بيزنطة ثم قضوا عليها نهائيا عام ١٤٥٣م/٨٥٧هـ. فأعلن إيفان الثالث الحرب الصليبية ، واعتبر موسكو وارثة للإمبراطورية البيزنطية ، وتمكن من هزيمة أحمد خان سلطان قازان مستغلا انقسام ممكلة بركة خان المغولي إلى ثلاث دويلات هي القرم وقازان واستراخان ، وأخذت موسكو تنتقص دار الإسلام في روسيا شيئا فشيئا ، وقام البابا يحث فاسيلي الثالث أمير موسكو بإشعال حرب مقدسة ضد المسلمين ، ولكن فاسيلي ترك هذه المهمة لولده إيفان الرابع، الذي سمي (بالرهيب) ، بسبب ما ألحق بالمسلمين من قتل وذبح وأذى بتوجيه البابا. وقام بغزو الأقاليم الإسلامية في روسيا فاحتل خانية قازان الإسلامية التي كانت مركزا لحضارة إسلامية عريقة زاهرة(٩) عام ٩٦٠هـ/١٥٥٢م وضمها إلى دولته ، فكانت أول البلاد الإسلامية التي وقعت تحت براثن الإستعمار الروسي بعد ستين سنة من سقوط غرناطة في الأندلس. واتبعها في العام نفسه أرض الجوفاش وبلاد ماري وموردوف ، ثم دخل مدينة أوفا عاصمة بشكيريا عام ٩٦٣هـ/١٥٥٥م ، كما احتل خانية إستراخان (الحاج طرخان) وضمها عام ٩٦٥هـ/١٥٥٧م ، واستولى على بلاد الإدمورث عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م ، وهكذا ضم الأراضي الإسلامية التي تقع بين موسكو وجبال الإدمورت من جهة الشرق ، وبحر الخزر من جهة الجنوب ، ولم يبق من روسيا الأوروبية إلا بعض الأجزاء ، وشبه جزيرة القرم التي ضمتها روسيا عام ١١٩٨هـ/١٧٨٣م.

ولا تزال آثار الماضي الإسلامي ماثلة في عدد من الجمهوريات ذات الإستقلال الذاتي ، والتي ترتبط بمدينة موسكو وهي :

١- **جمهورية باشكيريا** : إحدى الجمهوريات السوفياتية ، تحكم ذاتيا ، وتقع

---

(٧) العثمانيون والروس ص٣٣.

(٨) انظر أوربا العصور الوسطى - د.سعيد عبد الفتاح عاشور - ص٦٥٩-٦٦١.

(٩) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٢٧.

جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاوروبية

في جنوب جبال الأورال ، وتنتسب إلى شعب الباشكير أحد الشعوب التركية ، وصلها الإسلام مبكرا في العصر العباسي الأول ، ويعتنقون جميعا الإسلام وأغلبهم أحناف(١٠) ، وقد قام الباشكير بدور هام في نشر الإسلام بين الشعوب المجاورة بسبب موقعهم المتوسط بين قارتي آسيا وأوربا. ومساحة هذه الجمهورية ١٤٣ ٦٠٠ كم٢ ، وعدد سكانها حوالي ٤ ملايين نسمة عام ١٤٠٢هـ. ٦٠٪ منهم مسلمون ، رغم هجرة الكثير من الروس إليها بسبب غناها ، وتهجير الباشكير خارج ديارهم. وقد عمل الروس على زعزعة عقيدتهم فقاموا بعدة ثورات أشهرها عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م ، على إثر عدة قوانين ترغم السكان على التحول إلى النصرانية ومعاقبة كل من ينتسب في تحويل نصراني إلى الإسلام بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات ، وأخمدت الثورات بشدة وقسوة ، كما أصدرت كاترين الثانية عدة قوانين سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م لتقييد حرية العبادة ، فقاوم الباشكير ونشطوا في الدعوة سرا وأسلمت على أيديهم بعض القبائل(١١) ، وبقيت الباشكير إسلامية فقد وجد فيها عام ١٣١٥هـ ١٥٥٥ مسجدا و٦٢٢٠ مدرسة إسلامية ، وكانت صلاتها ببلاد الإسلام كبيرة فمنهم علم الدين الباشكيري نائب السلطان قلاوون في سوريا ، كما جند المماليك عددا منهم ، وظلوا على علاقة بالدولة العثمانية(١٢).

وأنشئت جمهورية باشكيريا في ظل الشيوعية عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م ، فدخل الباشكير المسلمون مرحلة جديدة من التحدي ، فهدم العديد من المساجد وألغيت المدارس الإسلامية ، فتحدوا ذلك وأصبحت أوفا عاصمتهم مركزا يلتقي فيه المسلمون في روسيا ، ومقرا للإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الإتحاد السوفييتي ومسلمي سيبيريا منذ سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م.

٢- **جمهورية تتاريا** : إحدى الجمهوريات السوفياتية في حوض الفلغة شرقي روسيا الأوروبية على حدود باشكيريا.

وتبلغ مساحتها ٦٨ ٠٠٠ كم٢ ، وسكانها حوالي ٤ ملايين نسمة ، وتزيد نسبة المسلمين فيها على ٦٥٪ على الرغم من كثرة الروس المستوطنين ، وتنتسب

---

(١٠) The Ency of Islam NoIIP 1076

(١١) أرنولد - الدعوة إلى الإسلام ص٢٨٧ وانظر ص٢٨٠ عندما صدر قانون حرية الأديان عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م فنشطوا في الدعوة علنا.

(١٢) The Ency P 1076

لشعب التتار المسلم الذين نقلوا الإسلام إلى شمال أوربا فوصلت الدعوة بجهودهم إلى روسيا الأوروبية وفنلندا وبولندة وشبه جزيرة إسكندنافيا عامة(١٣).

إحتلها إيفان عام ٩٦٠هـ/١٥٥٢م(١٤) وأجلى أهلها عن قازان العاصمة ليحل محلهم الروس ، ولكنهم تمسكوا بعقيدتهم وصمدوا لتحدي قياصرة روسيا طيلة أربعة قرون ، فضربوا مثلا رائعا في الصمود للتحديات والإعتزاز بالإسلام ، ولايزال هذا الشعب رغم تشتته في أنحاء مختلفة يمثل الإسلام دين الأغلبية في جمهورية تتاريا رغم تهجير كثير من الروس إليها.

وقد كانت قازان العاصمة ذات جامعة إسلامية بها سبعة آلاف طالب في مستهل القرن العشرين ، ومطابع تخصصت بطباعة المصاحف ،والكتب الدينية وكان فيها مدارس ومكتبات إسلامية ، وكان دورها الإسلامي يزيد على دور دمشق والقاهرة واستنبول ، وقد حافظت على طابعها هذا حتى بعد الثورة الشيوعية ، وكانت ترسل الدعاة إلى مختلف البلاد الخاضعة لروسيا القيصرية وخاصة إلى سيبريا ، وخاصة بعد قانون حرية التدين في روسيا ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م(١٥).

وبعد أن استولى السوفييت على الحكم واجه التتار حربا قاسية على معتقداتهم ، فأغلقت المدارس الإسلامية ، ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية في قازان ، فواجهوا ذلك بالتحدي ، وقدموا العديد من الشهداء ، حتى أولئك الذين تعاونوا مع الشيوعيين في البداية مثل سلطان علي أوغلي (عالياف) الذي نادى بتوحيد المسلمين في روسيا في كيان دولة واحدة تتحد مع السوفييت على مستوى واحد ، فقبض عليه سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م ، وأعدم في سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م(١٦).

ويعتبر النفط من أهم موارد جمهورية تتاريا ويستخرج من **حوض كاما الذي** أطلق عليه اسم: باكو الجديدة(١٧). وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي أخذت روسيا تبتلع هذه الأقطار الإسلامية فلما طالبت تتارستان بالاستقلال سنة ١٩٩١م فعارضت روسيا. ولا يزال الوضع على ما هو عليه.

٣ـ جمهورية الجوفاش (تشوفانيا) : وتقع في حوض الفلغة غرب تتاريا . مساحتها

---

(١٣) انظر أرنولد ص٢٧٣. (١٤) الكتاني ـ المسلمون في المعسكر الشيوعي ص٥٦.

(١٥) الكتاني ـ نفسه ـ ص٧١ ، أرنولد ص٢٨٢.

(١٦) نفسه ص٥٨.

(١٧) البلدان الإسلامية ص٧٣٦.

١٨٣٠٠ كم٢ وعدد سكانها حوالي ١,٥ مليون نسمة، وصلها الإسلام عن طريق البلغار في القرن الرابع الهجري، ثم عن طريق التتار والتجار المسلمين، احتلها إيفان الرابع عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م، واتجهت إليها الإرساليات التبشيرية ودعمتها السلطة القيصرية، وعُمِّد جميع المسلمين بالعنف والإكراه وخاصة زمن الإمبراطورة حنة[١٨]. وعندما أعلنت حرية الأديان عام ١٣٢٣هـ أعلنوا جميعهم الإسلام.

أنشئت جمهوريتهم سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، ومر المسلمون فيها بفترات من الإضطهاد والتشتت، وتبلغ نسبتهم حاليا حوالي ٥٨٪.

٤- **جمهورية إدمورث**: تشغل السفوح الغربية من جبال الآرال، وانتشر الإسلام بين سكانها بجهود الباشكير والتتار، ومساحتها **١٠٠ ٤٢ كم٢** و**٦٠٪** من سكانها مسلمون. احتلها الروس عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م وحاولوا فصلهم عن جيرانهم المسلمين كي لايتأثروا بهم، وحرم عليهم بناء المساجد في قراهم[١٩]. وأطلق عليهم الروس اسم الكلاب المختونين. ولما أعلنت حرية الأديان عام **١٩٠٥م** ظهرت في قراهم الإسلامية المساجد، وجاءت الشيوعية تتمم مابدأته القيصرية وأعلنوا بها جمهورية سنة **١٣٥٣هـ/١٩٣٤م**[٢٠].

٥- **جمهورية موردوف**: وتقع في الجنوب الغربي من الجوفاش (تشوفانيا) في حوض الفلغة، ومساحتها **٢٠٠ ٢٦ كم٢**، وسكانها حوالي المليون نسمة وعاصمتها سارانسك، ونسبة المسلمين فيها **٥٥٪**. وصلها الإسلام عن طريق الدعاة من البلغار ثم التتار، وخضعوا لروسيا سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٣م وحاول الروس تنصيرهم، واضطروا للتظاهر بذلك، ثم أعلنوا العودة للإسلام عندما أعلنت حرية الأديان سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م. وتأسست جمهوريتهم عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م[٢١]، ويتبعون الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الأوروبية.

٦- **جمهورية ماري**: إحدى جمهوريات حوض الفلغة، شمالي تتاريا والجوفاش. ومساحتها **٨٠٠ ٢٣ كم٢**، وسكانها أقل من مليون نسمة، **٦٠٪** مسلمون وعاصمتها ماري. وصلها الإسلام عن طريق الباشكير والتتار.

واحتلها الروس عام ٩٦٠هـ/١٥٥٣م، وأهملوها، وساموا سكانها الإضطهاد.

---

(١٨) أرنولد - الدعوة إلى الإسلام ص٢٧٨-٢٨٠.

(١٩) نفسه ص٢٨١-٢٨٢.

(٢٠) البلدان الإسلامية ص٧٣٩، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية - محمود شاكر ص٦٧.

(٢١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٦٧.

المناطق الإسلامية في حوض الفلغا

أعلنت جمهوريتهم في ظل الشيوعية سنة ١٣٥٥هـ/١٩٦٣م(٢٢).

٧- **جمهورية شكالوف (اورنبرج)** : في حوض نهر آرال ، وتبلغ مساحتها **٨٠٠ ٢٣** كم٢ ، ويقدر عدد سكانها **٢** مليون نسمة ، ونسبة المسلمين **٥٣**٪. وقد وصلها الإسلام عن طريق الدعاة والتجار من التتار والقوزاق ، وعاصمتها أورنبرج (شكالوف) ومن مدنها الهامة أورسك ، وكلتاهما تقعان على نهر آرال.

وتعد أورنبرج مدينة ذات ماضي إسلامي زاهر ، اشتهرت بالصناعة ، وبالكتب الدينية والتاريخية التي تبحث في تاريخ التتار. وقد عقد فيها المؤتمر الأول والثاني للقيرغيز (الكازاخ) سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م(٢٣).

٨- **شبه جزيرة القرم** : القرم شبه جزيرة تمتد من البر الأوروبي في البحر الأسود شرقي أوروبا ، ويربطها باليابس برزخ ضيق في شمالها تمر عبره خطوط المواصلات. وتحيط بها مياه البحر الأسود من الجنوب والغرب. وتبلغ مساحتها **١٥٠ ٢٦** كم٢.

وصلها الإسلام عن طريق التتار في عهد القبيلة الذهبية الذين استقروا في المنطقة عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م(٢٤) وكانوا قسما من دولة المغول ، وبعد انحلال دولة

(٢٢) البلدان الإسلامية ص٧٣٩.

(٢٣) Journal Institute of Mionority Affairs 1980 - البلدان الإسلامية ص٧٤٠.

(٢٤) الدعوة إلى الإسلام - أرنولد - ص٢٧٦.

المغول كونت القرم دولة تحت حكم أسرة كيراي منذ سنة ٨٣٦هـ/١٤٢٧م ، وقويت ومدت نفوذها باسم الدولة العثمانية ، وبلغت قوتها أن إمارة موسكو دفعت لها الجزية السنوية في عهد السلطان محمد كيراي في النصف الأول من القرن العاشر الهجري ، بل هاجمت موسكو وانتقمت منها لما فعلته بالمسلمين التتار في البلاد الشرقية سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م(٢٥). وحكموا مقاطعة الدونتز من روسيا الجنوبية ، ولكن الروس انتصروا عليهم ، وانتزعوا الأراضي الشمالية عام ١٠٩١هـ/١٦٨٠م ، وهذا ماجعل العثمانيين ينزلون إلى شبه الجزيرة واتخذوا لهم مراكز في جنوبها ، وتسلموا مضيق (كرش).

ولما أصاب العثمانيين الضعف قام الروس بغزو شبه الجزيرة سنة ١١٤٩هـ/١٧٣٦م و ١١٥٠هـ/١٧٣٧م و ١١٥١هـ/١٧٣٨م ، واستولوا عليها نهائيا سنة ١١٩٢هـ/١٧٨٣م. وأصدرت الإمبراطورة كاترين الثانية مرسوما أعلنت فيه ضم الإمارة(٢٦) إلى الإمبراطورية الروسية متعهدة للمسلمين بضمان حقوقهم في أملاكهم وحرياتهم الدينية(٢٧) ـ ولم يكن هذا الوعد إلا تضليلا ـ فقد صادرت الحكومة بعد سنوات خيرة أراضي أهلها ووزعتها على النبلاء وطردوا ٥٠٠ ألف مسلم. وأصدرت قوانين تحرم الدعوة إلى الإسلام ، وتعاقب من يقوم بها بالأشغال الشاقة. ثم تدفقت سيول المهاجرين الروس الأوروبيين. وهكذا وجد المسلمون أنفسهم يطردون من أراضيهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة في وسط شبه الجزيرة. وأصبح تاريخ هذا الشعب التتري في القرم خلال مايزيد على مائة عام عبارة عن سلسلة طويلة من الهجرة الجماعية اليائسة تحت أشد حالات البؤس والتعاسة ، هلك خلالها الألوف المؤلفة مرضا وجوعا ، وكانت نتيجة ذلك أن أصبح هذا الشعب أقلية في وطنه أمام كتلة روسية تفوقه ثروة وحيوية(٢٨).

ونشط تتار القرم في استعادة كيانهم منذ صدور قانون حرية العقيدة في روسيا سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م ، وحتى استيلاء السوفييت على الحكم سنة

---

(٢٥) جريدة عكاظ ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ/ يوسف ولي شاه اور الكوراي ـ كارثة القرم الإسلامية في الاتحاد السوفييتي ١٩٥٠م الخانجي / القاهرة ص٣٣.

(٢٦) أرنولد ـ الدعوة إلى الإسلام ص٢٧٦. انظر المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص٣٠.

(٢٧) جريدة عكاظ ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ ، البلدان الإسلامية ص٧٤١.

(٢٨) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ـ تعريب إحسان حقي ص٣١. وانظر التفاصيل كارثة القرم الإسلامية ص٣٩ ومابعد.

١٣٣٦هـ/١٩١٧م ، واستقلوا أثناء الثورة الشيوعية ، وأجريت الإنتخابات في البلاد واجتمع مجلسها الوطني ووضع دستورا للبلاد. ولكن الشيوعيين نجحوا في العودة بعد مقاومة عنيفة لجأوا فيها إلى حرب التجويع والحصار القاسي ، فأهلكوا مايقرب من ستين ألفا جوعا حسبما نشرت جريدة الإزفستيا الروسية في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٢٢م ، في تقرير للرفيق كالينين وقتلوا مائة ألف وعملوا على نقل زهاء خمسين ألفا(٢٩) ، ولما دخلوها نصبوا بالاكون المجري اليهودي رئيسا للبلاد ،وهدموا المساجد والمعاهد ، فلم يبق من ١٥٥٨ مسجدا بالقرم إلا بضعة مساجد. وبدأ عدد السكان يتناقص.

وفي عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م إتجه الشيوعيون إلى جعل شبه جزيرة القرم موطنا ليهود روسيا ، ولما احتجت حكومة القرم أعدم رئيس جمهوريتها وأعضاء حكومته ، ونفي أربعون ألف مسلم إلى مجاهل سيبريا.

ولما غزا الألمان المنطقة إبان الحرب العالمية الثانية انهزم أمامهم الفيلق القرمي ، ثم استسلم وتعداده ١٨ ألفا تخلصا من الروس ظنا منهم بأن الألمان أفضل منهم ، ولم يدر بخلدهم أن الكفر ملة واحدة ، فقد نزع الألمان سلاحهم وساقوهم ١٥٠ كيلو مترا سيرا على الأقدام دون طعام ، فسقط بعضهم من شدة الإعياء ثم سجنوا في جامعة بناؤها قلعة من قلاع العصور الوسطى ، لا يصل إليها النور ، ومنع عنهم الطعام بحجة نقص المواد الغذائية عند الألمان ، فبدأوا يتساقطون جوعا إلى أن أكل بعضهم بعضا ، وأخرج الألمان البقية الباقية وقتلوهم رميا بالرصاص ، ولم ينج منهم سوى ثلاثة شاء الله لهم الحياة حتى تصل إلينا أخبار هذه الكارثة الأليمة(٣٠).

وعلى الرغم من هذه الكارثة فقد اتهم الروس السكان بأنهم عملاء للألمان يجب محاكمتهم ، فدخلوا العاصمة باغجة سراي سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م وبدأوا بطمس معالم الإسلام فيها حتى المساجد الأثرية مثل جامع (خان) وجامع (يازار) وجامع (اصماقويو) وغيرها. وجمعوا المصاحف الكريمة وأحرقوها في الميادين العامة وقتلوا من السكان مايقرب من نصف مليون ، وأجلوا الباقي عن بلادهم ، وأعلن

---

(٢٩) البلدان الإسلامية ص٧٤٢.

(٣٠) انظر : المسلمون في وجه الزحف الأحمر ص١٣٤-١٣٥ ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٧١/ كارثة القرم الإسلامية تفاصيل أيضا عن افتعال المجاعات في القرم لإبادة المسلمين - ص٦٤-٦٩ ، وص١٣٣ ومابعد. وروى مأساة الجنود ص١٤٨-١٤٩.

مجلس السوفييت الأعلى إلغاء جمهورية تتار القرم من الوجود ، وضمت إلى جمهورية أوكرانيا السوفيتية.

وأخذ تتار القرم يهيمون في مجاهل سيبريا ويطالبون بالعودة إلى وطنهم ، وشعر الروس أن بعض المنفيين من تتار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطات الروسية ، فأرسلوا رجال الأمن يخربون البيوت التي قطنها العائدون فوق رؤوسهم . واقتادوا من نجا من الموت إلى السجون . ورفضوا طلبات الذين طلبوا العودة[٣١] .

وفي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م قرر مجلس السوفيات براءة تتار القرم من تهمة التعاون مع الألمان، وألغي قرار الإتهام السابق بعد فوات الآوان[٣٢] . ولم ينفذ قرار العودة تماماً إلا بعد إعلان البروسترويكا ثم انهيار النظام الشيوعي، حيث انتخب المسلمون السجين المعذب مصطفى جميل أوغلو رئيساً لجمعيتهم الوطنية. ويسعون للاستقلال في حين تتنافس روسيا وأوكرانيا على احتواء هذا البلد المسلم.

المسلمون في سيبريا :

يطلق اسم سيبريا على كل الأراضي الواقعة بين أوربا في الغرب والمحيط الهادي في الشرق ، وبين التركستان والصين في الجنوب والمحيط المتجمد الشمالي في الشمال. فهو إقليم واسع المساحة يبلغ ١٢ ٧٦٥ ٠٠٠ كم٢ وهو بارد ومتجمد تبلغ درجة الحرارة فيها ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وقد وصفها كثير ممن نفوا إليها : الجحيم البارد ، أو الزمهرير ، ويستخرج منها حاليا البترول والغاز الطبيعي والفحم الحجري ، بكميات كبيرة ،وهناك مناجم الذهب التي تحاول السلطات الشيوعية التكتم على هذه الثروة الصفراء.

ورغم اتساعها هذا فليست لها جمهورية لها استقلال ذاتي كبعض الجمهوريات الأخرى ، بل هي إقليم يتبع جمهورية روسيا الإتحادية لتظل منفى لمعارضي السياسة الشيوعية وللمسلمين الذين نقلوا إليها قسراً . فتتبع الإدارة المركزية في موسكو مباشرة . ولا يزيد عدد سكانها على ٢٥ مليون نسمة ، منهم ٢,٥ مليوناً من المسلمين[٣٣] .

كانت سيبريا جزءا من الدولة المغولية التي أسسها باطو بن جنكيز خان ، وصلها الإسلام بواسطة الدعاة من أهل بخارى ، وقازان ،الذين شقوا طريقهم

---

(٣١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٧٢/ كارثة القرم الإسلامية ص٦١ وص١٧٧.

(٣٢) البلدان الإسلامية ص٧٤٢ ، جريدة عكاظ ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ.

(٣٣) انظر الكتاني ص٥٣ وص٦٣.

إلى تلك البلاد وعاشوا مع أهلها. ولما اعتنق المغول الإسلام وتحمسوا له أصبحت سيبريا بلادا إسلامية. وكون فيها المسلمون إمارة عاصمتها سيبير (تحريف من صابري) تولى أمرها أحد أمراء القبيلة الذهبية عام ٩٧٨هـ/١٥٧٠م. وقد بذل الخان قصارى جهده ليدخل رعاياه في الإسلام ، وأرسل في طلب الدعاة والعلماء من بخارى ليساعدوه في مهمته التي لقيت كثيرا من النجاح.

ولما زحف الروس شرقا تمكنوا من احتلال سيبريا الغربية ، ودخلوا سيبير عاصمة **كوتشم خان** عام ٩٨٨هـ/١٥٨٠م ، وقد رفض الخان الإستسلام ، عندما عرض عليه الروس بعد أن انهار جيشه أن يقبل الإحتلال الروسي ويعيش ملكا تابعا لهم ، وقال قولته :

« لأقبل عيش الأسير ولا موت الذليل ، ولست أحزن لفقد أملاكي وإنما حزني من أجل أولئك التعساء الذين وقعوا تحت نير الإستعباد الروسي » ، واستمر يقاتل حتى استشهد ، كما استشهد من بعده ابنه السلطان علي(٣٤). وسيطر الروس بذلك على سيبريا بعد حرب دامت ٦٥ سنة.

وعلى الرغم مما لقيه المسلمون على أيدي الروس من اضطهاد فقد توالى قدوم الدعاة إلى سيبريا من بلاد ما وراء النهر وخاصة بخارى ومن قازان. فنشروا الإسلام بين قبائل التتار الضاربة بين نهري أوبي ورافده نهر أرتيش والتي يطلق عليها إسم باريا عام ١١٥٨هـ/١٧٤٥م(٣٥). فعمها الإسلام ، وأنشأ شعراؤهم قصائد تضم قواعد الإسلام وتحكي بطولات عظماء المسلمين الفاتحين(٣٦).

وقد قامت بعض الحركات الإسلامية في سيبريا منها ثورة عام ١١٨٦هـ/١٧٧٣م التي اضطرت القياصرة الروس لإرسال جيوش ضخمة لإخضاعها.

وهناك مصدر آخر للدعوة الإسلامية في سيبريا تمثل الجماعات المسلمة الذين نفاهم الروس القياصرة أو السوفيات ، فلقد نقلوا مثلا الكثير من تتار القرم وحوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألفا من مسلمي آسيا الوسطى إلى سيبريا فدعم ذلك الإسلام(٣٧).

---

(٣٤) المسلمون في وجه الزحف الأحمر ص١١١.

(٣٥) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٧٦ ، وانظر : انتشار الإسلام ص٢٨٤.

(٣٦) انتشار الإسلام ص٢٨٤.

(٣٧) الكتاني ـ المسلمون في المعسكر الشيوعي ص٥٣.

وتتبع سيبريا الإدارة الدينية لمسلمي روسيا الأوروبية وسيبريا ومركزها مدينة أوفا في بشكيريا.

المسلمون في بلاد القفقاس :

قفقاسيا هي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر الخزر شاملة جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية التي تعد الحد الفاصل بين أوربا وآسيا ، وقد ضمت هذه المنطقة مزيجا من الشعوب انصهرت فيما بينها واحتفظت الجماعات الحربية التي تحصنت بالجبال بلغتها وعاداتها وحافظت على كيانها وعرفت بالشجاعة والإقدام والقوة.

وقد قامت في هذه الجبال حكومات محلية مثل حكومة **القوشحة** وسط المرتفعات عرفت في المصادر باسم حكومة اللان ، كما أسس الداغستان دولة في السفوح الشرقية للجبال أسماها المسلمون حكومة **السرير** ، كما أطلق المسلمون على الجبال اسم القبق والقبج والقبجوق والقفجاق منذ عهد الخلفاء الراشدين(٣٨).

وتبلغ مساحة قفقاسيا **٤٠٠ ٣١٤** كم٢ ويسكنها أكثر من **١٥** مليونا هم مجموعة من القبائل أهمها : الجراكسة والشاشان والقوشحة ، والداغستان ، إضافة إلى الكرج والأرمن والكرد. وكل هذه البلاد كانت من ديار الإسلام.

فقد وصلها الإسلام عن طريق الفتح والدعاة في القرن الأول الهجري. إذ أغار عليها عياض بن غنم عام ١٨هـ ثم فتح سراقة بن عمرو أذربيجان وتابع فتوحاته لنشر الإسلام وكان على مقدمة جيشه الذي سار نحو الباب (باب الأبواب ـ دربند حاليا) عبد الرحمن بن ربيعة ، وعلى رأس الجيش الذي سار نحو الداخل حبيب ابن مسلمة الفهري في أواخر عام ٢٢هـ واعتنق بعض السكان الإسلام وأولهم القوموق في تلك المرحلة المتقدمة من الزمن ، ووضعت الجزية عن الذين اشتركوا في القتال مع المسلمين بناء على طلب ملكهم شهر بزار. وقد تركز الإسلام في العهد الأموي على يد حبيب بن مسلمة الفهري ومحمد بن مروان ومسلمة بن عبد الملك.

وبعد أن ضعفت الدولة العثمانية والفارسية ، أخذت روسيا بالتوسع في بلاد القفقاس فضمتها بالتدريج بعد جهاد مرير من أهلها ، يشهد بهذا الجهاد كارل

---

(٣٨) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٧٨-٧٩.

ماركس نفسه ومن عباراته : « ياشعوب العالم ، ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درسا لكم »(٣٩).

وقد قسمها الشيوعيون إلى أربعة عشر قسما من أجل إمكانية السيطرة عليها وتتداخل هذه الأقسام. والمناطق الجبلية التي يمكن أن تكون مركزا للتمرد أكثر الأجزاء عددا وصغرا. وهذه هي الأقسام :

أ- ولايات ذات حكم ذاتي هي :

١- الأديغا وتتبع روسيا.

٢- قارتشاي الشركسية وتتبع روسيا.

٣- أوستينا الجنوبية وتتبع جورجية.

٤- قره باخ وتتبع آذربيجان وتقع في وسطها.

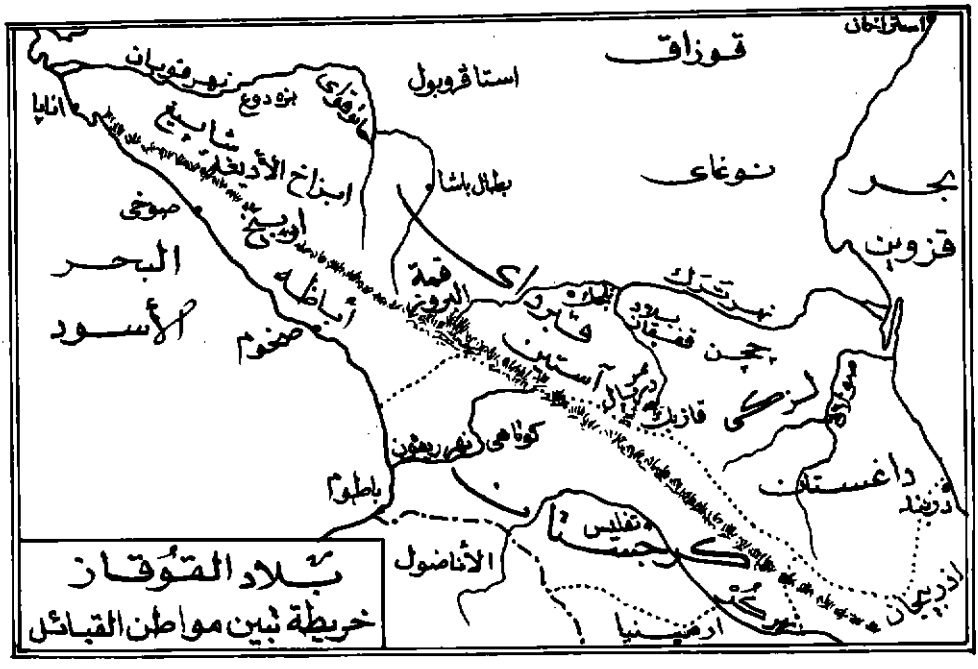

(٣٩) الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص١١٤.

ب- جمهوريات ذات حكم ذاتي في شمال القوقاز وهي :

١- داغستان - تتبع روسيا.

٢- شاشان إنجوشيا وتتبع روسيا.

٣- قابرديا - بلكاريا - وتتبع روسيا.

٤- أوستينا الشمالية وتتبع روسيا.

٥- أبخاريا وتتبع جورجيا.

٦- آجاريا وتتبع جورجيا.

٧- ناختيشفيان وتتبع أذربيجان.

ج- جمهوريات إتحادية في جنوب القوقاز وهي :

١- أذربيجان.

٢- جورجية.

٣- أرمينية.

وسنتكلم عن كل من هذه الأجزاء باختصار :

١- **الداغستان** : تشمل بلادهم الجزء الشمالي من بلاد شروان ، وتشرف على بحر قزوين ، وتتحكم بممر قفقاسيا الشرقي (باب الأبواب) ، ومعنى الداغستان أرض الجبال. ومساحتها ٣٠٠ ٥٠ كم٢ ، وعدد سكانها أقل من ٢ مليون نسمة وعاصمتها محج قلعة. ومن أبرز مدنها دربنت (دربند) التي عرفت في التاريخ الإسلامي باسم باب الأبواب(٤٠) لأنها تشرف على الممر السهلي الذي يعتبر بابا بين قارتي آسيا وأوروبا.

وينتمي السكان إلى قبائل القوموق أول من أسلم في عهد الخلفاء الراشدين ، والآندي والداغستان وجميعهم يعتنقون الإسلام(٤١).

وصل المسلمون باب الأبواب عام ٢٠هـ ووقع صلح مع عمرو بن سراقة وشهربزار ملك باب الأبواب وفيه أن يقاتل أهلها في صفوف المسلمين عوضا عن الجزية فاتخذها المسلمون مركز انطلاق حملاتهم لنشر الإسلام في بلاد الخزر وباقي بلاد اللان وأرمينيا. ثم توطد الإسلام في هذه البلاد في العهد الأموي في ولاية مروان بن محمد الذي أعاد استيطان المسلمين بالمنطقة مما أثر في الدعوة

---

(٤٠) ياقوت الحموي - معجم البلدان ج١ ص٣٠٣ وقد نسب إليها كثير من العلماء.

(٤١) البلدان الإسلامية ص٧٤٥.

الإسلامية وتثبيتها في منطقة داغستان. وتبعت دار الإسلام زمن العباسيين والعثمانيين.

ولما أعلنت روسيا حمايتها على بلاد الكرج المجاورة لداغستان قاتلوا الروس بشراسة بقيادة الإمام القاضي الملا محمد الكمراوي (نسبة إلى بلده كمره)الملقب بالغازي محمد ، والذي ألحق بالقوات الروسية بعض الهزائم ، إلى أن استشهد عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م فخلفة الأمير حمزة بك بن علي الخمزاجي فرفع راية الجهاد حتى استشهد بعد عام ، فتولى الإمام الشيخ شامل راية الجهاد (تلميذ القاضي محمد) في بطولة نادرة ووقف في وجه الروس خمسة وعشرين عاما حتى إذا اضطر لترك المدن والحصون والقلاع لاذ بالجبال يناوشهم لمدة عشر سنوات أخر ، وفي عام ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م استسلم الأمير شامل لروسيا بعد أن حشدت له جيشا عدده ٣٠٠ ٠٠٠(٤٢) وخرج إلى تركيا ، ثم إلى المدينة المنورة حيث مات ودفن في بقيعها عام ١٢٨٩هـ/١٨٧١م(٤٣). وتم احتلال روسيا لبلاد الجركس عام **١٨٦٣م** وابتدأت هجرتهم المشؤومة.

واضطهد الداغستانيون في ظل الحكم القيصري ، وفي العهد السوفييتي أعلن قيام جمهورية الداغستان سنة **١٣٤٠هـ**. وأصبحت ذات حكم ذاتي تتبع روسيا. يشكل المسلمون أغلبية السكان ، وفي الداغستان الإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس ومقرها مدينة بيوناسك في جنوب غرب العاصمة محج قلعة وقد تقلص عدد المساجد من أكثر من ألف مسجد إلى سبعة وعشرين مسجدا(٤٤).

وكانت لغتهم تكتب بالحروف العربية ، فاستبدلت بالروسية ، كما كانوا يتكلمون العربية إلى جانب لغتهم(٤٥).

٢- **تشاشان أنجوشيا** : تقع في القسم الشمالي الشرقي من جبال القوقاز. ومساحتها ١٩ ٣٠٠كم٢. وسكانها أقل من ١٫٥ مليون نسمة وعاصمتها جروزني. وتشتهر بالصناعات النفطية(٤٦).

---

(٤٢) تاريخ القوقاز ص٩ ت جونا توقه ، يوسف عزت باشا ، وتعريب خوسنوفه عبد الحميد غالب بك.

(٤٣) انظر : محمود شاكر - قفقاسيا ص٦٠.، علي حسون : العثمانيون والروس ص١٢٩.

(٤٤) مجلة العربي ٢٥٤ صفر سنة١٤٠٠هـ.

(٤٥) عبد الفتاح عبادة - انتشار الخط العربي ص٤٦.

(٤٦) البلدان الإسلامية ص٧٤٦.

وصلها الإسلام قبل قرنين من الزمن. وتمسك السكان بدينهم تمسكا قويا أزعج الروس. ودافع الشاشان والأنجوش من أجل استقلالهم من سنة (١٢٥٦هـ إلى ١٢٦٧هـ) وبعد هزيمتهم نقل الروس الكثير منهم من معاقلهم الجبلية في جبال القوقاز إلى مناطق أخرى. وهاجر عدد كبير منهم إلى تركيا (بلغ ٤٠٠ ألفا). وسادتهم فترة من الإستقرار بعد إعلان حرية العقيدة سنة ١٩٠٥م.

ولما استولى السوفييت على البلاد فصل الإقليم عن جيرانه ، وأصبح ذاتي الحكم ، واتهموا بمساعدة الغزو الألماني في الحرب العالمية الثانية فنفت روسيا عددا كبيرا منهم إلى قازاخستان ، وغيرها ، وألغيت جمهوريتهم. وفي عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م أعيدت الجمهورية مرة أخرى بعد تبرئتهم من تهمة التعاون مع الألمان فعاد معظمهم إلى بلادهم. ورغم هجرات الروس الكثيرة إلى البلاد فنسبة المسلمين هناك ٧٤٪[٤٧]، ويتبعون الإدارة الدينية لشمال القوقاز وداغستان ومقرها محج قلعة وقد ضربوا مثلاً رائعاً في الجهاد في مواجهة الروس عام ١٤١٦هـ/ ١٤١٧هـ.

٣- **قابردیا - بلكاريا** : إحدى جمهوريات شمال القوقاز. وتحمل اسم مجموعتي السكان اللتين يتكون منها سكان البلاد. ومساحتها ٣٠٠ ١٢ كم٢. وسكانها حوالي ٧٥٠ ألف نسمة. وصلها الإسلام مبكرا في القرن الثاني الهجري. وظلت تحت الحكم الإسلامي حتى استولى عليها قياصرة الروس سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م. ولشدة المقاومة لم تتم السيطرة عليها إلا في نهاية القرن التاسع عشر.

وأعلنت بلادهم جمهورية ذاتية الحكم. ونسبة المسلمين ٥٩٪ يتبعون الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز وداغستان في محج قلعة[٤٨].

٤- **أوستينا الشمالية** : تقع في النطاق الشمالي من جبال القوقاز وتبلغ مساحتها ٨٠٠٠ كم٢ ، وسكانها أكثر من نصف مليون نسمة ، وأرضها جبلية.

ونسبة المسلمين حوالي ٥٣٪[٤٩]. وقد وصلها الإسلام منذ وقت مبكر حيث عرفوا عند المسلمون باللان وغزاها المسلمون في فتح بلاد الخزر والكرج. واحتلها الروس سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٤م[٥٠]. وفي ظل الحكم الشيوعي أسست جمهوريتهم سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ، ويتبعون الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز.

---

(٤٧) البلدان الإسلامية ص٧٤٧.

(٤٨) البلدان الإسلامية ص٧٤٩.

(٤٩) نفسه ص٧٤٩.

(٥٠) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٠٣.

٥- **أبخاريا** : جمهورية ذات حكم ذاتي تتبع جورجيا ، وتقع في شمالها الغربي على ساحل البحر الأسود. ويطلق عليها أيضا (لابازه). أو(الأباظة) ومساحتها ٨ ٦٠٠ كم٢. وسكانها حوالي نصف مليون نسمة. وينتشر الإسلام بين جماعات الأبخار بنسبة عالية وينتمون إلى جماعات الشركس(٥١).

٦- **آجاريا** : وتوجد على ساحل البحر الأسود بين جورجيا وتركيا. ومساحتها ٣٠٠٠ كم٢ وسكانها حوالي نصف مليون نسمة. وعاصمتها مدينة باطوم على ساحل البحر الأسود وهي ميناء بترولي هام. وأغلب سكان آجاريا مسلمون. ضمتها روسيا نتيجة مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ (٥٢).

٧- **ناختيشفيان** : وتقع على حدود تركيا وإيران. وتكون جزءا من جمهورية أذربيجان ، رغم أن جمهورية أرمينية تفصل بينهما. ومساحتها ٥ ٥٠٠ كم٢. وعدد سكانها أقل من ٢٠٠ ألف نسمة. دخلها الروس عام ١٢٤٤هـ وأصبحت تتبع أذربيجان عام ١٣٤٣هـ(٥٣). وقد تعرضت للإضطرابات الشديدة بعد إعلان البروسترويكا من الأرمن النصارى للحصول على امتيازات على حساب المسلمين(٥٤). وكذلك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

٨- **ولاية الأوديغا** : إحدى ولايات القوقاز ذات حكم ذاتي. وتبلغ مساحتها ٧ ٦٠٠ كم٢. وسكانها أقل من نصف مليون نسمة. وأهم موانئها سوخي على البحر الأسود. ويتكون سكانها من عناصر شركسية وتتارية يدينون بالإسلام ، وعناصر مهاجرة من روسيا الأوروبية(٥٥). وقد تأسست مقاطعتهم عام ١٣٤١هـ. وتقدر نسبة المسلمين ب٨٠٪ من جملة السكان.

٩- **ولاية قارتشاي الشركسية** : إحدى ولايات شمال القوقاز ، مساحتها ١٤ ١٠٠ كم٢ ، وسكانها ٣٧٠ ٠٠٠ نسمة. وعاصمتها شركسك. وصلها الإسلام مبكرا في القرن الثاني الهجري أثناء فتح المسلمين لأرمينية وبلاد الخزر. وحكم التتار ثم الفرس والعثمانيون هذه المنطقة إلى أن استولى عليها قياصرة الروس ، وأمام قسوتهم فر الشركس من موطنهم أو نقلوا إجباريا إلى مناطق أخرى

---

(٥١) محمود شاكر قفقاسيا ص٧٠ ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٩٨.

(٥٢) انظر : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٩٩ ، قفقاسيا ص٧٠.

(٥٣) نفسه ص٩٤.

(٥٤) انظر المجتمع العدد ٨٩٣ ص٤-٥.

(٥٥) البلدان الإسلامية ص٧٥٠ ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٠٦.

فأصبحت نسبتهم في هذه الولاية ١٢,٧٪ فقط. والإسلام دين الأغلبية حيث يشكلون ٨٠٪ من عدد السكان. ويتبعون الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز في محج قلعة(٥٦).

١٠- **أوسيتيا الجنوبية** : ولاية من ولايات القفقاس تتبع جورجية ، وتوجد في شمال جورجيا وسط جبال القفقاس. مساحتها ٩٠٠ ٣كم٢. وسكانها حوالي ١٥٠ ألفا ومعظمهم من الشركس المسلمين. وقد ضمت إلى روسيا نتيجة مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ ، وتأسست المقاطعة سنة ١٣٤١هـ(٥٧) حيث فتتت المنطقة إلى جمهوريات صغيرة.

١١- **ولاية قره باخ** : وتقع ضمن جمهورية أذربيجان في وسطها. ومساحتها ٤٤٠٠كم٢. استولى عليها الروس عام ١٢٤٤هـ. وأصبحت مقاطعة تتبع أذربيجان عام ١٣٣٢هـ(٥٨).

١٢- **جمهورية أذربيجان** : إحدى الجمهوريات الإسلامية الست بالإتحاد السوفييتي ذات اتحاد فدرالي. في جنوب شرق بلاد القفقاس. وعاصمتها باكو على بحر قزوين من كبريات مدن السوفيات ، وترجع باكو إلى القرن الهجري الثالث وتنقسم إلى منطقتين : قديمة : تضم مساجدها ومحلاتها التجارية التقليدية ولهذا القسم ملامح إسلامية. وحديثة : وتوجد باكو بالقرب من مناطق البترول وهذا أعطاها أهمية نفطية ويصلها خط أنابيب بميناء باطوم على البحر الأسود.

تبلغ مساحتها ٨٦٦٣٠كم٢. وعدد سكانها أقل من ٧ ملايين نسمة يتكونون من الأذربيجانيين ونسبتهم ٧٤٪ والروس ١٠٪ والأرمن ١٠٪ والجورجيين ٣٪ ولغتهم تركية وإلى جانبها الروسية. والغالبية مسلمون.

وصلها الإسلام مبكرا في عهد عمر بن الخطاب ، فقد عقد عتبة بن فرقد صلحا مع المرزبان حاكم المنطقة ، ثم فتح حذيفة بن اليمان أردبيل صلحا سنة ٢٥هـ(٥٩). وبدأ انتشار الإسلام وخاصة بعد أن عمل الأشعث بن قيس على استيطان المسلمين في أردبيل فنزحت إليها عشائر من مصر والشام وتحولت أردبيل إلى مركز إسلامي في عهد عثمان بن عفان وبنى مسجدها الجامع سنة ٣٦هـ

---

(٥٦) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٠٥ ، البلدان الإسلامية ص٧٥٠.

(٥٧) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٩٩ ، قفقاسيا ص٧١.

(٥٨) نفسه ص٩٥.

(٥٩) انظر ياقوت ـ معجم البلدان ج١ص١٤٥ ونسب إليها جماعة من العلماء.

واستوطنتها قبائل من الأزد. وعمها الإسلام زمن الأمويين وخاصة على يد الجراح ابن عبد الله الحكمي الذي قاد الجيوش الإسلامية لغزو الخزر في شمالي أذربيجان. وازدهرت فيما بعد مدن إسلامية غير أردبيل مثل مدينة ورثان وبرزند. وانتشرت اللغة العربية. واتخذت في عهد أبي جعفر المنصور قاعدة لمد الإسلام إلى الشمال. وبقيت جزءا من أرض الإسلام.

وفي سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م دخل جنود روسيا القيصرية أذربيجان بالإتفاق مع بريطانيا.

ولما قامت الثورة الشيوعية احتل الحلفاء مدينة باكو سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م واعترفوا بحكومة حزب المساواة التي قامت بأذربيجان ، ثم انسحب الحلفاء وأعلن السوفيات قيام نظامهم في باكو سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م. فأصبحت جمهورية سوفياتية. ودخلت الإتحاد سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

وكانت لغة الأذري تكتب بحروف عربية فاستبدلت بالروسية. وهي تنتمي إلى اللغات التركية(٦٠).

وتبلغ نسبة المسلمين ٧٨٪ من السكان وهم الأذربيجانيون والتاليش أما الأرمن والكرج فنصارى ، وأما الروس الذين أصبحوا يكونون ١٤٪ من السكان فدخلاء(٦١). وقد تقلص عدد المساجد في ظل النظام الشيوعي من الآلاف إلى ١٦ مسجدا فقط(٦٢) ونقص عدد المدارس بل أصبحت في حكم المنتهية وفي باكو الإدارة الدينية الإسلامية لأذربيجان وماوراء القفقاس ويرأسها مفتي شيعي ونائبه مسلم سني. وللإدارة نفوذ محدود(٦٣).

١٣-جمهورية جورجية : كانت إحدى الجمهوريات الاتحادية السوفياتية . مساحتها ٧٠ ٠٠٠ كم٢. تشمل السفوح الغربية لجبال القوقاز. وعاصمتها مدينة تفليس. ويسكنها حوالي خمسة ملايين نسمة يشكل المسلمون ١٩٪ منهم فقط ، بعد أن كانت بلادا إسلامية.

وكانت هذه البلاد تعرف ببلاد الكرج ، وكانت أولى خطوات الإسلام نحو هذه المنطقة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي عهد عثمان رضي الله

---

(٦٠) عبد الفتاح عبادة - انتشار الخط العربي ص٤٤ ، تقويم البلدان الإسلامية ص١٤٢.

(٦١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٩٣.

(٦٢) مجلة المجلة العدد ٢ربيع الثاني سنة ١٤٠٠هـ.

(٦٣) محمد صفوت السقا - المسلمون في الاتحاد السوفيتي.

عنه، بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري. وقد ثبت الإسلام في هذه المنطقة في العهد الأموي وخاصة في ولاية محمد بن مروان. وأطلق على هذه المنطقة في العهد العباسي اسم الثغور لمواجهتها للروم. ثم ظهرت أسرة محلية تعرف باسم البطارقة حكمت معظم منطقة الرحاب[٦٤] (التي تشمل أذربيجان وأرمينية وأران) بما فيها جورجية واعترفت الدولة العباسية بإمارة هذه الأسرة المسلمة. حيث بقي حكمهم حتى مجيء السلاجقة الذين بسطوا نفوذهم على منطقة الرحاب في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[٦٥]. وبقيت هذه البلاد ضمن ديار الإسلام في العهد المغولي والأتراك العثمانيين.

ولما ضعفت الدولة العثمانية بسطت روسيا حمايتها على جورجية عام ١١٩٨هـ ثم اضطرت للخروج نتيجة حرب الداغستان، ولكنها عادت ثانية إليها وهزمت الداغستان بقيادة عمر خان. ثم ضمتها إليها نهائياً عام ١٢٢٥هـ/ ١٨٠٠م. وأخيراً أصبحت جورجيا جمهورية فيدرالية ضمن الإتحاد السوفييتي سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.

ويتبع مسلمو جورجية الإدارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس[٦٦].

وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي أصبح إدوارد شيفر نازدة رئيساً لجورجيا لذي اتبع سياسة توسعية فألغى الاستقلال الذاتي للأباظة المسلمين. فحدث الصدام والمعاناة، لهذا الشعب المسلم الذي لا يزيد عدده على ٤٠٠ ألف أباظي. كما يطالب شعب الأخسقا المنفي المسلم بالعودة إلى بلاده الأخسقا في الكرج والبالغ عدده نصف مليون نسمة.

١٤- **جمهورية أرمينية**: وتقع على حدود تركيا وإيران، وتبلغ مساحتها ٣٠٠٠٠ كم٢، وهي قسم من أرمينية الكلية المقسمة بين ثلاث دول: قسم يتبع تركيا والثاني يتبع إيران. والتركي هو الأكبر مساحة، وعدد سكانها يزيد على ٣ مليون نسمة. معظمهم نصارى.

وصلها الإسلام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد الصحابي عياض بن غنم. فوصل مدينة بدليس وخلاط في قلب أرمينية وعقد صلحاً مع بطريرك مدينة خلاط سنة ٢٠هـ. وأعيد فتح أرمينية على يد حبيب بن مسلمة الفهري زمن عثمان بن عفان لتمرد أهلها. وعمل على استقدام جماعة من المسلمين من الشام وجزيرة الفرات فأسكنهم قاليقلا وجعلهم مرابطة بها، ثم فتح مدينة شمشاط وصالح أهلها واستقر بها القائد المسلم صفوان بن معطل السلمي. وواصل المسلمون تقدمهم إلى بحيرة

(٦٤) ياقوت - معجم البلدان ج٣ ص٣١.

(٦٥) البلدان الإسلامية ص٥٨١ ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٩٨.

(٦٦) البلدان الإسلامية ص٥٨١.

وان ثم إلى دبيل حيث طلب أهلها الصلح والأمان فاستجاب لهم حبيب بن مسلمة، ثم فتح المسلمون تفليس ومنطقة أران. فثبت الإسلام في أرمينية واعتنقه عدد كبير من أهلها.

وقد نقض أهلها العهد عدة مرات في زمن الأمويين فأرسل إليهم عبد الملك بن مروان أخاه محمد بن مروان سنة ٨٢هـ. وتولى حكمها لمدة طويلة واتخذ مدينة دبيل عاصمة لولايته، وقاعدة لغزو الخزر والروم.

وظهر من الأرمن حكام مسلمون وطنيون في العصر العباسي الأول هي أسرة البطارقة السابقة الذكر ففشا الإسلام وزارها عدد من الجغرافيين المسلمين منهم الاصطخري فوصف مدنها ومساجدها وابن حوقل والمقدسي.

وفي عصر السلاجقة سكنها عدد كبير منهم. وهاجر عدد من الأرمن إلى البلاد الإسلامية. وزاد عدد المسلمين. وكذلك زمن المغول، فأصبحت من ديار الإسلام ذات الأغلبية المسلمة.

وفي عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م استولى السوفيات على أرمينيا وانضمت إلى اتحادهم سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م. فأخذ عدد المسلمين يتناقص بسرعة. فهو لا يزيد اليوم على ١٠٪ بسبب التهجير، تهجير المسلمين من بلادهم، واستقدام الروس والنصارى إلى أرمينيا(٦٧).

المسلمون في التركستان الغربية :

وهي بلاد ماوراء النهر الواقعة في حوض نهر أمودريا (جيحون) وسيرداريا (سيحون) في أواسط آسيا، ومساحتها حوالي ٤ ملايين كم٢، ويسكنها حوالي ٤٥ مليون نسمة، من القبائل التركية :القازاق والأوزبك والتركمان والقيرغيز والطادجيك، وجاءتها موجات من الروس المستعمرين يحكمون المنطقة ويستثمرون خيراتها ويشددون قبضة حكومتهم على سكانها.

وتسعة أعشار السكان من الأتراك المسلمين ومعظمهم من أهل السنة، وبينهم ثلاثة ملايين شيعي يعيش أغلبهم في طادجيكستان، كما يوجد حوالي ١٠٠ ألف إسماعيلي في هضبة بامير أتباع آغاخان ولهم اتصال بالهند.

وقد دخل الإسلام هذه البلاد عن طريق الفتح والجهاد وأصبحت جزءا من ديار الإسلام إلى اليوم، وأسهمت في مد الإسلام وفي الإنتاج الفكري الإسلامي.

ففي عام ٣٠هـ غزا عبد الله بن عامر والي البصرة خراسان وبعث على مقدمته الأحنف بن قيس الذي فتح طخارستان (من أراضي طادجكستان اليوم) ثم فتح

(٦٧) انظر : دائرة المعارف الإسلامية ج٢ ص٣٣-٤٣. المسلمون في المعسكر الشيوعي ص٦٨.

الطالقان والفارياب ، وصالح أهل بلخ.

وفي عام ٤٥هـ أسكن أمير بن أحمر (عامل زياد بن أبيه على مرو) العرب مرو فكان أول من أسكنها العرب ، وكذلك أسكن الربيع بن زياد العرب دون النهر حوالي ٥٠ ألفا بعيالاتهم سنة ٥٠هـ. وعبر عبيد الله بن زياد نهر جيحون سنة ٥٤هـ وفتح (بيكند) وصالح بخارى.

وعندما تولى قتيبة بن مسلم الباهلي أمر خراسان سنة ٨٨هـ دخلت فتوح المسلمين في بلاد ماوراء النهر مرحلة جديدة وصلت فيها إلى الإستقرار ، فثبتت راية الإسلام في طخارستان وبخارى وحوض جيحون والصغد وولايات سيحون وسمرقند وطشقند. وبنى أول مسجد في بخارى عام ٩٤هـ وتعد منارته من أهم الآثار الإسلامية الآن. وتأصل الإسلام وتجذر بفعل العلماء والدعاة ، وأصبحت البلاد تقوم بالدعوة إلى الإسلام ، وظهر فيها أئمة علماء الحديث كالبخاري والنسائي والترمذي والبيهقي ، كما ظهر فيها الإمام الطبري والزمخشري والنسفي من المفسرين ، وظهر منهم أئمة التأليف في البلاغة وإعجاز القرآن كالشيخ عبد القاهر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي ، وأئمة الفلسفة مثل الفارابي والرئيس ابن سيناء ، وعلماء في الرياضيات والفلك ومنهم خالد بن عبد الملك مدير مرصد المأمون ، والجغرافي أبو زيد البلخي ، وبنو موسى بن شاكر وهم محمد وأحمد والحسن علماء الجبر والهندسة والحساب ،ومنهم أبو الريحان البيروني وأبو منصور الماتريدي وأبو بكر الخوارزمي وشمس الدين السرخسي صاحب المبسوط ، والجوهري صاحب الصحاح في علم اللغة(٦٨) وغيرهم من مشاهير العلماء والفقهاء.

ولما وهن المسلمون وتفرقوا كان ببلاد ماوراء النهر ثلاث إمارات متنازعة هي : بخارى ، وخانية خوقند في وادي فرغانة ، وخيوة في خوارزم جنوب بحر آرال.

وبعد أن انتهى الروس من حرب القرم ، ثم دحروا الإمام محمد شامل الداغستاني ، تفرغت قواتهم المحاربة في القفقاس ، وانصرفوا إلى اكتساح البلاد الإسلامية التركستانية في عهد إسكندر الثاني ١٢٧٢-١٢٩٩هـ ١٨٥٥-١٨٨١م - فاستولوا عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م على مدينة طشقند عاصمة إقليم الشاش التي كانت تحت سيطرة أمير خوقند. ثم استولوا على مدينة سمرقند عام

---

(٦٨) انظر - تركستان - للطرزي.

١٢٨٥هـ/١٨٦٨م وهزموا الجيوش البخارية وأجبروا أمير بخارى على توقيع معاهدة اعترف بموجبها بالحماية الروسية على بلاده(٦٩).

وفي عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م استولوا على عاصمة إمارة خيوة (خوارزم) ، ووقعت معاهدة حماية قضت على استقلالها.

وفي عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م هاجموا خوقند (فرغانة) فاستسلمت عاصمتها. وفي العام التالي أزالوا هذه الإمارة من الوجود وألحقت بحكومة تركستان العامة ، ودكوا العاصمة فسويت بالتراب ،وأبادوا السكان عن بكرة أبيهم إلا من استطاع الفرار ، واغتصبت الفتيات المسلمات وامتهنت الكرامات ، حيث كانت هذه الإمارة أعدى أعداء روسيا وأخطرهم في وسط آسيا.

ونشبت الحرب التركمانية في الفترة ١٢٩٠-١٣٠٢هـ ١٨٧٣-١٨٨٤م وقاوم التركمان مقاومة شديدة وسقطت المدن الإسلامية الشهيرة ، مرو ، ونسا وسرخس وبيهق بيد القوات الروسية.

وتمت سيطرة الروس على البلاد التركستانية الواسعة عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م بوصولهم إلى هضبة بامير.

وبعد قيام الدولة الشيوعية جردت حملات على البلاد الإسلامية التي أعلنت قيام جمهوريات إسلامية مستقلة ، وقاوم التركستانيون الغزو وتكونت جبهة تركستانية إسلامية ، واستطاع السوفييت التغلب على حركة المقاومة الإسلامية عام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م(٧٠). وأقيمت في هذه الأقطار الإسلامية جمهوريات سوفيتية ليس لكل منها من الجمهورية سوى الاسم وإلا فهي مقاطعة أو مستعمرة روسية يحكمها مندوبون من الكرملين ولا يستطيعون التصرف حتى في الأمور الداخلية دون الرجوع إلى موسكو.

وهذه فكرة موجزة عن كل من هذه الجمهوريات :

١- **جمهورية أوزبكستان** : تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الإتحاد السوفييتي في قلب وسط آسيا ، ومساحتها ٤٤٧ ٤٠٠ كم٢ ، وقد خططها الروس على نحو غريب فاتخذت شكلا طوليا ينفرج في شرقي البلاد على شكل قوس يحيط بجمهورية طادجكستان ، والهدف من هذه الحدود الشاذة تفتيت وحدة الأراضي الإسلامية. وتضم بهذا الشكل جزءا من إمارة بخارى ،وإمارة سمرقند ، وقسماً

(٦٩) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٣٣-٣٤.

(٧٠) Journal Institute P38

من خانية خوارزم وكاراكلباك وأجزاء أخرى. وكانت عاصمتها سمرقند ، ثم نقلت إلى طشقند عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م إثر مقاومة أهل سمرقند تغيير الطابع الإسلامي لمدينتهم. ولوجود نصف مليون روسي بين سكان طشقند حيث وصلوا في الآونة الأخيرة إلى أكثر من مليون وستمائة ألف نسمة(٧١).

وصلها الإسلام كما سبق في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. واستقر الفتح سنة ٨٨هـ. واتسع انتشار الإسلام في عهد عمر بن عبد العزيز وفي عهد المعتصم الخليفة العباسي الذي استخدم الأتراك في جيشه. والبلاد إسلامية جميع أهلها مسلمون إلا المستوطنين الروس. ويبلغ عدد سكانها ١٧ مليون نسمة يشكل الروس حوالي ١٧٪ منهم. والأوزبك ٥٩٪. وقد حاول الأوزبك استعادة مجدهم أثناء سقوط الحكم القيصري وقيام الثورة الشيوعية فأسسوا حكومة تركستان المستقلة في مدينة خوقند ، فداهمها الشيوعيون وقضوا عليها ، كما قامت حركة أخرى (البصمه جي) فلقيت المصير نفسه.

وأشهر مدن أوزبكستان :

١- طشقند : وهي مقر المجلس الأعلى الذي يشرف على شئون المسلمين في جمهوريات التركستان الإسلامية ، ولها أهميتها التاريخية كمركز للثقافة الإسلامية ، وقد وقفت وقفة مشرفة في وجه الزحف الروسي ، فيقول الجنرال تشيرنايف قائد الحملة الروسية التي احتلت المدينة عام ١٨٦٥م :

« إن المدينة كانت مستعدة بأكياس الرمال في جميع الشوارع ، وكانت المقاومة عنيفة جدا ، وقد مات كثير من الناس وهم يهاجموننا جماعات أو فرادى ، ولم يستسلم أحد قط ، فقد فضل الكل الموت على أسنة الرماح ، وعانى جنودنا الكثير وهم يجتازون الشوارع في وجه قتال مر ، ولم نضع أيدينا على مجتمع أو ناد إلا بعد أن سبحت جنودنا في بحار من الدماء »(٧٢).

٢- سمرقند : التي كانت مركزا لبلاد الصغد ، كما كانت عاصمة تيمورلنك وشهدت تاريخا علميا زاهرا في عهودها الإسلامية ، وفيها قبر الشهيد قثم بن العباس الذي استشهد سنة ٥٥هـ.

---

(٧١) انظر : تقويم العالم الإسلامي ص٢٥٩ ، البلدان الإسلامية ص٣٢٥. The Europa Year book 1982. V.IP 1205

(٧٢) الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص١٢٢.

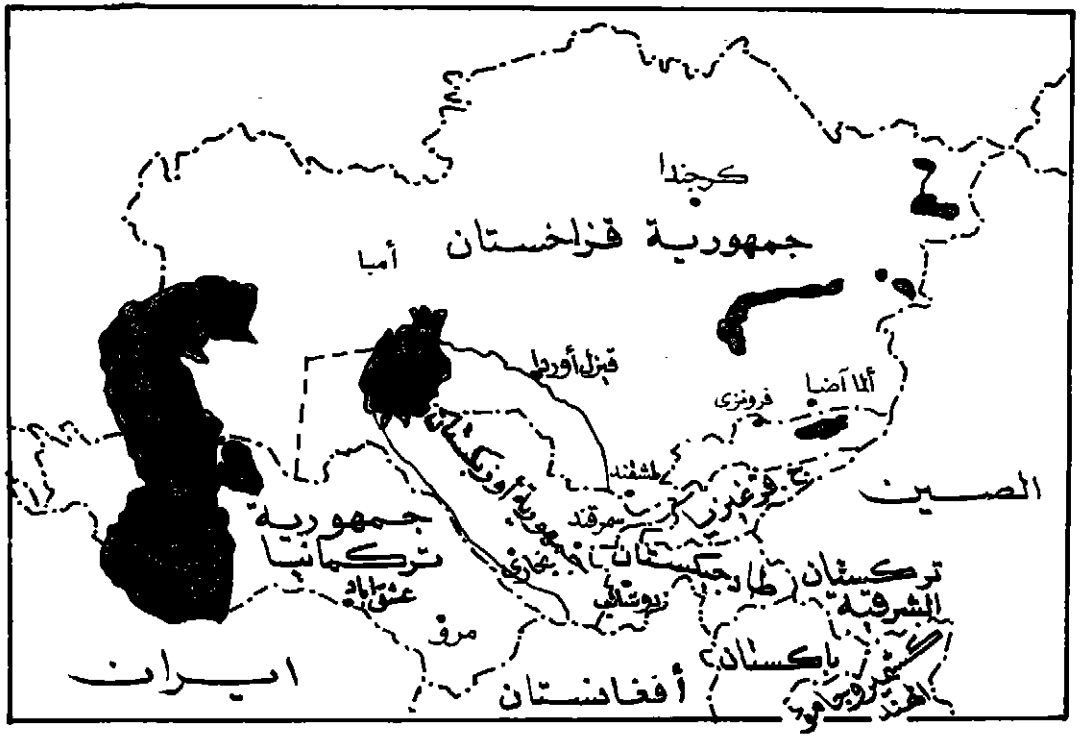

تركستان الغربية

٣ـ بخارى : التي أنجبت الإمام البخاري من علماء المسلمين ، وتكثر فيها المساجد ذات القباب والمآذن العالية والمدارس الإسلامية القديمة. وقد ظلت مئات السنين مركزا إسلاميا هاما لا يقل عن بغداد ومكة وغيرها من عواصم الإسلام في اجتذاب الراغبين في التزود من علوم الإسلام. وكانت تحوي **١٩٧** مسجدا و**١٦٧** مدرسة إسلامية لم يبق منها الآن سوى مسجد واحد مفتوح للصلاة ومدرسة دينية واحدة.

وقد استولى عليها الشيوعيون سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م بعد دفاع مجيد قام به أنور باشا(٧٣). وقام الشيوعيون بالقضاء على اللغة العربية وألغوا الكتابة بالحروف العربية واستبدلوها بالأبجدية الروسية عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م(٧٤).

وتشتهر أوزبكستان بانتاج القطن والحرير الخام والقمح والجوت(٧٥).

٢ـ **جمهورية طادجكستان**: أصغر الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى مساحة ، فمساحتها **١٠٠ ١٤٣** كم٢. وتقع في أعالي نهر أمودريا الذي يفصلها عن أفغانستان ، ويحدها من الشرق إقليم سينكيانغ (تركستان الشرقية) ومن الشمال قيرغيزيا وأوزبكستان ، وتحدها أوزبكستان من الغرب ، ويدخل نتوءها الشمالي في وادي فرغانة الخصيب الشهير وحوض سيحون (سرداريا) ، ويشغل نصفها الشرقي الجزء الأكبر من هضبة وجبال بامير التي دعاها السوفييت (قمة الشيوعية) وقمة ستالين(٧٦). ويتبعها إقليم جورنو ـ بادخشان المتمتع بالحكم الذاتي ويشتمل على كتلة البامير ويشترك في حدوده مع الصين وأفغانستان ومساحته **٧٠٠ ٦٣** كم٢ ، ويسمى أحيانا باسم إقليم (خروج)(٧٧).

وعاصمة الجمهورية دوشاني (دوشانب) وهي حديثة.

دخلها الإسلام كما سبق في القرن الأول الهجري. وفشا في العصر العباسي وخاصة عصر المأمون والمعتصم. وظهرت بها الدولة السامانية وازدهرت البلاد في ظلهم وأخلصوا للدعوة الإسلامية. ثم ظهرت الدولة الغزنوية.

---

(٧٣) حاضر العالم الإسلامي ـ ج٤ ص٣٧١-٣٧٦. حيث هرب إلى هناك وتزعم حركة مقاومة الروس.

(٧٤) عبد الفتاح عبادة ـ انتشار الخط العربي ص٥١.

(٧٥) تقويم العالم الإسلامي ص٢٦٦-٢٦٧.

(٧٦) تقويم العالم الإسلامي ص٣٥٣.

(٧٧) البلدان الإسلامية ص٣٥٣.

ولما ضعفت الدولة المغولية وانقسمت إلى دويلات طمع فيها الروس ، فوصلوا طادجكستان سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٦م. وتكونت الجمهورية سنة ١٣٤٣هـ وأصبحت جمهورية إتحادية سنة ١٣٤٨هـ. وتتبع الإدارة الدينية لمسلمي وسط آسيا ، وكانت نسبة المسلمين ٩٨٪ سنة ١٣٥٨هـ ، نقصت إلى ٨٢٪ سنة ١٣٩١هـ بفعل الأساليب الشيوعية . وعددهم أكثر من ٤ ملايين نسمة عام ١٤٠١هـ.

وتشتهر البلاد بالزراعة والرعي والصناعة . وأهم معادنها : البترول والغاز الطبيعي والذهب والفضة[٧٨] . وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه تعاني طادجكستان صراعاً بين الإسلاميين والشيوعيين مع وجود قوات روسية تبلغ ٥٠ ألفاً تؤيد بالشيوعيين فقد نجح الشيوعيين في الاستيلاء على السلطة في دوشنبة سنة ١٩٩٣م ولا يزال الصراع .

٣ـ **جمهورية تركمانيا**: جمهورية إسلامية بوسط آسيا، شغلت إقليم تركستان الذي كان يسمى (إقليم عبر قزوين) ـ أي إقليم شرق بحر قزوين، ثم ولاية بخارى، والجزء من (ولاية خيفا) الذي يقع على الجانب الأيمن لنهر أمودار يا (جيحون)[٧٩] . وتبلغ مساحتها ٤٨٨١٠٠ كم٢ ، وتشغل صحراء قره قورم (الرمال السوداء) وحدها أربعة أخماسها . ويبلغ عدد المسلمين فيها خمسة ملايين يشكلون حوالي ٨٣٪ من جملة سكان البلاد[٨٠] . تشتهر بالزراعة وخاصة القطن وصناعة السجاد .

وصلها الإسلام كما سبق زمن عثمان بن عفان على يد الأحنف بن قيس الذي وصل مدينة هراة ومرو سنة ٣٣هـ. وأسكن أمير بن أحمر العرب سنة ٥١هـ في مدينة مرو واتخذها قاعدة لمد الإسلام في تركستان ، وقامت فيها في العصر العباسي الدولة الطاهرية ثم السامانية ، ونشرتا الإسلام في تركستان. كما كانت منطلقا لنشر الدعوة في الهند على يد الدولة الغزنوية.

وقد أخرجت هذه البلاد فقهاء وعلماء قاموا ببث الدعوة وتثبيت دعائم الإسلام وبناء صرح الحضارة الإسلامية. وأهم مدنها :

أـ عشق آباد ـ (آشخباد) وهي مركز تجاري هام.

بـ مرو : المدينة الإسلامية الشهيرة ، مركز خراسان في التاريخ. وقد خربها الروس انتقاما لمقاومتها الشديدة. وأقاموا مكانها مدينة جديدة سميت بيرام علي.

---

(٧٨) الكتاني ص٦٨ ، مجلة العربي العدد٢٥٤ سنة ١٩٨٠م ، تقويم العالم الإسلامي ص٣٦٠-٣٦٤.

(٧٩) تقويم العالم الإسلامي ص٣٦٧.

(٨٠) المسلمون العدد ٣٧ ص٥.

وكان الروس قد استولوا على الدويلات المغولية بعد تفككها ومنها تركمانيا سنة ١٣٠٢هـ(٨١). وأصبحت جمهورية اتحادية سنة ١٣٤٣هـ على يد الشيوعيين بعد أن احتلوها سنة ١٣٢٩هـ. وتتبع الإدراة الدينية في وسط آسيا.

وكانت تكتب لغتهم بالخط العربي ومعروفة باسم الجغتائية. وقد كتب بها مير علي المتوفى سنة ٩٣٧هـ. والسلطان بابر مؤسس الدولة المغولية الإسلامية بالهند. واستبدلها الشيوعيون بالحروف الروسية(٨٢).

٤- **جمهورية قازاخستان** : وتشمل الأراضي المحصورة بين نهر الفلغة وبحر الخزر (قزوين) غربا وجبال الطاي شرقا ،وكذلك الأراضي الواقعة بين سهول سيبريا شمالا وصحاري وسط آسيا جنوبا. ومساحتها ٣٠٠ ٧١٧ ٢كم٢ فهي تلي جمهورية روسيا الإتحادية السوفيتية من حيث المساحة(٨٣).

كان سكان البلاد مسلمين ١٠٠٪ ولكن هذه النسبة تناقصت إلى ٦٨٪ بسبب سياسة التهجير التي اتبعها الروس. وعدد سكانها حاليا حوالي ١٥ مليون نسمة(٨٤). وعاصمتها المأأضا (أبوالتفاح) لشهرتها بأشجار التفاح في الجنوب الشرقي من البلاد.

وصلها الإسلام كما وصل بقية بلاد التركستان. واستقر على يد قتيبة بن مسلم في أواخر القرن الأول الهجري ، وأسلم بعض ملوكها زمن عمر بن عبد العزيز وأسلم الباقي زمن هشام بن عبد الملك(٨٥).

استغلها الروس استغلالا جيدا ففيها محطة بيكونر لإطلاق سفن الفضاء السوفييتية ، كما تسمى سلة الخبز بالنسبة للإتحاد السوفييتي لشهرتها بالزراعة وخاصة القمح. وفيها ثروة حيوانية كبيرة لوجود المراعي الطبيعية الواسعة. ومن ثروتها المعدنية الهائلة : الرصاص والزنك والبترول والفحم والكروم(٨٦).

---

(٨١) محمد نور - القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظل الحكم الروسي .. ص٣٨.

(٨٢) عبد الفتاح عبادة - انتشار الخط العربي ص٥٠.

(٨٣) تقويم العالم الإسلامي ص٦٣٥. مع ملاحظة أن سيبريا ضمن جمهورية روسيا الإتحادية.

(٨٤) انظر : الكتاني ص٦٨ ، وتعد أكبر جمهورية إسلامية في الإتحاد السوفييتي وهي دون غيرها من الجمهوريات الإسلامية ذات ملاح إسلامية بارزة تهتم بممارسة الشعائر الدينية والتقاليد الإسلامية مثل الختان وتشييع الجنائز (المسلمون عدد ٣٧ ص٥).

(٨٥) انظر : البلدان الإسلامية ص٣٢٨-٣٢٩.

(٨٦) تقويم العالم الإسلامي ص٦٤٠-٦٤٦.

ولم يستطع الروس التغلب على حركة المقاومة الإسلامية في هذه البلاد إلا في سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ولهذا لم يتم إدماج جمهورية قازاخستان في الإتحاد السوفييتي إلا في سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م(٨٧). وقد أغلق السوفيات آلاف المساجد أو هدموها. كما أغلقت المدارس الإسلامية في هذه البلاد.

وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي تواجه البلاد النشاط الصوفي من النقشبندية والقادرية، والعلمانية المعارضة للإسلام، أي النموذج الكمالي في تركيا. والخلط بين الإسلام والوطنية التركية والديمقراطية ولي المشكلات التي خلفها انهيار النظام السوفييتي في أقطار الإسلام. وزاد الأمر سوءاً تسلل اليهود إلى البلاد مع ما تشهده البلاد من صحوة إسلامية.

٥ـ **جمهورية قيرغيزيا**: تقع في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى على حدود تركستان الشرقية في وسط آسيا حيث تلتقي جبال تيان شان (الجبال السماوية) بجبال البامير(٨٨). وفيها وادي فرغانة الخصيب الذي تدفق عليه الروس واستوطنوه. ومساحتها ١٩٨٥٠٠ كم٢. وعاصمتها فرونزي باسم القائد الروسي ميخائيل فرونزي.

وصلها الإسلام بالفتح والجهاد كما سبق، على يد قتيبة بن مسلم الباهلي. وبواسطة التجار المسلمين لأنها تقع على طريق الحرير بين الصين وآسيا الوسطى. وقد اعتنق الإسلام عديد من الناس في العهد الأموي وازداد انتشاره وعم زمن العباسيين وخاصة عندما أسلم الخاقان ستوق بوغرا مؤسس دولة الخواقين الإسلامية بمنطقة التركستان التي نشرت الإسلام واللغة العربية، واتخذتها لغة رسمية(٨٩).

انتهز الروس فترة الضعف والتفكك فاحتلوا قيرغيزيا عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٦م، وأسسوا العديد من القرى بوادي فرغانة الخصيب صاحب الشهرة التاريخية في الفترات الإسلامية. ثم تدفقت هجراتهم إليها.

وفي العهد الشيوعي حولوها إلى جمهورية اتحادية سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م. وتعرض القيرغيز للقتل والإبادة والتهجير على يد الروس، فأصبحت نسبة الروس في البلاد ٢٩,٢٪ فسقطت نسبة المسلمين كثيراً بعد أن كانت البلاد إسلامية بكاملها. ويتبع المسلمون الإدارة الدينية لوسط آسيا وقازاخستان ومقرها طشقند(٩٠). وكانت لغتهم تكتب بالحروف العربية فغيرها الشيوعيون

---

(٨٧) محمد سعيد إسماعيل ـ المسلمون في الاتحاد السوفياتي والصين ص١١.

(٨٨) تقويم العالم الإسلامي ص٦٢٥.

(٨٩) محمد اسماعيل ـ المسلمون في الاتحاد السوفييتي والصين ص١٠.

(٩٠) البلدان الإسلامية ص٣٦٣.

إلى الحروف الروسية[٩١]. ونقص عدد المساجد إلى ٢٣ مسجداً فقط[٩٢].

وتصدر قيرغيزيا لروسيا البنجر السكري والقطن والحرير الطبيعي والزئبق والفحم[٩٣].

سياسة روسيا القيصرية في بلاد الإسلام :

نشأت روسيا القيصرية نشأة استعمارية استيطانية صليبية تهدف الخروج من بلادها الباردة والوصول إلى البحار الدافئة : البحر الأسود والبحر المتوسط والمحيط الهندي. وقد سارت في هذه السياسة ببطء ودون تراجع ، واعتبرت نفسها وريثة القسطنطينية ونصبت نفسها حامية للمذهب الأرثوذكسي ، فأعلنت حربا صليبية سافرة وباركها البابا ، ومهما اختلفت هذه السياسة فإنها انصبت على محاربة الإسلام والمسلمين ، تلك السياسة التي افتتحها إيفان الرهيب حتى قيام الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م. ويمكن إجمالها في مايلي :

١- العمل على تنصير المسلمين بالإكراه : وخاصة في روسيا الأوروبية فكان إيفان الرابع يطلب من الأمراء المسلمين في حوض الفلغة إما أن يرتدوا إلى النصرانية أو الطرد والخراب الإقتصادي الشامل أو التصفية الجسدية لمن يبدي أقل مقاومة. واعتمدت الردة بالقوة منذ عام ٩٦٣هـ/١٥٥٥م وانتشرت المدارس التبشيرية من قازان إلى استراخان وأخذ الروس يخطفون أولاد المسلمين من آبائهم وتربيتهم في تلك المدارس حتى ينشأوا على النصرانية الأرثوذكسية.

٢- التهجير والإبادة : وقد تفنن القياصرة في أساليب تهجير المسلمين من مواطنهم بالتضييق عليهم بمختلف الوسائل ، فصادروا الأوقاف الإسلامية وطردوا علماء الدين من المدن وهدمت المساجد فقد هدم الروس ١٧٣٨-١٧٥٥م ٤١٨ مسجدا من ٥٣٦ مسجدا في قازان وحدها. وأغلقوا المدارس القرآنية في روسيا الأوروبية كلها ، وأثقلوا المسلمين بالضرائب الباهظة وأجبروا على ممارسة أخس الوظائف وكان المسلم الذي يدعو للإسلام حتى بين إخوته المسلمين يحكم عليه بالإعدام وخاصة في عهد الإمبراطورة (حنه) (١٧٣٨-١٧٥٥م ١١٥١-١١٦٩هـ) وهذه تشبه سياسة ملوك إسبانيا إزاء المسلمين فيها[٩٤] وهذا جعل هجرات المسلمين تتوالى ، كما أسهمت ثلاثة عوامل أخرى على التهجير وهي :

---

(٩١) عبد الفتاح عبادة - انتشار الخط العربي ص٤٩. (٩٣) تقويم العالم الإسلامي ص٦٢٨-٦٣٣.
(٩٢) مجلة المجلة العدد٢ ربيع الثاني سنة ١٤٠٠هـ. (٩٤) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٣٦.

خريطة توضح التوسع الروسي في أراضي المسلمين على مدى السنين

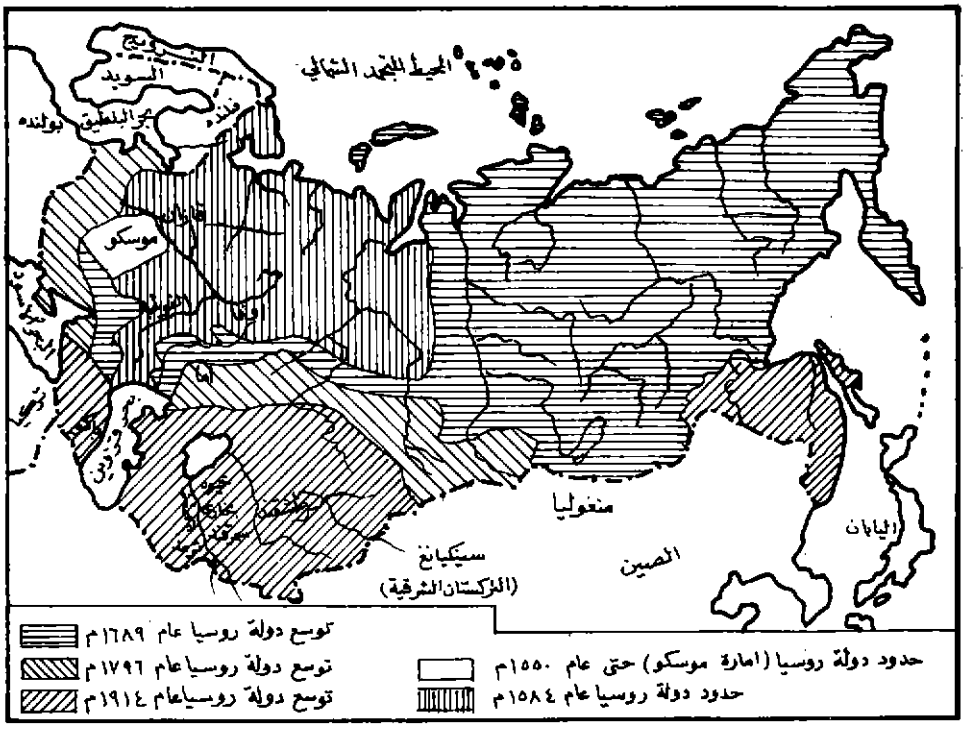

أ- سياسة الترويس وخاصة تلك التي اتبعها نيقولا الثاني فاضطر خمسون ألف تتري مسلم إلى الهجرة إلى تركيا ومنذ اندلاع الحرب العالمية الأولى امتلأت شوارع المدن التركية بالمهاجرين التتار المسلمين الذين عرفوا بالمهاجرين الروس.

ب- سياسة فرض أعمال السخرة وخاصة في الحرب العالمية الأولى فقد فرضت القوات الروسية على جميع المسلمين من سن التاسعة عشرة إلى سن الثالثة والأربعين القيام بأعمال السخرة في مؤخرة الجيوش الروسية وجماعة المرتدين (كرياشن) حيث طرد المسلمون إلى أماكن نائية ، فكان سيل الهجرة لا ينقطع من روسيا الأوروبية ثم القرم والقفقاس والتركستان.

ج- كان الروس يصفون جسديا الأمراء والطبقات الواعية التي تأبى الذل والخضوع كما حصل لخيوه عندما قاومت الغزو الروسي وفي كثير من مناطق قازان ، وطرخان والقفقاس والقرم.

٣- الإستيطان الروسي في بلاد الإسلام : فقد صادرت روسيا أراضي المسلمين الخصبة في حوض الفلغة ومنحوها للنبلاء الروس ثم بعد ذلك للفلاحين القادمين

من وسط روسيا والفارين من العبودية(٩٥). وملئت هذه البلاد بشبكة محصنة من القلاع لتكون سكنا للروس دون سواهم ، وطردوا المسلمين من المدن الكبيرة ، وأصبح المسلمون في قازان واستراخان وبشكيريا وتتاريا أقليات مطوقة تطويقا محكما بمساحات من الأرض يسكنها الروس الخلص.

ويعتبر عهد كاترين ١١٧٦-١٢١١هـ/١٧٦٢-١٧٩٦م من أكبر عهود القيصرية الروسية تسامحا مع المسلمين فقد منحتهم حق بناء المساجد والمدارس ، ومنع التنصير بالقوة كما منع اختطاف الأطفال وفصلهم عن أهاليهم بالقوة ، فشهد عهدها عودة التتار الذين أجبروا على التنصير إلى الإسلام، وتحول كثير من القبائل الوثنية والنصرانية إلى الإسلام. ورغم هذا فقد ألحقت شبه جزيرة القرم بالإمبراطورية الروسية ، وصادرت أخصب أراضيها الصالحة للزراعة ووزعتها على عشاقها المفضلين ،(بوتمكين وبولجاكون وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشيوني) فتدفقت أفواج المهاجرين الروس والأوروبيين على شبه الجزيرة ، وطرد المسلمون من أراضيهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة في وسط شبه الجزيرة. فكانت هجراتهم الجماعية إلى تركيا.

واستولى الروس على أراضي القفقاس الخصبة ، وطردوا منها أهلها وعزلوا المنطقة بنطاق من القلاع المحصنة تمتد من البحر الأسود إلى بحر قزوين(٩٦).

وأصبحت تركستان مرتعا خصبا للإستعمار الروسي ، فملكوا أراضي المسلمين الخصبة وحولها المستوطنون الروس إلى مزارع للقطن(٩٧) لتغذية مصانع النسيج الضخمة التي أقيمت في روسيا. وتدفقت أمواج الروس على بلاد القوزاق فوصلها بين عامي ١٣٠٩ و ١٣٣٣هـ/ ١٨٩١ و ١٩١٤م أكثر من مليون روسي استولواعلى أرضها فقلت مساحات المراعي فنقصت المواشي الثروة الرئيسية للقازاق(٩٨). وقد بلغت مساحة الأراضي التي صادرتها الحكومة القيصرية خلال القرنين السابقين للثورة الشيوعية ٤١ ٦٥١ ٠٠٠ دياستين (والدياستين = ٢,٧ فدان) أي أكثر من مائة مليون فدان من الأراضي الزراعية الخصبة. عدا الأوقاف الإسلامية الكثيرة.

---

(٩٥) نفسه ص٢٧.

(٩٦) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٣١.

(٩٧) نفسه ص٤٠.

(٩٨) نفسه ص٣٩.

٤ـ سياسة الترويس : عمل الروس على فرض لغتهم ومنعوا الكتابة بالحرف العربي وحولوه إلى الحرف الكيريلي الروسي. وساعدهم على ذلك جماعة المرتدين عن الإسلام (كرياشن) باعتبار القومية الروسية مرتبطة بالمذهب الأرثوذكسي. وفي عهد (إسكندر الثاني) أخذت الحملة على الإسلام طرقا مرنة وأكثر فاعلية في اجتذاب المسلمين بالدعاية فقد وضع المبشر الأرثوذكسي (نيقولا المنسكي) سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م سياسة تعليمية جديدة بإنشاء دار للمعلمين خاصة بالتتار المتنصرين تدرس فيها العلوم باللغة التترية ، وترمي هذه المدرسة إلى تنشئة نخبة مثقفة بالثقافة الأوروبية تؤخذ من المرتدين فقط على أن يقوموا بعد ذلك من دون أن يقطعوا صلتهم بماضيهم بأعمال التبشير لدى إخوانهم الذين ظلوا مسلمين. وقام المبشرون من جهتهم بحملة شديدة على الإسلام تساعدهم منظمات أرثوذكسية متعددة. وأدى ذلك إلى ردة فعل عكسية قوية إسلامية في أوساط عامة المسلمين يدعمها التجار والعلماء من المسلمين. مقابل القلة القليلة من المسلمين التي وقفت إلى جانب هذه السياسة ، مثل عبد القيوم النصيري (١٨٢٥-١٩٠٢م) الذي دعا إلى الإستفادة من اللغة الروسية ، والعلوم الأوروبية ، والثقافة في شكلها الروسي محتذيا أسلوب السير أحمد خان في الهند. وقد تعلم الروسية وترجم عددا من الكتب عنها إلى لغة التتار. وامتدحه بالطبع المستشرقون الروس وأثنوا عليه. في حين أطلق عليه المسلمون : (أوريش قيوم) أي قيوم الروس(٩٩).

وأكثر من ركز على سياسة الترويس نيقولا الثاني ، فكانت سببا في هجرات التتار الجماعية. وقد نجحت هذه السياسة في روسيا الأوروبية إلى حد ما.

٥ـ العمل على إثارة القوميات والقبليات : «سياسة فرق تسد» التي برع فيها المستعمرون جميعا. ورغم أن هذه السياسة مناهضة لسياسة الترويس فقد ركز عليها الروس في المناطق الإسلامية ، فعملوا على عزل تركستان عزلا تاما عن تأثير الحركات الإسلامية في البلاد الإسلامية فكتب الجنرال (كاوخمان) أول حاكم روسي على تركستان يقول : « على آسيا الوسطى أن تظل في حالة من الركود والتأخر كما في القرون الوسطى الأمر الذي لابد أن يمنع في هذا الإقليم أي امكانية للمقاومة الوطنية ضد الفاتحين »(١٠٠). لذا فقد بذلت الإدارة الروسية جهدها ليظل المسلمون في حالة تأخر فدعمت العادات المنحرفة عن الإسلام ، ودعمت

(٩٩) برنارد لويس ـ الغرب والشرق الأوسط ـ ص١٥٧.

(١٠٠) المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفيتي.

الجامدين للوقوف في وجه المصلحين من العلماء ، وشجعت المدارس القرآنية ذات الطابع التقليدي القديم وأبعدوها عن كل تأثير عصري.

وعمدت روسيا في القوزاق إلى تحبيذ قيام حركة وطنية باثارة القازاق في وجه التتار وغيرهم ، وأنتجت هذه الحركة فريقا من المثقفين بالثقافات الروسية الغربية تردد أقوال المستشرقين بايجاد ثقافة قازاقية متحررة من الإسلام ، والمناداة بالتعاون مع الروس من أجل تقدم البدو القازاق. وأنشئت عام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م مدارس روسية قازاقية وفتحت المدارس العسكرية للقوزاق ، وبذلت جهود عظيمة لبعث ثقافة غربية تقوم على اللغة القوزاقية.

ومن المؤسف أنه عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى كان في جيوش القيصر نيقولا الثاني ١,٥ مليون جندي مسلم ، ومئات الآلاف في جيوش الحلفاء الإنجليز والفرنسيين أجبروا على قتال إخوانهم من المسلمين الأتراك.

مواقف المسلمين من روسيا القيصرية :

قام المسلمون بعدة ثورات متتابعة أهمها ثورة الباشكير سنة ١١٨٧هـ وثورة أنديجان في تركستان سنة ١٨٩٧م المتأثرة بالوهابية السلفية الداعية للجهاد .

ولكنها فشلت وقمعت كما قمع غيرها من الثورات بمنتهى القسوة والوحشية ،وتحت الضغط الشديد وفي سبيل الوصول إلى بعض الحقوق الرئيسية ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية أو استلام بعض الأعمال الضرورية بل حتى من أجل الحصول على لقمة العيش أحيانا وتأمين التعليم في المدارس في كثير من الأحيان ، كانت جماعات كثيرة توافق البعثات التبشيرية وتقبل الأنتساب للنصرانية ظاهرا وعلى المذهب الأرثوذكسي ، فتسجل في عداد النصارى وتتم عملية التعميد ، حتى ظنت الكنيسة الأرثوذكسية بعد مدة طويلة أن الأمر قد تم لها حسب ماتريد ، وأنه لم يعد هناك خوف من انتشار الإسلام ، وأبلغت ذلك إلى القيصرية ، فأعطى نيقولا الثاني عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م جميع الشعوب الموجودة في روسيا الحرية الدينية ، فكانت المفاجأة أن عاد جميع المعمدين الذين تظاهروا بالنصرانية إلى الإسلام ، وأسلمت قبائل بأكملها في العام نفسه وارتفعت المساجد ، فلما رأى نيقولا اندفاع الناس نحو الإسلام بقوة أذهلت الروس ، اشتد في عملية الترويس فأنشأ الجمعيات الدينية لحماية النصرانية من الإسلام ، وفرض الحروف السلافية ، واللغة الروسية ، فأصبحت رسمية والأسماء روسية ، ولم يفد

هذا شيئا فقد قام التتار في هذه المدة بنشاط كبير بالدعوة إلى دينهم سواء في منطقة الاورال أم في شبه جزيرة القرم. فعمد نيقولا إلى حل الدوما (البرلمان الروسي) وتعديل قانون الإنتخاب بحيث يقل عدد الممثلين المسلمين من ٣٥ شخصا إلى ستة أشخاص ، وفي العام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م أرسل وزير الداخلية الروسي إلى مجلس الوزراء تقريرا يحذر فيه من إعطاء المناطق الإسلامية حرية تكوين جمعيات سياسية ودينية ، ويأمر بالقاء القبض على دعاة هذه الحركات واعتبارهم خارجين على القانون ، بتهمة أنهم جواسيس وعملاء لدولة الخلافة العثمانية .. وكانت دعوة السلطان عبد الحميد قد وجدت تأييدا لفكرة الجامعة الإسلامية لدى المسلمين الخاضعين لروسيا . . (١٠١) فقامت روسيا بتصفية جميع الجمعيات الإسلامية التي تكونت مثل حركة الإتفاق الإسلامي ، وحركة بيريك ، وحركة تانغ تشيلا ، وحركة ملي فرقة. وألغت روسيا الحرية الدينية ، ولكن المسلمين واصلوا انتعاشهم. فرغم ظروفهم السيئة فقد حافظوا على إسلامهم ولغاتهم ، بل وظهرت نهضة ثقافية فانتشرت المدارس والمساجد في المناطق التتارية. ففي مدينة أوفا عاصمة بشكيريا كان بها ١٥٥٥ مسجدا و٦٢٢٠ مدرسة عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م ، ومع بداية القرن العشرين كان في قازان جامعة إسلامية تضم سبعة آلاف طالب ومطبعة إسلامية طبعت وحدها ٢,٥ مليون نسخة من ٢٥٠ كتابا ، بالإضافة إلى وجود مكتبة إسلامية يزورها عشرون ألف قارىء في السنة ، كما وجد فيها ٧٠٠ مسجدا وكما يقول بنجسن ولومرسييه :« وهكذا فما أن أقبل عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م ، حتى بلغ المستوى الثقافي لمسلمي روسيا درجة عالية بشكل ملفت للنظر ، وذلك بفضل الجهود الجبارة التي بذلها المصلحون ، وأصبحت مدن قازان وأوفا واورنبرج وتروبتسك وبغتشيساري(بغجة سراي) وباكو مراكز ثقافية وفكرية جديرة بأن تكون ندا لدمشق وبيروت والقاهرة واستنبول » (١٠٢) .

وكانت قومية التتار في روسيا العرقية تجد ذاتها في الدين الإسلامي الذي أصبح هو الممثل للقومية العرقية في الامبراطورية الروسية على عكس القوميات التي ظهرت في تركيا والبلاد العربية فظهرت فكرة القومية الإسلامية كما في الهند .

---

(١٠١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ٦٥.

(١٠٢) نفسه.

سياسة روسيا الشيوعية في بلاد الإسلام :

نشط المسلمون نشاطا ملحوظا في الحرب العالمية الأولى واعتبروها فرصة للإستقلال ، ولذلك أيدوا الحركة الإشتراكية الشيوعية التي أطاحت بالقيصرية الروسية عام ١٩١٧م/١٣٣٥هـ بزعامة لينين .

بدأ لينين سياسته في روسيا باطلاق **حرية الأقليات** التي اضطهدها القياصرة كجزء من سياسة تجميع القوى ، وكسب التأييد للحزب الشيوعي الحاكم ، وأصدر وعودا مبهمة لهذه الأقليات (١٠٣) ، رأى فيها المسلمون وعودا غير مشروطة بالإنفصال عن روسيا. كما وجه لينين ،وستالين(الذي كان مفوضا لشئون القوميات بعد نجاح الثورة) نداء إلى جميع المسلمين في روسيا سنة **١٩١٧م** (١٠٤) دعاهم إلى الثورة ومنه :« ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة .. إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم وأن عاداتكم وتقاليدكم حرة لايمكن المساس بها ، ابنوا حياتكم الحرة المستقلة دون أي معوقات .. ولكم كل الحق في ذلك . .واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة » .

وخاطب لينين مسلمي العالم عام **١٩١٩م** بقوله :« يامسلمي العالم . .. الذاهبين ضحايا الإستعمار .. استيقظوا استيقظوا .. إن روسيا قد أقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية ، تلك السياسة الضارة الخبيثة التي كانت تتمشى عليها الحكومة السابقة ، إن روسية اليوم تمد يدها إليكم ، لتعينكم وتنصركم على تحطيم أغلال الإستبداد البريطاني .. إن روسية تطلق لكم اليوم الحرية الدينية وحق الحكم الإستقلالي ، وتعترف بحدود بلادكم الحدود المعروفة قبل الحرب . .. ». ونسجت الدعوة البلشفية على هذا المنوال وقام لينين بتسليم مصحف عثمان الذي كان بحوزة القياصرة إلى ممثلي المسلمين في بتروجراد ، كما قام بتسليم عدد كبير من الوثائق التاريخية والآثار الإسلامية الهامة ، وأعاد مسجد كارافان ساريا في أورنبرج ، وبرج سوبنكس في قازان ، إلى المسلمين بعدأن كان القياصرة صادروهما في السابق .

---

(١٠٣) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص١١٦.

(١٠٤) انظر البيان بأكمله - الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص١٢٤-١٢٦ / كارثة القرم الإسلامية ليوسف ولي شاه أوركماي ص٦٠-٦١.

وقد وصلت دعاية لينين بين المسلمين إلى درجة الزعم بأن النظام السوفييتي البلشفي إنما يقوم على مباديء القرآن والشريعة الإسلامية ، وسرعان ما أعلنت الشعوب الإسلامية إستقلالها وتكونت جمهوريات إسلامية عديدة في هذه الأقطار المترامية ، واعترفت بها الدول المجاورة وعقدت معها المعاهدات (١٠٥) ، فعقد المسلمون مؤتمرا كبيرا في موسكو سنة **١٩١٧م** ، وحضره **٩٠٠** مندوب من كل الأقاليم الإسلامية في الإمبراطورية الروسية ، وكان من نتيجة هذا المؤتمر محاولة التوفيق بين الإسلام والإشتراكية ، والتشديد بقوة على الملة الإسلامية في روسيا (١٠٦) .

وعقد مؤتمر ثقافي في العام نفسه ١٢٣٦هـ/١٩١٧م في قازان لم يستطع حضوره سوى ممثلي تتار الفلغة والبشكير والقرم. وقد ظهر في هذا المؤتمر الإتجاه إلى قيام دولة إسلامية فدرالية. وعززت الإدارة الإسلامية المركزية بإنشاء مجلس حربي(حربي شورى) ، مركزه قازان . وبدأ هذا المجلس بتجنيد المسلمين تحت قيادة ضباط تتار وبشكير فورا ، كما أنشأ المؤتمرون إدارة ملية مركزها مدينة أوفا في بشكيريا ، وكلفوها الإعداد لعقد مجلس محلي في أوفا يناط به تقرير مستقبل الأمة الإسلامية في روسيا .

وقد أظهر لينين والبولشفيك تأييدهم لهذه القرارات ووقوفهم معها ، وهو تكتيك رهيب اتسم بالغدر والخسة ، وجعل العناصر الإسلامية تقف في صف لينين والجيش الأحمر. فأعلن القوقاز ثورتهم بقيادة الإمام الداغستاني نجم الدين غوتسو ، الذي عرف عند الروس باسم نجم الدين غوتسنسكي سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م ، واستقلالهم سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٨م ، وتبعتهم جورجيا بعد بضعة أسابيع ، وتكونت جمهوريات إسلامية مستقلة ، وقعت تحت مطارق الجيش الأحمر ومناهضيهم في الحرب الأهلية. وفي إبريل عام ١٩١٨م أصدر لينين أمرا بالزحف على البلاد الإسلامية دون سابق إنذار (١٠٧). فقد تحرك الجيش الأحمر ومعه الشيوعيون من المسلمين الوطنيين ، واجتاح هذه الجمهوريات وأزال عنها

---

(١٠٥) الإسلام في وجه الزحف الأكبر ص١٢٧.

(١٠٦) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص١٣٢-١٣٤.

(١٠٧) فاستولت الشيوعية في نهاية العام على جمهورية إيديل أورال وشمال القوقاز وحكومة خوقند في تركستان. وفي عام ١٩١٩م استولى الشيوعيون على جمهورية الاشي أوردو ، وفي عام ١٩٢٠م انتهوا من احتلال القرم التي قاومت بعنف ، واستأنفوا الهجوم على جمهورية أذربيجان وحاصروا =

الصفة الدينية واستبدل بها جمهوريات إتحادية شعبية كل منها جزء من الإتحاد السوفييتي نظريا ، ومقاطعات محتلة من روسيا فعليا ، تمارس فيها سياسة التذويب وإلغاء كل ماله صلة بالإسلام ، فقد دخلت القوات الشيوعية طشقند عام ١٩١٨م وقضت على جيوش المسلمين ونهبوا المدينة ، ودامت المذابح والنهب ثلاثة أيام متوالية ،وبعد أن هدموا المدينة وجعلوا عاليها سافلها ، أشعلوا فيها النار ، ولم يعلم عدد ضحايا المسلمين ـ لكن ذكر ريشارد بيب أن نفوس خوقند كانت قبل الثورة ١٢٠ ٠٠٠ فأصبحوا سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م لايزيدون على ٦٩ ٣٠٠ نسمة (١٠٨). ولما دخلت هذه القوات باكو أثر الاضطرابات الدموية بين البلشفيك والمسلمين ومعها الإشتراكيون الثوريون الروس ، ومرتزقة الأرمن ، وبعض المسلمين الشيوعيين ، إستمرت المذابح ثلاثة أيام ، وكذلك حصل في مدينة سيفربول وقازان. حتى إذا انتهت الحرب الأهلية عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م بانتصار ساحق للجيش الأحمر ، بدت حالة المسلمين في بؤس ليس وراءه بؤس ، إذ تبدلت أيام عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م المليئة بالوعود بأيام سود. وانقرضت أكثر الوحدات العسكرية الإسلامية في بلاد الفولغة ـ أورال المسلمة كما قوضت جميع المفوضيات واللجان وتفرق شمل رجالها، إما بأن لاقوا حتفهم برصاص أعدائهم أو بما هو أسوأ وهو انضمامهم إلى البيض .

وفي عام **١٩٢٠م** أخذ لينين يعلن سياسة الشيوعيين علنا ، ففي خطابه في اجتماع للشباب الشيوعيين في الإتحاد السوفييتي في ١٩٢٠/١٠/٢م حدد واجبات الشيوعي الأساسية وهي : **التنكر للدين** ومحاربته واستعمال جميع الوسائل التي توصل إلى النصر مهما كانت هذه الوسائل مناهضة لما هو متعارف عليه من أخلاق ،« فالخلق عند الشيوعي هو أن ينتصر » وأن القوة التي تسيطر على أخلاق الشيوعي هي مصلحة تلك الطائفة ، فدستور أخلاقه مستمد من حركة«

= خيوة من ثلاث جهات فدافع أهلها التركمان دفاع المستميت ولكنها سقطت في نهاية العام. وفي عام ١٩٢١م هاجم الروس بخارى ولما انهزمت جيوشهم المنظمة شنوا حرب عصابات نحو عشر سنين ، ولكنهم فشلوا في إدراك النصر لعدم وجود أية مساعدة خارجية من العالم الإسلامي. (الإسلام في وجه الزحف الأحمر ١٣١). وذلك كله استغلالا لما عمله أتاتورك في تركيا.

(١٠٨) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص١٤٣.

كفاحنا العمالية» كما قال لينين (١٠٩) .

وفي خريف عام **١٩٢٠م** دعت الحكومة السوفيتية لعقد مؤتمر في باكو دعته :« مؤتمر الشعوب الشرقية » دعت فيه العمال والفلاحين من ديار الإسلام كلها، قصدت منه كما رأى شكيب أرسلان : إيقاد نار الثورة الاجتماعية. وكانت روسيا هي سيدة المؤتمر تنظم الجلسات ، وتضبط الواقعات برئاسة اليهودي الصهيوني (كارل راديك) صديق لينين الحميم وزميله في المنفى وشريكه في الحكم وأحد أقطاب الأممية الإشتراكية الدولية الثالثة(الكومنترن) . وقد أقر المسلمون في هذا المؤتمر الإقتراح الذي قدمه ستالين ، والذي يجبر المسلمين على دمج الحزب الشيوعي البلشفي الإسلامي في الحزب البلشفي الروسي ، وتلاشى حلم المسلمين بتأسيس دولة إسلامية في ـ فولغة وأورال الوسطى ـ وحلم الجمهورية التترية البشكيرية إلى اليوم (١١٠) .

وعمد الشيوعيون إلى **أسلوب تجزئة البلاد الإسلامية إلى وحدات قومية لغوية صغيرة متنافسة** ، على أنقاض المجتمعات الإسلامية الكبيرة . ودعموا قيام الشيوعية بينهم ، وقضوا على كتابة لغتهم بحروف عربية ليقضوا على صلتهم بالتراث الإسلامي . وهذه سياسة معقدة إدارة واقتصاداً وعلماً، لأنها تنطوي على ابتكار لغات مكتوبة ، وهي لاتشبه أي مخطط معروف ، بل تقوم على آراء مترددة ، وأفكار غير مستقرة ولا ناجحة ، لا بل على رجوع إلى الوراء (١١١) ، والهدف منها نبذ هذه اللغات جميعا على حساب التركية والعربية إلى الروسية الرسمية. ولذا فقد اختلفت سياسة القوميات باختلاف الأقاليم : ففي إقليم(حوض الفلغة أورال) فصلوا البشكير عن التتار ، ثم قاموا بتفتيت المسلمين بالإعتراف عام **١٩٢٣م**

---

(١٠٩) الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص٤٧. ويقول لينين : « إن على الشيوعي أن يكون مستعدا لكل تضحية ، وإذا دعت الضرورة أن يلجأ إلى رسم الخطط والمناورات واستخدام الطرق غير المشروعة ، وإخفاء الحقيقة ، وذلك بغية التغلغل في النقابات للسير بالثورة داخل صفوف تلك النقابات.

ونحن ننبذ جميع القيم والأخلاق التي تنشأ وتنمو خارج الإطار الطبيعي ، ونحن نقول أن هذا ، إنما هو خداع وخيانة لتقييد عقول العمال والفلاحين وتضليلهم لمصلحة ملاك الأراضي والرأسماليين »!!. انظر.شنايدر وزميله ـ العالم في القرن العشرين ص٢٢١-٢٢٢ عن نيكولاي لينين في مختاراته المجلد ١٧ص١٤٢-١٤٥.

(١١٠) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص١٦١.

(١١١) نفسه ص٢٠٠.

بالقومية للجماعات العرقية التي تعيش هناك. وتراجعت الشيوعية عن التجربة سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م بعد أن أدت إلى القضاء على المجموعة البشكيرية التترية الكبيرة التي ظلت قرونا حاملة لواء الإسلام في وجه روسيا .

وفي شمال القفقاس أعطي كل قوم من الأقوام لغة قومية وضعها لهم علماء اللغات السوفييت مابين سنتي ١٣٤٣-١٣٥٧هـ/١٩٢٤-١٩٣٨م . فانبعثت تسعة أقوام هي : الكاباردو والتشيسن والأنغوش والكارسباد والكاراتشاي والبلكار والأديغا والشراكسة والأباظية (١١٢) .

وفي الداغستان أستبعدت العربية وسيلة الوحدة والثقافة الإسلامية ، ووجدت إحدى عشرة لغة أدبية رسمية ، إنهارت بعد قليل لتبقى الروسية هي الوحيدة وسيلة التفاهم بين القبائل .

واتبعت الشيوعية أسلوب **التهجير من المناطق الإسلامية** وإلبها لإضعاف شأن الأغلبية المسلمة وليصبحوا أقلية في عقر دارهم (١١٣) .

كما عمد الشيوعيون **لأساليب الإبادة** ، فأباد الشيوعيون خلال خمسين عاما ٢٠ مليون مسلم ، وقد ثبت بالإحصاءات الروسية أن ستالين وحده قتل ١١ مليونا (١١٤) ويكفي أن نذكر النماذج التالية من عمليات الإبادة التي مارسها الروس والنفي إلى مجاهل سيبريا :

ففي عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٤م أصدر ستالين أمره بسبي جميع السكان في الشاشان ونفيهم إلى سيبريا ، وألغى جمهوريتهم ووزع أراضيها على جمهورية جورجية .

ونفى من قبل الشعوب الإسلامية من القرم وأنغوشيا ، وشعوب القابرديار والبلكار ، واستقدم الألوف المؤلفة من السلاف والأوكران والروس وشحن بهم أذربيجان ، وتركستان والقرم .

وقد أشرف على حملات النفي هذه اليهودي (ميخائيل سوسلوف) الذي أصبح المنظر العقائدي للإتحاد السوفييتي ، وكان عدد سكان الداغستان سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م ثمانية ملايين نسمة ، تناقصوا عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٧م إلى ١ ٦٢٧ ٠٠٠ نسمة. نتيجة الإبادة والتهجير إلى تركيا والبلدان الإسلامية ،

(١١٢) نفسه ص٢٠٥.

(١١٣) الأقليات المسلمة ص٢٧٢.

(١١٤) المسلمون في الاتحاد السوفيتي - الحاشية - ص٢٦٧.

وماحصل في القرم يفوق مأساة فلسطين كما بينا في حينه ، إذ لم يبق من أهلها الذين كانوا خمسة ملايين عام **١٩١٧** إلا أقل من نصف المليون أي أقل من عشر السكان. لازالوا يهيمون على وجوههم في مناطق متفرقة في مجاهل سيبريا رغم تبرئتهم من تهمة التعاون مع الألمان سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م. وقد سمح بعودة الشاشان والأنغوش والكارتشاي إلى مواطنهم عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ، وسمح بعودة البلكار عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م بعد أن أبيد معظمهم .

أما بلاد التركستان الإسلامية فكان مجموع من فر منها منذ دخول الشيوعية حتى عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ثلاثة ملايين نسمة تفرقوا بين مختلف أرجاء البلاد الإسلامية ، وخاصة إيران والمملكة العربية السعودية وأفغانستان والملايو وتركيا. وتوفي في المجاعة المروعة نتجية تأميم المزارع وقتل أصحابها (عام ١٣٥١-١٣٥٣هـ/١٩٣٢-١٩٣٤م) أكثر من ثلاثة ملايين أيضا .

وعمد الشيوعيون إلى أسلوب **السخرة** لإذلال المسلمين وهو نظام يتيح للدولة تجنيد الألوف المؤلفة من العمال والفلاحين للكدح في كل شيء دون مقابل ، أو مقابل كسرة خبز وكسوة تواري ماتيسر من الجسم (١١٥) .

وقد اختلفت المصادر في تقدير عدد هؤلاء العمال الذين استغلتهم الشيوعية في الاتحاد السوفييتي بما يتراوح بين ستة ملايين وثمانية عشر مليونا ، يعملون في إنشاء الطرق والسكك الحديدية وردم المستنقعات وإزالة الأشجار واستصلاح الأراضي النائية واستخراج الملح والذهب من المناجم . .. فضلا عن الكثير من الأعمال الصناعية الثقيلة التي يسخرون فيها داخل معتقلات خاصة بذلك .. ومنهم طائفة الكولاك وهم أغنياء الزراع الذين لم يقبلوا الإندماج في سبل الزراعة الجماعية (١١٦). والسواد الأعظم منهم من جماعة المسلمين المستذلين من أبناء التركستان والقوقاز والقرم وغيرهم الذين قاتلوا عن عقائدهم ومواطنهم إلى آخر رمق (١١٧) .

واتبعت الشيوعية للقضاء على الإسلام أسلوب **مهاجمة الدين الإسلامي** بشدة : ذلك لأن الشيوعيين أدركوا أهميته في الوقوف أمام عقيدتهم ، ولكنهم لجأوا إلى

---

(١١٥) الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص١٠٣.

(١١٦) الإسلام في وجه الزحف الأحمر (عن الشيخ عمر الاسكندري في كتاب الشيوعية على حقيقتها) ص١٠٤.

(١١٧) نفسه ص١٠٥.

سياسة النفس الطويل للقضاء عليه تبعا لخطة وضعها سلطان غالييف (١١٨) التي ترمي إلى **إبعاد المسلمين عن الدين بمراحل تدريجية** لاتثير صداما أو مقاومة لأن :(على حد قوله) « الإسلام وهو آخر الأديان الكبيرة هو أقواها وأكثرها ديمقراطية ، حتى من المسيحية ، وأن تعاليمه تدخل في عمق حياة المسلمين الإجتماعية وتحمل عناصر تقدمية من الصعب القضاء عليها » (١١٩) .

فمر حرب الإسلام تبعا لذلك على مراحل متداخلة هي :

١ـ مرحلة إعداد الهجوم على الإسلام ١٣٤٠-١٣٤٦هـ/١٩٢١-١٩٢٧م :

تقرر عام ١٣٣٧هـ ١٩١٨م مبدأ فصل الدين عن الدولة وبدأ تنفيذه بحذر ، وهاجمت الشيوعية الإسلام بطريق غير مباشر بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الرئيسية وهي :

الأوقاف والمحاكم الشرعية والتعليم الديني الإسلامي. وكانت القيصرية الروسية قد ألغت أوقاف منطقة الفلغة ، ولكنها بقيت في القرم والقفقاس والتركستان(والتي كانت تكون فيها ١٠٪ من مساحة الأراضي الزراعية) .

وقد بدأ مصادرة الأراضي الوقفية عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م ، وصادر لينين ماتبقى منها عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م. وكان يقتفي أثر مصطفى كمال في تركيا المسلمة .

وألغيت جميع المحاكم الشرعية الموجودة في الأقاليم الإسلامية عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م الخاضعة لحكمهم .

وفي عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م تم إغلاق جميع المدارس الإسلامية التي كانت عام **١٩١٧م**(**٠٠٠ ١٥** مدرسة) ابتدائية وثانوية. ومنذ تلك اللحظة لم يعد التعليم الديني ـ إذا كان هناك من تعليم ديني ـ يعطى للأطفال الذين هم في سن المدرسة إلا سرا. واستخدمت الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية في التعليم داخل المناطق الإسلامية(ثم استبدلت بالحروف الروسية منذ سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٨م) (١٢٠) .

---

(١١٨) كان عضوا في مجمع مفوضيات الشعب لشئون القوميات ، ورئيس تحرير مجلة القوميات الموسكوفية ، وأستاذا في جامعة شعوب الشرق وبد ستالين اليمنى (المسلمون في الإتحاد السوفييتي ص١٧٩).

(١١٩) المسلمون في الاتحاد السوفييتي ص٢٢٤.

(١٢٠) نفسه ص٢٢٩-٢٣٥.

وقد نفذ لينين سياسته بهدوء ، وساعده على ذلك ماحدث في البلاد الإسلامية تركية ومصر وإيران وأفغانستان وغيرها في تلك الفترة ، كذلك ساعده الشيوعيون من المسلمين ، ونفذت هذه السياسة باسمهم فأنشئت عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م في موسكو **دار الإلحاد** وهي دار نشر تتولى على نحو خاص رعاية كل مايتصل بمعاداة الدين. ثم افتتحت في موسكو دورة دراسية في العام نفسه للتدريب على وسائل مكافحة الدين ، ونظمت في مناسبات الأعياد مظاهرات صاخبة من الفتيان تهتف بسقوط الله والدين .

٢- **مرحلة حملة المجابهة على الإسلام** ١٣٤٧-١٣٦٠هـ ١٩٢٨-١٩٤١م :

وقد تميزت هذه المرحلة بإقفال معظم المساجد التي كان عددها **٢٦٢٧٩** مسجدا ، يقوم عليها **٤٥٣٣٩** رجلا من علماء الدين ، فلم يبق منها عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م ، سوى **١٣١٢** مسجدا فقط ، وقد رافق هذا الهجوم دعاية ضخمة مناهضة للدين نظمها اتحاد المناضلين الملحدين(أعضاء اتحاد من لا إله لهم) الذي تأسس عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م. وفي عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م اتخذ الشيوعيون **العلماء** هدفا لحملتهم لا الدين نفسه ، فاتهموهم بالرشوة والسرقة والإجرام وأخيرا بسوء السيرة وسوء الخلق ، واعتبروا المؤمنين والعلماء طفيليات في جسم المجتمع وأعداء للثورة ، كما اعتبروهم فيما بعد جواسيس لليابان أو لألمانيا الهتلرية. ومنعت روسيا فرضين من فروض الإسلام الخمسة وهما الحج والزكاة. وهاجمت الصيام (١٢١) .

٣- **مرحلة مهادنة الإسلام** ١٣٦١-١٣٦٥هـ ١٩٤٢-١٩٤٥م :

هاجم هتلر الإتحاد السوفييتي سنة **١٩٤١م** فاحتاج ستالين إلى معونة الشعور الديني والشعور الوطني معا حتى يستمد من الفلاح أقصى مايقوى عليه من تضحية لمقاتلة الألمان ، فاضطر إلى مهادنة العناصر الدينية (١٢٢) تطبيقا للأسلوب الجديد الذي ابتدعه أحد أقطاب الشيوعية العالمية وهو البلغاري« دتميرون» من تلامذة ستالين ، في المؤتمر عام١٣٥٤هـ /١٩٣٥م - ويعتمد هذا الأسلوب على

---

(١٢١) الكتاني - المسلمون في المعسكر الاشتراكي ، انظر المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٢٣٥-٢٣٩.

(١٢٢) كارثة القرم الإسلامية ص١٢٥.

المراحل : « **خطوة إلى الوراء وخطوتين إلى الأمام** ، للدفع الثوري الإشتراكي ، فإذا اعترض الحركة الإشتراكية الثورية نكسات فلترفع شعارات وحدة الصف ، لهدف مؤقت حتى تسلب خصوم الثورة طاقاتهم على التحدي باسم مكافحة الجوع - والعنصرية - والنازية . .. ورفع شعار السلام والتعايش السلمي (١٢٣) .

من أجل ذلك قابل ستالين عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م مفتي روسيا الأوروبية (عبد الرحمن دولاييف) ووعده بإيقاف الدعاية الإلحادية الموجهة ضد الدين الإسلامي في مقابل دعم المسلمين للمجهود الحربي السوفييتي واشتراكهم في صفوف الجيش الستاليني .

واعترفت السلطات السوفييتية للمسلمين بمصلحة دينية رسمية لها أربعة مراكز تقوم على إدراة شئونهم الدينية ، وتمثلهم رسميا لدى الحكومة . واستقبل الزعماء الدينيون هذه التدابير بكل سرور ، كما استقبلها عامة المسلمين في العالم. ودعا المسلمون إلى مؤتمر إسلامي عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م وجه نداء إلى جميع مسلمي العالم يدعوهم فيه إلى دعم الجهود الحربية الروسية. ورغم ذلك فقد حدثت مأساة القرم والكاراتشاي والبلكار والأنغوش والتشيتشن الذين بلغوا أكثر من مليون نسمة ، أتهموا بالخيانة ونفوا إلى آسيا الوسطى وإلى مجاهل سيبريا (١٢٤) .

٤- **مرحلة مهاجمة الإسلام فكريا** : ١٣٦٥-١٤٠٠هـ/١٩٤٥-١٩٨٠م :

اتخذت الشيوعية سلسلة من الحجج فزعمت أن الإسلام مثل غيره من الأديان (أفيون الشعوب) ، وينطوي على أيديولوجية رجعية مناهضة للعلم ، وأنه يعطي فكرة مضحكة وكاذبة عن المجتمع ، ويطبع المرء بطابع الإستسلام والخنوع ويصرفه عن العمل الثوري ، **وعرضت الإسلام** : على اعتبار أنه دين بدائي مضحك ، وخليط عجيب من العقائد النصرانية ، واليهودية والوثنية ، وقد وضع أسسه ممثل الإقطاعيات التجارية في مكة ، لكي يبرر دينيا حملات النهب والسلب التي يقوم بها أرستقراطيو العرب. وأن الإسلام دين غريب عنا فرض على شعوب آسيا الوسطى وماوراء القفقاس بالحديد والنار ، وأنه ظل يعمل خلال قرون في خدمة الإمبريالية العربية والإيرانية والأفغانية والتركية ، وأنه اليوم في خدمة الإمبريالية الإنكليزية والأمريكية ، وأنه أكثر الأديان محافظة في المجالين الثقافي

---

(١٢٣) عمر حليق ص١٥،١٧،٢١.

(١٢٤) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٢٥٩.

والإجتماعي ، فحال دون التجديد وأخر التطور التركستاني بدعوته المسلمين إلى الخضوع غير المشروط لمقدراتهم ولمضطهديهم(مع العلم أن الشيوعيين والروس هم أكثر الناس علما بما عانوه من مقاومة المسلمين لسياستهم واستبدادهم) . ونستطيع أن نذكر أمثلة كثيرة تدل على عداء الحزب الشيوعي للإسلام منها : أن القرآن الكريم يأمر بالظلم وعدم المساواة ، وأنه يمدح خضوع المرأة ، وأن التشريع الإسلامي عبارة عن مجموعة من القوانين هي أفظع ماعرف الإنسان من ظلم . . .

وتقع مسئولية مكافحة الإسلام والعناية بنشر الإلحاد على عاتق كل منظمات الحزب ، وعلى كل وزارات الثقافة في جميع الجمهوريات. وأما منظمة(اتحاد من لا إله لهم) فهي التي تقوم بحملات الدعاية ضد الإسلام عمليا ، ومركزها موسكو ، ولها فروع في كل الجمهوريات ، تشرف على منظمات إقليمية ومادونها من منظمات مقامة في المدن والقرى (١٢٥) . وكل الوسائل مجندة للتأثير في الجماعات ضد الدين : الأحاديث بالراديو ، والأفلام السينمائية المعادية للدين ، والمتاحف ، والمعارض الثابتة والمتحركة ، وخاصة المحاضرات والصحافة ، وكمثال **على الجهود** : أن الفرع القازاني الذي كان يشرف عام **١٩٤٨م** على نشاط(١٥) فرعا إقليميا و٢٠٩ فرعا في المدن والقرى وعلى ٨١٥ مكتبا للدعاية نظم خلال ثلاث سنوات (١٣٦٦-١٣٦٨هـ/ ١٩٤٦-١٩٤٨م) : **٣٠ ٥٢٨** محاضرة عامة منها **٢٣ ٠٠٠** محاضرة ضد الإسلام ، وألقت المنظمة في أوزبكستان سنة **١٩٥١م** أكثر من عشرة آلاف محاضرة ضد الإسلام ، كما ألقت في تركمانستان عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م أكثر من خمسة آلاف محاضرة ضد الإسلام ويضاف إلى هذه الجهود العامة **جهود خاصة** إذ يقصد الدعاة ضد الدين منازل المسلمين ويجبرون أهلها على الاستماع إلى أقوالهم .

وأما الكتب فقد طبعت المنظمة مابين عامي ١٣٧٥و١٣٧٧هـ/ ١٩٥٥و١٩٥٧م أربعة وثمانين كتابا في **٨٠٠** ألف نسخة وزعتها في المناطق الإسلامية من الإتحاد السوفييتي .

وانعقد مؤتمر داخلي عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م لمعالجة الإسلام ومشكلة السوفيات معه في المناطق الإسلامية الخاضعة للحكم السوفياتي ودعي : المؤتمر العام لجميع الولايات السوفياتية حول قضايا الدعاية الإلحادية العلمية - قال فيه م .ب

(١٢٥) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٢٧٦.

مامين (١٢٦) :« من الواجب أن نبرز ونؤكد الصفة غير العلمية للدين الإسلامي ، على أن نراعي الدور السياسي الخطير الذي يلعبه الإسلام في آسيا وأفريقيا حيث أنه مصدر الوحي لعدد مهم من حركات التحرير الوطني هناك ، وخصوصا عند الشعوب العربية كمسألة العداء لإسرائيل .. وطالما أن لمصر مركزا تقليديا في المنطقة العربية فإن علينا أن نعتمد على روابطنا مع مصر ، التي تسير اليوم في الطريق الإشتراكي ، لكي نقوم بما يجب القيام به من جهد مشترك لفهم حقائق الضعف والقوة في النزعة الإسلامية عند العرب وبقية المسلمين ، ونستطيع على ضوء ذلك وضع القواعد والأساليب الرشيدة والمتينة لمكافحة الإسلام .. » (١٢٧) .

وبعد موت ستالين أشرف الأمين العام السابق للحزب الشيوعي السوفييتي خروتشوف بنفسه على تنفيذ مخطط يرمي إلى تصفية المسلمين في التركستان ، واضعاف قوتهم عن طريق تهجيرهم ودمجهم في المجتمعات الإلحادية حتى تخرج الأجيال الجديدة من أبنائهم على صورة هذه المجتمعات بعيدة عن العقيدة الإسلامية ، وظهر خلال ثلاث سنوات (١٣٨٠-١٣٨٤هـ) (١٩٦٢-١٩٦٤م) ٢١٩ كتابا ونشرة ضد الإسلام خاصة أو موجهة إلى المسلمين بلغاتهم المحلية (١٢٨) .

وقد سمح للمراكز الدينية أن تنشر عددا ضئيلا من الكتب الدينية ، فطبع عام **١٩٥٦م** في مركز آسيا الوسطى القرآن الكريم بالعربية طبعة أنيقة وجميلة وغنية بالحواشي ولكنها مليئة بالأخطاء المتعمدة على الأغلب. أما التعليم الديني فقد منع منعا باتا في مدارس الدولة ، ولم يسمح منذ سنة **١٩٤٥م** إلا بمدرسة واحدة في طول البلاد وعرضها وهي مدرسة ميري عرب في بخارى ، أنشئت عام ٩٤٢هـ/١٥٣٥م ، وأغلقت بعد الثورة الشيوعية ، ثم أعيد فتحها سنة

---

(١٢٦) عمر حليق ص٩١.

(١٢٧) عمر حليق ص٩١.

(١٢٨) مجلة الدعوة العدد ٧٣٢. واستغلت بالطبع ماكان يصدر في مصر من وسائل لمحاربة الإسلام ، في العهد الذي دعي بالإشتراكي. حيث قامت الصحف المصرية والكتب تستخدم المادية الجدلية (الديالكتيك) والتاريخية للتدليل على انتهاء دور الدين في حياة البشرية ، والسخرية به. فاستغل ذلك شيوعيو الإتحاد السوفييتي فكانوا ينشرون ذلك للمسلمين هناك ، بما في ذلك الكاريكاتيرات الساخرة التي كان يرسمها صلاح جاهين في الصحف المصرية !! (انظر أمثلة من ذلك : واقعنا المعاصر ـ محمد قطب ص٣٥٨-٣٥٩).

١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ، ولاتضم هذه المدرسة التي ينتهي منها الطالب في بحر خمس سنوات إلا نحو مائة طالب ، أكثرهم التحق عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م بجامعة الأزهر .

هذا وقد تابع الشيوعيون **سياسة الترويس** :

فالعمل على ايجاد اللغات المتعددة جعل الروسية هي اللغة الجامعة الرسمية للاتحاد السوفييتي في الأقاليم الإسلامية بقرار الحزب والقيادة السوفيتية سنة **١٣٥٧هـ** بجعل اللغة الروسية لغة رسمية لجميع الشعوب التي تخضع لحكمهم ، وأصبحت تدرس إلى جانب اللغات المحلية ، وسعى السوفييت لتقويتها لتفتيت المسلمين (١٢٩). فقد **تعرضت اللغات القومية إلى هجومين داخلي وخارجي** :

ويرمي الهجوم **الداخلي** إلى جعل اللغات القومية عصرية ، والقصد من ذلك تطهيرها من الكلمات الدينية والعربية والفارسية. ويكمل هذه الهجمة مايدخل على اللغات القومية من مصطلحات جديدة سياسية واقتصادية وفنية وقانونية مأخوذة من اللغة الروسية ، أو من اللغات العالمية وليست منحوتة من أصول اللغة ذاتها ، كما كان يفعل فيما مضى ، وتحتفظ هذه المصطلحات الجديدة بصورتها اللفظية كما هي في الأصل ، وتجري في صرفها ونحوها مجرى اللغة الروسية ، وتهدف السياسة المتبعة إلى إحلال اللغة الروسية محل اللغات الإسلامية ، لكي تباعد بين أصحاب هذه اللغات وبين الأقوام التي تربطها صلات قربى ، ليصبح من الصعب تفاهم الأقوام المسلمة الخاضعة للإتحاد السوفييتي مع الأقوام الإسلامية المستقلة مثل تركيا وايران وأفغانستان. هذا بالإضافة إلى أن ترويس اللغات المحلية هو وسيلة لفرض الثقافة الروسية .

وأما الترويس **الخارجي** أي اتخاذ اللغة الروسية لغة أم أولى أو ثانية فهو وسيلة أخرى لتقريب الشعوب الإسلامية من الشعب الروسي ، ولابد للشباب المسلم الذي يريد متابعة دراسته العالية من الإلمام باللغة الروسية ، كما أنها شرط لبناء مستقبله وبخاصة في الحياة . . . ورغم ذلك فإن نسبة المتروسين من المسلمين ضئيلة. وعلى كل فأصبح في الإتحاد السوفييتي **٧٠** لغة محلية (١٣٠) .

وعمد الشيوعيون لاضعاف المسلمين وترويسهم إلى **تهجير المسلمين** ، **واستيطان الروس** في البلاد الإسلامية. وقد وجد أن قبول الروسية أكثر سرعة

(١٢٩) مجلة المجلة - ربيع الثاني عام ١٤٠٠هـ.

(١٣٠) انظر : المسلمون في المعسكر الاشتراكي للكتاني ص٥٨.

في الجاليات التي تنتقل إلى منطقة غير منطقتها ، حتى ولو كانت المنطقة التي تنتقل إليها منطقة إسلامية ، وخاصة إذا كانت في المدن . وقد تعرضت بلاد الإسلام في الإتحاد السوفييتي لغزوات شركات صناعية روسية ، فرت أمام الغزو الألماني سنتي ١٣٦٠هـ/١٩٤١م و ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م واستعمرتها ، كما جاءتها أفواج كثيرة من المهاجرين ، فأحدث هذا الغزو انقلابا إقتصاديا مصحوبا بانقلاب في السكان ، ومثل ذلك آسيا الوسطى التي تأثرت أكثر من غيرها بهذه الهجرة. فزادت نسبة الروس على حساب المسلمين ، وبذلوا كثيرا من المساعي لطبع المسلمين بالطابع الروسي الذي أخذ يبدو أكثر وضوحا وحِدّه إذ أنها لم تعد موجهة إلى قبضة من النخبة بل أصبحت خمس الشعب كله(١٣١) .

كما فرض الشيوعيون **سياسة العزلة** للمناطق الإسلامية بعضها عن بعض من ناحية ، وبعضها عن الأقطار الإسلامية من ناحية أخرى - فلقد عاش المسلمون فترة طويلة في ظل الحكم الشيوعي وهم في كأس مغلق بعيدين عن العالم الخارجي وهو مايسمى **بالستار الحديدي** (١٣٣٩١-١٣٩٨هـ /١٩٢٠-١٩٧٨م) فأبعدتهم روسيا عن التيارات العالمية وعن المسلمين وانفردت بهم ، وفي عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م تمكنت روسيا من الإشتراك في منظمة الشعوب الإفريقية التي أنشأتها الإشتراكية المصرية فسمح بذلك للإتحاد السوفييتي أن يشارك(بل يسيطر) على حلقات الآسيويين والافريقيين والعرب(الذين رفضوه عضوا في مؤتمر باندونج عام **١٩٥٥** لأنه دولة أوروبية تستعمر مناطق آسيوية هي ديار الإسلام في آسيا الوسطى) . فتمكن بذلك من ضبط تصرفات الآسيويين والإفريقيين السياسية والعقائدية بحيث لاتتطرف ، فتسعى لإثارة قضايا استعماره على تلك الديار ، وهي المناطق الوحيدة في العالم بأسره التي لم تزل خاضعة خضوعا كاملا للحكم الإستعماري الأجنبي (١٣٢) .

بل أخذت روسيا تحارب الإسلام بمسلمين فأرسلت مفتيا مسلما من أعضاء الحزب الشيوعي هو : بابا خانوف إلى اجتماعات منظمة الشعوب الآسيوية الإفريقية ليحارب الرجعية عميلة الإستعمار. وذكرت المجلة السوفياتية : العلم والدين(عدد ٥ عام ١٩٦١م) : ان عددا من مخضرمي الماركسية المصرية ذهبوا للتدريب على الأسلوب السوفييتي لمكافحة الإسلام (عقائديا وسياسيا) في المعهد

(١٣١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٢٦٢،٢٦٥،٣١٨،٣٢٧

(١٣٢) عمر حليق ص٨٨-٨٩.

الذي أنشأه السوفيات في قسم الدراسات التاريخية لجامعة آسيا الوسطى في طشقند عام ١٩٦٠م (١٣٣) .

وفي العام ١٩٦٢ نشرت المجلة نفسها مع قطب يساري مصري حديثا يقول فيه :« إن رحلة جاجارين إلى الفضاء قد محت كل الهراء الذي جاء في القرآن والحديث والفقه الإسلامي » ووزع هذا الحديث على نطاق واسع وأذيع مرارا وتكرارا من جميع محطات الإعلام السوفياتية الموجهة للمسلمين في آسيا الوسطى السوفياتية .

وفي عام ١٩٦٣م أخرج السوفيات مسرحية تهزأ بعلماء الدين المسلمين ومسرحية غنائية - هي سخرية بأحد العلماء الواقع في الإنحطاط الأخلاقي الكامل إلى أن اعتنق الماركسية فسمت أخلاقه وصفاته (١٣٤) .

ولزيادة عزلة المسلمين وغربتهم عن الإسلام حثت موسكو على وحدة القوى الثورية ، ووضعتها في قالب جديد يتركز ضد الرجعية الدينية(على حد تعبيرها) في منطقة الشرق الأوسط ، وربط هذه الرجعية بالإستعمار ، فنشرت مجلة العلم والدين في عددها التاسع عام ١٩٦٤م :« أن على مكاتب الإلحاد العلمي وفروع الحزب الشيوعي في المناطق الإسلامية أن يشرحوا للمسلمين بأن أهم معقل للإسلام اليوم هو الجمهورية العربية المتحدة ، وأن هذا المعقل قد اختار الإشتراكية العلمية نظاما له في الحكم والمعاش والسياسة والتنمية والعلاقات الخارجية ، وأن أي مسلم في الإتحاد السوفييتي يخالف الحياة الإشتراكية في الفكر أو في السلوك فإنه رجعي وعميل للإستعمار ، مما يستوجب على الدولة إزالته من الوجود ، لأنه عدو للشعب وللشعب السوفياتي وللأخوة الإشتراكية العالمية ، التي تضم معقلا إسلاميا هاما هو الجمهورية العربية المتحدة » (١٣٥) .

وفي عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م وقفت روسيا بقوة ومعها القوى العربية الإشتراكية في وجه دعوة الملك فيصل بن عبد العزيز إلى التقارب الإسلامي ، محافظة منها على مصالحها في التسلط على رقاب المسلمين في الإتحاد السوفييتي (١٣٦) ومحاولة عزلهم عن إخوانهم خارج الستار الحديدي .

---

(١٣٣) نفسه ص٩١.

(١٣٤) عمر حليق ص٩٢.

(١٣٥) نفسه ص٩٧.

(١٣٦) نفسه ص١١١.

والسؤال الذي يردد الآن : إلى أي مدى نجحت السياسة الشيوعية ؟ والجواب نجده في الصحف السوفياتية ، وفي تعثر السياسة السوفييتية نفسها. ففي **٢٢** أكتوبر سنة **١٩٦٤م** نشرت جريدة الحزب الشيوعي في أوزبكستان برافدا الشرقية بأن الوزير المحلي للتجارة قد طرد من منصبه لأن ابنته تزوجت حسب الشرع الإسلامي وليس في مكتب الحزب الشيوعي ، كما هو مفروض في التشريع المحلي ، وأن زوجته حين توفيت جرى دفنها على الطقوس الإسلامية (١٣٧). وفي العدد نفسه تحذير إفتتاحي من أعضاء الحزب الشيوعي المحلي للشباب المسلمين في أوزبكستان بأنهم إذا استمروا على القيام بالطقوس الإسلامية والإنتماء إلى الدين الإسلامي فإنهم سيرسلون إلى معسكر الإصلاح الفكري ليتطهروا من هذه الأوحال الإسلامية .

وفي عدد **٢٥** فبراير **١٩٦٤م** نشرت مجلة كوزمولوسكايا برافدا ـ صحيفة منظمة الشباب الشيوعي ـ مقالا تهدد فيه الناشئة المسلمين في المناطق الإسلامية عنوانه« الإسلام لاينوي أن يستسلم » ، وفي عدد **٢٦** يوليو سنة **١٩٦٤م** من جريدة برافدا الشرقية« تسجيل القرارات للحزب الشيوعي المحلي في أوزبكستان والاجراءات التي تم تدبيرها لقمع حركة البعث الديني في المناطق الإسلامية »(السوفياتية) ومنها : طرد المسلم من عمله إذا مارس ديانته ، وفصله عن أبنائه وبناته لئلا« يكونوا بهذه الرجعية التي يذكرها الإستعمار من وراء الحدود . .. أي من الإذاعات الدينية التي تصدر من أفغانستان وباكستان وايران وهي المناطق المجاورة لديار المسلمين الخاضعة للحكم السوفييتي »(١٣٨) .

وفي العدد الرابع من مجلة العلم والدين لسان حال العهد الإلحادي نصت قرارات أصدرتها موسكو لمحاربة البعث الإسلامي في مناطق آسيا الوسطى عن طريق : التحريف ، والتفسير المادي للقرآن وإظهار افتقاره إلى الأصول العلمية والخرافات أو الشعوذة والفكر الإستعماري الذي فيه (١٣٩) .

وقد أشارت الصحف إلى ماانتاب الكرملين (**يوليو عام ١٩٧٤م/١٣٩٤هـ**) من موجات القلق والتوجس بسبب تزايد انتشار الإسلام في الأطراف المترامية على الحدود الروسية ، وذيوع مباديء وتعاليم الإسلام فقد

---

(١٣٧) نفسه ص٩٤.

(١٣٨) عمر حليق ص٩٥.

(١٣٩) نفسه ص٩٧.

دفع الغضب من هذه الموجة قادة الحزب الشيوعي لاتخاذ إجراءات عنيفة لصد تيارات هذه الموجة ، ووقف مدها المتزايد ، سواء في داخل الإتحاد السوفييتي أو في الدول المواليه له ، في منطقة جنوبي شرقي آسيا ، إلى درجة إلقاء القبض على كل من أعلن إسلامه ثم صدور الحكم بإعدامه. وأكدت الأنباء التي تسربت رغم التشديد بعدم نشرها أن من يصدر عليه الحكم بالإعدام بتهمة اعتناق الإسلام كان يتغنى فرحا وهو يساق إلى ساحة الإعدام ويردد مزهوا :« لاإله إلا الله محمد رسول الله » (١٤٠) .

ومما يثبت فشل السياسة الشيوعية أن أبناء الأقاليم الإسلامية وخاصة جمهوريات التركستان وأذربيجان وقفقاسيا يعتبرون أوطانهم من ديار الإسلام ، ويعملون جهد طاقاتهم على المحافظة على الإسلام فيها باحياء تراثهم الإسلامي ، وثقافتهم الإسلامية ، والعمل جهد طاقاتهم على إعادة فتح المساجد التي اعتدى الشيوعيون عليها ، ويمدون أيديهم إلى اخوتهم المسلمين رغم السدود والحواجز ويشاركونهم أفراحهم وأتراحهم . غير أنهم لم يعودوا يشكلون الكيان ذاته الذي كان يميزهم قبل الثورة ، بل أصبح الإسلام اليوم صفة من جملة الصفات التي تميزهم عن الروس (١٤١). فقد بلغ عدد المسلمين أكثر من ربع سكـان الإتحاد السوفييتي (١٤٢) ولكن أثرهم في الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية لا يساوي شيئا بالمقارنة إلى **اليهود** الذين يشكلون حوالي ١٪ فقط من سكان الإتحاد السوفييتي. فهم يشكلون على حد تعبير كوشان مجموعة ممتازة ونادرة بين قوميات الإتحاد السوفييتي ، وفي حين بلغ عدد الطلاب اليهود في الجامعات والمعاهد العليا السوفييتية في أواخر الستينات ١١٠ آلاف طالبا بلغ في فلسطين المحتلة ٣٥ ألفا فقط ، رغم أن العدد الكلي لليهود السوفييت يقل عن عدد اليهود في فلسطين المحتلة (١٤٣). وكانت قد شهدت أواسط الخمسينات والسنوات التي تلتها ارتفاعا بالغا في عدد الطلاب اليهود في المعاهد العليا والجامعات ففي عام

---

(١٤٠) أنور الجندي ـ هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام ص١٥٤.

(١٤١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٢٨٩.

(١٤٢) تجدر الإشارة إلى أن تعداد المسلمين بالاتحاد السوفييتي من الأمور الصعبة بسبب إحصاء السكان على أساس قومي فقط ، وحركة تهجير السكان من منطقة لأخرى أمر مألوف بجمهوريات الاتحاد السوفياتي.

(١٤٣) اليهود السوفييت ـ سلامة حمادي ص١١٢.

١٣٨٠هـ/١٩٦٠م حقق اليهود النسب التالية في الإتحاد السوفييتي :
٤و٣٧٪ من الأطباء ، ٤٠٪ من المحامين والقضاة ، ٩٪ من الفنانين ، ٨و٩٪ من الكتاب والصحفيين ، ١٩٪ من الموسيقيين ، ١١٪ من العاملين في مجالات البحث العلمي ، كما يذكر بأن : ١٠٢ مهندسا بينهم عشرة مهندسين يهود تلقوا جائزة لينين سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م وتولى منح جائزة الدولة على النحو التالي : عام ١٩٦٧م ٢٠٣ سوفييتيا بينهم ٢٩ يهوديا ، عام ١٩٦٨م: ١٩٢ سوفييتيا بينهم ٣٠ يهوديا ، عام ١٩٧١م: ٢٢٨ سوفييتيا بينهم ٢٦ يهوديا ، عام ١٩٧٢م: ١٨٥ سوفييتيا بينهم ٢١ يهوديا (١٤٤) .

ولاعجب في ذلك فالشيوعية كما أكد الملك فيصل بن عبد العزيز : هي وليدة الصهيونية. فقد أمدت اليهود في فلسطين بقوة غازية متدربة فبين عامي (١٣٣٨هـ و١٣٥٨هـ ١٩١٩م و١٩٣٩م) وصل إلى فلسطين أربعون ألفا من أصل الكتلة اليهودية البالغة في ذلك الحين نحو ثلاثة ملايين . وكانت غالبيتهم من الصهيونيين المنظمين المتدربين .

وأعلنت جماعتان يهوديتان أمريكيتان أن عدد المهاجرين اليهود من الإتحاد السوفييتي بلغ أكثر من ٢٦٠ ٠٠٠ يهودي بين عامي ١٩٧٠م ، ١٩٨٤م (١٤٥). وبضغط من الولايات المتحدة سمح الإتحاد السوفييتي بهجرة ستة آلاف أسرة يهودية في الشهور الثلاثة الأخيرة من عام ١٩٨٨م /١٤٠٩هـ وهو أكبر رقم خلال السنوات الثماني الأخيرة (١٤٦) .

كما كانت روسيا أول من اعترف بالدولة الصهيونية في فلسطين عام ١٩٤٨م فبينما كان مجلس الأمن مستمر في مناقشاته عام ١٩٤٨م ويكيل فيه غروميكو

---

(١٤٤) نفسه ص١١١. وانظر عمر جليق ـ موسكو وإسرائيل ، وجريدة الندوة السعودية العدد ٢٤/٣٩٠٢ شوال ١٣٩١هـ/ ١٢ ديسمبر١٩٧١م.

(١٤٥) الشرق الأوسط ص٥ وص٢ ويذكر أنه يوجد بالاتحاد السوفييتي بين٢,٥ و٣ ملايين يهودي. السبت ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ ١٩٨٥/١/٥م العدد ٢٢٣٠. وهناك خطة إسرائيلية أمريكية سوفياتية فرنسية لنقل اليهود الروس إلى فلسطين المحتلة ظهرت في قمة جنيف بين غورباتشوف وريجان ، الشرق الأسط العدد ٢٥٤٢ ، الأربعاء ١ ربيع الأول ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥/١١/١٣م. ص١ وص٢.

(١٤٦) المسلمون العدد ٢٠١ الجمعة ٣٠ربيع الثاني ١٤٠٩هـ/٩ ديسمبر ١٩٨٨م.

الإتهامات والشتائم للعرب (١٤٧) كانت الدولة الإشتراكية تتسابق لإمداد الجبهة الصهيونية بالأسلحة والخبراء والمهاجرين اليهود الذين جرى تدريبهم على حرب العصابات في معسكرات خاصة في دول أوروبا الشرقية. وقد بلغ ماشحن إلى ميناء حيفا على البواخر الرومانية واليوغسلافية ٢٤ طائرة تشيكوسلوفاكية و١٢٦ دبابة متنوعة و٤٠ سيارة مصفحة و٧٠ مدفعا ثقيلا و٣٥٠ من المدافع المتنوعة ومائة ألف بندقية ورشاشة و١٥٠ طنا من القذائف اليدوية و٨ آلاف طن من الذخائر وألف سيارة نقل (١٤٨). بل يكاد يكون كل أفراد الجيش اليهودي من يهود الإتحاد السوفييتي إلا القليل (١٤٩) .

وأما« جاكوب مالك» وزير خارجية الإتحاد السوفييتي فقد صرح في مجلس الأمن بتاريخ ١٩٤٨/١٢/٢م قائلا :

« لقد وجدت إسرائيل لتبقى في موطن أجدادها ، ووجود إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط سيكون عنصر خير وسلام ، وأمثولة للجماهير العربية الطامحة إلى التخلص من الإستعمار ، والرجعية ، إن إسرائيل تسعى إلى السلام ، والتعايش السلمي مع جيرانها العرب الذين يرفضون ذلك بسبب الإستعمار ، والحكم الرجعي العربي ، ولن يتخلف الإتحاد السوفييتي عن تقديم العون لإسرائيل ، وحركات التحرر العربية المتقدمة لتنظيف الوسط العربي من الإستعمار والرجعية » (١٥٠) .

وفي حديث صحفي للملحق العسكري السوفياتي لمراسل معاريف في باريس (٢٢ يونيو سنة ١٩٦٤م) ونقلته الصحافة السوفياتية وصحف العالم ووكالات الأنباء إلا العربية جاء فيه الخطة الشيوعية لتأييد إسرائيل قائلا :« فلا تقلقوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية فهذه السياسة متممة بل ضرورية لسلامة إسرائيل) وختم حديثه قائلا :« أتظن أننا جاهلون أهمية إسرائيل بالنسبة لنا ، أتظن أننا لانعلم على اليقين مانوع الحكم الإشتراكي السليم الذي تبنونه في إسرائيل بسواعدكم في المنطقة المهمة في الشرق الأوسط ؟ وهل يدور بخلدك أننا مجانين

---

(١٤٧) قلعجي ص١٤٩. ، الشيوعية وليدة الصهيونية ص٧٥.

(١٤٨) قلعجي ص١٥٩.

(١٤٩) الشيوعية وليدة الصهيونية ص١١٠.

(١٥٠) والأهم عنده القضاء على الإسلام !! فهل يعي المخدوعون من المسلمين بالاتحاد السوفيتي!! أنظر سنقرط (٤) ص٦٧.

حتى تنهدم إسرائيل أو نسمح لأي طرف آخر بأن يمسها بأي أذى ؟ إطمئنوا ، إطمئنوا ، وثقوا أن الإتحاد السوفياتي مع إسرائيل وسيؤيدها اليوم وغدا كما أيدها ورعاها بالأمس .

إن وجود إسرائيل قوية وعزيزة حيث هي الآن أمر جد ضروري لسياسة السوفيات في كل المنطقة العربية فمصالحنا ومصالح إسرائيل واحدة . وكونوا على ثقة من أننا سنرعى الإشتراكية العربية ، لأن ذلك تعزيزا لمصلحة إسرائيل مثلما هو تعزيز لمصلحتنا نحن السوفيات » (١٥١) .

وعندما كان الرئيس جمال عبد الناصر في موسكو عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م إستدعت السلطات السوفياتية حاخام اليهود الأكبر في روسيا (يهودا ليجين) وطمأنته بأن السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط مجردة من العداء للدولة اليهودية أو المصالح اليهودية بل هي تقتضي ذلك لأنها تقوم على مصادقة إسرائيل وصيانة المصالح اليهودية ، وأعلمته بأنها أصدرت أوامرها للجنة السوفياتية العليا للشئون الدينية في موسكو بإزالة كل القيود عن النشاط اليهودي القوي في الإتحاد السوفييتي. وكان هذا الحاخام على صلة وثيقة بالدولة اليهودية ، وقد نقل إليها ماتبلغه من السلطات السوفياتية (١٥٢) .

وقد أعلن جروسيكو الذي عين رئيسا لمجلس السوفييت الأعلى عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، وهو العريق في تأييد الصهيونية (١٥٣) في إذاعة له من موسكو باللغة العربية مايلي :

١ـ لسنا أعداء إسرائيل ونريد بقاءها .

٢ـ ندد وعارض من وصفهم بالمتطرفين العرب ورغبتهم في القضاء على دولة إسرائيل .

٣ـ معارضة السياسة الإقليمية لإسرائيل .

٤ـ تأييده للشعب العربي من أجل استعادة الأراضي التي تحتلها إسرائيل منذ

---

(١٥١) انظر عمر حليق ص٥٩ ، الشيوعية وليدة الصهيونية ص١١١-١١٢.

(١٥٢) الشيوعية وليدة الصهيونية ص٧٦ ، عن صحيفة الشيوعيين الفرنسيين عدد ١٨ سبتمبر ١٩٦٥م.

(١٥٣) نشرته كاملا ـ الشرق الأوسط يوم الأربعاء ١٩٨٥/٧/٢٤م. ، وانظر عن عدائه وشتائمه للعرب في الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م ، قلعجي ص١٤٦-١٤٩. ، والشيوعية وليدة الصهيونية ص١٠٣. وانظر المجتمع العدد ٨٨٨.

عام ١٩٦٧م ومن أجل إنشاء دولة فلسطينية مستقلة (١٥٤) .

وأعلن جورباتشوف مثل ذلك بعد تنحية جروميكو ، واعلانه لسياسته البروسترويكا .

ولاتزال روسيا تمارس لعبة مع أمريكا ، ومن ينظر بمنظار صحيح يراهما وجهان لعملة واحدة ، فقد جمدت روسيا علاقاتها بإسرائيل بعد عام ١٩٦٧م ولكنها تبادلت مع أمريكا صفقة بمد إسرائيل بالرجال اليهود ، ونشرت صحيفة النيويورك تايمز بأن روسيا ستعيد العلاقات مع إسرائيل (١٥٥). كذلك عرضت موسكو زيادة الهجرة اليهودية إلى إسرائيل لقاء التجارة مع الولايات المتحدة الأمريكية (١٥٦) وهي صفقة تظهر في اللقاء بين غورباتشوف وريغان (١٥٧) .

وقد درجت موسكو على أن ترسل للبلاد العربية والإسلامية الشيوعي المسلم في عمليات التخطيط. كالزيارة التي قام بها الوفد البرلماني السوفياتي لدمشق برئاسة عاقل سليموف نائب رئيس مجلس السوفييت الأعلى ورئيس مجلس السوفيات في جمهورية أوزبسكتان (١٥٨) .

هذه صور من أثر اليهود في الاتحاد السوفييتي لتدرك الفرق الهائل بين أثر اليهود وبين أثر المسلمين الذين يعانون أشد أنواع الإضطهاد .

ولا عجب في ذلك(فكارل ماركس) أبو الشيوعية كان من تلامذة(موسى هس) ولم تجذبه إليه يهوديته فحسب بل آراؤه الإشتراكية وماسماه ماركس نضالا في الفكر والحياة (١٥٩). (وهرتسل) نفسه تأثر بموسى هس (١٦٠). وممن مول الحركة الشيوعية التي انتهت بثورة أكتوبر في روسيا المليونير اليهودي(يعقوب شيف) بأمريكا ،(وماكس واربورج) اليهودي الصهيوني القاطن في استوكهولم ، ومؤسسة كوهين ولوين الصهيونية بأمريكا. ومؤسسة اوتوكوهين الصهيونية بألمانيا ، كما كانت الصحافة اليهودية تمهد للثورة الشيوعية في روسيا فلما نجحت

---

(١٥٤) الشرق الأوسط ص١٨ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥/٨/٢١م.

(١٥٥) الشرق الأوسط السبت ١٤٠٦/٢/١٩هـ ، ١٩٨٥/١١/٢م.

(١٥٦) الشرق الأوسط ص١ الاثنين ١٤ جمادى الأول ١٤٠٥هـ/ العدد٢٢٦٠.

(١٥٧) نفسه ص٣ الثلاثاء ١٩٨٥/١/٢٢م.

(١٥٨) نفسه السبت ١٤٠٦/٢/١٩هـ/١٩٨٥/١١/٢م.

(١٥٩) الشيوعية وليدة الصهيونية ص٥٣.

(١٦٠) نفسه ص٥٤.

كانت تشيد بمدحها (١٦١). وتم تأليف أول حكومة مؤقتة لحماية الثورة برئاسة اليهودي كيرنسكي. ومن أبرز وزرائه اليهود : مليكوف ، ولفسوت وكوتخوكوف ، وانتخب اليهودي كامينيف أول رئيس للجمهورية السوفييتية وتولى لينين رئاسة الحكومة ، وتروتسكي اليهودي وزارة الخارجية .

وألفت الحكومة أول مجلس شيوعي قوامه **٥٤٧** عضوا منهم **٤٤٧** من اليهود الغلاة المتعصبين ، وتأسست اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في بداية الحكم من **٣٨٨** عضوا ، منهم **٣٧١** يهوديا و**١٦** روسيا وزنجي واحد (١٦٢) .

وفي عهد لينين كان **٩٥٪** من أعضاء السوفييت البلاشفة يهودا (١٦٣) . وأما في عهد الإنفتاح المعاصر ـ عصر غورباتشوف ـ فقد أكد أن الإتحاد السوفييتي لا يكن عداء لليهود ويعترف بحق إسرائيل في الوجود ، وتمت إتصالات كثيرة بين الكيانين ،وبين أن عودة العلاقات السوفياتية الإسرائيلة التي قطعت عام **١٩٦٧م** مصلحة مشتركة ومطلبا ملحا للطرفين (١٦٤) .وأدى كل ذلك إلى استعداد ألمانيا الشرقية بتقديم تعويضات لليهود(بحجة ضحايا النازية) وتقدر الدفعة الأولى من هذه التعويضات بمائة مليون دولار (١٦٥). وهكذا فمهما تغيرت الأوضاع فإن العداء للإسلام قائم ، إلى أن يعي المسلمون ذاتهم .

مرحلة الانفراج ١٩٨٠-١٩٨٩م :

وقد شهدت أوضاع المسلمين **انفراجا** نوعا ما منذ عام **١٩٨٠م** إلى اليوم ، وقد يكون هذا الانفراج جزءا من المخطط السوفييتي السابق الذكر(خطوة إلى الخلف وخطوتين إلى الأمام) فسياستهم تتلون حسب مصالحهم ولكنها تضمر الشر للمسلمين وتنتهز الفرص لذلك (١٦٦). ولعل **أسباب الإنفراج** تعود إلى :

١ـ للتغطية على غزو الإتحاد السوفييتي للأفغانستان حتى تتمكن من ابتلاعها .

٢ـ دغدغة الرأي العام الإسلامي وخاصة تجاه غزو أفغانستان .

٣ـ الصحوة الإسلامية التي يشهدها العالم الإسلامي. فقد تسايره حتى تتمكن

---

(١٦١) الشيوعية وليدة الصهيونية ص٦٥.

(١٦٢) نفسه ص٤٧.

(١٦٣) نفسه ص٤٨. وانظر : نفسه ص٧٢. والخطر اليهودي ص٥٨ في الهامش.

(١٦٤) المجتمع العدد ٨٨٨ ص٣٤ـ٣٥.

(١٦٥) المسلمون العدد ١٩٥ / الجمعة ١٨ ربيع الأول ١٤٠٩هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٩٨٨م.

(١٦٦) انظر ص ٥٤٠ من هذا الكتاب

من وضع الخطط لمكافحة هذه الصحوة أو القضاء عليها .

٤ـ مناهضة السياسة السوفييتية للسياسة الصينية.

فقد اختفت المنشورات التي كانت تهاجم الدين وتؤكد على الغياب الحتمي له ، وحلت محلها منشورات تعترف بقدرة الأديان على الاستمرار وتمكنها من التأقلم ! مع المجتمع الاشتراكي . وبدأت أعمال ترميم مدرسة «ميرعرب» في بخارى ، كما فتح معهد بخارى الإسلامي في مدينة طشقند عاصمة أوزبكستان (١٦٧) .

وقام السوفيات بدعوات لعقد مؤتمرات إسلامية دولية ، فقد دعت الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان لعقد مؤتمر إسلامي للبحث في موضوع الإمام البخاري والعصر الحديث ، وعقد في مدينة سمرقند وحضره مندوبون عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وعن كثير من الدول الإسلامية ، وعقد مؤتمر إسلامي آخر لتأييد الدول العربية ضد إسرائيل . ومؤتمر آخر في مدينة طشقند في نهاية عام ١٤٠٠ (١٦٨). وأهم من ذلك قرار حرية العبادة بعد أن حرم المسلمون منها طيلة ستين عاما . واستفاد البابا من هذا القرار فاتصل بجورباتشوف لأول مرة في تاريخ الاتحاد السوفييتي ، فاستغل النصارى واليهود هذا الانفتاح وفي لقاء ريغان وغورباتشوف طلب ريغان فتح الكنائس المغلقة (١٦٩). فماذا فعل المسلمون من باب اظهار التعاطف مع المسلمين هناك على الأقل (١٧٠) .

وتقوم موسكو في الوقت نفسه بمضايقة الإسلام بأشكال مختلفة فقد حاكموا الداعية الإسلامي أكبر ديشكولوف في جمهورية أوزبكستان بحجة قيامه بالدعوة الإسلامية سرا ، وقضوا بسجنه لمدة عامين في أحد معسكرات العمل الشاق. كما اعتقل عدد من الدعاة بقرار من الزعيم السوفييتي ميخائيل جورباتشوف الذي أصدر توجيهاته بالرد بقوة وحزم ضد التيار الإسلامي السري في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز (١٧١) .

---

(١٦٧) جريدة الدستور الأردنية ص ٤ الجمعة ١٤٠٨/١٢/٢٢هـ رقم ٧٥٢٧ السنة٢٢

(١٦٨) محمد صفوت السقا ـ المسلمون في الاتحاد السوفيتي ص٤١.

(١٦٩) المسلمون ـ العدد (١٧٥) ص١١.

(١٧٠) القبس الكويتية العدد ٥٧٦٥ / الثلاثاء ١٦ شوال ١٤٠٨هـ / ٣١مايو (آيار) ١٩٨٨م.

(١٧١) المسلمون العدد ٣٧ ص٥ صفر ١٤٠٦هـ ١٩/١٠/١٩٨٥م.

كما عمدت إلى مقاومة الصحوة الإسلامية بإصدار عدد من الكتب والمؤلفات التي تسيء إلى الإسلام ومن بينها كتاب صدر في موسكو عنوانه :

« كيف تستخدم الإمبريالية والرجعية الإسلام من أجل التخريب ». وكتاب آخر بعنوان :« الإسلام والتخلف » (١٧٢). كما تحارب الإسلام بالمسلمين بحث الشيوعيين العرب على تنفيذ ماتريده موسكو بالعمل على الائتلاف مرحليا مع الجماعات الدينية ، لاسيما في الجامعات وإنشاء أرضية مشتركة مع من تلمس فيهم الروح اليسارية عن طريق ماعرف بعدئذ **باليسار الإسلامي**. ومايقتضيه ذلك من الحديث عن الإمام علي واشتراكية عمر وأبي ذر. أي فكرة بلشفة الإسلام وهذا خطر فكري كبير على شباب المسلمين. لابد من وعي المسلمين عليه ، والوقوف في وجهه ، والحذر من الانسياح وراءه وتحذير المسلمين العوام والمتوسطي الثقافة منه .

هذا وقد طلع غورباتشوف على العالم ببرنامجه(البروسترويكا) بين فيه قصور وعجز النظام الماركسي ، وأوضح فيه عزمه على إحداث ثورة حقيقية في بلاده في جميع المجالات ، وشرع في إحلال نظم وأساليب وممارسات جديدة في العمل والإدارة والتربية والسياسة والإقتصاد والإعلام في الاتحاد السوفييتي. وأطاح برؤوس الماركسيين من النظام السابق مثل جروميكو وأبعد ٦٩٪ من وزراء الاتحاد. وأعلن الإنفتاح ، فأخذت الماركسية تتهاوى ، بدءا بملكية وسائل الانتاج للدولة وتحريم ملكيتها على الفرد حيث اعطى قانون القطاع الخاص الجديد الفرد حق إنشاء مشروع خاص وحق إنشاء تعاونيات بين مجموعة من الأسر. وألغى النظام الزراعي الجماعي الذي أسسه ستالين بعد أن بان فشله ووضح (١٧٣). وهذا يثبت عجز النظريات البشرية وقصورها مع ماحاول أصحابها من وضع الهالات عليها. وثبات القوانين الإلهية. فإلى دور الإسلام! .

وعلى كل فالمستقبل للإسلام إن شاء الله . فعدد المسلمين في الإتحاد السوفييتي كبير ، ويمكن أن يصل عام ٢٠٠٠م إلى ثلث عدد سكان الإتحاد وهو أمر تخافه السلطات السوفييتية وتعمل على تطويق مضاعفاته (١٧٤). وقد وصل عددهم عام

---

(١٧٢) نفسه ص٥.

(١٧٣) المجلة العدد الثاني من السنة الأولى.

(١٧٤) المسلمون ص٥ المصدر السابق.

١٩٨٥م/١٤٠٥هـ إلى ٦٥مليون نسمة (١٧٥). والخطر الحقيقي على الشيوعية منبعه الولاء الذي يكنه المسلمون لإخوانهم في خارج الإتحاد السوفييتي واعتبار أنفسهم جزءا من العالم الإسلامي الكبير ومن (الأمة الإسلامية) رغم ما أصاب النشء من انحراف وبعد عن مبادىءالإسلام السمحة وعن ثقافة الإسلام وينابيعه ، فهم ينظرون إلى الروس المستوطنين بينهم نظرتهم إلى أجانب أوربيين مستعمرين . ثم وجود فكرة الجهاد التي تظهر بين الحين والآخر(١٧٦).

وبعد انهيار الشيوعية والاتحاد السوفييتي سنة ١٩٩١م قامت اتفاقية بلوكجسكايا والتي نصت على إنهاء الاتحاد السوفييتي. ثم عقد مؤتمر للقمة في مدينة آلما آتا عاصمة كازاخستان ضم إحدى عشرة جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق وأعلن المؤتمر تأسيس رابطة الدول المستقلة (الكومنوليا). فوجدت الجمهوريات الإسلامية في تركستان نفسها فجأة دولاً مستقلة ولكن يتحكم فيها ١٠٪ من عدد سكانها من الروس الذين ما زالوا هم أسياد الموقف. وأحس المسلمون بزوال الكابوس الحديدي الذي كان يحيط بهم وسبب لهم التخلف. وفي محاولتها لاستعادة هويتها الإسلامية تصطدم بعقبات التخلف والصراعات الفكرية والقومية والقبلية. كما تواجه التحديات الاقتصادية والسياسية وتحديات النظام العالمي الجديد(١٧٧). والنشاط اليهودي حيث افتتح اليهود عشرات بل مئات المراكز وصدروا عشرات الصحف والمجلات وكلها تدعو للصداقة والتعاون مع إسرائيل. وكذلك تواجه تحديات التبشير الأرثوذكسي والكاثوليكي.

ويواجه ذلك كله نشاط إسلامي متسارع في بناء المدارس الإسلامية والمساجد، ونشر الكتاب الإسلامي والانفتاح على العالم الإسلامي.

(١٧٥) انظر جريدة المدينة الجمعة ٢٩ محرم ١٤٠٤هـ/ العدد ٦٠٦٥ ، بعنوان : الصحوة الإسلامية والدولة السوفيتية من كتاب (التهديد الإسلامي للدولة السوفيتية).

(١٧٦) مجلة المجتمع الكويتية العدد ٨٨٧ ص٢٨-٢٩.
وسائل الإعلام / ومنها الشرق الأوسط الأحد ٢١ صفر/١٤٠٩هـ العدد ٣٥٩٦ ٢/١٠/١٩٨٨م.

(١٧٧) انظر: حاضر العالم الإسلامي عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ـ المركز العالمي للكتاب الإسلامي ص ٢٨٨ ـ ٢٩٦.

الفصل الثاني

المسلمون في الصين

الصين دولة كبيرة متسعة في شرق آسيا ، تزيد مساحتها عن ٩ ٥٦١ ٠٠٠ كم٢ أي تزيد على خمس قارة آسيا ، ويصل عدد سكانها اليوم إلى حوالي مليار نسمة ، ونسبة المسلمين إلى أكثر من ١٠٪ . فهي ثانية دول العالم مساحة ، والأولى سكانا. وتضم أنهارا كبرى يتكاثف على ضفافها السكان مثل هوانغ هو في الشمال ، وبان سي كيانغ في الوسط ، وسيكيانغ في الجنوب (١) .

وتتكون من مجموعات من العناصر ، وتتعدد بها اللغات ، وقد سادت لغة مندرين في الآونة الأخيرة ، وأصبح يتحدثها أكثر من نصف السكان ، ويعيش أكثر من ٨٥٪ من السكان فوق مساحة تقل عن ٣٠٪ من أراضي الصين (٢) .

ولاتخلو ولاية في الصين من المسلمين ، الذين يكثرون في الأقاليم الغربية والشمالية ،وتبدأ نسبتهم بالتناقص في الولايات المتحدة لتزداد في الولايات الساحلية. وأما الأقاليم الإسلامية في الصين فهي :

أولا : التركستان الشرقية : والتركستان موطن الترك الأصلي ، بلاد واسعة في وسط آسيا ، تشكل جزءا كبيرا من ديار الإسلام ، تقاسمتها الصين وروسيا ، فأخذ الروس قسمها الغربي وعرف بالتركستان الغربية ، في حين أخذت الصين قسمها الشرقي وعرف بالتركستان الشرقية ، ويسميها الصينيون حاليا سينكيانغ ، أي المقاطعة الجديدة ، ومساحتها ١ ٧١٠ ٧٤٥ كم٢ تشكل صحراء تاكلامان منها ٦٤٧ ٢٢٠ كم٢ ، وهي أكثر صحارى العالم جفافا ، وتنعدم فيها الأمطار تقريبا ، ويختفي النبات وتستحيل الحياة عدا ماكان في بعض الواحات عند مخارج الأودية. ويجري فيها نهر تاريم الذي يبلغ طوله ١٥٠٠ كم وتسمح غزارة مياهه باجتياز هذه الصحراء. ويتشكل هذا النهر من ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبال ، ومن جداول صغيرة تقوم عليها المدن مثل مدينة يارقند وكاشغر وآقصو وغيرها

---

(١) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص٤٢٦.

(٢) نفسه ص٤٢٦.

، وأحيانا تتبخر المياه قبل أن تصل إلى النهر ، ويصب نهر تاريم أخيرا في بحيرة لوب نور في الشرق (٣) .

ويقدر عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة ، **٩٥٪** منهم مسلمون ، والباقي من الصينيين البوذيين ، والروس النصارى ، وأشهر مدنها :

أ- أوروجي وهي العاصمة وتسمى اليوم(تيهوا) .

ب- كاشغر التي فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي عام **٩٦هـ** وتسمى اليوم (شوفو) .

ج- يارقند - وتسمى حاليا(سوجي) .

وقد تغيرت أسماء المدن بعد الحكم الشيوعي في الصين لقطع الحاضر عن الماضي ، وعد تاريخ المنطقة بدءا من تطبيق النظام الشيوعي عليها ، ونسب إلى الماضي كل صفات السوء من جهل وفساد واختلال لنظام الأمن وانتشار الخرافات والعقائد الباطلة التي صنعتها البرجوازية وأطلق عليها اسم الدين (٤)(بزعم الشيوعية) .

وبلاد التركستان الإسلامية تربي الأغنام والماعز والياك في السفوح الجبلية ، والأبقار في الواحات ، والجمال ذات السنامين في قلب الصحراء ، وتدل الدراسات الجيولوجية - على قلتها - على وجود كميات كبيرة من الفحم الحجري والنفط واليورانيوم والرصاص وغيرها من المعادن الهامة (٥). كما أنها ذات موقع تجاري ، وفيها ممرات وطرق عالمية خاصة في حوض زونغارية ، أشهرها طريق الحرير وبوابة زونغارية .

فتح هذه البلاد قتيبة بن مسلم الباهلي عام **٩٦هـ/٧١٤م** ، وراسل منها ملك الصين. وأصبحت جزءا من ديار الإسلام إلى اليوم ، وكانت حاضرتها كاشغر ، وانتشرت فيها اللغة العربية ، وأنجبت علماء أجلاء مثل سديد الدين كاشغري ومحمود كاشغري أيام الدولة العباسية . ووقعت تحت الإحتلال الصيني في عهد الأسرة المنشورية في القرن الثامن عشر الميلادي وشهدت البلاد عدة انتفاضات إسلامية للتخلص من الحكم الصيني كما سيأتي .

---

(٣) محمود شاكر ، تركستان الصينية ص٢٨.

(٤) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٨.

(٥) نفسه ص١٥.

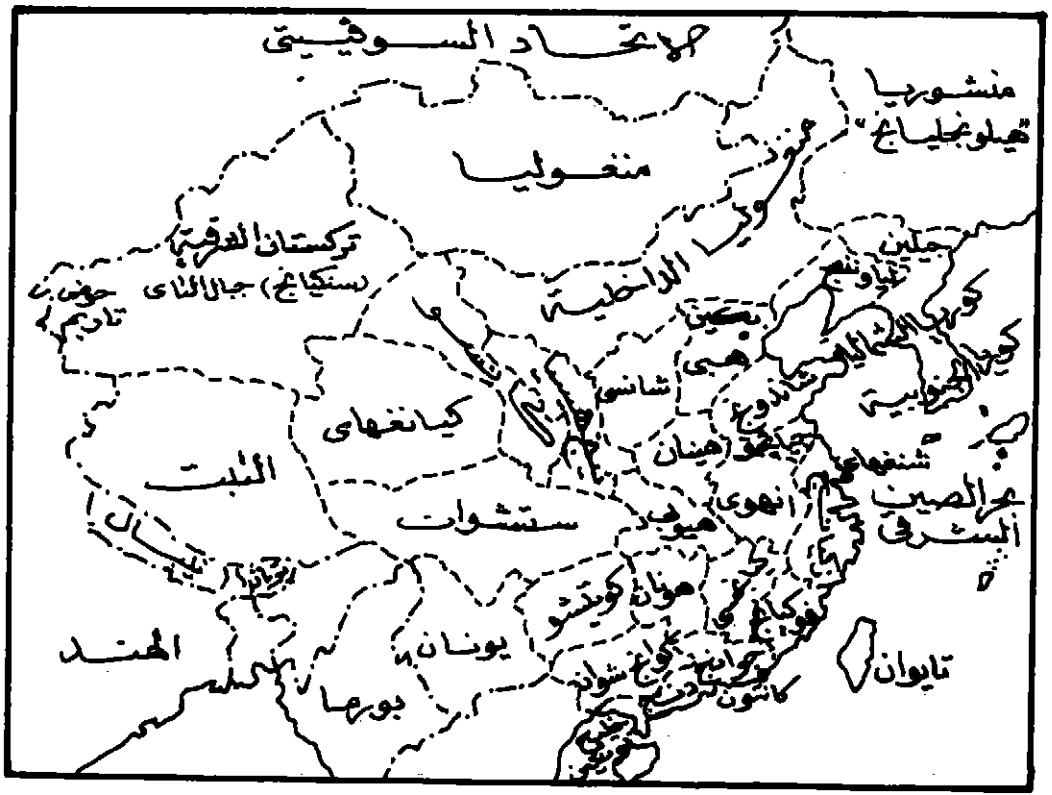
الاتحاد السوفيتي
منشوريا
هيلونجيانج
منغوليا
منغوليا الداخلية
تركستان الغربية
(سنكيانج) جبال الناى
جيلين
لياونج
بكين
هبى
شانسى
كيانغهاى
التبت
ستشوان
هونان
كويتشو
يونان
بورما
الهند
شنغهاى
البحر الصينى الشرقى
فوكيان
تايوان

الصين

ثانيا : كانسو : وهي متممة للعالم الإسلامي ، تجاور التركستان الشرقية ومساحتها ٣٧٦ ٠٠٠ كم٢ ، وسكانها ١٣ مليون نسمة ٨٠٪ منهم مسلمون ، وعاصمتها مدينة لان تشو ، وتسمى اليوم كاولان. وقد فصلت عن كانسو مدينتان هما : هوتشيو وسينينج وضمتا إلى التبت في محاولة لتجزئة المناطق الإسلامية وإذابة بعضهم في مجتمعات يغلب فيها غير المسلمين .

والمسلمون في ولاية كانسو هم الأويجور المغول أحفاد جنكيز خان ، ويسميهم الصينيون هواي هو ، أما هم فيؤثرون إسم كياومن أي أهل الدين .

ثالثا : نينج هسيا : وكانت في الأصل جزءا من ولاية كانسو ، ومساحتها ٦٦ ٥٠٠ كم٢. وعدد سكانها ٢ مليون نسمة ٧٥٪ منهم مسلمون ، وتكثر فيها المساجد .

رابعا : سشوان : وهي تجاور ولاية كانسو ، وقد فصل جزء من الأخيرة. وضم إلى هذه الولاية فأصبح عدد المسلمين حوالي ٥ ملايين يكونون ٨٪ من سكان الولاية فقط .

خامسا : يونان : وهي ولاية جبلية تبلغ مساحتها ٤٣٧٠٠٠ كم٢ ، ويزيد عدد المسلمين فيها على السبعة ملايين الذي يقدرون به ، إذ يخفي المسلمون هناك أنفسهم وعددهم الحقيقي ، خوفا من السلطات الحاكمة ويعرفون باسم بانطي ، ومافتئوا يحرمون الأفيون فيما بينهم . وأشهر المدن : يونان حاضرة الولاية وتسمى اليوم كون مينج .

سادسا : شي : ومساحتها ١٩٦ ٠٠٠ كم٢ وسكانها ٢١ مليون نسمة يشكل المسلمون حوالي ٤٠٪ منهم وأهم مراكز تجمع المسلمين مدينة سنجان وكان فيها سبعة مساجد .

سابعا: شانسي : ومساحتها ١٥٧ ٠٠٠ كم٢ وعدد سكانها ١٨ مليون نسمة ، يشكل المسلمون فيها ٢٠٪ وهم داخل المدن الكبرى .

دخول الإسلام إلى الصين وانتشاره :

وصل الإسلام إلى الصين بالطرق التالية :

أولا : طريق الفتح والجهاد :

بلغت الجيوش الإسلامية أطراف الصين عبر الطرق البرية إبان خلافة الوليد ابن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) وأرسل الحجاج بن يوسف والي العراق آنذاك قتيبة ابن مسلم الباهلي على رأس جيش إسلامي كبير ، خرج من سمرقند سنة

٩٣هـ/٧١١م ، ودخل كاشغر سنة **٩٦هـ/٧١٤م** في التركستان الشرقية ، التي أصبحت من ديار الإسلام ، وهناك بعث إمبراطور الصين إلى قتيبة يسأله عن حاجته ، فأرسل قتيبة عشرة رجال يخيره بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب. فقال لهم الإمبراطور : قولوا لقتيبة ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ،وإلا بعثت إليكم من يهلككم ويهلكه . فقال له هبيرة بن الشمرج الكلابي :« وكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟(يعني حوض البحر المتوسط) . وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولانخافه . . . » (٦) .

واختار إمبراطور الصين الموادعة ، ودفع إتاوة للمسلمين ، وبذلك بدأت الدعوة تتسرب إلى الصين من جهة التركستان الشرقية بالدعاة والتجارة وعرف هذا بطريق الحرير . كما أن للجوار أثر في تسرب الدعوة في غربي بلاد الصين .

وحينما حاول الصينيون إغتنام الفرصة عندما انتقلت الخلافة إلى البيت العباسي فهاجموا تركستان الإسلامية فهزمهم المسلمون سنة١٣٤هـ/٧٥١م (٧)، وبقيت البلاد التركستانية في دائرة الإسلام وديارة.

ثانيا : عن طريق الجند المسلمين الذين استقروا في الصين :

فقد طلب الإمبراطور الصيني(تان سوتشونغ) من أسرة تانغ نجدة المسلمين ضد أحد الثوار فأرسل له أبو جعفر المنصور الجند حوالي سنة **١٣٩هـ/٧٥٦م** ، وأعاد الإمبراطور إلى ملكه بعد أن كاد أن يذهب من يده ، واستقر هؤلاء الجند وتزوجوا من صينيات وتولدت منهم طبقة خاصة كانت نواة للمسلمين داخل الصين (٨). أي في العاصمة(تشانغ آن) .

ثالثا : عن طريق التجارة والدعاة في المناطق الساحلية :

قبض المسلمون على ناصية التجارة الدولية في الشرق والغرب وخاصة في القرن الثالث والرابع الهجريين. فوصلوا موانيء الصين التجارية وخاصة كانتون(خانفوا)

---

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص١٣٦ ، الطبري - تاريخ- ج٥ ص٢٧٠.

(٧) نفسه ج٤ ص٣٤٣.

(٨) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٤٧ ارنولد. الدعوة إلى الإسلام ص٣٣٢. وبدر الدين حي ص٢٢.

أو(الخنساء) (٩) في القرن الأول الهجري ، وعرف أول مسجد هناك بالمسجد ذي المنارة ، وآموي وشانغهاي وغيرها من المدن وتوغلوا من الساحل إلى الداخل حتى وصلوا(تشوان تشو) و(بانغ تشو) و(هانغ تشو) من المدن الداخلية على نهر اليانسيكيانغ.

وأما الذين قطعوا الجبال والأودية ووصلوا الصين عن طريق آسيا الوسطى(تركستان) فقد ألقوا عصاهم في (تشانغ آن) عاصمة الصين القديمة. وكانت التجارة وسيلة مهمة لنشر الدعوة الإسلامية فكان التاجر نفسه داعية أو يسير الداعية في ركاب التاجر. وكون المسلمون من العرب والإيرانيين مستوطنات تجارية في هذه المدن كان يطلق عليهم أهل الصين هوي هوي أو خوي .

رابعا : عن طريق الدعوة في المناطق الداخلية :

تذكر الروايات الصينية أن ملك الصين وهو الثاني من أسرة تانغ ، أرسل وفدا إلى رسول الله ﷺ يطلب منه بعثة لنشر الإسلام في الصين ، فأجابه إلى طلبه وبعث ثلاثة من الصحابة ، توفي اثنان في الطريق ووصل الثالث ، فأكرمه وأحسن ضيافته وبنى له مسجدا في العاصمة ، وتبعا لهذه الرواية وروايات أخرى غيرها يكون الإسلام قد وصل الصين عن طريق الدعاة في عهد الرسول ﷺ. كما يذكر مؤلف التاريخ الصيني في جامعة بكينغ (١٠) أن أول وفد من الدولة الإسلامية إلى الدولة الصينية أوفد عام **٦٥١م** زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وتتابعت الوفود الإسلامية إلى الصين فبلغت من سنة **٣١هـ - ١٨٤هـ ٢٨** بعثة (١١) ، كما بلغت حتى سنة **٦٠٤هـ** حوالي ٧٦ وفدا. وكان ملوك الصين يحترمون هذه الوفود ويقدرون الدعاة .

خامسا : عن طريق تولي بعض المسلمين حكم الولايات :

كان ملوك الصين يحبون المسلمين ، لما ظهر منهم من الأمانة والذكاء والولاء والشجاعة والعزيمة. فيشملونهم بالعناية والرعاية فظهر من المسلمين قادة وأمراء أشهرهم :

أ- شمس الدين عمر(واسمه الصيني هسين يانغ) المشهور بالسيد الأجل . ولاه الإمبراطور الصيني أوغوناي (٦٢٨-٦٤٠هـ/١٢٣٠-١٢٤٢م) ثلاث ولايات

---

(٩) ابن بطوطة ص٧٢٨ ج٢ طبع مؤسسة الرسالة.

(١٠) وهو جون بون / محمد مكين - المسلمون في الصين ص٨.

(١١) بدر الدين حي - تاريخ المسلمين في الصين ص١٧.

هي : فونغ وتسينغ ويون ناي ، ثم استدعاه إلى بكين وعهد إليه بمنصب عال. ولما تولى السلطان نانغو (٦٤٩-٦٥٨هـ/١٢٥١-١٢٥٩م) عهد إليه بإدارة ست نظارات ، ثم جعله مديرا عاما لمقاطعة يان كينغ ، فأحسن الإدراة ، فعهد إليه بنظارة الإستخبارات. فلما تولى السلطان قوبيلاي أعطاه رتبة الوزارة ، وجعله عضوا في مجلس أمانة السر الأعلى. ثم ولاه يونان سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م ، وكانت في غاية الإنحطاط ، والبلاد خرابا فنشر العلم وبنى المدارس واعتنى بتهذيب الأخلاق وعمارة الأرضين ، فمهد الطرق وبنى المعابر والجسور والسدود ، وأزال المغارم والمظالم وأبطل السخرة وشيد ملاجيء للأيتام والعجزة ، وخفف المكوس وحفر الآبار وأقام الأسواق ، وعمر المساجد للمسلمين والمعابد للكونفوشيوسيين ، وضمت ولايته عشرين مقاطعة (١٢) ، ساد فيها العدل وفاضت الخيرات وعمرت البلاد وصار يقال هنيئا لبلاد يونان .

وتوفي السيد الأجل سنة **٦٧٨هـ/١٢٧٩م** ، فبكاه أهل يونان كما يبكي الأولاد أباهم (١٣) ، وحكم أولاده وأحفاده المقاطعة حتى مطلع القرن العشرين ، وقلدوه في توطيد دعائم الدين الإسلامي في الصين ، وحصل أحد أحفاده سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م على اعتراف من الأمبراطور بأن **الإسلام هو الدين الحق الخالص**. وظل الإسلام يحتفظ بهذا الوصف حتى قيام الثورة الشيوعية هناك (١٤). فكان لذلك أثر كبير في انتشار الإسلام في الصين . وأصبحت يونان مقاطعة إسلامية .

ب- القائد جين هو: (تشنج هو) : وهو مسلم صيني من ولاية يونان ، أرسله إمبراطور الصين حوالي سنة ٨٦١هـ/١٤٥٦م قائدا لأساطيل الصين المؤلفة من **٣٧** ألف بحار إلى جزائر الهند الشرقية وسيلان وسواحل الهند الجنوبية والعراق وسواحل جزيرة العرب وساحل إفريقية الشرقية . وفي إحدى رحلاته وصل مالندي في شرق إفريقيا وكان أحد الدعاة. أسلم على يديه الكثير من الصينيين .

سادسا : عن طريق إسلام الأويغور :

وهم قبيلة جنكيز خان المغولية - في مقاطعة كانسو ومنغوليا وماجاورها أي

---

(١٢) حاضر العالم الإسلامي ج٢ص٢٣١.

(١٣) انظر بدر الدين حي ص٢٧-٢٨.

(١٤) الإسلام الفاتح ص٦٦ ، وانظر عن دور أولاده وأحفاده : حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٣٢-٢٣٦.

في القطاع الشرقي والشمالي من الصين .

المسلمون في الصين تحت حكم الأسر المتعاقبة :

إكتسب المسلمون ثقة الملوك الصينيين والشعب الصيني ، لما كانوا يتمتعون به من خلق وأمانة ونظافة واستقامة ، فنالوا الإعجاب والمودة ، وعاشوا في الصين حوالي الألف عام دون منغص. وهذه رحلة موجزة تبين أوضاعهم :

١ـ أسرة تانغ : وعاصرت هذه الأسرة بداية الدعوة الإسلامية والعهد الأموي والعباسي ، وانتهى حكمها سنة **٢٩٥هـ/٩٠٧م** : وتبادلت البعثات مع المسلمين فوصلت بين **٣١ـ١٨٤هـ/٢٨** بعثة منها **١٦** بعثة أطلق عليها الصينيون(التاشي) أو(شي تاشي) وأضيفت إليها عبارة أصحاب الملابس البيضاء وهي إشارة إلى البعثات في عهد الأسرة الأموية ، وأهمها البعثة في عهد سليمان بن عبد الملك عام **٩٨هـ/٧١٦م** ، و**١٢** بعثة أطلقوا على أصحابها اسم(التاشي) أو(تشي تاشي) أي أصحاب الملابس السوداء ، وهذا يعني أنها كانت في العصر العباسي (١٥). كما استقرت بعض الجماعات المسلمة من التجار والعلماء على ساحل الصين الجنوبي في منطقة خوان فو(كانتون حاليا) أو الخنساء .

ووصل المسلمون إلى عاصمة الصين تشانغ آن ، وأخذوا ينتشرون في مناطق متعددة. وقد زار ابن وهب الصين سنة **٢٥٩هـ** وكتب عن أحوال المسلمين بها (١٦) .

واهتم حكام هذه الأسرة برعاية المسلمين واحترامهم. فقد نقل القلقشندي عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندي وكان من السفار ومن جال الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقه وجاس خلاله أنه قال :

« إن من عجائب مارأى في مملكة القان(أي الخان) أنه مع كفره ، في رعاياه من المسلمين أمم كثيرة ، وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل أحد الكفار مسلما قتل القاتل الكافر وأهل بيته ونهبت أموالهم ، وإن قتل مسلم كافرا لايقتل به بل يطلب بديته ، ودية الكافر عندهم حمار لايطلب بغيره » (١٧). وقد تحدث عن المسلمين التاجر السيرافي الذي سافر إلى الصين أكثر من مرة في كتاب سلسلة

(١٥) بدر الدين حي ـ تاريخ المسلمين في الصين ص١٧. وانظر د. فيصل السامر والأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى ص١٢٠.

(١٦) نفسه ص٢٠ ، الكتاني ص١٣ ، وانظر حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٤٥.

(١٧) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٢٥.

التواريخ واشترك معه أبو زيد من أهل البصرة ، وفي هذا الكتاب صور كاملة لحياة المسلمين في الصين في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (١٨) .

٢ـ أسرة سيونغ ٢٩٥ـ٦٧٨هـ/١٢٧٩م : في عهد هذه الأسرة بلغت قوة المسلمين ونفوذهم حدا جعل حكام تلك الأسرة يقرون المسلمين على من يختارون من ولاة المسلمين عليهم ، وأصبحت لهم حقوق وامتيازات خاصة ، فتولوا المناصب التي تتطلب أمانة كبيرة ، ومن ذلك أنه عندما استحدث منصب مدير عام الملاحة في مدينة كانتون كان هذا المنصب قاصرا على المسلمين وحدهم. ولكنهم بقوا في عزلة عن الصينيين ، شيدوا لهم أحياء خاصة في كل مدينة كبيرة وميناء بحري ، وأسست لهم مساجد ومدارس خاصة. وأدى نشاط المسلمين التجاري إلى إنعاش الإقتصاد الصيني ، فتمتعت جاليات المسلمين بتأثير كبير في المجتمع الصيني . وازدهرت كانتون وتشوان شو كمنطقتين إسلاميتين ، ومن أشهر الآثار الإسلامية بهما مسجد ذكرى النبي ﷺ في كانتون ، ومسجد الطاهر في تشوان شو ، وفي هذا المسجد حجر مكتوب فيه إسنم مؤسسه ، وهو تاجر عربي يدعى عجيب مظهر الدين ، وقدم إلى هذه المدينة سنة **٥١٥هـ** .

وظهرت جاليات إسلامية في مدينة هانغ شو ، وزار ابن بطوطة هذه المدينة ، ووصفها ووصف أحوال المسلمين بها ، كما انتشر الإسلام في منطقة يانغ تشو، ووجدت جالية إسلامية في تشانغ آن ، وكانت للمسلمين مدارسهم ومساجدهم وأنشطتهم (١٩). برعاية هذه الأسرة .

٣ـ أسرة يوان ٦٧٩ـ٧٧٠هـ/١٣٦٨م : وهي الأسرة التي أسسها جنكيز خان المغولي ، الذي احتلت جيوشه الصين ومعظم بلدان الإسلام. وبعد وفاته كانت الصين من نصيب(قبلاي خان) الذي لقب(يوان سي تسو) وأبنائه من بعده. وقد انتشر الإسلام بين المغول فأسلم الأويغور ، وكان ملوك هذه الأسرة لايثقون إلا بالمسلمين ، وقد انتقلت أفواج كثيرة من المسلمين من العلماء والأطباء وقواد الجيوش الذين كانوا محل ثقة المغول . فسهل بذلك إنتشار الإسلام بين الصينيين أنفسهم ، وأصبح للمسلمين نفوذ كبير ، فظهر منهم السيد الأجل السالف الذكر وأبناؤه وأحفاده الذين تولوا مناصب مهمة في الدولة. وبرز حسن يوجينغ نائب رئيس الوزراء ، وشاه يوجينغ نائب ثان لرئيس الوزراء ، وبدر الدين

(١٨) من رحلات العرب ـ إصدار مؤسسة ناصر الثقافية ـ بيروت ص٢٢.
(١٩) الكتاني ص١٣. وانظر تحفة النظار ج٢ص٧١٧.

يوجينغ نائب ثان ، وظهير الدين (٢٠) ، والعديد من المسلمين حتى وصل عددهم إلى ثلاثين شخصا كانوا يحتلون مراكز القادة والوزراء في البلاط الملكي. فيذكر المؤرخ الفارسي رشيد الدين في كتابه جامع التواريخ :

« إن في عهد دولة قبلاي خان المغولية كانت الصين مقسمة إلى اثنتي عشر مقاطعة على رأس كل مقاطعة وال ونائب له. فكان ثمانية من هؤلاء الولاة مسلمين. وكذلك كان نواب المقاطعات الأربع الأخرى مسلمين » .

وفي هذه الفترة زار الرحالة ابن بطوطة الصين وكتب عن المسلمين بالصين فيقول في الجزء الثاني من رحلته :

« وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بها بسكانهم ، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعات وسواها ، وهم معظمون محترمون . . . وإذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح ، وقالوا جاء من أرض الإسلام ، وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنيا كواحد منهم » (٢١) .

٤ـ أسرة منغ ٧٧٠ـ٤٥ ١٠هـ/١٦٤٤م : بلغ الإسلام في هذه الفترة أوجه في الصين ، وازداد المسلمون ثراء ونفوذا ، وأسلم عدد كبير من أهل الصين وحافظوا على التقاليد الإسلامية ، وظهرت أسماء صينية مثل(ما) اختصارا لمسعود أو محمد ، و(حا) اختصارا لحسن و(نا) اختصارا لنصر الدين وهكذا. واكتسب الإسلام كثيرا من الصينيين بالمصاهرة بين الأسر المسلمة من أصل عربي أو إيراني أو تركي وبين الأسر الصينية (٢٢) .

ولما كان للمسلمين دور بارز في تأسيس هذه الدولة فقد ذهب كثير من المؤرخين إلى القول أنها كانت إسلامية حيث أن مؤسسها(منغ تاي) لم يُرَ في معبد وثني قط منذ استلامه الحكم ، كما أنه منع شرب الخمر في جميع أنحاء الصين. وأمر ببناء جامع في نانكين ، ونظم قصيدة مكونة من مائة كلمة في مدح الرسول ﷺ نقشها عام **١٤٦٧م** على جدار مسجد نانكينغ الأعظم لاتزال إلى اليوم. واستخدم حكام هذه الأسرة التقويم الهجري رسميا في الدولة. وقد انتقد الملك العاشر من هذه الأسرة وهو: (أوتسونغ) أديان الصين قائلا :

« إن الكونفوشيوسية تكفي معالجة المصالح في عالم الشهادة ، وتقصر عن

---

(٢٠) بدر الدين حي ـ تاريخ المسلمين في الصين. ص٢٨ـ٣٠.

(٢١) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٢٦ـ٢٢٧. تحفة النظار ج٢ ص٧٢٢.

(٢٢) بدر الدين حي ص٣٥.

كشف الأسرار في عالم الغيب ، وأما البوذية والطاوية فكأنهما تكشفان حجب الغيب ولكن لاتفيدان الرجوع إلى الفطرة ، فإن كل واحد من هذه الأديان منحرف إلى جانب واحد ، بخلاف الإسلام فإنه دين يعرف به الخالق وينبني على القواعد المعقولة ، فلا جرم أن يبقى مادامت السماوات والأرض » (٢٣) .

وكان معظم رجالات الدولة في عهد هذه الأسرة من المسلمين ومن أبرزهم : (تشانج يو) القائد ـأمير الحربـ والحاج جيهان(جنهو) وهو أكبر بحار يفتخر به تاريخ الصين القديم قام بعدة رحلات إلى ساحل الجزيرة العربية وبلاد الفرس وشرق إفريقيا سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م (٢٤) .

وقد طمع المسلمون في إسلام الإمبراطور(هونج وو) الذي منح المسلمين إمتيازات كثيرة وشجعهم على إنشاء المساجد ، فكتب إليه أحدهم وهو الشاه(رخ بهادور) سلطان التركستان خطابين طويلين يدعوه فيهما إلى اغتنام السعادة بالدخول في دين الله (٢٥) .

وقد شق الإسلام طريقه خلال ألف عام ببطء شديد بين الصينيين وبقوة ، مراعيا صفات الصينيين الذين يتصفون بالبطء والدقة والمحافظة على القديم. وقد أحبوا الإسلام وأحبوا المسلمين ، فلمسوا فيه الفطرة ، فقد اشتهر المسلمون بالتجارة والكد والنظافة ، والتعاون والأمانة ، ولذلك كانوا مميزين عن الصينيين وحالهم أجمل وأزين ، وكثيرا ماكانوا يأخذون أولاد الفقراء من الوثنيين ويربونهم في حجر الإسلام ، خصوصا عند حصول المجاعات. وكانوا يجمعون الزكاة في صناديق لكل بلد ينفقون منها في شدائدهم ويشدون بها عوز محاويجهم ، فتجد المعدمين منهم قليلين ، وعندهم الحنان والرأفة ، وبسبب تجافيهم الأفيون وأنواع المسكرات كانت أجسامهم أحسن من أجسام غيرهم ـ فكانوا يفوقون الصينيين صورة ومعنى ـ. فلذلك كثر العساكر المسلمون ، واعتمد عليهم الملوك كقادة وأمراء ، وأكثروا من بناء المساجد ، والمساجد في الصين على شكل معابد الأديان الصينية التي هي على شكل السرايا الملكية ، ولم يسمح بتقليده لأهلها إلا لاحترامها ، فكانت حرمة المساجد في قلوب الصينيين لا تقل عن حرمة معابدهم. ولا توجد المآذن إلا في مساجد القرى التي لا يسكنها إلا المسلمون ، والسبب

(٢٣) محمد مكين ص٢٣. وبدر الدين حي ص٣٩.

(٢٤) بدر الدين حي ص٣٦ـ٣٨.

(٢٥) انظر نص الخطابين ، أرنولد ص٣٣٧ـ٣٣٨.

أن الكونفوشيوسيين يعتقدون أن البناء الأعلى يذل الأبنية الوطيئة ويشقيها ، ولذلك فإن منازلهم متساوية الإرتفاع .

وفي المساجد أروقة للإدراة والتدريس ، وسكن للطلبة والمسافرين (٢٦) .

وفي عهد هذه الأسرة وصل البرتغاليون إلى الصين سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م .

وبانتهاء هذه الأسرة ، إنتهى العصر الذهبي للمسلمين في الصين ، وأخذ دورهم يؤول إلى إنحدار .

٥ـ أسرة تسينغ : الأسرة المنشورية : ١٠٥٤-١٣٢٩هـ(١٦٤٤-١٩١١م) : في عهد هذه الأسرة اشتدت الهجمة الصليبية على عالم الإسلام ، فوصل الأوروبيون الصين ، ووجدوا الإسلام يتغلغل في البلاد ، فخافوا أن تتحول إلى دار إسلام ، فبعثوا البعثات لدراسة الواقع في الصين ووضع الخطط للحد من نفوذ الإسلام وانتشاره ، فقد بعثت روسيا مرة بعثا علميا جال في الصين وجاب آفاقها واطلع على دخائل أمورها فكان من جملة ماقرره تحذير روسيا من مستقبل الإسلام في تلك البلاد ، لا لأنه ينمو ويتقدم ، بل إذا أخذ يوما بزمام الدولة انقلبت هيئة الشرق الأقصى انقلابا عظيما ، لأن الصين إسلامية ليست كالصين وثنية (٢٧) .

ولما لم يكن الصليبيون يتمكنون من بسط سلطانهم على هذه البلاد الواسعة العظيمة ، لذا لجأوا إلى أسلوبين من الدس والوقيعة لتحطيم الإسلام داخل هذه البلاد :

أـ فأثاروا في المسلمين روح الثورة والتمرد على الحكام الصينيين ، وأمدوهم بالمال والسلاح إلى حد ما. ففصلوا بذلك المسلمين عن أهل الصين ، وعزلوهم في محيط واسع في صراع غير متكافيء على المدى الطويل ، وحدّوا بذلك من انتشار الإسلام .

بـ وأوحوا للإمبراطور وأهل الصين بخطر المسلمين ، وأنهم يتحينون الفرص للإنقضاض على الدولة وحكمها. فأوغروا الصدور على المسلمين (٢٨). فقضوا على نفوذ المسلمين وأذاقوهم الأمرين ، وتسلط عليهم الصينيون ، وانعزلوا عن

(٢٦) حاضر العالم الإسلامي ج٢ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢٧) نفسه ج٢ ص٢٢٩.

(٢٨) انظر ماجاء في الانسكلوبيديا الإسلامية من تحريض الدولة على المسلمين. حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٣٧-٢٤١ ، وانظر تعليق الأمير شكيب على ذلك ج٢ ص٢٤١-٢٤٣.

العالم الإسلامي ، وخاصة بعد أن تقلص نفوذ المسلمين التجاري وامتلك الصليبيون ناصية البحار. في حين تمتع المبشرون(المنصرون) بالحرية في ظل الموظفين المنشورين (٢٩) . فتدخلوا في شئون الصين الداخلية في أغلب الأحيان .

واستولت هذه الأسرة زمن الإمبراطور(جيانا ونغ ١٧٣٦-١٧٨٤) على تركستان الشرقية من بلاد المسلمين (٣٠). وكانت تحكمها أسرة الخوجات . التي أخذت بالضعف مثل سائر بلاد المسلمين .

فقام المسلمون بثورات متعددة أدت إلى نقصان أعدادهم وتشريدهم وتقليص نفوذهم. وكانت هذه الحقبة التي امتدت ثلاثة قرون من أسوأ ما مر على المسلمين على مدى تاريخهم في الصين خسروا فيها ربع عددهم (٣١). ولا يضاهيها إلا وضعهم تحت الحكم الشيوعي ، وأثر ذلك عليهم في مختلف النواحي فوقعوا في الفقر والجهل ، وأصاب دينهم بعض التحريف لعزلتهم الطويلة ، فراجت عمليات الأضرحة والقبور والأولياء والتوسل إلى الله بالبشر. فقام بعض المصلحين كالشيخ نوح ماكويوان الذي يعرف عند الصينيين باسم كويوان أي الحاج بستاني - وكان قد أدى فريضة الحج عام ١٣١٢هـ/١٨٩٤م وتأثر بتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي رأى فيها مخرجا لانقاذ المسلمين في الصين مما علق بدينهم من بدع وشوائب - فمضى يدعو إلى رسالته في ضرورة العودة إلى الدين الخالص ووضع برنامجا من ٣٠ نقطة لتحقيق هذا الهدف. وكان من نتيجة ذلك أن عاد المسلمون لبعض الإتصالات بالعالم الإسلامي .

وعندما فكر السلطان عبد الحميد بفكرة الجامعة الإسلامية فكر بالاستفادة من مسلمي الصين باسم الخلافة ، فأرسل عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م أحد القادة وهو أنور باشا لهذه الغاية فأخفق (٣٢) ، ثم التمس منه مفتي بكين إرسال بعثة إسلامية إلى الصين فأرسل اثنين هما : حسن حافظ وعلي رضا ، فأسسا مدرسة كان فيها ١٢٠ طالبا وأقبل المسلمون عليهما لا لكونهما قادمين من قبل خليفة المسلمين لأنهم لم يكونوا يعرفون هذا الأمر ، وإنما احتفلوا بهما لأنهما آتيان من

(٢٩) بدر الدين حي ص٥١.

(٣٠) بدر الدين حي ص٥٣.

(٣١) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٤٧.

(٣٢) حاضر العالم الإسلامي ج٢ص٢٣٧.

الآفاق التي ظهر فيها النبي ﷺ. وبعث الداعيان روح الإنضمام إلى الخلافة ، ورفعا العلم العثماني ، وزارا الحواضر الإسلامية ، ونشرا الجرائد الإسلامية بالعربية والتركية. ولكن الحكومة الصينية وقفت موقف العداء لهذا الإتصال فاضطرا إلى مغادرة البلاد (٣٣) .

وعملت الدولة المنشورية على استغلال ضعف المسلمين ، فهاجمت تركستان ، وبدأت تستولي عليها جزءا جزءا ، فما تركوا نقطة إلا وكانت تحت إشرافهم ومراقبتهم ، وتسللوا إلى الحياة الإقتصادية من صناعة وتجارة في جميع أنحاء المصر (٣٤). خلال القرن الثاني عشر الهجري .

قام المسلمون بعدة انتفاضات في التركستان والمناطق الإسلامية الأخرى في الصين ومن أهم هذه الإنتفاضات :

١- ثورة سوسيان في ولاية كانسو سنة **١١٧٢هـ/١٧٥٨م** .

٢- ثورة مامنسين في ولاية كانسو أيضا سنة **١١٨٢هـ/١٧٦٨م** .

٣- ثورة جهانكير عام **١٨٢٠م** في تركستان الشرقية(في كاشغر) وجهانكير كان حفيدا للخوجة الكبير واستمرت عامين **١٢٤١-١٢٤٣هـ/ ١٨٢٥-١٨٢٧م** وانهزم على أيدي القوات الصينية كبيرة العدد في معركة نهر الخون (٣٥) .

٤- ثورة ولاية يونان **١٢٧٢-١٢٩٠هـ ١٨٥٥-١٨٧٣م** وكانت هذه أكبر حركة وأشدها قام بها المسلمون ضد السلطة المنشورية (٣٦) في هذه الولاية بقيادة الشيخ الوقور(ماسته هسنغ) والقائد(ماهسيان) : إثر المجزرة التي قام بها القائد المنشوري(هوانغ تشونسنغ) ضد المسلمين ثم تسلم القيادة السلطان سليمان(تووين شيوي) وقد انتصر فيها المسلمون إنتصارا أذهل الحكومة الصينية ، فمالت إلى أعمال الحيلة والدسائس ، وجاذبت زعماء الثورة بالرشوة والأماني ، وأدرت عليهم العطايا الوافرة سرا ، وولتهم الأعمال الخطيرة فتمكنت من القضاء عليها (٣٧) .

---

(٣٣) نفسه

(٣٤) محمود شاكر - تركستان الصينية ص٤٠.

(٣٥) بدر الدين حي ص٦٢.

(٣٦) انظر بالتفصيل - حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٨٨.

(٣٧) بدر الدين حي ص٨٩-٩٥.

٥- ثورة يعقوب بك : ١٢٧٢-١٢٩٢هـ ١٨٥٥-١٨٧٥م .

ومقره مدينة كاشغر ، وكان المحرك الديني لها هوالزعيم الديني(باي ين هو) وبدأت عام ١٨٥٥م ، وكتب لها النصر وأعلنت تركستان دولة مستقلة ، سلطانها يعقوب بك واستمرت ثلاث عشرة سنة تقارع الصين والروس. وركن المسلمون ولم يقوموا بمساعدة إخوانهم الثائرين في كانسو وشانسي بقيادة(ماهوالونغ) ، ونتيجة لذلك إستطاعت الصين أن تقضى على هذه الثورة عام ١٨٧٢م. وفتكت بالمسلمين وأنزلت بهم الويلات فسيطرت على كانسو وشنسي ثم زحفت على معاقل تيان شان عام ١٨٧٤م وهاجمت زونغارية ، ودخلت كاشغر ، فانهزم الزعيم الديني إلى الروس واستشهد يعقوب بك عام ١٨٧٧م ، وأخضعت البلاد وتولت إدارتها ، فجعلت على كل مدن تركستان الكبيرة مفوضا إمبراطوريا وقائدا عسكريا. وقد قدر عدد الذين هلكوا بالملايين خلال هذه الثورة (٣٨) .

والغريب أن الدولة المنشورية إستخدمت المسلمين لضرب بعضهم بعضا وفتكت بالعديد منهم. فكان في جنود الجنرال تونغ فوسيانغ عدد كبير من المسلمين حتى ظنه الأوروبيون مسلما. (وهو الذي تزعم ثورة البكسر الشهيرة على الأوروبيين عام ١٩٠٠م) والحقيقة كما يقول الأمير شكيب أرسلان :« كان أعدى أعداء الإسلام وأنه من شدة خبثه ومكره ضرب بعضهم ببعض وأوقع بأسهم بينهم لاسيما بواسطة القائد المسلم مغان لنج ، الذي فتك كثيرا بأبناء ملته (٣٩). وقد بلغ عدد الجنود المسلمين في الجيش الصيني نحو نصف مليون ، منهم ٥٠٠ ضابط (٤٠) .

وفي فترة الحكم المنشوري ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م (٤١). وبقي الإسلام رغم الإضطهاد أحد أديان الصين الكبرى فقد بلغ عددهم قبل الحرب الأولى نحو ٥٠ مليون نسمة (٤٢) .

---

(٣٨) انظر حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٢٩ وص٢٣٥. وانظر بدر الدين حي ص٨٥.

(٣٩) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٣٥.

(٤٠) نفسه ج٢ ص٢٤٣.

(٤١) بدر الدين ص٣٦.

(٤٢) الإسلام الفاتح ص٧٣. ، بدر الدين حي ص١٠٢.

٦ـ المسلمون في عهد الصين الوطنية ١٣٢٩-١٣٦٧هـ ١٩١١-١٩٤٨م:

أعلن مؤسس جمهورية الصين الوطنية(صن يات صن) أن الأمة الصينية تتكون من خمسة شعوب هي : الهان ، والمانشو ، والمنغ ، والهوي(المسلمين) ، والتسانج. وأعطى هذه الشعوب الخمسة حق المساواة وأعلنت الجمهورية الحرية الدينية في القانون الأساسي الذي أعلن سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٣م وبعد ذلك نشرت الحكومة وصايا أدبية في كتب خاصة بها :

« إن الصينيين والمغول والمندشو والتبتيين والمسلمين كلهم أبناء جمهوريتنا الصينية بدون تفريق بين أجناس ولا أديان. ولكل أن يعتقد ببوذا أو عيسى أو محمد ، فليس للدولة ديانة رسمية بل الديانة حرة » (٤٣). وكان علم الجمهورية يتكون من خمسة ألوان رمز للمسلمين باللون الأبيض (٤٤). وعبر صن يات صن عن الظلم الذي عاناه المسلمون في قوله :« من المعلوم أن(الهوي) المسلمين كما يبدو في تاريخ الصين قد قاسوا إضطهادا أشد من الآخرين. ولأنهم قد قاسوا أكبر المظالم وأوجع المصائب في القرون الأخيرة فمن الطبيعي أن تكون روح نضالهم أقوى وأشد . .» ثم أضاف :« إنه من الصعب أن تبلغ الحركة الوطنية في الصين إلى أكبر درجة من النجاح مرحلتها الأخيرة بدون مشاركة المسلمين » (٤٥) .

كل ذلك شجع المسلمين فسرعان مااستعادوا حيويتهم ودورهم القيادي ، وتعاونوا مع الحكم الجمهوري ، وأخذوا يتصلون بالمسلمين خارج الصين وخاصة بالأزهر في مصر ، وقام علماؤهم بمحاربة البدع والدعوة إلى تصحيح الإيمان ، وتأسست جمعيات عديدة تعنى بشئونهم من أهمها :

أـ جمعية مسلمي الصين التقدمية ، تأسست في بكين عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م وكان هدفها نشر التعليم الإسلامي واللغة العربية في المساجد والمدارس ، واتصلت الجمعية بالمسلمين خارج الصين ، وأرسلت البعثات إلى الأزهر وأصدرت عدة مجلات إسلامية. وكان لها مراكز في تشونج كينج ونقل مركزها الرئيسي إلى نانكين ، وكان لها ٢٣ مركزا فرعيا في المقاطعات و٤٠٠ فرعا في المديريات و٩٠٠ مكتبا في جميع أنحاء البلاد (٤٦) .

---

(٤٣) حاضر العالم الإسلامي ج٢ ص٢٥٣.

(٤٤) بدر الدين ص١٠١وص١٣١.

(٤٥) بدر الدين ص١٣٢.

(٤٦) نفسه ص١٣٦، مجلة العربي محرم سنة ١٤٠١هـ.

بـ الجمعية الاتحادية الإسلامية لكل الصين : وتأسست عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م في شنغهاي وقد قامت هذه الجمعية بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية وأعطت منحا لطلاب المسلمين للدراسة في الجامعات التركية والمصرية .

جـ الجمعية الثقافية الصينية : وتأسست في شنغهاي سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م. وكان هدفها نشر علوم التفسير والحديث وبناء المدارس والمكتبات الإسلامية .

دـ جمعية اتحاد المسلمين : وتأسست عام **١٩٢٩م** ومركزها الرئيسي في شانغهاي .

وقد ازدهرت المساجد في النصف الأول من القرن العشرين ، وألحقت بها المدارس ، وبلغ عدد المساجد في الصين في الإحصاء الذي تم سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ، ١٣٥٥هـ/ ٤٠٣٢٧ مسجدا عدا مساجد التركستان الشرقية الإسلامية كانت موزعة كما يلي :

الولايات الشمالية الشرقية **٦٥٧٠** مسجدا .
ولاية خانصو(كانسو) **٣٨٩١** مسجدا .
في يونان **٣٩٧١** مسجدا .
في ولاية شانسي **٣٦١٢** مسجدا .
في ولاية هاوبة **٢٩٤٢** مسجدا .
في ولاية هاونان **٢٧٠٣** مسجدا .
في ولاية شانتونج **٢٥١٣** مسجدا .
في ولاية سزي تشوان **٢٢٧٥** مسجدا .
في ولاية أنجووي **١٥١٥** مسجدا .
في ولاية شنسي **١٩٣١** مسجدا .
في ولاية تشنجهاي **١٠٣١** مسجدا .
في ولاية هوبة **١١٣٤** مسجدا .
في ولاية كيانجسي **١٣٠٢** مسجدا .

هذا بخلاف العديد من المساجد في الولايات الأخرى (٤٧). وكان في التركستان الشرقية ٢٠٤٥ مسجدا (٤٨) .

وشيدت المدارس الإسلامية بجهود ذاتية في القرى والمدن وخصوصا في ولاية

(٤٧) Journal Institute of Muslim Minority Vol.1

(٤٨) بدر الدين حي ص١٠٣.

كانسو التي كانت لا تكاد تخلو كل قرية إسلامية منها. وتدرس فيها اللغات العربية والفارسية. كما أنشأوا من تبرعاتهم أربع مدارس دينية حديثة هي : مدرسة المعلمين الإسلامية في بكين ، ومدرسة المسلمين الإسلامية في شانغهاي ، ومدرسة المعلمين الإسلامية في سيجوان ، ومدرسة الأخلاق الإسلامية الثانوية في يونانغو. وأما المدارس الحديثة وخاصة الإبتدائية والإلزامية فكثيرة في كل المدن والقرى .

وفي المجال السياسي إستعاد المسلمون دورهم القيادي وأخصلوا للحكم الوطني بعد وفاة الدكتور صن يات صن ، ففي عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م كان مايزيد على مائة نائب مسلم في مجلس النواب ، وكان حكام مناطق متعددة من المسلمين مثل التركستان الشرقية وتسينغان ونينج هسيا وخانصو ، كما شارك المسلمون في الوزارات الوطنية ، وكان منهم أول وزير للدفاع الصيني بعد الحرب العالمية الثانية ، والتحق المسلمون بالجيش بأعداد كبيرة. وارتقى الكثير منهم إلى رتبة لواء بالجيش الصيني. أما في الوظائف المدنية فكان عددهم قليلا (٤٩) .

وفي الوقت نفسه كانت حكومة الصين تعامل المسلمين بحذر وتوجس ، فألغت العلم الذي يرمز للشعوب الخمسة ، واعتبرت شعوب الصين الرئيسية ثلاثة ، والمسلمين شعبا فرعيا ، وحاولت جهدها أن يندمج المسلمون من تلقاء أنفسهم في شعب الهانيين (٥٠). وكانت تقف ضد المسلمين أثناء الحركات ففي سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م وقع صدام مسلح بين المسلمين وحاكم مقاطعة تركستان(سينكيانغ) أدى إلى قتل عشرات الآلاف من المسلمين. وحدث صدام آخر بين المسلمين والسلطات الحاكمة في مناطق كانسو سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م نتج عنه مقتل العديد من المسلمين . كما حدثت عدة صدامات بين المسلمين والسلطة في مقاطعتي ميوان وكويوان (٥١). وقد تكبد المسلمون خسائر جسيمة خلال هذه الحروب .

وفي عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م شهدت التركستان إنتفاضة إسلامية كبيرة بزعامة **خوجة نياز حاجي** ، وتمكنوا من طرد الصينيين ، وأقاموا دولة مستقلة ، وقامت روسيا بدعم الجانبين ـ المسلمين والصين ـ للتدخل والسيطرة ، وأخيرا خشي السوفييت من قيام دولة إسلامية على حدود تركستان الغربية الخاضعة

(٤٩) انظر حاضر العالم الإسلامي ج٢ص٢٦٥

(٥٠) انظر محمد مكين ـ المسلمون في الصين ص٥١-٥٢.

(٥١) بدر الدين حي ص١٢٠.

لاستعمارهم ، فساعدوا الصينيين في القضاء على الثورة ، واعتصم المجاهدون بالجبال ، وتمكنوا من القيام بثورة أخرى شاملة إنتهت بالإنتصار على الجيوش الصينية والروسية ، وإعلان تأسيس جمهورية التركستان الشرقية الإسلامية. مع دستور مبني على أساس الشريعة الإسلامية (٥٢) وعاصمتها كاشغر عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ، وتم انتخاب خوجه نياز حاجي رئيسا للجمهورية. فقام الروس بهجوم كاسح مدعم بالطائرات وتمكنوا من احتلالها رغم بسالة المسلمين نظرا لعدم تكافؤ الفريقين في الأسلحة والمعدات. وقام الروس بشن حملة إبادة وحشية ضد المسلمين ، فقتلوا زعماء الثورة وكثيرا من الأهالي ،واستشهد خوجه نياز. ووقعت البلاد تحت الإستعمار الروسي الذي كان أشد وطأة من الإضطهاد الصيني ، ولكن المسلمين قاموا بعدة ثورات عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م وعام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م وعام ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م واستمرت الأخيرة ثلاث سنوات ،إنتهت بانسحاب الروس بعد أن أخذوا معهم جميع المنشآت الإقتصادية التي أقاموها في تركستان أثناء وجودهم فيها ، وسرعان ماهاجمهم الصينيون ، واحتلوا أرضهم مرة أخرى بعد أن فقد المسلمون العديد منهم .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨-١٣٦٥هـ/١٩٣٩-١٩٤٥م) حاولت **اليابان** إستغلال المسلمين لتنفيذ سياستها وخطتها في السيطرة على الصين ، وبالتالي على آسيا ، فأسست إتحاد المسلمين الصينيين في بكين الذي صدرت عنه مجلة تحمل اسم(الإسلام) . كما صدرت جريدة في شنغهاي باسم(نور الإسلام) ، ومجلة صينية أخرى في بكين باسم : (الصراط المستقيم) تحت توجيه اليابان. التي اعتبرت في الصين حامية الإسلام. وسمح للمهاجرين الصينيين المسلمين الذين كانوا يقيمون في اليابان ببناء المساجد وفتح المدارس. وفي الوقت نفسه كانت الحكومة الوطنية التي تقاتل اليابان تؤكد في دعايتها تأييد المسلمين. فقد أسس الجنرال(عمر باي تشونغ هشي) أحد قادة الجيش الكبار(جمعية الصين الإسلامية لإنقاذ الوطن) في عام **١٩٣٨م** وأشرف على جميع أعمالها ونشاطاتها في محاربة اليابان عملا ودعاية في داخل الصين وخارجها وفي العالم الإسلامي (٥٣). كما أدعى الشيوعيون أن المسلمين يظاهرونهم في حربهم ضد اليابان ، وساقوا لهم الوعود المعسولة التي زعموا أنهم يحققونها لهم غداة تسلمهم السلطة بعد الحرب الصينية

(٥٢) بدر الدين حي ص١٢٥.

(٥٣) نفسه ص١٣٦.

اليابانية (٥٤) .

وبعد استسلام اليابان وخروجها من الصين ، إشتبكت الصين الوطنية مع الشيوعيين بزعامة(ماوتسي تونغ) ، وتمكن الشيوعيون بعد حرب إستمرت خمس سنوات من التغلب على الصين الوطنية التي انحسرت في فرموزا ، وكان المسلمون وقودا للجانبين المتصارعين ، ففر بعضهم من البلاد وبخاصة الزعماء المعروفون بعدائهم للشيوعية ، والذين تسلموا مناصب ذات أهمية في العهد الجمهوري السابق. ومن لم يستطع منهم الفرار لقي حتفه مع الكثير من أمثاله .

وفي أثناء ذلك شهدت تركستان عدة انتفاضات بدعم من منغوليا وروسيا (٥٥). إلى أن سقطت بيد الشيوعيين عام **١٩٤٩م** بعد صراع مرير قام به المسلمون في مقابلة الشيوعيين (٥٦) .

٧ـ المسلمون في عهد الشيوعيين ١٣٦٩ـ١٣٨٦هـ/١٩٤٩ـ١٩٦٦م :

استولى الشيوعيون على حكم الصين عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م بعد حرب استمرت خمس سنوات بين القوات الوطنية التي تزعمها(شيانج كاي شيك) ، والشيوعية بزعامة(ماوتسي تونغ) .

وكان(ماو) كبير الأمل في اجتذاب الألوف حوله ، والاستفادة من أخطاء الدولة السابقة ، فأعلن في بداية حكمه :« دعوا مائة زهرة تتفتح ودعوا مائة مدرسة مختلفة تتصارع ». وأصدر بحثه عن الطريقة الصحيحة لمعالجة التناقضات في صفوف الشعب (٥٧). وهذه أساليب الشيوعيين في أول أمرهم فأعلنوا التسامح مع أهل الأديان وخاصة المسلمين. ونص الدستور على حرية العبادة شأنه في ذلك شأن الدستور السوفياتي ، ولكن هذه النصوص مجرد شعارات ذرا للرماد في العيون وتتلاشى عند التطبيق ، فهي مرحلة مهادنة مع الإسلام امتدت حتى سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م (٥٨) .

وعقد أول مؤتمر إسلامي في ظل النظام الجديد سنة ١٣٧٣هـ ، وصدرت مجلة باسم مسلمي الصين سنة ١٣٧٤هـ ، وأنشيء معهد إسلامي عام

---

(٥٤) انظر نفسه ص١٤١-١٤٢ وص١٤٥-١٤٨.

(٥٥) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص٢٢.

(٥٦) بدر الدين حي ص١٥٣-١٥٤.

(٥٧) الغزالي ـ الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص٦٦ عن محمد عودة.

(٥٨) بدر الدين حي ١١٢ ، مجلة العربي محرم سنة ١٤٠١هـ.

١٣٧٥هـ/١٩٥٥م. والغيت الجمعيات الإسلامية وشكلت السلطات الشيوعية سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م **جمعية إسلامية شعبية** كان من زعمائها برهان الدين شهيدي حاكم سينكيانغ ، وسيف الدين ، وإبراهيم ، وبوشنج من شنغهاي ، ومحمد مكين من يونان وغيرهم. وقد افتتحت الجمعية عددا من الفروع والمراكز التعليمية لها ، ونشرت كتبا كثيرة تساير الفكرة الشيوعية ، أو بعبارة أدق تساير الفكرة التي يعمل لها الحكام ، ثم المضي في هذا السبيل بالدعاية في البلدان الإسلامية ، عن طريق نشر مجموعة من الرسائل والكتب باللغات العربية والإنجليزية والصينية ، عن نشاط المسلمين في الصين ، بحيث يبدو وكأنهم يتمتعون تماما بحرية العقيدة ، وأنهم ينتهجون الفكرة الشيوعية إلى جانب إسلامهم. كل ذلك لخدمة النظام الحاكم ، وتغطية الممارسات الفعلية للشيوعيين ضد الإسلام في الداخل ، وتعتيم هذه الممارسات ، فكانت مرحلة تأميم النشاط الإسلامي بنقل إدارته وتوجيهه من الجمعيات الأهلية إلى الدولة والحزب الشيوعي .

وبدأت الشيوعية بعد ذلك **تنفيذ خطتها المرسومة تجاه الإسلام** والمسلمين تدريجيا ، **فقسمت** تركستان الشرقية إلى ٦ مناطق منذ عام **١٩٥٤م** ، وغيرت إسمها وأسماء كثيرة من المدن والقرى بأسماء صينية (٥٩). واتجهت إلى عزلها عن العالم وتحويلها إلى مقاطعة شيوعية داخل الكيان الصيني. وفرضت رقابة شديدة على المسلمين التركستانيين حتى لايصل إلى الرأي العام العالمي (٦٠) ، وتم إلغاء الجمعيات الإسلامية الواحدة بعد الأخرى ، ووضعت الدولة يدها على الأوقاف ، ولم يعد للمساجد أوالمدارس الإسلامية دخل إذ كانت الأوقاف موردها الوحيد ، فتركها القائمون عليها ليضربوا في الأرض يبتغون من فضل الله ، وتوقف عمل هذه المساجد والمدارس وانتهى دورها في الحياة الإجتماعية .

وأغلقت بقية المساجد عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ، ومنع الأذان والصلاة الجامعة والصيام والتعليم الديني ، وقتل العلماء وسجنوا ، وأخذت الصحف الصينية تلمح ثم تصرح وتندد بوجود المساجد الكثيرة وتدعو إلى توظيفها لأغراض إقتصادية ، فمهد هذا لإغلاقها وتحويلها إلى مخازن أو نواد أو دور للهو .

ونشطت الشيوعية في أسلوب **تهجير المسلمين** بنفيهم ، وإبعادهم عن أراضيهم ، وتوطين الصينيين مكانهم ، في محاولات لإذابة المسلمين في غيرهم ،

---

(٥٩) رابطة العالم الإسلامي العدد ١٢ ص٤٦. بدر الدين حي ص١٦٢-١٦٣.

(٦٠) نفسه ص٤٧.

فتوطن الملايين من غير المسلمين في المناطق الإسلامية مثل كانسو والتركستان الشرقية ويونان وغيرها. كما قاموا **بتجزئة تلك المناطق** وضم بعضها إلى ولايات أخرى. وأجبروا المسلمين على الزواج المختلط ، و**نظام الكميونات**(نظام المعيشة المشتركة) طبقا للمباديء الشيوعية فأفقروهم لدرجة المجاعة ، ونتج عن ذلك تدهور أحوال المسلمين الإقتصادية والإجتماعية .

وفي عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م طبق نظام **العمل الجماعي** الإجباري على المسلمين ، وسيق أئمة المساجد والخطباء إلى المزارع والمصانع دون أية مقدمات .

ثم أنشئت **المعسكرات** التي حشدت شباب المسلمين فيها رجالا ونساء ، وأجبروا على الحياة فيها معا من أجل إفساد الشباب وإبعادهم عن دينهم ، وكان نتيجة ذلك أن قام المسلمون في مدينة كاشغر بعصيان عام **١٣٧٧هـ** ودارت معركة ذهب ضحيتها **٣٦٠ ٠٠٠** مسلم من خيرة الشباب المسلم التركستاني (٦١) .

ونشط الشيوعيون **لتوحيد عقائد الشعب** على اختلاف مللهم ونحلهم ، بإيجاد وحدة في المأكولات والمشروبات وعادات دفن الموتى ومراسم الزواج . .. فاضطر ذلك المسلمين إلى تناول لحم الخنزير والمسكرات ودفن موتاهم في مقابر عامة وعدم الصلاة على الموتى باسم حرية الإعتقاد والعادات .

وفي عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م توقف المعهد الديني في بكين التابع للجمعية الإسلامية عن استقبال طلبة العلم بعد أربع سنوات فقط من إنشائه ، وكان النافذة الوحيدة للمسلمين لتلقي علوم دينهم. كما توقف إصدار مجلة(المسلمون في الصين)

وفي عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م توقفت بعثات الحج إلى بيت الله الحرام نهائيا. ثم تلاها تهجير المسلمين بكثافة من مناطق الكثافة الإسلامية العالية إلى مناطق أخرى ،ووجه هذا بكفاح وجهاد في المناطق الإسلامية وخاصة التركستان سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م. وتم تغيير أسماء المدن والمناطق الإسلامية. واعتبر التاريخ من بداية الشيوعية لبتر الحاضر عن الماضي .

المسلمون في مرحلة الثورة الثقافية ١٣٨٦-١٣٩٦هـ/١٩٦٦-١٩٧٦م :

وهذه المرحلة من أشد مراحل العنف وتسمى بمرحلة الإنتفاضة الثقافية . وقلبت الصين رأسا على عقب. وعلى رأسها(جيانج كنج) أرملة ماو. عمل فيها

---

(٦١) رابطة العالم الإسلامي عدد ١٢ السنة ٢٣ صفر ١٤٠٥هـ/ نوفمبر ١٩٨٥م ص٤٦.

الشيوعيون على إنهاء الوجود الإسلامي في الصين بدأه ماو بمنشور وجهه إلى الحرس الأحمر ، نشرته صحيفة ثمد بات باد ، في هونج كونج في عددها الصادر ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٦م جاء فيه :

« يارجال الحرس الأحمر ، لايمكن أن ندعو عدوا من أعدائنا يهرب وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الأعداء تخفيا ـ المسلمين الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم ، ويختبيء أولئك المسلمون في الجوامع ، وبتوجيه من الإستعماريين ، كما تسيطر عليهم الدول الأجنبية ضد بلادنا وشعبنا العظيم وزعيمنا الجزيل الإحترام الرئيس ماو .

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم ، سنطردكم وندمركم ، ومن الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار تخدم الشعب ، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير ، ولايمكنكم أن تضيعوا وقتكم في الصلاة .. يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية .

ولن يسمح لكم بأن تقرأوا مايسمى بالكتاب المقدس(القرآن) .

إسمعوا أيها المسلمون : دمروا جوامعكم ، حلوا المنظمات الإسلامية ، أحرقوا القرآن ، الغوا الحظر الذي وضعتموه على الزواج المشترك ، كفوا عن الصلاة ، ألغوا الختان ، أدرسوا أفكار ماو .

إذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم ، يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية وندمرها معكم. فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى ، فليحيا طويلا ، طويلا الرئيس ماو » (٦٢) .

ومن تلك الفقرات يتضح لنا جليا تلك الحملة المسعورة التي شنها الشيوعيون على الإسلام وأهله لاستئصاله ، فتتبعوا بقية المساجد في العام نفسه ، وقبض على رئيس الجمعية(التي أنشأها الشيوعيون) الحاج(محمد علي تشانج) ، وضرب وعذب وسجن ، وكذلك نواب رئيس الجمعية في الولايات الصينية ، وإمعانا في الإهانة ضرب العلماء في الشوارع ، وأبقوا مسجدا واحدا في بكين ليصلي فيه(الدبلوماسيون) من العرب في الأعياد والمناسبات. وألغيت عطلة عيد الأضحى والفطر ، ومنع المسلمون من ارتداء ثيابهم المعتادة ، وأجبروا على ارتداء الملابس الزرقاء . وألغيت التصاريح التي كانت تصرف بها أكفان الموتى .

(٦٢) الغزالي ـ الإسلام في وجه الزحف الأحمر ـ من مجلة الوعي الإسلامي ـ ص٣٧-٣٨.
وانظر الرأي الأردنية ص١٩/ ٨ رمضان ١٤٠٦هـ/ ١٦/٥/١٩٨٦م.

وشكلت الثورة الثقافية مجموعة ثورية لمقاومة الإسلام ، تولت ترتيب وإصدار هذه الإجراءات ومتابعتها ، فتم اقتحام بيوت علماء الدين ، وأخذ الكتب والمصاحف وحرقها علانية في الشوارع ، ففقد المسلمون الصينيون مخطوطات نادرة. ومنع المسلمون وخاصة في التركستان من استخدام الحروف العربية في كتاباتهم ، وأجبروا على استخدام الحروف الصينية .

وحتى يتوفر غطاء قانوني لهذا الإتجاه تم تعديل المادة(٨٨) من دستور عام ١٩٥٤م/١٣٧٤هـ التي تنص على ضمان حرية الإعتقاد الديني ، ضمن التعديلات الدستورية التي تمت عام **١٩٥٧م** ، وكان نص المادة(٢٨) من الدستور المعدل :« للمواطنين حرية الكلام وحرية المراسلة والنشر والإجتماع والتنظيم والمسيرة والتظاهر وتكوين الأحزاب ، ولهم حرية الإعتقاد الديني وحرية عدم الإعتقاد في الأديان ونشر الإلحاد » (٦٣) .

ومن هذا التعديل نجد أن حرية الإعتقاد الديني لم تعد منفردة بمادة مستقلة ، بل أدمجت في قائمة طويلة من الحريات يجيء الإعتقاد الديني في الترتيب التاسع منها ، والأهم من ذلك أن النص يكفل في الورق حرية الإعتقاد فقط بينما يكفل عمليا في الجانب الآخر حرية الدعوة إلى الإلحاد وهذه ميزة لا تتوفر لأصحاب الأديان ، وتعني بوضوح أن حجم الحريات غير متكافيء بين المؤمنين والملحدين .

واحتل الشيوعيون المراكز القيادية في الأقاليم الإسلامية ، فعانى المسلمون التفرقة في الوظائف وخصوصا القيادية منها. وشهدت التركستان موجة من الهجرة الصينية حتى تحولت بعض المدن إلى مدن صينية من حيث نسبة السكان ومثال على ذلك مدينة أوروجي العاصمة التي يقال بأن نسبة الصينيين فيها تبلغ ٨٠٪ من السكان (٦٤) .

وتوفي الرئيس ماوتسي تونغ عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، بعد أن أهدرت الثورة الثقافية كل مابناه المسلمون وأنجزوه منذ إعلان الجمهورية عام **١٩١١م** ، وبدأ أمامهم المستقبل قاتما وكئيبا. وحجبت أخبارهم عن العالم وعن أنظار الباحثين ، ولم يتسرب إلا نتف يسيرة مما أمكن أن يتسرب عن المسلمين داخل الصين ، كتظاهر المسلمين في ولاية يونان عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م مطالبين بعطلة يوم

---

(٦٣) وهو نص مماثل للمادة التي يتضمنها الدستور السوفيتي ويدلل بها على الضمان الدستوري لحرية الأديان مع تغيير طفيف في الألفاظ.

(٦٤) المسلمون العدد ٣٧ ص١٨.

الجمعة (٦٥) .

المسلمون في الصين من عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م-١٤٠٩هـ/١٩٨٨م :

حصل صراع على السلطة بعد وفاة(ماو) انتهى بسحق عصابة الأربعة وبدأ المسلمون مرحلة جديدة من عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. حصل فيها بعض الإنفراج في سياسة الحكومة تجاه المسلمين ،وظهرت مجاملة الدولة لهم ومحاولة كسب عطفهم في أعقاب الغزو السوفييتي لأفغانستان في أواخر عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. فتمت الدعوة لعقد المؤتمر الرابع للجمعية الإسلامية ، وانعقد بالفعل عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م بعد انقطاع دام سبعة عشر عاما ، وأعلن رئيسه الحاج محمد علي تشانج بأن الدولة منحت حرية الإعتقاد الديني أو عدم الإعتقاد ، كما أن للمواطنين الحق في الدعوة إلى الإلحاد. كما أضيفت مادة لقانون العقوبات سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م نصها :

« يعاقب موظفو الحكومة بالسجن بحد أقصى سنتين إذا ماأفرطوا في تجريد المواطنين من حريتهم في عقيدتهم الدينية وانتهكوا أعراف وعادات أبناء الأقليات القومية على نحو غير شرعي » (٦٦) .

وتجد الإطار القانوني هذا صيغ بأسلوب غريب ويثير الدهشة ومعنى ذلك : أن النص لا يحرم تجريد المواطنين من حرية العقيدة من حيث المبدأ ، ولايعارض انتهاك تقاليد الأقليات من الأساس ، أي أن التجريد إذا تم بغير تفريط ،والإنتهاك إذا تم على نحو شرعي ، فإنه يصبح قانونيا ومعقولا . .

هذا وقد عقد مؤتمر آخر لمسلمي التركستان الشرقية في أوائل تموز (يوليو) سنة ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ ، كما أقيمت صلاة عيد الأضحى في المسجد الكبير في بكين سنة **١٤٠١هـ** بعد أن عطلت مايقرب من ثلاث عشرة سنة . وعادت بعثات الحج ، وبدأت محاولات عودة الجسور للإتصال مع العالم الإسلامي كتبادل الزيارات وحضور الندوات والمؤتمرات الإسلامية. وأول مؤتمر من هذا النوع مثل فيه مسلمو الصين كان الملتقى الإسلامي في الجزائر(سبتمبر **١٩٧٩م**) ، وتم فتح المساجد المغلقة التي بلغ عددها في التركستان وحدها **١٩٠٠** مسجد تدريجيا. وعادت العطلات الإسلامية. وقام عدد كبير من العلماء المسلمين في الصين بزيارات للدول العربية والإسلامية عام ١٤٠٥-١٤٠٦هـ وخاصة من منطقة

(٦٥) مجلة العربي محرم ١٤٠١هـ العدد ٢١٥ص٩٩.
(٦٦) نفسه.

نينجسيا وحاكمها مسلم وهو حسين حنبلي (٦٧) .

هذا وقد حملت أنباء عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م تخلي الصين عن بعض الأفكار الشيوعية وهذا يجعل مستقبل الإسلام جيدا في هذه البلاد ، فقد ألغيت المزارع الجماعية بعد التخلي عن الإشتراكية وانتقاد الماركسية ، فاعتبر العديد من المراقبين هذا التحول بأنه ثورة على الثورة التي بدأها ماوتسي تونج (٦٨) .

ورغم المآسي التي مرت على المسلمين والانفصام بين الجيل القديم والجديد فإن الترابط الإجتماعي لايزال قويا ، ويتميز بالطابع الإسلامي ، ويتمثل هذا في كثير من العادات والتقاليد الإجتماعية المرتبطة بالإسلام ، ويحرص المسلمون على لغاتهم ويكتبونها بالحروف العربية رغم المحاولات التي بذلت في صدهم عنها (٦٩) .

وكان التعليم الديني سري للغاية حيث يقوم بعض العلماء بتدريس أحكام الشريعة وأصول الفقه خفية ، وانتشرت جماعة في تركستان يسمون أنفسهم بالدراويش ، يروجون للممارسات المنحرفة فيما يتعلق بتقديس الأولياء والتعلق بالخرافات ، واتخاذ القبور مزارات تذبح عليها الذبائح وتنذر النذور ، ولابد من مد الجسور الإسلامية إلى مسلمي الصين لبيان محاسن الإسلام وطرقه الصحيحة ، فهم في شوق ولهفة لتلقفه بعد الكوابيس الثقيلة التي مرت بهم والتجارب المضنية. وبدأ المعهد الإسلامي في كاشغر التابع للجمعية الإسلامية الصينية في بكين في استقبال الطلاب التركستانيين وتدريسهم اللغة العربية والدين الإسلامي وتأهيلهم ليكونوا أئمة ووعاظا. وكان قد تأسس عام **١٩٥٣م** وعطل عن عمله منذ تأسيسه واستعاد نشاطه سنة **١٩٨٢م**. وضم **٨٦** طالبا يمثلون مختلف قوميات المسلمين في التركستان والصين ، وللمعهد عشرة مبعوثين للدراسة في الأزهر. وتنوي الجمعية فتح معهد مماثل في مدينة أوروجي ليؤدي دوره ، وعادت الجمعية التي تشرف على النواحي الدينية في الصين والتركستان إلى نشاطها بعد أن عطلت منذ عام **١٩٥٩م**. ولها خمسون فرعا في أنحاء الصين في تركستان فرعان فقط في أوروجي (٧٠) .

---

(٦٧) المسلمون العدد ٣٨ ص٥.

(٦٨) الشرق الأوسط ص٥-١٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ /١٩٨٤/١٢/١١م.

(٦٩) المسلمون العدد ٣٧ ص١٨.

(٧٠) المسلمون العدد ٣٧ السبت ٥صفر ١٤٠٦هـ/ ١٩أكتوبر ١٩٨٥م.

ووجد في ولاية كانسو التي تعد أكثر مناطق الصين كثافة بالمسلمين عام ١٩٥٥م أكثر من ١٢٠٠ مسجد مشيد على الطراز الإسلامي ، ويتمسك المسلمون بالعادات الإسلامية الحميدة في هذه المنطقة وتجيد الغالبية منهم اللغة العربية وذلك بفضل حفظهم للقرآن الكريم (٧١) . وقد أقيم الملتقى الإسلامي للدعوة والدعاة في العاصمة الصينية بكين واختتم أعماله يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/٧ ديسمبر ١٩٨٧م وهذا دليل الإنفتاح وخطوة إيجابية لإيجاد اتصال مباشر بين مسلمي الصين واخوانهم في كل مكان (٧٢) .وقد أعفت الحكومة الصينية المسلمين من قوانين تحديد النسل ، وسمحت لهم بحرية الانجاب تلبية لرغبة المسلمين في تركستان . وبدأت تركستان تشهد بالفعل حركة إحياء إسلامي مكثفة تمثلت في إقامة أكثر من ستة آلاف مسجد في فترة تقل عن ست سنوات . وانتشرت المدارس لتعليم القرآن الكريم (٧٣).

واشتدت مطالبة تركستان الشرقية بالمطالبة بالحكم الذاتي، واتخذت الحكومة الصينية الشيوعية إجراءات قمعية ضد المسلمين كما عمدت السلطات إلى إجبار مئات من الطلبة والعمال حضور دورات سياسية خاصة في محاولة لتهدئة خواطر المسلمين وكبح جماح عواطفهم المعادية للنظام الشيوعي في الصين. كما حاولت السلطات فرض قانون لتحديد الإنجاب على المسلمين. كما شجعت أعداداً من المستوطنين الصينيين على الاستيلاء على مصادر المنطقة الإسلامية الطبيعية الغنية بالمعادن. ونقلت عدداً كبيراً من قوات الجيش إلى المدن الإسلامية.

وقضية تركستان الشرقية الإسلامية لا تجد في الخارج من يتبناها أو يدافع عنها ولعل ذلك يعود إلى الخوف من الصين الشعبية والتي سنحت المجال أمام المسلمين للعلم والتدين ورفعت الحظر عن دخول المصاحف وسمحت ببناء المساجد وسمح للمرأة بارتداء الحجاب، وسمح للأطعمة الإسلامية بتقديمها في المطاعم وذلك سنة ١٩٩٣م.

وهذا كله يحمل الأمل بعودة دور الإسلام في تلك البلاد التي تحتاج إلى نور الهداية. ويثبت بدوره معجزة الإسلام ـ الدين الخالد الذي ارتضاه الله للبشرية ـ إن الدين عند الله الإسلام ـ.

(٧١) نفسه العدد ٣٨.

(٧٢) أخبار العالم الإسلامي ـ الاثنين ٢٣ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/ ١٤ ديسمبر ١٩٨٠م العدد ١٠٥٢.

(٧٣)المسلمون العدد ٢١٠ ص ١

الفصل الثالث

المسلمون في شبه جزيرة الهند الصينية وقضية فطاني

الهند الصينية شبه جزيرة كبيرة تقع بين الصين والهند وتضم الأقطار التالية في جنوب شرق آسيا (١) :

١- بورما ومساحتها ٠٣٣ ٦٧٨ كم٢ .

٢- تايلاند ومساحتها ٠٠٠ ٥١٤ كم٢ .

٣- كمبوتشيا ومساحتها ٠٣٥ ١٨١ كم٢ .

٤- فيتنام الشمالية ومساحتها ٧٥٠ ١٥٨ كم٢ .

٥- فيتنام الجنوبية ومساحتها ٩٠٦ ١٧٠ كم٢ .

٦- الملايو ومساحتها ٦٣٣ ٣٣٢ كم٢ (٢).

٧- لاوس ومساحتها ٨٠٠ ٢٣٦ كم٢ .

فتكون مساحة شبه الجزيرة جميعها : أكثر من مليونين كم٢ .

وهي موسمية الملامح في مناخها وتتساقط أمطارها في معظم شهور السنة وخاصة في فصل الصيف (٣) ويعمل أهلها بالزراعة وخاصة : الأرز الغذاء الرئيسي للسكان ، والذرة والمطاط والقطن والتوابل ، وبالصيد البحري وتربية الحيوانات وقطع الأخشاب لانتشار الغابات (٤) .

والهند الصينية أصعب البلاد مواصلات ، لارتفاع جبالها وقحولة بعض أراضيها ، ووجود الغابات الكثيفة (٥) .

---

(١) عن الأطلس العربي العام ص٢.

(٢) هذه المساحة تشمل الملايو وبقية أجزاء اتحاد ماليزيا. وكانت من ضمنها سنغافورة (مدينة الأسد) وموقعها استراتيجي في مركز الأرخبيل الأندونيسي في طريق الممرات البحرية الحيوية بين الشرق والغرب. حيث انسحبت من الاتحاد عام ١٩٦٥م. ومساحة سنغافورة ٥٧٦ كم٢فقط. وتصلها بماليزيا في الشمال طريق معبدة وخط أنفاق من السكك الحديدية. وهي أصغر دولة مستقلة في آسيا. مزدحمة بالسكان. يزيدون على٥,٢ مليون نسمة. معظمهم من الصينيين الذين هاجروا إليها بكون المسلمون من سكانها حوالي ١٩٪ فقط.

(٣) حسن أبو العينين - آسيا الموسمية ص٣١٨.

(٤) نفسه ص٣١٩.

(٥) حسين مؤنس - الإسلام الفاتح - ص٣٢.

وسكان هذه الأقاليم صينيون وسياميون ، عدا شبه جزيرة الملايو بما فيها ملقا التي يسكنها شعب يختلف كل الاختلاف عن الصينيين والسياميين وهو شعب الملايو (٦). **والملايو** من الأقطار الإسلامية ، تمثل القاعدة الرئيسية لمملكة ماليزيا الغنية بانتاج المطاط والتوابل والأخشاب الغالية ،وفيها اليوم أكبر مناجم القصدير في الدنيا ،والبترول . ولغتهم المالاوية تكتب بالحروف العربية ، وتتمسك بدينها الحنيف ، ويرأس حكومتها ملك منتخب هو رمز وحدة البلاد وإسلامها ، وضمت إليها عند إنشاء ماليزيا : سلطنتا صباح وبروناي في شمال شبه جزيرة بورنيو ، وكلها سلطنات إسلامية ، وسنغافورة التي انفصلت عنها وكونت لنفسها جمهورية قائمة بنفسها (٧) .

دخول الإسلام إلى الهند الصينية :

بالنسبة **للملايو** : فقد عرف المسلمون ملقا من زمن بعيد وأطلقوا عليها اسم بلاد كله ، أو كله بار ، ولفظ بار الذي يكثر استعماله في المحيط الهندي هو لفظ(بر) العربي محرفا (٨) ، وكانت الملايو تحوي ممالك وإمارات كثيرة أشهرها **ملقا** وتقع في الشمال وتمتد من الساحل إلى الساحل ، وقد هاجر إليها الهنود التاميل الذين أسلموا من زمن بعيد فكانوا أول من حمل الإسلام إليها (٩) مع التجار والدعاة من الهند وشبه جزيرة العرب الذين سكنوا ملقا نفسها واستجاب لهم الناس بالإسلام ، ومن الدعاة **سيدي عبد العزيز** التاجر والداعية العربي من أهل جدة الذي وفد إلى ملقا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي وأقنع ملكها بالدخول في الإسلام ، وأقبل الملك على العربية يتعلمها ويشاركه في ذلك زوجته وأولاده الثلاثة الذين سماهم : راجا معظم شاه وراجا محمد شاه وراجا سليمان شاه (١٠). فكانت تلك الخطوة هي الحاسمة التي جعلت من الملايو دار إسلام لأن معظم شبه الجزيرة تبعت ملقا في دخول الدين الحنيف حتى عم بلاد الملايو كلها. ومن أشهر سلاطين ملقا : السلطان عبد الله(منصور شاه) ابن السلطان مظفر شاه ، (١٤٤٤-١٤٧٧م) ، أقيمت في زمنه ندوة للعلماء عام **١٤٥٩م**

(٦) نفسه ص٣١.
(٧) حسين مؤنس ص٥٧.
(٨) نفسه ص٥٤.
(٩) نفسه ص٥٥.
(١٠) نفسه ص٥٥.

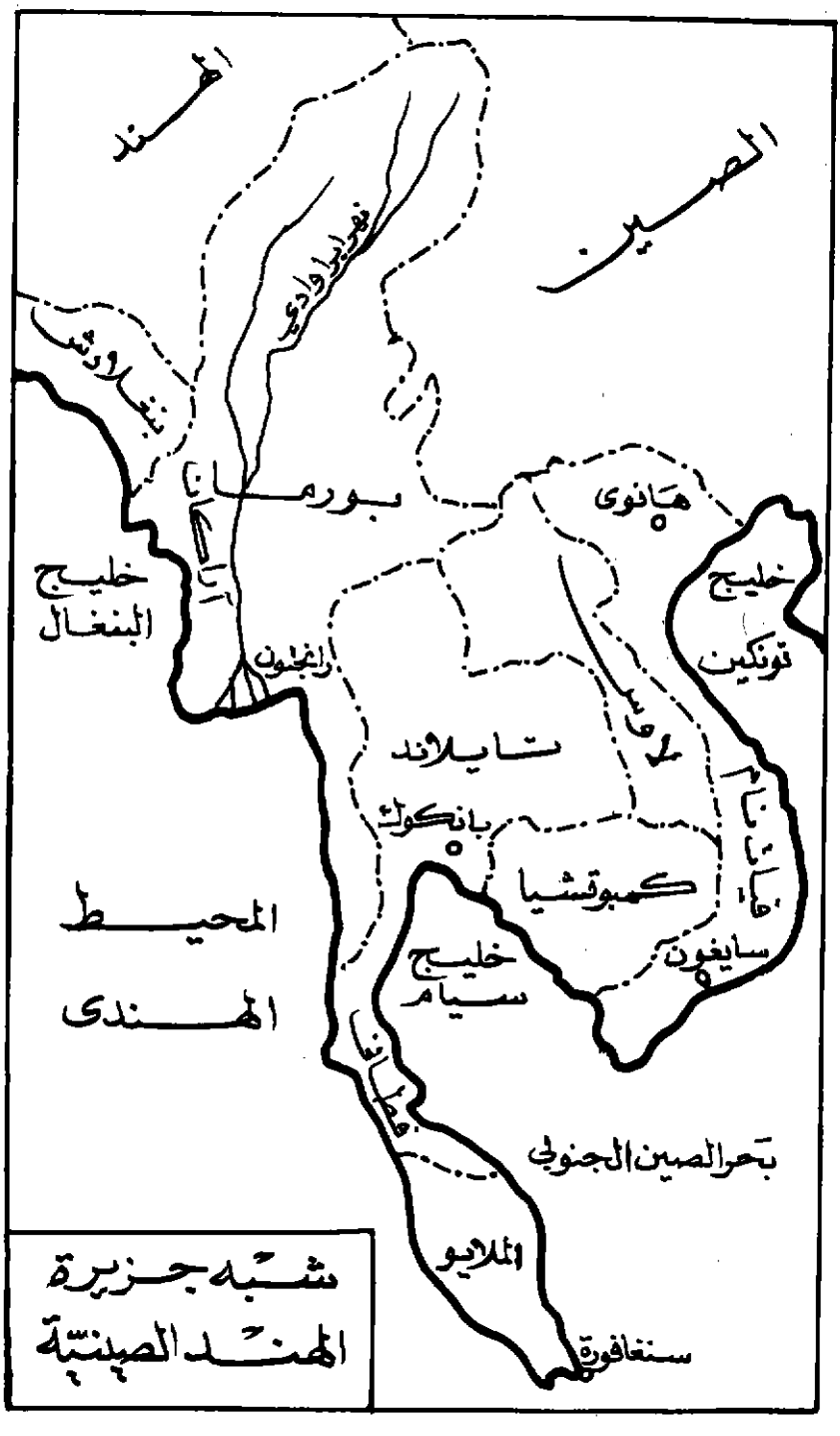
الهند
الصين
نهر ايراوادي
بنغلادش
بورما
هانوى
خليج
البنغال
خليج
تونكين
رانجون
تايلاند
بانكوك
كمبوتشيا
سايغون
المحيط
الهندى
خليج
سيام
بحر الصين الجنوبي
الملايو
سنغافورة
شبه جزيرة
الهند الصينية

للبحث في كل مايعود بالخير على البلاد في ظل الحكم الإسلامي. وهذا دليل على نفوذ العلماء. واهتم هذا السلطان بالعلوم والدين ، وكانت له مكتبة ضخمة التهمتها النيران في حريق شب في القصر .

وكانت علاقة ملقا بالصين جيدة في عهد أسرة(منغ) وقد رحل عدد من سلاطينها في زيارات إلى الصين .

وكان آخر سلاطين ملقا : السلطان محمود ابن السلطان علاء الدين رعاية شاه ، تولى الحكم عام **١٥١١م** ، حيث سقطت في يد البرتغاليين وأصبحت تحت التسلط الصليبي (١١) .

وخلف الإنجليز البرتغاليين ، فتسلطوا على ملقا وسنغافورة عام **١٨٢٤م** باتفاق بين بريطانيا وهولندا (١٢) . ولم يزد ذلك ملقا إلا تمسكا بالإسلام (١٣)

وهناك داعية آخر يسمى **عبد الله** وهو عربي قدم إلى **إمارة قويدة** وتقع في شمال شبه الجزيرة اقنع ملكها حوالي ٩٠٧هـ-١٥٠١م - الراجا - بالدخول في الإسلام فأسلم ، وبنى المساجد ، وجعل في كل مسجد أربعين من أحسن القومة والدعاة ، وحثهم على العمل على توسيع رقعة الإسلام في البلاد حتى عمها ، وطلب من سلطان آتشيه في شمال سومطرة الكتب عن الإسلام فأجيب إلى طلبه.

أما **برمانيا(بورما)** : فهي البلاد المجاورة للبنغال ، فبعد أن انتشر الإسلام في البنغال ، إنتقل بالتجارة والدعاة إلى مايليها شرقا وخاصة زمن الدولة الخلجية ، وأصبح **إقليم أراكان** إسلاميا ، ومن أرض الإسلام ، ومنه امتد الإسلام إلى برمانيا وكان مملكة قائمة بذاتها .

وبرمانيا هذه بلاد أنهار كبيرة أهمها الإيراوادي والميكونج ، وهي بلاد أحراش وغابات كثيفة ، أنشأ فيها التجار ومعهم الدعاة مراكز العمران والمساجد وسط الأحراش على ضفاف النهرين. وقد كسب الإسلام كثيرا من السكان رغم التحدي البوذي العنيف ، ونشأت جماعات قوية من المسلمين في المدن والقرى ولكنها لم تصل درجة ملقا ، ومن أشهر الدعاة في برمانيا الداعية المشهور(سيد يوسف الدين) الذي غادر وطنه بغداد إلى بلاد السند لنشر الإسلام ، ثم انتقل

---

(١١) المدخل إلى التاريخ الإسلامي في الشرق الأقصى ص٩٤.

(١٢) نفسه ص٩٧.

(١٣) حسين مؤنس - الإسلام الفاتح ص٥٦.

إلى البنغال ، وواصل الدعوة والنجاح ، ثم دخل مع قوافل التجار إلى برمانيا وسيام ، وأنشأ عددا من المساجد ، ويعتبر إلى هذا اليوم أشهر شخصية إسلامية في الهند الصينية (١٤) .

ويقع إقليم أراكان الإسلامي جنوب غرب بورما ، ويطل من الجنوب على خليج البنغال ،ويحده من الشمال بورما والهند ، ومن الغرب بنغلاديش ، ومن الشرق بورما. تكثر فيه الغابات التي تغطي مساحات شاسعة بأشجار التاك ، حيث تنتج أراكان ثلاثة أرباع العالم من هذا الخشب الهام (١٥) .

وكان القرن التاسع الهجري أزهى عصور المسلمين في أراكان ففي عام **٨٣٥هـ** ، إعتلى العرش(زايواك شاه) ، واهتم بالإسلام فازدهرت الدعوة الإسلامية في بورما ، وتعاقب على عرش أراكان العديد من الملوك المسلمين وتأسست مدينة استانا بدر الدين ، وتسمى بدار بدر على ساحل خليج البنغال ، واستمر ازدهار الإسلام إلى أن جاء الغزو البريطاني لبورما سنة ١٣٠٣هـ ، وضمها للهند ثم فصلها سنة ١٣٠٦هـ. ثم استقلت بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت منطقة أراكان بأغلبيتها المسلمة ضمن بورما ، يخضع المسلمون فيها للسلطة الوثنية التي تحكم البلاد ، وهنا بدأت مرحلة شاقة من اضطهاد المسلمين ببورما (١٦) وخاصة بعد قيام الحكم الشيوعي عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .

فقد عمد الشيوعيون إلى إحراق المساجد ومنع الآذان للصلاة ، وبطشوا بالمسلمين وعذبوهم أينما وجدوا ،وادعوا أن المسلمين الذين يبلغون حوالي (٥) ملايين نسمة من جماعات **الرهنجين** أنهم ليسوا من مواطني بورما ، للتخلص منهم ، فطبقت بورما عليهم قوانين الهجرة وتم تسجيلهم كأجانب حتى تضفي السلطات على إبادتهم صفة قانونية ، فكثرت حوادث الطرد والقتل الجماعي ، في عملية أسمتها السلطات البورمية ـ عملية التنين ـ ، فزاد عدد المهاجرين إلى بنجلاديش على نصف مليون لاجيء (١٧). وقد أشارت الصحف العالمية إلى

---

(١٤) نفسه ص٣٧.

(١٥) المسلمون العدد ٩٧،٩٨.

(١٦) نشرة معهد الأقليات المسلمة جمادى الآخر سنة ١٣٩٨هـ.

(١٧) البلاغ العدد ٧٧٢ ، ١ربيع الآخر سنة ١٤٠٥هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٩٨٤م ، المسلمون العدد ٤٤/ ٢٥ ربيع الأول ١٤٠٦هـ/ ٧ ديسمبر ١٩٨٥م. وانظر حول مآسي المسلمين في بورما الاشتراكية مؤلفه ولاية حسين بن الشيخ عبد الخالق البرماوي طبع كراتشي ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الحالات السيئة التي وصل إليها اللاجئون المسلمون في بورما وتوجهت بنغلاديش بنداء إلى هيئة الأمم المتحدة للتدخل للمساعدة في حل مشكلة اللاجئين من مسلمي بورما ، فتدخلت رابطة العالم الإسلامي وعدد من الحكومات العربية ، فخففت بورما من حملتها على المسلمين مؤقتا ، ووقعت مع بنجلاديش اتفاقية دكا سنة ١٣٩٨هـ من أجل عودة اللاجئين من مسلمي بورما إلى أوطانهم في أراكان[١٨].

إلا أنها عادت من جديد لممارسة الإرهاب والتعذيب، فأغلقت المدارس الإسلامية وصادرت المجلات والصحف الخاصة بالمسلمين، وتم تأميم أوقاف المسلمين، وحجرت جوازات سفر أبناء المسلمين ولم يسمح لهم بالسفر إلا بإذن من السلطات البورمية وبعد توضيح أسباب السفر، ورفض تعيين المسلمين في الوظائف القيادية، وهدمت وأغلقت المساجد في قرى كوين وساندونيه[١٩].

ولقد طالبت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مذكرتها لمؤتمر القمة الإسلامي الثالث بالبحث عن حل سلمي لمشكلة الرهنجيين، وظهرت جبهة تحرير مسلمة هي جبهة روهنجة التي تطالب بالحكم الذاتي في شمال أراكان ضمن دولة بورما»[٢٠]. فمنعت السلطات نشاطات الدعوة الإسلامية وتحركات الدعاة. وقامت بعمليات عسكرية عنيفة ضد المسلمين. ولم يسمح بالعودة إلا لمائة وثمانين ألفاً من المهاجرين فقط.

وفي فيات نام بقسميها : وصل الإسلام عن طريق الزحف البطيء من تايلند ، وعن طريق التجار والدعاة من نواحي الهند وإيران وشبه جزيرة العرب الذين قدموا واستقروا في مدن الساحل ، فنشروا الإسلام خاصة بين جنس التجام أو التشام ، وهم أناميون في الأصل ، سكنوا السواحل والطرف القصي الجنوبي من شبه جزيرة الهند الصينية الذي يسمى(يُتنكن)ثم الأراضي المتصلة بملقا (٢١) ، وقد انتشرت المساجد في بلادهم وأنشأوا دولة التجام الكبيرة وعرفت باسم دولة الشامبا على الشاطيء الشرقي للهند الصينية أي في إقليم أنام ، ولكنها كانت قصيرة العمر (٢٢) لأن البوذيين ناصبوهم العداء .

---

(١٨) نشرة شئون الأقليات المسلمة جمادى الأولى سنة ١٤٠٠هـ/ وربيع الآخر سنة ١٣٩٩هـ ، وجريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ. وانظر جريدة (المسلمون) العدد ٩٨ ص٦.

(١٩) المسلمون العدد ٤٤/ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ/ البلاغ العدد ٧٧٢/١ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ.

(٢٠) المسلمون العدد ٤٤ ، البلاغ العدد ٧٧٢.

(٢١) حسون مؤنس ص٣٢.

(٢٢) نفسه ص٣٣.

ويعاني المسلمون حاليا في فيات نام بقسميها مايعانيه المسلمون في بقية أقطار شبه جزيرة الهند الصينية. ولازالت بقايا المسلمين الأناميين تعيش في أعداد صغيرة ، ويعيشون في مجموعات متماسكة قوية ناجحة ومرهوبة الجانب ، وهم على الجملة أنجح أهل الهند الصينية في التجارة وشئون المال ، ومهرة في شئون الزراعة وصيد السمك ومعظمهم من أهل السنة والقليل من الشيعة ، وكثير منهم يحملون لقب الحاج ومساجدهم كثيرة وصغيرة ، وهي تبنى في الغالب من الخشب على نشز من الأرض وتفرش بالحصر ، وتستعمل لتعليم الصغار وتحفيظهم القرآن الكريم (٢٣) .

أما كمبوتشيا(كمبوديا) :

فهي الأراضي التي تحدها فيتنام من الشمال الشرقي والشرق والجنوب الشرقي ، ولاوس من الشمال ، وتايلاند من الشمال الغربي والغرب وتطل على خليج سيام من الجنوب الغربي ، وسكانها يتكونون من جماعات تشام والخمير ، وغالبية التشام يعتنقون الإسلام ، غير أن الخمير فرضت لغتها وحضارتها على المنطقة. وقد زحف إليها الإسلام من تايلاند ، كما وصلها من السواحل عن طريق التجار والدعاة فتكونت ممكلة التشام الإسلامية(السابقة الذكر) القصيرة العمر. وقد عاش المسلمون في أمن وسكينة في كمبوتشيا قبل الإستعمار الفرنسي وعند رحيله عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٧٣م، وبعد ذلك، إلى أن تعرضت البلاد لمصير مؤلم تحت ضغط النظام الشيوعي (الهومير) الخمير الحمر الذين توصلوا إلى الحكم عام ١٣٩٥هـ بقياة بول بوت، فبدأوا عميلة استئصال الأقلية المسلمة، فأخذ المسلمون يفرون بدينهم إلى ماليزيا وتايلاند، وتناقص عددهم من (٧٠٠) ألف سنة ١٣٩٥هـ إلى (٢٠٠) ألفاً فقط عام ١٣٩٨هـ[٢٤].

فقد قامت الحكومة الشيوعية سنة ١٣٩٦هـ بشن الهجمات على الجماعات المسلمة وقتلت قادتهم كشيخ الإسلام في كمبوتشيا ـ عبد الله إدريس ـ وطردوا المسلمين من قراهم، فاضطرهم ذلك إلى الهجرة أو اللجوء إلى مناطق العزلة، وهدموا المساجد، ومنعوا المسلمين من استخدام لغتهم، وحرقوا كتب التراث الإسلامي، ومنعت السلطات الشباب المسلم ممن تزيد أعمارهم عن خمسة عشر عاماً من الإقامة مع والديهم،

---

(٢٣) نفسه ص٣٦.

(٢٤) نشرة الأقليات المسلمة جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨هـ.

وأجبروا على الإقامة في معسكرات الشباب الوثنية حتى يضعفوا إيمانهم بالدين[٢٥].

وفي عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م وقعت في العاصمة الفرنسية معاهدة مصالحة وطنية كمبودية رفعت شيئاً من المعاناة عن المسلمين وأخذوا يتطلعون إلى تحسين أوضاعهم وخاصة أنهم فقراء يعتمدون على الزراعة والصيد وهم في حاجة إلى المساجد والمدارس والدعاة ومحفظي القرآن الكريم.

هذا ويعيش المسلمون في بورما وتايلاند وكمبوديا ولاوس وفيتنام بقسميها في محنة ومعاناة واضطهاد ومطاردة. وتلك مشكلة كبيرة من مشكلات المسلمين المعاصرة. وسنتحدث بنوع من التفصيل عن :

مشكلة فطاني ـ القطر الإسلامي ـ في ظل الحكومة البوذية ـ تايلاند: ـ

فتايلاند(سيام) هي إحدى دول جنوب شرق آسيا في شبه جزيرة الهند الصينية تبلغ مساحتها **٥١٤ ٠٠٠** كم٢. واشتق إسمها من إسم الجماعات التبشيرية التي تسكنها ، ويسمون بالثاي أو التاي وهم يطلقون على أرضهم اسم :(موانج تاي) أي أرض الأحرار ، وكانت تعرف باسم سيام ، وتغير الاسم سنة ١٣٠٠هـ إلى **تاي** ، وأصبحت تعرف بمملكة تايلاند (٢٦) . سنة ١٩٠٢م وعاصمتها بانكوك. وعدد سكانها سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م٠٠٠ ١٧٣ ٤٧ نسمة (٢٧) ، يدين معظمهم بالبوذية ويكون المسلمون ربع السكان في حين تقدرهم بعض المصادر الغربية بأقل من مليونين وهذا الرقم يخالف الإحصاءات الرسمية على الرغم من أنها تقلل من عددهم هي الأخرى ، ويتجمعون في منطقتين رئيسيتين : فطاني وحول بانكوك. ويعود معظمهم في كلتا المنطقتين في أصولهم إلى فطاني فقد نقلوا إلى بانكوك وماحولها قسرا من فطاني أو أسروا خلال الحروب الطويلة التي نشبت بين فطاني وحكومة تايلاند. وكان نقلهم محاولة من أجل تفتيت قوة المسلمين وإذابة المنقولين منهم في المجتمع البوذي .

ومناخ تايلاند موسمي مداري غني بامطاره التي تتساقط في معظم شهور السنة وتزداد غزارتها في الصيف غير أن القسم الأوسط منها شحيح الأمطار (٢٨). وهي ثالثة دول العالم في إنتاج المطاط بعد أندونيسيا وماليزيا .

وكان **الإسلام** قد أثر تأثيرا كبيرا بين أهالي سيام من البوذيين ودخله بعضهم وأطلق عليهم اسم : السمسم ، وقد حمله الدعاة والتجار من العرب والفرس والتامول الهنود. ولكن يعزى أهم توسع للإسلام في تايلاند إلى هجرات أهل الملايو التي

---

(٢٥) نشرة الأقليات المسلمة ربيع الأول ١٣٩٨هـ ، وجمادى الآخرة سنة ١٣٩٩هـ.

(٢٦) حسن أبو العينين ـ آسيا الموسمية ص٣٠٧ـ٣٠٨.

(٢٧) The Europa year book Vol.2P.1544 (٢٨) آسيا الموسمية ص٣١٠.

بدأت في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي[٢٩] فوصلها الإسلام عن طريق فطاني، وعن طريق منطقة يونان في الصين لا سيما في عهد الإمبراطور المغولي قبلان خان.

وللمسلمين بتايلاند مجلس إسلامي يرأسه شيخ الإسلام مستشار ملك تايلاند لشئون المسلمين. وشيدوا العديد من المساجد فيوجد فيها مابين ١٨٠٠ إلى ٢٠٠٠ مسجد ومصلى، منها ١٣٤ مسجدا في بانكوك وحدها، ولقد بنت الحكومة مسجدا مركزيا في فطاني سنة ١٣٨٤هـ، وآخر في بانكوك وهناك مخطط لبناء مثل هذا المسجد في الولايات الأخرى ترضية للمسلمين، وقد عطل هذا المخطط. وتنخفض نسبة التعليم الإسلامي لأبناء المسلمين في تايلاند فتصل في الشمال إلى ٥٠٪ للبنات و٦٠٪ للذكور، وشيدت كلية إسلامية في وسط البلاد (٣٠). واجمالا يعاني المسلمون النقص في التعليم والإقليم الإسلامي الذي يتعرض للضغط البوذي هناك هو :

فطاني :

إقليم إسلامي موقعه في جنوب تايلاند، وشمال ماليزيا بين بحر الصين الجنوبي وخليج سيام شرقا، والمحيط الهندي غربا (٣١). وموقعه هذا حساس جدا(استراتيجي) جعل من هذا الإقليم عنق الزجاجة التي تربط بين شبه جزيرة الملايو، وشبه جزيرة الهند الصينية. وهو جزء من الملايو اقتطعته تايلاند البوذية وضمته إليها بالتعاون مع المستعمر الصليبي البريطاني ومباركته في محاولة لعزل المسلمين عن الأماكن الحساسة.

والإقليم موسمي، غزير الأمطار صيفا، زراعي، فيه عدد من الأنهار والينابيع مثل نهر تالوبان، ونهر فطاني، ونهر غولوك. وأهم منتجاته الزراعية : الأرز، والخضروات، والذرة الشامية، والفواكه مثل فاكهة الدوريان(أبو شوكة)، والرمبوتان(أبو شعرة). والمطاط والبلاد تصدر منه كثيرا وتمثل المركز الثالث في العالم بعد ماليزيا واندونيسيا. وجوز الهند، والكوبرا.

كما أن الإقليم غني بالغابات، ويستفيد من هذه الثروة الغابية، فالغابات تغطى مساحات واسعة في جالا، وساتول، وجنوب بنغنارا. ويستفيد من ثروته البحرية الهائلة.

---

(٢٩) أرنولد - الدعوة إلى الإسلام - ص٤١٥.

(٣٠) نشرة معهد الأقليات المسلمة ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ.

(٣١) انظر : ضياء شهاب - المجاهدون في فطاني ص٩.

وأما بالنسبة للمعادن فكثيرة وأهمها : القصدير ، والذهب ، والحديد ، والفضة ، والتنغستن .

وكانت البلاد إسلامية كلها ، هاجر إليها عدد من الموظفين التايلنديين ، وأعداد من الصينيين. وكانت تشمل إلى جانب الإقليم المعروف حاليا أجزاء واسعة من جنوب تايلاند ، وخاصة نواحي ممر كرا إذ كانت تبلغ مساحتها ٥٠ ألف ميل٢(أي ١٢٨ ٠٠٠ كم٢) . وأما مساحتها الحالية فتبلغ ١٦ ألف ميل٢ فقط(أي ٤٠٠ ٣٨ كم٢) وذلك بعد أن زحف إليها البوذيون وطردوا المسلمين ، واستوطنوا الأجزاء الشمالية في عملية استيطانية منظمة تذكرنا بالأندلس والفلبين .

وتقسم حاليا إلى أربع ولايات هي :

١- **فطاني** : وهي أصغر الولايات ، وعاصمتها فطاني أكبر مرفأ بحري وجوي في البلاد التي حملت إسمها .

٢- **بنغنارا** - أو(ناراتيواس) - على ساحل بحر الصين الجنوبي ، ومركزها مدينة بنغنارا التي تلي فطاني من حيث الأهمية .

٣- **جالا** - منطقة داخلية مركزها مدينة جالا ، وكانت سابقا أكبر مدن فطاني .

٤- **ساتول** : تشمل ولاية ساتول ، وجزءا من مقاطعة سونكلا. وهي أكبر الولايات مساحة ، تمتد سواحلها على المحيطين الهندي والهادي .

ويزيد سكان فطاني على ثلاثة ملايين نسمة ، كما تزيد نسبة المسلمين على ٨٠٪ يتحدثون اللغة المالاوية ، ويكتبونها بحروف عربية .

ومن الطريف أن تسمية فطاني تعود لعدة احتمالات :

أ- قيل إنها سميت باسم شخصية محترمة لرجل يدعى(تاني) وأن أصل فتاني أي الأب تاني. ويراد بكلمة الأب هنا : الإحترام كما هي عادة بلاد الملايو إلى اليوم .

ب- وقيل أنها نسبة إلى الفلاحة والزراعة ، لأن كلمة تاني في اللغة المالاوية تعني : الفلاحة أو الزراعة. فيكون المعنى :الأب المزارع .

ج- وهناك رواية خيالية تدعي أن أحد ملوك الملايو في القديم خرج للصيد في الغابات مع حاشيته ، فوجد غزالا فرماه بالنبل ، فأخطأه ، واختفى الغزال ، وتبعوا أثره حتى وصلوا إلى شاطيء البحر ، ثم سألوا الناس(أين الغزال) ؟

فأجابوا :(أتاني) ومعناه : هذا الشاطيء . فأقام الملك مدينة سماها فتاني. وصارت فطاني في النطق العربي .

ولايبعد أن تكون كلمة فتاني مرخمة من اسم علم حسب المعروف الآن ، حيث ترخم الأسماء للتخفيف. فتكون(فطاني) هي الأصل (٣٢) .

دخول الإسلام إلى فطاني

بدأ دخول الإسلام إليها في القرن الثالث الهجري ، على أيدي الدعاة والتجار ، عندما كان المسلمون سادة البحار ،وقد وصلها الدعاة من شبه جزيرة العرب ، وماليزيا ، وسومطرة ، ولاسيما العرب الحضارمة .

وقد أسس المسلمون الموانيء على سواحلها ، ففشا الإسلام بين سكانها حوالي القرن الخامس الهجري ، وازداد انتشارا عن طريق ملقا في القرن التاسع الهجري حيث أصبحت جزءا من ديار الإسلام تكونت فيها الإمارات والسلطنات الإسلامية ، كما حصل في جميع شبه جزيرة الملايو .

تروي الأخبار الفطانية ، وكتب التاريخ الملاوية : أن « **اندراسراي وانغ شاه** » حكم فطاني حوالي عام ٧٥٠هـ/١٣٥٠م. وأصيب هذا بداء عضال ، عجز أطباء بلاده وكهنتها عن مداواته ، فتقدم إليه **الشيخ صفي الدين** الذي كان يقيم في قريته فاساي(تقع حاليا في شمال جزيرة سومطرة في اندونيسيا) لعلاج الملك ، واشترط عليه إذا كتب الله له الشفاء أن :

أ- يعتنق الملك الإسلام .

ب- يترك لدعاة الإسلام حرية العمل .

وقد كتب الله له الشفاء على يد هذا الشيخ الطبيب ، ولكن الملك أبى الوفاء بالشروط ، فعاوده المرض. وجاء الشيخ لعلاجه على الشروط نفسها . .. وأخيرا وفى الملك بوعده فأسلم ، ثم تبعه بقية أفراد أسرته المالكة ، ثم الوزراء ، وأخيرا الشعب بأجمعه. وعين الشيخ مفتيا عاما في المملكة الفطانية ، وأتيحت له سبل الدعوة. وغير الملك اسمه البوذي إلى : « **سلطان محمد شاه** » (٣٣) .

والحكاية تدل على أن الإسلام دخل البلاد قبل اندراسراي ، وأن الدعاة كانوا يقابلون بمعاملة قاسية. وليس صحيحا أن الشعب أسلم بعد الملك ، فمن طبيعة

---

(٣٢) انظر : ضياء شهاب ص٩-١٠.

(٣٣) جمعة علي الخولي - تاريخ الدعوة ج٢ ص١٩٧-١٩٨ ، تاريخ حكومة ملايو فطاني لإبراهيم شكري ص٣١.

الدعوة الإسلامية أن تبدأ بالقواعد الشعبية ، لا من القمة ، ثم تستجيب القمة لهذه القاعدة .

وعلى كل فقد وصل الإسلام إلى فطاني من شبه الجزيرة العربية ، ومن مالاقا ، والهند ، وكانتون في الصين. وبلغت فطاني أوجها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين حيث ظهر فيها كثير من العلماء ، وأصبحت مركزا إسلاميا ثقافيا هاما في جنوب شرق آسيا. وضمت المناطق الواقعة في جنوب تايلاند وهي : ناكهن ، وثامرات ، وبكتالانج ، وسونكلا ، وكرابي ، وأصبحت لها علاقات تجارية مع كثير من الدول الأوروبية (البرتغال ، وهولندة ، وانجلترا) واليابان. وقد سمح لهؤلاء بإقامة مراكز تجارية في العاصمة فطاني .

التحدي البوذي لفطاني :

أصاب فطاني ماأصاب العالم الإسلامي من ضعف وتمزق ، فطمعت فيها جارتها « تايلاند البوذية» وخاصة بعد سقوط ملقا بيد البرتغاليين ، وتهديد الصليبيين للعالم الإسلامي في البحار. فحاولت احتلالها عام ٩١٧هـ/١٥١١م ، واضطرتها فطاني إلى الإنسحاب (٣٤). وكانت في إبان مجدها وقوتها .

ثم حاولت تايلاند مهاجمة فطاني عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م ، وتمكنت من احتلال المناطق المالاوية شمال الولايات الفطانية الحالية وحتى ممر كرا. واستمر الزحف التايلندي بطيئا ، إلى أن احتلت فطاني نفسها عام ١٢٠١هـ/١٧٨٦م .

وسرعان مااشتعلت ثورات المسلمين للتخلص من الحكم البوذي ، فقام الأمير **تنكو علم الدين** بحركته عام ١٢٠٢هـ ، وأعلن استقلال فطاني ، وتواصلت المعارك ، إلى أن فشل المسلمون في تحقيق هدفهم .

وقام ملك سيام الثاني بتعيين **داتؤ فنكالن** وزير بحرية فطاني سابقا حاكما على الإقليم ، ولكنه أعلن استقلال فطاني عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٩م ، ولكنه فشل أيضا وسقط شهيدا (٣٥) .

وفي عام ١٨٢١م قام الفطانيون بحركة بقيادة سيد من ساداتهم ، فقضي على هذه الحركة في« جمبو» على بعد ١٥كم من مدينة فطاني .

وفي عام ١٨٢٧م قام الفطانيون بحركة أخرى بقيادة **توان فيء** الحاكم العام لولاية فطاني ، وقد استشهد أيضا .

---

(٣٤) وهذا يعني تحالف القوى الصليبية مع الوثنية البوذية في مواجهة المسلمين.

(٣٥) المسلمون العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ/ ١٩أكتوبر ١٩٨٥م.

واشتعلت حركة عنيفة عام ١٨٣١م ، تزعمها عدد من سلاطين ولايات فطاني. على رأسهم **تنكو دين**(ابن عم سلطان قدح أحمد تاج الدين عبد الحليم شاه) . وقد استشهد تنكودين ، وتراجع سلاطين فطاني إلى قرية تؤدين القريبة من حدود كلنتان الماليزية ، حيث ألقي عليهم القبض ، وأعدموا جميعا. ونكلت القوات التايلندية بالفطانيين ، فهدمت ديارهم ، وأخربت البلاد ، وقتلت العديد من المسلمين ، ونقلت ١٤٠ ألف من الأسرى إلى العاصمة بانكوك ، وزجوا بهم في السجون ، ووزعوا على الأراضي الحكومية ليعملوا فيها بالسخرة (٣٦). وبقصد إذابتهم في المجتمع البوذي مع الزمن ، وقسموا فطاني إلى سبع ولايات صغيرة ، ووضعوا بجانب كل أمير فطاني مستشارا تايلنديا رقيبا عليه (٣٧). وهذه سياسة :« فرق تسد ». وسيلة لإضعاف المقاومة ، وتفرقة للصف .

ورغم ذلك فقد تحرك الفطانيون عام ١٨٣٨م في عهد ملك سيام الثالث ، وبقيادة **تنكو محمد سعيد** مع أمير بحري هو وان محمد علي. وفشلت الحركة. واستشهد محمد سعيد .

وفي عهد ملك سيام الخامس ـ عام ١٨٨٢م قامت حركة أخرى بقيادة **جيء لونغ** ، **والحاج دول** بدائرة جمبو في فطاني. وقد هدفت هذه الحركة إلى إدماج فطاني في اتحاد الملايو مع الإنجليز ، حيث فكر الفطانيون أن الإنجليز أكثر رحمة من البوذيين. ولكن الإنجليز كعادتهم في مواجهة المسلمين تخلوا عنهم في أحرج الظروف ، وتركوهم لمصيرهم .

وفي عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ، طمعت تايلاند أكثر ، مستغلة الهجمة الصليبية على بلاد الإسلام ، فقضت نهائيا على سلطنة فطاني ، وأبعدت آخر سلاطينها **تنكو عبد القادر قمر الدين** ، وعينت حاكما بوذيا عليها (٣٨) .

ولما قام أنصاره بقيادة « **تؤ تام** » وأحرقوا دوائر الحكومة في منطقة جاما ، تدخلت القوات البوذية وقضت على محاولتهم .

وقام أنصار تنكو قمر الدين مرة أخرى عام ١٩١١م بقيادة « **الحاج مولا** » من قرية سداوا ، وفشلت الحركة .

وقد اتبعت حكومة تايلاند **سياسة الدمج**(الضم) ، فادعت أن فطاني من

---

(٣٦) المسلمون العدد ٣٧ص٢.

(٣٧) نفسه.

(٣٨) محمود شاكر ـ فطاني ص٣٩.

بلادها ، وتمركزت القوات التايلاندية فيها ، وعمت الفوضى الإقليم ، وتعاون الإنجليز الذين كانوا في الملايو مع السلطات التايلاندية على إخماد حركات المسلمين ، وسد الطرق في وجوههم ، في الوقت الذي كانت تعدهم فيه بريطانيا بالتخلص من الحكم التايلندي ثم سمحت علنا عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بابتلاع فطاني في سياسة منها لتفتيت المسلمين وإحلال النكبات بمسلمي فطاني بأيد غير نصرانية (٣٩) .

وحاول **السلطان عبد القادر** استرجاع سلطانه عام ١٩٢٢م ، ففشل ، وفر إلى ولاية كلنتان الماليزية حيث توفي بعد وصوله بقليل .

وأضرب الفطانيون عن دفع الضرائب عام ١٩٢٣م وكانت تعسفية ، فأخمدت الحركة ، وقبض على عدد من القضاة الفطانيين ، وعذبوا وقتل بعضهم وفر بعضهم الآخر .

وفي عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م تغير نظام الحكم التايلاندي إلى ملكي دستوري ، فاغتنم الفطانيون الفرصة ، وتقدموا بمطالبهم إلى السلطات الحكومية الجديدة - فقدمها الحاج **محمد سولونج**- ومنها (٤٠) :

- تعيين حاكم واحد على المقاطعات الأربع في فطاني يكون من أهل البلاد .
- تعيين ٨٠٪ من موظفي الحكومة من المسلمين في الولايات الفطانية .
- الإعتراف باللغة الملاوية في الولايات الفطانية .
- الإعتراف بالشريعة الإسلامية في الولايات الفطانية .
- تكوين مجلس إسلامي له صلاحيات واسعة في الولايات الفطانية .

رفضت حكومة تايلاند مطالب الفطانيين ، فقامت ثورة واسعة عام ١٣٥٢هـ ، قضي عليها .

أوضاع فطاني في الحرب العالمية الثانية وبعدها :

اكتسحت اليابان عام ١٩٤١م جميع الشواطيء الشرقية لسيام(تايلاند) وفطاني وماليزيا. وسمح رئيس وزراء تايلاند(لوانغ فيبول سونكرام) للقوات اليابانية بالمرور في أراضي تايلاند للزحف على بورما وسائر بلاد الملايو .

وشجعت اليابان الحركات القومية ، وأثارتها ، فوجدت القومية السيامية الفرصة ، وأعد رئيس الوزراء التايلاندي قوة من الجيش لترسيخ السيطرة على

(٣٩) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص١٣٥.

(٤٠) نشرة جبهة التحرير الفطانية ص٦ ، محمود شاكر - فطاني ص٤٥.

فطاني ، وأخذ ينفخ في الشعب السيامي روح عظمة : « دولة تايلاند العظمى » ، فأمر عام ١٩٤٤م بإلغاء إدارات القضاء الإسلامي المعمول بها لدى المسلمين في الأحوال الشخصية ، وأوجب الأخذ بالنظم الخاصة بالشئون المدنية للدولة ، طبقا لقرارات المحاكم السياسية التايلاندية .

فقام العلماء برئاسة **الحاج محمد سولونغ** بن عبد القادر بتشكيل هيئة إسلامية في فطاني في العام نفسه(١٩٤٤م) أطلقوا عليها اسم : « هيئة تنفيذ الأحكام الإسلامية» ، بهدف : إيجاد التعاون بين علماء الدين المسئولين لمقاومة الحركة السياسيه التي ترمي إلى تسييم الملايو ، والإعتداء على الدين الإسلامي وإزالته .

وفي العام نفسه قدم **تنكو عبد الجلال** بن تنكو عبد المطلب زعيم الملايو في جنوب تايلاند إلى رئيس الوزراء إحتجاجات المسلمين على الإجراءات التي اتخذت في بلاد المسلمين. وجاء الرد من ديوان رئيس الوزراء بتأييد تلك الإجراءات (٤١) .

وتتابعت إعتداءات رجالات الحكومة على المسلمين ، وكان المسلمون يقدمون مطالبهم للحكومة ، وتذهب الشكوى أدراج الرياح .

واستعانت بريطانيا **بالأمير محمود محيي الدين** زعيم فطاني لطرد اليابانيين ، ووعدت المسلمين كعادتها بالإستقلال بعد أن تنتهي الحرب (٤٢). ووقف المسلمون مخدوعين إلى جانب بريطانيا ، ودخل الإنجليز فطاني ، واندحر اليابانيون ،ونكث الإنجليز بوعودهم ، فوضعوا موارد فطاني تحت تصرفهم ، وأعادوها لقمة سائغة إلى البوذيين الذين وقفوا إلى جانب اليابانيين ! مكافأة لهم. فما أغرب وأعجب السياسة الإنجليزية تجاه المسلمين !! .

ورفع الحاج محمد سولونغ رئيس الهيئة التنفيذية للقضاء الإسلامي بفطاني مطالب الفطانيين إلى هيئة الأمم المتحدة ، فقبضت عليه تايلاند وحكمت عليه السلطة وعلى زملائه بالسجن لمدة ٣ سنوات وهم وان عثمان أحمد ، والحاج وان حسين ، ووان محمد أمين. ثم أفرج عنهم واغتيلوا سرا عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ، وأغرقت جثته مع أحد أبنائه في بحر الصين الجنوبي ـ لإخفاء الجريمة (٤٣) ـ على شاطيء منطقة سونكلا .

---

(٤١) انظر محمد ضياء شهاب ـ المجاهدون في فطاني ص٨٩.

(٤٢) محمود شاكر ـ فطاني ص٤٥ / المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص١٣٥.

(٤٣) نفسه ص١٣٥.

وأخذت تايلند بتنفيذ مايسمى **بسياسة الاستيعاب أو الاندماج Assimilation** وهي تهدف إلى تدمير ومحو الشخصية الفطانية المسلمة. فارتفعت نسبة غير المسلمين بفطاني ، في حين أبعد كثير من المسلمين في أجزاء تايلاند .

أمام هذه السياسة التايلندية تكونت عدة منظمات وأحزاب سياسية لمواصلة الجهاد عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ، فألقي القبض على الزعماء ، وقامت بتهجير أعداد كبيرة أخرى من البوذيين إلى فطاني لإذابة الشخصية المسلمة والعمل كجواسيس على المسلمين (٤٤) ، واغتصبت أخصب أراضي المسلمين وأعطتها لهؤلاء البوذيين ، وسيطرت على التعليم ونشرت اللغة السيامية بدلا من لغة الملايو لغة أهل فطاني ، بل وأغلقت الكتاتيب التي يتعلم بها أبناء المسلمين الإسلام ، واشترطت اللغة التايلندية للحصول على الوظائف الحكومية ، وعزلت فطاني عن العالم الخارجي ، ونشرت المعابد البوذية بين أقاليم المسلمين .

ولجأت إلى تحريف آيات القرآن الكريم والحديث الشريف في الترجمة التايلاندية ، وعمدت إلى حرق القرى ونشر الرعب والخوف ، واتهمت المسلمين بالشيوعية لتبرر القبض على من تريد .

وأمام هذه الظروف وحّد المسلمون جهودهم فتكونت **منظمة حركة التحرير الوطني** وتضم جناحين : جناح مدني يشمل التنظيم والإعلام حيث قام بإرسال مذكرات وتقارير إلى المؤتمرات والمنظمات المؤيدة لحركات الجهاد من أجل تقرير المصير كما قام بتنظيم الشعب الفطاني وتوعيته ، وجناح عسكري : على شكل قوات فدائية منظمة ومسلحة ، وبدأ أعماله منذ سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م وحرر بعض قرى فطاني وأخذ في مهاجمة القوات التايلاندية ، وقام بعمليات واسعة في أنحاء البلاد. وفي الواقع تكونت أربع جبهات هي :

١- **الجبهة الثورية الوطنية لتحرير فطاني** ، أسست عام ١٩٦٠م ، فهي أول جبهة أنشئت في فطاني ، وتدعو إلى تنظيم المجتمع الإسلامي ، وتحرير فطاني ، وتقوم بحرب عصابات ومن مؤسسيها : الحاج أمين ابن الحاج سولونغ ، والحاج كريم. وكلاهما في ماليزيا .

٢- **المنظمة المتحدة لتحرير فطاني** : وأسست عام ١٩٦٨م ، وتتبع أساليب العنف ضد الحكومة البوذية ، ومن مؤسسيها بيراكيير عبد الرحمن ، ومركزها في ماليزيا ولها مركز في ليبيا .

(٤٤) المسلمون العدد ٣٧ ص٢.

٣ـ **الجبهة الوطنية لتحرير فطاني** ، تأسست عام ١٩٧١م ومن مؤسسيها تنكوجالا ، وبابا إدريس ، ويرأسها حاليا عز الدين عبد الرحمن ، وتنادي بالاستقلال على أن يكون نظام الحكم ملكي. ومعظم زعمائها خارج البلاد .

٤ـ **الحركة الإسلامية الفطانية** ، أسست حوالي عام ١٩٧٥م ، أسسها عدد من العلماء المسلمين .

وحضرت وفود منظمة حركة التحرير مؤتمرات خارجية الدول الإسلامية وقابلت زعماء الدول الإسلامية وشرحت القضية ، وأصبحت هذه القضية إحدى القضايا الإسلامية عندما وافق المؤتمر السادس لوزراء الخارجية للدول الإسلامية المنعقدة بجدة سنة ١٣٩٥هـ على إدخال القضية ضمن قضايا الأقليات الإسلامية في برامج المؤتمر وقدم مذكرة شرح فيها القضية .

هذا وقد تمركز جيش التحرير الفطاني في جبال بودرو الشاهقة وبين الغابات والأدغال المتشابكة. وتتلخص مطالب الفطانيين في :

١ـ المطالبة بالاحتفاظ بشخصيتهم بإعلان إسلامهم والدعوة له .

٢ـ النطق والكتابة بلغتهم المالاوية وبالأبجدية العربية .

٣ـ البقاء على زيهم الإسلامي والمحافظة على ثقافتهم .

٤ـ حكم بلادهم بأنفسهم .

كما يمكن إجمال السياسة التايلاندية في فطاني فيما يلي (٤٥) .

١ـ عملت الحكومة البوذية على تهجير المسلمين وتذويبهم في المجتمع البوذي الوثني .

٢ـ عملت على محو الطابع الإسلامي من البلاد بإرغام المسلمين على اتخاذ الأسماء والألبسة والتقاليد البوذية واستعمال اللغة التاهية(لغة تايلاند) .

٣ـ عملت على توطين البوذيين في المناطق الإسلامية وبنت لهم أكثر من سبعين مستوطنة يسكنها حوالي **١٨٥** ألف بوذي .

٤ـ بنت القواعد العسكرية في فطاني ولاسيما القرى القريبة من جبال بودرو مركز عمليات المجاهدين المسلمين .

٥ـ قامت بتصفية العلماء والدعاة جسديا ، كما فعلت بالحاج محمد سولنج وابنه ورفاقه عام ١٩٥٤م ، واغتالت الداعية الإسلامي الكبير الشيخ عبد الرحمن داود ثابت مدير مدرسة العلوم الإسلامية بجالا سنة ١٩٧٧م ، واغتالت عام ١٩٨١م

(٤٥) انظر ـ محيي الدين القضماني ـ صفحات من حاضر العالم الإسلامي ـ ص١٢٦-١٢٧.

عبد الكريم جاد فكريان على باب المسجد بفطاني ، كما اغتالت بعده بأسبوعين الداعية الإسلامي الشيخ محمد لطيف حسن المبعوث من قبل دار الإفتاء السعودية (٤٦) ، واغتالت الأستاذ انجي حسين سكرتير مجلس الشئون الإسلامية بولاية فطاني وغيرهم ، وأصبحت المسألة شبه عادية أن تقوم السلطات التايلاندية بإحراق الأحياء الإسلامية والقتل الجماعي ، ففي حادث بشع قامت القوات التايلندية بحرق(١٠٠) شاب مسلم في إقليم فطاني بالبنزين ، وقتلت العديد من علماء الدين (٤٧). حتى صرح رئيس البوليس في جنوب تايلاند ذات مرة :« أن حياة المسلم لاتساوي سوى ٢٦ سنتا فقط » (٤٨). (أي قيمة الرصاصة) .

٦- حاولت ادخال الضلالات والشبهات على تعاليم الإسلام السمحة بنشر التأويلات والتفسيرات الخاطئة في الكتب المقررة في المدارس الحكومية ، وفي الترجمة التايلاندية للقرآن الكريم. وقامت بتوزيع تسجيلات دعائية أعدها عملاؤهم من قاديانيين وبهائيين على المساجد والقرى. ومن هذه الضلالات استخدام الآيات القرآنية :

﴿ **وأطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾. ففسروا (أولي الأمر منكم) بالحكومة البوذية ، فيجب على المسلمين الفطانيين طاعة المسئولين في الحكومة التايلاندية ، ومن لم يطع الحكومة يعتبر من العصاة المتمردين الذين يجب حربهم ، وهم من المبغوضين عند الله سبحانه وتعالى .

كما تقول النشرات والتسجيلات البوذية :« إن الدين البوذي والدين الإسلامي سواء بسواء لوجود مباديء وتعاليم مشتركة ، وإن كلمة الكفار الموجودة في القرآن الكريم لاتنطبق على البوذيين التايلنديين الآن ، وإنما الكفار في عهد الرسول ﷺ فقط ». ووزعت الحكومة الكتب من تأليفات القاديانيين مثل إبراهيم القرشي القادياني في بانكوك (٤٩) .

٧- حرمت المسلمين من ثروات بلادهم ، كما حرمتهم من المراكز الهامة والوظائف الحكومية وجميع الحقوق التي يتمتع بها المواطنون عادة ، وعرضتهم لألوان الذل والقهر والإستعباد .

---

(٤٦) مجلة البلاغ العدد ٦٨٩ ص٥٤.

(٤٧) المسلمون العدد ٣٧ ص٢. جريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ.

(٤٨) مجلة البلاغ ص٥٦ العدد ٦٨٩.

(٤٩) مجلة المجتمع ص٢٦.

٨ـ حرصت حكومة تايلاند على توثيق صلاتها باليهود ، للاستفادة منهم في محاربة المسلمين ، فقد زار موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي السابق تايلاند عام ١٩٧٥م ونظم اتفاقيات مع قادة القوات المسلحة هناك لتدريب الجنود البوذيين على حرب العصابات ومواجهة مجاهدي فطاني المسلمين (٥٠) .

٩ـ حاولت إضعاف موقف حركة التحرير الفطانية وعزلها عن المسلمين تمهيدا لضربها .

فقد تم انتخاب ٦ أعضاء من المسلمين للبرلمان ، وعين ثلاثة أعضاء مسلمين سنة ١٣٩٥هـ ، كما شغل مسلم وظيفة نائب وزير. وفي انتخابات سنة ١٣٩٦هـ تم انتخاب(١٤) عضوا من المسلمين منهم(١١) عضوا من جنوب تايلاند(فطاني) ، وعين مسلمان في وظيفتي نائب وزير والهدف إيهام المسلمين باستجابة مطالبهم (٥١) ، فلا داعي لتأييد المجاهدين أو الانضمام إليهم .

هذا وقد امتنع أكثر المسلمين من إرسال أولادهم إلى المدارس الحكومية لفقرهم ثم لأن هذه المدارس يعلم فيها مدرسون وثنيون يدرسون الديانة البوذية مادة إجبارية في المرحلتين الإبتدائية والثانوية ، كما أن الحكومة تفرض اللغة التاهية التايلاندية مما قلل عدد المسلمين الذين يتابعون دراستهم الجامعية ، فأدى ذلك إلى انتشار الجهل والفقر والمرض بين المسلمين وهي البيئة التي تبيض فيها الشيوعية وتفرخ ، فانخرط بعض أبناء المسلمين في الحزب الإشتراكي الذي يقوده زعماء الشيوعية في تايلاند وماليزيا ، أو في الأحزاب العلمانية والقومية ، خاصة بعد أن سقطت دول الهند الصينية (فيتنام ولاوس وكمبوديا) في قبضة الشيوعية. ورغم هذه التحديات فقد بقيت شعلة الجهاد متوهجة وأدركت تايلاند أن جهودها العسكرية لقهر المسلمين قد باءت بالفشل فعينت الجنرال مسابوت كوردفول قائدا عاما للقوات المسلحة التايلاندية عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م وهو واحد من أكثر خبراء مكافحة حرب العصابات في العالم كفاءة وخبرة ، ورسمت خطة سميت : **خطة تحت المظلة الباردة** وهي خطة متكاملة تشتمل على نواحي عسكرية وسياسية وإدارية وثقافية تهدف إلى هزيمة المنظمة المتحدة وجناحها العسكري نفرا وتصفية القضية الفطانية ، وأسند تنفيذ هذه الخطة عام ١٩٨٢م للجنرال هارون لينانوند القائد العسكري للمنطقة العسكرية الرابعة التي تشمل

(٥٠) المسلمون العدد ٣٧ ص٢.

(٥١) جريدة الندوة ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ.

فطاني. وتستند الخطة إلى أربع نقاط أساسية هي :

١- ضمان الأمن والسلام في منطقة الحدود التايلاندية - الماليزية .

٢- تكثيف الجهود من أجل نشر اللغة(التاهية) الرسمية بين سكان فطاني المسلمين بتدريس الدين الإسلامي في المدارس الدينية الإسلامية وفي المدارس الإبتدائية والإعدادية بالتاهية .

٣- تصفية القوى المقاومة للوجود التايلاندي في فطاني .

٤- الإصلاح الإداري في فطاني وتحسين العلاقة بين الموظفين الحكوميين والمسلمين ، وتصفية إستغلال المسئولين لوظائفهم .

وفي الوقت نفسه وجهت مالايقل عن عشرين ألفا من الجنود ، وآلاف أخرى من القوات المساعدة للقضاء على المجاهدين ، متبعة الأسلوب الإستعماري التقليدي المتمثل في أسلوب :« فرق تسد » ، فحشدت القوى المرتبطة بها كحركة الكشافة القروية ، وأئمة المساجد الذين يتلقون الرواتب من الحكومة ، والشخصيات التقليدية الذين يرتبط وجودهم ونفوذهم بوجود الإحتلال .

ولتنفيذ الخطة فقد قدمت بعض التنازلات الثقافية والإدارية في الوقت الذي تعمل على تشديد قبضتها على البلاد - فقد تعهدت بتدريس الدين الإسلامي في المدارس التايلاندية ، وهذا يعني أن قرار تدريس الدين الإسلامي في المدارس الرسمية سوف يكون حبرا على ورق وذلك لعدم وجود هيئة تدريسية لأن التعليم الديني في فطاني كان يتم باللغة المالاوية المتداولة في فطاني ، والقرار يتطلب التدريس باللغة التاهية التايلاندية .

كما أعلنت تايلاند مشروعا **لتطبيق القوانين الإسلامية في فطاني** عام ١٩٨٢م ويتضمن هذا المشروع :

١- على إدارة الشئون الإسلامية في وزارة العدل التايلاندي التعاون مع الأئمة المسلمين حول مسائل النكاح والطلاق والتوريث العمل بنصوص القوانين الإسلامية وتطبيقها على المسلمين .

٢- يشترط على الذين يعينون لمنصب القضاء الحصول على الشهادة المتوسطة التايلاندية .

٣- تسوية منصب القاضي الفطاني مع نظيره التايلاندي .

٤- تسري هذه القوانين في منطقة فطاني .

ويعتبر هذا المشروع إيجابيا حققه المسلمون بدماء الآلاف من أبنائهم ، إلا

أنه يحمل بذور الفشل باشتراطه على القاضي المسلم الحصول على الشهادة التايلاندية المتوسطة ، ومن المعلوم أن الدين الإسلامي تم تعلمه وتعليمه باللغة المالاوية والعربية ، ويندر وجود الحاصلين على هذه الشهادة من بين علماء فطاني ، ومعنى هذا أن الحكومة ستجد الموالين لها في منصب القاضي المسلم (٥٢) .

واستمرت تايلاند في سياستها الرامية إلى إضعاف حركة الجهاد ، فأصدرت الحكومة قرارا ببدء حملة لتغيير أسماء المسلمين بأسماء بوذية . . فقد قال(تاكينج ساج) المشرف على **تغيير الأسماء** :« إن المسئولين الحكوميين في المناطق الإسلامية ملزمون بالقيام بزيارات للمدارس لإقناع كل مسلم بتغيير اسمه ، وحث المدرسين في المدارس على إقناع طلابهم من المسلمين بتغيير أسمائهم والتركيز في ذلك على التلاميذ في سن الرابعة إلى الرابعة عشرة » .

وقد جاءت هذه الحركة بعد موجة من التشويه والتضليل قامت بها السلطات وأعوانها مثل :

ـ تحريف آيات القرآن الكريم والحديث الشريف في الترجمة إلى اللغة التايلاندية .

ـ ترويج الإشاعات والإتهامات المضللة التي تدعي أن الحركات الإسلامية حركات شيوعية هدامة. وأن العناصر الثائرة ماهم إلا قراصنة لايبغون سوى إشاعة الفوضى في البلاد .

ـ قامت الحكومة بالاستيلاء على الأراضي الخصبة من المسلمين وسلمتها للبوذيين (٥٣) .

ـ تقوم السلطات البوذية بتعقيم المسلمات ، في سياسة منها لاستئصال **المسلمين في فطاني** وقد اتبعت لذلك عدة وسائل :

١ـ إصدار كتيبات ورسائل تشجع تحديد النسل ، فقامت إدارة مايسمى : « الصحة الأسرية» بإصدار كتيب :« الإسلام وتنظيم النسل» كتبه« شافعي نفاكون» رئيس الجمعية الإسلامية في بانكوك ، وقامت الإدارة بتوزيعه على المراكز الصحية ، وتنظيم النسل في فطاني ، وقامت هذه المراكز بتوزيعه بدورها على نطاق واسع. وهذا الكتيب مملوء بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وتفسيرها تفسيرات منحرفة لتحقيق أغراض الحكومة .

---

(٥٢) الرائد ـ العدد ٦٥ جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ/ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٨٢م ص٣٠-٣٢.

(٥٣) المسلمون العدد ٣٧ السبت ٥ صفر ١٤٠٦هـ.

٢- يقوم الموظفون البوذيون ، والعاملون والممرضات في الوحدات ومراكز تنظيم النسل بزيارة القرى المسلمة ، ومعهم تلك الكتيبات ، ومعهم عدد لشرح الكتيبات ، وتشجيع الأمهات المسلمات على الموافقة على عملية التعقيم .

٣- تقوم الحكومة التايلاندية بإقامة الندوات ، يحضرها عدد من المسئولين في الولايات الإسلامية ، ويحضرها المدرسون والعلماء لبحث تأييد عملية تحديد النسل. ونشطت هذه الندوات منذ عام ١٩٨٦م. فقام العلماء مقابل ذلك بندوات ومؤتمرات فكشفوا المخطط وعروه (٥٤) .

هذا ولايزال الجهاد الفطاني يواجه القوى الباغية ، ونلخص **العقبات** التي تقف في وجهه في مايلي :

١- سياسة الحكومة التايلاندية - خطة تحت المظلة الباردة. التي تناولناها بالشرح. وهذه الخطة من شأنها عزل المجاهدين عن شعبهم من المسلمين .

٢- حشد القوات التايلاندية على حدود ماليزيا ، من شأنه أن يمنع المتطوعين المسلمين من الدخول للجهاد ، ويعزل المجاهدين عن ماليزيا .

٣- حلف جنوب شرق آسيا من الدول : ماليزيا ، والفلبين ، واندونيسيا ، وبروني ، وتايلاند ، وهذا من شأنه عزل المجاهدين عن البلاد الإسلامية المجاورة ، وخاصة ماليزيا واندونيسيا .

٤- القوات البحرية التايلندية التي انتشرت على السواحل من شأنها منع المساعدات من الوصول إلى المجاهدين.

٥- إنتشار الشيوعية في الهند الصينية ، وانخراط بعض المسلمين في الأحزاب الشيوعية ، وهذا من شأنه إضعاف حركة الجهاد والروح الإسلامية ، وإعطاء الفرصة للقوات التايلاندية بضرب المسلمين بحجة الشيوعية .

٦- إنقسام حركة الجهاد في فطاني ، وتعدد المنظمات .

ولا يزال الفطانيون المسلمون عن طريق محاولاتهم الجهادية إعادة دولتهم المسلمة في ظل النظام العالمي الجديد.

(٥٤) أخبار العالم الإسلامي الاثنين ٢١ محرم ١٤٠٨هـ ص٤.

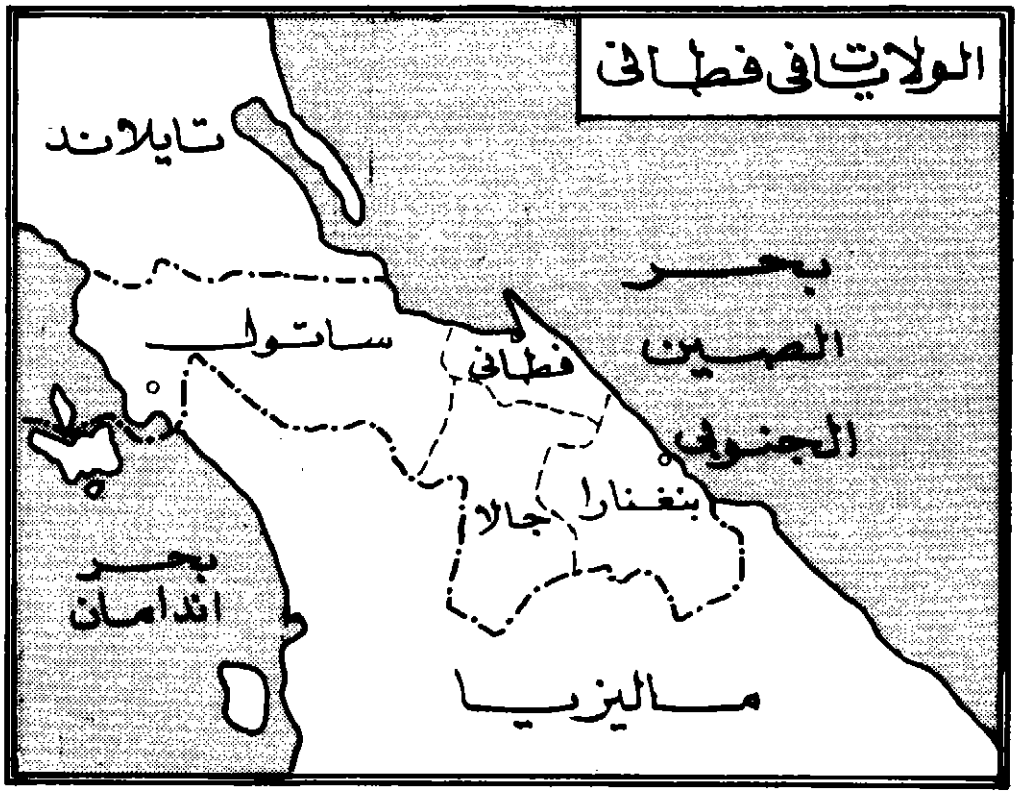
الولايات في فطاني
تايلاند
بحر
الصين
الجنوبي
ساتول
فطاني
بنغنارا
جالا
بحر
اندامان
ماليزيا

الفصل الرابع

المسلمون في قبرص

قبرص ثالثة كبريات جزر البحر الأبيض المتوسط ، توجد في جزئه الشرقي وتبعد عن الساحل السوري ٩٠كم ، وعن الساحل التركي ٦٥كم ، وعن الساحل المصري ٤٠٠كم ، وعن الساحل اليوناني ٩٠٠كم ، كما يبلغ أقصى طول لها ٢٣٥كم ، وأقصى عرض لها ٩٠كم ، ومساحتها ٩٢٥١كم٢(١).

بلغ عدد سكانها عام ١٤٠٧هـ حوالي ٧٥٠ ٠٠٠ نسمة منهم ١٧٥ ٠٠٠ من المسلمين الأتراك ، والباقي من النصارى اليونانيين ومن جنسيات مختلفة .

ويعتبر النحاس من أهم معادنها ، حتى ليقال إن كلمة قبرص تقابلCopper أي النحاس. وتزرع الحبوب والحمضيات والعنب والزيتون والبطاطا والتبغ. وتشتهر بالحمير من بين الحيوانات ، وتشكل الغابات ٢٠٪ من مساحة البلاد (٢) .

موقعها إستراتيجي ، تصلح نقطة انطلاق إلى الغرب أو إلى الشرق ، ولذلك فكلا المعسكرين الشيوعي والرأسمالي يحاول أن يكون له فيها قواعد عسكرية. وقد تعاقب عليها عدد من الفاتحين بحكم موقعها هذا ، وعندما ظهر الإسلام كانت بيد الدولة البيزنطية منذ عام ٣٥٩م. وكانت النصرانية قد أخذت طريقها إليها حوالي عام ٤٨م على يد بولس (٣) .

دخول الإسلام :

فتح المسلمون ديار الشام ، وأصبحت قاعدة من قواعد الإسلام ، وولي عليها معاوية بن أبي سفيان الذي تابع الفتوحات الإسلامية في بلاد الروم ، ورأى أن يستولي على القواعد الهامة ليتمكن من منازلة الروم ، وليحول دون استخدامها ضد المسلمين ، وكان أهم هذه القواعد ـ قبرص ـ التي كان العدو يغير منها على

(١) البلدان الإسلامية ص٥٧٤ ، انظر المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٦٤.

(٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٦٥.

(٣) محمود شاكر ـ المسلمون في قبرص ص٣٩.

الثغور الإسلامية. فاستنفر معاوية العمال ، ومن كان لهم خبرات في صناعة السفن وحشدهم في عكا ، ورمم الحصن والمرفأ وجعله دارا لصناعة السفن وتجهيز الأسطول الإسلامي وإعداده. كما رمم مدينة صور وشحنها بالمقاتلة (٤) ، واستأذن عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزو قبرص ، فأذن له بشرط أن لايحمل الناس كرها على ركوب البحر - فتكون الخدمة البحرية عن طريق التطوع - وأن يصطحب معه زوجته وكان المسلمون يفعلون ذلك في حروبهم لإظهار النكاية بالعدو والعزم على بلوغ النصر ، فعين معاوية لقيادة القوة البحرية عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة وكان من رجال البحر المعروفين غزا خمسين غزوة لم يغرق من جيشه أحد ، ولم ينكب .

ركب معاوية البحر بألف وسبعمائة سفينة ومعه زوجته وعدد من الصحابة فيهم أبو ذر والمقداد بن الأسود وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ، ففتح المسلمون قبرص عام **٢٨هـ**

---

(٤) البلاذري - فتوح البلدان ص١٢٤.

صلحا (٥) ، واستخدمت كقاعدة إنذار للمسلمين من حيث يجب على أهلها(بموجب المعاهدة) إخبار المسلمين عن التحركات المعادية مع استخدام الجزيرة كقاعدة لدعم البحرية الإسلامية (٦) .

ولما خرج المسلمون من الجزيرة ماتت أم حرام هناك وقبرها لايزال وكأنه يقول للمسلمين اليوم .. إن هذه الأرض قد أريقت عليها دماء الصحابة فانتبهوا إليها ، ولاتضيعوها ولاتتولوا أعداء الله (٧) .

ونقض أهل قبرص العهد عام ٣٣هـ/٦٥٣م ، فوجه معاوية قوة مكونة من ٥٠٠ مركب ، وحاصرها وفتحها عنوة. ونقل إليها جيشا من اثني عشر ألفا من المسلمين لحمايتها فأقام هذا الجيش وعمر المساجد وبنى الحصون وأقام المراصد ، وأصبحت جزءا من ديار الإسلام .

واتصل أهل قبرص النصارى بالروم عام ١٢٥هـ ، فجهز الوليد بن يزيد جيشا بقيادة أخيه الغمر بن يزيد بن عبد الملك ، وعين الأسود بن بلال المحاربي أميرا على البحر ، وأعادت الجيوش الإسلامية فتح الجزيرة ، وخيروا أهلها بين المسير إلى الشام أو الإلتحاق ببلاد الروم ، فاختار جمع كبير من أهلها الذهاب إلى بلاد الشام. وأقامت قوات عربية إسلامية في الجزيرة حيث بقيت درع الدفاع عن بلاد المسلمين في الشام ومصر ، حتى إذا مابدأ الضعف يتسرب للدولة الإسلامية زمن البويهيين (٣٣٤-٤٤٧هـ) ، كان أول عمل قام به نقفور ملك القسطنطينية أن أرسل حملة أعادت السيطرة البيزنطية على الجزيرة عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م ، فأصبحت سندا للصليبيين فكانت المؤن تصل إلى ميناء السويدية ومعظمها من قبرص. واتخذت بحرية البيزنطيين منها قاعدة أثناء الحملات الصليبية .

واحتلها(ريتشارد) قلب الأسد عام (٥٨٧هـ/١١٩١م) ، واتخذها قاعدة لحملته الصليبية على عكا ، وباعها إلى إحدى الطوائف الدينية فرسان الداوية - الذين باعوها بدورهم للملك(غاي) سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م . وأصبحت مملكة عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م ، وانتابتها الصراعات الدموية والإضطرابات الكثيرة ، وأخذت القبضات القوية تتناوب السيطرة عليها . ولكنها على الإجمال بقيت قاعدة صليبية متقدمة لمهاجمة المسلمين ، وهاجر إليها كثير من الصليبيين وبقي المارون

---

(٥) ابن كثير ج٧ص١٦٨ ، ابن الأثير : الكامل ج٣ص٤٨.

(٦) العسلي - الأيام الحاسمة ص٢٩٢.

(٧) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٧٠.

فيها إلى اليوم ، فكانت قاعدة الملك لويس التاسع في حملته على مصر حيث أقام بها سنة كاملة سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م قبل أن يتوجه إلى مصر ، وكان ملك قبرص الموجه للتعاون مع التتار(المغول) للقضاء على المسلمين .

وعندما تم تحرير عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م على يد الأشرف خليل بن قلاوون ، بقيت قبرص الحكومة النصرانية الوحيدة التي تابعت الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي ، فأصبحت مقر أعمال القرصنة الصليبية ضد البلاد الإسلامية ، ولذلك صمم الملك الأشرف على تحريرها وأمر بعمارة مائة سفينة وكان يهتف دائما - قبرص - قبرص - قبرص (٨). غير أن تهديدات المغول عاقته عن تنفيذ أهدافه. كما هاجمها السلطان المملوكي برسباي بثلاث حملات ، حيث أسر المسلمون ملكها في الحملة الثالثة عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م ، الذي رحل إلى القاهرة مع كثير من الأسرى ، وأحضر لمقابلة السلطان برسباي بحضور ممثلين عن الدولة العثمانية وشريف مكة وملك تونس وممثلي القبائل العربية ، وأقيمت إحتفالات رائعة بالقاهرة ابتهاجا بهذا النصر. فأصبحت قبرص تحت حماية مصر وتدفع لها الجزية إلى أن احتلها البنادقة عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م (٩) .

ظهرت الدولة العثمانية وأخذ الأتراك العثمانيون على عاتقهم حماية العالم الإسلامي ، وتولوا قيادة الجهاد ضد الصليبيين ، ونقلوا الصراع من آسيا إلى أوربا ، واحتفظت قبرص بأهميتها كقاعدة متقدمة للصليبيين بالرغم من انتقال مسارح العمليات وتحرك مراكز ثقل القتال ، واستخدمها البنادقة قاعدة للعدوان على المسلمين ، فتوجهت لها همة العثمانيين ففتحوها عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م ، ولاحقوا البنادقة فأخرجوهم من كريت عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م. وبهذا يكون خروج البنادقة من قبرص نهاية الحروب الصليبية في المشرق حقيقة فخلت ديار الإسلام من كل أثر صليبي (١٠) وعادت قبرص إلى دار الإسلام .

بقي العثمانيون في قبرص ثلاثة قرون تقريبا ، عملوا من بدايتها على توطيد دعائم الإسلام في الجزيرة ، فقد أسكنها السلطان سليم الثاني حامية عثمانية منذ أن فتحها. وقام فيها الدعاة ، فأصبح المسلمون ثلاثة أمثال النصارى عام

(٨) العسلي ص٣٠٠.

(٩) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٧٧.

(١٠) العسلي ص٣٠٢ ، المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٧٨.

١٢٠٥هـ/١٧٩٠م ، فأصبحت قبرص بلادا إسلامية وجزءا من ديار الإسلام بأرضها وأهلها ، وشهدت الأمن والرفاه في ظل وضعها الطبيعي ضمن دار الإسلام. وتمتع النصارى بالأمن وأعاد العثمانيون للكنيسة الأرثوذكسية نفوذها (١١) .

قبرص في ظل الإحتلال البريطاني :

ضعفت الدولة العثمانية ، وطمعت الدول في تخطف أطرافها والإستيلاء على أجزائها ، فكانت الحروب لاتفتر بينها وبين جيرانها من روسيا والنمسا ، وكانت كل من بريطانيا وفرنسا تدعي أحيانا مناصرتها وتقف في وجه الروس ، وأحيانا تعلن عليها الحرب لتسلخ جزءا من أرضها. وكانت سياسة بريطانيا تنصب على الحفاظ على الهند(درة التاج البريطاني) فعمل دزرائيلي رئيس وزراء إنكلترا اليهودي على فرض معاهدة على الدولة العثمانية عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م ، باسم : التحالف الدفاعي ، قبلت فيه الدولة العثمانية الإحتلال البريطاني لقبرص ، مقابل ضمان بريطانيا الدفاع عن الممتلكات العثمانية في آسيا ضد روسيا ، كما تعهدت بريطانيا بدفع مبلغ ٩٢ ٨٠٠ جنيه سنويا وهو مايفيض عن ميزانية قبرص. وادعت أن الإحتلال مؤقت ريثما تعيد روسيا للعثمانيين المناطق التي احتلتها وهي أقاليم قارص ، وباطوم ، وأردهان. وفي الوقت نفسه إتفقت بريطانيا مع فرنسا أن ـ تطلق يد فرنسا في تونس التي كانت تسعى لاحتلالها ، ومع روسيا على أن تحتفظ بالمناطق التي احتلتها ، وتوجت تلك الإتفاقيات بعقد مؤتمر برلين عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م ليعطي الصفة الدولية والقانونية لهذه الإتفاقيات الجانبية والسرية (١٢). وكانت بريطانيا تهدف إلى اتخاذ قبرص قاعدة للعدوان على المسلمين .

كان أكثر سكان قبرص من المسلمين فعملت بريطانيا على إضعافهم بتشجيع هجرة النصارى من بلاد اليونان إلى الجزيرة. وفي الوقت نفسه ضيقت على الأتراك المسلمين في سبيل تخليهم عنها والهجرة منها فانخفضت نسبة المسلمين وارتفعت نسبة النصارى تدريجيا. ففي عام ١٨٩٠م كان عدد سكان الجزيرة ٨٠ ٠٠٠

---

(١١) نشرة معهد الأقليات المسلمة ربيع الثاني سنة ١٣٩٨هـ ، المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٧٩.

(١٢) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٨١.

نسمة ، ٦٠ ألفا من المسلمين (١٣) ، و٢٠ ألفا من النصارى .

وفي عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م عند اندلاع الحرب العالمية الأولى أنهت بريطانيا تبعية الجزيرة الأسمية لتركيا ، وألحقتها بالتاج البريطاني ، وعرضت على اليونان أن تضمها إليها مقابل دخولها مع الحلفاء في الحرب ضد ألمانيا ، ومنذ ذلك الوقت والقبارصة اليونانيون الدخلاء الذين غدوا أكثرية في عهد السيطرة الإنجليزية يطالبون باستقلال الجزيرة وإلحاقها بالأرض اليونانية. حيث بلغ عدد النصارى أكثر من ٥٢٩ ٠٠٠ نسمة بينما وصل عدد المسلمين ١٢٠ ٠٠٠ نسمة فقط عند الاستقلال.

تنازلت تركيا عن الجزيرة رسميا في معاهدة لوزان عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٣م

فعينت إنجلترا معتمدا عنها ، وأنشأ الحاكم العام الإنجليزي لجنة تنفيذية تضم سبعة من الإنجليز. ومجلسا تشريعيا يضم أربعة وعشرين عضوا ينتخب خمسة عشر عضوا منهم اثنا عشر من القبارصة اليونانيين وثلاثة أعضاء من المسلمين فقط ، ويعين الباقون (١٤) .

وتكونت حركة **إينوسيس** (١٥) Enosis - الإتحاد مع اليونان - التي تمثل اليونانيين وعلى رأسها أساقفة قبرص جميعا. فوقعت أحداث دامية عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م ذهب ضحيتها مئات السكان من المسلمين والنصارى . فأنشأت بريطانيا مجلسا تشريعيا ضم الذين يتعاونون معها وينفذون سياستها ، فعم الرخاء وأصبحت قاعدة تجارية مارس اليهود فيها دورا كبيرا (١٦) .

واتخذت قبرص قاعدة حربية للحلفاء عند اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ، وجعل الإنجليز منها قاعدة تجارية لنشاط اليهود لنشر الفساد والتأثير على العقيدة الإسلامية. كما جعلوها مركزا لتهريب البضائع بعد المقاطعة العربية للبضائع اليهودية ومقرا لعصابات الصهاينة. كما شجع تشرشل عام

---

(١٣) نفسه ص٧٨ وانظر نفسه ص٨٨-٨٩.

(١٤) نفسه ص٨٣.

(١٥) قضايا عصرنا ص٥٥٧.

(١٦) علي حسون ص٣٠٥.

١٣٦٢هـ/١٩٤٣م الأحزاب السياسية كحزب الوطنيين وحزب المزارعين وحزب الاشتراكيين بالإضافة إلى الحزب الشيوعي(أكيل) الذي يخضع للحزب الشيوعي اليوناني الذي يسير حسب نهج موسكو ، وقد نشط هذا الحزب كثيرا في قبرص .

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية ذهب وفد قبرص للمطالبة بحق تقرير المصير لقبرص عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م. وبرز على المسرح السياسي **المطران مكاريوس** الذي انتخب رئيسا لأساقفة قبرص عام **١٩٤٧م** ودعا إلى وحدة الجزيرة (١٧) .

تبنت اليونان قضية قبرص وحاولت مع مكاريوس عرضها على هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م ، ونجحت في عرضها عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ، ولم تكن النتيجة مرضية لليونان ، كما فشل المؤتمر الثلاثي في لندن عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م في التوصل إلى نتيجة ترضى عنها الأطراف المعنية جميعها (١٨) .

تدفقت الأسلحة على القبارصة اليونانيين من اليونان بشكل واسع ، فكثرت الإضطرابات وأعمال العنف ، وتكون من المتطرفين في حركة أنوسيس منظمة(أيوكا) أي الجبهة الوطنية لتحرير قبرص بزعامة الجنرال(غريفاس) اليوناني سنة ١٩٥٦م. ومارست هذه المنظمة أعمال العنف على نطاق واسع ضد المسلمين بشكل خاص ، واضطرت انكلترا إلى جلب إمدادات عسكرية من انكلترا نفسها ومن ليبيا ومالطة. وقامت مظاهرات في تركية ضد اليونان كما قامت مظاهرات في اليونان ضد تركية اتسمت كلها بالعنف ، وقاطعت اليونان المجلس العسكري لحلف البلقان المنعقد في أنقرة ، وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي الذي عقد في استنبول. وهددت الغرب بالوقوف على الحياد في سبيل كسب تأييد الغرب لها ضد انكلترا. فأهتمت أمريكا بالأمر وقامت انكلترا بدورها بنفي المطران(مكاريوس) وثلاثة من أعوانه إلى جزيرة سيشل عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م بغية تسليط الأضواء على هذه الشخصيات لتسلمهم حكم الجزيرة في المستقبل لينفذوا سياستها (١٩). واتخذت بريطانيا منها قاعدة للقوات البريطانية والفرنسية التي نزلت في قناة السويس في العام نفسه ١٣٧٦هـ. كما سمحت للمطران مكاريوس بالعيش في أثينا بدلا من المنفى ليكون قريبا من أحداث الجزيرة

(١٧) نفسه.

(١٨) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٨٦.

(١٩) نفسه ص٨٧.

ومن(غريفاس) الذي فر من قبرص إلى اليونان .

واشتدت أعمال العنف وكان المسلمون يخشون على أنفسهم من الإنضمام إلى اليونان لأن في ذلك ذهاب كيانهم وأن مصيرهم سيكون مصير **٨٩** ألف تركي مسلم كانوا في **جزيرة كريت** عندما انضمت إلى اليونان بعد أن خرج منها العثمانيون عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م حيث أجبر قسم كبير منهم على الهجرة وترك الوطن والأملاك ، واختفى الباقون تحت ظلم الحاكم اليوناني (٢٠). لذلك شدت تركيا أزر القبارصة الأتراك وطالبت باستقلال الجزيرة بحيث يتمتع المسلمون بحكم ذاتي ، أو التقسيم بين الأتراك واليونانيين ، إذا كان اليونانيون يصرون على الإلتحاق باليونان . وطالبت اليونان بدورها بالإستفتاء .

ومن العجيب أن معظم الدول العربية والإسلامية أيدت اليونان ضد تركيا ، ودعمت موقف مكاريوس على أساس أن القضية عنصرية لادينية بين تركيا واليونان. بل وصل متطوعون مسلمون يقتلون إخوانهم (٢١) .

وفي عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م اقترحت بريطانيا خطة السنوات السبع وتقضي ألا يتغير وضع الجزيرة مدة سبع سنوات. ويقام أثناء هذه المدة مجلسان منفصلان أحدهما للأتراك والآخر لليونانيين هذا في الحكم الذاتي ، أما الإدارة المحلية فمسئول عنها مجلس الحاكم العام ويضم ممثلين عن الحكومة التركية واليونانية إلى جانب أعضاء المجلسين (٢٢) .

وقد رفضت الخطة من جميع الأطراف واشتعلت الفتنة حتى عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م. وهذا أسلوب بريطانيا في صنع المشكلات .

الاستقلال عام ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م :

سلطت بريطانيا على مكاريوس الأضواء ورفعته إلى مستوى الأبطال وعملت على تسليمه الحكم ، فقبل مكاريوس الإقتراح الإنجليزي بعد أن تظاهر بمحاربته مدة ، ووافق على استقلال الجزيرة بعد مدة من الحكم الإنتقالي. واستطاعت بريطانيا أن تجمع عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا وكرامنليس رئيس وزراء

(٢٠) محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٨٩.

(٢١) محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٦٣.

(٢٢) نفسه ص٩٢.

اليونان والمطران مكاريوس وفاضل كوتشوك ممثلين عن القبارصة اليونانيين والأتراك سنة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م . واتفقت على أن تكون قبرص جمهورية مستقلة. يكون رئيسها من الجالية اليونانية ونائبه من الجالية التركية وينتخبان لمدة خمس سنوات ، وللاثنين فقط حق الرفض. لأي قانون (٢٣). ويتكون مجلس الوزراء من عشرة أعضاء سبعة من اليونانيين وثلاثة من الأتراك وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة ، ويجب أن يعهد إلى وزير تركي بإحدى وزارات الدفاع أو المالية أوالخارجية. وأما مجلس النواب فينتخب لمدة خمسة أعوام بحيث يمثل اليونانيين ٧٠٪ من المجلس. وتكون القرارات بالأغلبية المطلقة أما التعديل فبأغلبية الثلثين. وأما الجيش فيتكون من ٢٠ ألف جندي ٦٠٪ من اليونانيين. وقوات الأمن الداخلي ٧٠٪ من اليونانيين . ويقوم تحالف عسكري بين قبرص وتركيا واليونان (٢٤) .

وتستبعد فكرة إتحاد قبرص مع أية دولة أخرى كليا أو جزئيا ، وتستبعد فكرة تقسيمها وتحتفظ إنكلترا بقاعدتين عسكريتين في جنوب الجزيرة وتستمر باستعمال المواقع الحربية القائمة في الجزيرة والطرق والموانيء. كما تستمر قبرص بتقديم التسهيلات لبريطانيا في ميناء فاماغوستا ، والطيران فوق قبرص ، دون قيد ، واستعمال مطار نيقوسيا في زمن السلم والحرب. وذلك كله بموجب معاهدتي زيوريخ ولندن .

فدخل مكاريوس قبرص ، وجمعت الأسلحة من منظمة أيوكا ووافق الجنرال غريفاس على الإتفاق ، وغادر قبرص إلى أثينا وكان قد دخلها سرا . وتشكلت أول وزارة قبرصية وأصبح مكاريوس رئيسا للجمهورية وفاضل كوتشوك نائبا للرئيس. وأعلن الإستقلال عام ١٩٦٠م بمعاهدة بين تركيا واليونان ، وقامت الدولة على أساس ديني فعلا وديمقراطي شكلا ، وساندتها اليونان واسرائيل ، وتملك إسرائيل أكبر سفارة في الجزيرة (٢٥). وكانت نسبة الأديان ٧٩٪ نصارى ، و١٩,١٪ مسلمون ، و ١,٩٪ يهود (٢٦). وانضمت عام ١١٩٦م إلى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) (٢٧) .

(٢٣) نفسه ص٩٣.

(٢٤) نشرة معهد الأقليات المسلمة مجلد ٤ سنة ١٤٠٠هـ ، المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٩٤.

(٢٥) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص٩٦.

(٢٦) علي حسون ص٣٠٦.

(٢٧) قضايا عصرنا ص٥٥٨.

قبرص بعد الاستقلال :

أصبح الجنرال غريفاس رئيسا لما سمي بالحرس الوطني ، فبدأ يتصرف بالأمن ، مما جعل الأتراك يتصلبون في مواقفهم وحدث الصدام والخلاف فتفرد اليونانيون بالحكم ، وقامت معارك دامية عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، وحاولت تركيا التدخل عام ١٩٦٤م على عهد عصمت إينونو ، إلا أن الرئيس الأمريكي(جونسون) بعث له برسالة بالغة التهديد ، حذره من التدخل في الجزيرة ، وأكد له فيها عدم استخدام أسلحة حلف الأطلسي في ذلك (٢٨) !!

وتدخلت الأمم المتحدة ، وأرسلت قوات للمحافظةعلى السلام بدلا من القوات الإنجليزية عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م (٢٩). وفي عام ١٣٨٥هـ هاجمت الحكومة القبرصية الأحياء الإسلامية فقتلت وفتكت بالمسلمين بأبشع الوسائل باسم القبارصة اليونانيين ، وقصفت الطائرات الحكومية المساجد والبيوت الإسلامية .

وتجددت الأحداث الدموية عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، حيث تحركت مجموعات من الحرس الوطني التي تأتمر بامرة الجنرال غريفاس بالهجوم على الأحياء والقرى المسلمة ، وازدادت القوات اليونانية ازديادا كبيرا حتى بلغ عددها ١٦ ألف جندي. فطالبت تركيا بسحب هذه القوات وطرد غريفاس وحل الحرس الوطني ، واستمرت المفاوضات بين أخذ ورد ، وأخذت الأصابع الشيوعية والأمريكية تلعب دورها في الجزيرة ، فنشط الحزب أكيل(الحزب التقدمي للشعب العامل) ومنظمة أيوكا وقائد الحرس الوطني. وهذا ما دعا المطران مكاريوس إلى شراء صفقة من الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا لإظهار التوازن بين المعسكرين ، فسخطت عليه اليونان وطلبت منه: تسليم الأسلحة التي استوردها إلى جنود الأمم المتحدة واشتراك أنصار غريفاس في حكومة اتحاد وطني ، واعترافه بأن اليونان هي المركز السياسي الوطني للشئون القبرصية .

وفي عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م فصل(سبيروس كبريانو) وزير خارجية قبرص(من القبارصة الأتراك) بعد أن مارست اليونان الضغط على مكاريوس. كما نشطت حملات غريفاس ضد مكاريوس وأثار حملة واسعة لتشويه سمعة العرب بأن مراكز بعثاتهم تحت تصرفات الفدائيين ، وأن السفارات العربية تسلح جماعات لإحداث عمليات الإرهاب في الجزيرة ، والغاية من كل ذلك إجبار السكان

(٢٨) النعيمي ص٢٢٤.

(٢٩) قضايا عصرنا ص٥٥٨.

لمساندة إسرائيل ، فلفتت البعثات العربية نظر حكوماتها إلى هذا الأمر واقترح السفراء العرب في قبرص على البلاد العربية (٣٠) :

١- زيادة عدد السفارات في قبرص ليزداد حجم الوجود العربي حيث لايوجد في قبرص سوى ثلاث سفارات عربية .

٢- التواجد العلمي والثقافي والرياضي المستمر .

٣- زيادة التبادل الإقتصادي ودعم العلاقات بحيث تصبح أكثر متانة .

٤- دعم جمعية الصداقة العربية القبرصية .

وفي عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م وقع انقلاب على المطران مكاريوس وتسلم الحكم(غلافكوس غلاريدس) لضم قبرص إلى اليونان ، وفر مكاريوس بأن أقلته طائرة خاصة من إحدى القواعد البريطانية إلى مالطة ، فانجلترا ، فالولايات المتحدة ، بعد أن أذاعت قبرص نبأ موته (٣١) ، واستنفرت كل من تركيا واليونان قواتهما ، وأنزلت القوات التركية في قبرص واستطاعت أن تحتل ميناء فاماغوستا ، وتابعت سيرها إلى الغرب حتى مدينة مورفو ، فاحتلت ٣٨٪ من مساحة الجزيرة وهي المناطق التي يكثر فيها المسلمون الأتراك وتوقف إطلاق النار بتهديد من الولايات المتحدة وخاصة بعد أن رأت تفوق الجيش التركي على اليوناني ، وبعد مناورات عديدة استطاع المطران مكاريوس أن يعود إلى مركزه الأول في قبرص حتى وفاته سنة ١٣٩٨هـ (٣٢). وحصل تبادل للسكان بين الشطرين اليوناني والتركي . وكعادة الدول الكبرى في معاداة المسلمين ولو كانوا يسيرون في ركابها ، وقفت الولايات المتحدة ومعها الدول الأوروبية إلى جانب اليونان في الأزمة القبرصية ضد تركيا ، وفرض الكونجرس الأمريكي حظر الأسلحة على تركيا منذ عام ١٩٧٥م لإرغامها على الإنسحاب من الجزيرة (٣٣) .

وتشكلت الجمهورية القبرصية الفيدرالية سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، واعترف مؤتمر وزراء خارجة العالم الإسلامي بها سنة ١٣٩٧هـ ، وأكد المؤتمر تأييده لاتحاد المنطقتين التركية واليونانية في اتحاد فدرالي حرصا على وحدة الجزيرة القبرصية .

---

(٣٠) المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ص١٠٢.

(٣١) النعيمي ص٢٤٣.

(٣٢) علي حسون ص٣٠٧ ، النعيمي ص٢٣٠.

(٣٣) النعيمي ص٢٢٧.

وفي عام ١٤٠٠هـ عقد المؤتمر الإسلامي العالمي الثامن(غير رسمي) في الدولة الإتحادية القبرصية التركية ، وحضره ممثلون من ٤٩ بلدا إسلاميا ، وحضره عدد كبير من الهيئات والمنظمات الإسلامية ومن الدول الإسلامية ومن الأقليات المسلمة. وألقى السيد رؤوف دنكتاش رئيس الدولة كلمة عبر فيها عن وضع المسلمين بقبرص. وأصدر المؤتمر عدة قرارات بشأن القضايا الإسلامية ومشاكل الأقليات المسلمة (٣٤) .

وأصبحت القضية القبرصية من القضايا الإسلامية الهامة ، لهذا جاء بيان رابطة العالم الإسلامي المقدم إلى مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة :

« إن التطورات الأخيرة التي توالت عليها بعد اتفاق فبراير سنة ١٩٧٧م تجعل رابطة العالم الإسلامي تتابع القضية بقلق بالغ وتستنكر كل محاولة لتغيير نصوص الإتفاق السابق ، وتأمل الرابطة من أن تعيد الحكومات الإسلامية النظر في علاقاتها بقبرص بما يضمن تحقيق أهداف المسلمين بها » (٣٥) .

وفي عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م أعلن السيد رؤوف دنكتاش استقلال الأتراك في شمال الجزيرة ، وشارك في القمة الإسلامية الأخيرة ، وعرض وضع الطائفة التركية في قبرص المحرومة منذ عشرين سنة من هويتها وحقوقها السياسية والمحاصرة اقتصاديا والواقعة تحت ضغط الطائفة اليونانية. وقد لقي تفهما واسعا بين الدول الإسلامية التي اعتبرت وضع القبارصة الأتراك مشابها إلى حد بعيد لوضع الفلسطينيين .

ولاتزال جزيرة قبرص منطقة صراع ، ترى تركيا أن الحل يكون في تكوين دولة فيدرالية تقوم على أساس مقاطعتين : تركية ، ويونانية لكل منهما هويته الذاتية ، بينما تصر اليونان على ضم قبرص إلى اليونان .

وعرضت القضية القبرصية على هيئة الامم ومراراً. وقدمت الهيئة مشاريع حلول كلها هدفت إلى تغليب الجانب النصراني في قبرص ومحاولة إخضاع المسلمين إلى إرادة النصارى كما عبر رؤوف دنكتاش رئيس جمهورية قبرص الشمالية المسلمة. والذي انتقد السكرتير العام بطرس غالي في ٥ ذي الحجة سنة ١٤١٣هـ/٢٦ أيار مايو ١٩٩٣م قائلاً: «إن السكرتير العام

---

(٣٤) نشرة معهد الأقليات مجلد٤ سنة ١٤٠٠هـ.

(٣٥) جريدة النلوة ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ.

بطرس غالي لم يفعل شيئاً إلى حد الآن من أجل حل عادل للقضية».

والواقع أن وضع قبرص سيبقى غير طبيعي ما دامت القوى الإسلامية القريبة منها ضعيفة ولا تستطيع التأثير في مجريات الأمور، فأهميتها الإستراتيجية تجعل مصلحة القوى العالمية في إبقاء الصراع في هذه المنطقة الحيوية بسبب قربها من أهم مواقع الصراع التاريخية في مصر والشام وآسيا الصغرى.

وتبقى الظاهرة الغريبة في تكوين هذه الجزيرة فهي قريبة إلى بلاد الإسلام وبعيدة كل البعد عن اليونان، ولكنها تدير ظهرها للعالم الإسلامي رغم أنها جزء منه، وتتطلع أبداً إلى الغرب وهي ليست منه، فحل مشاكلها الحقيقية لا يكون إلا بوضعها الطبيعي كجزء من بلاد الإسلام، تماماً كوضع لبنان وفلسطين.

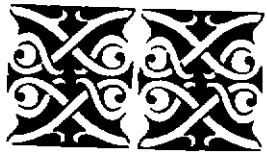

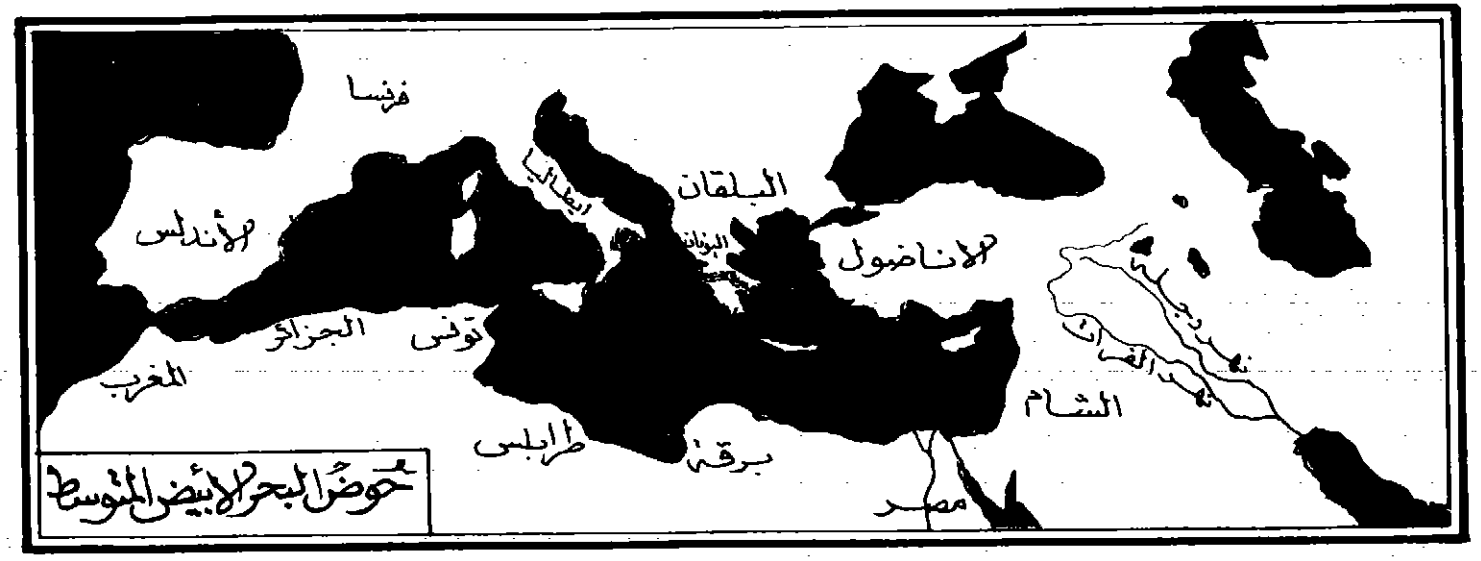
فرنسا
البلقان
الأندلس
الأناضول
الجزائر
تونس
المغرب
طرابلس
برقة
مصر
الشام
حوض البحر الأبيض المتوسط

الفصل الخامس

المسلمون في أوربا الشرقية

الحديث عن المسلمين في أوربا الشرقية جزء من الحديث عن المسلمين في ظل الاتحاد السوفيتي السابق، حيث أن بقية أوربا الشرقية تتبع المعسكر الإشتراكي الشيوعي وتأتمر في معظم أمورها بأوامر موسكو، وبالتالي فإن الحديث عن سياسة دول شرقي أوربا تجاه الإسلام هو جزء من سياسة الإتحاد السوفيتي تجاهه. تلك السياسة التي تكلمنا عنها.

وسنتكلم عن المسلمين في بعض أقطار أوربا الشرقية وسنخص بالذكر: بلغاريا ويوغسلافيا والبانيا وبولندة ورومانيا.

أولا: بلغاريا:

إحدى دول البلقان ومن دول أوربا الشرقية، تشرف على البحر الأسود من الناحية الشرقية، سميت باسم قبائل البلغار التي أسلم كثير منها قبل القرن الرابع الهجري، وكان لها ملك مسلم اسمه الماس خان. وهو الذي طلب من الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) إرسال بعثة إسلامية من الفقهاء والعلماء والمهندسين لبناء بلغاريا والنهوض بها، ووصلت البعثة لبلغاريا وعلى رأسها أحمد ابن فضلان البغدادي وزير المقتدر (١)، وتحركت البعثة من بغداد في ١١ صفر ٣٠٩هـ مارة بهمذان والري ونيسابور ومرو وبخارى. ثم مع نهر جيحون إلى خوارزم إلى بلغار الفولغا في ١٨المحرم عام ٣١٠هـ/٩٢٢م. ولم يعرف خط سير الرجعة لضياع القسم الأخير من الرسالة، وقد عملت البعثة على نشر الإسلام واللغة العربية، فنبغ في بلغاريا علماء أجلاء مسلمون منهم: الشيخ أحمد البلغاري أستاذ السلطان محمود الغزنوي، والشيخ برهان الدين يوسف البلغاري، والقاضي يعقوب بن نعمان البلغاري وغيرهم. وكانوا يتكلمون العربية، ويستعملون حروفها في كتاباتهم، وظلوا على ذلك حتى استيلاء المغول على بغداد (٢) سنة

(١) أحمد بن فضلان - رسالة - طبع المجمع العلمي العربي بدمشق.

(٢) المسلمون: العدد٤٧، ١٨ربيع الأول ١٤٠٦هـ/٣٠ نوفمبر ١٩٨٥م/ ص١٧.

٦٥٦هـ. فانعزلوا وقل إتصالهم بالعالم الإسلامي ، ثم وصلها العثمانيون واستطاعوا فتحها في زمن مراد الأول وبايزيد ابنه بالتدريج - وامتدت عمليات الفتح من ٧٤٤ إلى ٧٩٩هـ/١٣٩٦م ، وعادت جزءا من دار الإسلام وقاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية العثمانية إلى أواسط أوربا لدحر الجيوش الصليبية من الشمال والغرب (٣). واستمر الحكم العثماني أكثر من خمسة قرون ونصف ، فانتشر الإسلام أثناء ذلك إنتشارا كبيرا .

إنفصلت بلغاريا بدسائس الدول الأوروبية عن الدولة العثمانية وإثارة النعرات القومية وكونت بها مملكة قائمة بذاتها سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م . بعد أن هاجر إليها كثير من النصارى ، وهجرها كثير من المسلمين . بتآمر من روسيا والنمسا وبريطانيا (٤) .

وفي الحرب العالمية الأولى انضمت لألمانيا في الحرب ، فكانت النتيجة أن تقلصت مساحتها. كما انضمت أيضا لألمانيا في الحرب العالمية الثانية ، فغزاها الروس وسيطر عليها الشيوعيون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (٥). فأصبحت ضمن المعسكر الإشتراكي. فقد أقام الجيش الأحمر الأنظمة الشيوعية بزعماء مهاجرين في حين لم يكن للأحزاب الشيوعية وجود تقريبا في تلك البلاد (٦) .

تبلغ مساحة بلغاريا ١١٠ ٩٢٨كم٢ ، وسكانها حوالي ٩ ملايين نسمة . وهم من العناصر البلغارية الذين يعودون إلى أصول تركية قديمة هاجرت إلى المنطقة وتتحدث لغة السلاف واعتنق أكثرهم النصرانية الأرثوذكسية حوالي عام ٢٥١هـ (٧). تليهم العناصر التركية حديثة الهجرة مختلطة بعناصر التتار ، وأقليات من الغجر والرومان والأرمن. و٦٠٪ من المسلمين أتراك ، و٢٥٪ من البلغار ، وحوالي ١٥٪ من الغجر (٩) وعاصمتها(صوفيا) .

---

(٣) منار الإسلام ص٤٧ ، العدد ٢ السنة ١٠ صفر ١٤٠٥هـ ، علي حسون : الدولة العثمانية ص١٣-١٦.

(٤) أنظر الألاعيب السياسية الأوروبية في ذلك / فشر ص٣٦٨-٣٧٢.

(٥) ج.ب دروزيل - التاريخ الدبلوماسي ص١٦وص١٤٠.

(٦) نفسه ص٢٣٨.

(٧) محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٣١.

(٨) البلدان الإسلامية ص٧٢٣.

(٩) الكتاني - المسلمون في أوربا وأمريكا ج١ص١٣١-١٣٢.

المسلمون تحت الحكم الأرثوذكسي النصراني :
١٣٢٦-١٣٦٢هـ/١٩٠٨-١٩٤٣م :

إنفصلت بلغاريا عن الدولة العثمانية بفعل الدسائس الأوروبية وإثارة القوميات في البلقان ، وكان المسلمون أكثرية قبل الإستقلال ، وللسيطرة الصليبية على البلاد تعرض المسلمون للظلم والإضطهاد فهاجر عدد كبير منهم إلى خارج بلغاريا ، وحل محلهم العنصر البلغاري الذي استقدم من البلدان المحيطة ، فقل بذلك عدد المسلمين (١٠). وتعرضوا لحملات التنصير الإجباري وارتد عدد منهم عن الإسلام بالفعل. وبذلت مختلف الجهود لتذويبهم وقطع صلاتهم بماضيهم شأن المستعمرين في بلاد الإسلام. فقد وضع المسئولون في منتصف القرن الرابع عشر الهجري مشروعا شاملا يهدف إلى تنصير المسلمين بصورة جماعية وذلك بطريق العنف إذا اقتضى الأمر (١١). وكان للمسلمين مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ومدارس أخرى علمية تقدر بنحو ألف مدرسة ، كما كانت لهم مئات المساجد يؤدون فيها صلواتهم (١٢). أخذت هذه تقل تدريجيا .

المسلمون تحت الحكم الشيوعي :

دخلت القوات الروسية بلغاريا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفي نهاية الحرب كان الشيوعيون قد سيطروا عليها سنة ١٩٤٥م. وبدأت الشيوعية كالعادة في محاولة لكسب المسلمين إلى جانبها فألغوا قرار التنصير وأعلنوا حرية الإعتقاد ، وبعد أن تمكنوا من حكم البلاد بعثوا مشروع التنصير من جديد وبشكل أكثر عنفا وبربرية ، فبدأوا بمنع التوجيه والتعليم الديني الإسلامي أو الدعوة له، ثم نظمت حملات من الكتاب الملحدين والحاقدين على الإسلام للتشويه والتشهير بالإسلام والمسلمين ، لأنه كان دين الخلافة العثمانية التي استعمرتهم حسب ادعاءاتهم الباطلة ، ووصلت بهم الوقاحة إلى إخراج العديد من الأفلام السينمائية التي تصور المسلمين والإسلام في صور كاذبة تقشعر لها الأبدان (١٣). وأهملت الأقاليم الإسلامية وأفقرتها لتشيع أن الإسلام هو سبب تأخر هذه المناطق والأقاليم.

---

(١٠) نفسه.

(١١) محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٣٢.

(١٢) المسلمون العدد٤٣ ص١٧.

(١٣) منار الإسلام ص٥٥ العدد٢. وباللأسف فقد عرضت هذه الأفلام في كثير من البلاد العربية المسلمة.

وبدأت السلطات بمحاصرة هذه الأقاليم منذ سنة **١٩٦٠م**. واشتدت الحملة على الدين ـ حملة مركزة من الإلحاد الشيوعي لدرجة منع دخول مصاحف القرآن الكريم ، والكتب الدينية . ومنعوا من الإتصال أو الهجرة إلى خارج بلغاريا ، فأصبحوا منعزلين ، وتغلب عليهم طابع الفقر والبؤس ، وتعد مناطقهم من أكثر المناطق تخلفا بالنسبة إلى البلاد (١٤) .

وحرم المسلمون من المدارس فلم تكلف الحكومة نفسها بإقامة مدرسة ثانوية واحدة في مناطق المسلمين (١٥). وأخذ المسلمون الملتزمون بتعليم أولادهم سرا في البيوت أو إرسالهم إلى أحد العلماء والحفاظ في القرى التي لم تمتد يد السلطة إليها (١٦). كما قاوموا هذه الحملات مقاومة قوية وذهب الكثير منهم إلى السجون ومات بعضهم ضحية تحت سياط التعذيب الوحشي (١٧) .

وأما المساجد ـ فقد كان في بلغاريا حوالي **١٢٠٠** مسجد. اهتم بها المسلمون بجهودهم الذاتية ، وفي العهد الشيوعي أهملت هذه المساجد وأغلق أكثرها ، فصوفيا مثلا يوجد بها حاليا ثلاثة مساجد حُوّل أحدها إلى متحف والثاني إلى كنيسة ، والثالث مغلق وأزيلت منارته (١٨) .

وفي محاولة لتفريق المسلمين لتسهل الهجمة الشيوعية عليهم فرقوهم على أساس **عرقي قومي** ، وفصل كل منهم عن الآخر بإحداث دار إفتاء خاصة به ومن ثم إلغاء منصب المفتي لبعضهم للقضاء عليهم إسلاميا ، فقد قسموا المناطق الإسلامية إلى ست يرأس كل منطقة مجلس من العلماء (١٩) وهذا أمر شكلي فقط ، علما بأن المذهب الحنفي هو السائد هناك بين المسلمين جميعا (٢٠) .

ويمكن تلخيص الوضع الراهن للمسلمين في بلغاريا بما يلي (٢١) :

---

(١٤) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٣٢.

(١٥) مجلة الدعوة العدد ٥٩١/٢٤/٣/١٣٩٧هـ.

(١٦) منار الإسلام ص٥٤ العدد٢.

(١٧) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٣٣.

(١٨) نشرة معهد الأقليات الإسلامية محرم ١٤٠٠هـ.

(١٩) نشرة معهد الأقليات المسلمة محرم ١٤٠٠هـ.

(٢٠) منار الإسلام عدد٢ ص٥٦.

(٢١) انظر : نشرة معهد الأقليات المسلمة محرم ١٤٠٠هـ. ، محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٣٦ ، الكتاني : المسلمون في أوربا وأمريكا ج١ص١٣٥ ، أخبار العالم الإسلامي ص٣ الاثنين ٢٥رجب ١٤٠٥هـ، الشرق الأوسط ص٢ الجمعة ١٩٨٥/٣/٨م.

شبه جزيرة البلقان

- يحرم على المسلمين لبس الزي الإسلامي وخاصة النساء فلا تستطيع المرأة المسلمة أن تشتري أبسط الحاجيات من تعاونيات الدولة بزيها الإسلامي .

- منع المسلمون من الإحتفال بأعيادهم ومن صوم رمضان ومن أداء فريضة الحج. كما منع النحر في عيد الأضحى المبارك .

- منع المسلمون من بناء مساجد جديدة ، ويغلق المسجد الذي يتوفى إمامه. وتتعرض الجماعات التي تزور المساجد المفتوحة إلى المطاردة والعقاب .

- منع المسلمون أن يدفنوا موتاهم في مدافن خاصة بهم ، وألغيت مقابرهم ، وألغيت جميع إجراءات الدفن التي تقوم على الطريقة الإسلامية .

- منع المسلمون من اقتناء المصاحف ومن الهجرة إلى خارج منطقتهم .

- منع المسلمون من وظائف المؤسسات ودوائر الدولة على الرغم من نسبتهم الكبيرة .

- أجبر المسلمون على تغيير أسمائهم إلى أسماء بلغارية نصرانية أو يهودية ، وقد بدأت هذه العملية سنة ١٩٦٠م ولكنها اشتدت في الآونة الأخيرة ، وقد اتبعت السلطات من أجل ذلك الخطوات التالية :

أ- يعطى للمسلمين طلبات جاهزة يسجل فيها رب الأسرة اسمه وأسماء أفراد عائلته ، ومايقابلها من أسماء بلغارية التي يختارها لنفسه ولأفراد أسرته من بين قائمة أسماء مرفقة من قبل السلطات الشيوعية .

ب- عدم تسجيل المواليد الجدد بأسماء إسلامية .

ج- لاتتم إجراءات الزواج أو تسجيله إلا بأسماء غير إسلامية .

د- لاتعطى شهادات من أي نوع أو هوية إلا بأسماء غير إسلامية .

هـ لاتصرف مرتبات العمال والأجور إلا بعد تغيير الأسماء .

والسبب في هذه الإجراءات كثرة عدد المسلمين ومحاولة السلطات إخفاء الحقائق وصبغ المسلمين بصبغة غير إسلامية أمام الرأي العام العالمي ، حتى يمكن تذويبهم والقضاء عليهم في الداخل ، حيث أن بعض التقارير تقول أن المسلمين يقارب عددهم نصف السكان في بلغاريا (٢٢) . ففي سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م أصدرت السلطات البلغارية قانونا يقضي بتبديل البطاقات الشخصية وعدم ذكر جنسية الأقلية ، بل كتابة البلغارية فقط للجميع مع تبديل الأسماء الإسلامية.

---

(٢٢) منار الإسلام العدد٢ ص٤٨.

وتعرض المسلمون للضرب على أيدي قوات الأمن التي شنت حملة تبديل الأسماء بالتواطؤ مع السلطات البلغارية (٢٣) .

ولما تقدم المسلمون بعريضة إلى الحزب الشيوعي حيال هذه الإجراءات كان الرد عليهم يجب عليهم مسايرة تطور الديالكتيك الماركسي. ولذلك فمقاومة المسلمين يائسة ، فهم يقادون بالعشرات يوميا إلى السجون ويكابدون أشد أنواع العذاب النفسي والبدني (٢٤) .

وقد أصدرت الرابطة الإسلامية بيانا عام ١٣٩٧هـ إثر اشتداد هذه الحملة ناشدت فيه الحكومات الإسلامية بأن تسعى لحماية المسلمين في بلغاريا (٢٥). وتدخلت تركيا في هذا الأمر وأعلنت عن استعدادها للاتفاق مع حكومة بلغاريا بشأن هجرة الأشخاص المنحدرين من أصل تركي (٢٦) .

ومن الجدير بالذكر أن بعض التقارير ذكر أنه بين عام ١٩٥٠-١٩٥١م وصل حوالي ٠٠٠ ١٥٠ مسلم بلغاري من أصل تركي إلى تركيا ، ووصل بين الأعوام ١٩٦٨-١٩٧٨م حوالي ٠٠٠ ١٣٠ آخرين وتقول تركيا إن عدد الباقين يصل إلى ٠٠٠ ٩٠٠ بينما تقول بلغاريا أنهم لايتعدون ٠٠٠ ٥٠٠ نسمة (٢٧) .

هذا وتقوم السلطات بتصفية الشخصيات الإسلامية القيادية والمقاومة لأساليب الحكم الشيوعي أمثال شاعر المقاومة الإسلامي شاكر رجب الذي اغتالته المخابرات البلغارية عام ١٣٩٦هـ (٢٨). وقد استمرت السلطات البلغارية في أساليبها فكان من ردود الفعل الإسلامية البيان الذي أذاعه مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية بالأردن وقدمه للسفارة البلغارية سنة ١٤٠٠هـ فأذاعت على اثره وكالة(صوفيا برتشي) البلغارية تقريرا عن الإسلام والمسلمين ادعت فيه أن المسلمين في بلغاريا يقومون بأداء شعائرهم الدينية بحرية كاملة وطبقا لأصول الدين وقواعدالشريعة (٢٩)

---

(٢٣) أخبار العالم الإسلامي ص٣ الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ.

(٢٤) محمود شاكر ص١٣٦ عن مجلة الغرباء السنة١٠ العدد٣ تموز وآب ١٩٧٢م.

(٢٥) أخبار العالم الإسلامي ص٣ الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ.

(٢٦) نفسه. وماذا عن المسلمين البلغار وغيرهم ؟! ولكن هذه هي الاتجاهات القومية والعلمانية في معالجة قضايا المسلمين !!.

(٢٧) نفسه.

(٢٨) نفسه.

(٢٩) أخبار العالم الإسلامي ٢ربيع الآخر ١٤٠٥هـ العدد٩٠٥. وأخبار العالم الإسلامي الاثنين ٢٥رجب ١٤٠٥هـ/ص١٤.

واستمرت السلطات البلغارية في أساليبها ، فنشرت مجلة الرسالة نداء استغاثة من مسلمي بلغاريا جاء فيه (٣٠) :

«إن البلغاريين عملاء الروس يهدمون المساجد، ويعذبون رجال الدين (علماء الدين) ويهدمون قبورهم، ولا يسمحون لهم بدفن موتاهم كما تأمر به الشريعة الإسلامية، ويجبرونهم على تبديل أسمائهم وأسماء أولادهم الإسلامية ويقتلون كل من خالفهم، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم يستولون على أراضي المسلمين. وهدفهم تجريد المسلمين المواطنين في بلغاريا من دينهم وجعلهم جميعاً ملحدين شيوعيين».

ويقول البيان:

«إنهم يستشهدون في سبيل الجهاد والدفاع عن دينهم وعقيدتهم وينادون ويدعون إخوانهم المسلمين في كل الدنيا لمساعدتهم».

فوجه الدكتور عبد الله نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي نداء للعالم يهيب بالمسلمين بوجوب التحرك لإنقاذ إخواننا المسلمين البلغاريين الذين يعيشون مأساة حقيقية منذ سنوات في غفلة من العالم وفى نطاق الحصار(٣١).

وبلغ الأمر بالسلطات البلغارية أن استدعت المسلمين في قرية بجنوب البلاد إلى اجتماع عام وأبلغوا بأن اللجنة ستقوم بفحص الأطفال وإحصاء المختونين منهم وأن كل طفل يختن بعد ذلك يعاقب ولي أمره بالسجن ما بين ٥ إلى ١٠ سنوات. ونقلت مجلة التايمز في عدد فبراير عام ١٠٨٥م خبراً عن معاملة النساء المسلمات جاء فيه: إنهن يجبرن على خلع ملابسهن واغتصابهن أمام ذويهن!! وحسب اعتراف الحكومة البلغارية نفسها أنه كان فى صوفيا العاصمة حوالى ٣٠ مسجداً لم يبق منها سوى مسجد واحد متصدع الجدران(٣٢)! وكانت انتفاضة المسلمين عام ١٩٨٩م وحركة التهجير التعسفي وبعد انهيار الشيوعية سمح للمسلمين البلغار بالعودة إلى مدنهم وقراهم في شمال وجنوب بلغاريا فعاد مائة ألف فوجدوا منازلهم ومتاجرهم قد هدمت أو احتلها الغير وذلك سنة ١٩٩٠م. كما وتعمد الحكومة الجديدة إلى التقليل من شأن المسلمين حيث قدرت عدد المسلمين في بلغاريا عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م بـ ٨٢٠ ألفاً في حين ذكر بيان أصدره اتحاد رجال الدين الإسلامي في بلغاريا أن عدد المسلمين الحقيقي يقارب ثلاثة ملايين. وشهد المسلمون انفراجاً فأخذوا يبنون المساجد والمدارس الإسلامية. وزاولت الهيئة الثلاثية المؤقتة لدار إفتاء المسلمين نشاطها مع جمعية الإرشاد الخيرية الإسلامية. وتتكون الهيئة المؤقتة عام ١٩٩٣م من السيد أحمد يعقوب رئيساً ومفتي مؤقت وعضوية مصطفى شاكر ومصطفى عليش.

---

(٣٠) الرسالة ـ المغرب رقم٩٧ ١ شعبان ١٤٠٥هـ/ من مقال الأستاذ أبو بكر القادري.

(٣١) المسلمون عدد٤٣ ص١٧ .(٣٢) أخبار العالم الإسلامي ١٨ رجب ١٤٠٥هـ.

ثانياً) يوغسلافيا:

جمهورية إتحادية توجد في جنوب وسط أوربا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان، على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك. وتتكون من ست جمهوريات صغيرة هي:

صربيا وعاصمتها بلغراد العاصمة الإتحادية الواقعة على نهر الدانوب.

وكرواتيا وعاصمتها زغرب وسكانها من الكروات.

والبوسنة والهرسك وعاصمتها سيراجيفو.

ومقدونيا وعاصمتها سكوبيا.

وسلوفيتيا وعاصمتها ليوبليانا وتقع في أقصى الشمال الغربي.

والجبل الأسود وعاصمتها تيتوجرادو هي أصغر الجمهوريات وفيها عدد من الإلبان.

ويضاف إلى هذه الجمهوريات إقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما:

كوسوفا وفوجفورينا ويتبعان جمهورية صربيا.

وتضم البلاد أكثر من عشرين قومية يتكلم كل منها لغة خاصة به. وقد ظهرت هذه الجمهورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى في تسوية مابعد الحرب باسم مملكة صربيا، واحتلها الألمان والإيطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية. ثم استقلت بعد هزيمة ألمانيا واتحدت في جمهورية فيدرالية (٣٣). وسيطر الشيوعيون على حكمها. ثم اتبعت سياسة عدم الإنحياز ومصادقة جميع الكتل السياسية العالمية. وحكمها الرئيس (تيتو) فترة طويلة.

وتبلغ مساحة هذه الجمهورية **٢٥٥ ٨٠٤** كم٢، وعدد سكانها عام ١٤٠١هـ أكثر من **٢٢** مليون نسمة (٣٤) وعاصمتها بلغراد.

وصلها الإسلام بعد فتح صقلية في القرن الثالث الهجري، ولكنه وصلها بشكل كبير مع الفتح العثماني.

فقد بدأ العثمانيون يتقدمون في هذه البلاد سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، إلى عام ٨٥٦هـ/١٤٥٢م حيث فتحوا بلغراد ولما اشتدت حدة الصراع بين المذاهب النصرانية طلب البشناق - أهل البوسنة - مساعدة العثمانيين، وكان ينتشر بين البشناق مذهب البوجوميل أو الكنيسة البشناقية، ويعارض هذا المذهب المذهب الكاثوليكي والأرثوذكسي على السواء، فليس فيه تقديس البشر والتعميد، وذلك بتأثير من الإسلام، فكان البشناق مهيئين لقبول الإسلام (٣٥).

---

(٣٣) بيير رونوفن - تاريخ القرن العشرين ص١٠٦.

(٣٤) الكتاني-المسلمون في أوربا وأمريكا ج١ ص١١٥، جودة حسنين-جغرافيا أوربا الإقليمية ص٥١٣.

(٣٥) الكتاني - المسلمون في أوربا وأمريكا ج١ص١١٧. وانظر عبد العزيز الشناوي / اوربا في مطلع العصور الحديثة ص٦٥٧-٦٥٩.

تقدم السلطان محمد الفاتح لنجدة البشناق سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م ففتح البلاد وحسم الصراع بين المذاهب النصرانية ، وأصبحت البلاد جزءا من دار الإسلام ، واعتنق البشناق الإسلام زرافات ووحدانا، طواعية وصاروا من أقوى أنصاره ، وشيدوا المدن ذات الطابع الإسلامي وأشهرها : سيراجيفو أو(بشناق سراي) .

وعندما ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على مناطق عديدة من يوغسلافيا ، واستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا ، واضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن إدارة البوسنة والهرسك سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م لإمبراطورية النمسا والمجر. في المؤتمر الذي عقد في برلين عام ١٨٧٨م من الدول الكبرى الأوروبية ثم ضمتها النمسا إلى امبراطوريتها (٣٦) .

وفي صربيا وعاصمتها سيراجفو كانت شرارة الحرب العالمية الأولى . عندما اغتال طالب(صربي) ولي عهد النمسا(الأرشيدوق فرديناند) وزوجته أثناء زيارته لمدينة سيراجيفو عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م (٣٧) .

وبعد الحرب العالمية الأولى - ظهرت مملكة صربيا ، ثم ظهرت جمهورية يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية تحت الحكم الشيوعي (٣٨). بعد أن هدم الإتحاد السوفييتي الأنظمة السابقة وأقام دكتاتورية طبقة العمال (٣٩) .

أحوال المسلمين :

تعرض المسلمون لموجات قاسية من الإضطهاد في عهد الحكم النمساوي الصليبي ، وإلى عمليات التنصير. فهاجر العديد منهم فرارا بدينهم إلى تركيا والبلاد الإسلامية الأخرى سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م. وقامت النمسا بتهجير أعداد كبيرة من الكاثوليك النصارى إلى البوسنة ، وتعرضت المساجد إلى الهدم .

وثار المسلمون ضد الحكم النمساوي بزعامة رئيسهم **علي فهمي جانيش** عام ١٣١٨هـ. وانضم إليهم الأرثوذكس ونجحوا في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية عام ١٣٢٧هـ (٤٠) .

---

(٣٦) انظر فشر ص٤٣٩.

(٣٧) بيير رونوفن - تاريخ القرن العشرين ص١٣٦.

(٣٨) الكتاني - السابق - ص١١٨-١٢٠.

(٣٩) ج.ب. دروزيل ص٢٣٨.

(٤٠) محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٤.

وعندما ظهرت دولة الصرب بمساعدة روسيا ، إستبشر المسلمون للتخلص من الإستعمار النمساوي ، ولكن الأرثوذكس غدروا بهم بعد الإستقلال ، وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا أراضيهم الزراعية وسلموها للأرثوذكس .

واستمروا كالنمسا في أسلوب تهجير المسلمين وإغلاق مدارسهم ومساجدهم .

فقد كان في مدينة بلغراد ٢٧٠ مسجدا والعديد من المدارس الإسلامية و٢٧٠ كتابا(مدارس دينية) زمن الحكم الإسلامي ، فقضي على هذه المدارس وهدمت المساجد لتقام مكانها الفنادق والمسارح بعد انحسار الحكم الإسلامي. والبرلمان اليوغسلافي اليوم على أنقاض مسجد(بتار) وكان أجمل مساجدها بني عام ٨٢٨هـ/١٥٢١م (٤١) .

ومن حركات المقاومة التي تظمها المسلمون : الحزب الإسلامي برئاسة الدكتور محمد سباهو عام ١٣٣٨هـ .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ، وقعت مذابح بين المسلمين والأرثوذكس من جهة وبين الكاثوليك من جهة ثانية (٤٢). ثم تسلم الشيوعيون الحكم بعد الحرب بزعامة(تيتو) وكعادتهم قاموا بمذابح كثيرة ضد المسلمين وبتهديم مساجدهم ، وأغلقت بقايا المدارس الدينية وأبيد ٢٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة ، وقتل عدد من العلماء والزعماء المسلمين (٤٣). فقتل فضيلة الشيخ عصمت منقنتيش مفتي كرواتيا ، والعالم الشيخ مصطفى يوصولاجيتش ، وحكم بالأشغال الشاقة على ١٢ عالما بعد محاكمة صورية في مدينة سيراجيفو مددا مختلفة منهم الشيخ دوراجا شيخ علماء البوسنة والهرسك ، والشيخ عبد الله دروبسيوفيتش وكلاهما من علماء الأزهر الشريف .

كما حكمت محكمة إسكوب في مكدونيا سنة ١٩٤٧م على ١٧ زعيما إلبانيا من الإلبانيين المقيمين في يوغسلافيا ، وفي السنة نفسها حكمت محكمة برشتينا على ٣٧ من الأعيان الإلبانيين ثلاثة منهم بالإعدام والباقي بالأشغال الشاقة .

وفي عام ١٩٤٩م وبعد انفصال يوغسلافيا(بزعامة تيتو) عن دول الكومنيفورم حكمت محكمة سيراجيفو على ١٣ زعيما من المنتمين إلى جميعة الشبان المسلمين المنحلة ، أربعة منهم بالإعدام والباقي بالأشغال الشاقة .

---

(٤١) الكتاني - مرجع سابق - ص١٢٠-١٢١.

(٤٢) محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٥.

(٤٣) نفسه ص١٢٦.

ونشرت جريدة Novadole الصادرة في سيراجيفو بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٤٦م قانونا بإلغاء المحاكم الشرعية في يوغسلافيا (٤٤). فكانت خطة تيتو أن يقضي على جيل كامل من المسلمين ، ومارست أجهزة الإعلام الشيوعية الدعاية ضد الإسلام. حيث أن تيتو كان قد تتلمذ على اليهودي موسى بيجاده (٤٥) .

وبعد استقرار الأوضاع وهجرات كثير من المسلمين أخذ المسلمون الذين بقوا تحت الحكم الشيوعي يستردون كيانهم بعد سلسلة الإضطهادات التي استمرت حتى عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. حيث بدأ الإنفراج فاعترفت الدولة بكيانهم في هذا العام وقامت جمهورية إسلامية في البوسنة والهرسك ، شكل المسلمون أغلبها ، وأصبحت لهم حرية التعبد وإقامة المساجد وبناء المدارس وشراء الكتب الإسلامية وكذلك نشرها وأعيدت لهم بعض مساجدهم ومدارسهم (٤٦) .

وفي البلاد اليوم إتحاد إسلامي عام يرأسه كبير العلماء ، وفي عواصم البوسنة والهرسك وصربيا ومقدونيا والجبل الأسود مجالس للعلماء ينظمون شئون المسلمين (٤٧). ولهذه الهيئات قوتها ونفوذها بين المسلمين ، باعتراف حكومة يوغسلافيا بهذا التنظيم .

وبدأت المساجد تزداد فوصل عددها إلى ٢٧٠٠ مسجد ، واستردت معظم المساجد التي سلبت منهم أيام الاضطهاد. وهي تنتشر في معظم القرى والمدن ففي إقليم سيراجيفو يوجد ١٠٩٢ مسجدا ، وفي مشيخة بريشتينا ٦٧٠ مسجدا ، وفي سكوبيا ٣٧٢ مسجدا ، وفي مشيخة تيتوجراد ٧٦ مسجدا. والباقي موزع في مناطق أخرى. وتزداد حركة بناء المساجد (٤٨) في الآونة الأخيرة .

وأخذ التعليم الديني مكانه في حياة المسلمين ، فيتعلم الطفل المسلم مباديء الإسلام والقرآن الكريم في الكتاتيب التي بلغ عدد طلابها سنة ١٣٩١هـ ، ١٢٠ ألف طالب. وليست هناك قيود على التعليم الإسلامي من جانب الدولة في هذه

---

(٤٤) مذكرة جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية ، عن كتاب الأفعى اليهودية لعبد الله التل.

(٤٥) الصهيونية والشيوعية ـ نهاد عيسى ص١١٨/ مطابع الزمان ـ بيروت ١٩٥٤م / الشيوعية وليدة الصهيونية ص٨٤.

(٤٦) الكتاني ـ مرجع سابق ـ ص١٢٠-١٢١.

(٤٧) مجلة العربي صفر١٤٠٢هـ.

(٤٨) نفسه.

المرحلة. فيضع المسلمون مناهج التعليم الإبتدائي (٤٩). وهناك عدد من المدارس المتوسطة والثانوية فتوجد مدرسة ثانوية إسلامية في مدينة سيراجيفو ،(مدرسة خسروبك) وثانوية أخرى في مدينة برشتينا. كما توجد الكلية الإسلامية في سيراجيفو - افتتحت سنة ١٣٩٧هـ ووضعت مناهجها وفقا لنظم الكليات الإسلامية، كما افتتح بها قسم للمرأة المسلمة. ولقد ساهمت المملكة العربية السعودية في إقامة هذه الكلية كما ساهمت رابطة العالم الإلامي وبعض الدول الإسلامية.

وهناك مكتبة الغازي خسروبك في سيراجيفو وهي من أشهر المكتبات الإسلامية وتضم الآلاف من الكتب العربية والتركية والفارسية إلى جانب العديد من المخطوطات.

وهناك ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى بعض اللغات اليوغسلافية عن التركية، وصدرت ترجمة حديثة عن اللغة العربية(٥٠).

هذا ويشكل المسلمون حالياً ٢٠٪ من السكان في يوغسلافيا أي أن عددهم أكثر من ٤,٥ مليون نسمة. يكون البشناق نصف عددهم. ثم يليهم الإلبان وعددهم حوالي ١,٥ مليون نسمة معظمهم في إقليم كوسوفا حيث اجتزىء هذا الإقليم من إلبانيا في الحرب الأولى، ثم الأتراك وقد قل عددهم بسبب الهجرة إلى تركيا التي قللت من نسبة المسلمين، ثم الغجر. ولكل قومية لغتها ومدارسها الإسلامية(٥١).

وتحاول الحكومة الشيوعية الحالية أن تضع العراقيل أمام المسلمين وذلك: بعدم إتاحة الفرصة لهم للإلتحاق بالمناصب الحكومية الإدارية أو الإقتصادية أو الجيش، ورفع نسبة البطالة بينهم، وممارسة التمييز العنصري، ووصف وسائل الإعلام للمسلمين بالتطرف والتعصب والعنف، دون أن يملك المسلمون وسائل الرد. وقد تزايد عدد المعتقلين المسلمين في السنوات الأخيرة ممن طالبوا بالحرية الخاصة في الشئون الدينية للمسلمين(٥٢). وخاصة في إقليم كوسوفا الإلباني.

وبعد انهيار الشيوعية تفككت يوغسلافيا وحاول المسلمون بقيادة علي عزت بيكوفتش إقامة دولتهم الخاصة بهم فكانت مأساة البوسنة والهرسك التي مارس فيها الصربيون أبشع وسائل القتل والتدمير والاغتصاب ضد المسلمين في التاريخ.

(٤٩) نفسه صفر١٤٠٢هـ.

(٥٠) صفوت السقا - المسلمون في يوغسلافيا ص٦٣، مجلة العربي صفر١٤٠٢هـ.

(٥١) كان عدد المسلمين عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م ٠٠٠ ٨٥٠ ٣ نسمة. وقد تكون نسبة المسلمين أكبر بكثير من ٢٠٪ حيث الاحصاءات متناقضة ومتباينة. انظر Journal Institute of Muslim Mionority Affairs Vol 2

(٥٢) انظر المجتمع الكويتية العدد ٨٩٣ ص٢٨-٢٩ /المسلمون العدد١٩٩.

ثالثا : رومانيا :

رومانيا إحدى الجمهوريات الإشتراكية في أوربا الشرقية ، شمال شبه جزيرة البلقان. ومساحتها ٢٣٧ ٥٠٠ كم٢. وسكانها عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٢٢ ٤٠٠ ٠٠٠ نسمة. وعاصمتها بخارست .

وصلها الإسلام عن طريق الدعاة المسلمين(ومعظمهم من الأتراك) بجهود ذاتية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري. وكان من أشهرهم : سامي سالتيك. وعن طريق هذه الدعوة هاجر إليها عدد من الأتراك المسلمين واختلطوا بسكانها .

وجاء العثمانيون فتمكنوا من إلحاق هذه البلاد بدار الإسلام بين ٨١٤-٨١٩هـ/١٤١٦م (٥٣). فتحولت أسر وقرى ومدن بأكملها إلى الإسلام وعز الناس بالإسلام في هذه البلاد ، بتغلب التسامح على عصبية النصرانية .

ويعود سبب انتشار الإسلام إلى المعاملة الحسنة التي لقيها غير المسلمين من المسلمين في ظل الدولة العثمانية. قال(مقاريوس) بطريرك أنطاكيا بعد أن شهد ضحايا الإضطهادات الدينية في بولندة بين الكاثوليك والأرثوذكس :

« أدام الله بقاء دولة الترك ، فهم يأخذون مافرضوه من جزية ولاشأن لهم بالأديان ». فاعتنق لهذه المعاملة الحسنة العديد من شعوب جنوب وشرق ووسط أوربا الإسلام طواعية (٥٤) وعن اقتناع. رغم ماكتب من تشويه مغرض عن تاريخ الإسلام في هذه البلدان .

تعرض المسلمون بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى إلى ألوان عديدة من الإضطهاد ، فهاجر الآلاف منهم إلى تركيا ، فقل عدد المسلمين في رومانيا فأصبح عددهم سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م ٢٢٠ ٠٠٠ نسمة. ثم وصل قبل الحرب العالمية الثانية إلى ٢٦٠ ٠٠٠ نسمة .

وبعد استيلاء الشيوعيين على الحكم واستيلاء روسيا وبلغاريا على أجزاء منها عادت هجرة المسلمين من جديد ، فوصل عددهم سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م إلى ٩٠ ألف نسمة فقط (٥٥) .

---

(٥٣) الكتاني - المسلمون في أوربا وأمريكا ج١ص٢٢٣ ، البلدان الإسلامية ص٧٢٦.

(٥٤) أرنولد - الدعوة إلى الإسلام ص١٨٢-١٨٣.

(٥٥) الكتاني - المرجع السابق ص٢٢٤.

أما عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م فيقدر عددهم بمائة ألف نسمة. من الأتراك والتتار والغجر ، يوجد أكثرهم في شرقي رومانيا في منطقة دوبروجة على ساحل البحر الأسود في مقاطعتي قنسطانطة وتولسيه وفي مدينة بخارست .

ويعاني المسلمون في رومانيا كثيرا من المضايقات والتحديات في ظل الحكم الشيوعي ، بزعمائه من خارج البلاد ، بدكتاتورية مفروضة (٥٦) ، فقد أهمل التعليم الإسلامي. وضاع المسلمون بين التحدي الشيوعي والتعصب النصراني والعداء التقليدي للأتراك. ويوجد لهم مفتي في مدينة قنسطانطة ولكنه مسلوب النفوذ .

ورغم التحديات فقد حافظت بعض المناطق على أوضاعها الإسلامية وأسمائها مثل مدينة المجيدية في جنوب رومانيا على البحر الأسود وباباداع في الشمال (٥٧) .

رابعا : بولندة :

تعتبر احدى دول وسط أوربا ظهرت بوضعها الراهن بعد الحرب العالمية الثانية ، مساحتها **٣١٢ ٦٨٣**كم٢ وسكانها أكثر من **٣٦** مليون نسمة . وعاصمتها وارسو .

سيطر عليها الشيوعيون منذ سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ، و**٩٥**٪ من سكانها كاثوليك ،وهي البلد الشيوعي الوحيد الذي يعترف بالتعليم الديني (٥٨) .

كانت هذه البلاد تتبع دولة التون اورده (٦٢٥-٩١١هـ/١٢٢٧-١٥٠٥م) الإسلامية التي حكمت روسيا وشرق أوربا بأكمله ، ولما تلاشت هذه الدولة بعد حروبها مع روسيا انتشر المسلمون إلى الدول الأوروبية المجاورة مثل أكرانيا والقرم والمجر وبولندة الكبرى ولتوانيا (٥٩) .

وعلى ذلك فقد بدأ اتصال المسلمين بهذه البلاد في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. وقد استعان البولنديون بالتتار المسلمين كثيرا لصد هجمات الألمان ، وتكونت أول جالية إسلامية في القرن التاسع الهجري في بولندة. وفي القرن السادس عشر تكونت من هذه الجالية فرق من الخيالة الخفيفة اقتصرت

(٥٦) ج.ب دروزيل ص٢٣٨.

(٥٧) مجلة الفيصل عدد ١٨ذو الحجة ١٣٩٨هـ.

(٥٨) الكتاني - المسلمون في أوربا وأمريكا ج١ص٢٣٢.

(٥٩) رابطة العالم الإسلامي عدد٨ ص٥٥.

عليهم في الجيش البولندي ، ومن القادة المسلمين المعروفين في بولندة الجنرال (بيالاق) في القرن الثامن عشر الميلادي خلال حروب بولندة مع روسيا (٦٠). وكان بجانبها دولتان إسلاميتان هما : دولة تتار القرم وعاصمتها بغجة سراي ويسميها الروس الآن سفربول. والثانية الدولة العثمانية. وتمتعت الجالية الإسلامية باحترام ملوك بولندة وبنيت المساجد والمدارس الإسلامية وخاصة في مدينة لوبلان شرق بولندة حاليا .

وفي القرن العاشر الهجري تعرض المسلمون لموجة من الإضطهاد الصليبي فهاجر الكثير منهم. فتسبب ذلك في توتر العلاقات بين بولندة ودولة التتار فاشتعلت الحرب بينهما عام ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م (٦١). كما تجددت هذه الحرب في عهد السلطان إسلام جراي الثالث ١٠٥٤-١٠٦٥هـ/ ١٦٤٤-١٦٥٤م ، ثم تحسنت العلاقات أيام محمد الرابع التتري .

وعندما اتحدت بولندة مع لتوانيا تطوع الكثير من التتار المسلمين فى جيش لتوانيا فزادت الأقلية المسلمة بالبلاد .

وعندما قسمت بولندة بين ألمانيا والنمسا وروسيا في أواخر القرن الثامن عشر(الثاني عشر الهجري) أصبح المسلمون ضمن المناطق المقسمة وكانت الأكثرية من نصيب روسيا القيصرية. وعادت بولندة بعد الحرب العالمية الأولى إلى الوجود ، وكان فيها آنذاك حوالي **١٥٠** ألف مسلم (٦٢). بنوا المدارس والمساجد ، وكانت مدينة ولنيوس شمال شرق البلاد مركز المفتي ومقر الجمعية الإسلامية في بولندا(وهي الآن تتبع الإتحاد السوفييتي وعاصمة لتوانيا) .

وبعد الحرب العالمية الثانية خرجت بولندا وقد تقلصت مساحتها وقل عدد سكانها ، فقل عدد المسلمين فيها حيث كان عددهم سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م أحد عشر ألفا منهم عشرة آلاف مسلم بولندي. وعام ١٣٩١هـ/١٩٧١م (**١٥**ألفا) (٦٣) .

أما الآن فيتراوح عددهم بين **١٥-٢٠** ألفا. مهددون بالإنقراض بسبب نقص المدارس الإسلامية ،(فمن أراد أن يعلم أبناءه يرسلهم إلى يوغسلافيا إلى مدرسة

---

(٦٠) نفسه ص٥٥.

(٦١) الكتاني - السابق - ص٢٣٣-٢٣٤.

(٦٢) رابطة العالم الإسلامي عدد٨ السنة ٢٢ شعبان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٦٣) الكتاني - المرجع السابق ص٢٣٣-٢٣٤.

خسروبك الإسلامية) . وبسبب عزلهم عن العالم الإسلامي .

وكان عدد المساجد عام **١٩١٨م ٤٤** مسجدا منها مسجدان في العاصمة وارسو ولايوجد حاليا إلا مسجدان في جميع أنحاء البلاد. بالإضافة إلى مقبرتين للمسلمين .

وقد وافقت بولندة في البيان الذي أصدرته اللجنة العليا لاتحاد المسلمين عام ١٩٨٢م على إقامة مسجدين في كل من وارسو وجرانسك[٦٤]. ويعاني المسلمون من عدم وجود علماء مسلمين لتعليم أمور الدين ومن مشكلات الزواج المختلط نتيجة ضعف الوعي الديني .

خامساً: إلبانيا:

إلبانيا اليوم جمهورية شعبية في جنوب شرقي أوربا في شبه جزيرة البلقان ، تقع بين اليونان ويوغسلافيا ، وتطل بساحلها الغربي على البحر الأدرياتيكي ، وعاصمتها مدينة تيرانا .

وتسمى أحيانا باسم شكبينا ، ولكن اسم إلبانيا أكثر شيوعا واستخداما (٦٥) .

تبلغ مساحتها **٢٨ ٧٤٨** كم٢ ، معظمها مناطق جبلية جزء من جبال الألب الدينارية ، وتخط أراضيها أحواض منخفضة تتخللها المستنقعات ، وتغطيها الغابات التي تمد البلاد بثروة خشبية جيدة .

وسكانها **٢** مليون ، يطلق الأتراك عليهم اسم الأرناؤوط ، ويطلقون على أنفسهم اسم سكتيبار. ويتكونون أصلا من قسمين يفصل بينهما نهر شكومبي : الغج في غيجاريا ، والتوسك في توسكاريا ، وتقسم كل مجموعة إلى عدد من القبائل. بالإضافة إلى بعض العناصر من الصرب والرومان والبلغار واليونان والأتراك. وعدد قليل جدا من الغجر واليهود (٦٦) .

يدين بالإسلام منهم أكثر من ٨٠٪ وهم أهل السنة من الغج والتوسك . والباقي من النصارى الكاثوليك والأرثوذكس (٦٧) .

بدأ اتصال الدولة العثمانية بهذه البلاد بالفتح عندما تقدمت جيوش الدولة إلى شبه جزيرة البلقان. وبدأت محاولة فتحها عام ٧٨٩هـ ، زمن السلطان مراد الأول .

---

(٦٤) رابطة العالم الإسلامي عدد ٨ ص٥٥.

(٦٥) تقويم العالم الإسلامي ص٢٢١.

(٦٦) نفسه ص٢٢٤.

(٦٧) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٣١.

واعترف الالبان بسلطة الدولة العثمانية عام ٨٢٧هـ .

وأتم فتحها جميعها عام ٨٨٢هـ. مع بقاء بعض الموانيء مثل مدينة دورازو التي فتحت عام ٩٠٧هـ ، بينما تأخرت مدينة انتفياري إلى عام ٩٧٩هـ. وبقيت البلاد جزءا من دار الإسلام ، وأسلم أهلها وأسهموا بدورهم في الدولة العثمانية فكانت فرق الالبان ـ الأرناؤوط ـ أهم فرق الجيش العثماني. ومحمد علي باشا والي مصر كان منهم. كما أن أسرة كوبريللي التي كان لها فضل حماية الدولة العثمانية من الإنهيار في القرن الحادي عشر الهجري من إلبانيا (٦٨) .

ولما اشتدت حملة الدول الصليبية الأوروبية على الدولة العثمانية وجزأتها أعلن استقلال البانيا عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م في مدينة فالونا (فلورا) (٦٩). وقرر مؤتمر لندن تحديد حدودها ، وعين الأمير ولهلهم الألماني حاكما عليها ، ووصل الأمير بالفعل إلى مدينة دورازو عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م ولكنه غادرها في العام نفسه. ووقعت في سلسلة من الاضطرابات التي كان يثيرها تنازع الدول الإستعمارية وأطماعها. وكان المسلمون وقود هذه الإضطرابات .

واتفقت الدول الكبرى سرا في لندن عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م على تقسيم إلبانيا. ولكن إيطاليا نقضت الإتفاق فأعلنت من جانبها إستقلال إلبانيا عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م (٧٠) .

فأعلنت الجمهورية وأصبح الأمير أحمد زوغو رئيسا لها ، ولكنه أعلن نفسه ملكا بعد ذلك عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٥م. وحاول تغيير العادات مسايرة للدول الأوروبية وسار في عملية التغريب ففرض السفور على النساء ، فاضطر عدد من المسلمين إلى مغادرة البلاد إلى بلاد إسلامية أخرى (٧١) .

وظل أحمد زوغو في الحكم إلى عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م عندما اضطر للهرب إلى انجلترا بسبب احتلال إيطاليا لبلاده. واندمجت البانيا مع يوغسلافيا في الحرب العالمية الثانية تحت قيادة تيتو. وكان من ضمن القادة البارزين في حرب العصابات كل من :(أنور خوجة) و(محمد شيخو) الإلبانيين. وقد استمر الاتحاد الائتلافي بين يوغسلافيا والبانيا من عام ١٩٤٤م إلى عام ١٩٤٨م .

---

(٦٨) علي حسون ـ الدولة العثمانية ص٩٧.

(٦٩) تقويم البلدان الإسلامية ص٢٢٥.

(٧٠) نفسه ص٢٢٥.

(٧١) محمود شاكر ـ المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١١٦.

وتم إعلان عزل زوغو عام ١٩٤٦م بعد الحرب العالمية الثانية ، واعترفت بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا بحكومة إنتقالية في إلبانيا برئاسة الجنرال أنور خوجة على أساس أن تجري إنتخابات حرة في البلاد..

وأسفرت الإنتخابات بالدعاية الشيوعية عن فوز الشيوعيين الذين أعلنوا الجمهورية في العام نفسه ١٩٤٦م. فقطعت بريطانيا والولايات المتحدة علاقاتها مع إلبانيا التي دخلت بدورها هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

ويحكم إلبانيا حزب العمال الشيوعي الذي تأسس عام ١٩٤١م وبلغ عدد أفراده عام ١٩٦١م ٦٥٩ ٥٣ فردا (٧٢) ، وتحكم هذه الأقلية المسلمين وتسومهم العذاب -كالشيوعية في الإتحاد السوفييتي وفي الصين - بزعامة أنور خوجة .

وهناك نزاع مذهبي بين الحزب الشيوعي الإلباني والحزب الشيوعي الروسي على أساس أن البانيا تتبع تعاليم ستالين ، وآزرتها الصين في موقفها. ولذلك قطعت روسيا علاقاتها الدبلوماسية مع إلبانيا عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م (٧٣) ولم تنقطع معاناة المسلمين من الحكم الشيوعي حتى الآن (١٤٠٩هـ) . حيث يعيش الشباب المسلم في غربة مؤلمة عن الإسلام ، في عالم الماديات المسيطرة على البلاد ، وليس في إلبانيا المسلمة، مؤسسة إسلامية واحدة ، تتولى تعليم المسلمين أحكام دينهم . فقد قام الحكام بهدم المساجد ، ومنعوا تسجيل مواليد المسلمين الجدد ، وإعطاءهم الجنسية إلا بأسماء غير إسلامية. ومنعوا الصلاة على الأموات ، ومنعوا ذكر الديانة عند الزواج ، ويتم العقد تحت اسم ألباني فقط. وأما المناهج فتقوم على زرع الإلحاد في نفوس الأطفال الصغار بمختلف الوسائل التعليمية! .

وبانهيار الشيوعية أعيد فتح المساجد وحرية العبادة والسفر والهجرة، وصرح الشيخ صبري كوتشي سنة ١٤١٢هـ مفتي عام ألبانيا بخطر تعرض ألبانيا إلى النحل الهدامة كالبهائية وضرورة مساعدة العالم الإسلامي لألبانيا في بناء المساجد وإرسال المدرسين وقبول أبناء ألبانيا في معاهد وجامعات الدول الإسلامية.

---

(٧٢) تقويم البلدان الإسلامية ص٢٢٦.

(٧٣) محمود شاكر - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١١٦ ، تقويم ص٢٢٦.

الباب السابع

الإسلام والمسلمون في قارة إفريقيا

الفصل الأول : قارة افريقيا ودخول الإسلام
الفصل الثاني : العقبات التي واجهتها الدعوة الإسلامية في افريقيا .
الفصل الثالث : من قضايا المسلمين في القرن الإفريقي(اثيوبيا واريتريا)

الفصل الأول

قارة أفريقيا ودخول الإسلام

أفريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة من بين قارات العالم. وكل شيء يشير إلى أن الإسلام هو دين المستقبل في هذه القارة ، وأنها قارة المستقبل للإسلام .

وحاضر القارة يشهد واقعا إسلاميا ملموسا ، تنطق به الحقائق التالية:

١- قرابة ٧٠٪ من المجتمع العربي المسلم في أفريقيا .

٢- ٧٥٪ من الأراضي العربية الإسلامية في أفريقيا .

٣- أكثر من ٦٠٪ من مجموع السكان مسلمون .

٤- تشهد الدعوة الإسلامية صدى وتجاوبا لدى الأفارقة ، وتسير بخطى واسعة. فالأرض والسكان والتاريخ والواقع بكل أبعاده ، كل هذا يعيش حاضره فيها ممتزجا بالإسلام ، لاانفصام عنه (١). فتستحق عن جدارة تسميتها بلقب : القارة المسلمة .

تبلغ مساحة قارة أفريقيا أكثر من ٣٠ مليون كم٢. فهي تشكل خمس مساحة الكرة الأرضية ، ومعظمها من ديار الإسلام ، وعدد سكانها حوالي(٥٠٠) مليون نسمة أي حوالي عشر عدد سكان العالم ، الأمر الذي لايتناسب مع مساحتها الكبيرة .

تتكون هذه القارة من هضبتين كبيرتين :

أ- هضبة شمالية : وتمتد من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر ، ومنها : الصحراء الكبرى ، وبلاد السودان ، وبعض المرتفعات مثل جبال تيبستي والحجارة(الهقار) ، وبعض المنخفضات مثل القطارة والفيوم .

ب- هضبة جنوبية : وهي أكثر ارتفاعا من الهضبة الشمالية. ومن أهم مرتفعاتها : هضبة الحبشة شرقي أفريقيا ، وهضبة البحيرات الكبرى في وسطها ، وجبال كليمانجارو على الحدود بين تانزانيا وكينيا ، وجبال دراكنزبرغ في الجنوب الشرقي .

---

(١) عبد الظاهر - الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا ص١٢.

وتخترق أراضي أفريقيا أنهار كبيرة غزيرة المياه ، منها : نهر النيل أطول أنهار العالم ، ونهر الكونغو ، ونهر النيجر ، ونهر الزمبيزي ، وأورنج ، والسنغال .

والقارة بكر غنية بالعديد من مصادر الرزق :

ـ فالغابات تغطي ٢٠٪ من مساحتها ، وتضم أصنافا من الأخشاب النادرة ، والتي لاتستغل إلا القليل ، حيث تسهم ب٢٪ فقط من انتاج العالم من الأخشاب .

ـ والمراعي تغطي مسطحات واسعة من أفريقيا ، تتنوع بين السفانا والاستبس (٢) مما يتيح الفرص النادرة لمضاعفة الثروة الحيوانية في قارة تعاني المجاعات حاليا .

ـ والامكانيات الزراعية كثيرة ، غير مستغلة ، نتيجة التخلف ، والطرق البدائية في الزراعة والري .

ـ وأما المعادن فكثيرة ، وثروتها الباطنة أكثر من الظاهرة ، من المعادن الثمينة النادرة ، ومن المعادن المعروفة .

واسم القارة الحالي حديث ، فكانت تسمى قديما(ليبيا) وكانت مقسمة إلى عدة مناطق رئيسية ، ثم أطلق عليها في العصور الوسطى : (إثيوبيا) (٣) أي قارة السود ، وهي مشتقة من اليونانية. ثم استعملت في التعبير عنها كلمة(أفريقيا) وكانت تشير لدى القدماء إلى منطقة تونس ، حيث(رأس أفري) الذي سمي نسبة إلى قبيلة من البربر ، وقد اشتقت الكلمة من تعبير قديم عن(المغارة) أو(الكهف) أيضا ، حيث كان أهل المنطقة يسكنون مايشبه المغارات ، ثم استخدم العرب هذا المصطلح محورا فصار :(أفريقيا) .

وتخصصت ليبيا وأثيوبيا للتعبير عن المنطقتين الجغرافيتين المعروفتين بهذين الإسمين بينما استخدمت كلمة أفريقيا(للتعبير عن القارة جملة) ومن أهم **ملامح هذه القارة** التي أسهمت في عزلتها في العصور القديمة والوسيطة :

١ـ يقسمها خط الاستواء إلى قسمين شمالي وجنوبي فتمتاز أفريقيا الإستوائية بغاباتها الكثيفة وشدة حرارتها ورطوبتها دون تمييز بين الفصول .

٢ـ قصر سواحل القارة بالنسبة لمساحتها ـ بمعنى آخر قلة تعاريج السواحل. الأمر الذي يؤدي إلى قلة الرؤوس والخلجان ويترتب عليه قلة الموانيء الطبيعية

(٢) السفانا : الأعشاب الطويلة. والاستبس : الأعشاب القصيرة.

(٣) أثيوبيا كلمة يونانية تعني : الوجه المحترق.

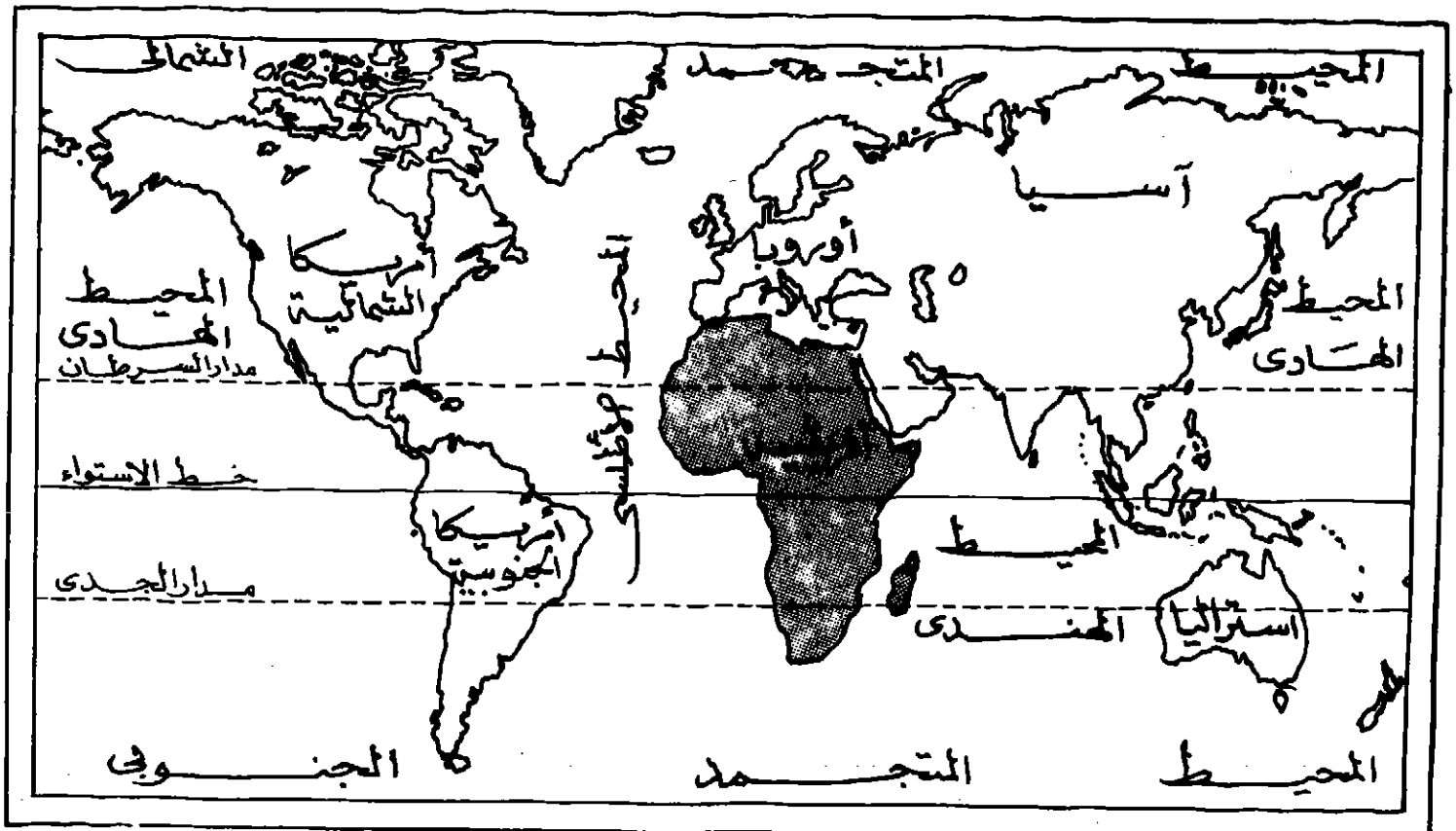

موقع افريقيا من العالم وخط الاستواء والمدارين

والموانيء في العادة هي المنافذ التي تطل منها القارة على العالم الخارجي ويمد العالم الخارجي بصره منها للقارة (٤) .

٣- إمتداد معظم جبالها على السواحل مما يؤدي إلى عزل الداخل ، وإلى ضيق السهول الساحلية ، ويضاف إلى ذلك أن هذه السهول الساحلية في جملتها ذات ظهير فقير تؤدي إلى مناطق صحراوية أو شبه صحراوية أو غابات كثيفة يصعب اختراقها. فتزيد من عزلة داخل القارة .

٤- قلة الجزر القريبة من الساحل : والجزر عادة وأشباه الجزر يمكن اتخاذها كمناطق إرتكاز تنفذ إلى الداخل ، وأفريقيا إجمالا كتلة واحدة خالية الأطراف تقريبا. وباستثناء بعض الرؤوس الصغيرة التي تفصلها عن بعضها مسافات شاسعة في غرب القارة وبعض الجزر الساحلية في الشرق مثل زنجبار وبمبا ومافيا لاتكاد تلعب هذه المناطق دورا حيويا في تاريخ القارة. وهذه الظاهرة التي تنفرد بها القارة الأفريقية تعود أساسا لصغر مساحة الجزر الأفريقية نسبيا باستثناء جزيرة مدغشقر التي رغم اتساعها فإنها بعيدة جدا عن الساحل الأفريقي ويلعب تيار موزمبيق دورا في عزلتها عن اليابس .

٥- قلة صلاحية أنهارها للملاحة : فرغم كثرة أنهارها وغزارة مياهها كنهر النيل والنيجر والكونغو والزمبيزي والسنغال إلا أن هذه الأنهار تنتهي إلى البحر بدلتات كثيرة الفروع والمستنقعات والسدود أو مساقط مائية. وتكثر فيها الجنادل والشلالات مما يعوق الملاحة ، ويحرم أفريقيا من أن تصبح هذه الأنهار شرايين تؤدي إلى الداخل .

٦- اتساع صحاريها : فمعظم أفريقيا يقع في المناطق المدارية ففي الهضبة الشمالية يمر مدار السرطان وفي الجنوبية مدار الجدي. فتتسع الصحارى فهناك الصحراء الكبرى في الشمال التي تصل مساحتها إلى ١٠ملايين كم٢ أي ثلث مساحة القارة ، وصحراء كلهاري في الجنوب وهذا يؤدي إلى قساوة المناخ وشيوع مناطق الجفاف وإلى العزلة .

دخول الإسلام إلى أفريقيا :

شق الإسلام طريقه إلى هذه القارة سالكا الطرق الجغرافية التالية :

١- طريق باب المندب : وعن هذا الطريق إنتشر الإسلام في القرن الأفريقي

(٤) شوقي الجمل - تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ص١٨.

وشرقي أفريقيا ، وكانت معرفة العرب بساحل أفريقيا الشرقية قديمة تعود إلى ماقبل الدعوة الإسلامية بكثير ولازال الشاطيء الأفريقي يحمل أسماء من الجنوب العربي في مناطق مصوع وعصب وماوراءها في الداخل فقد استقر كثير من المهاجرين والتجار العرب (٥) واختلطوا بأهالي البلاد وأدخلوا وسائل الري وأساليب البناء وتنظيم عملية تربية الحيوانات ، وكان الأثر اللغوي أقوى من أي أثر آخر تركه

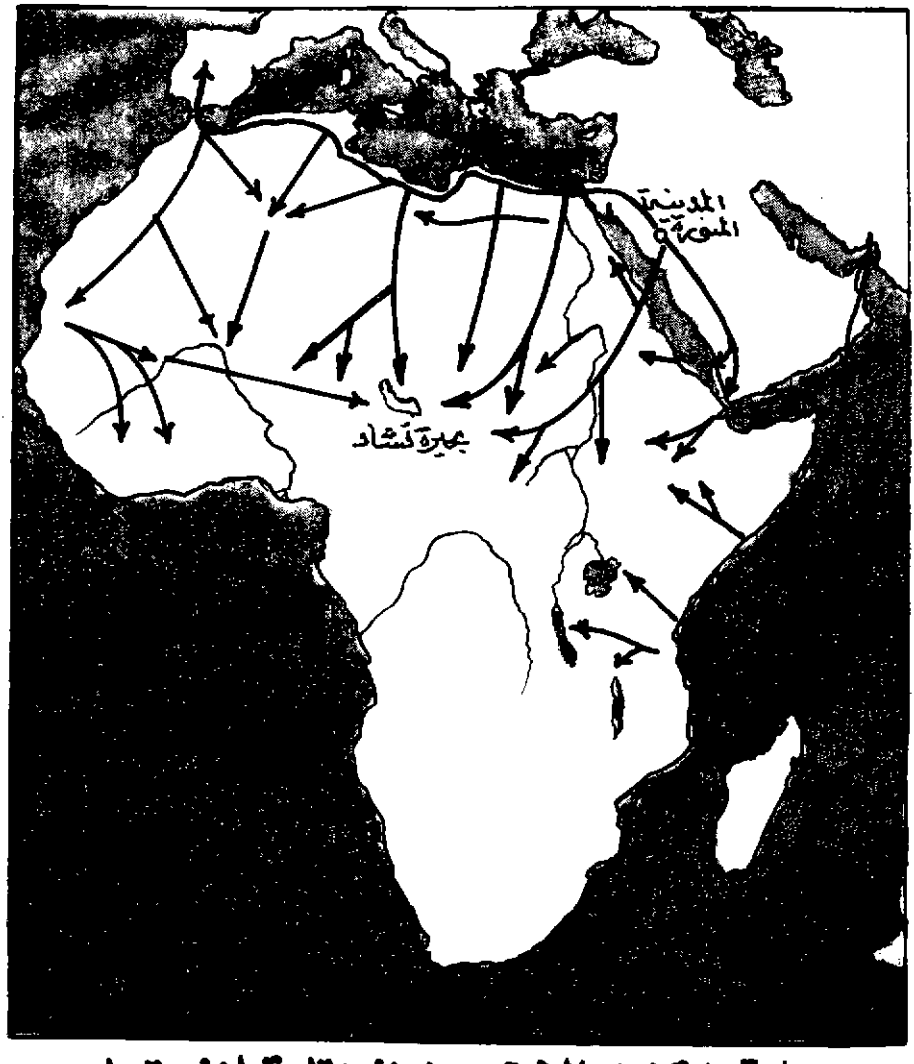

طرق انتشار الإسلام في قارة افريقيا

(٥) سبنسر ترمنجهام ـ الإسلام في شرق أفريقيا ـ ترجمة وتعليق محمد عاطف النوادي ط١/١٩٧٣ ص٧٣.

عرب الجنوب في شرق أفريقيا. كما حصلت هجرة مرتدة إلى شبه الجزيرة العربية حيث عبر الأحباش البحر من أكسيوم إلى اليمن وأغلبهم كان من المهاجرين العرب الأوائل وقد حاولوا الوصول إلى الحجاز بزعامة أبرهة ـ عام الفيل ٥٧١م ـ وهدم الكعبة في مكة رمز تجمع العرب ، تعصبا لنصرانيته ، وقد عاقبهم الله عقوبة عاجلة كما جاء في سورة الفيل من القرآن الكريم. وفي العام نفسه ولد رسول الله ﷺ .

وعندما دعا الرسول ﷺ الناس إلى الإسلام في مكة ووقفت قريش وقفتها المعروفة من الدعوة أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة فكان الصحابة الطليعة الأولى من حملة الإسلام في أفريقيا .

واستمرت السفن الإسلامية بعد أن قامت دولة الإسلام وضمت شبه الجزيرة ، تحمل بين الحين والحين بعض الذين طاب لهم الإستقرار بالساحل الأفريقي ، للإتجار ، فزاد عدد الوافدين ، وزادت العلاقات مع الداخل ، والتوغل فيه ، وخاصة في زمن الدولة الأموية (٦) .

وفي زمن عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) هاجر بعض الأمويين إلى شرقي أفريقيا ، وعاشوا بها ، وكان هذا الإستقرار قد حدث بهدوء وبدون قوة أو عنف ، ولايذكر لنا التاريخ حروبا أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين. وأثر الإسلام في شرقي أفريقيا حتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية(اللغة السواحلية) وأصبح للعرب إمارات في سواحل القارة الشرقية لها اتصال بالجماعات العربية المسلمة في شبه الجزيرة العربية ، وبالتجار والقبائل في القارة الأفريقية. وتتابعت الهجرات المسلمة إلى(بر الزنج) (كما دعاه المسلمون) (٧) فانتشرت أولا في بعض الجزر الساحلية مثل مافيا وزنجبار وبمبا ، ثم في المراكز الساحلية الشهيرة مثل : سفالة ، ومالندي ، وكلوا ، وممبسة ، ودار السلام. وقد ازدهرت هذه المدن ، واختلط العرب المسلمون بالأفارقة والشيرازيين(من الفرس) (٨) ، حتى جنوب موزمبيق. وزاد ذلك من ازدهار مدينة مقديشو في الصومال ، وكلوا على الساحل التانزاني ، ومالندي وممباسا في كينيا ، وسوفالا(سفالة) في موزمبيق. وكانت أشهرها جميعا مدينة زنجبار (٩).

---

(٦) حسن محمود ص٤٣٥-٤٣٦.

(٧) حسن محمود ص٤٣٧-٤٣٧.

(٨) نفسه ص٤٣٨.

(٩) جوان جوزيف ـ الإسلام في ممالك أفريقيا السوداء ص١٣٩.

وقد زار ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي كلوة وممبسة ومقديشو ودهش لما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء السائدة في هذه المناطق. ووصف الشوارع المنظمة التي رآها ومنازل العرب المبنية هناك من الحجارة والمونة ، ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش المحفورة ، كما كانت للمنازل حدائق غناء ، وشاهد المساجد المزينة بالنقوش. كما وصف إختلاط العرب بالسكان (١٠) .

وقد أوجد العمانيون مراكز تجارية على طول الساحل الأفريقي الشرقي ثم تحول هذا الوجود إلى وجود سياسي استطاع الأئمة في عمان أن يمدوا سلطانهم على سواحل الصومال وأقاموا فيها إمارات تابعة لهم. وظل سلطانهم قويا في كلوة ومافيا وبمبا وزنجبار حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين بدأت الدول الأوروبية تلتهم أملاك سلطان زنجبار. وكان العمانيون قد صارعوا البرتغاليين ، مدة طويلة ، ووقفوا في وجههم واستمروا يناوئون الأوروبيين من أواخر القرن السادس عشر إلى أن تم انشطار القسم الآسيوي عن القسم الأفريقي ، باستقلال زنجبار عن عمان عام ١٨٦١م بأساليب الإنجليز الماكرة ، وتحكيم(لورد كاننج) حاكم الهند العام بين الأخوين(ماجد) و(توينى) . فأصبح ماجد يحكم زنجبار ، وتويني يحكم عمان (١١) ، فأصبحت عمان كلها تسير في الفلك البريطاني وذهب ريحها .

وعن هذا الطريق تعمق الإسلام إلى قلب القارة الإفريقية ، بالقدوة ، والتزاوج مع السكان الأصليين(البانتو) . بل وتكونت سلطنات عربية داخلية مثل سلطنة حمد بن محمد الرجبي شرق الكونغو(لقبه الأوروبيون : تبوتيب) ، وكانت سلطنته تتبع إسميا سلطان زنجبار ، وقد بدأ الرجبي يفقد سلطانه عام ١٨٨٧م ، إلى أن فقده نهائيا عام ١٨٩٠م تحت مطارق بلجيكا ، وألمانيا ، والإنجليز الذين اقتسموا البلاد (١٢) .

٢- طريق البحر الأحمر (١٣) : لم يكن البحر الأحمر عقبة كبيرة في وجه الإنتقال بين شاطئيه الشرقي والغربي فكان إقليم الحجاز على صلة بالشاطيء

(١٠) رحلة ابن بطوطة ج١ص٢٦٩وص٢٧٩.

(١١) عبد الرحمن عبد الله الشيخ - دول الإسلام - ص٢٠-٢٧.

(١٢) نفسه ص٤٥.

(١٣) راجع صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي ص٧٦/ الجغرافيا التاريخية لحوض البحر الأحمر ص٩.

الأفريقي قبل الإسلام ، وقويت هذه الصلة بعد ظهور الإسلام كمعبر قريب إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج. وقد زادت الأهمية في عهد الحروب الصليبية عندما كانت الموانيء الشمالية مهددة بالغزو فازدهرت من أجل ذلك ، كميناء عيذاب (١٤) الذي قال عنه ابن جبير :

ورمنا في هذه الطريق(إلى عيذاب) إحصاء القوافل الواردة والصادرة فما تمكن لنا ولاسيما القوافل العيذابية المتحملة لسلع الهند الواصلة إلى اليمن ثم من اليمن إلى عيذاب ، وأكثر ماشاهدنا من ذلك أحمال الفلفل ، فلقد خيل لنا لكثرته أنه يوازي التراب قيمة .

ومن عجيب ماشاهدناه بهذه الصحراء أنك تلتقي بقارعة الطريق أحمال الفلفل والقرفة ، وسائرها من السلع المطروحة لاحارس لها ، تترك بهذا السبيل إما لأعباء الإبل الحاملة لها أو غير ذلك من الأعذار ، وتبقى بموضعها إلى أن ينقلها صاحبها مصونة من الآفات على كثرة المار عليها من أطوار الناس » (١٥) .

٣- طريق سيناء : وسيناء معبر يربط آسيا بأفريقيا وكانت دائما في جميع العصور جزءا متمما لوادي النيل الأدنى وأحد الطريقين الرئيسيين اللذين كانت تأتي منهما الهجرات إلى وادي النيل(والطريق الثاني هو باب المندب وشرق أفريقيا) فعن طريقها دخلت القوات الإسلامية من فلسطين بقيادة عمرو بن العاص ، لتحرر مصر من الجاهلية ، ثم برقة وطرابلس وأفريقيا(تونس) والمغرب الأوسط(الجزائر) والمغرب الأقصى(المغرب) من النفوذ الروماني وتم كل ذلك في القرن الأول الهجري (١٦). وأصبح شمالي أفريقيا بأكمله ضمن ديار الإسلام وقاعدة من قواعده الهامة ، حيث انطلق الإسلام من هذه الأقطار إلى الجنوب عبر الصحراء بالتجارة والدعوة .

كما كانت شبه جزيرة سيناء طريق هجرة العرب الشماليين إلى أفريقيا من مضر وربيعة ، ثم هجرات بني هلال وسليم ، وبين هذه القبائل قبائل يمنية ، وأشهرها جهينة وبلي ، التي اتجهت نحو الجنوب إلى صعيد مصر وسهول السودان الشمالي وغرب النيل فأدى ذلك إلى تقريب شمال أفريقيا ووادي النيل. وظهرت الحواضر

---

(١٤) انظر ياقوت - معجم البلدان ج٧ص١٧١.

(١٥) رحلة ابن جبير ص٦٣.

(١٦) انظر الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والاندلس د.عبد الواحد زنون طه. تاريخ المغرب الكبير ج٢ د.السيد عبد العزيز سالم - العصر الإسلامي الافريقيون والعرب للدكتور العمري.

الإسلامية المشهورة :

الفسطاط والقاهرة والاسكندرية وطرابلس وبرقة والقيروان وتونس ووهران وفاس ومراكش .

٤ـ الطرق الداخلية لانتشار الإسلام (١٧) :

أـ إلى غربي أفريقيا : عن طريق المغرب ، فيقال بأن الأمويين أرسلوا جيشا إلى غانا من جهة مراكش (١١٦-١٣٣هـ) ، وأن قلة من هذا الجيش بقيت وتأثرت بمعتقدات أهل غانة ، وان بقيت محافظة على الإمتيازات العنصرية ، ثم وصل الإسلام عن طريق التجار وهجرات العرب والبربر حتى أصبح موجودا في كل قرية وكل مدينة فظهرت دولة غانا الإسلامية في مايسمى اليوم مالي وموريتانيا وأجزاء أخرى من أفريقيا الغربية ـ التي وثقت صلاتها بديار الإسلام والخلافة العباسية (١٨) . واتسع انتشار الإسلام في غرب أفريقيا على يد المرابطين في القرن الخامس الهجري. ثم قاد الفولانيون والمانديون حركة الإسلام في فوتاجالون فأصبحت إسلامية في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي. وزاد انتشارا بحركة عثمان دان فوديو (١٩) .

بـ بلاد السودان : وسلك الإسلام إليها الطرق التالية (٢٠) :

١ـ من مصر إلى النوبة إلى البرنو إلى بلاد الهوسا .

٢ـ من طريق الحبشة إلى اليوروبا والأشانتي .

٣ـ من شمال أفريقيا عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والغربي .

---

(١٧) انظر جغرافية الإسلام في أفريقيا د.عبد العزيز كامل.

(١٨) وقد ضمت مايسمى اليوم ـ جمهورية مالي وموريتانيا ودولة غانا : من أقدم الدول الأفريقية ، في أفريقيا الغربية ، شملت منطقة واسعة ممتدة من دولتي السنغال وغمبية الحاليتين حتى الشواطيء الغربية لبحيرة تشاد على الحدود الشرقية لنيجيريا ، كما امتدت من حدود الصحراء الكبرى حتى منطقة خليج غينيا جنوبا. وكانت تسمى بلاد الذهب لشهرتها بذلك. وقد أخضعها المرابطون ، ثم عادت بعدهم من جديد. ثم سقطت في يد قبائل السوسو.

(انظر : جوان جوزيف ـ الإسلام في ممالك إفريقية السوداء ص٥١).

وانظر : امبراطورية غانا لابراهيم طرخان ، وافريقيا الغربية في ظل الإسلام لنعيم قداح ، موسوعة التاريخ الإسلامي ج٦ ـ أحمد شلبي ـ.

(١٩) A Short History of Sirralone,Ghristopher Fylo 1979 P15

(٢٠) انظر : امبراطورية البرنو لابراهيم طرخان ، وافريقيا الغربية لطرخان ص٦٥.

وقد مثلت منطقة تشاد نقطة اللقاء الإسلامي القادم من المشرق ومن المغرب. وتكونت دول إسلامية شهيرة (٢١) مثل : دولة البرنو والكانم ، ودولة مالي ، ودولة صنغي والحوصا والفولاني. وكلها ارتبطت بعلاقات قوية مع ديار الإسلام وخاصة مصر والمغرب والأندلس. كما ظهرت فيها حواضر إسلامية كانت مراكز للعلم والثقافة مثل : كانو ، وجني وتمبكتو ، وفلاتة ، وجوبير ، ومالي .

٥- طريق المحيط الهندي : وقد سلكها التجار والدعاة من الجنوب العربي

---

(٢١) فدولة البرنو والكانم دولة افريقية عمرت حوالي تسعة قرون ، وكان عصب قوتها الإسلام ، والعربية لغتها الرسمية في شتى نواحي الحياة ، قامت في السودان الأوسط ومهدها منطقة بحيرة تشاد وامتدت في بعض فتراتها إلى مابين النيل والنيجر ، وأقامت هذه الدولة مدرسة لها كلية بالفسطاط ينزل بها وفودهم أثناء الحج وطلب العلم (انظر : طرخان ـ امبراطورية كانم ـ البرنو إفريقيا الغربية ص٤٤ المواعظ والاعتبار ج٢ص٣٦٥ صبح الأعشى ج٥ ص٢٨١). وقد تتابع على حكمها سلاطين الأسرة السيفية ، إلى أن تغلبت عليها الأسرة الكانمية (جوزيف ص٨٩).

أما دولة مالي فامتدت في السودان الغربي بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي ، واشتهرت باسم التكرور ، وإلى هذه الدولة يعود فضل انتشار الإسلام في بلاد الهوسا في القرن الثامن الهجري. وأشهر ملوكها منسا موسى ، وتقدر مساحة دولته بمساحة كل دول غربي أوربا مجتمعة. (طرخان ـ افريقية الغربية ص٢٦، ٧٧ / وانظر : موسوعة التاريخ الإسلامي ـ أحمد شلبي ج٦) ـ ودولة مالي قامت على أسس إسلامية ، صبغت مجتمعها بالصبغة الإسلامية ، وأعلنت تبعيتها للخلافة العباسية (نزهة المشتاق ص٦) وانظر (عبد الظاهر ـ الدعوة ص٩٣).

وأما دولة صنغى فمن أشهر ملوكها سني علي ت سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م واسكيا الأكبر ٨٩٩-٩٣٦هـ/ ١٤٩٣-١٥٢٩م ، وقد أقامت هذه الدولة علاقات وثيقة مع الدولة العثمانية وعاصمتها تنبكتو التي أنجبت عددا من العلماء والفقهاء في مجالات اللغة العربية والآداب والدين. (طرخان ـ افريقيا الغربية ص١١٣-١١٤). وقضى المغاربة على هذه الدولة في عهد المنصور بالتحالف مع سلطان البرنو.

وأما دولة الحوصا فقد ظهرت في السودان الغربي. ومركزها مدينة كانو الإسلامية الشهيرة. وخضعت هذه الدولة للفولانيين (انظر : طرخان افريقية الغربية ، وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٦).

وأما دولة الفولاني فقد اشتهرت بظهور الزعيم المصلح الشيخ عثمان دان فودي الفولاني ١١٦٨-١٢٣٣هـ ١٧٥٤-١٨١٧م ، الذي نجح في اخضاع جميع بلاد الحوصا ، وضم عاصمة البرنو ، وقام بأمر الدعوة في إفريقيا الغربية والسودان بالجهاد. (طرخان ـ افريقية الغربية ص١٣١-١٣٩ ، موسوعة التاريخ الإسلامي ج٦).

وعمان وفارس والهند - كما وصل الإسلام في الوقت الحاضر إلى شرقي أفريقيا وجنوبها بواسطة المسلمين الهنود والماليزيين والأندونيسيين ، ونشطت الدعوات الخارجة على الإسلام كالدعوة الإسماعيلية والقاديانية في كينيا وتانزانيا وجنوب أفريقيا (٢٢) عن هذه الطريق وعلى الإجمال فقد اتسم تقدم الإسلام في أفريقيا بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة (٢٣) .

(٢٢) ترمنجهام - ص١٩٨.

(٢٣) صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي ص٤٠.

الفصل الثاني

العقبات التي وقفت في وجه الدعوة الإسلامية داخل أفريقيا في العصور الحديثة

١ـ العزلة التي فرضت على القارة في عهد الإكتشافات الجغرافية :

عمد البرتغاليون والإسبانيون إلى الإحاطة بالعالم الإسلامي تمهيدا لضربه من الداخل ، فاستطاعت البرتغال أن تصل رأس بوجادرو وجزر ماديرا ومجموعة جزر أزورس فكانت أول مستعمرات برتغالية في ماوراء البحار. كما حصلت أسبانيا على جزر كناريا .

واستمرت البرتغال في حركتها فوصلت الرأس الأبيض وإلى نهر السنغال ثم سيراليون عام ٨٦٥هـ/١٤٦٠م وإلى ساحل غانا سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م ثم إلى مصب الكونغو ووصل(دياز) إلى رأس العواصف(رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م) ، ووصل(دي جاما) موزمبيق. وهاجم(الميدا) كلوة المدينة العربية الإسلامية الزاهرة فاستولى عليها بعد قتال عنيف في الشوارع والطرقات وداخل المنازل وفوق سطوحها ، كما دخل مدينة موزمبيق الإسلامية وفعل بها فعله بكلوة سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م فتمكن البرتغاليون الإحاطة بسواحل أفريقيا فحجزوا داخلها عن المد الإسلامي وانشغل المسلمون بمواجهة هذا الخطر. واشتغل البرتغاليون بتجارة الرقيق (١) ونافسهم فيها الفرنسيون والإنجليز والهولنديون حتى الدانيمارك منافسة غير شريفة ، وحققت هذه التجارة لأوروبا أرباحا خيالية وأصبحت هذه السلعة هي الأساس الذي بنت عليه تلك الدول الإستعمارية اقتصادها ورخاءها بينما خلت السواحل الإفريقية من سكانها ، وزخرت بالقلاع والحصون لتكون مراكز لتجارة الرقيق .

وكان الأسبان قد اتجهوا إلى جزائر الهند الغربية واستقروا واشتغلوا بالزراعة وخاصة الدخان وقصب السكر ثم القطن ، واحتاجوا لذلك للأيدي العاملة ،

(١) قام البرتغاليون بتزويد زعماء بنين (داهومي) الوثنيين بالبنادق والأسلحة النارية مقابل الانطلاق إلى مناطق الغابات والمناطق الداخلية لمحاصرة الأهالي واصطيادهم أحياء وسوقهم إلى ساحل خليج غينية ليباعوا بالجملة. وليتم تصديرهم إلى البرتغال حيث يباعوا هناك من جديد بالجملة والقطاعي. وهذا أدى إلى هروب الناس إلى الداخل وعزلتهم. (انظر جوزيف ـ الإسلام ص١١٢).

وفي شرق أفريقيا طلب البرتغاليون ذلك من شعب مونوموتابا. فرفضوا ، ورحلوا إلى أقصى الجنوب داخل القارة. (جوزيف ـ الإسلام ص١٥١).

فحصل المقاولون البرتغاليون على عقود مع الأسبان يتيح لهم توريد أعداد من الرقيق تراوحت بين ٥٠ و ٨٠ ألفا سنويا إلى المزارع الأسبانية في العالم الجديد. كما بلغ عدد الرقيق الأفارقة في البرتغال في نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر أكثر من عدد المواطنين البرتغاليين . وكان الرقيق يعامل أسوأ معاملة واستغلت الأسلحة النارية للقنص البشري فسمى بعض المؤرخين في أفريقيا القرن السادس عشر عصر البنادق .

ونافست بريطانيا دول أوربا في هذه التجارة الرابحة فاشتهر ميناء (ليفربول) وميناء(برستول) بإنجلترا بتجارة الرقيق ونقلهم. وأصبحت بريطانيا من أبرز الدول المتاجرة بالرقيق في القرن الثامن عشر (٢) . فكانت(لشبونة) في البرتغال و(ليفربول) في انجلترا من أشهر أسواق العالم في تجارة الرقيق تمدان العالم الجديد بما يحتاجه منهم . فليس بعيدا عن الصواب إن قيل :« إن لشبونة وليفربول قد بنيتا على عظام الرقيق الأسود ودمائه » (٣) .

ويقدر عدد ماوصل إلى المستعمرات الأوروبية كلها بأربعين مليونا خلال ١٠٩١/١٢٠١هـ ١٦٨٠/١٧٨٦م ، وإذا قدرنا أن ماوصل فعلا كان نصف ماخرج من أفريقيا بسبب صعوبات النقل والأمراض والمعاملة القاسية لأدركنا أي كسح تعرضت له القارة الإفريقية خلال هذا القرن ، فقد خسرت قرابة ثمانين مليونا من أبنائها في هذا القرن فقط ، ويقدر البعض العدد بما لايقل عن مائة مليون ، كما بلغ في بعض القول على مدى خمسة قرون نحو ٥٠٠ مليون نسمة ، فأدى إلى الفقر في الأيدي العاملة والإنتاج ، وإلى انهيار العديد من الإمارات الأفريقية (٤). فأصبحت الكشوف الأوروبية في أفريقيا نهبا وسلبا والسلب صار استرقاقا جماعيا .

وتعاونت الكنيسة مع المستعمرين وأعلنت أنها ستعمد العبيد المرسلين إلى أمريكا ، وراح مندوبها يجلس على مقعده الرخامي على الشاطيء فيعمد العبيد ، ويقبض نصيبه من رسوم التصدير التي أصبحت موردا هاما من موارد الكنيسة (٥). كما أسهم الفلاسفة بنصيب في تجارة الرقيق فيقول(مونتيسكيو)

---

(٢) See: African"s Slaves to day P119

(٣) شوقي الجمل ص١٤١.

(٤) الأفريقيون والعرب للعمري ص٩٩.

(٥) زاهر ـ رياض ـ الاستعمار الأوروبي لافريقية ص١٣٨.

١١٠١هـ-١١٦٩هـ(١٦٨٩-١٧٥٥م) :« إن لنا حقا مكتسبا في اتخاذ الزنوج عبيدا. وإن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم يعد أمامها إلا أن تستعبد شعوب أفريقا لكي تستخدمها في استغلال هذ الأقطار الفسيحة ، فما هذه الشعوب إلا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس إلى أخمص القدم ، ولايمكن أن الله جلت قدرته وهو ذو الحكم السابغة يضع روحا طيبة في مثل هذا الجسم الحالك السواد » (٦) .

وكان التنافس بين الشركات الأوروبية في هذه التجارة يدفعها إلى أن تضع كل شركة علامة خاصة على رقيقها كما توسم الماشية ، وكانت هذه السمة حرقا في مكان خاص من أجساد الرقيق. وبقيت هذه القارة تنتهك حرمتها وتدمر مقدساتها وتفسد أخلاق حكامها وأهليها وتشوه حياتها الإجتماعية وتنهار صناعاتها حتى غرق جزء كبير منها في غيابت الظلمات والجهل ولم تفق منها تماما حتى الآن (٧) .

ولما ألغت بريطانيا الرق عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م هدفت إلى ضرب الإقتصاد الأمريكي بعد أن استقلت أمريكا سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م وكانت زراعة القطن فيها قائمة على أكتاف الزنوج ، وكان ذلك مما يساعدها على أن تنتج إنتاجا رخيصا لايقوى الإنتاج الإنجليزي على منافسته ثم إن بريطانيا بعد أن فقدت أمريكا اتجهت إلى أفريقيا وأرادت أن تحتفظ باليد العاملة فيها لتكون هذه اليد في خدمة الإستعمار البريطاني لاستغلالها بشكل خاص في زراعة زيت النخيل. كما أرادت بريطانيا وهي تتظاهر بالدفاع عن الإنسانية ومحاربة الرقيق ـ أن تتسلط على مقدرات أفريقيا باسم مقاومة تجارة الرقيق. فقد راحت تعقد المعاهدات مع السلاطين والزعماء لتقضي على هذه التجارة وتولت جيوشها مكافحة هذا الداء ، واتخذت ذلك وسيلة لتتسلط على القارة وتمد نفوذها الإستعماري فأصبح لها السلطان داخل البلاد فحكمت على الأفريقي بالرق في بلاده وكان قبل رقيقا خارج هذه البلاد (٨) فقد أعادت الرق إلى شرقي أفريقيا على شكل آخر ، وتسميات جديدة ، فأنشأت المستوطنات الأوروبية المحتاجة للعمالة الإفريقية ، وقام أصحاب المال الإنجليز بتأسيس المزارع مع بداية القرن العشرين ، فقامت بتشجيع رؤساء القبائل أو

(٦) شلبي ج٦ ص٤٣٧ عن كتاب روح القوانين ، والعمري ص٩٦.

(٧) انظر : الافريقيون والعرب ص٩٣-٩٧ ، شلبي ج٦ ص٤٣٥.

(٨) شلبي ج٦ ص٤٤٧.

الزعماء المحليين لإرسال رجال قبائلهم للعمل في هذه المزارع ، وبلغ الأمر أحيانا إلى فرض نظام السخرة(العمل الإجباري) ، كما حصل في زمن الحاكم الإنجليزي(بيرسي جيرورد) في شرق أفريقيا عام ١٩٠٩م . وهكذا انتهى عصر الرقيق ليحل محله عصر السخرة (٩) ، على أيدي الدول التي تسمي نفسها حاملة رسالة التحضر للعالم !!

وكان للرق نتائج هامة على أفريقيا :

١- إذ لما تحرر الأفريقي وترك بلا تجارب وبدون تعليم(بعد قرون من العبودية في جو من القذارة والجوع والتبعية والخوف) كان لابد أن يظهر منه أحيانا العجز أو الإهمال ، ولما كان قد اعتاد على عدم الملكية فإننا نراه بعد التحرر لا يعبأ بالملكية ويبدد مابيديه ، ولم يكن له تحت نير العبودية أسرة وأولاد فأصبح بعد التحرر يضيق بمسؤليات الأسرة والأولاد. والعجيب أن الرجل الأبيض أصبح يعد هذه الصفات طابع الزنجي ويحسبها عارا فيه ونسي أنه هو الذي غرس هذه الصفات في الزنجي وأنه الذي حرمه سبيل الحياة الشريفة والفكر السليم .

وبالنسبة للإسلام كانت الخسارة مضاعفة إذ أن هؤلاء تحت ضغط السيد الأبيض نسوا تراثهم الإسلامي ، وجاء بعدهم أولادهم وأحفادهم فلم يعرفوا من الإسلام ولا إسمه ، فقد كان استرقاق المسلم يعني حسبانه من الوثنيين ومعاملته على هذا الأساس. وكان الإستعمار حريصا أن يخلع الأفريقي من ماضيه فكان لايجمع في مكان واحد بالأرض الجديدة رقيقين يتكلمان لغة واحدة أو يربطهما دين واحد أو أرومة واحدة لأن عزل الأفريقي عن ماضيه كان أساسا لحياة الرق أرادها الرجل الأبيض للرجل الأسود (١٠). كما وجدت الحساسية في نفس الأفريقي تجاه كل ماهو أجنبي وحاولت أوربا منذ وضعت أقدامها في القارة إزاحة العناصر العربية ومحاربتها لأنها اعتبرتها عائقا أو حائلا دون الإنفراد بأفريقيا جنوب الصحراء ، خاصة بعد ماوجدت أن هذه العناصر أقامت تجارة ذات رواج في الأقاليم التي وصلت إليها وأن علاقتها بالأفارقة علاقة حسنة وتعاون ينتج عنه إنتشار الإسلام ، فأخذت أوروبا والهيئات التبشيرية والإدارات الإستعمارية توحي دائما للأفريقيين بأن العرب هم أرباب النخاسة وهم تجار الرقيق الذين ساقوا أجدادهم بالسياط ومما يؤسف له أن نجد بعض الأفريقيين يردد هذا القول حتى اليوم. وهو

---

(٩) دول الإسلام وحضارته / عبد الرحمن الشيخ - ص٣١.

(١٠) شلبي ج٦ ص٤٤٧.

من عوائق الدعوة. واستعمل الأوروبيون المناهج الدراسية لترديد هذه الأقوال ، وزراعتها في النفوس ، كما حدث في مناهج زائير(الكنغو ليوبولد سابقا) الإبتدائية ، والمتوسطة. حيث أشرفت البعثات التنصيرية على التعليم ، فدست في مناهج التاريخ أبشع التهم ضد العرب والمسلمين. وإذا علمنا أن للبعثات التنصيرية في الكنغو(زائير) أكثر من(٢٠) ألف مدرسة أدركنا مقدار هذا التأثير. كما استخدمت الصور في المعارض لإبراز دور المسلمين في تجارة الرقيق. واستغلت كتابات(لفنجستون) المبشر الحاقد على الإسلام ، الذي شوه صورة العربي المسلم ، وحاول أن يظهر الكنيسة أنها ضد تجارة الرقيق !! . ولم تسلم زنجبار نفسها من هذا التشويه المتعمد (١١) .

٢- الأمراض وطبيعة الأرض : فقد كانت الأمراض من أكبر العقبات التي عاقت من انتشار الإسلام في العصور الوسطى كما عاقت المستكشفين في العصور الحديثة ، كالجدري والملاريا ومرض النوم الناتج عن ذبابة التسي تسي. فابتلعت أفريقيا الكثير من الرواد والمستكشفين والدعاة وضمتهم إلى جوفها واحدا أثر واحد .

كما وقفت الغابات الإستوائية الكثيفة وهضبة البحيرات الكبرى وجبال دراكنزبرج وغيرها من الجبال الممتدة على الساحل في وجه الدعاة والتجار فحدت من انتشار الإسلام وتوغله نوعا ما. وقد أطلق الإنجليز على مناطق الغابات والمستنقعات اسم مقبرة الرجل الأبيض(خلال القرن التاسع عشر) لصعوبة اختراقها (١٢) ولكن الدعاة المسلمين اخترقوها .

٣- الإستعمار الأوروبي الحديث : أوجدت الثورة الصناعية في أوربا حوافز قوية دفعت عجلة الإستعمار، ذلك لأن الإنقلاب الصناعي أدى للإنتاج الكبير الذي يفيض كثيرا عن استهلاك الشعوب المنتجة والذي يسعى حثيثا لإيجاد أسواق جديدة للتصريف ، بالإضافة إلى أنه خلق الحاجة الماسة باستمرار للمواد الخام. فظهرت فكرة تأسيس الشركات التجارية(الإستعمارية) التي كانت مقدمة لتدخل

---

(١١) انظر - سيد عبد المجيد بكر - الأقليات المسلمة في افريقية - ص٢٢-٢٣ ، ولفنجستون اسكتلندي الأصل ، انضم إلى هيئة تبشيرية واستحوذت عليه فكرة القيام برحلات تبشيرية في الصين. ودرس الطب إلى جانب اللاهوت. واتصل بالدكتور موفات فاتجه لذلك إلى تحقيق أهدافه التبشيرية في إفريقيا بدلا من الصين. (شوقي الجمل - تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ص٩٧).

(١٢) جوان جوزيف - الإسلام في ممالك أفريقيا السوداء ص٩٩.

الحكومات ولتكوين المستعمرات فأصبحت أفريقيا هدفا للإستعمار لاستغلالها وامتصاص خيراتها. واشتد التنافس بين الدول الإستعمارية على أفريقيا وتنازعت فرنسا وبريطانيا على مصر وقناة السويس إلى أن انتهى هذا الفصل من الصراع بانفراد انجلترا بالعمل في مصر دون فرنسا فاحتلت مصر عام ١٨٨٢م بعد هزيمة أحمد عرابي في موقعة التل الكبير (١٣). في حين استولت فرنسا على تونس. فعقد مؤتمر برلين ١٣٠٢-١٣٠٣هـ ١٨٨٤-١٨٨٥م ورسم هذا المؤتمر الأساس الذي يقوم عليه الإستعمار في أفريقيا ، فاجتمع في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٤م مندوبو أربع عشر دولة ذات المصالح(حسب زعمها) في إفريقيا أو ذوات المستعمرات في العالم في برلين. وأخذ المؤتمر بوجهة النظر الألمانية التي بمقتضاها يصبح للدول الأوروبية إذا استقرت على شاطيء أفريقيا الحق في التوغل في الداخل فيما وراء القطر الذي تحتله ، ويمكنها أن تمد حدود ممتلكاتها إلى أن تلتقي بمنطقة مجاورة يشملها نفوذ إستعماري آخر بشرط أن تخطر الدول الأخرى الموقعة على اتفاق برلين بالمعاهدات التي تبرمها مع المسئولين في المنطقة. كذلك قرر المؤتمر أن الوضع في أفريقيا يجعل القوة هي التي تفرض إرادتها على الحق والقانون وتتصدرهما وضغطت الحكومة الإنجليزية على مصر بمختلف الوسائل للإنسحاب من السودان وشرق إفريقيا. فاشتد السباق في أفريقيا للحصول على المزيد من الممتلكات ونالت بريطانيا وفرنسا حصة الأسد. فقضي على سلطنة آل سعيد العربية في شرق أفريقيا ، وأخذت ألمانيا ماسمي تنجانيقا ، وأخذت بريطانيا القسم الشمالي الذي سمي : كينيا وأوغندا والقسم الأكبر من الصومال كما أخذت ايطاليا ماسمي بالصومال الإيطالي . وأخذت فرنسا جيبوتي ، وأطلقت يدها في مدغشقر (١٤) .

وقد استغل المستعمرون هؤلاء زعماء القبائل الوثنية لمحاربة الإسلام ، والوقوف في وجه امتداده. قال أحد حكام المستعمرات الفرنسية :« إنه من صالح فرنسا استغلال زعماء القبائل الوثنية في تلك الأرجاء ، لأن الاعتماد على الجماعات الإسلامية ينطوي على خطر أكيد على المستعمر » (١٥) .

واضطرت هذه الإمبراطوريات الإستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية أن تسلم بحق الشعوب التي حكمتها في الماضي قسرا واتجهت إلى أسلوب الإستعمار غير

---

(١٣) انظر ، الرافعي ـ عبد الرحمن ـ الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزي.

(١٤) زاهر رياض ـ استعمار أفريقية ص٢٠٦.

(١٥) عبد الظاهر ـ (الدعوة الإسلامية في غرب افريقية) ص١٥.

المباشر وخاصة الثقافي والإقتصادي. وظهرت أمريكا وريثة للدول الإستعمارية تعتمد على المساعدات والقواعد العسكرية والإنقلابات في تقوية نفوذها في دول أفريقيا. كما تسلل النفوذ السوفييتي الروسي عن طريق الأحزاب الاشتراكية والدعاية الثقافية والمساعدات العسكرية وكذلك تسللت **الصهيونية** إلى هذه القارة .

ومن **المشكلات التي خلفها الإستعمار** في قارة أفريقيا :

أ- مشكلة الحدود بين الدول الأفريقية : وهي من أعنف المشكلات التي خلفها الإستعمار في القارة الأفريقية ، فهي في معظمها خطوط مستقيمة تتمشى مع خطوط الطول والعرض ولاتراعي الحدود الجغرافية أو الجنسية أو اللغوية أو القبلية أو الدينية ، فهي دون ضوابط وكان ذلك نتيجة التنافس الإستعماري وترتب على ذلك نتائج خطيرة فهناك مثلا قبائل إفريقية رعوية لازالت تحترف الرعي ولاتستطيع أن تدرك الحدود السياسية التي تعرقل أو تمنع ارتياد قطعانها للمراعي (١٦). والظاهرة التي تلفت النظر هي أن القارة الأفريقية تعتبر من أطول القارات من حيث الحدود السياسية بالنسبة لمساحتها (١٧) ، فالأقسام الحالية في القارة تمثل التوسع السياسي لكل قوة إستعمارية في حدود التوازن بين مجموع هذه القوى (١٨) ولذلك لاتمثل هذه الوحدات أوطانا أو أمما حقيقية بل مجرد رقع ، تثير النعرات العنصرية والخلافات المحلية والإقليمية ووصل الأمر حد الإشتباك المسلح ، واستعان كل فريق بإحدى الكتلتين فأخذت مخالب الإستعمار الجديد تنشب أظفارها في لحوم الشعوب الأفريقية .

ب- **مشكلة التخلف الإقتصادي** : رسمت الدول الإستعمارية سياستها الإستعمارية على أساس **توجيه البلاد الأفريقية لخدمة مصالحها** فجعلت البلاد غير صناعية ، وحرمت أبناء المستعمرات من المعرفة والخبرة الفنية التي تعينهم على تنمية الصناعات الوطنية ، وتحكمت في أسعار المواد الخام التي تنتجها المستعمرات ، ومنعت إتجار المستعمرات مع الدول الأخرى إلا عن طريق(الدولة الأم) ! فظلت الدول الأفريقية بعد استقلالها تشكو من آثار التبعية الإقتصادية التي رزحت تحتها سنوات . فمازالت الكثير من المواد الخام المعدنية(كالماس والذهب والفضة والنحاس والكبريت والرصاص والبترول) تصدر إلى أوربا وأمريكا كمواد خام

(١٦) فيليب رفله ص١٠٦.

(١٧) جمال حمدان - افريقيا الجديدة ص٦٩.

(١٨) شوقي الجمل - الوحدة الافريقية ص٧.

من موانيء التصدير التي أعدت لذلك. كذلك مازال الكثير من البلاد الأفريقية حتى اليوم عاجزا من أن يصدر أي شيء سوى محصول أو محصولين. وقد أدى الإرتباط بالسوق الرأسمالي أن ارتفعت باضطراد أسعار السلع المصنعة التي تصدرها الدول الصناعية بينما انخفضت باستمرار أسعار المواد الخام التي تستوردها هذه الدول من أفريقيا . وتضاعفت أعباء الديون (١٩). حيث بلغت عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م(٢٢٠ ألف مليون دولار) (٢٠) .

وأما **المساعدات المالية** التي تقدمها الدول الصناعية إلى الدول الأفريقية فقد اتجهت لخدمة حاجات النمو من ناحية نقل الخامات واستيراد المصنوعات واستثمار القروض بعيدا عن خدمة الهدف الحقيقي المطلوب وهو التصنيع الثقيل وبذلك لم تنطلق الدول الأفريقية في طريق الاستقلال الإقتصادي ومازالت للإحتكارات الأجنبية اليد الطولى في تحديد معالم تطورها. ومازالت **عمليات التنمية** تتسم بطابع التخلف الشديد . ولازالت تعاني هذه الدول قلة الخبرة الفنية في مختلف المجالات كالمساحين والمهندسين والأطباء والمدرسين فتعتمد على الدول الكبرى لتزويدها بالفنيين الذين يمثلون خليطا عجيبا من الخبراء الأجانب الألمان والإنجليز والفرنسيين والبولنديين والتشيك والأمريكان والروس .

كما أن الإستعمار لم يشجع على تكوين **رأس مال وطني** الذي يمثل العمود الفقري في مد السكك الحديدية والتليفونات وغير ذلك من المشاريع الهامة اللازمة للتنمية وهذا يسبب طلب المعونات والقروض الأجنبية فتنال الشركات الأجنبية كثيرا من الإمتيازات. وأنشئت البنوك الربوية التي تبتز أهل البلاد وتهتك اقتصادها .

وقد **ارتبطت الإقتصاديات الأفريقية باقتصاديات الدول الإستعمارية** السابقة فالدول التي تحررت من فرنسا مثلا مازالت تعيش في دائرة الفرنك ونقدها مرتبط بالسياسة النقدية الفرنسية ويخضع لتطوراتها . والمصارف والبيوت المالية في أغلبيتها الساحقة مؤسسات أجنبية أو فروع لمؤسسات قائمة في الدول التي كانت تفرض سلطانها على القارة .

---

(١٩) انظر فصل ـ واقع العالم الإسلامي من الناحية الإقتصادية في هذا الكتاب.

(٢٠) الجزيرة (السعودية ص٢). السبت ٢٧صفر ١٤٠٩هـ/ ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٨م. العدد ٥٨٥٤.

أما **المواصلات** فلم يدعم المستعمرون وسائل النقل إلا بما يتفق وأهدافهم ورغباتهم في استنزاف ثروات القارة ـ فالشلالات لم تستغل في توليد الطاقة الكهربائية إلا في أضيق الحدود. والسكك الحديدية كان هدفها مصالح الإستثمارات الأجنبية فقط بغض النظر عن التكامل الإقتصادي والحضاري للمستعمرة الواحدة (٢١). ويلاحظ على العموم أن شبكة المواصلات الحديدية في القارة تنتشر في أقاليم الإستيطان الأوروبي أو تسخر لخدمة الإستغلال الإقتصادي ومقاييس السكك الحديدية ليست واحدة مما يجعل كل دولة في شبه عزلة عن جيرانها .

وعندما أصاب **الجفاف** أسهمت هذه العوامل كلها في وجود مشكلة **المجاعة** وقلة الغذاء في أفريقيا من موريتانيا إلى النيجر ومالي وبوركينافاسو وشمالي نيجيريا وشمال ووسط أثيوبيا وفي هذه الجهات يعتمد السكان على الرعي والزراعة وكلاهما يعتمد على الغيث فأصبح مايزيد على **٢٥** مليونا يعيشون المجاعة. وانتشرت بينهم الأمراض كالتيفوئيد والدوسنتاريا والحصبة والإلتهاب المعوي والكوليرا. وتعدت الأزمة سكان البوادي إلى الحواضر لأن سكان الصحراء والريف القريبين من المدن هجروها ورحلوا إلى المدن بحثا عن الغذاء وأصبحوا يشكلون بطالة ظاهرة في أديس أبابا وأسمرة ومصوع ونيامي وزندر وباماكو وغيرها. وقد فقدت هذه الدول جل ثروتها الحيوانية التي كانت تمثل معظم الصادرات .

ج- **مشكلة التخلف الإجتماعي** : وذلك عن طريق :

١ـ **انتشار العادات والتقاليد والمعتقدات البالية** ـ الخرافات ـ مثل عبادة أرواح السلف عند البانتو ، ونظام الطوطمة ، وعادة تشويه الأسنان وعمل الشلوخ والندوب في الوجه. والمعتقدات متعددة ومتباينة فبعض القبائل في شرقي أفريقيا مثلا تمتنع عن استخدام روث البهائم كسماد في الزراعة وتعتقد أن ذلك يؤثر على ثروتهم الحيوانية ، ومن الخرافات مثلا أن بعض النساء يشربن من الماء الذي يعلق به الطمي على زعم أنه يزيد في خصوبتهن وله أثر على إنجاب الأطفال (٢٢). وقد ازداد الأفارقة تمسكا بهذه الأوهام في ظل الإستعمار الذي كان يشجع بقاء مثل هذه العادات .

---

(٢١) محمد رياض وكوثر عبد الرسول ـ الاقتصاد الافريقي ص٥١٣.

(٢٢) شوقي الجمل ـ ص٧٢٤-٧٢٥.

٢- أسهم الإستعمار في **تفكيك الروابط القبلية والأسرية** ونشأ في بعض البلدان الأفريقية نظام الطبقات أو انقسام المجتمع إلى طوائف متميزة. وكان المستعمرون يثيرون الحروب بين القبائل ، فيزودهم ذلك بالعبيد من أسرى الطرفين المتحاربين في عهد تجارة الرقيق .

د- مشكلة **انخفاض المستوى الثقافي والعلمي** : ويمكن أن نجمل أهم نواحي مستوى التعليم التي خلفها الإستعمار فيما يلي (٢٣) :

١- **غلبة الأمية** : فلم يؤخذ بمبدأ الإلزام في التعليم في المرحلة الأولى و لم يتوفر من المدارس الأولية والإبتدائية مايكفي لاستيعاب جميع الطلاب الأفريقيين .

٢- **الفلسفة الإستعمارية في التعليم** : فقد استهدف التعليم ربط الأجيال الناشئة بمفاهيم خاطئة وقيم فاسدة تشيد بقوة المستعمر وتهدف إلى تعميق الولاء لمنطقه وأساليبه ، والتقليل من قيمة الحضارات والثقافات الوطنية (٢٤). وذلك بالتركيز على فصل الدين عن الحياة ، بإنشاء المدارس العلمانية ، وعرض التاريخ الأوروبي بما فيه : الصراع بين الكنيسة والدولة ، والحروب الدينية الصليبية. وبهذا ينشأ جيل علماني يرتبط بالثقافة الغربية ، ويرى الحلول الأوروبية للمشكلات هي الصحيحة ، وغيرها خطأ .

٣- **الخدمات التعليمية** : التي تركزت في كثير من الأحيان بيد الجمعيات التبشيرية(التنصيرية) التي اقتسمت الحقل الأفريقي. فعملت على إقصاء العلماء عن أماكن الصدارة والقيادة ، بعد أن أضعفت مراكز التعليم الدينية بمختلف الوسائل. وقد بقي هذا الأثر واضحا في حياة الدول الأفريقية بعد جلاء عساكر المستعمر. ويكفي أن نتصور أن في زائير وحدها عشرين ألف مدرسة للمؤسسات التبشيرية. تضع المناهج لطلابها وتنفث في نفوسهم ماتشاء من أفكار. وحتى جهود الإرساليات في مجال التعليم لم تثمر فقد كانت السلطات الإستعمارية تخشى من انتشار التعليم بين الأفارقة على مصالحها ومصالح المستوطنين البيض (٢٥) .

٤- **تعدد اللغات المستعملة** في البلد الواحد ، وعدم استخدام اللغة العربية في البلدان الإسلامية مما أدى إلى انتشار لغة المستعمر ، وهذه من العوامل التي حدت من انتشار الإسلام. ومن أمثلة ذلك أوغندا فقد وصلت اللغات التي تذيع بها

---

(٢٣) راشد البراوي - مشكلات القارة الأفريقية السياسية والاقتصادية.

(٢٤) انظر راشد البراوي - مشكلات القارة الافريقية السياسة والاقتصادية.

(٢٥) انظر شوقي الجمل ص٢١٣.

إذاعتها عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م إلى ثماني عشرة لغة. تقلصت بعد ذلك إلى اثنتي عشرة لغة .

وتضم مجموعات اللغات الأفريقية عددا من الألسن واللهجات يصل قرابة الثمانمائة (٢٦) ، وهذا يشكل عبئا أمام الدعوة الإسلامية ، يحمل الداعية على أن ينقل الدعوة باللغات الأوروبية التي فرضها المستعمر على هذه الشعوب. وهي لغة وسيطة بين الطرفين ، وموصل غير جيد. ومن هنا كانت ضروة تشجيع أبناء أفريقيا المسلمين على الدراسة في البلدان الإسلامية ليتمكنوا من القيام بعبء الدعوة بين قومهم .

هـ- **مشكلة التميز العنصري** : بين المستوطنين البيض وأهالي أفريقيا :

وتاريخ هذه المشكلة طويل حافل بالآلام والآثام ، بدأ بتجريد القارة من بنيها السود بالرق ، ثم وضع في شمال أفريقيا في منطقة النفوذ الفرنسي ، وخاصة في **الجزائر** بحرمان أهل البلاد من الوظائف الحكومية وأعمال الإدارة فيما عدا الأعمال الثانوية ، وماتدفعه حكومات الإحتلال من مرتبات ضئيلة ، ومحاربة الإسلام واللغة العربية ، واقتطاع المحتلين وعملائهم وصنائعهم أخصب الأراضي وأكثرها إنتاجا ، وكذلك التفرقة في المعاملة بقوانين ماوراء البحار بين المستوطنين الأوروبيين وأهل البلاد .

ووضح الإضطهاد العنصري بين السود في **سائر المستعمرات** على اختلاف ألوان الحكام في تشغيل العمال السود في المناجم والمصانع والمزارع والغابات بما يعادل عشر أجل العامل الأوروبي ، وبحرمانهم من نور العلم ومن وسائل العلاج والعناية الصحية ، وبانتزاع أخصب الأراضي وإقطاعها للأوروبيين المستوطنين ، وبمنعهم إما بحكم القانون أو بناء على الأمر الواقع والتصرف العملي ، من ارتياد مدن البيض ومساكنهم ومتاجرهم ومقاهيهم وأماكنهم العامة ووسائل المواصلات والجامعات الخاصة بهم ، وبوضع تشريعات خاصة بالسود فحسب تصب جام غضب المستعمر عليهم وتقيدهم في أصفاد التأخر وتحرمهم الحقوق السياسية وأهم الحقوق المدنية (٢٧). وقد قاد(رودس) السياسي البريطاني المتعجرف هذه السياسة في **جنوب أفريقيا** بعد أن قضى على دولة(الميتابلي) الأفريقية واستولى على معظم أراضيها عام ١٨٩٣م. وقال :« إن غير المتحضرين يجب أن يتركوا

(٢٦) نفسه ص٧٣٢.

(٢٧) الافريقيون والعرب ـ د.أحمد سويلم العمري ص١٠٠.

المجال للمدنية والحضارة ، وإن الحرب لم يكن منها مفر لضمان استقرار واطمئنان المستوطنين الأوروبيين (٢٨). فهذه نظرة الأوروبي الأبيض للإفريقي وحقوقه ، وهذه شريعته ووسائله في الوصول إلى هدفه! !

واستمر هذا التمييز في **روديسيا الجنوبية**(زيمبابوي) إلى أن انهار بعد نضال طويل تحقق فيه النصر للأغلبية الأفريقية. وبقيت **أفريقيا الجنوبية** حيث تتجاهل الأقلية البيضاء كيان الأغلبية وحقوقها وتستعمل وسائل البطش البوليسي والعسكري بما يشبه أسلوب الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة .

فقد اقتبست جنوب أفريقا من إسرائيل وسائل عديدة من أساليب القمع والتمييز وزعزعة الإستقرار بإصدار قوانين الطوارىء التي تقضي بالإحتجاز لمدة طويلة دون محاكمة ، وإبعاد قطاعات من السكان قسرا عن ديارهم والتمييز في ميزانيات التعليم والصحة وغيرهما ، واقتبست أيضا سياسة التعقب الساخن عبر حدود الدول المجاورة ضد المناهضين لنظامها العنصري. فكانت ولاتزال تشن غارات عبر إنجولا وموزمبيق لضرب قواعد ثوار المؤتمر الوطني الإفريقي بزعامة مانديلا. وتحظر على العمال السود البقاء في مدن البيض بعد ساعات العمل والإستغلال (٢٩) .

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في جنوب أفريقيا وعددهم ٤٠٠ ألف مسلم يشتركون في تأييد السود فتعرضوا للمضايقات الكثيرة بسبب ذلك (٣٠) .

ويمكن أن نضيف إلى هذه المشكلة ـ مشكلة التميز العنصري ـ ماحاوله الإستعمار من بث الكراهية وخلق التوتر ضد المسلمين والأفارقة في شرقي القارة بصفة خاصة بالمذكرات التي كتبها **لفنجستون** المبشر المتعصب الذي حمل العرب وزر الرق دون أن يذكر دور الغرب والكنيسة من الفظائع في تجارة الرق (٣١). وكان من حصيلة ذلك مشكلات كثيرة مثلت مجزرة زنجبار واحدة منها .

و- **مشكلة الصهيونية** : إستغلت الدولة الصهيونية امتدادها إلى البحر الأحمر ووجود ميناء إيلات كمركز رئيسي للإتصال بأفريقيا عبر خليج العقبة التي ضمنت قرارات مجلس الأمن حمايته طيلة الأعوام بين ١٣٧٦-١٣٨٧هـ/

---

(٢٨) شوقي الجمل ص٦٠١.

(٢٩) الشرق الأوسط ص٨ الأربعاء ١٩٨٥/٨/٢١م.

(٣٠) المسلمون ـ العدد ٣٧ ص٤ ٥صفر ١٤٠١هـ ١٩أكتوبر ١٩٨٥م.

(٣١) زاهر رياض ـ كشف القارة الافريقية ص٢٤٢.

١٩٥٦-١٩٦٧م ، ثم المعاهدة الأخيرة بين إسرائيل ومصر . فبذلت قسطا مضاعفا للنفاذ إلى قلب أفريقيا ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا. وأقامت علاقات وثيقة مع عدد كبير من الدول الأفريقية عن طريق زعماء هذه الدول والمؤسسات التبشيرية والإستعمارية وأصحاب رؤوس الأموال ومدراء المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية (٣٢) ، فأخذت تلعب دورا رئيسيا في أحداث القارة ، فأسهمت عناصر صهيونية في مجزرة زنجبار سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٣م ، وفي حركة انفصال بيافرا في نيجيريا ١٣٨٧-١٣٩٠هـ/١٩٦٧-١٩٧٠م ، وفي حركات جنوب السودان ، ونجد اليهود في الكونغو يسيطرون على تجارتها وبعض صحافتها والبضائع الإسرائيلية تغرق البلاد (٣٣). وأنشأت إسرائيل في غانا شركة النجمة السوداء للنقل البحري وأشرفت على معهد البحرية الغاني ، وأسهمت في إنشاء مدرسة الطيران الحربية الغانية ، وفي السنغال أنشأت منظمة الشبيبة السنغالية عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م على غرار منظمة الناحال اليهودية وقام سبعة ضباط يهود عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م بتدريس مرشدين على إنشاء مستعمرات زراعية في أدغال ساحل العاج وأسسوا مدرسة عسكرية عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م (٣٤) ، وفي السنة نفسها وصل سفير إسرائيل إلى تشاد فأثار ذلك عنف المسلمين واحتجاجهم فأدى ذلك إلى اخراج جميع الوزراء المسلمين من مناصبهم ونفي وزير التربية واعتقال قاضي القضاة ثم نفيه واعتقال وزير الدولة ورئيس الجمعية الوطنية ووزير العدل وعددا من الشخصيات (٣٥). وفي موزمبيق تدخلت إسرائيل بخبراتها لتطبيق أساليب برتغالية ضد الإسلام - باستخدام القوة العسكرية والبوليسية ضد الزعماء المسلمين وتعطيل الدراسات الإسلامية ومنع استعمال اللغة العربية ووضع جميع نظم التعليم بين يدي المبشرين الكاثوليك ، وعزل جميع المسلمين في موزمبيق عن الإتصال بالعالم الإسلامي (٣٦). فاتخذت عصبة مسلمي موزمبيق بعض الخطوات الفعالة لتجنب الكارثة (٣٧). وفي السودان البلد العربي المسلم : كان بروفيسور

(٣٢) مأساتنا في افريقية ص٤٠. وانظر القضية الفلسطينية في هذا الكتاب.

(٣٣) مجلة حضارة الإسلام - السنة السابعة عدد(٥).

(٣٤) حضارة الإسلام السنة ١١ عدد٦،٧.

(٣٥) حضارة الإسلام السنة ٨ العدد ١ عن رسالة لمواطن تشادي / مأساتنا في أفريقية ص٦٠-٦١.

(٣٦) المجمع السنة (٥) العدد ١ أيلول ١٩٦٥م عن الميثاق الإسلامي السودانية مأساتنا في افريقية ص١٢٨.

(٣٧) حضارة الإسلام - الإسلام في موزمبيق. السنة (٧) العدد٤.

ليبون اليهودي عميد كلية الآداب في جامعة الخرطوم سابقا قد ذكر في محاضرة ألقاها في أروقة الجامعة ـ أن السودان سيتطور تطورا ملحوظا في عام ٢٠٠٠م وستكون هناك مراكز عديدة للذرة تحت إدارة الإسرائيليين ، هذا في الجزء الشمالي من السودان أما الجزء الجنوبي فإنه سينفصل وينضم إلى دولة تنشأ يومئذ واسمها دولة أواسط أفريقيا (٣٨). وفي أثيوبيا سنبين الأثر الصهيوني فيما بعد .

هذا وقد حد من الأثر الصهيوني في أفريقيا بعد عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م إثر نجاح دعوة التضامن الإسلامي ، ليعود بشكل أشد بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد وسياسة التطبيع مع مصر! .

ومن الجدير بالذكر أن **الصهيونية** تبدأ طريقها من فوق فتبدأ نفوذها بالرؤوس من الزعماء وأرباب المال وكبار المثقفين دون أن يكون للشعوب رأي حول الموضوع ثم تنساب كالأفعى هادئة ناعمة إلى القواعد ، تدعمها **الماسونية** التي تشكل في ظلالها أكبر وأعظم انفتاح على الإتجاهات الوطنية التحررية والإنسانية (٣٩) فتسهم مع الإستعمار الجديد والتبشير والشيوعية في محاصرة الحركات الإسلامية وتضييق الخناق على المسلمين بالتجويع والإرهاب والقتل والإفناء. ومن يقف من الزعماء الأفارقة بإخلاص ضد المطامع الصهيونية سرعان مايطاح برؤوسهم كما حدث للداعية المسلم(أحمدو بللو) ورفيقه(أبي بكر تفاوه باليوه) في مطلع عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م وكما حدث ل(عيدي أمين) في أوغندا ، وذلك من أجل عزل الجماهير الأفريقية عن الإتصال المباشر بالإسلام ، وكان أحمدوبللو قد كتب يحذر من مخاطر السياسة الصهيونية في أفريقيا يقول :« إن التغلغل الصهيوني في بعض الدول الأفريقية سيكون له الأثر الخطير بين أفراد الشعوب الأفريقية »(٤٠) .

ح- **مشكلة النصرانية والتبشير** : وهي مرتبطة ارتباطا بالإستعمار وملازمة له ، فقد بدأت البعثات التنصيرية أولى خطواتها نحو أفريقيا خلف الإستعمار واستمدت منه العون والسلطة وشجعها الإحتلال لتثبت نفوذه. ومن ورائها مؤسسة الاستشراق التي هي المصنع الذي يعد الشبهات والطعون ويقدمها للعاملين في

---

(٣٨) مأساتنا في افريقيا ص٥٩ عن جريدة الميثاق الإسلامي السودانية الأعداد ٥١،٥٢،٥٣. تموز ١٩٦٥م.

(٣٩) مأساتنا في افريقية ص٤١.

(٤٠) نفسه ص٥٠-٥١.

حقل التبشير لنشرها وإذاعتها (٤١). فقد أصبحت أفريقيا ميدانا للتنصير ، الذي يهيء للإستعمار ، فنشط المبشرون الكاثوليك مع الإستعمار البرتغالي. وفي أواخر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر أخذت الجمعيات البروتستانتية تظهر للوجود. وكانت بريطانيا أسرع الدول إلى تنظيم هذا النشاط ، ففي عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م تألفت جمعية لندن التبشيرية بمعونة التجار في لندن ، وبدأت عملها في الهند والصين ، ثم امتدت إلى كل مكان في العالم امتدت إليه التجارة البريطانية ومنها أفريقيا ، لاسيما بعد أن وجه المستكشفون الذين اتجهوا إلى هذه القارة نشاط رجال الدين إلى بذل الجهد في هذه القارة الواسعة وقد تسرب المبشرون والمغامرون تحت ستار السياحة أو العمل في وظائف الحكم في ظل أسرة محمد علي باشا وغيرها (٤٢) . وكان إرسال(دافيد لفنجستون) مظهرا من مظاهر التفات الجمعية إلى قارة أفريقيا. وتكونت أكثر من جمعية تبشيرية في الجهات التي اكتشفها لفنجستون منها : بعثة الجامعات التبشيرية إلى وسط أفريقيا سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م. وجمعية الكنائس الإسكتلندية سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ، وجمعية الكنيسة التبشيرية ، ونافست فرنسابريطانيا في هذا الميدان ، فأسست جمعية باريس التبشيرية سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م. بمعاونة ملوك فرنسا من أسرة البوربون. كما أسست هولندا الكنائس الإصلاحية ، يؤيدهم البوير من غزاة جنوب أفريقيا. فقام الكاثوليك بتأليف جماعة الآباء البيض سنة ١٨٨٦م بإرشاد الكاردينال (لافيجيري) الذي دعا إلى النشاط الفرنسي في ميدان الإستعمار ، وقد بدأت كلها في الشمال الأفريقي ، ثم في روديسيا الشمالية ، وكانت جماعة الآباء الكاثوليك في كندا من أكبر المشجعين لهؤلاء الآباء في عملهم ، وانتهى أمر هذا التنافس الكاثوليكي البروتستانتي إلى اقتسام الحقل الإفريقي بين أكثر من بعثة (٤٣) .

ففي غرب إفريقيا شجع (مكارثي) حاكم مستعمرة سيراليون حركة التنصير عام ١٨١٤م في محاولة تنصير أفريقيا الغربية كلها. فأنشأ في كل قرية بعثة ، وأنشأ المدارس والمستشفيات بإشراف البعثة الكنسية : CHUrch Missionary (٤٤).

---

(٤١) التبشير والإستعمار للخالدي وفروخ ص١٩٢.

(٤٢) انظر السيد يوسف نصر - جهود مصر الكشفية في أفريقيا في القرن التاسع عشر ص٥٢.

(٤٣) زاهر رياض - استعمار افريقيا ص١٠٤ ، الغارة على العالم الإسلامي ص٣٧.

(٤٤) العالم الإسلامي لأنور الجندي ص٤١٦. A Short History of Siraleona p60,41,111

ووصلت البعثات التنصيرية الأمريكية عام ١٨٣٩م ، وأصبحت(فريتون) تعج بالكنائس والبعثات التنصيرية والمدارس النصرانية ، وقد جند النصارى كل طاقاتهم التبشيرية والمادية والعلمية بالتنسيق الكامل بين الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وغيرهما من الهيئات التنصيرية من أجل تحقيق مطامعهم في تنصير القارة مع نهاية هذا القرن. وقد أكد هذا الزعم مجلس الكنائس الأفريقية المنعقد في نيروبي عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، ثم مؤتمر الكنائس العالمي الذي انعقد في المدينة نفسها عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ولذا فإن المبشرين ينتشرون في أعداد غير معقولة في أنحاء أفريقيا (٤٥) ، فقد بلغوا في عام ١٩٨٥م/١٤٠٦هـ أكثر من ١١٣ ألف مبشر ، شعارهم :« أفريقيا كلها مسيحية عام ٢٠٠٠ » (٤٦) . يشرفون على تعليم أكثر من خمسة ملايين طالب. كما بلغت المستشفيات والمستوصفات التي أقامتها الإرساليات ١٦٠٠ مستوصف ومستشفى كنسي (٤٧). وارتفعت قيمة الدعم المالي للمبشرين فبلغت ٣,٥ ألف مليون دولار سنويا. ووصل عدد المدارس اللاهوتية لتخريج المبشرين والقسس في أفريقيا إلى ٥٠٠ مدرسة لاهوتية بالإضافة إلى عشرين ألف معهد كنسي في انحاء القارة. وكلها تعد المبشرين إعدادا خاصا (٤٨). ونشط الفاتيكان في حملة التبشير برعاية البابا الذي قام بثلاث زيارات خلال خمسة أعوام (عام ١٩٨٠م، ١٩٨٢م و١٩٨٥م) ذرع فيها أفريقيا شرقا وغربا ، وفي الزيارة الأخيرة تحدث إلى ٨٠ ألف شاب مسلم بملعب الدار البيضاء بالمغرب. ودشن كتدرائية القديس بولس بأبيدجان التي تتسع لثمانية آلاف شخص وهي أوسع معبد نصراني في أفريقيا ولايتجاوزها في العالم إلا الفاتيكان (٤٩) .

وقد استقبل على إثر هذه الزيارة الملك الحسن الثاني الأسقف (لورديسانس)

---

(٤٥) انظر بالتفصيل : الصواف : رحلاتي إلى الديار الإسلامية ق١ افريقية المسلمة ص٦٣٢. التبشير والاستعمار لفروخ وخالدي ص٢٦٥ ، والمخططات الإستعمارية للصواف ٢٦٢-٢٦٣ ، وجمال حمدان : الإسلام في افريقية ، ومجلة المجلة نوفمبر ١٩٦٣م.

(٤٦) المسلمون العدد ٤٦ السبت ٩ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/٢١ ديسمبر ١٩٨٥م.

(٤٧) مجلة رابطة العالم الإسلامي ص٤٢ العدد ١٢ السنة ٢٣ صفر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. / هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ١٤٠٨هـ.

(٤٨) انظر اعترافات مبشر سابق وهو القس الكاميروني بجيا جولير الذي أسلم وأصبح اسمه موسى محمد ـ والحاصل على دكتوراه في اللاهوت ـ المسلمون العدد ٤٦ ص١٣.

(٤٩) الشرق الأوسط ـ قضية ورأي ص١٢ ، ٢٤ محرم ١٤٠٦هـ/٨/١٠/١٩٨٥م. بقلم مفتي تونس.

سكرتير المجمع المقدس للدعاية المسيحية ورئيس البعثة الأسقفية للجمعيات الخاصة بتقديم المساعدات ، وقد أحضر رسالة للملك من البابا(بول الثاني) أكد فيها بأنه يعلم أن الكنيسة ستواصل رسالتها في المغرب مذكرا باللقاء الذي تم بينه وبين ملك المغرب في الفاتيكان وعبر عن أمانيه الطيبة بالسعادة والرفاه للملكة المغربية (٥٠) .

وفي جنوب السودان كانت توجيهات اللورد كرومر(المعتمد البريطاني في مصر) هي إطلاق الحرية(التنصيرية) دون قيد أو شرط. فتسابقت الإرساليات الكنسية الإيطالية الكاثوليكية ، والإرساليات الأمريكية ، والإنجليزية . ولتنظيم العمل قسم جنوب السودان إلى مناطق نفوذ جغرافية لكل كنيسة منطقة تباشر أعمالها وتتوسع في نشاطها (٥١) .

هذا وقد أشارت مجلة الأزهر(على سبيل المثال) إلى أن في السودان مالا يقل عن ٥٠٠ جمعية لها فروعها في كل مكان ويعيش القوامون عليها في بحبوحة من العيش في الغابات وغيرها ، ولديهم من وسائل التبريد والتدفئة والمواصلات البرية والبحرية والجوية مايوجد ، وقد خلقوا جيلا مثقفا بثقافة جعلته يخالف الإسلام ، وهناك الكنيسة الإيطالية في مدينة(واو) عاصمة مديرية بحر الغزال ذات النفوذ الواسع والسلطان الممتاز حتى لكأنها قطعة من فاتيكان روما (٥٢) .

هذا ويوفر للمبشرين كل شيء من فيلات وسيارات وخدم وحرس وبسخاء ، وحيثما توجه المبشر وجد كل المساعدات ، فهم يملكون الطائرات والفنادق وكل شيء ولايتم تفتيش المبشر في المطارات ، وإذا ذهب إلى أي مكان ونزل في أي فندق وجد من ينتظره ويقدم له كل شيء (٥٣) .

وتقوم بعض البعثات التبشيرية بعقد العقود مع بعض الأسر مستغلة المجاعات حاليا ، فتقدم مساعدات عينية مقابل أن تختار طفلا من أطفال الأسرة دون الخامسة تربيه على حسابها تربية نصرانية ، ثم يعاد إلى البلاد ليستخدم في الأغراض التنصيرية ، كما حصل في السنغال و(سنغور) شاهد على ذلك منذ زمن

---

(٥٠) مجلة الرابطة العدد ١٢ ص٤٢.

(٥١) فيصل محمد موسى - الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان / مجلة دراسات افريقيا ص٤٧ / العددالأول رجب ١٤٠٥هـ.

(٥٢) مجلة الأزهر شوال ١٣٧٧هـ، أنور الجندي - التاريخ الإسلامي المعاصر ص٤٥.

(٥٣) المسلمون العدد ٤٦ ، ٩ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/٢١ ديسمبر ١٩٨٥م ص٣.

بعيد (٥٤). واستغلوا بعض المتحمسين للتنصير ، فقد تبرع الهولندي(بيت ديركسبن) بمبلغ ١٧٨ مليون دولار للمشاريع التنصيرية في العالم الثالث إثر مقابلة مع(الأم تريزا) الراهبة الكاثوليكية التي منحت جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٩م (٥٥) .

والملاحظة العابرة إلى القارة الأفريقية تفيد أن هناك مجموعات نصرانية تسيطر على معظم عناصر الثروة في أفريقيا بما في ذلك بعض الدول المسلمة كالسنغال وسيراليون وأرتيريا والحبشة وتانزانيا وموزمبيق (٥٦). حيث أن الأغلبية المسلمة مغلوبة على أمرها .

وخطورة التنصير أن عمليته تسير في خط مواز للدعوة الإسلامية ، فهو من أكبر العقبات في وجه نشر الإسلام بصفة عامة ، وفي أفريقيا بشكل خاص. وكثير من المنصرين جاءوا بشكل مصلحين اجتماعيين ، أو في شكل إسلامي مثل الرحالة الإنجليزي(برايتون) الذي وصل إلى بربرة باسم الشيخ عبد الله (٥٧). ودخل المسجد وصلى مع الجماعة لمعرفته باللغة العربية والتاريخ الإسلامي وقد ترك لحيته زمنا على هيئة العلماء وتزيا بالزي الإسلامي ، وادعى أنه عربي مسلم جاء ليتعرف على إخوانه . وقد ذهب بعد ذلك إلى(زيلع) وهرر .

واستطاعت النصرانية بما تملكه من وسائل قوية أن تعزو أي تقدم في البلاد إلى النصرانية ، وأي تأخر إلى الإسلام (٥٨) .

واستخدمت في ذلك أكثر من ١٦٥٠ إذاعة تنصيرية (٥٩) ، وأكثر من ٢٢١ محطة للبث التلفزيوني التنصيري. وازداد حجم التبرعات ففي الولايات المتحدة وحدها بلغت عام ١٩٨٦م أكثر من ٨٧ مليار دولار ، وقفزت عام ١٩٨٧م إلى ٩٣ مليار دولار حيث تغطي نفقات النشاط التبشيري أكثر من ٥٠٪ من هذه التبرعات .

ولزيادة النشاط التبشيري وافق الفاتيكان عام ١٩٨٨م/١٤٠٩هـ (وأثناء

(٥٤) التبشير والاستعمار ص٣ وص٢٤٦ ، روزاليوسف العدد ١٨٤٧ ١٩٦٧/١١/٤م ص٢٦.

(٥٥) جريدة الراية ١٩٨٤/٣/٢٠م تحت عنوان : عبرة لمن يتفكرون. بقلم الأستاذ درويش مصطفى الفار من جريدة ستار الصادرة في جوهانسبرج محور إفريقيا بتاريخ ١٩٨٤/٣/٣م.

(٥٦) أنور الجندي - معالم التاريخ المعاصر ص٤٣.

(٥٧) علي الشيخ أبو بكر - الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ص٢٧.

(٥٨) كما في كتاب **Development and Religion in Tanzania**

(٥٩) نشرة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية عام ١٤٠٨هـ.

انعقاد اجتماع وزراء الإعلام الأول للدول الإسلامية في جدة) على مشروع ضخم تقدم به الأب الكاثوليكي(حوساني) يتمثل في بناء محطة تلفزيونية ضخمة للبث في جميع أنحاء العالم للتبشير بتعاليم الإنجيل بواسطة ثلاثة أقمار صناعية. وسمي المشروع لومين(٢٠٠٠) والذي يعتبر الأول من نوعه من حيث الحجم واتساع رقعة البث ، وامكانية السيطرة إعلاميا على جميع قارات العالم وخصوصا قارتي أفريقيا وآسيا حيث يتواجد المسلمون بكثافة تحت اسم التنوير والتعاون ومحاربة الجهل .

وهكذا يزداد النشاط التنصيري حدة تبعا لما قرره المنصرون في اجتماعهم في(كولاردو) لتنصير المسلمين تحت شعار: ادفع دولارا تنصر مسلما. فبلغ عدد الهيئات الدينية غير المسلمة في الولايات المتحدة وحدها حوالي ٢١٢ هيئة يعمل فيها حوالي ٢٫٥ مليون إنسان بدوام كامل! ! (٦٠). وهذا كله يحتاج إلى جهود المسلمين الرسمية ، والشعبية . لا الفردية فقط.

ط- **مشكلة الشيوعية** : دخلت القوى الشيوعية العالمية الروسية والصينية وتلاميذها حلبة الصراع في أفريقيا بكامل إمكانياتها وأجهزتها ، مستغلة للوصول إلى أهدافها حركات التحرير الوطنية الحاقدة على الإستعمار ، بشكله القديم والحديث لتقع فريسة للإستعمار الشيوعي الجديد. ونتيجة لذلك دخلت بعض الدول الأفريقية تحت النفوذ الغربي وانحازت أخرى إلى الكتلة الشيوعية ، وإلى جانب الصراع السياسي والعسكري يحتدم صراع آخر اقتصادي وثقافي وفكري بتوجيه من مراكز القوى العالمية التي تبذل في سبيل الفوز بهذه القارة ألوف الملايين من الدولارات .

وتغلغلت الشيوعية فكريا في أقطار كثيرة من القارة الأفريقية ، ودخل بعضها النفوذ الشيوعي فعلا كانغولا عام ١٩٧٥م ، والصومال التي أعلنت الإشتراكية العلمية فلسفة سياسية لها منذ تسلم سياد بري الحكم بمساندة الجيش والشرطة عام ١٩٦٩م (٦١). بعد اغتيال رئيس الجمهورية عبد الرشيد علي. وكذلك أعلنت اثيوبيا الإشتراكية العلمية فلسفة لها وتواجدت فيها روسيا مع أعوانها من

---

(٦٠) انظر مجلة المجتمع الكويتية العدد ٨٨٧/ الثلاثاء ٧ربيع الأول ١٤٠٩هـ/ ١٨أكتوبر ١٩٨٨م.
وانظر The Gospel and Islam حيث تضمن إجتماع مؤتمر كولاردو.

(٦١) صراع القوى ص١٥١ ، المسلمون العدد ٣٦ السبت ٢٨محرم ١٤٠٦هـ ١٢ أكتوبر ١٩٨٥م.

الكوبيين والألمان الشرقيين عسكريا منذ عام ١٩٧٧م (٦٢). وكذلك تركز الوجود السوفييتي في موزمبيق وبوسوانا وزامبيا (٦٣) .

وتقوم في **جنوب السودان** حركة غزو صليبي يقوده(جون قرنق) الذي فرض قيادته على كل الجهات المقاتلة في جنوب السودان وتبنى طرحا ماركسيا إشتراكيا على السودان بأكمله ، وجعل منطقة هجماته من داخل الحدود الأثيوبية ، وسمى حركته الجيش الشعبي لتحرير السودان (٦٤). وهذا يجعل حركته خطيرة جدا ومن التحديات التي تشترك فيها الصليبية والشيوعية التي تعارض أي نظام إسلامي بل وتخشاه ، وكانت المشكلة قد بدأت عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م واتخذت بعدا جديدا على يد الشيوعية التي انتصرت في أديس أبابا .

وقد اجتمع محمد عثمان الميرغني زعيم الحزب الإتحادي الديمقراطي مع جون قرنق زعيم حركة التمرد في أديس أبابا ، واتفقا يوم ١٧نوفمبر ١٩٨٨م على : (٦٥)

١- إلغاء القوانين الإسلامية(قوانين سبتمبر ١٩٨٣م) تلك التي سنها جعفر النميري الرئيس السابق. والتي جمدت بقصد استبدالها بقوانين مأخوذة من الشرع الإسلامي ، وهو الشرط الذي دخلت على أساسه الجبهة الإسلامية الحكومة السودانية .

٢- إلغاء جميع الإتفاقيات العسكرية المبرمة بين السودان والدول الأخرى. (مثل اتفاقيات الدفاع المشترك مع كل من مصر وليبيا) .

٣- تجميد القانون الجنائي الإسلامي الجديد وعدم إجازة مواده إلى مابعد انعقاد المؤتمر الدستوري. (وكانت الجمعية التأسيسية قد وافقت عليه بالإجماع ، فتجميده يعني خروجا على الدستور) .

كما حوى الإتفاق مطالبة جون قرنق استيعاب أكثر من ٥٠ ألف من عناصره المسلحة. ورفع حالة الطوارىء في الجنوب والذي يعني تعزيز مواقع القتال في جانب التمرد .

وهكذا اتخذت مشكلة جنوب السودان أبعادا جديدة. وقد هللت طوائف

(٦٢) صراع القوى ص١٥١.

(٦٣) الجندي - معالم التاريخ المعاصر ص٤٥.

(٦٤) الشرق الأوسط ص١ الأربعاء ٥ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥/٨/٢١م العدد ٢٤٨٥ والشرق الأوسط ص٦ الجمعة ١٩٨٥/١٠/١١م.

(٦٥) المسلمون العدد ١٩٩/ص٦.

اليسار السوداني لمبادرة الميرغني. في حين رفضها الإسلاميون (٦٦) . وهددت الجبهة الإسلامية بالإنسحاب من الائتلاف الحاكم إذا تمت الموافقة على اتفاقيات(الميرغني - قرنق) . في حين أبدى الصادق المهدي رئيس الحكومة تأييده للإتفاق !! (٦٧) .

وكمثال على أثر تغلغل الشيوعية في أقطار أفريقيا المسلمة نتكلم باختصار عن **الصومال**. القطر الإسلامي العريق في إسلامه :

فقد استقلت الصومال عام ١٩٦٠م ، من المستعمرتين : الصومال الإنجليزي والصومال الفرنسي. وأخذ العلماء ومن ورائهم غالبية المجتمع الصومالي يطالبون بتنفيذ الشريعة الإسلامية، ونبذ القوانين الوضعية[٦٨] . وتولى عبد الرشيد علي شرمارك رئاسة الوزارة ، واتسم موقفه من الأحكام الإسلامية بالتردد والمراوغة. ثم تولى منصب رئيس الجمهورية عام ١٩٦٧م بعد أن وعد بتطبيق الشريعة. واغتيل عام ١٩٦٩م ، وكان الوضع في هذه الفترة معتدلا والمجتمع محتفظا ببنيته الأصيلة ، وكان الصومال يتمتع بوضع إقتصادي لابأس به. أما الثورة التي أطاحت بعبد الرشيد بانقلاب عسكري ، فقد أدت إلى سيطرة العسكريين على الحكم. وأعلنوا أنهم جاءوا إلى الحكم لإنقاذ البلاد ، وأنهم متمسكون بمباديء الشريعة الإسلامية (٦٩) .

وبعد سنة واحدة أعلنوا أن الإشتراكية العلمية هي النظام الأساسي لاقتصاد البلاد ، في أول أعياد احتفالات الثورة عام ١٩٧٠م .

وفي عام ١٩٧١م أعلن سياد بري في خطاب له أن الثورة إشتراكية علمية بحتة. وقال : لنرفع الراية الماركسية اللينينية. وبرزت تغيرات لم تكن في الحسبان ، شملت نواحي الحياة ، وغيرت تفكير الناس وأساليب حياتهم ، وألقت عليهم جوا من الرعب (٧٠) .

فقد شنت الدولة حملة واسعة ضد المعاهد الدينية والمدارس العربية باختلاف أنواعها ، ومراحلها. وأممت جميع تلك المرافق التعليمية ، وحولتها إلى مدارس

---

(٦٦) المجتمع - العدد ٨٩٣ ص١٩.

(٦٧) المسلمون العدد ٢٠٢ ص١.

(٦٨) علي الشيخ أبو بكر ص٦٣.

(٦٩) نفسه ص٦٧.

(٧٠) نفسه ص٦٨.

حكومية. ومنها المدارس التابعة للأزهر ، ومعهد التضامن الإسلامي التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في مقاديشو (٧١). وأوقفت جميع البعثات التعليمية إلى الدول العربية . وفتح باب العلم الشيوعي ، وأخذت الأفواج تتجه إلى موسكو وبكين وهافانا وغيرها من البلاد الشيوعية ، كما أصبحت روسيا سجنا لكثير من العناصر القوية في الجيش والشخصيات البارزة حيث خطط لعمليات نفي إلى سيبريا للذين رفضوا الإشتراكية. كما استقبلت البلاد الآلاف من الخبراء الروس ، وانطلقت التوجيهات الماركسية من خلالهم. ووضعت الحكومة برنامج تربوي جديد فيه : إقرار الحروف اللاتينية ، وإلغاء الحروف العربية ، وقد كانت الأمم المتحدة قد اقترحت الحروف اللاتينية للصومال أثناء وصايتها عام ١٩٥٠م ، فرفض العلماء ذلك (٧٢). فقام النظام الإشتراكي بتنفيذه بعد سنتين فقط من تولي السلطة محاكياً أتاتورك ومحققاً المخططات الاستعمارية. وترتب على ذلك تغيير البنية في الثقافة والتعليم ومختلف وسائل الإعلام، وتم كل شيء بدون تخطيط، فقد كانت اللغة الصومالية لغة غير مكتوبة. وحاولوا تنقيتها من الكلمات العربية التي كانت تكون ٥٠٪ منها(٧٣) . وقامت الدولة ببرامج شبيهة بما قام به أتاتورك من قبل كلفت الدولة مبالغ طائلة، وأنتجت جيلاً بعيداً عن المفاهيم الإسلامية، ومنفصلاً عن تراثه الإسلامي بانفصاله عن اللغة العربية(٧٤) .

وافتتحت الحكومة معهد حلتي لتخريج كوادر متخصصة بالمذهب الماركسي ، ليتولوا الوظائف ، واستقبل أفواجا من الموظفين والطلبة والسياسيين لتلقي الفلسفة الماركسية وعقائدها (٧٥) .

وأنشأ سياد بري منظمة الشبيبة الشيوعية المعروفة باسم المنتصرين . وأصدرت الحكومة عام ١٩٧٢م مرسوما يهدم المدارس القرآنية ، بحجة أنها تؤذي منظر المدن ، وأن الحكومة ستقوم ببناء أبنية تليق بتعاليم الدين ومكانة القرآن الكريم .. ولم تف الدولة بوعودها (٧٦) .

---

(٧١) نفسه ص٦٩.

(٧٢) الشيخ عبد الرحمن النجار الإسلام في الصومال ص٩٩-١٠٠.

(٧٣) المجتمع الكويتية العدد ٥٢٨ / ٨رجب ١٤٠١هـ.

(٧٤) أبو بكر ص٧٩.

(٧٥) نفسه ص٨٥.

(٧٦) نفسه ص٨١.

وأعلنت الحكومة مناهضة الدين ، فوصفته بأنه سلاح خطير يستخدمه أعداء الثورة وأعداء الإشتراكية العلمية. وقامت الدولة بمشاريع من بينها مجموعة كبيرة من التماثيل التي تصور أقطاب الشيوعية (٧٧). وأقيمت الاحتفالات لذكرى لينين. ووصفته الصحف بالإنسان العظيم (٧٨) .

وشنت الحكومة هجوما على العلماء ـ قادة الأمة ـ واتهمتهم بالعمالة والرجعية ، والجاسوسية ، واستغلال الناس. و لم تخل خطبة من خطب الرئيس من هجوم على العلماء ، وشبههم بالقسس في أوربا (٧٩) .

وفي عام ١٩٧٥م قامت المظاهرات بقيادة العلماء مناهضة لسياسة الدولة الإشتراكية ، فنزل الجيش إلى الشوارع ، واعتقل آلافا من الرجال والنساء ، وأعدم النظام عشرة من العلماء ، وحكم على عشرات بالسجن لمدد طويلة وصل بعضها إلى ثلاثين سنة. ومن العلماء الذي أعدموا : الشيخ أحمد بن الشيخ محمد ابن حاج عثمان. بتهمة معارضة القانون الصادر من المجلس الأعلى للثورة المتعلقة بالمساواة بين الرجال والنساء في الإرث. وهكذا تكررت قصة أصحاب الأخدود في البلد المسلم ـ الصومال (٨٠) .

فقد أعلن سياد بري في عام ١٩٧٥م ـ العام الذي أعلنت الأمم المتحدة أنه عام المرأة ـ هجومه على القرآن الكريم ، وعلى أحكام الإسلام وعلى العلماء ، وهدد كل من يحاول الوقوف ضد القوانين الجديدة. وألقى خطبة في ميدان فسيح في مقاديشو يوم ١٩٧٥/١/١٣م أعلن فيه هذه القوانين :

١ـ اتخذ المجلس الأعلى للثورة قرارا بجعل المرأة الصومالية متساوية في الحقوق مع الرجل بما في ذلك المواريث .

٢ـ كان فيما مضى إذا مات رجل وترك بنته الوحيدة ، كانت العصبة تأخذ ميراثها عن والدها. ولكننا نقول : أنه بعد اليوم إذا حدث مثل ذلك ، فإن جميع مايتركه المتوفي ستأخذه البنت دون سواها .

٣ـ كنا فيما مضى نسمع عن أقوال تقول : الربع والثلث والخمس والسدس. فإننا نقول : إن ذلك لاوجود له بعد اليوم ، الولد والبنت متساويان في الإرث

(٧٧) نفسه ص٨٣.

(٧٨) نجمة أكتوبر ـ العدد الصادر في ١٩٨٠/٤/٢٢م.

(٧٩) د. حمدي الظاهري ـ قصة الصومال ص١٥٤ ط ١٩٧٧م.

(٨٠) انظر أبو بكر ص١٥٩-١٦٥.

وفي الحقوق الاجتماعية الأخرى . وتكون هذه القاعدة هي القاعدة الأساسية في المعاملة الزوجية أي أن الزوجة متساوية مع زوجها في الحقوق الزوجية والواجبات .

٤- وبإرساء هذا المبدأ نكون أول من تمكن من إرساء حق من حقوق المرأة .

وعليه أرجو لأولئك المتخلفين ومرضى العقول أن يتبعونا وأن يساووا حقوق الآدميين رجالا ونساء !! (٨١) .

وعلى أثر ذلك أصدرت وزارة العدل والشئون الدينية نشرة مفصلة حول الأحوال الشخصية بأمر من رئيس الجمهورية مخالفة تماما لأحكام الإسلام .

وكان من نتائج هذه القوانين الإشتراكية وإعدام العلماء : انحلال الأخلاق ، وتشجيع الفساد ، فعلى سبيل المثال فإن الخمر قبل الثورة لم تكن ظاهرة ، فظهرت في عهد الثورة في المطاعم والدكاكين. وانتشرت النوادي الليلية ، وأماكن اللهو التي تعمل على إفساد الشباب ، في بلد إسلامي طيب .

ومقابل ذلك ازدادت المقاومة ضد الإشتراكية وازداد كره الناس للروس ، واخذ المنحنى يعود للإسلام. والمسجد هو محور الحركة والوعي. ويشير أحد الدعاة إلى المساجد في الصومال بقوله :

« وإذا ماأحصيت مساجد الصومال ، وقارنتها بعدد السكان ، فستجدها تمثل أكبر نسبة في العالم الإسلامي ، بالنسبة لعدد السكان » .

ولاعجب في ذلك فإن الصومال البلد المسلم يعتبر حارس الدعوة في منطقة شرقي أفريقيا كلها (٨٢). فهو بلد إسلامي مئة بالمئة. وكل الذي عمله الصليبيون أثناء حكمهم أن بنى الإيطاليون كنيسة ضخمة في الجنوب في وسط العاصمة. وهي الكنيسة الوحيدة في الصومال ، وبقيت خالية حتى الآن (٨٣). فهل مثل هؤلاء يقتلع الإسلام من قلوبهم؟! ولكن هذه السياسة خلفت وراءها بعد هرب سياد بري المجاعة الرهيبة ثم الاقتتال الرهيب وحركات الانفصال والتفكك والتدخل الدولي للقوى الكبرى المباشر وغير المباشر!!

هذا وقد شمل الإستعمار الأوروبي إفريقيا كلها ولم ينج منه إلا دولتان وهما :

١- ليبيريا :

إحدى دول ساحل غربي أفريقيا، أعيد إليها بعض الأرقاء السود من أمريكا بعد تحريق الرق. وكانت البداية تأسيس مدينة (مونروفيا) عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م(٨٤)

(٨١) نفسه عن نجمة أكتوبر العدد ١٤/١/١٩٧٥م.

(٨٢) انظر الشيخ عبد الرحمن النجار - ص٨٦/ أبو بكر ص١٨٥.

(٨٣) أبو بكر ص٤٠. (٨٤) البلدان الإسلامية ص٦٤٦.

على الساحل، ثم التوغل نحو الداخل بمساعدة النصارى الأمريكان والأوروبيين على حساب الدولة الإسلامية في مرتفعات فوتاجالون في غينيا (حالياً).

وبقيت السلطة تتركز في أيدي الأمريكيين السود النصارى، رغم أنهم يشكلون أقلية ضئيلة لا تتجاوز ٥٪ من جملة السكان[٨٥]. وحرمت منها جماعة المسلمين التي تزيد على ثلث السكان. ومن أجل ذلك لم يستعمرها الأوروبيون بشكل مباشر. وقد تعرض المسلمون منذ مارس عام ١٩٩٠م لحرب إبادة قادها المتمردون على السلطة الحاكمة والوثنيون بمشاركة فعلية من بعض رجال الكنيسة. إذ يقوم المتمردون في كل قرية يدخلونها بالقضاء على الوجود الإسلامي مثل المساجد والمدارس القرآنية والفتك بعلماء الدين. والمتمردون بقيادة تشارلز تيلور الذي يصرح بذبح المسلمين لتعصبه للنصرانية. ويلقى الدعم من بعض الدول الغربية وكان لاجئاً في أمريكا من قبل.

٢- أثيوبيا :

والتي سنتناولها بالبحث في الفصل التالي.

وهذه أمثلة على بعض الحركات الإسلامية التي وقفت في وجه الإستعمار في أفريقيا، وحافظت على الإسلام في هذه القارة، وعملت على نشره، وقد اخترت حركة في شمال أفريقيا - وهي حركة جمعية العلماء الجزائريين، وحركة في غرب أفريقيا وهي حركة عثمان بن محمد فودي. وحركة في أواسط أفريقيا وهي الحركة السنوسية.

١- حركة الشيخ عثمان بن محمد فودي بن عثمان في غرب أفريقيا :

(وفودي معناها الفقيه)

ولد الشيخ عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م في قبيلة الفولاني، ببلدة طقل، وهي قرية صغيرة بأرض غوبر(جوبر) في بيت علم وفقه.

وكان مجتمعه يموج بأخلاط العقائد والوثنيات، وأنماط السلوك المتباين حتى بعد أكثر المسلمين في عقيدتهم عن طابعها وصفاتها، وخالطوا كثيرا من عادات الجاهلية والوثنية.

أولع منذ صغره بالعبادة والعلم، فتتلمذ على والده الفقيه، وعلى والدته وجدته. وغرف من كل فروع المعرفة الإسلامية، وتعدد شيوخه، وارتحل في سبيل العلم، فدرس علوم العربية، وأخذ تفسير القرآن الكريم، وصحيح البخاري، ثم تتلمذ على الشيخ جبريل بن عمر بعد أن ارتحل إلى **أغاديس** جنوب الصحراء وكان هذا من أعلام عصره بالسودان.

---

(٨٥) مأساتنا في أفريقيا ص١٠٢.

وعاد إلى بلدته طقل وأخذت شهرته في الذيوع والإنتشار وبدأ دعوته وعمره عشرون سنة .

قام بعدة رحلات في سبيل الدعوة ، وتوجه إلى عامة الناس ، وخاصتهم ، وإلى الحكام والملوك ، الذكور والإناث .

ونزع في دعوته منزعا سلميا ، فدعا إلى العمل بالكتاب والسنة ، ورد كل مبتدع. ونشر حقائق الإسلام ومفاهيمه بالحكمة والوعي السليم. وتصدى لكثير من المفاهيم الخاطئة حول العقيدة والشريعة ، وبين زيفها ، وحارب البدع والعادات الجاهلية ، ودعا بحرارة إلى التخلق بأخلاق الإسلام. وترك في ذلك أكثر من خمسين مؤلفا بالعربية والفولانية .

وقد حاول جاهدا ألا يصطدم بالسطات الحاكمة ، ولكن تجمع الناس حوله وتمسكهم بتعاليمه أثارت الحكام. فأدى ذلك إلى المواجهة. فهاجر عام ١٢١٩هـ/١٨٠٤م ، وبويع بإمارة المؤمنين وخاض المعارك لسنوات طوال وسط ظروف قاسية في عام ١٢١٩هـ إلى وفاته عام ١٢٣٢هـ/١٨١٧م . وأقام بجهاده دولة الفولاني الإسلامية وكان معه رجلان مخلصان : الوزير عبد الله بن محمد فودي شقيقه (١١٨١-١٢٤٦هـ) وابنه محمد بلو بن عثمان دان فودي (١١٩٥هـ-١٢٥٣هـ) .

وقد عاصرت دعوته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودعوة عمر مكرم في مصر ، والدعوة السلفية في الهند. ويذكر أرنولد أنه حج وتأثر بالوهابية. والأصح أن لدى الشيخ اتجاه سلفي واضح ، ولم يتمكن من الحج لاهو ولاابنه. ولكن الحركات السلفية لابد أن تلتقي لأن أصولها واحدة : الكتاب والسنة ، وأعمال السلف الصالح (٨٦) .

٢- حركة جمعية العلماء الجزائريين في الجزائر :

من الحركات السلفية التي انتشرت بين الأمة الإسلامية منذ قيام الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية .

نشأت في الجزائر بقصد المحافظة على الثقافة الإسلامية في الجزائر المسلمة ، ردا على سياسة فرنسا في الجزائر - سياسة الفرنسة - وكذلك للمحافظة على طهر

(٨٦) انظر د. حسن عيسى عبد الظاهر - الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود رقم ١٦/١٤٠١هـ/١٩٨١م. ، ابن حجر - الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٧٧-٧٨ - أرنولد - الدعوة إلى الإسلام ص٣٦٠.

العقيدة الإسلامية من الشوائب والبدع الدخيلة (٨٧) .

وكان بعض العلماء قد أسس نادي الترقي في مدينة الجزائر عام ١٩٢٦م. ومنهم الطيب العقبي الذي تلقى تعليمه في الحجاز ، وعمل زمنا مع الملك عبد العزيز آل سعود ، والبشير الإبراهيمي وكان قد تلقى دراسته الدينية في دمشق (٨٨) .

ثم أسس العلماء الجزائريون جمعية رسمية عام ١٣٤٩هـ/١٩٣١م وكأنها رد فعل على احتفال الفرنسيين لغزوهم الجزائر. واختاروا لرئاستها الشيخ عبد الحميد ابن محمد المصطفى بن باديس. ولد عام ١٣٠٨هـ/١٨٨٩م في قسنطينة من أسرة اشتهرت بالعلم والجاه ، حفظ القرآن في الثالثة عشرة من عمره ، وتتلمذ على يد الشيخ حمدان الونيسي في اللغة والدين ، وكان من أشد الناس محاربة للبدع والخرافات. رحل إلى تونس ، ودرس في جامع الزيتونة عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٨م ، ثم عاد إلى الجزائر بعد أربع سنوات ، ودرس في مساجدها. سافر للحج عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م وزار سوريا ولبنان ومصر ، والتقى بعلماء هذه البلدان. وعاد إلى الجزائر وأخذ في العمل الإسلامي منذ عام ١٩١٤م. إلى أن انتخب رئيسا للجمعية .

وقد وزع العلماء جهدهم ليشمل أقاليم الجزائر ، فابن باديس في قسنطينة حصن الجماعة ، والطيب العقبي في الجزائر ، والبشير الإبراهيمي في وهران، وأصبح رئيس الجمعية بعد وفاة ابن باديس عام ١٩٤٠م .

وقفت الجمعية في وجه سياسة الإدماج ـ الفرنسة ـ وأسس العلماء جمعيات وحلقات دراسية بعضها في فرنسا ذاتها بين العمال ، وأنشأوا مساجد خاصة. وأقاموا مدارس إبتدائية لتعليم القرآن الكريم وإعطاء الدروس في مختلف المدن عن الشريعة الإسلامية والأحكام والتاريخ ، وتدريس أصول العربية وقواعدها. وشجعوا طلابهم على الإرتحال في طلب العلم إلى جامع الزيتونة والأزهر وغيرهما من الجامعات في العالم الإسلامي طلبا للدراسات العليا .

وكان الأطفال في المدارس الإبتدائية يستهلون يومهم بنشيد:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب .

وقد حاربت الجمعية الطرقيين بلاهوادة ، فوقفوا مع السلطات الفرنسية في وجهها ، وأخذت تضمحل ليبرز على السطح زعماء الأحزاب الوطنية المختلفة.

---

(٨٧) المدني ص١٦٥.

(٨٨) صلاح العقاد ـ المغرب العربي ص٣١٩.

وكانت فرنسا قد وصفتها بالوهابية الجديدة (٨٩) .

الحركة السنوسية في ليبيا :

ومؤسسها السيد محمد بن علي السنوسي من أصل جزائري ، ولد في مستغانم بالجزائر حوالي عام ١٧٨٧م ، في أسرة علمية ، وتحظى بالاحترام .

وأقبل على العلم منذ حداثته ، وأدرك حاجة المجتمع الإسلامي إلى الإصلاح ، فانتقل إلى فاس حيث مسجد القرويين ، وأقام سبع سنوات يطلب العلم ثم يدرسه. ثم رحل إلى قابس في تونس ، وطرابلس وبني غازي في ليبيا ، ثم القاهرة حيث أقام فترة في الأزهر ، ثم توجه إلى الحجاز للإلتقاء بالمسلمين من شتى أنحاء العالم. وبقي في الحجاز من ١٨٣٨-١٨٤٠م. حيث أدى فريضة الحج ، وتأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حيث كانت نهاية الدولة السعودية الأولى آنذاك. ثم توجه بعد ذلك إلى مصر فطرابلس. ولم يتوجه للجزائر لسطوة الإستعمار الفرنسي .

وفي عام ١٨٤٣م أنشأ الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر في إقليم برقة بليبيا فكانت أم الزوايا السنوسية. ونقل ثقل مركزه إلى واحة جغبوب في صحراء ليبيا عام ١٨٥٦م ، مركز القوافل ، فأصبحت أكبر مركز علمي في شمال أفريقيا بعد القاهرة. واتخذ أسلوب بناء الزوايا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لنشر دعوته. مثل برقة وطرابلس والسودان ومصر وعسير ، فاستطاع أن يوجه التصوف إلى العمل والجهاد. كما فعل محمد المهدي في السودان .

وفي آرائه كثير من آراء محمد بن عبد الوهاب ، من ضرورة الرجوع إلى الإسلام في بساطته الأولى ، وتنقيته من البدع ، وإن كانت تقوم على أساس آخر من التصوف الذي أنكره ابن عبد الوهاب .

وقد حملت الحركة السنوسية راية الجهاد ضد الغزو الاستعماري ، في شمال أفريقيا. وكونت جيلا نشر الإسلام في أنحاء أفريقيا عن طريق التربية وبناء شخصية المسلم وبناء المجتمع الإسلامي. فكانت الزاوية تضم مسجدا ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، ومعهدا لتدريس العلوم الإسلامية ومساكن للطلاب الغرباء ، ومكتبة علمية وقد ضمت زاوية جغبوب حوالي ثمانية آلاف مجلد في الفقه الإسلامي والتاريخ وتفسير القرآن الكريم والأدب (٩٠) .

---

(٨٩) انظر صلاح العقاد - المغرب العربي ص٣١٩ ، ٣٢١، عمار الطالبي - ابن باديس - حياته وآثاره ج١ ط الجزائر دار الشركة الجزائرية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٩٠) انظر صلاح العقاد - المغرب العربي - أنور الجندي : العالم الإسلامي ص٢٦١-٢٦٧.

الفصل الثالث

القرن الإفريقي
«اثيوبيا وارتيريا»

القرن الإفريقي : المكان الذي يلتقي عنده البحر الأحمر ، والمحيط الهندي ، لأنه يشبه الرأس حيث يشكل البر مثلثا عند هذا المكان . ويشمل : أراضي الصومال ، وجيبوتي ، واريتريا واثيوبيا ، وكينيا .

وصله الإسلام في القرنين الهجريين الأول والثاني ، عن طريق الدعوة المباشرة ، وبواسطة الدعاة والتجار ، وهجرة العرب المسلمين ، وتزاوجهم واختلاطهم بالسكان الأصليين .

اثيوبيا :

تقع في القسم الأوسط الشرقي من قارةأفريقيا. تحدها السودان من الغرب والشمال ، وأرتيريا وجيبوتي من الشرق ، وكينيا من الجنوب ، والصومال من الجنوب والجنوب الشرقي .

وتبلغ مساحتها مع مااستولت عليه من أراضي المسلمين : ١ ٢٢٣ ٦٠٠ كم٢ .

وعدد سكانها حوالي ٤٣ مليون نسمة. ينتسبون إلى ثلاثة أجناس رئيسية . جنس عربي نسبا ولغة هاجر إليها بعد الفتح الإسلامي ، وجنس من نسل العرب الذين هاجروا إليها قبل الإسلام يضرب إلى البياض ، دقيق الأنف ، مستدير الوجه ، متناسق التقاطيع ، رقيق الشفاه ، سبط الشعر ، معتدل القوام. وهذا هو العنصر الغالب. وجنس أخير ينتمي إلى الجنس الزنجي ، حالك اللون ، تسرب إلى هذه البلاد من أواسط أفريقيا. فهي تمثل نقطة امتزاج العناصر السامية والحامية (١) .

وقد مثل المفكرون إثيوبيا بسفينة نصرانية ، وسط محيط إسلامي ، فبسط لها الصليبيون المستعمرون يد الحماية، ومنحوها التأييد ، وأشركوها في الغنيمة التي حازوها من ديار الإسلام ، فأضافوا إليها مساحات واسعة من الأرض الإسلامية

---

(١) أبو بكر ـ الدعوة ـ ص٢٠٥.

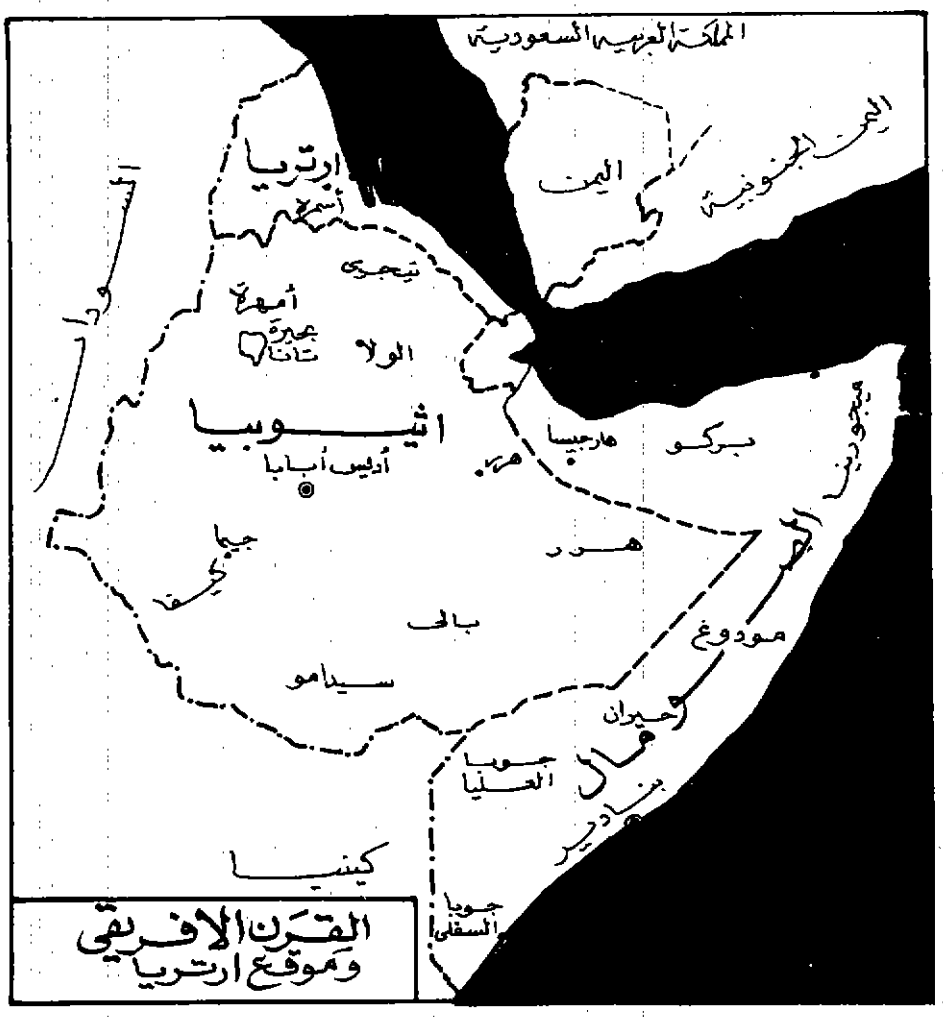

مثل :

أريتريا ومساحتها ٣٢٠ ١٢٤ كم٢ .

وهرر ومساحتها ٨٠٠ ٢٥٤ كم٢ .

وبالي ومساحتها ٣٠٠ ١٢٨ كم٢ .

وسيدامو ومساحتها ٧٠٠ ١١٦ كم٢ .

أي أنها أضافت إليها من ديار المسلمين مايعادل ٥١٪ من مساحتها الكلية تقريبا. فتمكنت بذلك من الوصول إلى البحر الأحمر بعد أن كان يحيطها من الجنوب والشرق مايسمى بممالك الطراز الإسلامية .

وأثيوبيا في حقيقتها بلاد إسلامية ، تحكمها أقلية نصرانية متعصبة ، تشربت

الحقد على المسلمين بفعل الصليبيين الأوروبيين ، إذ يمثل المسلمون أكثر من ٦٠٪ من سكانها عامة (٢) مقسمة إلى مقاطعات ، والمقاطعات إلى أقسام إدارية ، يحكمها حكام ليس فيهم مسلم واحد ، كما يعاني المسلمون من أسوأ تمييز عنصري في التعليم ، فحقوقهم مهضومة من جميع الجوانب ، واحتلت الكنيسة القبطية أراضيهم تدريجيا حتى وصلت إلى ٩٠٪ من المساحة الكلية للأراضي الزراعية في أثيوبيا .

وعاصمة أثيوبيا اليوم أديس أبابا ولغتها الرسمية هي الأمهرية (٣) ، وأثيوبيا كلمة يونانية تعني الوجه المحروق أو صاحب الوجه الأسود وهي تشمل جميع الأفارقة السود ، وكانت سلطة النصارى لاتتجاوز الأمهرا وشوا وجوجام ، وأطلقوا عليها اسم أثيوبيا في عهد الملك(يكونو أملاك) سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م الذي ربطت الكنيسة نسبه بسليمان عليه السلام بأسطورة تستنكرها المصادر التاريخية والدينية ولكن الدول النصرانية دعمت هذه الدولة النصرانية وهذه الفكرة. وتخلت عن كلمة الحبشة (٤) لاعتقادها أنها تعني الإختلاط ويوحي بانتفاء الأصالة والتماسك عنها ، وذلك لتبرر مخططاتها التوسعية لإخضاع شعوب البلدان المجاورة. فقد أمر الملك يوحنا بتعبئة عامة ثم أعلن حربا صليبية على المسلمين وقد وصفه غوردون باشا فقال :

« إنه مثلي متعصب في الدين ، إنه يشعر أنه يحمل رسالة ، وأنه سوف يحققها ، تلك الرسالة هي أن ينصر جميع المسلمين » (٥) .

وأما خلفه منليك (١٣٠٧-١٣٣٢هـ) (١٨٨٩-١٩١٣م) مهندس التوسع الأثيوبي وصاحب التوسعات فقد كتب إلى جمعية بريطانية يحضها على مساعدته

---

(٢) ويقال أن نسبتهم تبلغ ٧٠٪ من مجموع سكان البلاد ، أخبار العالم الإسلامي الاثنين ١٨ رجب ١٤٠٥هـ/ أو ٧٥٪ ، أبو أحمد الأثيوبي ـ الإسلام الجريح في الحبشة ط عام ١٩٦٤م ص١٢٢. والنسبة الباقية من النصارى والوثنيين وقليل من اليهود (الفلاشا) حيث قامت إسرائيل بتهريبهم إلى فلسطين المحتلة في عملية تآمرية عجيبة.

(٣) محمد عوض ـ الشعوب والسلالات الافريقية ص٢٥٠..

(٤) الحبشة والحبشات كانت تطلق على القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية عامة ومن اليمن والجنوب العربي خاصة في القرن السابع ق.م. وقد قامت مملكة الحبشة (اكسيوم) في هضبة تيجراي المجاورة لاريتريا (انظر : فتحي غيث ص٣٩-٤٠) انظر : حسن محمود ـ الإسلام والثقافة العربية في افريقيا.

(٥) ترمنجهام ص١٢١ ، التبشير والاستعمار ص٢٤٥.

قائلا :« إن زيلع وعدن تقع تحت أيدي المسلمين ولا أستطيع الإقتراب منها » .

وسرعان ماوجدت عبارته تجاوبا في الدوائر السياسية والكنسية الأوروبية ، واشترك في مؤتمر بروكسل عام ١٨٩٠م لتقسيم أفريقيا ، فحصل على الدعم السياسي والمادي وبخاصة الأسلحة الحديثة التي حسمت الأمر لصالحه في نهاية الأمر (٦) ، وخاصة من بريطانيا التي منحت منليك أوجادين(من الصومال) سنة ١٨٩٩م ، نظير معاونة أثيوبيا العسكرية لبريطانية في إخماد الثورة المهدية بالسودان (٧). كما قدمت منطقة هود الصومالية هدية أخرى للحبشة عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م. عدا أريتريا وغيرها من الأقاليم الإسلامية. وكما زعمت الصهيونية أن لها حقا تاريخيا في فلسطين فقد زعمت أثيوبيا أن لها حقوقا تاريخية . وقد أعلن رئيس وزرائها في خطابه أمام مؤتمر تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م أن أثيوبيا استمرت ثلاثة آلاف عام في الماضي وأن حدودها كانت تمتد إلى البحر الأحمر وسواحل المحيط الهندي ، بينما لم تكن هناك دولة تسمى الصومال. وهذا الإدعاء هو الذي وصفه مارجري برهام في كتابه الشهير أثيوبيا عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م بأنه إدعاء يمثل إهانة للتاريخ وتجاوزا للحقائق التاريخية وتجاهلا للواقع السياسي والديني ، فإن الحقائق التاريخية تقول أن الأحباش النصارى لم يكن الجنوب بالنسبة لهم يصل حتى نهاية القرن التاسع عشر إلا لتخوم مملكة أكسيوم بالقرب من حدود أريتريا شمالا. بل أن العاصمة أديس أبابا لم تكن لهم إلا في نهاية ذلك القرن ، وماجاء توسعهم إلا تحت حماية وتشجيع الدول الأوروبية النصرانية (٨) .

ومن أشهر الأقاليم الإسلامية التي ضمتها - **إقليم هرر** الشهير وفيه مدينة هرر عاصمة الإسلام ومدينة العلم والمآثر والمساجد ومركز الإشعاع لشعوب القرن الإفريقي المسلمة. أنشأها التجار العرب المسلمون في القرن الأول الهجري وسطع نجمها كحاضرة إسلامية للممالك والإمارات الإسلامية التي تعاقبت عليها ، وقد خضعت للحبشة سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م وحول جامعها إلى كنيسة في عهد

---

(٦) صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي ص٦٥. علي الشيخ - الدعوة الإسلامية ص٢١٨ ، وقد حصلت الحبشة على الأسلحة النارية الهائلة وهدايا ثمينة بموجب مؤتمر بروكسل هذا ، مكنها من التسلط على أراضي المسلمين.

(٧) نفسه ص١٢١.

(٨) صراع القوى العظمى ص٧٢-٧٣.

هيلاسي لاسي بمساعدة الأوروبيين (٩) .

ولم تقف هرر مكتوفة الأيدي أمام التآمر الصليبي ، فقد قام العلماء بواجبهم في مواجهة الإستعمار الإنجليزي والإيطالي بعد انسحاب القوات المصرية من هرر(بأمر من الإنجليز الذين أخضعوا مصر عام ١٨٨٢م) . وتزعمهم الشيخ محمد عبد الله حسن الذي حمل راية الجهاد ، ووقف في وجه المغريات ، التي رفضها ، ومن بينها إعطاؤه منطقة خاصة به ، تعترف الدول المستعمرة بها دولة ، هو على رأسها. ولما فشل الإنجليز في إغرائه أشاعوا عنه : أنه أعلن عن نفسه أنه المهدي عام ١٨٩٩م ، ولقبه الإنجليز **The Mad Mullah** (١٠) وتتالت الإشاعة حتى عرف بهذا اللقب ، ولايعرف الصوماليين هذه القصة أبدا ، فهي من أكاذيب الإنجليز وأساليبهم في تشويه رجالات الإسلام. وما السطان عبد الحميد المعاصر للشيخ ببعيد !! . وقد أخذ المؤرخون هذه الكلمة من التقارير البريطانية (١١) ، وقد عانى السيد كثيرا وقاسى طيلة أيام حركته التي استمرت طويلا حتى عام ١٩٢٠م. ثم توفي عام ١٩٢١م .

وقامت حركة أخرى في منتصف القرن العشرين قادها الشيخ بشير جام يوسف في منطقة برعو ، وقد أثار روح الجهاد في الصوماليين الذين فترت همتهم عن روح الجهاد بشيوخ الصوفية. إذ جمع عددا من المشايخ وأعيان الناس والتلاميذ في حفل عام أعده الشيخ ، وبعد مناقشة أخذ كوبا فوضعه أمامهم ، وطلب من الشيوخ أن يقرأوا عليه جميع الأدعية ، بل أن يقرأوا القرآن كله لكسره بدون فعل مع الدعاء ، فبقوا مدة دون طائل ، فتناول عصا غليظة وقال : بسم الله ، وضرب الكوب فهشم الكوب . وهكذا أثبت لهم ضرورة العمل إلى جانب الدعاء ، وقاد حركة الجهاد إلى أن استشهد بالفعل (١٢). فعلم الناس الجهاد بطريقة عملية .

وقضايا المسلمين في اثيوبيا كثيرة ، نتناول منها قضية أريتريا .

---

(٩) ابراهيم عبد الله ـ ماح ـ الهزيمة الثالثة ص١٠٧.

(١٠) شوقي الجمل ص٦٤٠.

(١١) انظر : أبو بكر ـ الدعوة المعاصرة في القرن الإفريقي ص١٤٣-١٤٧.

(١٢) أبو بكر ص١٤٩-١٥٠.

قضية أريتريا

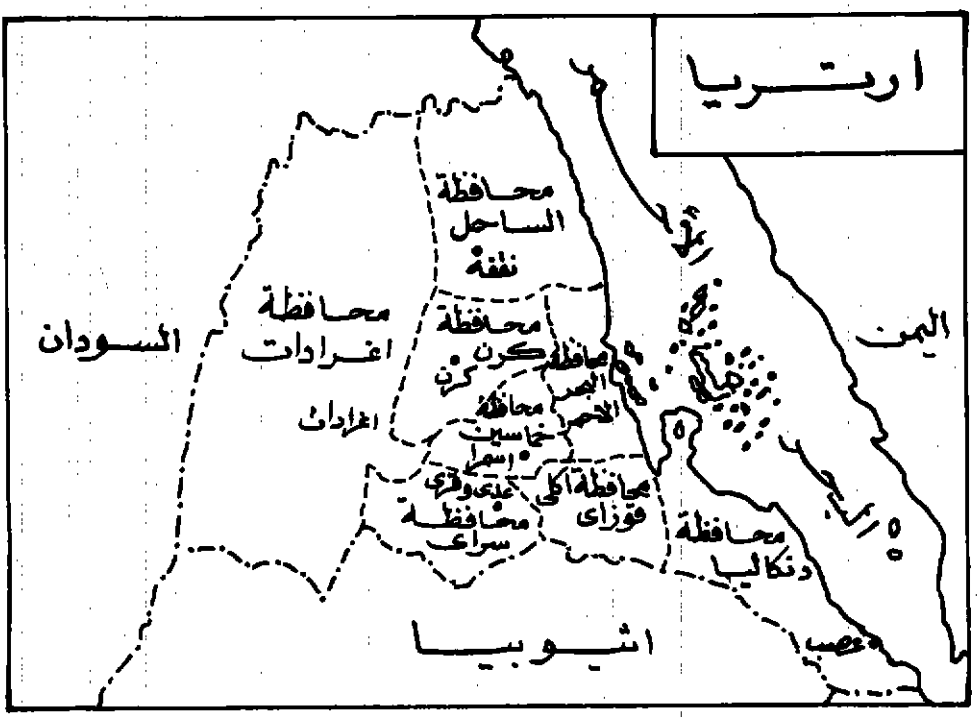

موقع أريتريا :

تتمتع اريتريا بموقع إستراتيجي ممتاز ، فهي تقع شرقي إفريقيا بين خطي عرض ١٥ ،١٨ درجة شمالا وخطي طول ٣٦ ،٤٣ درجة شرقا. ممتدة على البحر الأحمر على مسافة ١٠٠٠ كم ، ويفصلها هذا البحر عن شبه جزيرة العرب. وتجاورها السودان في الشمال والغرب ، وأثيوبيا في الجنوب ، وجيبوتي في الجنوب الشرقي ، كما تمتلك جزرا كثيرة في البحر الأحمر عددها نحو ١٢٦ جزيرة أكبرها جزيرة دهلك ، وعددا من الخلجان الهامة .

ومساحتها ١٢٤ ٣٢٠ كم٢. وكانت تعرف عند المسلمين بأسماء متعددة منها : الطراز الإسلامي (١٣) وبلاد الزيلع ، وبلاد الجبرته ، وعدل ، وأريتريا (١٤) ودعاها الإيطاليون بهذا الاسم عام ١٨٩٠م وقد اشتق من

---

(١٣) وقد ذكر المقريزي أن ممالك الطراز هي : أوفات ، ودوارو ، وأربيني ، وهدية ، وشرخا ، وبالي ، وداره ، وأعظمها أوفات (الإلمام من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص٦).

(١٤) فتحي غيث ص٤٥.

الإسم اليوناني القديم للبحر الأحمر : (سينوس ارتريوس) كما عرفت باسم ميدري بحري أي البلاد المطلة على البحر ، وسمي حاكمها(بحر نجش) أي ملك الأقليم المطل على البحر ، كما عرفت باسم بلاد(البوغوص) ، وأطلق عليها ميدري جبلتي أي أرض الأحرار (١٥) .

وهي تقسم إلى الأقسام الطبيعية التالية :

١ـ السهول الساحلية والغربية : والساحلية منها تطل على البحر الأحمر ضيقة في الشمال ومتسعة في الجنوب (١٦). وتضم مقاطعات : كرن ، بركة ـ الساحل. وتقوم فيها الزراعة وتضم ٥٤٪ من المساحة الكلية و٣٣٪ من مجموع السكان .

٢ـ الهضبة : وهي تنحدر ببطء شمالا إلى محافظة كرن حتى يبلغ انحدارها اقصاه في منطقة طوكر في السودان ، بينما تنحدر انحدارا شديدا إلى السهول الساحلية. وتضم مقاطعات سراي ، اقلي قوازي ، حماسين وتضم ٤٦٪ من المساحة الكلية ، و٥٦٪ من مجموع السكان .

وأسمرة هي عاصمة أريتريا وتقع في الهضبة بمديرية حماسين. ومن أشهر مدنها الأخرى : عصب ومصوع. وقد اختفت معظم المدن والمراكز والقرى ، وأصبحت مهجورة من جراء القصف الأثيوبي المستمر بالطائرات والمدفعية الثقيلة الذي يهدف إلى إجبار المواطنين على ترك أراضيهم (١٧) .

ويزيد السكان على أربعة ملايين نسمة حسب تقديرات جبهة التحرير الأريترية ، ٨٠٪ منهم مسلمون. والباقي من النصارى الأقباط ، ولغتهم الرسمية العربية والتجرينية. والعربية هي لغة الثقافة بالنسبة للمسلمين منذ عهد بعيد (١٨). وترجع الأصول العرقية للسكان إلى أصول عربية وأخرى أفريقية ، نشأت من هجرات القبائل النيلية .

دخول الإسلام إلى اريتريا والحبشة :

إرتبطت أريتريا والحبشة إجمالا باليمن في تاريخها ارتباطا كبيرا فقد كانت اليمن مصدر هجرات العرب إلى الحبشة التي اكتسبت لسانها السامي الحالي. ومن أرجح

(١٥) انظر فتحي غيث ص٣١٧/ مجلة العربي محرم ١٣٩٨هـ.

(١٦) انظر : سعودي ـ افريقيا ص٢٧٠.

(١٧) حامد صالح تركي ـ اريتريا ص٢٣.

(١٨) فتحي غيث ص٥٩/ مجلة العربي محرم ١٤٠١هـ/ المسلمون في العالم ص١١٨.

الدراسات أن اسم(الحبشة) أو(الحبشات) بدأ يطلق على القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية عامة ، ومن اليمن خاصة في القرن السابع ق .م. حيث أخذت هذه القبائل التي جاءت عبر البحر الأحمر تختلط بالسكان المحليين وتنشيء الإمارات (١٩) .

ومن أقدم الممالك الحبشية (٢٠) **مملكة اكسيوم** في هضبة تيجراي (أقامها العرب اليمنيون) ظهرت في القرن الأول الميلادي واتخذ ملكها عيزانا(أذينة) لقب نجاشي أي ملك الملوك واعتنق المسيحية على مذهب كنيسة اليعاقبة في مصر على يد الشقيقين(فروفتيوس) و(ايديسيوس) عام ٣٥٠م. وقد تمكنت هذه الدولة من احتلال اليمن وحاولت هدم الكعبة تعصبا للنصرانية عام الفيل الذي شهد مولد رسول الله ﷺ ، وبعد بعثة الرسول الكريم ﷺ أذن للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة وأكرم النجاشي(أصحمة) وفادتهم وكان أول من أسلم من أهل هذه البلاد وعندما راسل ﷺ الملوك والأمراء سنة ٦هـ. أرسل كتابا إلى نجاشي الحبشة . كما أسلم بعض أهالي الحبشة بدعوة المهاجرين للإسلام ، بدليل إعجاب بعضهم بالمسلمين بعد عرض حقائق الإسلام أمام النجاشي (٢١) .

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (**٢٤-٣٥هـ**) توغل عبد الله بن أبي السرح والي مصر ، في إقليم البجة ، وعقد الصلح مع أهلها ، فتحركت دعوة الإسلام وسط قبائل البجة، حيث أصبح إقليم البجة الممتد من جنوب أسوان في مصر إلى جزر دهلك يضم إمارات إسلامية بعد ذلك على الساحل حسب ازدياد إسلام القبائل التدريجي عن طريق احتكاك السكان بالتجار المسلمين والدعاة ، وازدياد هجرة المسلمين إلى جزر دهلك والسواحل من العلماء والتجار والشعراء. وركز المسلمون وجودهم في دهلك عام ٨٤هـ ، في عهد عبد الملك بن مروان ، (٦٥-٨٦هـ) وفتحوا شاطيء مصوع وعدوليس ، وبنوا القلاع والحصون ، وأمنوا الطرق للتجارة ، فازدهرت التجارة ، وازدادت هجرة المسلمين إلى تلك المنطقة ، وانتشر الإسلام عن طريق الدعوة والتجار والمصاهرة ، وامتد نفوذ المسلمين بمن أسلم من أهل البلاد ، فأسسوا مدينة هرر في الصومال في القرن الأول الهجري ، حيث أصبحت مركزا إسلاميا هاما في القرن الإفريقي .

---

(١٩) حامد صالح تركي ص٣٩.

(٢٠) فتحي غيث ص٣٩.وانظر تفصيل عن هذه الدولة : جواد علي - المفصل - ج٣ ص٤٥١.

(٢١) ابن هشام - السيرة - ج١ ص٣٣٥ ومابعد.

وفي عهد الخلافة العباسية تتابعت هجرة المجموعات الإسلامية إلى سواحل القرن الإفريقي بما فيه اريتريا ، وتتابع إسلام أهل البلاد من النصارى والوثنيين ، وزاد الإختلاط بين المسلمين القادمين والسكان الأصليين ، بالمصاهرة والتعايش ، ونمو العلاقات التجارية. وكان للخليفة هارون الرشيد العباسي (١٧٠-١٩٢هـ) إهتمام خاص بساحل إفريقيا الشرقي فدفع الكثير إلى الهجرة إلى هناك. وظلت الهجرات العربية تتدفق طوال العصور الوسطى طلبا للاستقرار أو التجارة أو الدعوة. ثم وصل الإسلام الحبشة عن طريق أريتريا. فقد سلك الإسلام إلى الحبشة طريقين :

الأول : من مصر مخترقا البحر الأحمر في السفن أو محاذيا ساحله في البر مخترقة ديار البجة متجهة إلى أريتريا حيث قام البجة الذين امتدت ديارهم من شمال الحبشة حتى حدود مصر بدور الوسيط في المبادلات التجارية بين مصر الإسلامية والحبشة كما انتشرت القبائل العربية هناك من بلي وقيس عيلان وجهينة وأولاد كاهل وهلال ، وبني عامر واختلطت بالبجة وصاهرتهم فانتشر الإسلام بينهم منذ القرن الأول الهجري كما آوت جماعة من الأمويين إلى أرض البجة وأقامت فيها فاصطبغت البجة بالصبغة العربية الإسلامية وأخذوا يمدون الإسلام إلى الحبشة عبر أريتريا (٢٢). يقول المسعودي :« وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن مضر بن عدنان ، فاشتدت شوكتهم ، وتزوجوا في البجة ، فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة ، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار(ممن سكن تلك الديار) (٢٣) .

الثاني : الطريق بين بلاد العرب والحبشة عبر البحر الأحمر فوجدت جماعات إسلامية قوية في دهلك وسواكن وباضع وزيلع وبربرة ، وامتدت الدعوة إلى داخل الهضبة الحبشية ، واعتنق كثير من السكان الإسلام ، وتحملوا مسئولية الدعوة ، وبرز منهم علماء وفقهاء ، ومحدثون ، وأثمرت الدعوة قيام إمارات إسلامية ، كانت أولها : إمارة **شوا** ، قامت في الجزء الشرقي من إقليم شوا في القرن الثالث الهجري ، واستمرت حتى نهاية القرن السابع الهجري. وقد أسسها بنو مخزوم. وقد سادت النطاق الأوسط من الهضبة الحبشية ، وإليها يعود فضل وصول الإسلام إلى قلب الهضبة ، وإلى حوض النيل الأزرق .

---

(٢٢) حسن محمود - الإسلام والثقافة العربية ص٢٠. وانظر ابن بطوطة ج١ص٢٧٨-٢٨٤.

(٢٣) المسعودي - مروج الذهب ج٢ ص١٨.

واشتهرت السلطنات الإسلامية السبع التي عرفت بسلطنات أو ممالك الطراز الإسلامي التي اتسمت بالطابع السلمي والتجاري بعد ضعف الدولة العباسية وانحسار نفوذها عن القرن الإفريقي وزاد ارتباطها بالعالم الإسلامي عن طريق الحج والتجارة ، وانتقال طلاب العلم للدراسة في المدينة المنورة ، ودمشق ، والقاهرة ، وبغداد ، كما شجع حكام هذه الإمارات تعلم القرآن الكريم ، وبناء المساجد ، بفضل توافد العلماء والدعاة المسلمين ، ووجود المراكز التجارية .

واشتهر من هذه السلطنات : ممكلة **ايفات** التي برزت أقوى ممالك الطراز السبع ، وكانت نصيرا أساسيا للمسلمين ، قادت حركة الجهاد ضد النصرانية الأمهرية ، إلى أن قضى عليها الإمبراطور(عمد أصيون) عام ٧٢٩هـ بسبب تفكك المسلمين. فانتقل عبء الجهاد اثر ذلك إلى مملكة **عدل** الإسلامية التي اتخذت منطقة هرر مركزا لها. وكان ملوك النصارى(الأمهرة) يقومون بغارات مستمرة على هذه الممالك واستعانوا بالصليبيين الأوروبيين ، وخاصة البرتغال (٢٤). في الوقت الذ كانت تجد فيه ممالك الطراز دعما إسلاميا من سلاطين المماليك في مصر وخاصة زمن السلطان قلاوون ، وزمن الدولة العثمانية .

ومن أشهر من قاد الصراع الإسلامي ضد الصليبية الأمهرية والبرتغال الشيخ أبو عبد الله الزيلعي ، وجمال الدين عبد الله بن يوسف ثم برز **الإمام أحمد بن ابراهيم** أمير عدل الملقب بالقرين أو الأشول الذي اجتاح مملكة الحبشة بأسرها (٩٣٥-٩٥٠هـ) (١٥٢٨-١٥٤٣م) بمساعدة الدولة العثمانية واستطاع أن يقتل كريستوفر دي جاما ابن المكتشف المشهور عام ٩٤٧هـ/١٥٤١م بوادي الدناكل في أريتريا .

وقد توالت الإمدادات البرتغالية للنصارى فاستشهد الإمام أحمد عام ٩٤٩هـ/١٥٤٣م. متأثرا بجراح أصيب بها ومع ذلك فقد استقرت دعائم الإسلام في جميع أجزاء الحبشة (٢٥)(وخاصة بين قبائل الجلا) ولكن احتل البرتغاليون شواطيء أريتريا وفي الوقت نفسه شقت قبائل الجالا الزنجية المسلمة طريقها إلى قلب الهضبة الأثيوبية حيث لاتزال الأماكن التي استوطنوها باقية إلى الوقت الحاضر. وقد واصل أتباع الإمام حركة الجهاد ، وقادها من بعده الوزير عباس ، ثم نور بن مجاهد بعده .

---

(٢٤) فتحي غيث ص٣٩.

(٢٥) أرنولد ص١٣٨ ، انظر حسن محمود ص٤٦١-٤٦٢ ، فتحي غيث ص١٥٤.

وتمكن الأسطول العثماني من هزيمة البرتغاليين سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م . بقيادة سنان باشا فاستولى العثمانيون على مصوع وسواكن وباقي سواحل البحر الأحمر وطردوا البرتغاليين إلى غير رجعة. فحفظوا للقرن الإفريقي إسلامه. وبقيت البلاد من ديار الإسلام بما فيها أريتريا . وتكونت ولاية الحبش التي أشرفت على مناطق الحبشة وأفريقيا ، تابعة لوالي الحجاز. وكان لها أثر كبير في رسوخ الإسلام وبقائه أمام التيار الصليبي الذي اتخذ من الحبشة قاعدة له. وكانت جدة هي قاعدة باشوية ولاية(الحبش) (٢٦) .

واستمر الحكم العثماني لأريتريا حتى سنة **١٢٦٣هـ/١٨٤٦م**. حين انتقلت إلى حكم والي مصر محمد علي باشا وبقيت تابعة للإدارة المصرية إلى عام **١٢٠٣هـ/١٨٨٥م** حين احتلتها إيطاليا .

إستقر الإسلام في أريتريا والحبشة وكان المسلمون أكثر حيوية ونشاطا من النصارى إذ التزم كل مسلم بتعليم أولاده القراءة والكتابة في الوقت الذي كان فيه أبناء النصارى لايتعلمون إلا عندما يزمعون القيام بأعمال الكهنوت (٢٧). فتقدم الإسلام ، وملك المسلمون ناصية التجارة ونعموا بأملاك واسعة وسيطروا على مدن كبيرة وأسواق هامة وظفروا بنفوذ قوي على جمهرة الناس ، وقد لوحظ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أنه عندما يراد شغل منصب من المناصب التي تتطلب أمانة في الحبشة كان يقع الإختيار دائما على شخص مسلم .

وحدث عام **١٢٩٦هـ/١٨٧٨م**. أن اشتدت الهجمة الصليبية على مسلمي الحبشة فعقد الملك جون مجمعا ضم رجال الكنيسة الحبشية وقرروا الإقتصار على دين واحد في جميع أنحاء المملكة فألزم المسلمين بالتسليم في خلال ثلاث سنين والوثنيين في خلال خمس سنين ثم تخلى عن ذلك وأذاع بعد أيام انذارا لكل الموظفين المسلمين أن يختاروا في خلال ثلاثة أشهر بين قبول التعميد أو التخلي عن مناصبهم. وقد أدى هذا التنصير الإجباري إلى زيادة البغضاء والعداوة في نفوس الأحباش المسلمين والوثنيين نحو النصرانية (٢٨) .

---

(٢٦) شوقي الجمل ص١٨١.

(٢٧) أرنولد ص١٣٩.

(٢٨) أرنولد ص١٤١.

أريتريا في ظل الإحتلال الإيطالي
١٣٠٣-١٣٦٠هـ/١٨٨٥-١٩٤١م

يعود النفوذ الإيطالي في شرق أفريقيا إلى النشاط التبشيري في هذه الجهات وأشهر المبشرين القس(جوزيف سابيتو) من جماعة التبشير(سان لأزار) الذي وفد إلى مقاطعة تيجري عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م. واقترح أن يكون لإيطاليا ميناء على البحر الأحمر واستطاع أن يتصل فيما بعد بشيخ قبيلة رهيطة وغيره من مشايخ القبائل وزعماء الدناكل ووفق إلى استئجار جهات واسعة من خليج عصب باسم شركة(روباتينو) ورفع عليها العلم الإيطالي (٢٩) ، فاحتج رضا باشا محافظ سواحل البحر الأحمر فلم تقم إيطاليا بإجراء فعلي لاحتلال المنطقة حتى سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م أي بعد سقوط مصر بيد الإنجليز ، وتونس بيد الفرنسيين ، وأرادت إيطاليا تعويض مافاتها بالتوسع في شرق أفريقيا ، فاشترت الحكومة الإيطالية ميناء عصب من الشركة الإيطالية مقابل ٤١٦ ٠٠٠ ليرة وأصبحت ركيزة للتوسع في الساحل الإفريقي (٣٠). وبتشجيع من بريطانيا(التي كانت ترغب في أن تجاورها دولة ضعيفة مثل إيطاليا ، بدلا من دولة قوية مثل فرنسا) مدت إيطاليا سلطانها شمالا وجنوبا فاحتلت بيلول عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م بعد انسحاب القوات المصرية ثم قامت بغزو مصوع بأن سيرت سفنها الحربية عبر قناة السويس بتشجيع من بريطانيا عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م وأجبرت وكيل محافظة مصوع المصري على مغادرتها وتوغلت القوات الإيطالية فيما يلي مصوع غربا ومدت سلطانها شمالا حتى وصلت ١٠٠ ميل جنوب شرق سواكن وجنوبا حتى أصبحت المناطق التي احتلتها متاخمة لما احتله الفرنسيون ومقابلة لباب المندب .

وفي عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م. إحتلت إيطاليا كرن وأسمرة أي معظم مناطق تيجري وأصبحت بذلك تتحكم في الطرق الجبلية المؤدية إلى الحبشة (٣١) فتكونت مستعمرة أريتريا بمرسوم أصدره الملك همبرت الأول ملك إيطاليا عام ١٨٩٠م واتخذت أسمرة عاصمة لها بدلا من مصوع. وعقدت إتفاقيتين مع بريطانيا إعترفت فيها بريطانيا بدائرة نفوذ إيطالية تمتد من ساحل أريتريا وتنتهي على ساحل المحيط الهندي في الصومال الذي عرف **بالصومال الإيطالي** كما سمحت لايطاليا

---

(٢٩) الجمل ص٣٥٥/ انظر حراز رجب - التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا.

(٣٠) الجمل ص٣٥٦/ عثمان صالح سبي - تاريخ اريتريا ص١٦٢-١٦٧.

(٣١) زاهر - رياض - تاريخ أثيوبيا ص١٢٣.

باحتلال كسلا مؤقتا على أن تبقى حقوق مصر في هذا الميناء محفوظة دون مساس فاحتلته إيطاليا بالفعل عام ١٣١٢هـ/١٨٩٤م ووقع اختيار بريطانيا على الجهات المقابلة لعدن فأجبرت مصر عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م على إخلاء بربرة وبلهار وزيلع واحتلتها وكونت ماسمي **بالصومال البريطاني** والغريب أن مصر ظلت تدفع مرتب نائب القنصل الإنجليزي الذي يكلف بإدارة هذه الجهات وكذلك الاضافة السنوية التي كانت تدفعها للدولة العثمانية في مقابل ضم زيلع ومصوع وسواكن لها حتى بعد إخلائها (٣٢) ، كخطة من بريطانيا لإضعاف الخزينة المصرية كما أجبرت بريطانيا مصر أيضا على إخلاء هرر عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م وسمحت لمنليك ملك شوا بالزحف عليها فاستولى عليها ولاتزال بيد الأحباش حتى اليوم. كما غنمت فرنسا ماسمي **بالجانب الفرنسي**(جيبوتي) وأصبح هم الدول الإستعمارية بريطانيا وفرنسا وايطاليا تثبيت مناطق نفوذها في الصومال الذي أصبح ممزقا إلى أربعة أجزاء لها وللحبشة (٣٣) .

ولما هزمت إيطاليا في معركة **عدوة** عام ١٣١٤هـ/١٨٩٦م. أمام الحبشة ومن ورائها فرنسا وروسيا عقدت معاهدة بين إيطاليا وأثيوبيا أنهت الحرب واعترفت باستقلال أثيوبيا استقلالا تاما وعينت بموجبها الحدود بين أريتريا وأثيوبيا (٣٤) ، وكان مما عمق العداوة بين أريتريا والحبشة ماقام به منليك من تعذيب الأسرى الأريتريين الذين شاركوا مع الإيطاليين في معركة عدوة حيث قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .

السياسة الإيطالية في أريتريا :

لجأت ايطاليا إلى ضرب القبائل الأريترية بعضها ببعض ودفعت السكان بعيدا عن المدن والمناطق الخصبة وعملت على تهجير الإيطاليين إلى هذه البلاد واستيطانها واعتبرتهم مواطنين من الدرجة الأولى وبدأت برنامجا طويلا لغرض استثمارها بدأت تنفيذه عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م وتركزت معظم التجارة في منطقة أسمرة وماحولها ، ومدت خطا حديديا يمتد من مصوع إلى أسمرة بطول ١٢٠ كم بدأ العمل فيه سنة

---

(٣٢) وكذلك في مصوع فقد ظلت مصر تدفع الإضافة السنوية للدولة العثمانية بعد زوال كل مظهر للتبعية إلى مصر. (انظر الجمل ص٣٦١ ، ص٦٣٦.

(٣٣) صراع القوى العظمى ص٦٤.

(٣٤) زاهر - رياض - تاريخ اثيوبيا ص٣٧١. / الجمل ص٣٧١.

١٣٠٦هـ/١٨٨٨م وتم عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م. واستخدمت الأريتريين في المشاريع بطريق السخرة . واتجه المستعمرون إلى الإنتاج الزراعي ولذا عجزت المستعمرة عن أن تكون سوقا للمنتجات الإيطالية ، فأصبحت عبئا على الخزانة الإيطالية وكانت مقاومة المسلمين الأريتريين مستمرة في وجه السياسة الإيطالية الأمر الذي جعل الجيش والمستوطنين يعيشون في ذعر مستمر وقلق دائم .

وحاول الإيطاليون القضاء على الإسلام واللغة العربية ولكن المحاولة لم تنجح. وسخر الإيطاليون أكثر الأريتريين في التجنيد الإجباري في صفوف الجيش الإيطالي. وأرسلوا عددا منهم إلى مستعمرات إيطاليا الأخرى مثل ليبيا (٣٥). وهذا مع التفرقة العنصرية بين المجندين في الجيش ، وحرمان الشعب من حق التعليم ، ونشر الكنائس والمدارس اللاهوتية بصورة مذهلة في المدن الكبيرة. مع إهمال المساجد ، والتعليم الديني الإسلامي. كما وقفت إيطاليا إلى جانب بريطانيا في مواجهة الحركة المهدية في السودان ، وقامت بتشويه سمعة الحركة والقائم بها أمام الشعب الأريتري ، وجندتهم لمواجهتها (٣٦). وغرست الكره لقائد الحركة المهدية في قلوب الأريتريين .

أريتريا تحت الحكم الإنجليزي :
١٣٦٠هـ/١٩٤١م - ١٣٧١هـ/١٩٥٢م

وقفت إيطاليا الفاشية بزعامة موسوليني إلى جانب ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية فاتجه الحلفاء بكل قواهم لمساعدة أثيوبيا التي استولى عليها موسوليني ، وكان موسوليني في سياسة منه لاستمالة المسلمين في أثيوبيا قد صرح ببناء المساجد ، فأعادوا إصلاح وترميم المساجد الموجودة في المدن الإسلامية القديمة مثل مصوع وغيرها من المدن الساحلية ، وقاموا ببناء مسجد أديس أبابا الكبير ، وبنوا المساجد في مختلف المدن الإسلامية الأخرى من الأوقاف الإسلامية التي أطلق الإيطاليون لها حرية العمل ، كما قامت الحكومة بتعيين القضاة الشرعيين لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وأدخل تدريس اللغة العربية في المدارس الإسلامية وأنشئت في(جيما) التي كانت من مراكز المسلمين العظيمة كلية دار العلوم

(٣٥) صالح حامد تركي ص١٤٤.

(٣٦) اريتريا في افريقية الإيطالية - انطباعات وذكريات - فرناندو مارتيني - ترجمة جبهة التحرير الاريترية - مطبعة دار السيرة - بيروت ١٩٧٦م.

الإسلامية للتخصص في الفقه (٣٧). وشهدت أريتريا بالذات انتعاشا في كثير من المجالات الزراعية ، والصناعية ، والتجارية. ويرجع ذلك إلى نمو بعض الصناعات القائمة على الخامات المحلية المتوفرة ، ولمرور وقت كاف على إنشائها ، وتهيئة وإعداد صناعات معينة مرتبطة بالتجهيزات العسكرية لمواجهة متطلبات الحرب التي بدأت أخطارها تلوح في الأفق (٣٨) .

ولم يكتف الإنجليز بإعادة حبشة هيلا سلاسي ولكن منحوها كل تأييد ومساعدة على اعتبار أنها مخلب القط للإستعمار الصليبي في أفريقيا واتجهوا إلى خلق منفذ لها على البحر الأحمر ، بعد أن استطاعت قوات الحلفاء ومعها هيلاسلاسي وبجهاد الفرقة السودانية من دخول أديس أبابا عام ١٩٤١م. وأعلن إيدن في العام نفسه« أن بريطانيا ترحب بعودة الدولة الأثيوبية المستقلة ، والإعتراف بحقوق الإمبراطور هيلاسلاسي في العرش ، وأن الحكومة البريطانية تقدر ماأبداه الإمبراطور من حاجة البلاد إلى المعونة الخارجية ، وترى أن مثل هذه المعونة والتوجه في الميادين الإقتصادية والسياسية يجب أن تشملها الإتفاقيات الدولية عند عقد الهدنة ، وتؤكد بريطانيا أنه ليس لها أية أطماع إقليمية في الحبشة ، وأن العمليات العسكرية التي تقوم بها القوات البريطانية سوف تتم بالتفاهم مع الإمبراطور وينتهي عملها عندما يسمح الموقف بذلك (٣٩) ». وأخذ الإمبراطور يعمل في هدوء وبراعة لكي يعيد المسلمين على ماكانوا عليه في السابق من حرمان وإهمال وظلم ويرخي عليهم ستارا كثيفا من النسيان ، يحجبهم عن العالم ، ويحجب العالم عنهم ، في الوقت الذي كان يعمل فيه على إظهار نفسه بمظهر الحاكم المتسامح بل المفرط في تسامحه ، وعاونته على ذلك أجهزة الإعلام الغربية التي تسيطر على إعلام العالم (٤٠) .

واتبع طريقة إثارة الخلافات القبلية والطائفية والعنصرية بين المسلمين ، كما عمل على توسيع أسباب الشقاق والخلاف بينهم ، وإذا لمسوا بادرة احتجاج من مسلم أنزلوا به أنواع المعاملة من تشريد وحرمان وسجن ثم اغتيال إذا استدعى الأمر ذلك ، وهذا هو الواجب الأول على الحكام الذين كان يعينهم الإمبراطور على

---

(٣٧) ترمنجهام ص١٣٧ ، ٢٧٩/ فتحي غيث ص٢٨٠.

(٣٨) حامد صالح تركي - اريتريا والتحديات المصيرية ص١١.

(٣٩) فتحي غيث ص٢٨٨.

(٤٠) نفسه ص٢٩٩.

مختلف مقاطعات الدولة (٤١) .

وسيطرت بريطانيا على أريتريا فواجهت تدهورا اقتصاديا متعمدا لسوء الإدارة البريطانية ، واضطراب الأمن ، وتشجيع عمليات الإرهاب والنهب الواسعة التي تستخدم القوة والعنف وذلك من أجل أن تعدها للضم إلى الحبشة ، فأهملت المصانع والمشروعات السابقة ، وقامت ببيع كثير من المنشآت الأريترية ، مثل قاطرات السكك الحديدية وقضبانها ، وأعمدة التليفونات الحديدية ، والمعدات الخاصة بالمشاريع الزراعية ، واستخراج بعض المعادن ، ومصانع الأسمنت ، والأحواض العائمة لإصلاح السفن. كل ذلك بحجة أنه من غنائم الحرب ، وبحجة استرداد الإعانات والديون التي في ذمة أريتريا. وعملت على إثارة الخلافات بين طوائف السكان ، وقسمت أريتريا إلى مناطق على أساس الدين والثقافة ، فجعلت اللغة العربية والإنجليزية لغتي التعليم في المناطق الإسلامية التي ضمت أغورادت ، وكرن ، ونفقه ، وجعلت اللغة التجرينية والإنجليزية في المناطق النصرانية والتي ضمت : الهضبة ، والشواطيء ، فأذكت بذلك الخلافات الطائفية ، وعمقت التفاوت من حيث المضمون في بعض المناهج الدراسية. وهذه السياسة نفسها التي اتبعتها في الهند ، وفي فلسطين ، وفي معظم البلاد الإسلامية التي وقعت فريسة للسيطرة الإنجليزية. وشجعت الأحزاب السياسية على أسس طائفية ، ثم اقترحت على هيئة الأمم تقسيم أريتريا على هذا الأساس الذي وضعته. وتركت لأثيوبيا حرية الدعاية لضم أريتريا إليها ، فبذلت أثيوبيا الأموال عن طريق الكنيسة وشجعت قيام حزب أرتيري. يؤيدها باسم(حزب الإتحاد مع أثيوبيا) كان معظم أعضائه من النصارى ، وبعض المسلمين المقتنعين بضرورة الوحدة. واتبع هذا الحزب أساليب التهديد ، والاغتيال ، والتظاهر ، والدعاية لضم أريتريا إلى أثيوبيا ، وأنشأ هذا الحزب بالتعاون مع الكنيسة القبطية ، والحكومة الأثيوبية منظمة سرية إرهابية تدعو للوحدة مع أثيوبيا ، باستُخدام وسائل الإغتيالات ، والتهديد ، وإشعال الحرائق ، ومصادرة الأموال ، وعرفت هذه المنظمة باسم(الاندينت) أي الوحدة. وأطلق عليها الاريتريون اسم(الشفتا) أي القتلة والسراق. وقامت على إرهاب المسلمين ، فكانت تقطع رؤوسهم بالسيوف بعد تقييدهم أمام نسائهم وأطفالهم ، وتصادر أموالهم ودوابهم ، وكانت تحرق المزارع ، وتترك على مسرح الجريمة خطابات ومنشورات يعلن فيها أفرادهم ولاءهم للإمبراطور(هيلاسي لاسي)

(٤١) ضحى غيث ص٣٠٢.

ويهددون فيها أعداءهم بالموت. وكانت الصحف الأثيوبية تكيل لهم المدح ، وتصفهم(بالوطنيين) . كما كانت الحكومة تمنحهم حق اللجوء السياسي ، عندما تتظاهر بريطانيا بمضايقتهم (٤٢). وهذا الدور الذي قامت به المنظمة يشبه تماما دور المنظمات الصهيونية في فلسطين ، وفي الفترة ذاتها .

فأسس المسلمون في مواجهة ذلك حزب الرابطة الإسلامية الأريترية عام ١٩٤٦م برئاسة(**بابكر الميرغني**) واختير محمد ابراهيم سلطان علي أمينا عاما له ، وهدفه إستقلال أريتريا ووحدة أراضيها ، كما أنشأت عدة أحزاب صغيرة تحالفت فيما بعد لتكون الكتلة الإستقلالية الأريترية ،وقد أنشأت هذه الأحزاب الصحف العربية والتجرينية .

قضية أريتريا في هيئة الأمم المتحدة :

فرض على إيطاليا معاهدة سنة ١٩٤٧م تنازلت بمقتضاها عن جميع مستعمراتها في أفريقيا(أريتريا - وليبيا - والصومال) وعرضت قضية أريتريا في هيئة الأمم المتحدة ، وطالبت المملكة العربية السعودية والأرجنتين بالإستقلال الفوري لها ، في حين قامت بريطانيا بمشروعها للتقسيم ، فهزمت عند التصويت عليه .

ونوقشت القضية عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م. وفاز المشروع الأمريكي ، الذي يقضي باتحاد أثيوبيا وأريتريا تحت التاج الأثيوبي على أن يكون لأريتريا حكم ذاتي ، وسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية ، ويقتصر اختصاص الحكومة الإتحادية على شؤون الدفاع والخارجية والمالية والمواصلات ، وعلى أن يضم المجلس الإتحادي عددا متساويا من الأريتريين والأثيوبيين ، يجتمع مرة كل سنة على الأقل لإسداء النصح والمشورة فيما يتعلق بشؤون الإتحاد ، وعلى أن تكفل الحكومة الإتحادية لجميع المواطنين التمتع بالحقوق والحريات الأساسية دون تمييز من حيث اللغة والدين والجنس .

وتضمن المشروع الأمريكي أيضا إيفاد مندوب من الأمم المتحدة ، بمساعدة خبراء يعينهم السكرتير العام للأمم المتحدة ، لإعداد مشروع للدستور الأريتري ، وقد صدق الإمبراطور هيلاسلاسي على نصوص الإتحاد الفيدرالي سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م (٤٣) .

وانسحبت بريطانيا ، وانطوت أريتريا تحت الإتحاد الفيدرالي ، وقد علق

(٤٢) حامد صالح تركي ص٢٠٩.

(٤٣) فتحي غيث ص٣٣٤. عثمان صالح سبي - الصراع في حوض البحر الأحمر ص٥٢.

المندوب السوفييتي على ذلك بقوله :« إن مشروع الإتحاد يعتبر زواجا ضد إدارة أحد الطرفين وأنه زواج لايسمح بالطلاق » وكان كثير من الوفود أعربوا عن تأييدهم لاستقلال أريتريا ، ولم يختلفوا إلا بالنسبة للوسائل ، وفترة الإنتظار ، ولكن الضغط الأمريكي كان شديدا فقد بذلت أمريكا جهودها للربط بين أريتريا وأثيوبيا على الرغم من معارضة الشعب الأريتري مقابل إقامة القواعد العسكرية الأمريكية في أريتريا .

خطوات التسلط الأثيوبي على أريتريا :

بعد إعداد الدستور وانتخاب الجمعية التمثيلية الأريترية ورئيساً للوزراء ، سلمت الإدارة البريطانية السلطة رسميا للحكومتين الأريترية والأثيوبية ، ورفع العلم الأريتري إلى جانب العلم الأثيوبي ، وعين النصارى في المناصب الهامة ، وكان عدد النواب في الجمعية التمثيلية ٦٨ نائبا نصفهم من المسلمين والنصف الثاني من النصارى مع أن ٨٠٪ من السكان مسلمون ، وعندما شكلت إدارة للحكومة شغلت بنحو ٩٠٪ من النصارى نتيجة تواطؤ الإنجليز مع الحكومة الأثيوبية. وبعد انسحاب القوات البريطانية ، دخلت القوات الأثيوبية واحتلت المعسكرات التي أخلاها البريطانيون (٤٤). واستولت على المطارات والموانيء ، والبريد ، والبرق ، والسكك الحديدية ، وجميع وسائل المواصلات ، والمباني ، والمؤسسات الحكومية الأريترية. وظهرت العملية بصفة احتلال مفاجيء ، وأما التبرير المزعوم فهو : أن الحكومة الأثيوبية لها صلاحيات الحكومة الإتحادية التي تشرف على المصالح العليا لطرفي الإتحاد. وهكذا فقد فرض هيلاسي لاسي نفسه رئيسا فعليا على أريتريا وتدخل في كل شأن من شئون الدولة الداخلية ضاربا بالدستور عرض الحائط ، فأوقف الصحف وحل الأحزاب والإتحاد العام لنقابات العمال ، واستولى على حصة أريتريا في الجمارك وخنق الإقتصاد الأريتري وأفقر الشعب بكل الوسائل وأغرب مافي سياسته أنه كان يساعد الإرساليات التبشيرية البروتستنتية والكاثوليكية. مع أنه أرثوذكسي متعصب وذلك نكاية بالمسلمين .

وفي عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م. اتخذت الجمعية التمثيلية قرارا بأغلبية ساحقة ، طالبوا فيه رئيس الوزراء إنذار الحكومة الأثيوبية بوجوب إعطاء الضمانات اللازمة لسيادة دستور الإتحاد ، فقدم(تدلابايرو) رئيس الوزراء النصراني إستقالته ، وكان

(٤٤) التبشير والاستعمار ص٢٤١.

رئيس حزب الإتحاد ، واستقال معه حليفه(علي موسى راداي) رئيس الجمعية التمثيلية ، وانتخب البرلمان(الذي خضع كثير من أعضائه لمؤامرات الإمبراطور) أسفها ولد ميكائيل رئيسا للوزراء ، مقابل انتخاب إدريس محمد رئيسا للجمعية التمثيلية ، ولكنه أقيل بعد عشرة أشهر لكونه من الكتلة الإستقلالية ، واستبدل به حامد فرج الموالي لأثيوبيا ،ولم تُجْدِ الإحتجاجات التي قدمها ممثلو الأحزاب السياسية في الأمم المتحدة ، **فقد استمرت أثيوبيا في عملية إلغاء الإتحاد خطوة بعد خطوة** ، وزيفت الجمعية الأريترية وأصبحت ألعوبة في يد رئيس الوزراء ، الذي عمد إلى إنزال العلم الأريتري ، وألغى الشارات الأريترية ، ومارس الإرهاب بواسطة الجيش الأثيوبي ، وتركز الأمر على محو اللغة العربية ، واعتقال القيادات الشعبية لمناهضة الإسلام مناهضة فعالة. وإزاء ذلك شكل الشعب الأريتري وفدا إلى البلاد العربية والجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة ليشرح لها مأساة أريتريا برئاسة إدريس محمد وفي عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م ، أعلنت جبهة تحرير أريتريا الثورة المسلحة وانتقلت إلى جبال أريتريا بسبعين مقاتل ، بقيادة المجاهد حامد إدريس عواتي ، ثم أخذ العدد يتزايد حتى أصبح ٤٠ ألف مقاتل (٤٥) . فكان رد الحكومة أن أعلن الإمبراطور عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م : أن أريتريا جزء لايتجزأ من أثيوبيا وأنه لن يتخلى عنها بأي حال من الأحوال (٤٦) وأصبحت أريتريا المقاطعة الرابعة عشرة من مقاطعات أثيوبيا ، وظلت الثورة مشتعلة ، وبدأت المسألة تتعقد ، وانشغلت الدول العربية عن أريتريا ، فقد كان هناك ود عميق بين هيلاسلاسي وجمال عبد الناصر ، فضعفت الأصوات التي تساعد العرب المسلمين ضد هيلاسلاسي في أثيوبيا (٤٧) ، واستغل منظمة الوحدة الإفريقية التي اتخذت مقرها أديس أبابا كطاقية إخفاء لإخفاء بشاعة أعماله ضد المسلمين في أريتريا والصومال الغربي وتيجراي وغيرها من أقاليم المسلمين في أثيوبيا (٤٨) .

ومن الجدير بالذكر أن أمريكا تعهدت بدفع كل مصاريف إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية من خزانتها الخاصة (٤٩) كما أن ٥٠٪ من مساعداتها الخارجية

---

(٤٥) مجلة العربي محرم ١٣٩٨هـ.

(٤٦) وثائق الأمم المتحدة حول اريتريا - ترجمة جبهة التحرير الأريترية ص٥٨٠.

(٤٧) أحمد شلبي ج٦ ص٧٦٠.

(٤٨) انظر مأساتنا في افريقية ص٢٤-٢٥.

(٤٩) نفسه ص٢٨.

لدول أفريقيا ذهبت إلى الحبشة وحدها لضرب الإسلام هناك (٥٠).

الثورة الأريترية وتطوراتها :

نزح عدد كبير من سكان أريتريا إلى البلاد الإسلامية المجاورة بسبب البطش الأثيوبي فقام فريق منهم عام ١٣٧٨هـ. بتنظيم حركة التحرير الأريترية في بورسودان برئاسة محمد سعيد إدريس الذي أنشأ جبهة التحرير الأريترية سنة ١٣٨٠هـ. وفي العام التالي ١٣٨١هـ/١٩٦١م أعلن حامد إدريس عواتي الثورة ضد الإحتلال الإثيوبي واعتصم مع رجاله في الجبال ، وقام العلماء وخطباء المساجد بدعوة المسلمين إلى الجهاد. وتم تزويدهم بكميات من السلاح اشترتها الجبهة من الأقطار المجاورة بأموال التبرعات. واستشهد حامد إدريس عام ١٩٦٢م فتولى القيادة محمد عبد الله(أبو طيارة) (٥١). وبدأ إنشاء الجيش بالفعل منذ عام ١٣٨٤هـ ، ولقيت الثورة دعما ماليا وعسكريا من بعض الأقطار العربية فحققت انتصارات كثيرة وسيطرت على كل الريف الأريتري .

وبدأت ريح الإنقسام بين المجاهدين. ففي عام ١٩٦٥م طبقت الجبهة تجربة الثورة الجزائرية في تقسيم الثورة حسب المناطق. فأخذت النعرة الإقليمية ، والقبلية ، تبرز بين القيادات ، وفي ظلها قفزت إلى القيادة عناصر شيوعية ، وقومية ، وعلمانية ، ونصرانية، متخطيّة المجاهدين وباسمهم. فعقدت هذه القيادات مؤتمرا عام ١٩٦٩م ، وأصدرت قرارا :« يمنع منعا باتا تناول شئون الثورة الأريترية بالأساليب الدينية ». ومحاربة كل النشرات التي تحمل هذه الصفة ، ورفع شعار :« الدين لله ، والوطن للجميع ». وتكون المجلس الثوري بدلا من المجلس الأعلى للجبهة ، وقوات التحرير الشعبية ، وقوات التحرير الأريترية ، والجبهة الشعبية وهي مجموعة إسياس أفورقي ومعظمها من النصارى وترفع الشعارات الماركسية اللينينية بصراحة .

وأخذت المنظمات اليسارية تعلن عن أهدافها ، وترفع شعاراتها ، حتى أنها اعترضت على تدريس كتب المناهج الأريترية التي طبعت في المملكة السعودية ، بحجة أن في هذه الكتب(بسم الله الرحمن الرحيم) فاشتعلت الحرب الأهلية سنة

---

(٥٠) نفسه ص٣٠.

(٥١) حامد صالح تركي ص٣١٣.

١٣٩٢هـ/١٩٧٢م (٥٢) ، واستمر الصراع الذي ذهب ضحيته العديد من الشباب المسلم الأريتري ، من جميع الأطراف وانحسر التيار الإسلامي منذ عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. حيث عقد المؤتمر التنظيمي الثاني العام لجبهة التحرير الذي أكد على : استخدام اللغة العربية ، وتوحيد فصائل المقاومة. واستخدم في وثائقه العبارات الإشتراكية . وأخذت تتقرب من الحكم الشيوعي الإثيوبي .

فأصدرت المحكمة العسكرية في أثيوبيا(نظام الدرق) في ١٩٧٦/٥/١٦م إعلانا سياسيا بشأن مستقبل أريتريا ، ويسمى :(إعلان النقاط التسع) . يتضمن عرضا للتصور الأثيوبي للقضية الأريترية. وفيه أن أريتريا إقليم أثيوبي ، والتركيز على الحزب الإتحادي والإشادة به ، والإصرار على القول : أن التخلص من نظام الإمبراطور الإقطاعي ، واتخاذ الإشتراكية طريقا للتقدم ، يزيل الأسباب الحقيقية للمشكلة الأريترية. والدعوة إلى التعاون مع القوى التقدمية في أثيوبيا لسحق القوى الأريترية الرجعية !! فأسهم ذلك في الإنشقاق بين الفصائل المتناحرة .

واستمرت انشقاقات المنظمات إلى أن توصلت الفصائل :(قوات التحرير الشعبية وجبهة التحرير الأريترية واللجنة الثورية) إلى اتفاقية للوحدة الإندماجية عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م بجهود بذلتها المملكة العربية السعودية والسودان. وأقر المجلس الوطني الأريتري عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م وثائق التنظيم تحت اسم جبهة التحرير الأريترية (التنظيم الموحد) وانتخب عثمان صالح سبي رئيسا للجنة التنفيذية للجبهة وأصدر المجلس بعد تشكيله عددا من القرارات والتوصيات أهمها:

١- عقد المؤتمر الوطني الأول للتنظيم(الموحد) في يناير(كانون الثاني) عام ١٩٨٦م .

٢- دمج الأجهزة المختلفة التي كانت تابعة للفصائل .

٣- الاهتمام بأسر الشهداء صحيا واجتماعيا وجرحى الحرب .

٤- أوصى بأهمية الحوار مع الجبهة الشعبية الأريترية وهي الجبهة التي يتزعمها اسياس أفورقي النصراني. وتشير الدوائر إلى توصل النظام الأثيوبي الشيوعي إلى اتفاق معه لإنهاء الحرب بين الفريقين لإعادة أريتريا إلى أثيوبيا ثانية ، الأمر الذي

---

(٥٢) مجلة العربي ١٣٩٨هـ/ نشرة معهد الأقليات المسلمة محرم ١٣٩٨هـ. حامد صالح تركي ص٢٧٥-٢٧٦. وانظر جريدة المدينة ١٤ جمادى الثانية ١٤٠٣هـ/ ملحق خاص عن أريتريا- مجلة الغرباء - يصدرها الاتحاد الإسلامي لطلبة اريتريا / جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ/ فبراير ١٩٨٧م ص١١-١٣.

يدعم ضرورة الإصرار على إسلامية التحرك (٥٣) .

٥- أوصى بقبول مبدأ المفاوضات مع أثيوبيا دون شروط مسبقة للوصول إلى حل سلمي عادل .

٦- تأييد منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اعتبر التنظيم الجديد الكفاح المسلح الذي بدأه حامد عواتي عام ١٩٦١م هو بداية الثورة (٥٤) .

وبرزت مشاريع جيدة لوحدة الفصائل في الثورة الأريترية (٥٥) وفي ظل الصحوة الإسلامية المعاصرة ، أخذت أريتريا تعود إلى وجهها الإسلامي المشرق ، فبرزت مجهودات من أجل توحيد الصف المسلم الأريتري ، أسفرت عن توقيع ميثاق(توحيد العمل الإسلامي الأريتري) من ممثلي الجبهة الإسلامية لتحرير أريتريا ، وممثلي منظمة الرواد المسلمين الأريترية . يوم ٢٦ شعبان ١٤٠٧هـ الموافق ٢٤ من ابريل عام ١٩٨٧م. وهذا إنجاز عملي ومبدئي لتحقيق وحدة الصف الإسلامي في أريتريا .

وقد أكد الميثاق على عدالة قضية الشعب الأريتري وحقه في تقرير مصيره ، كما أبرز بوجه خاص مسئولية الدعاة والجماعات الإسلامية في أريتريا في تحمل تبعات الدعوة إلى الله ، وتحقيق أغراضها والدفاع عنها . ودعا الميثاق إلى ضرورة إقامة إتحاد إسلامي شمولي جهادي ، ليتصدى لكل الأخطار المحيطة بالإسلام والمسلمين في أريتريا. وعبر عن تلاحم المسلمين في أريتريا مع جميع إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، والإلتزام بقضاياهم ، والإنتصار لها (٥٦) .

ومن أبرز ملامح قضية الإسلام في أثيوبيا الكفاح المشترك فكما ظهرت جبهة تحرير أريتريا ظهرت جبهة تحرير الأوجادين ، وأخرى في قلب أثيوبيا وهي جبهة

---

(٥٣) مجلة الدعوة آب ١٩٨٤م/ ٦ صفر ١٤٠٤هـ/ دفي - الهند العدد ٢٠ السنة الخامسة.

(٥٤) الشرق الأوسط ص٣ الاثنين ١٩٨٥/١/٢٨م.

(٥٥) انظر هذه المشاريع في مجلة الثورة - تصدرها جبهة التحرير الاريترية - التنظيم الموحد - العدد٣ أكتوبر ١٩٨٦ ص١٠-١١.

(٥٦) ميثاق توحيد العمل الإسلامي الاريتري / وقعه محمد اسماعيل عبده عن منظمة الرواد المسلمين الاريتريين ، وعمر الحاج رئيس الجبهة الإسلامية لتحرير اريتريا بحضور عمر الإمام نائب الأمين العام للجبهة الإسلامية القومية بالسودان وصدر بيان بعد ذلك بعنوان بيان هام غرة رمضان المعظم ١٤٠٧هـ.

تحرير التيجراي في شمال وسط الهضبة الحبشية ، وبدأت جولتها مع المجلس العسكري الحاكم في أثيوبيا ، لتؤكد طبيعة الوضع المتدهور داخل الحبشة (٥٧) .

المسلمون في أريتريا تحت ظل الحكم الشيوعي الأثيوبي

١٣٩٤هـ/١٩٧٤م - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م:

في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م قام انقلاب في إثيوبيا وأجبر الإمبراطور هيلاسلاسي على التنازل ، ثم أعلن إثيوبيا جمهورية إشتراكية ، وأعلن قادة الإنقلاب(كعادة الثورات الشيوعية) أن من مبادئهم احترام القوميات وحل مشاكل البلاد ، وخاصة مشكلة أريتريا. واتجهت الأنظار إلى الصلح ، وتقدم السودان باقتراح لوقف إطلاق النار وفتح حوار عاجل بين الجانبين. ولكن سرعان ماتبين أن قادة الانقلاب الحمر ليسوا بأقل من هيلاسلاسي وبقوى الإتحاد السوفييتي هذه المرة ، بالإضافة إلى المساعدات الأمريكية ، فقد قامت القوات الأثيوبية في ١٩٧٥/٦/٣م باجتياح أراضي العفر الإسلامية شمال شرق الحبشة بما يشبه حرب الإبادة الجماعية (٥٨) .

وكانت قد اشتدت هجمات المجاهدين الأريتريين وحرروا أربع عشرة مدينة حتى عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م و٩٠٪ من أرض أريتريا ، فاستعان المجلس العسكري الحاكم بالروس ، فعملت روسيا على إعادة بناء الجيش الإثيوبي وتحديثه ومده بالأسلحة الحديثة في ظل أضخم جسر عسكري مده السوفييت في تاريخ العالم ابتداء من الصواريخ إلى الطائرات الميج (٢١و٢٣) ، إلى الدبابات الثقيلة ، وتولت كوبا وألمانيا الشرقية مع السوفييت بناء تنظيم عسكري مواز للجيش وهو(ميليشيا الشعب الثورية التي بلغ عددها في فترة من الفترات ربع مليون مسلح) (٥٩). كما تدفقت على إثيوبيا موجات كثيفة من الجنود الكوبيين والخبراء العسكريين السوفييت وخبراء الأمن الألمان الشرقيين. وقالت التقديرات المحايدة : إن الكوبيين وصلوا إلى ٢٥ ألف جندي ، وعدد السوفييت مابين ١٥٠٠و٢٠٠٠ خبير ، وجاء نفس العدد تقريبا من ألمانيا الشرقية (٦٠) .

فتغير ميزان القوى وشهد عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م هجوما إثيوبيا ، وحملات متتابعة على مراحل لاستعادة المواقع التي خسرتها الشيوعية في أريتريا والصومال

(٥٧) جريدة الرياض ١٤٠١/٤/٢٧هـ/ جريدة المدينة ١٤٠٢/٨/٨هـ.

(٥٨) الشرق الأوسط ١٤ رجب ١٤٠٦هـ/١٩٨٦/٣/٢٤م.

(٥٩) صراع القوى العظمى في القرن الأفريقي ص١٤٥.

(٦٠) نفسه ص١٥٠.

ـ وسميت هذه العملية بعملية النجم الأحمر ـ نفذها منجستو مريام بالخبراء الروس ، وبدأت منذ أوائل عام ١٩٧٨م بغارات جوية مكثفة على مدن الصومال وعلى مواقع الثوار ، فأخرجت الصومال من القتال. حيث وقعت موسكو وأثيوبيا اتفاقية صداقة وتعاون ، لمدة عشرين سنة عام ١٩٧٨م جاء فيها : التأكيد على« مواصلة التعاون في المجال العسكري بهدف ضمان القدرة الدفاعية لاثيوبيا » (٦١). وفي الوقت نفسه لم يتوقف الأمريكيون عن إمداد إثيوبيا بالسلاح ، عبر نيروبي عاصمة كينيا ، وقاعدة ايتزون اليهودية ، حيث كانت الطائرات الأمريكية تضع حمولتها من العتاد الحربي ، ويتم نقلها جوا بطائرات يهودية إلى أديس أبابا (٦٢). كما أعطت أمريكا وعدا نهائيا للعقيد منجستو مريام في أديس أبابا في ١٩٧٨/٢/١٧م بعدم تقديم أي عون عسكري مباشر أو غير مباشر للصومال ، مادامت تسيطر على الحكم في الصومال الغربي (٦٣). (أوغادين) ، وهكذا يظهر بوضوح معاداة مايسمى الدول الكبرى للإسلام والمسلمين ، حتى ولو انخدع المسلمون وساروا في ركابهم .ـ قارن ذلك بما حصل بين تركيا واليونان في أزمة قبرص ـ وقضية فلسطين .

وكانت الفترة مابين أغسطس ١٩٧٨م وفبراير ١٩٧٩م هي أقسى فترات الحرج السياسي العسكري للأريتريين ، مثلما كانت أقصى مراحل النصر العسكري والسياسي للأثيوبيين ، فاستعاد الجيش الأثيوبي سيطرته الفعالة على أهم المناطق الأريترية المحررة وخاصة المدن الأساسية والطرق الهامة ، ودخلت الثورة مرحلة من الكمون (٦٤) من جديد يسودها الصراع الداخلي كما سبق. وكان من نتيجة ذلك تشريد أكثر من مليون أريتري معظمهم في السودان. وتشريد أكثر من مليون لاجيء صومالي إلى الصومال (٦٥) .

وخلا الجو للنظام الشيوعي الذي رسم محددات لطمس الوجود الأريتري مثل : إلغاء اللغة العربية والتجرينية ، وإجبار التلاميذ والأطفال على الدراسة باللغة

---

(٦١) أسعد غوتالي (أحداث القرن الإفريقي وحقيقة الصراع الاريتري الأثيوبي) ص٨٠.

(٦٢) علي أحمد نور (النزاع الصومالي الاثيوبي ص١٩٣ ، أبو بكر ـ الدعوة ص٢٣٠).

(٦٣) علي أحمد نور ص١٨٥.

(٦٤) صراع القوى العظمى ص١٨٢.

(٦٥) انظر أخبار العالم الإسلامي العدد ٩١٤، الاثنين ٦ جمادى الثانية ١٤٠٥هـ. ٢٥ فبراير ١٩٨٥م ، والعدد ٩٢١. الاثنين ٢٥ رجب ١٤٠٥هـ عن أوضاعهم.

الأمهرية (٦٦) ، وأسهم في حدة المجاعة التي تعانيها البلاد بل وافتعلها النظام الشيوعي في بعض الجهات الإسلامية. ومنع النظام الشيوعي وصول المساعدات إلى البائسين الجياع في إقليم أريتريا وتيجري ، وسمم الآبار في إقليم أوجادين. والغريب أن المساعدات المادية يتم تحويلها لشراء الأسلحة ، والمساعدات الغذائية يتم بيعها من قبل الجيش الأثيوبي (٦٧) في السوق السوداء. أما روسيا فقد ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية - أنها زودت أثيوبيا بأسلحة تبلغ قيمتها أكثر من ألفي مليون دولارا بينما لم تزد المساعدات الإنسانية على قيمة ثلاثة ملايين دولارا من الأرز (٦٨) .

وقد أقدم النظام الشيوعي الأثيوبي على حجز شحنات المساعدة من مواد غذائية وطبية المرسلة إلى ضحايا الجفاف والمجاعة ، ودمر المصادر الطبيعية وأحرق القرى والمزارع وشرد أبناءها. ومن أمثلة الإستيلاء على المعونات (٦٩) :

- استولت السلطات عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م على سفينة استرالية محملة بالمواد الغذائية في ميناء عصب .

- أصدرت السلطات قوانين وتعليمات في مدن أريتريا الرئيسية(التي تحت سيطرتها) تعامل الذين يلقى القبض عليهم وهم يغادرون المدن وبحوزتهم أكثر من كيلو غرام واحد من السكر أو خمسة كيلو غرامات من الحبوب كأنهم مجرمون - كمهربي الأسلحة للقوات الأريترية .

- دفعت أجزاء من رواتب الجنود الأثيوبيين بالحبوب ليتسنى بيعها بأثمان مرتفعة في السوق السوداء. فالمعونات تذهب إلى جنوب ورجال الميليشات الذين يدعمون النظام .

ونختتم هذا الفصل بفكرة موجزة عن **علاقة أثيوبيا بالدولة الصهيونية في فلسطين** :

نرى في أثيوبيا أوضح الأمثلة لتعاون الصهيونية والنصرانية والشيوعية لضرب

---

(٦٦) الشرق الأوسط ص٣/١٥جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

(٦٧) الشرق الأوسط ص٣/٢٥/١/١٩٨٥م.

(٦٨) الشرق الأوسط الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ١٤٠٥هـ/١١/١٢/١٩٨٤م العدد ٢٢٠٥. والخميس ٨صفر ١٤٠٥هـ/١/١/١٩٨٤م العدد ٢١٦٥ عن لموند الفرنسية.

(٦٩) عن تقرير دولي - الشرق الأوسط ص٧ الخميس ١٦/٩/١٩٨٥م عن مجلة الايكونومست البريطانية في عددها ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٨٥م.

الإسلام والمسلمين. فقد كان هيلاسلاسي (٧٠)(سبط يهوذا) يدعي بفخر واعتزاز انتسابه للدم اليهودي ، ويطبع على رايات بلاده ذات الأكثرية المسلمة :(أسد يهوذا) . وفي نص الدستور الأثيوبي الذي صدر عام ١٩٥٥م في المادة الثانية مايلي :« تظل السلطة الإمبراطورية متصلة في سلالة هيلاسي لاسي الأول حفيد الملك سهلا سلاسي الذي ينحدر بدون انقطاع من أسرة منليك الأول ابن ملكة سبأ والملك سليمان ملك بيت المقدس. وشخص الإمبراطور مقدس لامنافس لسلطته ولانزاع في حكمه ، وتقع على الإمبراطورية مسئولية حماية المذهب الأرثوذكسي » (٧١) .

فباسم الأصل العرقي المشترك الموهوم وثق صلاته بالدولة الصهيونية ، فقامت عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م بعثة صهيونية برئاسة مدير المخابرات بزيارة أريتريا ، استقدمت أثيوبيا على أثرها أربعين ضابطا إسرائيليا لتدريب الجيش الأثيوبي على حرب العصابات. كما قام الضباط اليهود بتدريب طلبة الكلية البحرية على حرب العصابات في جبال قندع استعدادا لمعارك برية وبحرية ضد أريتريا. كما اشترك الضباط اليهود في صفوف الجيش الأثيوبي أثناء الحرب مع الصومال (٧٢). مقابل إقامة قواعد أمريكية لتدريب رجال الكوماندوس الذين يوجهون للعمل على حدود الصومال والسودان وجيبوتي. حيث استأجرت أمريكا عدة جزر قرب مصوع لمدة ٢٥ سنة لهذه الغاية .

---

(٧٠) ولد عام ١٨٩١م واسمه الأصلي تفري ابن الرأس ماكونين - وكلمة هيلاسي لاسي في الأمهرية تعني قوة الثالوث. ملك اقليم شوا قبل منليك ، وكان الامبراطور ليج اياسو وهو ابن محمد علي ملك الوالوجالا قد أعلن اسلامه (ترمنجهام ص١٣) ونفى عن نفسه أي صلة بالأسرة السليمانية وأخذ يبني المساجد وحث الناس على الجهاد أثناء الحرب العالمية الأولى ، فأذهلت المفاجأة رجال الكنيسة فتعاونوا مع الإنجليز وفرنسا وايطاليا لإقصائه عن العرش ، فتم عزله سنة ١٩١٧م ، وأعلن المطران تنصيب زاوديتو ابنة منليك امبراطورة ، وتعيين تفري وصيا على العرش ووليا للعهد (وسجن ليج اياسو وقتله هيلاسي لاسي سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م). وارغم تفري الامبراطورة على منحه لقب نجاشي سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م ، وتولى العرش بعد وفاتها عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م وسمى نفسه ملك الملوك الامبراطور هيلاسي لاسي الأول - (فتحي غيث ص٢٦١-٢٦٩).

(٧١) شلبي ج٦ص٧٦٢. نجيب صالح ص١٩٧.

(٧٢) مجلة المسلمون - مجلد ٨ عدد٨/ مأساتنا في افريقيا ص٦٣-٦٤. / نجيب صالح ص١٦٧.

وتمكنت عدة شركات صهيونية من تأسيس مراكز لها في أديس أبابا وفروعها في أريتريا لاحتكار السوق وتصريف المنتجات اليهودية ، فحصلت شركة انكودي اليهودية للحوم مثلا على مشروع سبأ الزراعي في تسنا وعلي قدر (٧٣). كما حصلت عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م على خمسين ألف هكتار هدية من حكومة الإمبراطور لإسرائيل بعد أن نزعتها من أصحابها المسلمين بالقرب من ضفاف نهر ستيت الكبير النابع من جبال أريتريا . وأهدت حكومة الإمبراطور عشرين ألف هكتار لشركة إسرائيلية في منطقة عياش. كما منحت الدولة الصهيونية حق احتكار صيد السمك في البحر الأحمر حيث تعمل في ميناء مصوع الأريتري المسلم ، وتشحن الأسماك بدون أي معاملات أو رسوم جمركية (٧٤) .

وفي عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م حشدت أثيوبيا قوات عسكرية على الحدود الشرقية للسودان بقصد إشغالها عن التدخل الفعال ضد إسرائيل. وأرسلت نجدة غذائية مستعجلة إلى اليهود تتكون من ١٥ ألف بقرة (٧٥) .

وكانت أمريكا عنصر ربط مشترك آخر(بعد لعبة الأصل العرقي المشترك) بين إسرائيل وأثيوبيا (٧٦) فمن خلال إثيوبيا نجحت إسرائيل في الحصول على تسهيلات عسكرية وبحرية في السواحل والجزر الأريترية المطلة على باب المندب والتي تحتلها أثيوبيا خاصة في ميناءي عصب ومصوع وفي أرخبيل جزر دهلك التي أقامت عليها إسرائيل تحت الغطاء الأثيوبي مراكز مراقبة واتصال وربما مجموعات عمل عسكرية محدودة بالإضافة إلى تدعيم الطيران الإسرائيلي ليصل مدى قوته الضاربة حتى باب المندب إذا مازود بالوقود في الجو ، ورددت بعض المصادر أن إثيوبيا سهلت لإسرائيل التواجد في جزيرتي(جبل الطير) و(أبو عبل) اليمنيتين في مدخل باب المندب بعد أن احتلتهما أثيوبيا ، وأقامت عليهما منارات بحرية ونقاط إنذار واستطلاع ومراقبة (٧٧) .

وفي عهد هيلاسي لاسي أيضا قام بإعطاء اليهود الأثيوبيين قوة سياسية لاحد لها ، واهتم بدعم منظمة(جندور) التي تعتبر المركز الرئيسي لليهود الأثيوبيين

---

(٧٣) المسلمون مجلد ٩ عدد٢،٣.

(٧٤) حضارة الإسلام السنة السابعة عدد١/ مأساتنا في افريقيا ص٦٦.

(٧٥) حضارة الإسلام السنة الثامنة عدد ١و٢ / مأساتنا في افريقيا ص٦٧

(٧٦) صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي للعمري ص١٠٣.

(٧٧) نفسه ص١٠٢.

إقتصاديا. وفي عهده إزداد وجود قبائل الفلاشا التي تركزت في هذا الإقليم في القرن التاسع عشر (٧٨) .

هذا في عهد بطل الوحدة الإفريقية ورئيس منظمة الوحدة الإفريقية هيلاسي لاسي أسد يهوذا ، فهل اختلف الوضع في زمن الحكم الشيوعي الأثيوبي ؟. لقد استمرت العلاقات قوية والتعاون تام بين النظام الشيوعي والصهيونية فحصل منجستو مريام على السلاح الصهيوني مقابل السماح بترحيل يهود الحبشة(الفلاشا) في عملية قامت بها الصهيونية سميت(عملية موسى) بمساعدة أمريكا (٧٩) وبعلم رئيس جهاز أمن الدولة السوداني ورئيس المخابرات الأمريكية بواشنطن (٨٠). ويذكر أن إسرائيل أعطت أسلحة لاثيوبيا عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ماقيمته ٢٠ مليون دولار بالإضافة إلى الأسلحة وقطع الغيار التي أخذت كغنائم في جنوب لبنان أثناء الغزو عام ١٩٨٢م (٨١). واستمر مريام رئيسا لمنظمةالوحدة الأفريقية كخلفه ، ومن العجيب أن يكون هو المشرف على اجتماعات مختلف وفود المجموعات السياسية الاحدى عشرة المختلفة في تشاد (٨٢) في مؤتمر مصالحة في أديس أبابا ـ تلك الحرب التي ابتدأت عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ولاتزال مستمرة إلى هذا التاريخ (١٤٠٦هـ) وكذلك أشرف على اتفاق

---

(٧٨) المسلمون العدد ٤٦ ص٦.

(٧٩) مجلة المجتمع العدد ٧٠٠ السنة ١٥ ص٢٨وص٤٠/ ٢٤ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ/١٥ يناير ١٩٨٥م.

(٨٠) الشرق الأوسط العدد ٢٥٤٢ الأربعاء ١ربيع الأول ١٤٠٦هـ/١٣/١١/١٩٨٥م ، والعدد ٢٥٢٦ الاثنين ١٤صفر ١٤٠٦هـ/٢٨/١٠/١٩٨٥م.

(٨١) مجلة المجتمع العدد (٧٠٠) ص٤٠.

(٨٢) وتشاد من الديار الإسلامية في وسط أفريقيا ، وهي بلاد برية ليس لها أي منفذ على البحر. مساحتها٠٠٠ ٣٠٠ ١كم٢ وعدد سكانها يزيد على أربعة ملايين نسمة. أكثرهم مسلمون عاصمتها (نيجامينا). نشط التبشير في جنوب تشاد من البروتستنت والكاثوليك فجذبوا عددا من الوثنيين إلى النصرانية ، في ظل العلمانية التي فرضت على البلاد ، ونظام الحزب الواحد.

ولما كان للروابط القبلية والعشائرية أثر كبير في علاقات التشاديين مع بعضهم ، فقد تمكنت القوى التبشيرية من إثارة الشقاق بينهم. رغم محافظتهم على التمسك بدينهم إلى درجة كبيرة. إلا أن الجهل متفش بينهم ذلك أن المسلمين في أيام الحكم الفرنسي كانوا يتحاشون الدخول في المدارس الحكومية ، ولذلك تخلفوا عن وظائف الدولة العليا ، وتحكمت فيهم الأقليات التي صنعها المستعمر ، (كما حصل في ديار المسلمين إجمالا). فأصبحت عرضة للإضطرابات والفوضى. تدخلت فيها القوى المجاورة مثل ليبيا ، والدولة المستعمرة سابقا، فرنسا. (صحيفة

(الميرغني - قرنق) عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

ونلخص فيما يلي التحديات التي يواجهها الجهاد في أريتريا :

١- الصليبية التي خلفت إرثا مشحونا بالكراهية ، والحقد ، توارثته الأجيال .

٢- تعدد الجبهات(جبهات التحرير في أريتريا) وعدم توحيد جهدها ، وتدخل القوى المختلفة في زيادة الهوة بينها ، خاصة بفعل تسلل العناصر الشيوعية ، والنصرانية ، والعلمانية ، والقومية إلى صفوف القيادة ، وتنحية القيادات المسلمة المتآلفة مع الواقع الأريتري . وقد دخلت هذه الجهات المصطلحات السياسية الوهمية ، والمعتقدات المخالفة للإسلام العامل المشترك بينهم. وبعضهم أعلن معارضة للإسلام صراحة ، ونادى بالإشتراكية العلمية البحتة ، واستخدم النساء في الجيش ، فقد وصلت نسبة النساء في جبهة اسياس أفورقي الشعبية ٤٠٪ (٨٣). وهذا انقلاب على عادات وتقاليد وعقيدة الشعب الأريتري المسلم. سبب الشروخ بين هذه المنظمات من جهة ، ومع القاعدة الجماهيرية من جهة أخرى .

٣- تدخل القوى العالمية في الصراع الدائر ، وخاصة الدول الكبرى روسيا ومن يدور في فلكها ، وأمريكا ومن يدور في فلكها. كما أن العين اليهودية ترقب مايجري من أحداث ، وتحركها ، ولعابها يسيل للسيطرة على البحر الأحمر كاملا ومداخله السويس شمالا ، وباب المندب جنوبا .

٤- تجاهل الرأي العام العالمي لما يدور في القرن الأفريقي أو بالقرب منه ، وهو تجاهل مقصود فرضته القوى الكبرى المنفذة لتلقي ستار على الجرائم التي ترتكب ضد المسلمين في القرن الأفريقي .

٥- كثرة عدد اللاجئين الإريتريين والصوماليين ، إلى السودان والمناطق المحررة والصومال. يزيد من أعباء الجهاد (٨٤) .

= الرائد الهندية ١٣صفر ١٤٠٧هـ ص٤).

(٨٣) نشرة الجبهة الإسلامية لتحرير اريتريا بتاريخ ١٤٠٧/٧/٢هـ ١٩٨٧/٣/٣م. نصف شهر داخل الأراضي الاريترية المحررة - الأسبوع السودانية الجمعة ٢٧ رجب ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧/٣/٢٧م. وتفتخر بذلك. وجريدة السودان الأربعاء ١٥ ذو الحجة ١٤٠٦هـ/ ٢٠أغسطس ١٩٨٦م.

(٨٤) نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة - جامعة الملك عبد العزيز /١٩٨٨م.

والغريب أن فكرة تقسيم أريتريا عادت إلى الوجود ، تلك التي رفضت عام ١٩٤٨/١٩٤٧م. ورفضت هذه الفكرة لتظهر فكرة المناداة بالاتحاد الفيدرالي مع أثيوبيا على أن تتمتع أريتريا بالحكم الذاتي.

ومن التطورات الجديدة بعد زوال حكم منجستو مريام تحسن أحوال المسلمين في أثيوبيا حيث أعلن عن تطبيق نظام الأقاليم والحكم المحلي. وانفصلت أريتريا ولكن كما توقعنا بزعامة إسباس أفورقي النصراني!

وهكذا تنحني قضايا العالم الإسلامي للمطالبة بأشياء لم تكن توافق عليها فيما سبق!!.

خاتمـــة

وبعد:

فمن خلال هذه المسيرة الطويلة التي استعرضناها في هذا الكتاب ، ومن خلال الربط بين ماضي المسلمين ، وحاضرهم ، ومستقبلهم ، اتضح لنا أن المسلمين في مسيرتهم الطويلة تعرضوا إلى عوامل الإرتفاع وعوامل الإنحدار ، وكانت عوامل ارتفاعهم في اقترابهم من نهج الإسلام ، وعوامل انحدارهم وضعفهم في ابتعادهم عن هذا النهج ، أو في انحرافهم عنه . والخط البياني لهذه الأمة يبين بوضوح عوامل الإرتفاع وعوامل الإنحدار بالنسبة للقرب أو البعد عن نهج الإسلام .

كما ظهر بوضوح أن أمة الإسلام موجودة بالفعل ، ولها وزنها ، صحيح أنها تضعف ، وتهزل ، ولكنها لاتنتهي ، ولاتزول بإذن الله. فهي تملك مقومات الإبتعاث من جديد ، بعد كل كبوة ، إذ أن الأساس الذي ترتكز عليه وهو الإسلام محفوظ مصون ، في كتاب الله سبحانه وتعالى ، ذلك الكتاب الذي تكفل سبحانه بحفظه ، ولم يكله إلى أحد من خلقه :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

والإسلام محفوظ مصون في سنة رسول الله ﷺ التي هيأ الله سبحانه لها من دونها وحفظها .

وقد أخذت حركة انبعاث الإسلام بين المسلمين تبدو جلية واضحة - في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي ، ومع مطلع القرن الخامس عشر الهجري - في مختلف بقاع المسلمين ، من جبال عذراء ماليزيا على شواطيء المحيط الهادي ، مرورا باندونيسيا وكابل وأنقرة غربي آسيا ، ممتدة وعابرة قارة أفريقيا بأجمعها إلى المحيط الأطلسي ، وانتهاء بالعالم الجديد - أمريكا - .

وأخذ كتاب الغرب - على اختلاف عقائدهم ونزعاتهم - يحذرون من هذه الصحوة ، وتحسب لها القوى العالمية الحسابات. وكمثال على ذلك قالت الكاتبة الفرنسية - باري ماتش - محذرة الغرب من مظاهر الصحوة الإسلامية (١) :

« من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي ، ومن أفريقيا السوداء إلى حدود سيبيريا ، بدأ صوت الإسلام يرفع راية الإسلام في كل مكان ، وراية الإسلام

(١) موفق المرجة – صحوة الرجل المريض ص٣٩٥. ط مؤسسة الريان - بيروت.

تخفق من جديد ، بعد طول غياب في بعض الأماكن ، بينما هي تستعد للإرتفاع في مناطق أخرى ، فما هي الإحتياطات التي ينبغي على الدول الغربية أن تتخذها في مواجهة ذلك ؟ وكيف تستطيع أن تدرك حقيقة مايجري لكي لاتفاجأ بالأحداث ؟ » .

أجل لقد بدأ العملاق المقيد ـ العالم الإسلامي ـ يتململ ،وليس ببعيد أن ينطلق من قيده ، ليعرف ذاته ، ويدرك سر عزته وبقائه ، ومؤهلاته لقيادة العالم ، فيتمسك بعقيدته ، ويتخذ الإسلام الموجه والقائد له في كل ميادين الحياة ومجالاتها ، لتصبح حياته كلها إسلامية ، يضع الحلول لمشكلاته ومشكلات العالم بأجمعه من الإسلام. ويدرك بالتالي أهمية الروابط التي تجمع أفراده ليتكون مجتمع الهداية والعدل ، وأهمية الرقعة الإستراتيجية التي يشغلها على الكرة الأرضية ، بتوسطها بين قارات العالم ، وتحكمها في أخطر المضايق والممرات المائية والمنافذ البحرية الهامة ، والثروات الوفيرة التي أنعم بها الله عليه ، فضلا عن الكثافة السكانية ، والطاقات الهائلة. وبوعيه هذا يقدم الخير لهذه الأمة ، ويخلصها من المادية الغربية بشقيها الرأسمالي والإشتراكي ، التي طالما سعت للحيلولة بينه وبين وعيه . ويخلص البشرية جمعاء من الإحتكار ، والربا، والاستغلال ، والأمراض الإجتماعية ، والحرب الباردة ، وصراع الطبقات ، ومن القلق ، والخوف ، والضياع ، فينقلها من الظلمات إلى النور ، ومن عبودية المال إلى العبودية لله الواحد الأحد سبحانه ، فتعود للأمة المسلمة صفاتها المميزة لها في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾ .

وهذا هو قدر أمة الإسلام ومهمتها ، لتكون شاهدة على الناس ، وليكون الرسول عليهم شهيدا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

طيبة الطيبة

الجمعة ١٤٠٩/٥/١٤هـ

الموافق ١٩٨٨/١٢/٢٣م

د. جميل عبد الله محمد المصري

المصـــادر

و

المراجـــع

الكتب

١ القرآن الكريم .

٢ كتب السنة المشرفة : صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، مسند أحمد بن حنبل ، الترمذي ، النسائي ، ابن ماجه ، أبو داود ، والحاكم .

٣ إبراهيم عبد الله ماح ـ الهزيمة الثالثة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط١ /١٩٨٢م .

٤ إبراهيم العدوي ـ الدكتور ـ الأمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ـ مطبعة لجنة البيان العربي عام ١٩٥١م .

٥ إحسان حقي : باكستان بين ماضيها وحاضرها ـ دار النفائس ـ بيروت ط١/١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

٦ إحسان حقي : مأساة كشمير المسلمة ـ الدار السعودية ـ ط٢/ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

٧ إحسان حقي : المسلمون أمام التحدي العالمي ـ بيروت ط١/ ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

٨ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ـ مؤسسة العربي ـ دمشق ط٢/ ١٩٧٣م .

٩ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ـ الجزء السادس ـ مكتبة النهضة المصرية ـط١/١٩٧٢م .

١٠ الإدريسي ـ أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف : نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان ـ قطعة منه : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ـ ليدن عام ١٨٦٦م .

١١ الاصطخري : كتاب مسالك الممالك ـ ليدن ـ بريل ١٩٢٧م .

١٢ ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ـ بيروت ـ دار الحياة ـ ١٩٦٥م .

١٣ أرنولد ـ سيرتوماس : الدعوة إلى الإسلام ـ ترجمة حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط٣/١٩٧٠م .

١٤ أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ـ بيروت ١٩٦٧م .

١٥ الاشتراكية في التجارب العربية ـ لطائفة من المفكرين ـ سلسلة الفكر العربي ـ دار الكتب الجديدة ، ط١/١٩٦٥م .

١٦ أبو الأعلى المودودي : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، بيروت ١٣٨٦هـ .
١٧ البرت هامسيون : القنصلية البريطانية في القدس وعلاقتها بيهود فلسطين - الجزء الأول(١٨٣٨م - ١٩١٤م) .
١٨ باشميل - أحمد - أكذوبة الإشتراكية العربية - ط١/ ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م .
١٩ باول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية - ترجمة د. محمد شامة - القاهرة ١٣٩٤هـ .
٢٠ بدر الدين حي - تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر / دار الإنشاء للطباعة والنشر / طرابلس / لبنان ١٣٩٤هـ .
٢١ البدري - عبد العزيز - حكم الإسلام في الإشتراكية - ط٣ - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة /١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
٢٢ ابن بطوطة - أبو محمد عبد الله إبراهيم اللواتي : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - مؤسسة الرسالة /ط٤ - بيروت / ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
٢٣ البكري : أبو عبد الله بن عبد العزيز ت سنة ١٠٩٤م/ ٤٨٧هـ المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك نشره راندون - الجزائر ١٨٥٧م .
٢٤ البلاذري : فتوح البلدان - مكتبة السعادة - مصر ١٩٥٩م .
٢٥ بير زاده - شريف الدين : نشأة باكستان - ترجمة عادي صلاحي - جدة - ط١ - ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
٢٦ بيهم - محمد جميل : العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب - بيروت ١٩٥٧م .
٢٧ بيستر رونوفن : تاريخ القرن العشرين - تعريب د .نور الدين حاطوم - مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
٢٨ تركي - حامد صالح - اريتريا والتحديات المصيرية - دار الكنوز الأدبية - بيروت ط٢/١٩٧٩م .
٢٩ ترمنجهام - سبنسر : الإسلام في شرق أفريقيا - ترجمة وتعليق محمد عاطف النوادي - ط١ - ١٩٧٣م .
٣٠ ابن تغري بردي ت سنة ٨٧٤هـ: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة

- الجزء الثامن - القاهرة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - بدون تاريخ .
٣١ تقويم العالم الإسلامي - تأليف جماعة من المؤلفين - جمعية الدراسات الإسلامية - القاهرة ١٩٧٠م .
٣٢ التونسي - محمد خليفة :(ترجمة) : بروتوكولات حكماء صهيون - ط٥ - مصر .
٣٣ توينبي - أرنولد : مختصر دراسة التاريخ - ترجمة فؤاد نبيل - القاهرة ١٩٦١م .
٣٤ ابن تيمية الحراني : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - دار الكتاب العربي - مصر /ط٤ /١٩٦٩م .
٣٥ جارودي - رجاء -(روجيه) : الصهيونية السياسية(إسرائيل) - دار الشروق - ط١ - ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
٣٦ جب : دراسات في حضارة الإسلام - ترجمة إحسان عباس وزملاؤه - بيروت ١٩٧٤م .
٣٧ جب : الإتجاهات الحديثة في الإسلام - ترجمة كامل سليمان - طبع بيروت ١٩٥٤م .
٣٨ جب وزملاؤه : وجهة الإسلام - ترجمة محمد أبو ريده - مصر .
٣٩ الحداد - السيد علوي بن طاهر / المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى / تحقيق محمد ضياء شهاب / عالم المعرفة ط١/جدة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
٤٠ ج .ب دروزيل : التاريخ الدبلوماسي - تعريب نور الدين حاطوم - مطبعة جامعة دمشق - دمشق ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .
٤١ ابن جبير - أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي - (رحلة ابن جبير) ، تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الأسفار - دار التحرير للطبع والنشر - القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .
٤٢ الجندي - أنور : الإسلام والعالم المعاصر - دار الكتاب اللبناني - بيروت ط٢ - ١٩٨٠م .
٤٣ الجندي : الإسلام وحركة التاريخ - دار الكتاب اللبناني ط١ - ١٩٨٠م .
٤٤ الجندي : تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات - دار الاعتصام - دار العلوم للطباعة - مغفل التاريخ .

٤٥ الجندي –أنور– العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصري ـ ط١ ـ ١٩٧٩م .
٤٦ الجندي :معالم التاريخ الإسلامي المعاصر دارالاعتصام.القاهرة ـ دون سنة .
٤٧ جوان جوزيف ـ الإسلام في ممالك أفريقيا السوداء / ترجمة مختار السويفي ـ دار الكتب الإسلامية / القاهرة / بيروت ، ط١/١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٤٨ الجوهري ـ د .يسري عبد الرزاق : جغرافية الشعوب الإسلامية ـ الكتب الجغرافية ٥٣ ـ منشأة دار المعارف بالاسكندرية ١٩٨١م .
٤٩ الجوهري ـ يسري ـ الكشوف الجغرافية ـ ط٢ ـ ١٩٦٧م .
٥٠ حاطوم ـ د. نور الدين ـ(تعريب) تاريخ عصرنا/ دار الفكر ١٩٧٠/١٩٧١م .
٥١ حسن سيد أحمد أبو العينين(الدكتور) : آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي ـ مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الإسكندرية .
٥٢ حسن صبري الخولي : سياسة الإستعمار والصهيونية ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ط١ ـ ١٩٧٣م .
٥٣ حسن محمود ـ انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا .
٥٤ حسن عيسى عبد الظاهر ـ الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا ـ المجلس الأعلى لجامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٥٥ حسون ـ د. علي : تاريخ الدولة العثمانية ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ ط١ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
٥٦ حسين مؤنس : الإسلام الفاتح ـ دعوة الحق ـ السنة ١ ـ ١٤٠١هـ/ رجب العدد٤ .
٥٧ الحنفي –ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية – المكتب الإسلامي (ط٥) – بيروت – دمشق – ١٣٩٩هـ
٥٨ ابن حوقل : المسالك والممالك ـ باريس ـ ١٨٤٥م .
٥٩ خالد عياد ـ إعداد ـ سياسة إسرائيل في المناطق الفلسطينية المحتلة ـ دراسات في أساليب الضم والتهويد ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية رقم ٦٩/ط١/١٩٨٤م نيقوسيا ـ قبرص .
٦٠ خدوري ـ د. مجيد : الاتجاهات السياسية في العالم العربي ـ الترجمة العربية .

٦١ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ـ ليدن ـ بريل ـ ١٩٦٧م .
٦٢ ابن خلدون ـ عبد الرحمن ت سنة ٨٠٨هـ: المبتدأ والخبر(تاريخ ابن خلدون) ـ ج٥ ـ بيروت .
٦٣ ابن خلكان ـ أحمد بن محمد ت سنة ٦٨١هـ: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ بيروت ـ دار الثقافة ـ ١٩٦٩م/١٩٧٠م .
٦٤ الخولي ـ سيد فتحي أحمد ـ إقتصاديات البترول ـ جدة .
٦٥ الدسوقي ـ محمد كمال : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ـ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٦م .
٦٦ راشد البراوي : مشكلات القارة الإفريقية السياسية والإقتصادية .
٦٧ ريتشارد الدنتجتون : لورنس في البلاد العربية ـ ترجمة محمود عزت موسى ـ مغفل الطبع والنشر .
٦٨ زاهر ـ رياض : الإستعمار الأوروبي لإفريقيا في العصر الحديث ـ القاهرة ١٩٦٠م .
٦٩ زاهر ـ رياض : الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ـ(مترجم) ـ الإنجلو المصرية ١٩٦٨م .
٧٠ الساداتي ـ د .أحمد محمود : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندو باكستانية ـ مطابع سجل العرب ـ ط٢ ـ ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
٧١ ساطع الحصري : نشوء الفكرة القومية ـ القاهرة ١٩٥١م .
٧٢ السامرائي ـ عبد الله سلوم : القاديانية والإستعمار الإنجليزي ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ العراق ـ ١٩٨١م. دار الرشيد للنشر .
٧٣ سبير ويدوفيتش : حكومة العالم الخفية ـ ترجمة مأمون سعيد ـ ١٩٧٤م .
٧٤ السحمراني ـ د. أسعد : مالك بن نبي(مفكرا إصلاحيا) . دار النفائس ـ بيروت ط١ ـ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٧٥ سعودي : قضايا إفريقية ـ عالم المعرفة رقم ٣٤ ـ الكويت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
٧٦ السعدني ـ مصطفى : الفكر الصهيوني والسياسة اليهودية ـ دراسة تحليلية ـ مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة ١٩٧١م .
٧٧ السعدي ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر ت بعد عام ١٦٥٥م : تاريخ السودان ـ حققه ونشره : هوداس وبنوا ـ باريس ١٨٩٨م .

٧٨ سفر بن عبد الرحمن الحوالي : العلمانية ـ جامعة أم القرى ـ الكتاب ٢٥ ـ دار مكة ـ مكة ط١/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
٧٩ سنقرط ـ داود عبد العفو ـ أبناء يهوذا في الخفاء(١ـ٥) دار الفرقان ط١/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
٨٠ سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية في آسيا واستراليا ـ دعوة الحق ، السنة ٣ العدد ٢٣ صفر ١٤٠٤هـ/ نوفمبر ١٩٨٣م .
٨١ السيوطي ـ جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ـ تاريخ الخلفاء ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط١/١٣٧١هـ/١٩٥٢م ـ مطبعة السعادة بمصر .
٨٢ شاتليه ـ أ .ل : الغارة على العالم الإسلامي ـ لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ـ مكتبة أسامة بن زيد ـ بيروت .
٨٣ شاكر ـ محمود : سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية ـ مؤسسة الرسالة .
٨٤ شاكر ـ محمود : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ـ منشورات المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ بيروت ط٢ ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
٨٥ شاكر ـ محمود : إقتصاديات العالم الإسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط٣ ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٨٦ شاكر ـ محمود : سكان العالم الإسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط٢ ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٨٧ شاكر ـ محمود : المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ط١ ـ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
٨٨ الشامي ـ د. صلاح الدين علي والدكتور زين الدين عبد المقصود : جغرافية العالم الإسلامي ـ منشأة المعارف بالإسكندرية ـ الكتب الجغرافية ٢٢ ـ عام ١٩٧٤م .
٨٩ شانتال لمربيه كلكجي ـ والكسندر بينيغسن : المسلمون في الإتحاد السوفييتي ـ تعريب الدكتور إحسان حقي ـ مؤسسة الرسالة ط٢ ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٩٠ شبنجلر ـ ازوالد : تدهور الحضارة الغربية ـ ترجمة أحمد الشيباني ـ بيروت ١٩٦٤م .
٩١ الشرقاوي ـ محمد عبد المنعم : ملامح الهند وباكستان ـ دار المعارف

١٩٥٢م .
٩٢ شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ـ دار الكتاب العربي فرع مصر ط٢ ـ ١٩٦٨م .
٩٣ الشناوي ـ د .عبد العزيز محمد : أوربا في مطلع العصر الحديث ـ الجزء الأول ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٩م .
٩٤ شوقي الجمل(دكتور) : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ـ مكتبة الأنجلو المصرية ط٢ ـ ١٩٨٠م .
٩٥ الشيال ـ د .جمال الدين : تاريخ أباطرة المغول ـ منشأة المعارف بالإسكندرية ـ ١٩٦٨م .
٩٦ صالح أبو نصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ـ دار الفتح ـ بيروت ١٩٦٩م .
٩٧ الصباغ ـ سعيد : الأطلس العربي العام .
٩٨ الصياد ـ د. فؤاد عبد المعطي : المغول في التاريخ ـ ج١ ـ دار النهضة ـ بيروت ١٩٧٠م .
٩٩(ضابط تركي سابق) : الرجل الصنم ـ ترجمة عبد الله عبد الرحمن ـ بيروت .
١٠٠ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ـ تحقيق أبوالفضل ابراهيم ـ دار المعارف ـ القاهرة. ط٢ /١٩٧١م .
١٠١ طربين ـ د. أحمد ـ الوحدة العربية ـ دار الهلال ط٢/١٩٦٣م .
١٠٢ طربين ـ د. أحمد ـ فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٣م .
١٠٣ طرخان ـ د. إبراهيم علي : إمبراطورية غانة الإسلامية ـ الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
١٠٤ طرخان : دولة مالي الإسلامية ـ الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٣ .
١٠٥ طرخان : إمبراطورية البرنو ـ الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٥م .
١٠٦ الطرزي ـ د. عبد الله مبشر : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب(باكستان الحالية في عهد العرب) تقديم أبي الحسن الندوي ـ جزءان ، ط١ ـ عالم المعرفة ـ جدة ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
١٠٧ ظفر الإسلام خان : التلمود وتاريخه وتعاليمه ـ بيروت ط٢ .

١٠٨ عادل حسين غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ط١ ـ ١٩٨٠م .
١٠٩ عاشور ـ د. سعيد عبد الفتاح : أوربا العصور الوسطى ـ ج١ ـ مكتبة الإنجلو المصرية ـ ط٣ ـ ١٩٦٤م .
١١٠ عبد الأمير محمد الأمين(دكتور) والدكتور مصطفى عبد القادر النجار : دور السجلات الهندية ومحفوظاتها ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة(٢٠) ـ مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ ١٩٧٨م .
١١١ عبد الحميد ـ السلطان : مذكراتي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
١١٢ عبد الرحمن عبد الله الشيخ : دول الإسلام وحضارته في أفريقيا ـ دار اللواء ـ الرياض ط١/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
١١٣ عبد الرحيم أحمد حسين(دكتور) : النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩ـ١٩٤٥م) ـ المؤسسة العربية ـ بيروت ط١ ـ ١٩٨٤م .
١١٤ عبد العزيز كامل(دكتور) : جغرافية الإسلام في أفريقيا ـ محاضرات ـ معهد الدراسات الإسلامية ـ القاهرة ١٩٦٧ـ١٩٦٨م .
١١٥ عبد الغفور عطار ـ أحمد : الشيوعية وليدة الصهيونية ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت .
١١٦ عدد من المؤلفين ـ تاريخ السياسة الخارجية للإتحاد السوفياتي ـ جزءان إصدار موسكو ، ترجمة دار التقدم ١٩٨٠م .
١١٧ عزت ـ يوسف : تاريخ القوقاز ـ تعريب فوسنوفه عبد الحميد غالب بك ـ ١٣٥٢هـ/١٩٧٣م ـ عيسى البابي الحلبي ـ مصر .
١١٨ العسلي ـ ابراهيم : الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية .
١١٩ العقاد ـ د .صلاح : المغرب العربي ـ الأنجلو المصرية ط٢ /القاهرة ١٩٦٦م .
١٢٠ أبو العلا ـ محمود طه : دراسات في جغرافية العالم الإسلامي ـ القاهرة ١٩٦٥م .
١٢١ علي جريشة ، ومحمد الزبيق : أساليب الغزو الفكري ـ دار الإعتصام ط١ ـ ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
١٢٢ علي مورتوفو ـ اللواء : بعض الأفكار الأساسية للسير بخطة التنمية خلال ٢٥ عاما(بأندونيسيا) ـ مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية ـ جاكارتا ـ

أندونيسيا ط١ - ١٩٧٢م .
١٢٣ عماد الدين خليل(دكتور) : مأساتنا في أفريقيا - مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٩٧٨م .
١٢٤ العمري - د .أحمد سويلم : الإفريقيون والعرب - مكتبة الإنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٧م .
١٢٥ العمري - ابن فضل الله أحمد بن يحيى ت سنة ٧٤٩هـ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار - ج١ وج٢ - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٤م .
١٢٦ الغادري - نهاد : التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٩م .
١٢٧ الغادري - نهاد : حقائق الشيوعية - مطابع دار الغد - ط١ - ١٩٦٩م .
١٢٨ الغزالي - أبو حامد : فضائح الباطنية - تحقيق عبد الرحمن بدوي - القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .
١٢٩ الغزالي - الشيخ محمد : من هنا نعلم - مصر ١٣٧٣هـ .
١٣٠ الغزالي - الشيخ محمد : المسلمون في وجه الزحف الأحمر - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - بدون تاريخ .
١٣١ الغزالي - الشيخ محمد : حصاد الغرور - ط١ - الكويت .
١٣٢ غلاب -د. محمد السيد غلاب - ود .حسن عبد القادر صالح ، ومحمود شاكر : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر - المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول - الرياض - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
١٣٣ فاسيلي فلاديمير وفتش بارتولد : باكستان - نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم - الكويت - ط١ - ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
١٣٤ فايد حماد محمد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية - مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
١٣٥ فتح الله - د .عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - دار الأنصار - القاهرة - مهمل السنة .
١٣٦ فتحي غيث - المهندس : الإسلام والحبشة عبر التاريخ - شركة الطباعة الفنية المتحدة - القاهرة - مغفل السنة .

١٣٧ فتحي يكن : العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري - مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
١٣٨ فشر(هـ .أ .ل) : تاريخ أوربا في العصر الحديث - تعريب أحمد نجيب هاشم ، ووديع الضبع - دار المعارف - مصر - ط٤ - ١٩٦٤م .
١٣٩ فروخ - الدكتور عمر والدكتور مصطفى خالدي : التبشير والإستعمار - المكتبة العصرية - بيروت - صيدا - ط٥ - ١٩٧٣م .
١٤٠ الفريوائي - عبد الرحمن بن عبد الجبار - جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة - المطبعة السلفية بنارس - ط٢ - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
١٤١ قداح - نعيم : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام - كونكري ١٩٦٠م .
١٤٢ قدري قلعجي : تجربة عربي في الحزب الشيوعي - دار الكتاب العربي - بيروت - بدون سنة .
١٤٣ القضماني - محيي الدين : صفحات من حاضر العالم الإسلامي - مطابع الجامعة الإسلامية - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
١٤٤ قيصر أديب مخول(دكتور) : الإسلام في الشرق الأقصى - تعريب د . نبيل صبحي - دار العربية - بيروت .
١٤٥ الكتاني - د .علي المنتصر : المسلمون في المعسكر الشيوعي - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
١٤٦ الكتاني - د .علي المنتصر - المسلمون في أوربا وأمريكا - دار باريس - المغرب - ١٣٧٦هـ .
١٤٧ ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المفسر المتوفي سنة ٧٧٤هـ: البداية والنهاية - دار الفكر العربي - القاهرة .
١٤٨ كشك - محمد جلال : الغزو الفكري - الدار القومية - القاهرة - ط٢ - مغفل السنة .
١٤٩ كعت - القاضي الفع محمود كعت - من علماء القرن السادس عشر الميلادي : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور - نشره هوداس وزميله - باريس ١٩١٣م .
١٥٠ كوبلاند - مايلز : لعبة الأمم - تعريب مروان خير - ط١ - بيروت ١٩٧٠م .

١٥١ الكواكبي ـ عبد الرحمن : طبائع الاستبداد ـ مصر ١٣٥٠هـ .
١٥٢ الكيالي ـ د. عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث .
١٥٣ لوثروب ستودارد الأمريكي : حاضر العالم الإسلامي ـ ترجمه إلى العربية عجاج نويهض ـ وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان ـ دار الفكر ـ ط٣ ـ ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
١٥٤ مالك بن نبي ـ وجهة العالم الإسلامي ـ ترجمة عبد الصبور شاهين ـ دار الفكر ط٢ ـ بيروت ١٩٧٠م .
١٥٥ المالكي ـ عدنان : تاريخ فلسطين الحديث .
١٥٦ محمد إسماعيل : المسلمون في الإتحاد السوفييتي ـ رابطة العالم الإسلامي .
١٥٧ محمد عبد القادر أحمد : المسلمون في الفلبين ـ مطبعة الناشر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٨٠م .
١٥٨ محمد عزيز شكري ـ دكتور ـ الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية ـ عالم المعرفة ٧/١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
١٥٩ محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة .
١٦٠ محمد محمد حسين ـ الدكتور : الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٦ ـ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
١٦١ محمد محمد حسين ـ الدكتور : حصوننا مهددة من داخلها ـ الكويت ١٣٨٧هـ .
١٦٢ محمد مكين : نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها ـ المطبعة السلفية ١٣٥٣هـ .
١٦٣ المرجة ـ موفق ـ الموسوعة الإسلامية . الكويت.
١٦٤ مسعود الندوي : إنتشار الإسلام في الهند ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ـ نشر وتوزيع دار العربية .
١٦٥ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر. دار الأندلس ـ بيروت ط١/ ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
١٦٦ المصري ـ د .محمد أمين : المجتمع الإسلامي ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ط١ ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
١٦٧ مصطفى ماهر ـ ألمانيا والعالم الغربي(ترجمة) دار صادر / بيروت

١٩٧٤م .
١٦٨ مصطفى محمود ـ الدكتور : القرآن محاولة لفهم عصري ـ دار الشروق ـ بيروت ١٩٧٠م .
١٦٩ مصطفى مؤمن ـ دكتور : عذراء ماليزيا .
١٧٠ المطوي ـ محمد العمروسي : الحروب الصليبية في الشرق والمغرب ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٨٢م .
١٧١ المقريزي ـ تقي الدين أحمد بن علي ت سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م : المواعظ والاعتبار ـ خطط المقريزي. طبعة جديدة بالأوفست .
١٧٢ المقريزي : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ـ مصر ١٩٨٥م .
١٧٣ مؤسسة الدراسات الفلسطينية(اتفاق كامب ديفيد وأخطاره ـ عرض وثائقي) رقم(٥٠) ـ ط١ ـ بيروت ١٩٧٨م .
١٧٤ الميداني ـ عبد الرحمن حسن حبنكة ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم ـ دار العلم ـ دمشق ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
١٧٥ ناصر الدين شاه ـ أفغانستان والغزو الشيوعي ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
١٧٦ نجيب ـ منير محمد : الحركات القومية في ميزان الإسلام ـ مكتبة الحرمين ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
١٧٧ الندوي ـ أبو الحسن علي الحسني : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ دار القلم ـ الكويت ـ ط١ ـ ١٣٩٣هـ/١٩٧٧م .
١٧٨ الندوي ـ عبد الحليم : مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ـ مدراس ـ الهند ـ مطبعة نوري المحدودة ـ مهمل السنة .
١٧٩ النعيمي ـ د. أحمد نوري ـ تركيا وحلف شمال الأطلسي ـ الدار الوطنية بغداد ١٩٨١م .
١٨٠ الثمر ـ عبد المنعم الثمر ـ كفاح المسلمين في تحرير الهند ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٣٥٤هـ/١٩٦٤م .
١٨١ نوار ـ د. عبد العزيز سليمان ـ الشعوب الإسلامية ـ دار النهضة ـ بيروت /١٩٧٣م .
١٨٢ أبو هلال الأندونيسي : غارة تبشيرية على أندونيسيا ـ دار الشروق ـ

جدة ـ ط٤ ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
١٨٣ ابن الوردي ـ زين الدين أبو حفص عمر بن محمد ت سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م : تاريخ ابن الوردي ـ النجف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
١٨٤ ول ـ ديورانت: قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران ـ القاهرة ١٩٧٥م .
١٨٥ وليم غاي كار : أحجار على رقعة الشطرنج ـ ترجمة سعيد جزائرلي ـ مراجعة م. بدوي ـ دار النفائس ـ ط٢ ـ ١٩٧٦م .
١٨٦ ياقوت الحموي ـ أبو عبد الله ت سنة ٦٢٦هـ ـ معجم البلدان ـ ج٣ ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة / ودار صادر ـ دار بيروت / بيروت ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .
١٨٧ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ـ المكتبة المرتضوية ـ النجف ـ العراق .
١٨٨ يوسف القرضاوي ـ دكتور : الحل الإسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

الصحف والمجلات

١ـ أخبار العالم الإسلامي عدة أعداد .
٢ـ الأخبار المصرية ـ صحيفة ـ القاهرة ـ بعض الأعداد .
٣ـ الأزهر ـ مجلة ـ عدة أعداد .
٤ـ الأمان اللبنانية ـ مجلة ـ بعض الأعداد .
٥ـ الأمة القطرية ـ عدة أعداد .
٦ـ اندونيسيا ـ مجلة ـ بعض الأعداد .
٧ـ اندونيسيا اليوم ـ مجلة ـ عدة أعداد .
٨ـ البلاد ـ جريدة سعودية ـ بعض الأعداد .
٩ـ البلاغ الكويتية ـ مجلة ـ عدة أعداد .
١٠ـ الجامعة الإسلامية ـ مجلة ـ عدة أعداد .
١١ـ الجزيرة ـ جريدة سعودية ـ عدة أعداد .
١٢ـ حضارة الإسلام ـ مجلة ـ عدة أعداد .
١٣ـ الرياض ـ جريدة سعودية ـ عدة أعداد .
١٤ـ الدستور ـ صحيفة أردنية ـ عدة أعداد

١٥ـ الدعوة ـ الهند ـ عدة أعداد .
١٦ـ الدعوة ـ مجلة ـ عدة أعداد .
١٧ـ الرائد ـ مجلة هندية ـ عدة أعداد .
١٨ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مجلة ـ عدة أعداد .
١٩ـ الرأي – صحيفة أردنية – عدة أعداد
٢٠ـ الشرق الأوسط ـ صحيفة ـ كثير من الأعداد .
٢١ـ صوت الجامعة ـ صحيفة الجامعة الإسلامية ـ بعض الأعداد .
٢٢ـ صوت الجهاد ـ مجلة أفغانية ـ بعض الأعداد .
٢٣ـ العالم الإسلامي وأنشطة رابطته ـ مع خريطة للعالم الإسلامي ـ ١٥ ذي القعدة ١٤٠٢هـ .
٢٤ـ العربي الكويتية ـ مجلة ـ أعداد كثيرة .
٢٥ـ عكاظ ـ جريدة سعودية ـ بعض الأعداد .
٢٦ـ الفيصل ـ مجلة سعودية ـ بعض الأعداد .
٢٧ـ الفكر ـ مجلة تونسية ـ عدد خاص عن المرأة في عام المرأة ديسمبر ١٩٧٥م .
٢٨ـ القبس – صحيفة كويتية – عدة أعداد
٢٩ـ المختار الإسلامي ـ مجلة ـ بعض الأعداد .
٣٠ـ مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ دواعي المجلس .
٣١ـ المجتمع الكويتية ـ عدة أعداد .
٣٢ـ المجلة السعودية ـ عدة أعداد .
٣٣ـ المسلمون ـ جريدة أسبوعية ـ الأعداد ١ـ١٧٦ .
٣٤ـ المسلمون ـ مجلة ـ دمشق ـ عدة مجلدات .
٣٥ـ المدينة ـ جريدة سعودية ـ عدة أعداد .
٣٦ـ المصور – مجلة مصرية – عدة أعداد
٣٧ـ الموقف ـ مجلة أفغانية ـ العدد ٢٣رمضان ١٤٠١هـ .
٣٨ـ الندوة ـ جريدة سعودية ـ بعض الأعداد .
٣٩ـ نشرة جبهة تحرير مورو ـ عدة نشرات .
٤٠ـ نشرة معهد شئون الأقليات المسلمة ـ عدة نشرات .
٤١ـ الهلال ـ مجلة ـ القاهرة ـ عدة أعداد .

المراجع الأجنبية

1 Arnold Toynbee A Study of History,Abridgment by D.C. Somervell London 1962 .

2 The Encyclopedia of Islam Vol l London .

3 The Eutropa Year Book 1981-1982 -1982-1983 .

4 The Gospel and Islam A 1978 Compendiun Don M.Mccurry .

5 Islam in Africa Edited for James Kritzeck and William H.Liwis H. LewisNam Nostrand - Rein hold Company, New York 1969 .

6 John Marlowe - Arab Nationalism and British Emperialism, London 1961 .

7 J Spencer Treimengham : A History of Islam in West Africa, OXford University press 1972 .

8 J Spencer Trimingham : The Influence of the Islam upon Africa, Longman, London, and New York 1968 .

9 Journal Institute of Muslim Mionority Affairs, King Abdul Aziz University 1979,1988,1982,1983.

10 Lamb - The Crusaders, The Flam of Islam.

11 T. E Lawrence : Seven Pillars of Wisdom,Great Britain.1965.

12 Thomas, The Pathan Kings of Delhi, London.

13 Whither Islam, Edited by H.A.R. Gibb.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....٥

الباب الأول

العالم الإسلامي وأهميته

الفصل الأول: الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي..... ١١

الروابط التي تجمع أفراد الأمة الإسلامية ١٢
البلدان الإسلامية في أفريقيا.....١٧
البلدان الإسلامية في آسيا.....١٨
المسلمون في أوربا.....٢٠
الأقليات الإسلامية.....٢١
في آسيا.....٢١
في أفريقيا.....٢٢
في أوربا.....٢٣
في العالم الجديد.....٢٤

الفصل الثاني: أهمية العالم الإسلامي.....٢٧

أولا: موقعه الاستراتيجي.....٢٧
ثانيا: وفرة الثروات وتنوعها.....٣١
ثالثا: مركز المواصلات العالمية.....٣٧

الباب الثاني

التحول من ماضي الأمة الإسلامية المجيد إلى حاضرها الأليم

الفصل الأول العوامل الداخلية.....٤٣

١- انشقاق المسلمين إلى فرق.....٤٣
٢- اشتغال المسلمين بالفلسفة وعلم الكلام.....٤٣
٣- الانقسام السياسي لدولة الإسلام.....٤٧
٤- الشعوبية.....٤٧
٥- الباطنية.....٤٧
٦- الصوفية.....٥٠
٧- الإسرائيليات.....٥٢
٨- التعصب المذهبي.....٥٣

الفصل الثاني العوامل الخارجية ٥٧

١- التحدي المغولي.....٥٧
٢- الحروب الصليبية.....٦٣
٣- حركة الاستعمار الأوربي.....٧٢
الاستعمار الأوربي القديم.....٧٩
الاستعمار الأوربي الحديث.....٨٧
الدول التي سيطرت على العالم الإسلامي.....٩١
٤- الحركة الصهيونية ٩٣
٥- الحركة الشيوعية.....٩٨

الفصل الثالث: نتائج التحديات الخارجية والداخلية..... ١٠٣

أولا: الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية..... ١٠٣
ثانيا: سقوط الخلافة الإسلامية ١٠٧
تغريب تركيا ١٢٤
الحركة الإسلامية أمام التحديات في تركيا ١٣٧
ثالثا: تمزق العالم الإسلامي بين التكتلات والأحلاف الدولية
المعاصرة.....١٤١
ظروف ضرورة التكتلات الدولية المعاصرة..... ١٤١
١- هيئة الأمم المتحدة..... ١٤٢
٢- مجموعة الدول ال ٧٧..... ١٤٨
٣- دول حلف الأطلسي..... ١٤٨
٤- دول حلف وارسو.....١٥٢
٥- السوق الأوربية المشتركة ١٥٤
٦- دول الكومنولث.....١٥٦
٧- جامعة الدول العربية.....١٥٨
٨- دول عدم الإنحياز.....١٦٣
٩- منظمة الوحدة الأفريقية..... ١٦٥
١٠- منظمة أوبك..... ١٦٧

الباب الثالث

واقع العالم الإسلامي

الفصل الأول: واقع العالم الإسلامي من الناحية الفكرية ١٧٣

الحركات السلفية.....١٧٦
الدعوات الفكرية الهدامة.....١٨٠
١- الدعوة إلى الإرتماء في أحضان الغرب ١٨٠

٢ـ احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية ١٨١
٣ـ العمل على تطوير المعاهد الدينية..... ١٨٣
٤ـ مهاجمة اللغة العربية والدعوة إلى العامية..... ١٨٧
٥ـ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب..... ١٩٤
٦ـ استيراد المذاهب اللادينية من الفكر والأدب..... ١٩٩
الحداثة..... ٢٠٥
الفصل الثاني: واقع العالم الإسلامي من الناحية الإجتماعية ٢٠٧

خطة المستعمرين في بلاد المسلمين..... ٢١١
التغريب..... ٢١٢
أثر المستعمرين في إحداث التغيير الإجتماعي..... ٢١٣
فكرة تحرير المرأة..... ٢١٤

الفصل الثالث: واقع العالم الإسلامي من الناحية السياسية ٢٢٧

أهمية الحكم في الإسلام..... ٢٢٧
العالم الإسلامي يمثل كتلة سياسية..... ٢٢٨
حركة محمد بن عبد الوهاب..... ٢٢٨
الحركة السنوسية..... ٢٢٩
الحركة المهدية في السودان..... ٢٢٩
الانحراف غير المقصود عن الحكم بالإسلام في تركيا..... ٢٣٠
الانحراف غير المقصود عن الحكم بالاسلام في مصر..... ٢٣١
محمد عبدة وكرومر..... ٢٣٢
عبد الرحمن الكواكبي..... ٢٣٣
علي عبد الرزاق..... ٢٣٤
الأحزاب السياسية ووسائل الإعلام..... ٢٣٥
آثار الاستعمار السياسية في العالم الإسلامي..... ٢٣٦
إقصاء الشريعة عن ميدان الحكم وتفكك العالم الإسلامي.... ٢٣٨

الفصل الرابع:واقع العالم الإسلامي في الناحية الإقتصادية. ٢٤١

أصول النظام الإقتصادي الإسلامي..... ٢٤١
الآثار الاقتصادية التي خلفها الاستعمار..... ٢٤٤
مسألة الديون الخارجية..... ٢٤٩
حلقة الديون للدول النامية..... ٢٥٤

الباب الرابع

توقعات حول مستقبل العالم الإسلامي

الفصل الأول: الإتجاه إلى التزام الإسلام نتيجة معاناة المسلمين المعاصرة.... ٢٥٩

الآثار المأساوية للحرب العراقية الإيرانية(الهامش) ٢٦٠
أسباب الصحوة الإسلامية ٢٦١
مظاهر الصحوة ٢٦٦

الفصل الثاني:الإتجاه إلى وحدة الجهود وتضامن المسلمين. ٢٧٣

بعض الحركات الإسلامية..... ٢٧٤
منظمة المؤتمر الإسلامي..... ٢٧٦
رابطة العالم الإسلامي..... ٢٨٠
مواجهة المسلمين للتحديات الاقتصادية..... ٢٨٥
مجلس التعاون لدول الخليج العربية..... ٢٨٧

الفصل الثالث:

الأخطار التي تهدد العالم الإسلامي مالم يعتصم بالإسلام..... ٢٩

الجزء الثاني

قضايا العالم الإسلامي المعاصرة

الباب الخامس:

قضايا أقطار إسلامية معاصرة في آسيا

الفصل الأول: قضية فلسطين..... ٢٩٩

مناطق فلسطين الطبيعية..... ٢٩٩
فلسطين في التاريخ..... ٣٠٠
الغزوات العابرة لأرض كنعان..... ٣٠١
أولا: العبرانيون..... ٣٠١
ثانيا: الفلسطينيون..... ٣٠٣
ثالثا: الفرس ٣٠٣
رابعا اليونان..... ٣٠٣
خامسا الرومان..... ٣٠٤
الفتح الإسلامي لفلسطين..... ٣٠٤
فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار..... ٣٠٥
مراحل الهجمة الصهيونية..... ٣٠٨
أولا: مرحلة التسلل اليهودي..... ٣٠٨
ثانيا: مرحلة وضوح الهدف الصهيوني..... ٣١٠
ثالثا: مرحلة المناورات الخفية الماكرة..... ٣١٤
وعد بلفور..... ٣١٧
الدوافع التي دفعت بريطانيا للسير في المخططات الصهيونية..... ٣١٨
رابعا: مرحلة العمل الصهيوني الإنجليزي لتهويد فلسطين ٣٢١
موقف المسلمين..... ٣٢٤
خامسا: مرحلة العمل لإقامة الدولة الصهيونية الفعلية..... ٣٣٠

سادسا: مرحلة تثبيت الدولة اليهودية.....٢٣٦
سابعا: مرحلة التوسع اليهودي.....٣٤٢
حرب عام ١٩٧٣م/ حرب رمضان.....٣٤٥
اتفاقيات كامب ديفيد.....٣٤٧
سياسة الضم(الدمج) ٣٥٦

الفصل الثاني:المسلمون في الفلبين - عذراء ماليزيا.....٣٥٩

دخول الإسلام.....٣٦٢
التحدي الصليبي: الإسباني والبرتغالي.....٣٦٤
الحكم الأمريكي للفلبين.....٣٦٨
واقع المسلمين في الفلبين في عهد الإستقلال.....٣٧٠

الفصل الثالث: المسلمون في شبه القارة الهندية
ومأساة كشمير.....٣٧٩
نيبال(في الهامش) ٣٧٩
سيلان(في الهامش) ٣٨٠
طرق وصول الإسلام إلى الهند.....٣٨٣
الدول المسلمة في الهند.....٣٨٥
الغزنوية.....٣٨٥
الغورية.....٣٨٦
المماليك.....٣٨٦
الخلجية.....٣٨٧
التغلقية.....٣٨٨
اللودهية.....٣٨٩
المغولية.....٣٨٩
الإنجليز يتسللون إلى الهند.....٣٩٣
سياسة الإنجليز في الهند.....٣٩٧
فكرة تحرير الهند والتقسيم.....٤٠٢

إمارة حيدر أباد الدكن ٤٠٦
قضية كشمير..... ٤٠٧
وصول الإسلام إلى كشمير..... ٤٠٨
حال المسلمين في ظل الهنادكة..... ٤١٠
المقاومة الإسلامية للسيخ والهنادكة..... ٤١٠
كشمير الحرة(آزاد كشمير) ٤١٥
ذيول التقسيم..... ٤١٦
وضع المسلمين في الهندستان..... ٤٢٠
العلاقات الهندية الإسرائيلية..... ٤٢٤
التنصير في بنغلادش..... ٤٢٦
باكستان..... ٤٢٨

الفصل الرابع: أفغانستان والغزو الشيوعي..... ٤٣١

اللغات..... ٤٣٢
دخول الإسلام..... ٤٣٤
أطماع الإنجليز ومحاولتهم احتلال أفغانستان..... ٤٣٧
أطماع روسيا..... ٤٤٠
الحركة الإسلامية في أفغانستان..... ٤٤٥
التحالف الإسلامي لتحرير أفغانستان..... ٤٤٦
ردود الفعل العالمية للغزو السوفييتي..... ٤٤٧
السياسة الشيوعية في أفغانستان..... ٤٤٩

الفصل الخامس: المسلمون في أندونيسيا..... ٤٥٥

جزر أندونيسيا..... ٤٥٥
سكان أندونيسيسا ولغتهم..... ٤٥٧
دخول الإسلام..... ٤٥٨
السلطنات الإسلامية..... ٤٥٩

الغزو البرتغالي الصليبي..... ٤٦٣
الغزو الهولندي..... ٤٦٤
السياسة الصليبية الهولندية في أندونيسيا..... ٤٦٥
ردود الفعل الإسلامية الأندونيسية للسياسة الهولندية..... ٤٧١
حركة الاستقلال الأندونيسية ٤٧٤
مشكلات أندونيسيا بعد الاستقلال..... ٤٧٦
١ـ مشكلة الشيوعية..... ٤٧٦
٢ـ المشكلة القومية..... ٤٧٨
٣ـ المشكلة التبشيرية ـ التنصيرية ٤٨١
رد الفعل الإسلامي الأندونيسي على أعمال التبشير..... ٤٨٧

الباب السادس

قضايا أقليات مسلمة في آسيا وأوربا

الفصل الأول: المسلمون في الإتحاد السوفييتي..... ٤٩٥

دخول الإسلام إلى روسيا الأوربية وحوض الفلغة ٤٩٦
البلاد الإسلامية التي ترتبط بموسكو..... ٤٩٨
بشكيريا..... ٤٩٨
تتاريا..... ٥٠٠
الجوفاش..... ٥٠١
الأدمورت..... ٥٠٢
موردوف..... ٥٠٢
ماري..... ٥٠٢
شكالوف(أورنبرغ) ٥٠٣
شبه جزيرة القرم..... ٥٠٣
المسلمون في سيبيريا..... ٥٠٦
المسلمون في بلاد القفقاس..... ٥٠٨

المسلمون في التركستان الغربية..... ٥١٧
سياسة روسيا القيصرية في بلاد الإسلام..... ٥٢٦
مواقف المسلمين من روسيا القيصرية..... ٥٣٠
سياسة روسيا الشيوعية في بلاد الإسلام..... ٥٣٢
مراحل حرب الإسلام..... ٥٣٨
مدى نجاح السياسة الشيوعية..... ٥٤٦
العلاقات اليهودية السوفياتية..... ٥٤٧
مرحلة الإنفراج..... ٥٥٢

الفصل الثاني: المسلمون في الصين..... ٥٥٧

الأقاليم الإسلامية في الصين..... ٥٥٧
دخول الإسلام إلى الصين وانتشاره..... ٥٦٠
المسلمون في الصين تحت حكم الأسر المتعاقبة..... ٥٦٤
أسرة تانغ..... ٥٦٤
أسرة سيونغ..... ٥٦٥
أسرة يوان..... ٥٦٥
أسرة منغ..... ٥٦٦
أسرة تسينغ..... ٥٦٨
المسلمون في عهد الصين الوطنية..... ٥٧٢
المسلمون في عهد الشيوعيين..... ٥٧٦
المسلمون في مرحلة الثورة الثقافية..... ٥٧٨
المسلمون في الصين من عام ١٣٩٦- ١٤٠٩هـ..... ٥٨١

الفصل الثالث: المسلمون في شبه جزيرة الهند الصينية وقضية فطاني... ٥٨٥

دخول الإسلام إلى الهند الصينية..... ٥٨٦
الملايو..... ٥٨٦
برمانيا وأقليم أراكان..... ٥٨٨

فيات نام..... ٥٩٠
كمبوتشيا(كمبوديا) ٥٩١
تايلاند(سيام) ٥٩٢
فطاني.....٥٩٣
دخول الإسلام إلى فطاني..... ٥٩٥
التحدي البوذي لفطاني..... ٥٩٦
أوضاع فطاني في الحرب العالمية الثانية وبعدها..... ٥٩٨
السياسة التايلاندية في فطاني..... ٦٠٠
العقبات في وجه الجهاد الفطاني.....٦٠٦

الفصل الرابع: المسلمون في قبرص..... ٦٠٩

دخول الإسلام.....٦٠٩
قبرص في ظل الإحتلال البريطاني..... ٦١٣
الاستقلال..... ٦١٤
قبرص بعد الإستقلال..... ٦١٨

الفصل الخامس: المسلمون في أوربا الشرقية.....٦٢٣

أولا: بلغاريا.....٦٢٣
المسلمون تحت الحكم الأرثوذوكسي النصراني.....٦٢٥
المسلمون تحت الحكم الشيوعي.....٦٢٥
ثانيا: يوغوسلافيا..... ٦٣١
أحوال المسلمين.....٦٣٢
ثالثا: رومانيا.....٦٣٦
رابعا: بولندة.....٦٣٧
خامسا: البانيا ٦٣٩

الباب السابع

الإسلام والمسلمون في قارة أفريقيا

الفصل الأول: قارة أفريقيا ودخول الإسلام..... ٦٤٥

ملامح القارة..... ٦٤٦
دخول الإسلام..... ٦٤٨

الفصل الثاني: العقبات التي وقفت في وجه الدعوة..... ٦٥٧

١ـ العزلة التي فرضت نتيجة الإكتشافات الجغرافية..... ٦٥٧
٢ـ الأمراض وطبيعة الأرض..... ٦٦١
٣ـ الاستعمار الأوربي الحديث..... ٦٦١
المشكلات التي خلفها الاستعمار..... ٦٦٣
مشكلة التميز العنصري..... ٦٦٧
مشكلة الصهيونية..... ٦٦٨
مشكلة النصرانية والتبشير..... ٦٦٠
مشكلة الشيوعية..... ٦٧٥
قضية جنوب السودان..... ٦٧٦
ـالصومال..... ٦٧٧
ليبريا..... ٦٨٠
بعض الحركات الإسلامية التي وقفت في وجه الاستعمار..... ٦٨١
١ـ حركة الشيخ عثمان..... ٦٨١
٢ـ حركة جمعية العلماء المسلمين..... ٦٨٢
٣ـ الحركة السنوسية في ليبيا..... ٦٨٤

الفصل الثالث: القرن الأفريقي(اثيوبيا وارتيريا) ٦٨٥

اثيوبيا..... ٦٨٥
اقليم هرر..... ٦٨٨
قضية ارتيريا..... ٦٩٠
دخول الإسلام إلى ارتيريا والحبشة..... ٦٩١
ارتيريا في ظل الإحتلال البريطاني..... ٦٩٦
السياسة الإيطالية في ارتيريا..... ٦٩٧
ارتيريا تحت الحكم الإنجليزي..... ٦٩٨
قضية ارتيريا في هيئة الأمم المتحدة..... ٧٠١
خطوات التسلط الاثيوبي على ارتيريا..... ٧٠٢
الثورة الارتيرية وتطوراتها..... ٧٠٤
المسلمون في ارتيريا تحت ظل الحكم الشيوعي الاثيوبي..... ٧٠٧
علاقة اثيوبيا بالدولة الصهيونية اليهودية..... ٧٠٩
التحديات التي يواجهها الجهاد الارتيري..... ٧١٣

خاتمة..... ٧١٥
المصادر والمراجع..... ٧١٧
الكتب..... ٧١٩
الصحف والمجلات..... ٧٢١
المراجع الأجنبية..... ٧٣٣
فهرس الموضوعات..... ٧٣٥
فهرس الخرائط..... ٨٤٨
كتب وبحوث للمؤلف..... ٧٥٠
كلمة شكر..... ٧٥١
خريطة العالم الإسلامي..... ٧٥٣

فهرس الخرائط

موقع العالم الإسلامي..... ٣٠
نتائج الحملة الصليبية الأولى..... ٦٧
فلسطين وموقعتا حطين وعين جالوت..... ٦٩
مراكز انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا..... ٨١
الإكتشافات الجغرافية وتغير طرق التجارة إلى البحار الكبرى..... ٨٣
طرق التجارة قبل الإكتشافات الجغرافية..... ٨٨
المستعمرات في العالم القديم..... ٩٠
الدولة العثمانية في أقصى اتساعها..... ١١٣
اتفاقية سايكس بيكو..... ١٢٠
التقسيمات الإدارية لبلاد الشام..... ٣٠٧
أطماع اليهود في البلاد الإسلامية..... ٣١٥
تقسيم فلسطين بموجب قرار الأمم المتحدة..... ٣٣٨
فلسطين عام ١٩٤٩م..... ٣٣٩
مشاريع التقسيم لفلسطين..... ٣٤٤
كذراء ماليزيا- الفلبين ٣٦١
شبه القارة الهندية..... ٣٨١
موقع كشمير..... ٤٠٩
أفغانستان..... ٤٣٣
جزر الهند الشرقية..... ٤٦١
جمهوريات الإتحاد السوفييتي الأوربية..... ٤٩٩
المناطق الإسلامية في حوض الفلغة ٥٠٣
قفقاسيا..... ٥٠٩
تركستان الغربية..... ٥٢١
التوسع الروسي في أراضي المسلمين..... ٥٢٧
الصين ٥٥٩
الهند الصينية..... ٥٨٧
ولايات فطاني..... ٦٠٧

موقع قبرص..... ٦١٠
حوض البحر الأبيض المتوسط..... ٦٢٢
شبه جزيرة البلقان..... ٦٢٧
موقع أفريقيا من العالم..... ٦٤٧
طرق انتشار الإسلام في قارة أفريقيا..... ٦٤٩
القرن الأفريقي..... ٦٨٦
ارتيريا..... ٦٩٠
اثيوبيا..... ٧١٤

خريطة العالم الإسلامي

كتب وبحوث للمؤلف

١- **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري**-رسالة دكتوراة- نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
٢- **تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين** . نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣- **الموالي -موقف الدولة الأموية منهم-** . نشر دار أم القرى -عمان- الأردن-١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٤- **الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية زمن الدولة الأموية** . نشر دار أم القرى -عمان-الأردن- ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
٥- **حاضر العالم الإسلامي** في جزئين.

البحوث

٦- **مراحل الدعوة الإسلامية في مكة** . مجلة الجامعة الإسلامية العدد:٦٢.
٧- **لا... خصومة المسلم مع الحياة والناس** . مجلة الجامعة الإسلامية العدد:٦٥-٦٦.
٨- **الزلاقة معركة حاسمة من معارك الإسلام في الأندلس** . مجلة الجامعة الإسلامية العدد:٦٩-٧٠.
٩- **التكتلات والأحلاف الدولية المعاصرة وأثرها على العالم الإسلامي** . مجلة الجامعة الإسلامية. العدد:٧٢-٧٣.
١٠- **الفتوحات بين دوافعها الإسلامية ودعاوى المستشرقين** .مجلة المنهل.